الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـــامعة الأميـــر عبد القادر للعلـــوم الإسلاميـــــــــة

قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الرقم الترتيبي ..../.....

رقم التسجيل.....

الحياة العلمية في الدويلات الإسلامية بالمشـــرق
(خراســـان وبـلاد ما وراء النهـــر)
بين القرنين الثالث والخامس الهجريين
205هـ - 432هـ / 820م -1040م

رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه الدولة في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب :

نجيب بن خيرة

المشرف : الأستاذ الدكتور:

غازي مهدي جاسم

أعضاء لجنة المناقشة:	الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس	بوبة مجاني	الأستاذة المحاضرة	جامعة قسنطينة
المقرر	غازي مهدي جاسم	الأستاذ الدكتور	جامعة وهران
عضو	إسماعيل سامعي	الدكتور	جامعة الأمير عبد القادر
عضو	بوبابة عبد القادر	الدكتور	جامعة وهران
عضو	جهيلي مختار	الدكتور	جامعة باتنة
عضو	.....	.....	.....

نوقشت يوم : 19 أفريل 2004م.

السنة الجامعية 2004/2003م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمد لله المعين على كل خير، أشكره سبحانه وتعالى على عونه وتوفيقه الذي يسر أمرنا، ووفقنا لإتمام هذا العمل، فله جزيل الشكر، وخالص الثناء.

يقول الرسول ﷺ : "ما شكر الله من لم يشكر الناس".

ولعلّ الشكر موصوله ومستحقه في هذا البحث إنما يعود إلى سعادة الأستاذ الدكتور غازي مهدي جاسم الشمري الذي تولى مهمة الإشراف على هذا البحث، وأحاطه بإرشاداته وتوجيهاته، وبذل من وقته الغالي، وعلمه العالي، ما كان لي مشاعل أهتدي بها كلما توعرت بي المسالك والدروب، فله مني وافر الشكر، وعظيم التقدير، وأبقاه الله ذخرا للعلم وأهله.

كما أسوق ركاب الشكر إلى جميع العلماء الأجلاّء، و الأساتذة الكبار، من الذين لقيتهم أثناء زياراتي لكثير من الجامعات العربية في بلاد المشرق، وأخص بالذكر منهم : شيخ المؤرخين المعاصرين الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري، والدكتور حسام الدين السامرائي، والدكتور سهيل زكار. والدكتور فاروق عمر فوزي، والدكتور قحطان عبد الستار الحديثي. .على ما قدموه من جهد وفكر في تقويم مسار هذه الرسالة، سائلا المولى القدير أن يثيبهم. ويحفظهم، ويرعاهم، ويبقيهم ذخرا لدينهم وأمتهم.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أوجه الشكر موصولا بالدعاء لجميع موظفي مكتبات: الجامعة الأردنية، وجامعة آل البيت، وجامعة بغداد، وجامعة القاهرة، ومكتبة الأسد بدمشق، الذين قدموا لي جميع التسهيلات أثناء وجودي بينهم قصد الاطلاع والمراجعة. وأخص بالفضل الكبير موظفي مكتبة جامعة الأمير عبد القادر إدارة وعمالا لما لقيته منهم من سند وعون.

ولن أختم الشكر دون التنويه بفضل جميع الإخوان والزملاء والأصدقاء، وكل من أعان على إخراج هذا البحث بالدعاء الخالص أن يكافئ الله كل صانع معروف.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الإهداء

- في خشوع البنوة الصادقة، وفي رحاب الاعتراف بفضل الأبوة الحانية، أهدي هذا البحث وثوابه إلى روح والدي الطاهرة، هناك في رحاب الله.
- إلى نبع الحنان، وفيض المحبة والصفاء، ووافر البذل والعطاء، بلا انتظار المقابل.. أمي الحبيبة.
- إلى من عانت معي مخاض هذا البحث وميلاده، وأمدّتني بالعزم، والإرادة، والقوة، المرأة الصالحة، زوجتي.
- إلى نور عيني، وأملي، وعمري الثاني، ولدي : حسام الدين، وعبد الرحمن.
- إلى أسرتي الكبيرة : أخي وأخواتي، حُباً، ومودّة، وذكرى، ما حييت أبداً.
- إلى شعوب الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى : أوزبكستان، تركمانستان، طاجيكستان، قازاخستان،، قيرغيزيا، أفغانستان، إيران.

تلك الجمهوريات التي تشهد اليوم صحوة إسلامية جديدة، آملا أن يكون هذا البحث خطوة على طريق إبراز الدور الحضاري لتلك المناطق خلال العصور الإسلامية الأولى، يوم أن كانت تعرف باسم " خراسان و بلاد ما وراء النهر".

نجيب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

نطاق البحث وتحليل لأهم مصادره

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

نطاق البحث وتطيل لأهم مصادره

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن دعا بدعوته وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن من الحقائق الواضحة أن التأريخ للخلفاء والأمراء والملوك والأسرات الحاكمة حظي بالسهم الوفير من عناية المؤرخين: القدامى والمحدثين، فسجلوا أيامهم وفتوحاتهم وانتصاراتهم ... أما المناشط الحضارية الأخرى: من متابعة أحوال المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فقد عَشِيَتْ عنها أعين كثير من المؤرخين، ولم ترد في كتاباتهم إلا تفاريق دون استقراء تاريخي شامل يهدف إلى إبراز هذا الجانب الهام بالصورة التي نريدها اليوم.

وغيرُ خافٍ على كل ذي لُبٍّ أن النشاط العلمي هو من أكثر جوانب النشاط الإنساني إشراقا وتألُّقًا، وتعبيرا عن العمق الحضاري للأمم والشعوب. يبرز شخصيتها، ويعكس أصالتها، ويقدم عقول النوابغ منها في أعظم ما تجود به قرائحهم من فنون العلم وثمرات المعارف.

هذا هو التاريخ الذي أردنا التعامل الجاد مع معطياته، محاولة للبحث عن الذات، والعثور على الهوية الضائعة في هذا العالم، والتجذّر في الخصائص، وتعميق للملامح والخصوصيات. إنها محاولة لوضع اليد على نقاط التألق الحضاري الذي وصلته أمتنا عبر تاريخها المجيد، وذلك في زمن العولمة، التي أقبلت بوجهها المتجهم لتضرب الهوية الثقافية والحضارية في الصميم، ولا تقيم اعتبارا لخصوصيات الشعوب، وتنسف أسس التعايش الثقافي بينها، وتُحِلّ محلّ ذلك كله ثقافة واحدة مهيمنة !!.

إن هذه التحديات التي تواجه هويتنا الإسلامية ليس من سلاح يرد غائلتها إلا العودة إلى تحصين الذات، وإعادة قراءة التاريخ بمنهج جديد، يبعث الصفحات المشرقات منه، فتضيء لنا سبل التعامل مع الآخر الذي يتفنن في طرائق الإلغاء والإقصاء.

وقد جاء هذا البحث عبر هذا السياق ليُقدِم مساهمة متواضعة في هذا الاتجاه، ويردُّ الهجوم الكاسح على الثقافة الذاتية للأمة، وهي الثقافة الإسلامية التي أنجزها أمة الإسلام، مستلهما ما يستقرُّ في أعماق تاريخها من جذوة الخير والعطاء، وما تنطوي عليه جوانحها من طاقة وإبداع ونماء.

فالتاريخ الحضاري هو عقل الأمة المسلمة ووعيها، وهو تجربتها في التعامل مـــع الســـنن الإلهية في الكون والإنسان والحياة، وهو رصيدها من الأصالة في وجه الانسلاخ ومحاولات التذويب في الآخرين.

كل هذه المعاني والأفكار والتصورات حملتني على الارتباط بهذا الموضوع وزادت من رغبتي في البحث حوله، محاولا ـــ قدر الجهد ـــ إيجاد نوع من التوازن في التأريخ للسلاطين والأمـــراء والحكام ومن زينت مفارقهم التيجان، ممن احتجزوا صفحاته تاركين للبناة الحقيقيين من رجال الفكر والثقافة والدين والعلم والفن أصغر زواياه وأكثرها خفاءً وإهمالاً، مع أنهم بُناةُ وَحدَتـــه، وصانعوا ملامحه المميّزة.

أما اختيار موضوع "**الحياة العلمية في الدويلات الإســـلامية بالمشـــرق ـــ خراســـان وماوراء النهر** ـــ بين القرن الثالث والخامس الهجري" فهو امتداد لرغبة كانت قد تحققت في إنجاز موضوع أطروحة الماجستير الموسومة بـــ: "**الخراســـانيون ودورهـــم السياســـي والعلمي في العصر العباسي الأول**".

وكلا الموضوعين يدوران على إشكالية واحدة هي:

دور الأطراف كبديل لتضاؤل دور المركز في الحضارة الإسلامية، وبمعـــنى آخـــر .. هـــل استطاعت الأقاليم المستقلة عن الخلافة العباسية في بغـــداد أن تـــؤدي دور بغـــداد سياســـيا وحضاريا؟، هل استطاعت أن توجد حواضر أخرى قادرة على صنع القرار، وتسيير الجيـــوش، وبناء المدارس، وتخريج العلماء؟

إن بحثنا هذا يحاول ـــ قدر الإمكان ـــ تجلية هذا الموضوع وبيان مواطن الإشكال فيـــه، لـــرد تساؤلٍ وسداد ثغرٍ ..

والمملكة الإسلامية في القرون ـــ محل الدراسة ـــ كانت أعلى شأنا في العلم من القرون الـــتي كانت قبلها، ولئن كانت الثمار السياسية قد تساقطت خلالها، فإن الثمار العلمية قد نضـــجت فيها، والسبب في ذلك أن الإمارات الإسلامية المختلفة كانت تتبارى في تجميل موطنها بالعلماء والأدباءوالفقهاء والأطباء وتفاخر بهم .

ولم يستطع الاضطراب السياسي الطامي أن يعرقل مسيرة النشاط العلمي أو يحد من تياره .

وقد ارتبط اسم خراسان في التراث الإسلامي بالكثير من الأحداث التاريخيـــة والإنجـــازات الحضارية ذات دلالات هامة في عمق التاريخ، بدءاً بحركة الفتح الإسلامي زمن الخلافة الراشدة

إلى العصر العباسي، حيث غدت خراسان موطن الدعوة، ومنطلق الثورة، وعاصمة الدولـــة في "مرو" زمن المأمون، حتى أن بعضهم قال عن خراسان في حضرة المأمون: "هي المملكة بأسرها".

أما الحياة العلمية فقد أحرز أهل خراسان فيها أفضل منزلة، لما خصوا به من الاستعداد لقبول الحضارة، وأعانهم عليه دين الإسلام الذي رفرف على ديارهم، وعاشوا به أمة قديرة على الفعل والإبداع، مترعة بالحيوية والفاعلية، وليس غريبا أن يقال بعد ذلك: "إن العلم شجرة، جذورها في مكة والمدينة، ونُقل ورقها إلى العراق، وثمرها إلى خراسان".

وخراسان هي اليوم المنطقة الموزعة بين ثلاث جمهوريات إسلامية هي: إيران، وأفغانســـتان، وتركمانستان.

أما بلاد ماوراء النهر فهو الإقليم الذي يلي نهر جيحون، ويمثل هذا الإقلـــيم حاليـــا عـــدة جمهوريات إسلامية هي: تركمانستان، وطاجيكستان، وأوزبكستان، وقيرغيزيا، وقازاخستان.

ويلاحظ أن " تركمانستان " بها جزء من خراسان، وجزء من بلاد ماوراء النهر.

وقد لاحظت أثناء زيارتي لكثير من الجامعات العربية في بلاد المشرق الإسلامي أن البحث حول خراسان وبلاد ما وراء النهر انصب في أغلبه حول بعض الجوانب العلمية،في مدينة من المدن، تناولها كثير من الباحثين العرب بشيء من الحساسية والتعصب القومي. فقد جاءت دراساتهم عميقة شاملة، وافية بالحشد الكافي من الروايات والتراجم مما جعلني أفيد منها وأستعين بها في الرجوع إلى المـــادة الخبرية في مظانها، ولكني شعرت أنها في أكثر الأحوال غمطت حق الفرس في مساهمتهم العلميـــة، وسلبتهم جهدهم، وجرّدت إخوة لنا في الدين لهم فضائل في الإسلام على مرّ التاريخ.

وهذا لعمري يفتح الباب واسعا للتلاحي والتخاصم من غير سبب، اللهم إلا ما يحقق عبث السياسيين، وطيش الزعماء المهوسين. ورغبة طلاب المجد الشخصي، والمُلك الكذوب.

ومن هذه الدراسات الجامعية التي أمكنني الاطلاع عليها: ما أعده كل من:

ـــ جهاد عزت عبد الله عن "دور العرب الحضاري في سمرقند من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثالث الهجري"، رسالة ماجستير. ورسالته للدكتوراه بعنوان: "الحركة الفكرية العربية في سمرقند"،جامعة بغداد.

ـــ طارق فتحي سلطان الدليمي عن"الحركة الفكرية العربية في بخارى"، رسالة دكتـــوراه، جامعة بغداد.

ـــ ابراهيم إسماعيل محيسن عن "الحركة الفكرية العربية في خراســـان في القـــرن الثالـــث الهجري"، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.

أما الدراسات التي أظهرت توازنا واعتدالا في تناول الحياة العلمية في إقليم المشرق فنـــذكر منها:

ـــ رسالة الدكتوراه للزميل الباحث إحسان ذنون الثامري الموسومة بـــ: "الحياة العلمية زمن السامانيين " المقدمة في الجامعة الأردنية، وقد طبعت مؤخرا في لبنان.

ـــ ورسالة الماجستير للباحثة أديل سليمان محمود وهي عن "الحياة العلميـــة في نيســـابور"، جامعة اليرموك، المملكة الأردنية .

وقد ضاعفت هذه الدراسات من رغبتي في سدّ الثغرات التي تركَتْها في البحث حول النشاط العلمي، ومتابعة التيارات الفكرية في إقليم المشرق بمنهج يختلف عمّا انتهجته تلك الأبحاث من رصد للنشاط العربي فحسب ومحاولة الغض من قيمة الإنتاج الفكري للأجناس الأخـــرى، وفي هذا إساءة لأهم خصائص الحضارة الإسلامية وهي "العالمية" فإن الأمم جميعا انضوت تحت لواء الإسلام عقيدة وشريعة، ومنهجا وسلوكا، وارتبطت ببعضها بأوثق الروابط، وأمتن العُرَى.

والحق أن مثل هذه الدراسات الحضارية تُعد من أشق وأصعب ما يتعـــرّض لـــه البـــاحثون والدارسون، ولعلّ أهم تلك المصاعب هي:

ـــ قلة البحوث والدراسات التي تهتم بتاريخ وحضارة هذه المنطقة من العالم الإســـلامي ؛ إذا مـــا قيست بالموضوعات التقليدية التي تناولت الحياة السياسية فيها. وقد كلفني ذلك الكـــثير مـــن الجهـــد والوقت والسفر والمال لجمع ما تناثر من الأبحاث حول أخبار العلماء والمصـــنّفين والكتـــاب في هـــذه المنطقة سواء في كتب المصادر، أو في كتب المراجع التي تُيسِّر استقاء المعلومات، وعـــرض التـــواريخ، وترتيب الحوادث.

ـــ غزارة المادة العلمية في بعض الجوانب، وقلّتها بل ندرتها في جوانب، ففيما يتعلق بعلـــوم الوحي، وخاصة في علوم: التفسير، والحديث، والفقه ...وجدت كتب الطبقات والتراجم تعج بذكر الأعلام والنوابغ في هذه العلوم، ولكن في العلوم الكونية وجدت أن المعلومـــات قليلـــة، فعملت على الاستفادة منها في مواضع دلالتها معتبرا أن مظاهر الرقي في هذا الجانب من المعرفة تحكمه عوامل التأثر والتأثير فيما بين الأقاليم الإسلامية كلها.

ـــ تعرّضت خلال الدراسة لميادين الحياة العلميـــة في قضـــايا تخصصـــية تتعلّـــق بعلـــوم

القرآن،والحديث، والفقه، والتصوف، وعلم الكلام، والآداب، والعلوم الاجتماعية والكونيـــة، ووجدت صعوبة بالغة في توجيهها، وحاولت قدر المستطاع أن لا أكـــون راصـــدا تاريخيـــا فحسب، بل أيضا متابعا لتياراتها، وأهم قضاياها.

على أنه مما هوّن الأمر وأعان على المصاعب فيه هو الرغبة العلمية التي لم آل في إرضـــائها جهدا، و لم أدّخر في إشباعها وُسعًا.

أما منهج البحث وأسلوبه، فقد اتبعت المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي، وحاولت جهدي توصيف المنجزات العلمية والإنتاج الفكري، مع استقراء وتتبُّع لأبرز الأعلام في كل ميدان.

أما تحديد فترة البحث بين 205 ــ 432هـــ، فإن سنة 205هـــ هو تاريخ قيـــام الدولـــة الطاهرية في خراسان، وسنة 432هـــ هي سنة انتهاء الوجود الغزنوي في خراسان، وانحســـار دولتهم في إقليم الهند، وهو إقليم لا يدخل في النطاق الجغرافي للبحث.

وإذا كانت هذه الدراسة قد تجاوزت الحد الزمني لفترة البحث "205 ــ 432هـــ" فذلك لأن وحدة الموضوع اقتضت تتبع العلماء في كل فن إلى أواخر القرن الخامس الهجري وبالضبط سنة 470هـــ، فوفاة عالم من العلماء بعد سنة 432هـــ لا يمنع أنه قد عاش فترة من عمره قبل سنة 432هـــ، إذا اعتبرنا أنه عاش سبعين عاما كحد أقصى لعمر الإنسان، مصـــداقا لقـــول الرسول ﷺ:"أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين إلا قليل"، ومثال ذلك: الإمام أبي الحســـن علي بن عثمان بن أبي علي الغزنوي الجلابي الهجويري المتوفى سنة 465هـــ، على اعتبار أنـــه قارب السبعين عاما من القرن الخامس الهجري.

❁❁❁

أما فيما يتصل بخطة البحث فقد بدا لي أن تتكون من فصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة.

أما الفصل التمهيدي فقد رأيت اقتضاء للسياق المنـــهجي أن يشـــمل شـــقين: الجغـــرافي والتاريخي، تناولت فيه بالتعريف جغرافية أرباع خراسان، وأقاليم بلاد ما وراء النهر وحدودهما الإقليمية المتعارف عليها، وما يتبعهما من المدن والقرى والرساتيق، وأهم النشاطات الاقتصادية فيها، وتوضيح أن الحدود الإدارية قد تتجاوز الحدود الإقليمية تبعـــا لاتســـاع نفـــوذ الإدارة السياسية، مع إلقاء الضوء على ملامح الفتح الإسلامي لإقليم المشرق، وبيان مواطن الاستقرار العربي فيه، وانتشار الإسلام بين أهله.

ففي **الفصل الأول**: عرضت الأوضاع السياسية في إقليم المشرق وأثرها على الحياة العلمية، وقد أوضحت في بداية الفصل قراءتي الخاصة للظاهرة الاستقلالية التي طبعت الحياة السياسية مع أواخر العصر العباسي الأول، وأشرت إلى الجوانب الإيجابية والسلبية فيها.

ولما رأيت أنه من غير الممكن عرض النتاج العلمي لأي إقليم بعيدا عن الخلفية السياسية له، فقد عرضت للحديث عن تعاريف موجزة للدويلات التي تعاقبت على حكم إقليم المشـــرق ـــ خلال فترة الدراسة ـــ بدءاً بالدولة الطاهرية، وانتهاءاً بالدولة الغزنوية متناولا نشأتها، وعصـــر ازدهارها،ثم سقوطها وأسباب ذلك، كما تمت الإشارة إلى عناصر الارتباط بينها وبين الخلافة العباسية، مع الإلماع إلى أثر ذلك في النشاط العلمي في تلك الأقاليم.

وقد أغفلت الحديث عن الدولة الصفارية؛ لأن الصفاريين غلب عليهم الطابع الحربي، فكان دورهم في الحياة العلمية ضئيلا إن لم يكن معدوما.

أما **الفصل الثاني**: فيقع في عشرة مباحث، شملت العوامل المؤثرة في الحياة العلميـــة وأهـــم مؤسسات التعليم، قدمت لها بمبحثين عن فريضة طلب العلم في الإسلام، ثم الرحلة في طلـــب العلم كوسيلة من وسائل التألق العلمي، ثم عرضت مدى عناية الأمراء والحكام بالعلم والعلماء، واستعرضت مؤسسات التعليم في المنطقة: من المساجد، والكتاتيب، والمـــدارس، والمكتبـــات الخاصة والعامة، وحوانيت الوراقين، ثم تحدّثت عن الربط والخانقاهات التي ظلت طيلة الفتـــرة منهلا للعلوم والمعارف،، ثم ختمت الفصل بالحديث عن المجالس العلمية والمناظرات التي عقدت في هذه المؤسسات، ومشاركتها في بعث نهضة علمية زاهرة.

و **الفصل الثالث**: تضمن دراسة شاملة للإنتاج العلمي فيما يخص علوم الوحي، وهو أوسع فصول الرسالة حجما؛ لأن العلوم الدينية التي تناولها شهدت اهتماما كبيرا من أهل خراســـان وماوراء النهر.

وقد أسلمتني طبيعة هذا الفصل إلى أن أقدم له بتمهيد موجز حول تصنيف العلوم في التأصيل الإسلامي مبرِّرا سبب إدراج العلوم الشرعية والكلامية والتصوف ضمن إطار واحد، وبيّنـــت كيف أنه لا تفاصل بين هذه العلوم من وجهة النظر الإسلامية، ثم عرضت للإنتاج العلمي من: علم القراءات، وعلم التفسير،والحديث، والفقه، وذكرت أشهر العلمـــاء في هـــذه الميـــادين، وكشفت عن تراثهم، ثم قَفَّيْتُ على ذلك بالحديث عن علم الكلام، وما حققه علماء الإسلام

من انتصارات علمية باهرة في ساحات النزال العلمي والمناظرة والحِجاج مع الفـــرق والنِحَـــلِ والطوائف المختلفة.

ثم عرضت للتصوف وأعلامه وأوردت مأثورات من حكمهم وإشاراتهم، وبسطت القـــول فيما تفرّدوا به من مسلك، وما خُصّوا به من ألفاظ تُعيِّن مقاصدهم وهم يتحدثون عـــن أدواء النفوس، وأحوال القلوب، ويتشهّدون الفناء في الله، ويرون الأنس به أشرف الأغراض، وقـــد تحولوا بهذه المجاهدة إلى أقباس روحية وذوقية، جعلت حياتهم أوتارا دِقاقـــا تصـــدح بأعـــذب الألحان في عالم الأرواح والأذواق.

أما **الفصل الرابع**: فقد جمعت فيه الآداب والعلوم الاجتماعية والكونية، ولهذا الجمع ما يبرره، فشرع المنهج يقضي علينا أن نصوغ الفصول متوازنة فيما بينها، ومتقاربة في عدد صفحاتها.

تناولت في المبحث الأول منه: الأدب وفنونه، من شعر ونثر باللغتين العربية والفارسية.مقدما لذلك عن دور العرب في إقليم المشرق، وكيف انبسط سلطانهم على تلك الشعوب، واســـتولى دينهم على الأفئدة، ولغتهم على الألسنة، فلم تعد العربية لغة إقليم واحد، ولا لســـان شـــعب واحد، وإنما انطلقت مع الإسلام من بوادي الحجاز ونجـــد إلى حواضـــر أقـــاليم المشـــرق، فاستفاضت على الألسنة، وتعربت أمة الفرس، وامتزجت عناصرها المتباينة، وسارعوا إلى تعلم العربية والتكلم بها تقرُّبا من الفاتح، واستدرارا للرزق، وتفقها في الدين.

ولما كان تأثير لغة في لغة أخرى ليس بدعا من الأمور، ولا حادثا طريفـــا في تـــاريخ اللغـــات والثقافات فقد نفذت اللغة العربية إلى اللغة الفارسية وتسربت إليها، حتى امتزجت بلحمها ودمها، وأصبحت جزءًا من أجزائها لا ينتبه لكونها عربية فصيحة إلا أفذاذ من الباحثين، وأفراد من المحققين.

والمبحث الثاني خُصص للبحث حول العلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافيـــا ورحـــلات، وبيان أهمية هذا العلم عند الخراسانيين وعنايتهم به، واهتمامهم بالســـيرة النبويـــة، وفضـــائل الصحابة، والكتابة في التاريخ العام، والتاريخ المحلي، والطبقات والتراجم، ثم الإشارة إلى أبـــرز المؤرخين والرحالة والمسالكيين في ذلك العصر خلال الفترة موضوع الدراسة.

أما المبحث الثالث، فقد درست فيه العلوم الكونية مع تمهيد لبيان موقعهـــا مـــن المنظومـــة المعرفية الإسلامية، وعرض للإنتاج العلمي لأشهر علماء المنطقة، في الطب والصيدلة، والعلـــوم الرياضية، وعلم الفلك.

وكان لابد لهذه المباحث أن تتداخل أحيانا، وأن يمتد بعضها إلى قلب بعض أحيانا أخـرى، فقد يرد اسم علم في أكثر من موضع من البحث، وهذا أمر طبيعـي ؛ لأن محاولـة الفصـل الهندسي الحدّي بين العلوم وأعلامها عملٌ أشبه بتدوير المربع، أو تربيع الدائرة لا يكاد يستقيم على حال.

ثم ألحقت الدراسة بخاتمة تعرض ما انتهيت إليه من نتائج وتوصـيات، ثم أوردت ملاحـق للرسالة، تضمنت قوائم أمراء الدويلات المستقلة، وأسماء الخلفاء العباسيين، طوال فترة حكـم الأقاليم الشرقية.

وفي نهاية البحث أثبتُّ قائمة بكل مصادر ومراجع البحـث، والموسـوعات والمقـالات، والرسائل الجامعية، والمراجع الأجنبية، والتي أسهمت كلها في الهيكل العام للدراسة.

❁❁❁

وقبل البدء في استعراض أهم المصادر المعتمدة في هذا البحث، نودُّ أن نذكر بأن هناك كتبـا على أهمية بالغة في الإحاطة بتاريخ خراسان السياسي والعلمي، هي في عِداد الكتب المفقـودة، ولم يبق منها إلا نُقولا أثبتها المؤرخون في كتبهم الموجودة بين أيدينا.

ومن بين هذه الكتب المفقودة كتاب "فتوح خراسان " للمدائني، وكتاب "نـزول العـرب بخراسان والسواد "للهيثم بن عدي، وكتاب "فضائل خراسان "للبلخـي، وكتـاب "فتـوح خراسان" وكتاب "تاريخ سمرقند" للإدريسي (ت405هـ)، وكتاب "ومنتخب القند في تاريخ سمرقند" لأبي الفضل عبد الجليل السـمرقندي، وكتـاب "وتـاريخ سمرقنـد" للمسـتغفري (ت422هـ)، وكتاب "تاريخ بخارى وسمرقند" لسعيد بن جناح، وكتاب "التاريخ في أخبـار ولاة خراسان" لأبي الحسين علي بن أحمد السلامي، وكتاب "تاريخ مرو" لأحمد بـن سـيار المروزي، وكتاب "تاريخ نيسابور" للحاكم النيسابوري، وغيرها كثير.

وكان عليّ أن أضاعف الجهد لضمان استيفاء جمع المادة العلمية من مظانها المختلفـة؛ لأن الاهتمام لم يكن منصبا على ناحية علمية واحدة أو صنف من العلوم دون غيره، وإنما جـرى الاعتناء الشامل بجميع التخصصات سواء منها ما يتعلّق بالجغرافيا التاريخية، أو بالتاريخ السياسي أو بالعلوم الشرعية أو العربية أو الاجتماعية والكونية.

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم مصادر البحث إلى:

1 ــ المصادر الجغرافية
2 ــ المصادر التاريخية
3 ــ المصادر الأدبية
4 ــ كتب التراجم والطبقات والأنساب
5 ــ كتب الفهارس

ــ أما أهم المصادر الجغرافية التي أفادت في البحث هي كتاب "مسالك الممالك" للإصطخري، "والمسالك والممالك" لابن خرداذبه، وكتاب "صورة الأرض" لابن حوقل، وكتاب "التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي، ثم كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي. وقد قدمت لنا هذه المصادر معلومات قيمة عن الجغرافيا الوصفية التي تورد جانبا من وصف الطرق بين البلدان المختلفة، وتقدير مسافاتها، وتتبع المنازل عليها. كما أفادتنا بأخبار عن وصف المدن، والقرى، والمحال، والكُور، والدساكر... وبيان خططها وتقسيماتها الإدارية، وما تشتهر به من ثرواتها الزراعية والمعدنية، وصنوف التجارات. .كما قدمت لنا هذه المصادر الجغرافية نصوصا عظيمة القدر عن الأتراك واليلغار والخزر، وذكرت روايات مركزة عن الرباطات والثغور الإسلامية في خراسان وما وراء النهر وبيان أهميتها الدينية والعسكرية.

ــ وفيما يخص المصادر التاريخية فقد أفاد البحث منها لا سيما في فتح خراسان وما وراء النهر واستقرار العرب، والأوضاع السياسية زمن الدويلات المستقلة التي تعاقبت على حكم المنطقة، وعلاقة هذه الدويلات بالخلافة العباسية في بغداد. إلا أن كثرة الروايات وتناقضها في كثير من الأحيان يجعل مهمة المؤرخ صعبة في غربلة الروايات، والتوفيق بينها.

ولعلّ أهمّ هذه المصادر من حيث معاصرتها للأحداث هو كتاب "تاريخ الرسل والأمم والملوك" لابن جرير الطبري (ت310هـ)، وهو يُعد تراثا ضخما في التاريخ الإسلامي وُضع على نظام الحوليات، انتهى مؤلفه إلى خلافة المقتدر سنة 302هـ.

وقد أوضح فيه الطبري بدقة علاقة الطاهريين والسامانيين بالخلافة العباسية، وركّز على دور هاتين الدولتين في توطيد الحكم في إقليم المشرق، ونشر الإسلام بين الأقوام التركية. وقد جاءت نصوصه مهمة في الفصل الأول من هذا البحث نظرا لمعاصرته الأحداث وتنقله بين أقاليم البلاد الشرقية، ومراقبته لشؤونها وأحداثها عن كثب.

كما أفاد البحث من كتاب "الكامل في التاريخ" لعز الدين بن الأثير (ت630هـ)، وهو من أهم المصادر العربية في التاريخ العام، وقد أورد ابن الأثير نصوصا كثيرة اعتمدت عليها في

أغلب فصول الرسالة؛ لأنه يشمل القرون الثلاثة التي تناولها البحث، سواء ما يتعلـق بالحيـاة السياسية أو ما يتعلق بتراجم العلماء.

وهو وإن كان ينقل عن الطبري والمسعودي إلا أنه انفرد بروايات خاصة، مع ذكـر وفيـات الأعيان في السياسة والعلم مع نهاية أخبار كل سنة يوردها، ولا يخلو الكتاب من بعض التحلـيلات الشيقة والدقيقة للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية الخاصة بالدولـة الطاهريـة والصفارية والسامانية والغزنوية. وقد استقى ابن الأثير مادته الخبرية عن إقليم المشرق من مصـادر محلية كالبلخي والسلامي وكرديزي، وعدد من المؤرخين المعاصرين للدويلات المستقلة.

أما ابن الجوزي (ت597هـ) فإن كتابه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" فيُعدّ من أهم المصادر التاريخية الأساسية للبحث، وقد اتبع فيه المؤلف منهج الحوليات، وضمنه الكثير من أخبار العلمـاء وأنشطتهم، وأوردهم حسب حروف المعجم الملحقة وفياتها عقب أحداث كل سنة.

دوّن ابن الجوزي أخبار الطاهريين والسامانيين والغزنويين، من أنسابهم ومنشئهم وأمرائهم، ومع أنه لا يذكر موارد معلوماته إلا أن نصوصه دقيقة وقيمة، وقد تعرفنا من خلال هذا المصدر على أنشطة بعض العلماء ـ خلال فترة الدراسة ـ ومناظراتهم ومحاوراتهم، كما وفّر للبحـث معلومات أساسية عن بعض المدارس في إقليم المشرق.

أما المؤلف الحافظ ابن كثير (ت774هـ) في كتابه "البداية والنهاية" فقد أوردنا بعضا مـن نصوصه لكونه ثقة في نقل الروايات، وهي لا تمرُّ بين يديه دون تحرٍّ ونقدٍ شديدين.

ومن المصادر التاريخية التي اعتمد عليها البحث كتـاب "تـاريخ بخـارى" للنرشـخي (ت348هـ) حيث ذكر فيه مصنفه أحوال بخـارى وخراجهـا، وأرباضـها وأسـواقها وفتحها..وذكر ولايات أمرائها. وهذه المعلومات لا تخلو من أهمية في بيان دور السـامانيين السياسي والإداري وعلاقتهم بالخلافة العباسية.

كما تضمن البحث معلومات قيمة من كتاب "المنتخب من السياق لتـاريخ نيسـابور" للصيرفيني (ت581هـ) وهو من الرحالة الذين تنقلوا بين بغـداد وأصـبهان ونيسـابور وحران وهراة وبوشنج ودينور ونهاوند والموصل ودمشق وبيت المقدس، وتكمن أهمية هـذا الكتاب أنه مختصر لمخطوط مفقود هو "السياق" لعبد الغافر الفارسي، وفيه الأخبار الجمـة عن علماء نيسابور، ومدارسها ومساجدها.

ومن المصادر التاريخية المهمة الأخرى نذكر كتاب"التـاريخ اليمـيني"لأبي نصـر العـتبي

(ت431هـ)، ويكتسب هذا الكتاب أهمية بالغة لكون صاحبه شاهد عيان على مجريات الأحداث السياسية في تلك الفترة ـ وبالتحديد أيام الدولتين السامانية والغزنوية ـ وقد أضناني التعب في الحصول على هذا الكتاب فلم أفلح، مما اضطرني إلى الإحالة إلى مواضع النصوص في نفس الأجزاء والصفحات التي أوردها المراجع التي نقلتُ عنها.

وهو كتاب مهم في البحث حول علاقة الخلافة العباسية بالدولة الغزنوية، وما كان بينهما من مراسلات وما قام به الغزنويون من جهود في نشر الإسلام وتوطينه في إقليم الهند، وخاصة على أيام محمود بن سبكتكين.

أما المصادر الأدبية فلا غنى للباحث عن الرجوع إليها، ففيها معلومات قد تنفرد بذكرها، وتُعد كتب الجاحظ من بين الكتب الأدبية التي أفاد منها البحث وهي كتاب " البيان والتبيين"، وكتاب "الحيوان"، وحتى كتاب "التبصر في التجارة" فهو في الجغرافيا الاقتصادية التي تناولت الحديث عن السلع المختلفة في خراسان ومزاياها وأثمانها وتصديرها إلى بقية الأماكن.

وكتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة الدينوري، وكتاب "محاضرات الأدباء" للراغب الأصفهاني، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي، الذي أورد جملة من توقيعات الطاهريين، وكتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي، وهو من المصادر الجليلة التي تحدثت عن حركة الأدب وأشهر الأدباء والشعراء، مع ذكر وظائفهم وتُتف من أشعارهم، وخصّص أغلب الجزء الرابع للشعراء في مدينة بخارى ـ عاصمة السامانيين ـ من الذين تولوا المناصب الإدارية، كما تحدّث الثعالبي عن ذكر مجالس الأدب في بيوت العلماء والأدباء، وحدثنا عن أعلام اللغة والنحو، وأهمية هذا الكتاب تكمن في كون معلوماته من وضع شاهد على العصر.

ومن كتب التراجم التي أمدت البحث بمعلومات غنية كتاب "تاريخ بغداد" للحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بالخطيب البغدادي (ت463هـ)، وهو من أجلّ المصادر وأعودها فائدة، حيث ذكر فيه رجال بغداد وما ورد إليها ونزل فيها وخرج منها من العلماء والفضلاء والقضاة والأمراء وذوي السلطان والأدباء والشعراء. .ومن أهل خراسان وماوراء النهر منهم كثير. وقد ضمَّ هذا الكتاب فوائد جمة، رتبه على حروف المعجم.

وكتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت681هـ) وهو من أوسع مصادر كتب التراجم التاريخية وأحسنها ضبطا وإحكاما، وأجدرها بالثقة. لتنوع موارده وكثرة مصادره التي اعتمدها في كتابه، الذي رتّبه حسب حروف المعجم. .قدم فيه ترجمة وافية لمشاهير أعلام المسلمين من

الخلفاء والسلاطين، والأمراء والوزراء، والقضاة ورجال العلم والأدب، وأصحاب الفنون ممن برّزوا في ميادين الدراسات الشرعية واللغوية والعلوم الكونية.

كما اعتمد البحث على مجموعة كبيرة من المصادر المتخصصة لتراجم رجال المذهب، فخصّ بالذكر منها ما كان أساسيا في بناء هيكل البحث، مثل كتاب "طبقات الشافعية الكبرى" لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت771هـ)، وهذا المصنف بالرغم من عظيم فوائده إلا أن صاحبه لا يخلو من لوثة التعصب الغالي للمذهب الشافعي، فنجده في كثير من الأحيان يتمحّل الأدلة والحجج لينصر مذهبه، ويكثّر من أنصاره، ويغمط فضل غيره.

وكتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت1089هـ). ومن كتب التراجم والطبقات نذكر أيضا " الجواهر المضية في طبقات الحنفية" للقرشي (ت775هـ)، الذي تناول فقهاء المذهب الحنفي وخاصة في مدينة بلخ، فذكرهم وذكر شيوخهم وتلاميذهم ورحلاتهم. وكتاب "تاج التراجم" لابن قطلوبغا (ت879هـ)، وكتاب "طبقات للمفسرين"، "بغية الوعاة" للسيوطي (ت911هـ). وكتاب "تهذيب التهذيب" لابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، وكتاب "سير أعلام النبلاء"، و"تذكرة الحفاظ" للحافظ الذهبي (ت748هـ). وكتاب "الأنساب" للسمعاني (ت567هـ)، تناول فيه الأشخاص حسب نسبتهم، وترجم لهم إما تبعا للقبائل أو المهن أو الشهرة أو المدن أو القرى وهكذا. وأفادنا في بعض مواضع البحث فيذكر العالم مع ذكر نسبه وشيوخه والطلاب الذين درسوا على يديه مع ذكر سني وفاتهم.

أما فيما يخص كتب "الفهارس" فلا نقوى على إغفال كتاب "الفهرست" لابن النديم (ت380هـ)، الذي يعتبر عُدّة كل باحث في التراث الإسلامي، فقد تناول فيه ذكر العلماء في كل فن، مع إيراد مصنفاتهم، سيما وأنه كان أحد الوراقين العلماء.

و الحق أن جميع مصادر الرسالة قد أسهم كلٌّ من موقعه وأهميته في إغناء محتوياتها فأمدّها بالحياة، ونفخ فيها من روحه، فاستوى البحث قائما عليه من روح منشئه طابع وبرهان.

أما بالنسبة للمراجع الحديثة: من كتب ومقالات، ورسائل، ومراجع أجنبية فقد يتبين القارئ كثرتها وتنوعها من خلال الاطلاع على حواشي الرسالة وثبت المصادر والمراجع المرفق بها.

وفي الختام... لست أزعم في هذه الرسالة الإحاطة أو بعضها — كبُرت دعوى أدعيها — فلا تزال كثير من الموضوعات الجديدة التي تخص بناء الأمة الثقافي في أقاليم كثيرة من العالم الإسلامي تحتاج من يجمع شتاتها، ويؤلف متنافرها، ويسهل الانتفاع بها، وينظمها في عقد متناسق نظيم.

ويعلم الله أني لم أدّخر جهدا أستطيعه، ولا توانيت في العمل ـــ على صعوبته ووعورة مسالكه ـــ فقد بذلت طاقتي علّني أقدر على تقديم دراسة وافية وشاملة للحياة العلمية في الدويلات الإسلامية في خراسان وما وراء النهر. فإن حقّقت ذلك فهو جهد متواضع يضاف إلى غيره في مسيرة التاريخ الحضاري والبحث فيه، وإن قصّرت فعذري أني أخلصت النية، وبذلت المستطاع،وأملي أن يكون هذا البحث مُجديا في بابه إن لم يكن جديدا، فحسبي جمع ما تفرّق، وربط ما انفرط.

وإن كان لابد من الاعتراف بالفضل لأصحابه في هذا المقام، فإن العرفان بالجميل والامتنان العظيم لسعادة المشرف على هذه الرسالة **الأستاذ الدكتور غازي مهدي جاسم الشمري**، الذي أمدّني طوال فترة البحث بالنصح الدائم، والعون الوافر، والتشجيع المتواصل. .فله الشكر أجزله وأوفره وأوفاه، وجزاه الله عن العلم وطلابه خير الجزاء.

على أن ذكر الفضل لسعادة المشرف وإن كان يُشرِكُه مما في البحث من حسنات، ولكن لا يُحمِّله بأي حال من الأحوال وزر ما فيه من قصور وأخطاء، فتلك تَبِعتي وحدي أنهض بها مستقلا منفردا. .﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.سورة هود، من الآية 88.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فصل تمهيدي

1. الطبيعة الجغرافية والاقتصادية لخراسان وبلاد ماوراء النهر

1 - 1 - خراسان وأرباعها : (نيسابور، مرو، بلخ، هراة)

1 - 2 - بلاد ما وراء النهر وأقاليمها : (إقليم الصغد، إقليم خوارزم، إقليم الصغانيان، إقليم فرغانة، إقليم الشاش)

2 - الفتح الإسلامي لخراسان وبلاد ماوراء النهر

3 - الوجود العربي في إقليم المشرق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1. الطبيعة الجغرافية والاقتصادية لخراسان وبلاد ماوراء النهر

1 ـ 1. خراسان وأرباعها[1]: (نيسابور، مرو، بلخ، هراة)

خراسان: تعني كلمة خراسان في اللغة الفارسية القديمة: "مطلع الشمس للشرقة"، وهي مركبة من "خر" ومعناها: الشمس، و"آسان" ومعناها: موضع الشيء ومكانه[2].

وقد وردت بهذه الدلالة في شعر لأبي تمام الطائي (ت 231هـ) في مدحه لعبد الله بن طاهر أمير خراسان، حين يقول:

أمطلـــع الشمـــس تبغي أن تؤم بنا فقلـــت كلا ولكن مطلـــع الجود[3]

وربما يعود سبب تسميتها بهذا الاسم إلى طبيعة أرضها التي جعلت سكانها يطلقون هذا الاسم على المنطقة، إذ يرون الشمس وكأنها بزغت منها وهم على مرتفعات إيران الشرقية[4].

وقد وصف الجغرافيون العرب حدود إقليم خراسان وذكروا: أنه يحده من الشرق: نواحي سجستان وبلد الهند، ومن الغرب: صحراء الغز وجرجان، ومن الشمال بلاد ما وراء النهر وقسم من بلاد الترك، ومن الجنوب مفازة فارس وقومس ونواحي جبال الديلم مع جرجان

---

(1) ـ لا شك أن كلمة (ربع) عربية الأصول.وتعني المنزل و الدار بعينها، والوطن متى كان وبأي مكان كان، وهو مشتق من ذلك، وربع القوم: محلتهم، وفي حديث عائشة: أرادت بيع رباعها، أي منازلها. وقد وردت في صحيفة الرسول إلى أهل المدينة حيث ذكر عن كل قبيلة أنهم " على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم، ويفدون عانيهم بالمعروف، كما ذكر الأزرقي عددا غير قليل من رباع مكة، كل ربع منها لعشيرة أو لأسرة، وكان أهل الكوفة في العصر الأموي مقسمين إلى أربعة أرباع، ومن المعروف أن المنصور عندما بنى بغداد جعل أطرافها أرباعا أربعة، على كل ربع منها قائد مسؤول، وقد ظلت بغداد مدة طويلة وفيها أربعة قضاة مما يدل على أنها كانت مقسمة إداريا إلى أربعة أقسام.

غير أن كلمة (ربع) مستعملة في الحجاز بكسر الراء، وفي بغداد بضم الراء، أما في خراسان فكانت بفتح الراء . . .وحساء في كتاب مجمل اللغة لابن فارس ما نصه: "الربع بالفتح محلة القوم، إذا كان قوم اجتمعوا في مكان وتقاربت بيوتهم ومحلات سكناهم، وقويت أواصر علاقاتهم يسمون بالربع بالفتح".

وأما الربع بالفتح في اللغة الفارسية فيطلق على محلات السكن التي تبنى متقاربة على سفوح الجبال أو في الصحراء . . .

انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة " ربع "، ج3/ص1563، وانظر: **المنجد في اللغة والأعلام**، ط26،بيروت: دار المشرق (دت)، صالح العلي. **إدارة خراسان**. مجلة الآداب، العراق: جامعة بغداد، 1972م، العدد 15، ص311.

(2) ـ البكري. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. ط3، تحقيق مصطفى السقا. بيروت: عالم الكتب، 1403هـ ج2/ص490. وانظر: حسن الأمين. **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية**. دار التعارف للمطبوعات. (د.م). 1998م. ج6/ ص 398.

(3) ـ أبو تمام: **الديوان**، القاهرة: مطبعة حجازي، 1942م، ص102.

(4) ـ محمود شاكر. **خراسان**. ط 4، بيروت: المكتب الإسلامي، 1986م، ص8.

وطبرستان والري وما يتصل بها[1].

ولعل ياقوت الحموي (ت626هـ) وصف خراسان بدقة فذكر أن: "خراسان مما يلي العراق آزاذور[2] قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند: طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها"[3].

كما أنه عارض بصراحة ما ذهب إليه بعضهم في أنّ أعمال خوارزم وما وراء النهر من خراسان حيث يقول:

"فالصحيح في تحديد خراسان ما ذهبنا إليه أولا، وإنما ذكر البلاذري هذا؛ لأن جميع ما ذكره من البلاد كان مضموما إلى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها، فأما ما وراء النّهر فهي بلاد الهياطلة ولاية برأسها ... لاعمل بينها وبين خراسان"[4].

ولعل السبب في اختلاف التحديد الجغرافي لإقليم خراسان يرجع إلى تغيّر حدود خراسان عبر فترات الحكم الإسلامي كثيرا؛ وذلك بتغيّر الظروف السياسية في البلاد وقوّة السلطة الحاكمة[5] وما حفلت به مدن خراسان من تغيير لواقعها الجغرافي والتنظيمي لإدارتها[6].

أما خراسان في الوقت الحاضر فتنقسم إلى ثلاثة أقسام، يشمل القسم الأول: المنطقة الممتدة من مرو الشاهجان إلى نهر جيحون وتعرف بتركمانستان، وهي جمهورية تتبع لما يعرف الآن بروسيا الاتحادية، وأهم مدنها مرو، ويشمل القسم الثاني للمنطقة الواقعة إلى الشرق من سرخس في الشمال

(1) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د. ت)، ص358. الإصطخري(ابن اسحق إبراهيم ابن محمد الفارسي للاصطخري للعروف (بالكرخي) متوفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري. **مسالك الممالك**. بيروت: صادر مصور عن نسخة ليدن: مطبعة بريل 1927. ص 253، كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. بغداد: مطبعة الرابطة، 1954م، ص423. ياقوت الحموي. **معجم البلدان**. ط1، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، ج2/ ص401.

(2) ــ آزاذور: إسم بليدة وهي قصبة جوين من أعمال نيسابور، وأول كورة لمن يجيئها من ناحية الري. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج1 / ص199.

(3) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ ص401.

(4) ــ المصدر نفسه. ج2/ ص401، 402.

(5) ــ محمد عبد الحي شعبان. **الثورة العباسية**. ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي. دار الدراسات الخليجية،(د،ت)، ص38.

(6) ــ قحطان عبد الستار الحديثي. **أسواق المدن الخراسانية**. مجلة المؤرخ العربي. س12، ع30. بغداد: 1986م،ص107.

ويمتد إلى الجنوب مارا بمنتصف المسافة بين طوس وهراة، وهذا القسم جزء من أفغانستان[1] ومن مدنه: هراة وبلخ، وما تبقى يشكل القسم الثالث وهو جزء من إيران(2)، وأهم مدنه نيسابور، وطوس(3).

وقد قسمت خراسان في أيام العرب والدويلات المستقلة إلى أربعة أرباع "ينسب كل ربع منها إلى أحد المدن الأربع الكبرى التي كانت في أوقات مختلفة، عواصم للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة، وهذه المدن هي:

"نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ"[4].

يقول ابن حوقل: "وإن أعظم هذه النواحي منزلة، وأكثرها جيشا وشحنة، وأجلها منزلة وجباية نيسابور، ومرو، وبلخ، وهراة"[5].

وقد جمع ربعي بن عامر عدة مدن خراسانية عند غزوه لخراسان سنة 18هـ في قوله:

ونحن وردنا من **هرات** مناهلا ... رواء من **المروين** إن كنت جاهلا

وبلخ ونيسابور قد شقيت بنا ... وطوس **ومرو** قد أزرنا القنابلا

أنخنا عليهم كورة بعد كورة ... نقضهم حتى احتوينا المناهلا

فلله عينا من رأى مثلنا معا ... غداة أزرنا الخيل تركا وكابلا[6]

ونعرض فيما يلي إلى لمحة موجزة عن كل ربع من هذه الأرباع والتي لها أهمية في الحياة العلمية بين

(1) ـ يحاول بعض الباحثين من الأفغان إطلاق كلمة خراسان على بلاد الأفغان، فهذه التسمية برغم أنها قد تصح جزئيا ولكنها غير صحيحة، لأن خراسان القديمة كانت ولاية كبيرة تشمل خراسان الحالية في إيران وأفغانستان وخوارزم وتركمستان. فأفغانستان كانت الجزء الصغير من خراسان الكبيرة في سالف الزمان، وأما بلاد الأفغان أو أفغانستان فإنها تسمية لم تكن موجودة قبل أن يقوم أحمد شاه دراني بتأسيسها وتسميتها: (أفغانستان). انظر: حسن الأمين. **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية**. مرجع سابق، ج6/ ص407.

(2) ـ يرجع أصل كلمة **(ايران)** إلى كلمة **(ايريان)** وهو اسم يطلق على تلك القبائل من الشعب الهندي الأوروبي الذي كان يسكن كما قلنا في بطاح آسيا الشمالية، وقد نزحت منه القبائل بمواشيها وأغنامها طلبا للرعي والكلأ إلى الجهات الجنوبية الغربية فبلغت تلك الأراضي وطاب لها فيها المقام. انظر: حسن الأمين. المرجع السابق. ج6/ص406.

(3) ـ أنظر: **دائرة المعارف الإسلامية** يصدرها باللغة العربية، أحمد الشنتاوي وآخرون.(د، م)، (د، ت)، ج8/ ص 282.

(4) ـ كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. بغداد: مطبعة الرابطة، 1954م. ص424.

(5) ـ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص361.

(6) ـ حسن الأمين. **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية**، مرجع سابق، ج6/ص404.

القرن الثالث والقرن السادس للهجرة:

1 ــ نيسابور: وهي في اللغة الفارسية الحديثة ــ نيشابور ــ مشتقة من"نيوشاه بور" ومعناه في الفارسية القديمة: (شيء أو عمل أو موضع) سابور الطيب، وإنما سميت المدينة بذلك نسبة إلى سابور الثاني الساساني الذي جدد بناءها في المئة الرابعة للميلاد؛ إذ أن مؤسس نيسابور كان سابور الأول إبنه أردشير بابكان[1].

وفي صدر العهد الإسلامي كان يقال أيضا لنيسابور: أبرشهر، ومعناه: مدينة الغيم في اللغة الفارسية، وبهذه التسمية ظهرت في الدراهم القديمة التي ضربها فيها الخلفاء الأمويون والعباسيون[2].

ويذكر المقدسي(ت 390هـ): "أنّه كان بنيسابور إثنتان وأربعون مَحلّة منها ما يكون نصف شيراز، ودروبها المؤدية إلى الأبواب زهاء الخمسين، ومسجدها الجامع أربع رحبات، بناه عمرو الصفار ..."[3].

وبهذه الإشارة كان المقدسي يريد أن يبيّن لنا مساحة المدينة حيث كانت تقدر بفرسخ في فرسخ، وهذه المساحة بالطبع تشغل حيّزا كبيرا بالنسبة إلى السكان في تلك الفترة إذا ما قيست بالمدن الكبرى في وقتنا الحاضر التي تسكنها الملايين من السكان[4].

وقد وصفها اليعقوبي[5] بأنها بلد واسع كثير الكور[6]، أما ابن رستة فقد ذكر أن لها ثلاثةعشر رستاقا وأربعة أرباع[7]، بينما جعلها ابن خرداذبة اثني عشر رستاقا في كل رستاق مئة وستون

---

(1) ــ كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق، ص 424.

(2) ــ المرجع نفسه. وقد ذكر المقدسي **في أحسن التقاسيم** ص299، أن من أسمائها: " إبرانشهر أي مدينة إيران، وتابعه على ذلك ليسترنج، غير أن ياقوت يرى أن هذا الإسم كان يطلق على مدينة أخرى غير نيسابور هي ما بين جيحون إلى القادسية. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / 382.

(3) ــ المقدسي: **أحسن التقاسيم**. ص 299.

(4) ــ محمد حسن العمادي. **خراسان في العصر الغزنوي**. عمان : مؤسسة حمادة للخدمات ، 1997م ، ص3.

(5) ــ اليعقوبي. **كتاب البلدان**. ليدن: مطبعة بريل، 1892، ص278.

(6) ــ الكورة: كل صقع يشتمل على عدة قرى.

(7) ــ ابن رستة. **الأعلاق النفيسة**، ليدن: مطبعة بريل، 1892، ص 171.

الرستاق: كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن وهو أخص من الكورة والإستان. انظر: مصدرا آخر.

والظاهر أن ابن رستة يرى أن لبعض الرساتيق مدن تعد مراكز لها، أو قصبة لتلك الرساتيق،في حين يبدو أن بعض الرساتيق لا تمتلك مدنا أو قصبات. انظر: قحطان عبد الستار الحديثي.**أرباع خراسان**.جامعة البصرة،الجمهورية العراقية،1990م، ص222.

قرية[1]، وكانت عند المقدسي أربع خانات واثنا عشر رستاقا وثلاث خزائن، وقصر ودار، اشتملت جميعها على ستة آلاف قرية[2].

ونيسابور أرضها سهلة، في مستو من الأرض، مفترشة البناء، وجميع أبنيتها من طين، تقدر مساحتها ثلاثة أميال في مثلها، ولها ربض كبير مأهول بالسكان، شيد فيه الجامع، ولها أربعة أبواب، أحدها يعرف بباب رأس القنطرة، والثاني باب سكة معقل، والثالث باب القهندز،[3] والرابع بقنطرة درميكين، وقهندزها خارج عن مدينتها، ويحفّ بالمدينة والقهندز جميعا الربض، وللربض أربعة أبواب: باب يخرج إلى العراق وجرجان ويعرف بباب القباب، والباب الذي يخرج منه إلى فارس وقوهستان فإنه يعرف بباب أحوص أباذ، والباب الذي يخرج منه إلى طوس، وعدة أبواب لا أقف على جميع أسمائها[4].

وفيها نهر كبير يعرف بوادي سغاور يسقى منه بعض البلد، ورساتيق كثيرة، وعلى هذا الوادي قُوَّامٌ وحفظة.

وكثيرا ما كانت تحدث المشاكل والخصومات حول عملية الإرواء هذه بين أهالي خراسان وخاصة في نيسابور، مما اضطر الأمير عبد الله بن طاهر أن يجمع إليه فقهاء خراسان ويستقدم بعضهم من العراق لحل المنازعات بين الفلاحين وفق الأسس الفقهية، فصنفوا له كتاب " القني" الذي ظل معمولا به إلى زمن الكرديزي[5].

---

(1) ــ ابن خرداذبة. **المسالك الممالك**. ليدن: مطبعة بريل، 1899م، ص24.

(2) ــ **أحسن التقاسيم**. ص 300، ويبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه. لأن جميع قرى نيسابور بلغت في مراجعنا الجغرافية ما يقرب من 60 قرية. انظر: الحديثي. **أرباع خراسان**. فصل مدينة نيسابور. ص189، قدم الأستاذ صالح العلي بحثا طريفا وعميقا بعنوان " **إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى** ": وضح فيه معالم التعابير الإدارية الواردة في مصادرنا الجغرافية (كالإقليم، والمملكة، والكورة، والناحية، والرستاق، والمدينة، والمنبر، والبلد، والعمال، والقرية). انظر: **مجلة كلية الآداب**/جامعة بغداد/العدد15.س 1972. ص 311.

(3) ــ القهندز: بفتح أوله وثانيه..وهو في الأصل إسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وماوراء النهر خاصة..**معجم البلدان**. ج4 / ص 475.

(4) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 362. الحميري. **الروض المعطار في خبر الأقطار**.تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م، ص588.

(5) ــ الكرديزي. **زين الأخبار**. ترجمة محمد بن تاويت، فاس: مطبعة محمد الخامس الجامعية الثقافية، 1972م، ص9، وانظر: جمال الدين سرور. **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق**. القاهرة: دار الفكر العربي، (د، ت)، ص129.

ولا بد أن الكتاب كان يضم الكثير من المعلومات عن وسائل الري وكيفية بناء القني وسقي المدن بها، والأسس الإدارية والفقهية التي اتخذت لتدارك السلبيات التي تحدث جراء السقي.

ومع أننا لا نملك معلومات عن الكتاب وعن هؤلاء الفقهاء الذين وضعوا بنوده ومدى الاستفادة منه، إلا أنه بلا شك كان يمثل رمزا لاهتمام الولاة بأمور الري والزراعة في خراسان[1].

وفي نيسابور مسجد جامع بمكان يعرف بالمعسكر، ودار الإمارة بمكان يعرف بميدان الحسينيين. أما أسواقها فإنها خارج المدينة وأعظم أسواقها سوقان إحداهما تعرف بالمربعة الكبيرة، والأخرى بالمربعة الصغيرة، وفي هذه الأسواق خانات وفنادق يسكن فيها التجار، وفيها التجارات كل صنف منها على حده[2].

ويصفها ابن حوقل بقوله: "وليس بخراسان مدينة أصحّ هواءا وأفسح فضاء وأشد عمارة وأدوم تجارة وأكثر سابلة وأعظم قافلة من نيسابور"[3].

ولم يغب عن بال الجغرافيين المسلمين إبراز النواحي الجمالية للمدينة، فهي تزخر بالمنتزهات كاستجابة طبيعية لعوامل المناخ، إضافة إلى جهود الولاة العرب المسلمين بشؤونها، حيث حفروا القنوات في باطن الأرض[4]. وقارب عدد القنوات من سبعين قناة، أسست لسحب المياه من الأنهار، وكانت تجري تحت الأرض لتظهر خارج البلد في ضياعهم، والبعض الآخر منها يظهر في البلد ويجري في دورهم وبساتينهم، وهذه القنوات كانت تأتي من وادي سغاور"[5].

وقد فتنت نيسابور برياضها الخضرة، وبساتينها النزهه وبجمالها الآسر كثيرا من الشعراء، منهم الثعالبي الذي راح يصف متنـــزه (بشنقان)[6] قائلا[7]:

---

(1) – قحطان عبد الستار الحديثي. **خراسان في العهد السامائي**. كلية الآداب، جامعة بغداد، 1980م، (رسالة دكتوراه)، ص 416.

(2) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 254، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 362، 363.

(3) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 363.

(4) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / ص382. آدم متز. **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، تعريب محمد الهادي أبو ريدة، القاهرة: مكتبة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت)، ج2 / ص277

(5) ـابن حوقل. **صورة الأرض**.ص 263، الاصطخري.**مسالك الممالك**. ص255،الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق،ص 262.

(6) ــ بشنقان: قرية من قرى رستاق مازل وهي على بعد فرسخ من نيسابور. كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. ص428.

(7) ــ الثعالبي. **ديوان الثعالبي**. تحقيق محمود عبد الله الجادر، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990م، ص 126.

لما نزلنا البشنقان التي غدت ... وراحت بجنات النعيم تشبّه
وقد برزت أشجارها في ملابس ... ربيعة حازت مدى الحسن كلّه
وعارضنا ماء يروق مصندل ... وواجهنا ورد يشوق موجّه
وقهقه رعد في السماء مجلجل ... وفي الأرض إبرايق المدام يقهقه
وغنّي مغني العندليب كأنّما ... يجاوبه في حلقه مزهر له
تتره سمعي ما أراد وناظري ... وقلبي مع الأحزان لا يتتره

وقد اشتهرت مدينة نيسابور بخيراتها الوفيرة، وثمارها اليانعة، وفواكهها اللذيذة الطيبة، وفي أرباعها ورساتيقها يكثر الكروم والأعناب الجيّدة، والرياس والفائق والمشمش والزيتون والتين والسفرجل والإجاص والرمان[1]، حتى قيل عنها بأنّها: "أزكى أرض خراسان السقي" و"أحسنها مستخرجة"[2].

كما أن نيسابور اشتهرت بمزارعها الواسعة، ومراعيها الغنية، حيث تُربى فيها الأغنام والأبقار حتى وصفها المقدسي بقوله: "ذات لحوم جيّدة رخيصة"[3].

وفي مضمار الصناعة نجد أن نيسابور اشتهرت باستخراج معادن الذهب والفضة والماس والنحاس والفيروزج والبلور والسبج وأنواع من الأحجار[4]، بل إن معادن الفيروز(حجر الظفر) النادرة عالميا والثمينة موجودة بكثرة في أعماق الجبال الواقعة على بعد 36 ميلا إلى الشمال الغربي من نيسابور على الطريق الذي يربطها بمدينة قوجان، ولا زالت محتفظة بأهميتها العالمية إلى الآن، حيث تختزن في جوفها أحجار الظفر (الفيروز) الثمينة[5].

ونيسابور من أشهر مدن خراسان في صناعة المنتوجات القطنية والصوفية لكثرتها وجودتها ونفاستها وإيثار الملوك والرؤساء لكسوتها "إذ ليس يخرج من بلد ولا ناحية كجوهريتها ولا يشاكلها لرفعتها وخاصيتها"[6]. وبها وفي جميع نواحيها الثياب الحفيّة والحلل والسابري الذي

(1) ــ للمقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 7، 314، 315، 318.

(2)–ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. طبع في مدينة ليدن: مطبعة بريل، 1889. ص 171، الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 255–282.

(3) ــ **أحسن التقاسيم**. ص 314.

(4) ــ الحديثي. **دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان في القرن الرابع للهجرة – الصناعة–** مجلة الخليج العربي: المجلد 19، 1987م، ع 3. ص 113.

(5)–م. حداد. **نيسابور مدينة الأدب والحكمة في التاريخ**. مجلة الراصد. الجمهورية الإسلامية الإيرانية، 23 تموز 93 19ــ ص 09.

(6) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 363.

يعدّ من أجود الثياب، وكذلك البياق والعمائم الشهجانية الخفية والمقانع وبين الثوبين والسعيدي والظرائفي والمشطي وثياب الشعر والغزل والثياب الغليظة[1].

كما اشتهرت نيسابور بصناعات كثيرة متنوعة منها: صناعة المنسوجات الحريرية، على اختلاف أصنافها، وبها أكبر مركز للصناعات الجلدية والخشبية كصناعة الصناديق والطرائف والتحف الخشبية إضافة إلى صناعة الأواني الصفرية والآلات الحديدية، والفخار ذي الزخارف المحزوزة[2].

وقد أدّى وجود الثروات الطبيعية، وتنوع الصناعات واختلافها إلى خلق شبكة كبيرة من الطرق التجارية الآمنة التي تعمل على ترويج منتجات نيسابور وصادراتها إلى الأقاليم الأخرى[3]. مما جعل أهل نيسابور ينعمون في رغد العيش. وهنيئه[4]. وقد كتب المقدسي عن أهمية نيسابور التجارية فقال[5]: "هي خزانة المشرقين ومتجر الخافقين ...فرضة فارس والسند وكرمان، ومطرح خوارزم والري وجرجان".

وتضم نيسابور عدد من المدن والقرى المهمة مثل[6]: البوزجان الواقعة بين هراة ونيسابور، ومالين [7]، وزام[8]، وباخرز[9]، وجوين[10]،وبيهق[11]،واستوا[12]،

(1) ـــ م. حداد. المرجع السابق. ص 123، 124.

(2) ـــ انظر: المرجع نفسه. ص 120، ص 132.

(3) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 323، ص 326. الإصطخري. **مسالك الممالك** . ص 255 ـــ 256.

(4) ـــ انظر: المصدر نفسه. ص 363.

(5) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 315.

(6) ـــ انظر: ابن رستة. **الأعلاق النفيسة**. ص 171، اليعقوبي. **البلدان**. ص 278، الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 256، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 300، القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد**. بيروت: دار صادر، ص 473.

(7) ـــ مالين: كورة ذات قرى مجتمعة على فرسخين من هراة، انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج 5 / ص 52.

(8) ـــ زام: إحدى كور نيسابور المشهورة، وقصبتها البوزجان. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / ص 143.

(9) ـــ باخرز: كورة ذات قرى كبيرة تشتمل على مائة وثمان وستين قرية، قصبتها مالين، وهي بين نيسابور وهراة. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج 1 / ص 376.

(10) ـــ جوين: إسم كورة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، يسميها أهل خراسان كويان فعرّبت فقيل جوين. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج 2 / ص 223.

(11) ـــ بيهق: ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور، تشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين قرية بين نيسابور وقومس وجوين. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج 1 / ص 638.

(12) ـاستوا: كورة من نواحي نيسابور تشتمل على ثلاث وتسعين قرية،وقصبتها خبوشان. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج1/ص208.

وطوس[1]، وزوزن[2]، وآسفرايين[3] ونسا[4]، وأبيورد[5]، وقوهستان[6]، وخواف[7]، وزاوة[8].

وقد أسهب الجغرافيون في ذكر وتعداد مدن وقرى نيسابور بصورة لا تستطيع حصرها بشكل مفصّل في هذا البحث، وإنما سنكتفي بالإشارة إلى بعضها وفقا للأهمية التاريخية، وما يتعلق في مجال البحث من الناحية العلمية وأثر هذه المدن على الثقافة والعلوم خلال الفترة المقررة للدراسة.

وقد نعمت نيسابور بنعمة الإسلام "وعمرت وكبرت وعظمت حتى انتابها الكتاب والأدباء بمقامهم بها وطرأ إليها العلماء والفقهاء عند إيثارهم لها، وقد خرّجت نيسابور من العلماء كثرة، ونشأ بها على مرّ الأيام من الفقهاء من شهر اسمه وسمق قدره وعلا ذكره"[9].

أما الربع الثاني من أرباع خراسان فهو الربع الشمالي:

مرو: وهي مدينة قديمة تعرف بمرو الشاهجان، وهي تسمية فارسية قديمة معناها:(نفس السلطان)؛ لأن الجان هي النفس، والروح والشاه هو السلطان[10] أي (وادي للرح) وذلك لخلوها من البناء، ويقال:إن كسرى بعث أناسا من أهل السواد عمروها وسكنوها، وأقام لهم فيها سوقا للطعام والشراب[11]. وهي تشمل المواضع القائمة على طريق خراسان العظيم مما يلي مرو إلى الشمال الشرقي

---

(1) ـــ طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج 4 / ص 55.

(2) ـــ زوزن: كورة واسعة بين نيسابور وهراة. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / ص 177.

(3) ـــ آسفراين: بليدة حصينة من نواحي نيسابور واسمها القديم مهرجان.انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج1 / ص 211.

(4) ـــ نسا: مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين مرو خمسة أيام وبين أبيورد يوم وبين نيسابور ستة أو سبعة. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / 325.

(5) ـــ أبيورد: مدينة بخراسان بين سرخس ونسا. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج1 / ص 110.

(6) ـــ قوهستان: هي الجبال التي بين هراة ونيسابور. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج4 / ص 472.

(7) ـــ خواف: قصبة كبيرة من أعمال نيسابور بخراسان. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / ص 455.

(8) ـــ زاوة: من رساتيق نيسابور وكورة من كورها. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / ص 144.

(9) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 363، 364.

(10) ـــ للمقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 299.

(11) ـــ انظر: ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 364، الحميري. **الروض المعطار**. ص 532 ـــ 533، الإصطخري: **مسالك الممالك**. ص 258، الإدريسي. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. ط1، بيروت: عالم الكتب، 1989م. ج1 / ص 6، ابن الفقيه. **مختصر كتاب البلدان**. تحقيق دي غويه، بريل: ليدن، 1985م، ص 319.

من نهر جيحون عند آمل[1] حيث معبر الطريق إلى بخارى[2].عرفت مرو أيام العرب بأم خراسان[3]، ومرو العظمى[4].

تقع على نهر مرغاب في أرض مستوية خالية من الجبال وأبنيتها من طين..[5] يقال:إن المدينة القديمة بناها الإسكندر ذو القرنين وسماها "مرخانوس"[6]، أما قهندرها فإنه من بناء الملك طهمورث[7].

وللبلدة أنهار معروفة مثل نهر هرمزفره، وهو يجري ناحية الغرب، وفي شرقه نهر الماجان، ثم نهر الرزيق، وآخرها نهر أسعدي[8]. وعلى المدينة والأنهار الأربعة سور يحيط بها، ويحيط بالمدينة ورساتيقها سور آخر[9]. وللمدينة الداخلة أربعة أبواب منها: باب يعرف بباب المدينة مما يلي المسجد الجامع، وباب يسمى باب سنجان، وباب يسمى باب بالين، وباب درمسكان، ومن هذا الباب يخرج إلى ماوراء النهر[10]. وكانت مرو الشاهجان تعرف بمرو الكبرى، والنسبة إليها مروزي[11]، تمييزا لها عن مرو الروذ، وهي مرو الصغرى الواقعة على بعد مائة وستين ميلا[12]، فوق مرو الكبرى

---

(1) ـــ آمل: إسم أكبر مدينة بطبرستان، وقيل هي قصبة طبرستان، عرفت بعد ذلك باسم آموى، وهي جهارجوى الحديثة، يحدها من الشرق والجنوب صحراء خوارزم. فامبري آرمنوس. **تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**، ترجمة أحمد محمود الساداتي، القاهرة: (د، ت). ص 23. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج1/ص77.

(2) ـــ كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق. ص 439.

(3) – الثعالبي. **لطائف المعارف**. تحقيق إبراهيم الأبياري،وحسن كامل الصيرفي، مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1960م، ص 201.

(4) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / ص 132.

(5) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. 258، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 364.

(6) ـــ الدينوري. **الأخبار الطوال**، تحقيق عمر فاروق الطباع.(د.ط): بيروت، شركة دار الأرقم.(د. ت). ص38.

(7) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 364، الإصطخري. **مسالك الممالك**. 258، ابن الفقيه. **البلدان**. ص 71، 316، 319.

(8) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. 260، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 364.

(9) ـــ الإصطخري. للمصدر نفسه.

(10) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 364، للمقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 312.

(11) ـــ محمود شاكر. **خراسان**، مرجع سابق. ص 48.

(12) ـــ الميل: مسافة من الأرض، وهو قدر مدّ البصر، وقيل منتهى مدّ البصر، وقيل هو بيني للمسافر في إنشاز الأرض، ومنه الأميال التي كانت في طريق مكة وهي الأعلام لهداية للمسافرين، وقد اختلف الباحثون في مقدار الميل العربي، وفي نظم ابن الخاجب قوله:

إن البريد من الفراسخ أربع ولفرسخ ثلاث أميال ضعوا

.../...

والنسبة إليها مرو روذي[1]، وقد وصفها القزويني بقوله: "طيبة كثيرات الخيرات، وافرة الغلات، في أهلها من الرفق، ولين الجانب، وحسن المعاشرة"[2].

ولمرو الشاهجان قرى ومدن كثيرة منها "سنج"[3] وهي على مرحلة إلى الغرب من مرو، وبها بساتين كثيرة ودورها مبنية على النهر، ويليها على عشرة فراسخ[4] من جنوب غربي مرو، وفي الطريق إلى سرخس مدينة الدندانقان[5]، وهي مدينة صغيرة على عشرة فراسخ من مرو، لها سور وباب واحد، وتنتهي عندها مزارع مرو.

وفي شمال شرق مرو، وعلى الطريق إلى آمل مدينة كشميهين أو كاشمهن[6] وهي مشهورة ببساتينها وأعنابها وزبيبها، وبعدها مدينة آمل[7] وهي على ست مراحل من مرو على نهر جيحون، وهي مجمع طرق خراسان إلى ما وراء النهر، ولها ماء جار وبساتين وزروع، وبينها وبين مرو رمال صعبة وتسمى أيضا: [آمو، وآموية، وآمل جيحون، وآمل الشط][8].

ومن مدن مرو أيضا هرمزفرة، وجيرنج، وفاشان، وخرق، وسوسقان[9]. نالت مرو شهرة واسعة

و الميل ألف أي من الباعات قل و الباع أربعة أذرع فتبصرا

ثم الذراع من الأصابع أربع من بعدها العشرون ثم الأصبع

وقيل: الميل يساوي " 1833متر "وقيل " 2000متر ". انظر: نظير سعداوي. **نظام البريد في الدولة الإسلامية**. مطابع مصر للطباعة، مكتبة مصر، 1953م، ص169، طلال جميل الرفاعي. **المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، دراسة وتحقيق، ط1، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، 1987م، ص204- 205.

(1) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. (د. ط)، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر. ج1 / ص27.

(2) ــ القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد**. ص 457.

(3) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 /ص 299، الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 263.

(4) ــ الفرسخ: اثنا عشر ألف ذراع، ويقدر بثمانية كيلومترات، والفرسخ لفظة فارسية.

(5) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 365، ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 /ص 543.

(6) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. 149، ياقوت. **معجم البلدان**. ج4 /ص 526.

(7) ــ وهناك آمل أيضا مدينة مشهورة في طبرستان. انظر: القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد**. ص 286.

(8) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. 157، وانظر: ياقوت. **معجم البلدان**.ج1 / ص77، كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق. ص 446.

(9) ــ **المصدر نفسه**. 149، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 365، 366.

هرمزفرة: قرية في طرف نواحي مرو، ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 /ص 463.

.../...

في إنتاج السمسم، كما يكثر فيها الحنطة والشعير حتى قيل: "إنها أطيب بلاد خراسان أطعمة"[1].

كما تميّزت مرو بأراضيها الخصبة لزراعة القطن المعروف بجودته ولينه في أنحاء الإقليم.

وتعد مرو بلد اليابس من الفواكه وخاصة "الزبيب" الذي يفضل على سائر الأماكن لامتيازه بالطعم والجودة،وكذلك موصوفة بكثرة أعنابها[2].

أما في مجال الصناعة فإن مرو قد اختصت بصناعة الأنسجة القطنية والصوفية، فكانت ثيابها المنسوجة منه من أفخر الثياب وخاصة الملاحم، فكان العرب يسمون كل ثوب صفيق يحمل من خراسان "المروي" وكل ثوب رقيق يجلب منها "الشاهجان" وهي من أرقى الملاحم، كما قيل: إن بمرو جيد الثياب الموصوفة من ثياب خراسان، ويبدو أن الثياب المروية من ألبسة الأرستقراطية، واشتهرت مرو بصناعة الحرير والبريسم لوجود القزّ الكثير بها، وهي التي تنسج منه المقانع.

وفي مجال الصناعة الجلدية فإن صناعة مرو في الركب للروزية الشهيرة والأحذية والسراجة والمكاعب والجعاب والمداسات قد عرفت بها، وخاصة عائلة الداغوني فيها[3].

هذا إلى جانب صناعة مرو في المكانس وأنواع الإنتاج من الحديد وصناعة الزجاج والمري، ومرو من مدن خراسان في صناعة الملابن والسكريات[4].

"وكانت مرو معسكر الإسلام في أول الإسلام ومنها استقامت مملكة فارس للمسلمين"[5]، وأخرجت مرو من الأعيان وعلماء الدين والأركان ما لم تخرج مدينة مثلهم[6]، ولكنها تعرضت

جيرنج: بلدة من نواحي مرو، ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / ص231.

فاشان: من قرى مرو، ياقوت. **معجم البلدان**. ج4 / ص 262.

خرق: قرية كبيرة عامرة شجيرة بمرو، ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 /ص 412.

السوسقان: قرية على أربعة فراسخ من مرو، ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 /ص 320.

(1) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 149، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324.

(2) ـــ الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق، ص 338، 339.

(3) ـــ المرجع نفسه. ص 339.

(4) ـــ المرجع نفسه.

(5) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 365. الاصطخري. **مسالك الممالك**. ص 149.

(6) ـــ انظر: الحديثي. **أرباع خراسان**. ص 339.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لخراب ونهب وقتل بها أكثر أهلها عندما داهمها الغز[1] قاصدين السلطان سنجر الذي فارقها هو وعسكره في جمادي الأولى سنة (548هـ)[2].

ويبدو أن مرو استعادت بعد ذلك أهميتها ومكانتها العلمية فيما بعد، فقد وصفها ياقوت حين زارها بقوله: "وتركتها أنا في سنة (616هـ) على أحسن ما يكون، وبمرو جامعان للحنفية والشافعية يجمعها السور، وأقمت فيها ثلاثة أعوام"[3].

أما ثالث أرباع خراسان فهو القسم الجنوبي فيها وأعظم مدينة فيه هي:

هراة: ويقع هذا الربع برمته حاليا في شمال غرب أفغانستان وما تزال تعرف باسمها القديم.

ومدينة هراة تقع على النهر المسمى باسمها، والذي ينبع من جبال الغور ويجري من الشرق إلى الغرب مارا بمدينة هراة فمدينة بوشنج ثم ينعطف شمالا إلى سرخس حيث تفنى مياهه في المفازة الواقعة إلى الشمال منها[4].

ويصف الإصطخري وابن حوقل مدينة هراة بقولهما:

"وبناء هراة من طين، وبها حصن وثيق به أربعة أبواب، ولها ربض، وعليها سور له أربعة أبواب بإزاء الحصن، باب في الشمال يخرج منه إلى بلخ، وباب في الغرب يخرج منه إلى نيسابور، وباب في الجنوب يخرج منه إلى سجستان وباب شرق يخرج منه إلى الغور، وعلى كل باب سوق، وفي داخل المدينة والربض مياه جارية، والجبل على طريق بلخ إلى الشمال من هراة، ليس به محتطب ولا مرعى، وينشعب من نهر هراة بالقرب من المدينة تسعة أنهر تروي رساتيقها ومزارعها"[5].

وقد أشاد ابن رستة بعظمة هراة، وعمارها. فقال: "مدينة هراة عظيمة، وحواليها دور، وفي رساتيقها أربع مائة قرية كبار وصغار، وفيما بين هذه القرى سبع وأربعون دسكرة، تشتمل كل

---

(1) ـــ الغز: طائفة من التركمان، كان أفرادها يعيشون في بلاد ما وراء النهر، ويدينون بالإسلام، فلما ملك القراخطائيون تلك الديار أخرجوهم منها، وأقصوهم عنها، فقصدوا خراسان في جموع كبيرة، واستقروا في المراعي قرب حلان، من أعمال بلخ..

(2) ـــ ابن الأثير. **الكامل**.ط4، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م، ج9 / 39.

(3) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / ص 134.

(4) ـــ محمد البار. **أفغانستان، من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي**. ط1. جدة، 1405هـ ـــ ص 37. كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق، ص 449 ـــ 450.

(5) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 150، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 366.

دسكرة على عشرة أنفس إلى عشرين نفسا، ولها من الأرجاء ثلاث مائة وأربع وعشرون"[1].

وقال زكريا بن محمد القزويني: "هراة مدينة عظيمة من مدن خراسان، ما كان بخراسان مدينة أجل ولا أعمر ولا أحصن ولا أكثر خيرا منها ..."[2].

حتى قال في سحرها وجمالها الأديب الزوزني:

هـــراة أردت مقـــامي بهـــا شتى فضائلها الوافرة

نســـيم الشـــمال وأعنابهـــا وأعين غزلانها الساحرة[3]

أما المقدسي فقد بين ما لهراة من مكانة رفيعة بين مدن المشرق بوفرة خيراتها، وطيب غلاتها. فقال: "هي قصبة جليلة بستان هذا الجانب معدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة آهلة عامرة حسنة السواد مشتبكة العمارة جليلة القرى، [وأهلها] أهل أدب وبلاغة وظرف ودراية، من عندهم تحمل صنوف الحلاوات وبزّهم يحمل إلى الأقاليم والأطراف، حصينة طيبة"[4].

ومن مدنها: كروخ: وهي أكبر مدينة بنواحي هراة، ومسجد جامعها بمحلة تعرف بسبيدان وبناؤها من طين، مشتبكة البساتين، وفيرة المياه، كثيرة الأشجار، عامرة القرى.

ومدينة أوفه: بناؤها من طين وهي نحو كروخ في المساحة، مزدحمة البساتين، وأهلها أهل جماعة.

ومدينة استربيان: وهي أصغر من مالن، أهلها خوارج، ولها مياه، وبساتينهم قليلة، والغالب عليها الزروع، وهي في الجبال.

ومدينة مراباذ: الكثيرة البساتين والمياه وهي أصغر من مالن أيضا ويرفع منها أرز كثير يجلب إلى النواحي.

ومدينة باسفزار: التي تضم أربع مدن: كواسان وهي أكبرها، وكوارات، وكوشك، وادرسكن.

ثم مدينة بوشنج التي تقع على نحو أربعة فراسخ [أي أكثر من عشرين كيلومتر] من غرب هراة، لها سور وخندق وبناؤها من الجبس تحف بها الأشجار الباسقة. وأكثر خيرات هراة مجلوبة منها، ومن

---

(1) ــ ابن رستة. **الأعلاق النفيسة**. ص 173.

(2) ــ القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد**. ص 481.

(3) ــ المصدر نفسه.

(4) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 307.

مدن بوشنج: (خركرد، فركرد، كوسوى، كره). ولهذه المدن مياه جارية وبساتين كثيرة.

ومن ربع هراة أيضا، مدينة باذغيس، تقع على جبل، وبناؤها من طين، وهي قليلة الماء، وليست فيها بساتين ولا كروم، وتضم ثمان مدائن: (دهستان، جبل الفضة، كوفا، كوغناباذ، بشت، جاذوى، كابرون، كالوون). أهلها أهل جماعة[1] إلا خجستان فإن أهلها شراة[2].

وقد اشتهر ربع هراة بزراعة الفستق والحنطة وعرفت بزراعة قصب السكر، وإنتاجها لصنوف الحلاوات[3].

كما وصفت هراة بأنها معدن الأعناب الجيدة، والفواكه النفيسة، وهي مشهورة بالكشمش "الطائفي والكشمهاني" وفي مدنها ورساتيقها يذكر مائة وعشرون لونا من الأعناب وفيها صنفان لا يوجد في جهة أخرى هما: "البريتان والكلنجري"[4].

وهراة مشهورة بصناعة أنواع من الأنسجة الهروية المعروفة كما تصنع فيها البز الكثير والديباج والكرابيس والمبارم والخواصل التي هي في غاية الجودة، وفيها أيضا صناعة طرائف الصفريات والأعمدة الهروية المشهورة.

وتعد هراة من بين أرباع خراسان المشهورة في صناعة الحلوى وفيها يعمل العنجد الأخضر ودوشاه وناطفة والبولاذ واكثر حلاوات خراسان وكذلك شراب الكشمش والزبيب الطائفي اللذان يحملان منها الأداني والأقاصي[5].

واستمرت هراة على ازدهارها وعمرانها حتى اجتياح المغول لها فخربوها ودمروها سنة(618هـ)، وقد وصفها ياقوت عندما زارها بقوله: "لم أر بخراسان عند كوني بها سنة

---

(1) -يبدو أن تعبير (أهل جماعة) عند (ياقوت الحموي) يقصد به (أهل السنة والجماعة). حتى يميزهم، عن الخوارج الشراة، وغلاة الشيعة

(2)-انظر: ابن حوقل.**صورة الأرض**. ص 367-369، الاصطخري. **مسالك الممالك**.ص267، المقدسي.**أحسن التقاسيم**. ص 307.

(3) ــ الاصطخري. **مسالك الممالك**.ص 271 ــ 280.

(4) الاصطخري. **مسالك الممالك**. ص 266- 267، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 376، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص324-326.

(5) ــ للمقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324، الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق، ص 277.

(607هـ)، مدينة أجلّ ولا أعظم ولا أفخم، ولا أحسن، ولا أكثر أهلا منها ... محشوة بالعلماء، مملوءة بأهل الفضل والثراء"[1].

بلخ: أما رابع أرباع خراسان فهو القسم الشرقي منها وأعظم ربع فيه. وهو " بلخ" وهي مدينة تاريخية قديمة، كانت عاصمة (إيرانا) القديمة وكانت تحمل اسم (باكتريا)، وتقع على نهر يعرف باسمها حيث تصل قناة (إيسكاباد)، وهي إلى الغرب من مدينة (مزار شريف) على مسافة مائة كيلو متر منها تقريبا، وتعرف المقاطعة اليوم باسمها على الرغم من أن حاضرتها مدينة (مزار الشريف)[2].

ويشير المؤرخون المسلمون إلى أن مدينة بلخ كانت في العصر الساساني مركزا لأحد المرازبة الأربعة الذين تولوا شؤون خراسان حيث لم تكن سيادة الساسانيين فعلية على تلك المنطقة وخاصة منذ القرن السابع على أقل تقدير[3].

وعلى مقربة من بلخ كان يقوم المعبد البوذي المعروف "النوبهار" أي: المعبد الجديد والذي تمتع بشهرة عظيمة، وقد ترك لنا ابن فقيه وصفا مفصلا له، وكان يؤمه كل يوم عدد غفير من الزوار البوذيين يسجدوا للصنم الأكبر، وكان سدنة المعبد والمشرفون عليه من البرامكة[4]، الذين أسلموا فيما بعد.

أحيطت مدينة بلخ بسور كبير بلغ طوله إثنى عشر فرسخا، وللسور اثنا عشر بابا، وتتكون بلخ من المدينة نفسها مضافا إليها الضواحي. ومساحتها ثلاثة أميال في مثلها، ولها سبعة وأربعون منبرا في مدن ليست بالعظام[5]. وقد بني سور المدينة كباقي الأبنية من الطين، وكان للمسجد الجامع في وسط المدينة تحيط به الأسواق بشكل دائري من جميع نواحيه، وهو على ضفة نهر متوسط مقدار ما يدير ماؤه عشر أرجاء يجري على باب النوبهار ويسقي الرساتيق.

وأشاد المقدسي برخاء مدينة بلخ ويسارها وبيّن: " أنّه ليس بأقاليم العجم مثلها حسنا ويسارا،

---

(1) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / 456، القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد**. ص 482، إسحاق بن حسين المنجم. **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**. (د، ط)، (د، م). ص19.

(2) ــ محمود شاكر. **خراسان**. مرجع سابق، ص55.

(3) ــ انظر: الطبري. **تاريخ الأمم والملوك**. ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م، ج1 / 297.

(4) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج1 / 56.

(5) ــ اليعقوبي. **البلدان**. ص 288.

ويحمل من غلاتها في كل سنة مال عظيم إلى خزانة السلطان زائدا عما يحتاج إليه"[1]، وزاد في وصفها فذكر أن اسمها في المصادر الأعجمية تدعى "بلخ البهية"[2].

أما اليعقوبي فنعتها بقوله: "مدينة خراسان العظمى" و"عظيمة القدر"[3]، وهي عند ياقوت: "من أجل مدن خراسان وأذكرها"[4].

وقد حازت بلخ مكانة أطمعت الملوك والفاتحين فيها، إلا أنها بقيت تقاوم بطشهم صامدة لتقلبات الدهر حتى أتاها الفتح الإسلامي، ولمكانتها الجليلة تلك فقد أطلقوا عليها ألقابا منها:

"قاعدة خراسان" و"أم الدنيا" و"أم البلاد" و"أم المدائن"، أما في الإسلام فقد لقبوها "قبة الإسلام"[5].

وقد امتد عمرانها امتدادا عظيما، وسكنها أشراف من العراق وتركستان والهند والشام وطخارستان..ونظرا لأهميتها الدينية فإن الزوار يؤمونها في مطلع كل سنة شمسية من العراق والهند وطخارستان، وغيرها من البلاد ويبقون فيها سبعة أيام، للاحتفال بعيد النيروز.

ولهذا لا نستغرب إذا سميت بأسماء جميلة، فهي "المعشوقة" و"البهية" و"المتلألئة"، لكثرة ما فيها من عمران ومتنزهات.

وهي لا تزال إلى اليوم أكثر مدن أفغانستان آثارا[6].

وقد ضمت مدينة بلخ العديد من النواحي أشهرها:

طخارستان: وهي ولاية واسعة كبيرة، وتقسم إلى قسمين: طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون، وبينها وبين بلخ ثمانية وعشرون فرسخا، وأما السفلى فهي أيضا غربي جيحون إلا أنها أبعد من بلخ وأضرب في الشرق من العليا[7].

ومن مدنها: (الطايقان، وغزنة[8]، وخلم كابل، وشمنجان، وبغلان، وسكلكند، وروالين، وآرهن،

---

(1) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 302.

(2) ـــ المصدر نفسه. ص 303.

(3) ـــ اليعقوبي. **البلدان**. ص 287.

(4) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج1 / 568.

(5) ـــ محمد محروس عبد اللطيف المدرس. **مشايخ بلخ من الحنفية**. (د. ط). بغداد، الدار العربية للطباعة، (د. ت). ج1/ ص 27.

(6) ـــ المرجع نفسه. ج1 / ص 28.

(7) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج4 / 26.

(8) ـــ الأفصح عند المدققين من العلماء هو " غزنين " وكتبها المقدسي بصيغة التثنية (غزنين)، وقد تعرّب إلى "جزنة " وكان القياس

.../...

وروان، سكيمشت، رؤب، سراي عاصم، خست، أندراب، مذر، كاه)[1].

أما الباميان فقد ضمّها المقدسي إلى طخارستان وذكر أن من مدنها بسغورفند ولخراب وسكاوند،[2] بينما جعلها الإصطخري ناحية مستقلة تضم عددا من المدن هي: (بدخشان وسكاوند، والباميان وبسغورفند، وكابل، ولجرا، وفروان، وغزنة، وبنجهير)[3].

ومن نواحي بلخ أيضا الختل التي اشتملت على مدن: (بنك، وفارغر، وأنديجاراغ، ولاوكند، وهلا ورد (وهما مدينتا الوخش)، وكاربنك، وتمليات، وهلبك، وسكندرة، ومنك)[4].

أما الجوزجان: فهي تمثل الناحية الغربية من ربع بلخ وأعمر النواحي وأكثرها أهلا، ومن أجلّ مدنها: (الفاريات، آسان، أنبار، أنبير، شبورقان ....)[5].

اشتهرت بلخ بزراعة السمسم والجوز واللوز والأرز وقصب السكر وكافة أنواع الخضروات، إضافة إلى الفواكه من الزبيب والعنب والتين والرمان والبرتقال وسائر الحمضيات والتوابل[6].

وفي مجال الثروة الحيوانية توصف بلخ بأنفس الدواب وتشتهر بالنوق البخاتي والبقر والغنم التي لا نظير لها في قطر من الأقطار[7].

وتضم أراضي بلخ أجود أنواع الذهب وأصفاه وأحمره وكذلك الكبريت والزرنيخ ومعادن

اللغوي يقتضي أن يقال عند النسب إليها " **غزني** " ولكن السماع ـــ وهو أقوى من القياس ـــ جرى على أن يقال "**غزنـــوي**". وغزنـــة عاصمة لولاية واسعة في طرف خراسان من ناحية الشرق تعرف باسم " **زابلستان** " وقد تسمى باسم القصبة فيقال " **غزنين** " وبعـــض الجغرافيين العرب مثل ابن حوقل والإصطخري، يعتبرونها جزءا من ولاية سجستان. وتقع غزنة في بـــلاد أفغانســـتان الحاليـــة. انظـــر: المقدسي. **أحسن التقاسيم** ص 303، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص349، الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 277.

(1) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 278 ـــ 279.

(2) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 297.

(3) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 277.

(4) ـــ المصدر نفسه. ص 276 ـــ 277.

(5) ـــ انظر: الحديثي. **أرباع خراسان**. ص 434، 435.

(6) ـــ الحديثي. **أرباع خراسان**. ص 391، وانظر: الإصطخري. **مسالك الممالـــك**. ص 278 ـــ 280، ابـــن حوقـــل. **صـــورة الأرض**. ص373، 376، المقدسي. **أحسن التقاسيم** ص 324.

(7) ـــ ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 181.

النحاس والرصاص والزيبق واللعل الذي هو من أصناف الياقوت[1].

أما الصناعة فلبلخ أيدي باسطة في صناعة البرود ودباغة الجلود وصناعتها والصابون والسمن والأدهان، والرماح، وصقل المصنوعات الحديدية كالسيف والمرآة والدروع. إضافة إلى صناعة الحلويات والمربيات كالزبيب والعنجد والعسل الشمسي المصنوع من العنب والتين ولب الرمان[2].

ويدل هذا التنوع في الصناعات على الدور الكبير الذي تلعبه الأسواق في المدينة الخراسانية بصفتها عنصرا أساسيا لترويج سلع تلك النواحي. بل هي المجال الحيوي للنشاط المالي. يؤدي بالضرورة إلى رخاء المدينة وازدهارها. اقتصاديا واجتماعيا ومن ثم تصبح مركزا حضاريا تزدهر فيه العلوم والمعارف والثقافات المختلفة.

ظلت بلخ أم الحواضر في إقليم خراسان إلى أن استولى عليها الخراب لأول مرة سنة550هـ على يد الغزّ، ثم عاد إليها أهلها وجددوا بناءها في موضع مجاور لموضعها الأول، فاستعادت سابق عزّها إلى أن هدمها المغول على يد جنكيز خان سنة618هـ). حيث خرّب ثلث مسجدها بسبب كثر ذكر له أنه تحت سارية من سواريه، وتعرف اليوم باسم (وزيرآباد)[3].

1 – 2 – بلاد ما وراء النهر وأقاليمها

أطلق العرب تعبير (بلاد ماوراء النهر) على المناطق الواقعة في حوض نهري جيحون (آموداريا Amoudariya)، وسيحون (سيرديريا Siradarya)[4]. وقد وصف الجغرافيون للمسلمون هذين النهرين بأوصاف عديدة من أهمها: أنهما يجمدان في الشتاء للدرجة تصبح الملاحة فيهما خطرة أو مستحيلة، ويحفر الناس الآبار في الثلج للحصول على الماء[5].

---

(1) ـــ انظر: اليعقوبي. **البلدان**. ص 289، ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 179، الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 279، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324.

(2) ـــ الحديثي. **المرجع السابق**. ص 391 ـــ 392، وانظر: المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324.

(3) ـــ كي لسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق. ص 463، محمود شاكر. **خراسان**، مرجع سابق.ص55.

(1) ـــ بارتولد(barthold). **تركستان ـــ من الفتح العربي إلى الغزو المغولي** ـــ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، 1981م. ص145.

(5) ـــ انظر: ياقوت: **معجم البلدان**. ج2 / ص228.

ولم يدخل الجغرافيون بلاد ما وراء النهر ضمن تركستان؛ لأنهم كانوا يقصدون بهذا الاسم بلاد الترك عامة، أي: المنطقة التي تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين، حيث سكنها البدو الرحل من الترك والمغول[1].

أما حدود ما وراء النهر[2]: فيحدها من جهة الشرق بلاد الختل، وفامر، وراشت، وما يتاخم أرض الهند على خط مستقيم، أما من جهة الغرب فيحدها بلاد الغزية والخزلجية وفاراب وبيكند وصغد سمرقند ونواحي بخارى وخوارزم، ومن الشمال الترك الخزلجية من أقصى بلد فرغانة وأسبيجاب، ومن الجنوب منابع نهر جيحون وبذخشان.

ويشير الإصطخري إلى سبب اعتبار خوارزم والختّل من بلاد ماوراء النهر بقوله: "لأن الختّل بين نهر جريان ووخشاب وعمود جيحون جريان وما دونه من وراء النهر وخوارزم مدينتها وراء النهر وهي إلى مدن ماوراء النهر أقرب منها إلى مدن خراسان"[3].

"وتتباين التضاريس في بلاد ما وراء النهر تباينا واضحا، فتوجد الجبال والهضاب والسهول والصحاري، ثم توجد الأنهار الكبيرة التي تجري في الصحاري، إضافة إلى سقوط الثلج في بعض المناطق، وتبعا لهذا التباين في التضاريس يحدث تباين في المناخ فتكون المنطقة قليلة الأمطار، شتاؤها بارد، وصيفها حار قياسا إلى المناطق التي تقع إلى الشمال"[4].

وكانت بلاد ماوراء النهر تسمى "تركستان الغربية" وهي اليوم تمثل الجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الإتحاد السوفياتي المنهار. بعد احتلال لها دام أكثر من ستين عاما. وهذه الجمهوريات هي:

أوزبكستان: وتقع في الجزء الشرقي من الاتحاد السوفياتي السابق، وتشترك حدودها مع أفغانستان[5].

---

(1) ــ المصدر نفسه. ج5 / ص54.

(2)-الإصطخري. **مسالك الممالك** ص 286 - 287، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص381، ابن رستة. **الأعلاق النفيسة**. ص97.

(3) ــ المصدر نفسه. ص 287، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 381.

(4) ــ ستروييف. **جغرافية الإتحاد السوفياتي**. موسكو: دار التقدم. (د. ت). ص 289 ــ 294.

(5) ــ تبلغ مساحة هذه الجمهورية حاليا حوالي (447) ألف كلم2، انظر: يسري عبد الرزاق الجوهري. **جغرافية الشعوب الإسلامية**. الإسكندرية: منشأة للمعارف، 1981م. ص 269.

طاجيكستان: ويحدها من الغرب والشمال " أوزبكستان" ومن الشرق "تركستان الشرقية"[1].

تركمانستان:(تركمانيا) وتقع غرب أوزبكستان[2].

قيرغيزيا: وتحيط بها جمهوريات أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان، كما تحيط بها الصين من الجنوب الشرقي[3].

قازاخستان: وتقع شمال أوزبكستان[4].

وهذه الجمهوريات تعد المداخل الطبيعية لسهول سيبريا في الشمال.

وقد قسم الجغرافيون المسلمون أقاليم ما وراء النهر إلى خمسة أقاليم هي: (الصغد، وخوارزم، والصغانيان ومعه الختّل، وفرغانة، والشاش)[5]، وفيما يلي: تعريف موجز لكل إقليم من هذه الأقاليم:

1 ــ إقليم الصّغد:

يعد إقليم الصغد، أو " السّغد"[6] أو (صغديانا sogdiana القديمة)[7]، أهم إقليم يتصل بنهر جيحون من الشرق، بل يعد من أهم أقاليم ما وراء النهر على وجه العموم، لأنه يشمل أراضي خصبة واقعة بين نهر سيحون وجيحون، تسقى بنهر الصغد، وعليه تقع مدينتا "بخارى" و"سمرقند" ــ وسوف

---

(1) ــ تركستان الشرقية: هي الإقليم الواقع تحت الاحتلال الصيني حاليا، والمعروف باسم " سينكيانغ " أي ــ المستعمرة الجديدة ــ انظر: محمود شاكر. **تركستان الشرقية**. ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1987م

(2) ــ تبلغ مساحة تركمانيا (445) ألف كلم^2، وأغلب هذه المساحة ضمن صحراء قره قورم، حيث الأنهار الكثيرة، والسلاسل الجبلية، فضلا عن المناطق السهلية التي تكثر فيها الحشائش، انظر:محمود شاكر. **تركستان الغربية**.ط2، بيروت:المكتب الإسلامي، 1987م،ص88.

(3) ــ تبلغ مساحة قيرغيزيا حاليا (50، 198) كلم2، وجدير بالذكر أن هذه الجمهورية هي إقليم فرغانة الذي كان يعرف بخانية خوقند. عدد المسلمين 9003 .272 . ويمثلون نسبة 92%. انظر: محمود أبو العلا. **جغرافية العالم الإسلامي**. ط3، الكويت: مكتبة الفلاح، ص 62، وانظر: ألكسندر بينيغسن. شانتال لومبريه كيلكجاي. **المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفياتي**، ترجمة. عبد القادر ضللي، ط1، بيروت: دار الفكر للمعاصر، 1989م. ص 98.

(4) ــ تبلغ مساحة (**قازاخستان**) حوالي. 717 300 2 كلم2، انظر: **المسلمون المنسيون**. مرجع سابق. ص88.

(5) ــ انظر: كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق، ص 476.

(6) ــ قد تكتب الصغد بالسين مكان الصاد أي " السغد " وكتابته بالصاد أشهر. وسكان الصغد يدعون أيضا الصغد، وهم في الأصل من الترك. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة " صغد " ج4/ص2402، ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / 464.

(7) ــ كي ليسترنج. المرجع السابق. ص 476.

يأتي الحديث عنها بعد قليل ـــ والنهر الثاني: هو نهر أسرود المنساب حيال مدينتي " كس"،[1] و"نسف"[2].

وقد قيل: "جنان الدنيا أربع: صغد سمرقند، وغوطة دمشق، وشعب بوّان، وأبلّة البصرة"[3]، والصغد عبارة عن قرى متصلة، خلال الأشجار والبساتين، من سمرقند إلى قريب من بخارى، لا يتبيّن القرية حتى يأتيها لالتحاف الأشجار بها، وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار، متجاوبة الأطيار، غزيرة الأنهار[4].

ويضم إقليم الصغد مدنا أخرى غير التي سبق ذكرها.منها: "بيكند"[5]، و"كرمينية"[6]، و"دبوسية"[7]، ونتحدث الآن عن مدينتي بخارى، وسمرقند، لأهميتهما السياسية والفكرية. ويمكن القول أن الأولى كانت عاصمته الدينية، بينما الثانية، كانت مركزه السياسي. إلا أن كلا من المدينتين كانتا في مرتبة واحدة، وتعدان قصبتي الصغد.

مدينة بخارى: يقال: إن إسم مدينة بخارى، أصله: هو "كوه خوران" ثم طرحت الهاء والواو للتخفيف فصارت "كخارا"، ثم أبدلوا الكاف باءا فصارت "بخارا"[8].

أو أن يكون اسم "بخارى" أصله "بخر" وهو صيغة تركية ـــ مغلبة للكلمة السنسيكريتية "قهاره"، ومعناها: دير أو صومعة، وذكر المؤرخ الجويني، أنه كان يوجد معبد في مدينة بخارى أو على مقربة منها في بلخ وسمرقند[9].

---

(1) ـــ كسّ: بكسر أوله وتشديد ثانيه ـــ هكذا ضبطها ياقوت ـــ وقيل **كش**، بالشين، وقد زارها ياقوت ووصفها بقوله: " هي مدينة كثيرة البساتين، خصبة، تدرك فيها الفواكه أسرع ما تدرك بسائر ما وراء النهر ". انظر: **معجم البلدان**. ج4 / 522.

(2) ـــ نسف: مدينة كبيرة كثيرة الأهل والحصون، بين نهر جيحون وسمرقند، تقع على بعد 150 كلم جنوب شرق مدينة بخارى وتعرف الآن بقرش (**karchi**)، انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. تعريب عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، ط3، القاهرة: دار المعارف، (د، ت)، هامش ص 55، ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / 329، و كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق. ص 503.

(3) ـــ القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد**. ص 543.

(4) ـــ المصدر نفسه.

(5) ـــ بيكند: بلدة تقع بين بخارى ونهر جيحون، انظر: **معجم البلدان**. ج1 /ص 632.

(6) ـــ كرمينية: بلدة تقع بين بخارى وسمرقند، وتبعد عن بخارى ثمانية عشر فرسخا. انظر: **معجم البلدان**. ج4 / ص518.

(7) ـــ **دبوسية**: بلدة من إقليم الصغد بين بخارى وسمرقند، انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 /ص 499.

(8) ـــ للمقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 332. وقد ورد إسم الكلمة مرة بالألف الطويلة ومرة بالألف للقصورة، وسوف نشير إليهما بالألف للقصورة عندما ترد خارج النصوص للقتبسة.

(9) ـــ دائرة المعارف الإسلامية. بارتولد. **بخارى**. ترجمة محمد ثابت الفندي ورفاقه. ج3/ص401.

وأول نص صريح يشير إلى مدينة بخارى وجد في المصادر الصينية في القرن السابع الميلادي، لكن الاسم الأصلي للمدينة وجد على النقود مما يدل على أنّ اسم مدينة بخارى قد استخدم منذ فترة تاريخية بعيدة[1]. ويذهب النرشخي إلى أنه لا يوجد " بخراسان كلها مدينة تعددت أسماؤها كبخارى"[2].

وبخارى مدينة جميلة جدا، وليس في بلاد الإسلام بلد أجمل منها، فإذا علوت قلعتها، يقع بصرك على خضرة متصلة خضرتها بخضرة السماء، فكأن السماء بها مكبّة خضراء مكبوبة على بساط أخضر، تلوح القصور فيما بينها كالنوائر فيها وأراضي ضياعهم منعوتة بالاستواء كالمرآة[3].

تتكون مدينة بخارى ـــ كباقي مدن المشرق الإسلامي من[4]:

1 ـــ القلعة (مقر الحكم) وتسمى قهندز.

2 ـــ المدينة وتسمى شهرستان.

3 ـــ الربض[5].

وهي مدينة كثيرة المزارع، مليئة بالخيرات، بناؤها من الخشب المشبك، وتحيط بها القصور والبساتين والسكك من جميع جوانبها، وقراها متصلة، ويقدر طولها بستة وثلاثين ميلا في مثلها.

يحيط بها سور يجمع القصور والمحال والمساكن سعته اثنا عشر فرسخا في مثله ليس فيه أرض بائرة، ولا ضيعة عطلة[6]، ولها قلعة (قهندز)[7]، وفيها مساكن ولاة المدينة والمسجد الجامع على باب القلعة، وخرائب بخارى القديمة التي كانت قبل الإسلام، تقع على بضعة أميال من شمال غربي المدينة الإسلامية قرب ضفة النهر، وللمدينة سور، ومن دون هذا السور سور آخر نحو فرسخ في مثله، ولها

(1) ـــ دائرة المعارف الإسلامية. بارتولد. **بخارى**. ترجمة محمد ثابت الفندي ورفاقه، مرجع سابق. ج3/ص401.

(2) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 41.

(3) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 293.

(4) ـــ إحسان ذنون عبد اللطيف الثامري. **الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى في القرون الهجرية الأولى**. ط1، إربد: مركز ناصر للخدمات الجامعية، 1999م، ص 36.

(5) ـــ **الربض**: هو في اللغة، الأبنية التي تكون حول المدينة. أي هو الضاحية القائمة بين المدينة القديمة (القصبة أو الشهرستان) وبين السور الخارجي للمدينة الذي بني في عهد المسلمين. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة (ربض) وانظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 09.

(6) ـــ انظر: ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 398، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 316، الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 294، الإدريسي. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**. ط1، بيروت: عالم الكتب، 1989م. ج1 /ص 493.

(7)– القهندز:وهو تعريب كلمة "كهندز" معناه القلعة العتيقة أي القديمة أو الحصن في وسط المدينة. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج4/ص475.

خمس مدن داخل هذا السور يمنع غارات الأجناس من الترك عليها[1].

"ولبخارى سبعة أبواب حديد: منها باب يعرف بباب المدينة، وباب نور، وباب حفرة، وباب الحديد، وباب القهندز، وباب بني أسد ـــ وهو باب مهر ـــ وباب بني سعد"[2].

ولبخارى مدن في داخل حائطها وخارجة عنه، فأما داخله فمدينة (الطواويس، ونمجكث، وزندنه، ومغكان، وروخجادة) ومن خارجه: (بيكند، وفربر، وكرمينيه، وخديمكن، وخرغانكث، ومذيابجكث)[3].

وطارت مدينة بخارى شهرة، وقصدها الناس من كل حدب وصوب، وخاصة من طالبي الرزق والتنعم، حتى أصبح يقال لمن يريد النعمة والحيازة والرخص والفواكه عليك بخمسة أمصار:

"دمشق والبصرة والري وبخارى وبلخ .... فاختر ماشئت منها فإنها منازه الإسلام"[4]. ويصف المقدسي قصبة بخارى "نموجكث" بقوله:

"ولم أر في الإسلام بابا أجلّ ولا أهيب من هذا الباب، ولا في الإقليم بلد أشدّ عمارة وأكثر زحاما على سكناه من هذا، مبارك على من قصد، منعش لمن تعيّش فيه، رفق بمن سكنه، به أطعمة مرية، وحمامات طيبة، وشوارع واسعة، وماء خفيف، وبناء ظريف، رفقة في المطاعم والمعايش، كثيرة الفواكه والمجالس"[5].

ولما كانت بيوتها تبنى من الخشب فقد تعرضت لكثير من الحرائق في أوقات متقاربة، وقد ذكر النرشخي حريقين هائلين كانا في عهد نصر الساماني الأول سنة (313هـ)، والثاني (325هـ)[6]، كما اندس بين أهلها أصحاب المفاسد ودعاة الرذيلة، وهذا أمر طبيعي في مدينة تجمع أخلاطا من الناس وتزدحم بهم، ولوفرة خيراتها انتشر الترف بين أهلها "حتى لبسوا الحرير والديباج وشربوا في

---

(1) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 58، ويشير (بارتولد) إلى أن خطط مدينة بخارى لم تتغير تغيرا كبيرا خلال ألف عام، بالرغم مما أصاب المدينة من نهب وتدمير وتخريب على أيدي الغزاة المتعددين. **تركستان**. مرجع سابق. ص 193.

(2) ـ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص399، الاصطخري. **مسالك الممالك**. ص 306، بارتولد. **تركستان**، مرجع سابق. ص 101.

(3) ـــ المصدر نفسه. ص 403، 404، الإدريسي. **نزهة المشتاق**. ج1 / ص 495.

(4) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 35.

(5) ـــ المصدر نفسه. ص 281.

(6) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 133، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 281.

أواني الذهب والفضّة، وهونوا أمور الدين"[1].

عرفت بخارى بإنتاج الحنطة واللوز والبندق، كما أن فواكهها تعد أصح الفواكه وألذ طعما في ما وراء النهر، ولهم البطيخ الذي يعرف "بالساف" والكمثري والأعناب والشمام.

وتربى في حقولها ومراعيها الخيول المشهورة التي تسمى "الشهاري البخارية"، ويستخرج من أراضي بخارى الصفد وحجر المسان ـــ وهو صنف من النحاس ـــ والنفط[2].

اشتهرت بخارى بتعدد صناعتها وتنوعها، فقد عرفت بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية وخاصة الكرابيس[3] الزنديجية المعروفة والتي تنسج في كثير من قراها، والمنسوب إلى قرية "زندنة"[4] وهو معروف بجودته ويتخذ منه كثير من العظماء والملوك ثيابا ويشترونه بثمن الديباج[5]. ولعل اسماعيل بن أحمد أحد أمراء الدولة السامانية كانت أكثر هداياه من هذا النوع من الثياب[6]. وفيها ينسج الفرش الفندقية في غاية الحسن والأقبية والقلانس والسرادقات واليزديات الذي يعد من القماش الفاخر والوسائد والبرود المخصصة للخلفاء وثياب أشموني والجواليق[7].

كما اشتهرت بخارى بصناعة أجمل البسط وأحسنها صناعة، إلى جانب مقاعد ومصليات المحاريب والخيام وخياطتها[8].

كما يصنع فيها الفرو من جلود الأغنام والحملان وحزم الخيل[9]، وإلى جانب ذلك يصنع في بخارى

---

(1) ـــ المقدسي. المصدر نفسه. ص 281.

(2) ـــ الحديثي. **أوباع خراسان**. مرجع سابق. ص 465 ـــ 466.

(3) ـــ الكرباس: معناه: الثوب من القطن الخشن، وهو ضرب من الكتان ثقيل الوزن، غليظ السلك، مبرم الغزل. انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 29، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 404.

(4) ـــ ذكر الإصطخري: أنها مدينة لها حصن، وذكر المقدسي: أنها كثيرة الضياع لها حصن به الجامع وربضها عامر. انظر: الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 315، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 281، الإدريسي. **نزهة المشتاق**. ج1/ ص 496.

(5) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 31.

(6) ـــ انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 124، آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق. ج2 / 772.

(7) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 314 ـــ 315، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 39، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324، الحديثي. **أوباع خراسان**. مرجع سابق. ص 466.

(8) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 314 ـــ 315، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324.

(9) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 30، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أنواع الشحوم ودهن الرأس[1]. إضافة إلى الصناعات الخشبية المتنوعة، والصناعات المعدنية من صفد المنابر والأواني الصفرية، وفيها تصنع الأواني المفخورة من الطين الخاص المستخرج من (جبل وركه) القريب من المدينة[2].

ولما تنوعت ثروات بخارى وخيراتها وازدانت تجارتها بأنواع البضائع والسلع فقد انتشرت أسواقها العامرة في كل أرجائها ونواحيها، وهي أسواق على نوعين: موسمية ودائمية. ومن أسواقها المهمة: سوق مغكان، وسوق خجادة، وقد وصفها المؤرخون بقولهم: "ولها أسواق وتجارات قائمة أي دائمة، وكانت توصف بالاتساع، والإزدحام البشري والعمراني ونلاحظ أن معظم هذه الأسواق كانت في ربض المدينة، وذلك لحمايتها وصيانة الأموال والثروات الاقتصادية العامة من أيدي المعتدين وعبث العابثين"[3].

وظلت مدينة بخارى (حاضرة السامانيين) من أهمى مدن المشرق الإسلامي. وأجلّ بلاد ما وراء النهر، يقصدها العلماء والفضلاء. قال عنها الثعالبي: " كانت بخارى مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجتمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر"[4].

مدينة سمرقند: من أكبر مدن ما وراء النهر، يقال لها بالعربية سمران[5]، وكانت تعرف في العصور القديمة باسم: (ماراقندا). وينسب بعض العلماء الأوربيون هذه التسمية إلى الأصل القديم من الكلمة السنسيكريتية samarya أي: جمعية، وذكر أيضا أنها وردت في وصف مؤرخي حملات الإسكندر المقدوني (329ق م)، باسم mrknshs، سمرقنس[6] وتذكر رواية عربية أن الإسكندر ذا القرنين (ت323ق م) هو منشؤ مدينة سمرقند[7].

---

(1) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324.

(2) ــ الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق. ص 466.

(3) ــ إحسان ذنون. **بخارى**. مرجع سابق. ص 149 ــ 152.

(4) ــ الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4 /ص 101.

(5) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 /ص 279.

(6) ــ انظر: إحسان بنت سعيد خلوصي. **الطريق إلى سمرقند**. ط1، دمشق: مطبعة هاشم الحديثة، 1990م، ص24.

(7) ــ قدامة بن جعفر. **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد: دار الرشـــيد، 1981م، ص 199، ياقوت. **معجم البلدان**. ج3/ 279.

تقع سمرقند على جنوبي وادي الصغد[1]، وهي مرتفعة عليه تبعد عن أشروسنة 26 فرسخا، وإلى فرغانة 53 فرسخا[2]. في أعلى النهر على نحو مائة وخمسين ميلا من شرقي بخارى[3]. وهي الآن إسم إقليم ومدينة بجمهورية أوزبكستان. وقد قسمت سنة (1924م) بين جمهوريات: طاجيكستان، واوزبكستان، وتركمانستان[4].

تعتبر مدينة سمرقند قصبة إقليم "الصغد" وفيها ما في المدن العظام من المحال والحمامات والخانات والمساكن، وبناحيتها نهر عظيم يقال له "نهر ماصف"[5]. يتجمع فيه ماء كثير من ذوبان الثلوج. وتشتمل المدينة على أربعة أبواب. وهي:

(باب الصين من جهة المشرق ـــ باب نوبهار من جهة المغرب ـــ باب بخارا من جهة الشمال ـــ باب كش من جهة الجنوب)[6].

ويحيط بالمدينة خندق قد بني عليه مسناة عالية من الأرض، وفي بعض المواضع تل في وسط السوق بناحية الصيارفة من حجارة يجري عليها الماء من الصفّارين إلى أن يدخل المدينة من باب كش ... وهو نهر قديم جاهلي في وسط أسواقها وبموضع يعرف "براس الطاق" من أعمر مواضع بسمرقند[7].

وقد أشاد الجغرافيون بجمال سمرقند، وبهائها. وكثرة بساتينها، وطيب هوائها..فوصفها الحصين ابن المنذر الرقاشي[8] فقال:

---

(1) ـــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 316، وبالطبيخة من أرض كسكر [قرب واسط] قرية تسمى سمرقند أيضا، انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / 279.

(2) ـــ ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 29 ـــ 30.

(3) ـــ ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق. ص 506.

4) ـــ انظر: محمود شاكر. **تركستان الغربية**. مرجع سابق، ص97، هامش2.

(5) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 406، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 18، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 266، الإدريسي. **نزهة المشتاق**. ج1 / ص 497.

(6) ـــ انظر: الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 316، اليعقوبي. **تاريخ اليعقوبي**. بيروت: دار صادر، (د، ت)، ج2 /ص 287، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 278، الإدريسي. **نزهة المشتاق**. ج1 / ص 497.

(7) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 406.

(8) ـــ هو الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلي الشيباني الرقاشي المتوفى سنة 97هـ، تابعي من سادات قيسة ربيعة وشجعانهم، ومن ذوي الرأي فيهم. انظر: خير الدين الزركلي. **الأعلام**. ط7، بيروت: دار العلم للملايين، 1986م، ج2/ص263.

"كأنّها السماء للخضرة، وقصورها الكواكب للإشراق، ونهرها المجرة للاعتراض، وسورها الشمس للأطباق".

ويصفها المقدسي بقوله: "بلد سري جليل عتيق، ومصر بهيّ رشيق، رخي كثير الرقيق،.. وماء غزير بنهر عميق، بناء قوي سني وثيق، ودرس كثير لأهل الفريق، وعيش هنيّ إليها الطريق وحمل المتاع من كل فج عميق، علوم كثيرة وصدر نفيق، وخيل ورجل ومال دفيق، ذو رساتيق جليلة، ومدن نفيسة، وأشجار وأنهار.."[1].

وقيل: "ليس على وجه الأرض أطيب ولا أنزه منها ولا أحسن، وهي تشبه بخارى في العمارة والحسن وبها قصور عالية شاهقة، ونهور دافقة تخترق أزقتها ودورها"[2].

وفي وصف سمرقند يقول أحمد بن واضح اليعقوبي[3]:

علت سمرقند آن يقال لها ... زين خراسان جنّة الكور

ودون أبراجها خنادقها ... عميقة ماترام من ثغر

كأنّها هي وسط حائطها ... محفوظة بالظلال والشجر

بدر وأنهارها المجرة ... والآطام مثل الكواكب الزهر

وقال البستي:

للناس في أخراهم جنّة ... وجنّة الدنيا سمرقند

يا من يسوّي أرض بلخ بها ... هل يستوي الحنظل والقند[4]

ويتبع إقليم سمرقند عدة مدن منها:

"الدبوسية، واربنجن، وكش، ونسف، وأباركت، وويذار، واشتيخن، والكشانية، وخرغانكت،

(1)- المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 278.

(2) ــ القرماني. **كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**. بيروت: منشورات عالم الكتب، 1978م، ص 352.

(3) ــ اليعقوبي. **البلدان**. ص 373.

(4) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / 281.

وفرنكت، وكبوذ نجكت[1].

أما رساتيق سمرقند فهي اثنا عشر رستاقا، ستة منها جنوب زرفشان هي: بنجكيث، ثم تليها ورغسر، ثم مايمرغ، وسنجرفغن، والدرغم، وأخيرا أبغر، والرساتيق الشمالية ستة: وهي: ياركث، وبوزنمذ، ثم بوزماجز، ثم كبوذ نجكث، وبعدها وذار، وأخيرا رستاق مرزبان"[2].

وتشتهر سمرقند بزراعة الحبوب وخاصة البندق والجوز، ولها من البساتين الكثيرة والمشجرة الخصيبة التي تنتج أنواع الفواكه وخاصة الأعناب والكروم[3].

وفي الثروة الحيوانية فإن سمرقند لها شهرتها في النوق السمرقندية، بل إن أكبر أموالهم من المواشي، لكثرة مراعيها[4].

أما بالنسبة للصناعة في سمرقند، فقد ساعدت وفرة المواد الخام بها وتنوع المعادن كالذهب، والفضة، والنوشاذر، والنحاس، والزئبق على تنوع الإنتاج الصناعي بها[5].

كما قامت في سمرقند صناعة الأنسجة القطنية والصوفية كالثياب الوذارية وهي على لون المصمت، وببغداد يسميها بعض الأمراء "ديباج خراسان"، واشتهرت بثياب "سيمكون والسمرقندية والزيارية" وديباج وثياب حمر تسمى " ممرجل وسنيزي". كما عرفت بصناعة الثياب الحريرية لأن بها قز كثير[6].

واشتهر أهل سمرقند بالصناعات الجلدية فإن بها تصنع الأحبية والركب والحكمات والسيور[7].

ومن الصناعات التي نالت شهرة عالية في سمرقند هي صناعة الورق، وقد امتازت بكاغدها (كاغد

---

(1) ــ المصدر نفسه. ج3 / 279 ــ 283.

(2) ــ انظر: ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 408 ــ 409، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 266 ــ 279، ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 26.

(3) ــ الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق. ص 508، وانظر: المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 279.

(4) ــ المرجع نفسه.

(5) ــ انظر: الحديثي: **دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان في القرن الرابع للهجرة ــ الصناعة** ــ مرجع سابق. ص114.

(6) ــ ابن الفقيه. **مختصر كتاب البلدان**. ص 254، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 283 ــ 325، الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق، ص509.

(7) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 325.

سمرقند)، وأول ظهور الكاغد في الإسلام كان في سمرقند، صنعه هناك أسارى من الصين أسرهم الأمير زياد بن صالح في وقعة "أطلخ" سنة (134هـ)[1].

ومن سمرقند انتقلت صناعة الورق إلى عاصمة الخلافة بغداد ومنها إلى أقاليم كثيرة من العالم الإسلامي[2].

أما في مجال الصناعات المعدنية فإن لسمرقند شهرتها في صناعة القدور العظيمة من النحاس والقماقم الجيدة، وصقل المصنوعات الحديدية كالسيوف والدروع، إضافة إلى صناعة الأواني والزجاج[3].

وقد ساعد موقع سمرقند الاستراتيجي وكثرة مسالكها وتعدد أسواقها على تقدمها في مجال التجارة. فهي تقع على طريق تجاري هام، يربط بغداد بالمشرق، وهو يمر شرقا بالمدن الواقعة على نهر ديالى، ثم يسير إلى همذان فالري فنيسابور فمرو، ويسير هذا الطريق إلى بخارى وسمرقند، وتتفرع من هذا الطريق طرق أخرى تربطه بالمدن التي تقع على مسافة منه. ولهذا الطريق أهمية كبيرة منذ العصور القديمة فقد تسلكه تجارة الصين البرية، وكان يسمى في القديم "الطريق السلطاني" وقد ازدادت أهميته في العصور العربية الإسلامية لأنه يربط بغداد بالهضبة الإيرانية وخراسان وبلاد ما وراء النهر، وتقع عليه مدن لها أهمية كبيرة في الدولة العربية الإسلامية[4].

2 ـــ إقليم خوارزم[5]

خوارزم: "بفتح الخاء وضمها. والألف مسترقة مختلسة، ليست بألف صحيحة. هكذا يتلفظون بها[6] وقد رسمها البلاذري "خارزم" بحذف الواو، لأنها كما يبدو الأصل في التسمية[7].

ويروي المقدسي قصة طريفة لا تخلو من الطابع الأسطوري لنشأة خوارزم وسبب تسميتها فيقول:

---

(1) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص36.

(2) ـــ انظر: الجاحظ. **التبصر بالتجارة**. دمشق: المجمع العلمي العربي، 1932م. ص 22.

(3) ـــ الخديثي. المرجع السابق. ص 509.

(4) ـــ انظر: آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**. ج2 / 416 ـــ 417، جاك ريسلر. **الحضارة العربية**، تعريب. د. خليل أحمد خليل. ط1، بيروت ـــ باريس: منشورات عويدات، 1993م. ص 125.

(5) ـــ يقع إقليم خوارزم الآن موزعا بين جمهوريتي أوزبكستان، وتركمانستان، بعد غزو الروس له، وخلعهم أميره "خان خيوه" السيد عبد الله خان بهادر، في سنة 1924.

(6) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / 452.

(7) ـــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 410.

"إن أحد ملوك الشرق القدماء قد غضب على أربع مائة رجل من أهل مملكته وخاصة الحاشية فأمر بحملهم إلى موضع منقطع عن العمران بحيث يكون على مائة فرسخ منها، فاتّفق ذلك بموضع "كاث" وبعد مدّة بعث إليهم من يستقصي أخبارهم، وكانوا قد بنو لأنفسهم بيوتا واستقروا فيها وكانوا يصيدون السمك، يشوونه على النار التي يضرمونها من الحطب الموجود هناك وهو كثير. فلما رجعوا إلى الملك أعلموه بذلك، فسألهم: وماذا يسمون اللحم؟، قالوا: "خوار" قال: والحطب ؟ قالوا: "رزم" قال: فإني قد أقررتهم بتلك الناحية وسميتها خوارزم[1]. وأمر أن يحمل إليهم أربع مائة جارية تركيه. فإلى اليوم قد بقي فيهم شبه من الترك[2].

وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح، فإن المسلمين لما جاءوا إلى تلك البلاد وفتحوها كانت تسمى بهذا الاسم، وبقيت على ماهي عليه، بعد الفتح الإسلامي.

يقع إقليم خوارزم غرب إقليم الصغد، على جانبي نهر جيحون، يحدّه من الجنوب خراسان، ومن الشرق بلاد ما وراء النهر، ومن الشمال بلاد الترك أيضا. وهو أقرب اتصالا ببلاد ما وراء النهر، لذلك اعتبرناه هنا إقليما من أقاليم بلاد ما وراء النهر[3].

ولخوارزم قصبتين: أحدهما تقع شرق نهر جيحون تسمى بالخوارزمية "كاث درخلش"، والأخرى تسمى "الجرجانية" وأهلها يسمونها "كركانج"[4].

وسنتناول بالحديث هاتين المدينتين لأهميتهما في إقليم خوارزم:

كاث: ومعنى "كاث" في لغة أهل خوارزم: الحائط في الصحراء من غير أن يحيط به شيء[5].

تقع كاث على نهر جيحون في الشمال الشرقي من خوارزم بينها وبين كركانج، عشرون فرسخا[6]، ولا تزال قائمة، إلا أن "كاث" القديمة كانت تقوم على بضعة أميال من جنوب شرقي

---

(1) ــ أصلها "خوارزم" خففت، وقيل "خوارزم" استثقالا لتكرار الراء، وقد جاء به بعض العرب على الأصل، فقال الأسدي:

وخافت من جبال الصغد نفسي وخافت من جبال خوارزم

انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / 474.

(2) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 285.

(3) ــ محمود شيت خطاب. **بلاد ما وراء النهر**. مرجع سابق. ص 25 ــ 26.

(4) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 341، وانظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / ص452.

(5) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج4 / 484.

(6) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 299، ياقوت. **معجم البلدان**. ج4 /ص 484.

كاث الحديثة، وفي أوائل المئة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية) خرّب بعضها طغيان نهر جيحون، الذي أتى على معالمها جميعا، ولم يبق منها رسما ولا طللا، فابتنى الناس مدينة جديدة إلى الشرق من الأولى على مسافة من جيحون تقيها عواقب طغيانه[1].

الجرجانية: وهي قصبة خوارزم الثانية التي أصبحت بعد خراب (كاث) أولى مدن الإقليم. فكانت تعرف "كركانج" وسماها العرب الفاتحون (الجرجانية)[2]. ثم أطلق عليها الأتراك والمغول إسم (أركانج)، وتقع في الجنوب الغربي من جيحون عند مصبه في بحيرة خوارزم[3]. وقد احتال أهلها في ردّ خطر الفيضان بإقامة السدود من الخشب والحطب، ولها أربعة أبواب وهي كل يوم في زيادة[4].

وخوارزم على قول المقدسي: "كورة جليلة واسعة كثيرة المدن ممتدة في العمارة، لا تنقطع فيها المنازل والبساتين، كثيرة المعاصر والمزارع والشجر والفواكه والخيرات مفيدة لأهل التجارات، أهلها أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب، وأقلّ إمام في الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمي ..."[5].

وحينما زارها ياقوت قبيل أن يكتسحها المغول بقيادة جنكيزخان، قال فيها:

"فما رأيت ولاية قط أعمر منها، متصلة العمارة متقاربة القرى، كثيرة البيوت للفردة، والقصور في صحاريها، قلّ ما يقع نظرك في رساتيقها على موضع لا عمارة فيه، ولا فرق بين المار في رساتيقها كلها والمار في الأسواق، وما ظننت أن في الدنيا بقعة سعتها سعة خوارزم، وأكثر ضياع خوارزم مدن ذات أسواق وخيرات ودكاكين، وفي النادر أن يكون قرية لا سوق فيها، مع أمن شامل وطمأنينة تامة"[6].

وقد وصفت خوارزم بكثرة بساتينها ومزارعها وأشجارها وكثرة المعاصر فيها، فهي بلد الحبوب كالبندق والسمسم والجوز والحنطة والأرز والحبوب الأخرى، إضافة إلى فواكهها المتنوعة كالبطيخ

(1) ـــ كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق، ص 489 ـــ 490، وانظر: ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 395.

(2) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 /ص 142.

(3) ـــ الاصطخري. **مسالك الممالك**. ص 299، وتسمى أيضا بحيرة "آرال" أو " بحر آرال " وهي بحيرة كبيرة في آسيا الوسطى ويصب فيها أهم نهرين في تركمانستان. وهما نهرا آمودارياً (جيحون) وسردلريا (سيحون).

(4) ـــ انظر: المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 288 ـــ 289.

(5) ـــ المصدر نفسه. ص 284.

(6) ـــ ابن فضلان. **الرسالة**. حقّقها وعلّق عليها. سامي الدهان. ط2، بيروت: مكتبة الثقافة العالمية، 1987م. ص 83 ـــ 94، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 289 ـــ 325، انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / 453.

والعنب والرمان والزبيب والكمثري. ويذكر أن بطيخ خوارزم كان يقدّد ويبّس في الشمس في القواصير ويحمل إلى بلاد الهند والصين[1].

وفي مراعيها تربى الأغنام والأبقار والجمال[2]، كما تعتبر خوارزم معدن السمك والدجاج والكراكي وأفراخ الحمام.

وتعرف خوارزم بقلة معادنها فلا يوجد بها ذهب ولا فضة، وكل يسار أهلها والأموال الطائلة في حوزتهم إنما مردّها إلى نشاطهم التجاري واقتناء المواشي؛ إذ يشتغل أغلبهم بالتجارة مع بلاد الترك والخزر[3].

على أنّ أهمّ تجارات خوارزم في المائة الرابعة الهجرية (العاشرة الميلادية)، كانت جلب الرقيق، فقد كانوا يشترون أولاد وبنات الأتراك من بدو تلك البراري، وبعد أن يعلموهم ويؤدبوهم، يباعون في أسواق النخاسة، وكان قسم من هؤلاء يعملون في الجيش، ويتولون بالتدريج مناصب الدولة ووظائفها[4].

ولما كانت المدن هي المراكز الرئيسية للحياة الاقتصادية في الإقليم، فإن ازدحام السكان فيها، وتعقد الحياة وارتفاع مستوى المعيشة يؤدي إلى التخصص في العمل وإلى ازدهار الصناعة، ويكثر المتخصصون في مجالاتها..

وأهم الصناعة التي تخصص فيها أهل خوارزم هي الصناعات الجلدية، كصناعة الفراء، وسائر أنواع الوبر من السمور[5] والفنك[6] والقاقم[7] والوشق والسنجاب[8] والثعالب، ويهتمون بأنسجة

(1) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / 453، الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق. ص 300.

(2) ــ ابن فضلان. **الرسالة**. ص 83 ــ 86، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 289 ــ 325.

(3) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 305، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 398.

(4) ــ محمود شيت خطاب. **بلاد ماوراء النهر**، مرجع سابق. ص 36.

(5) ــ السمور: دابة تشبه السنور تتخذ من جلودها الفراء الغالية الأثمان، يلبسها الملوك والأكابر. انظر: كمال الدين الدميري. **حياة الحيوان الكبرى**. بيروت: دار الفكر، (د. ت). ج2 / ص 34.

(6) ــ الفنك: دابة يفترى جلدها، وهومن أحسن أنواع الفراء، وهي دويبة لطيفة، لها وبر حسن أبيض، يخالطه بعض الحمرة، يتخذ من جلودها الفراء، أوهو نوع من جراء الثعلب التركي. **المصدر نفسه**.

(7) ــ القاقوم: أو القاقم: حيوان تركي، على شكل الفأرة، إلا أنه أطول، ويأكل الفأرة، له شعر أبيض ناعم، تتخذ منه الفراء، وهو أعزّ قيمة من السنجاب. انظر: **المصدر نفسه**. ج2 / ص 239.

(8) ــ السنجاب: حيوان أكبر من الفأر، يعيش في الشجر العالي، وبرده في غاية النعومة، تتخذ منه الفراء النفيسة،

.../...

الجباب من جلود الغنم، وصناعة السفن وهي المراكب التي تعمل من جلود الجمال والكيمخت[1].

ويرجع اهتمام الخوارزميين الشديد بهذه الصناعات لما يتصف به إقليم خوارزم من البرد الشديد، القارس الذي وصفه ابن خلكان بقوله: "إن بردها يؤثر على أطراف الإنسان، فتقع أو تسقط، ثم يستدرك ما في قوله هذا من مبالغة، فيؤكد كلامه قائلا: وإنه من الخطأ أن يستبعد الإنسان مثل هذا القول؛ لأنه رأى بنفسه خلقا كثيرا ممن سقطت أطرافهم بسبب البرد"[2].

وهذا القول وإن كان مبالغا فيه، إلا أنه يدل على أن تلك البلاد شديدة البرد إلى درجة التجمد. وقد قيل أبرد البلدان ثلاثة: همذان[3]، وقاليقلا[4]، وخوارزم.

قال الثعالبي في برد هذا الإقليم[5]:

وبعضهم يقول: هو "القرقدون " ومنه جنس له غشاء بين يديه ورجليه، يطفر من شجرة إلى شجرة، وهو السنجاب الطائر. انظر: **المصدر نفسه**. ج2/ ص 34.

(1) ــ الكيمخت: بكسر الكاف وسكون الياء وضم الميم ــ فارسي، نوع من الجلد لعله من جلد الخيل. كما جاء في تكملة المعاجم لدوزي. ج2 / 506 ــ نقلا عن **رسالة** ابن فضلان. ص 87 هامش 7، **البكري. البلدان**. ص 278، ابن فضلان. **الرسالة**. 86 ــ 87، للمقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 325.

(2) ــ انظر: ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5 / 169.

(3) ــ همذان: مدينة مشهورة من إقليم الجبال، عرفت ببردها الشديد، حتى قيل إنّ الله سلط عليها الزمهرير الذي أعده الله للكفار والعتاة من أهل النار. ومما قاله أحمد بن بشار يصف همذان:

لقد أتى همذان البرد فانطلق ... ولرحل على شعب شمل غير متفق

أرض يعذب أهلوها لمانية ... من الشهور بأنواع من الوهق

فالبرد يرمي سهاما ليس يمنعها ... من المسروق بلبس التوع والدرق..

نظر: القزويني. **آثار البلاد وأخبار العباد**. ص 483 ــ 485.

(4) ــ قاليقلا: بأرمينية العظمى، وتقع في الإقليم الرابع، من أقاليم الأرض السبعة على ما قسمها الجغرافيون وينسب إليها الأديب العالم أبو علي القالي. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج4 / 339.

(5) ــ أبي منصور الثعالبي. **خاص الخاص**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د، ت). ص 241.

لله بـــرد خـــوارزم إذا كلبـــت ... أنيابه وكست أبداننا الرّعدا
فالشـــمس محجوبـــة والـــريح مدميـــة ... جلود قوم أضاعوا الصبر والجلدا
والماء مســـتحجر، والكلـــب منجحـــر ... والزّمهرير يسوق الصرّ والصّردا[1]
فلـــو تقبّـــل معشـــوقا مخالســـة ... رأيت فاك على فيه وقد جمدا.

وهذا معنى مبتكر[2].

وقال شاعر آخر يصف بردها الشديد مهما لبس من الملابس والفراء[3]:

وليس يقي من بردها جلـد ثعلـب ... بخـوارزم مـدبوغ بغـير تـواني
ولا جلد سمّور ولا الفنـك الـذي ... يوقى بـه المقـرور حـرّ عمـان
وليس يقـيهم منـه لفـح جهـنّم ... ومـا لهـم بـالزمهرير يـدان.

وقد ذكر الشاعر في هذه الأبيات بعض أنواع الفراء التي اشتهر بها إقليم خوارزم.

ويصور ابن فضلان قسوة البرد في خوارزم تصويرا لا يخلو من طرافة في قوله:

"لقد كنت أخرج من الحمام فإذا دخلت إلى البيت نظرت إلى لحيتي وهي قطعة واحدة من الثلج حتى كنت أدنيها إلى النار"[4].

وكان ياقوت طيلة إقامته يجتهد ليكتب شيئا فما كان يمكنه لجمود الدواة، حتى يقربها من النار ويذيبها"[5].

ولكي يقاوم أهلها البرد فإنهم كانوا يلبسون القرطق[6] والخفتان[7] والبوستين، واللبّادة[8]

(1) ـــ الصرد: البرد، ويقال: ريح صر: أي شديدة البرد أو الصوت. الصرد: بسكون الراء وفتحها: البرد أيضا، وقيل شدته. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة " صرد " ج4/ص2427.

(2) ـــ طه هند حسين. **الأدب العربي في إقليم خوارزم**. (د. ط) بغداد: دار الحرية للطباعة، 1976م. ص 38 ـــ39.

(3) ـــ ابن الفقيه. **مختصر كتاب البلدان**. ص 237.

(4) ـــ ابن فضلان. **الرسالة**. ص 85.

(5) ـــ انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / 455.

(6) ـــ قرطق: بالضم فالفتح ثم فتح الطاء. معرّب. وهو قميص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجسم. انظر: رينهارت دوزي. **المعجم المفصّل لأسماء الملابس**. ترجمة أكرم فاضل. بغداد: 1971م.

(7) ـــ خفتان: استعمله القدماء بما نستعمل اليوم القفطان " أي الجاكيت " وهو صدرية تحت الثياب، وقد حلّ محل الملابس العربية. انظر: دوزي. **المرجع السابق**.

(8) ـــ اللبادة: بالضم وتشديد الباء، ما يلبس من اللبود وقاية من المطر والبرد. دوزي. **المرجع السابق**.

والبرنس[1] والسراويل، والران[2] والخفت، والقلانس[3].

كما اهتم أهل خوارزم بصناعة الزيوت ومشتقاتها كالشمع والقصب الطيب والمسك والسمن[4] وكذلك الصناعات الخشبية كالنشاب والقسي وصناعة السفن[5].

وقد اتخذ التجار في خوارزم أنهار الإقليم وسيلة للتجارة بالإضافة إلى الطرق البرية، حيث كانت الأنهر الكبيرة مسالك للسفن التجارية التي تقوم بنشاطها مع المدن الواقعة عليها أو القريبة منها[6].

وفي خوارزم ستة أنهر كبيرة ذكرها البلخي هي فروع لنهر جيحون ممن تجري فيها السفن بالتجارة والمُسيّرة إلى مدن خوارزم الكبيرة[7].

وقد تميّز الخوارزميون بأنهم كانوا أكثر أهل خراسان انتشارا وسفرا، فليس بخراسان مدينة إلا وبها من أهل خوارزم جمع كبير، ولذلك قال المقدسي عنها: "حمل المتاع من كل فج عميق"[8].

وهذا النشاط التجاري جعل أسواق خوارزم عامرة، ومقصد التجار من الآفاق، وقد وصفها ابن بطوطة بقوله: "لها الأسواق المليحة والشوارع الفسيحة والعمارة الكثيرة والمحاسن الأثيرة"[9].

ويضم إقليم خوارزم مدنا أخرى، نذكر منها: "أرد خشميثين، أرذ خيوة، إيخان، براتكين، جاز، جشيرة، جكربند، درغان، زردوخ، زمخشر، سافردر، سلور، غردمان، كردران خواش، كردر، مرداجقان، نوزكاث، هزارسب ...".

---

(1) ــ برنس: هو في القاموس كل ثوب رأسه منه، دراعة كان أو جبة أو ممطر. وهو معطف طويل له قلنسوة تلتصق به وتغطي الرأس. انظر: دوزي. **المرجع السابق**.

(2) ــ الران: نوع من الأحذية، جمع رانات. انظر: دوزي. **المرجع السابق**.

(3) ــ ابن فضلان. **الرسالة**. ص 86 ــ 87.

(4) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 324.

(5) ــ المصدر نفسه. ص 325.

(6) ــ ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 173، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 419، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 322.

(7) ــ الحديثي. **دراسات في التنظيمات الإقتصادية لخراسان في القرن الرابع للهجرة**. مجلة الخليج العربي، البصرة: الجمهورية العراقية، 1988م. مج 20، العدد. 4. ص 55.

(8) ــ **أحسن التقاسيم**. ص 278.

(9) ابن بطوطة. **الرحلة**. المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار" تحقيق علي المنتصر الكتاني، بيروت: 1975م، ج1/ص403–404.

أما قراها فنذكر منها أيضا: "اش، باف، برقان، تمرتاش، خبقان، خرور، السيب نوباغ ...."[1].

3 ــ إقليم الصغانيان والختّل

الصغانيان والختّل: ناحيتان تمثلان مع بقية المناطق الواقعة جنوبي شرق نهر جيحون إقليما واحدا.

فالصغانيان وصفها المقدسي بقوله: " هي ناحية شديدة العمارة، كثيرة الخيرات. مشارهم من أنهار تمد إلى جيحون، فيها جبال وسهول بها ستة عشر ألف قرية، وأسواق القصبة مغطاة، والجامع وسط السوق لطيف على سواري آجر بلا طيقان"[2].

أما الختّل: فناحية كبيرة، تقع على نهر جيحون، ونظرا لقربها من بلخ قيل: إنها تتبعها، وقد خطّأ المقدسي وياقوت ذلك الرأي؛ لأن الختّل تقع على نهر جيحون من الناحية الأخرى المقابلة لبلخ، فإضافتها إلى بلاد ما وراء النهر أوجب[3].

ويقول المقدسي عن الختّل: " إنّها أجّل من الصغانيان، وأوسع خطة، وأكبر مدنا، وأكثر خيرا"[4].

ومن أجّل مدن الصغانيان مدينة ترمذ أو (الترمذ) في شمال مضيق نهر جيحون وهو آت من بلخ بالقرب من ملتقى نهر زامل به، وهي مدينة حصينة منيعة،[5] ويذكر المقدسي أن منها يصدر الصابون والحلتيت[6]، وتعتبر ترمذ مع آمل وزم من أهم المدن التجارية الواقعة على نهر جيحون حيث كانت المراكب تقلع إليهم من كل جانب[7].

ثم مدينة باسند، ودارزنج، ودستجرد، وشومان، والواشجرد[8].

ومن أجلّ مدن الختّل: اسكندرة، واندجاراغ، وفارغر، ومرند، هلبك،...[1].

---

(1) ــ انظر ترجمة هذه المدن والقرى عند، الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق. ص 303 ــ 311.

(2) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 283.

(3) ــ انظر: المصدر نفسه. ص 290، ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 / 396.

(4) ــ المصدر نفسه. ص 290.

(5) ــ المصدر نفسه. ص 291، كي لسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. ص 484.

(6) ــ المصدر نفسه. ص 324.

(7) ــ الحديثي. **دراسات في التنظيمات الإقتصادية ثالثا ــ التجارة** ــ مجلة الخليج العربي. مرجع سابق، ص 55.

(8) ــ الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق، ص 439 ــ 441.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد اشتهرت الختّل بالمواشي الكثيرة ومنها أصل البراذين الختلية المشهورة وفيها الدواب التي تجلب إلى الآفاق كالخيل والبغال[2].

كما اشتهرت الختّل باستخراج الذهب ومكانس الذهب الذي يستخرج من النهر قطعا صغارا أشبه برؤوس الإبر[3].

كما تشتهر واشجرد والصغانيان بالأنسجة القطنية والصوفية حيث تنسج البزاة الرفيعة القرطاسية الشهب والدرهمية المغرنفة[4].

كما عرفنا بالأوبار من السمور والسنجاب والثعالب وكذلك في صناعة الطرائف من الحديد[5].

4 ــ إقليم فرغانة

يقع إقليم فرغانة في زاوية بما وراء النهر من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك متاخمة لتركستان. على ضفة نهر سيحون الشمالية[6].

وهو إقليم واسع كثير المدن كان " أنوشروان، ــ أحد ملوك الفرس ــ قد سماها أزهر خانة" أي: "من كل بيت" ثم سميت فرغانة أيام الفتح الإسلامي لها، ولما استولى عليها الروس في العصر الحديث كانت تسمى "خانية خوقند" وقد أعيد إليها حاليا اسمها "فرغانة".

وقد وصف السمعاني فرغانة بقوله: "هي منطقة واسعة بما وراء نهري جيحون وسيحون"[7]. وهي أشهر المراكز الإدارية والثقافية وأهمها في وادي فرغانة في جمهورية أوزبكستان كلها. وتقع في الجزء الجنوبي من الوادي نفسه.

ومن مدن فرغانة: "كاسان، أورشت، بيغنخر، خشكت، مرغينان، خوقند، خجندة،

---

(1) ــ المرجع نفسه. ص 406.

(2) ــ اليعقوبي. **البلدان**. ص 290، ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 180، الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 297.

(3) ــ ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 179، الحديثي. المرجع سابق. ص 407.

(4) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 288 ــ 289، الحديثي. المرجع السابق. ص 441.

(5) ــ المصدر نفسه.

(6)- ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**.ص27، وانظر:المقدسي.**أحسن التقاسيم**.ص261،كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**.ص520.

(7) ــ السمعاني. **الأنساب**. ط1، بيروت: دار الجنان، 1988م. ج4/ص367.

أنديجان..."[1]، وأغلبية هذه المدن لا تزال قائمة.

وأشار الإصطخري إلى بعض مدن فرغانة وهي: "قبا، أوش، أوزكند، أسبره". ثم قال: " لفرغانة كور لكل كورة منها عدة مدن، لكل مدينة منها رستاق فيه عدة قرى منها: كوره كاسان، جدغل، ميان روذان ومدينتها خيلام"[2].

وذكر ابن حوقل كور فرغانة بشيء من التفصيل فقال: "هي نسيا العليا، ونسيا السفلى، أسبرة، مياه روذان، جدغل، أورست، بسفر، اشت"[3].

اشتهر إقليم فرغانة بكثرة حاصلاته من الحبوب بأنواعها وخاصة الرز الكثير والجوز والفستق، كما يوجد فيها أنواع الفواكه كالأعناب والتفاح وغيرها، وتربى في مزارعها وسهولها الماشية الكثيرة المنتشرة في قراها[4].

كما يرتفع من فرغانة الذهب والفضة والفيروزج والزئبق والأنك، والحديد والنحاس وكذلك النوشاذر والنفط والزيت، واشتهرت فرغانة بالفحم الحجري للوقود[5].

وفي فرغانة تصنع الثياب البيض والأحذية وآلات السلاح والسيوف[6]، وقد كانت العلاقات الاقتصادية بين إقليم ما وراء النهر والأقاليم المجاورة له من الجهة الشرقية والشمالية قوية نشطة. حيث عني أهل تلك البلاد بالاتصال بقبائل الترك الكيماكية والخرلخية والتغزغر الساكنين في السهول المطلة على حدود الصين وهضبة التبت[7].

وهناك طريق تجاري هام يمر من فرغانة إلى نوشجان الأعلى بالاتجاه الشرقي إلى مدينة خاقان الترك التغزغر ليتصل بهضبة التبت[8].

---

(1)ـ **فتوح البلدان**. ص409، للقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 262، وانظر: بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق، ص 266 وما بعدها.

(2)ـ **مسالك الممالك**. ص 333.

(3)ـ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 420 ـ 421، وعن ترجمتها هذه المدن والكور كلها انظر: الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق. ص 541 ـ 552.

(4)ـ الحديثي. المرجع السابق. ص 552، وانظر: الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 295 ـ 333، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص421 للقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 271.

(5)ـ انظر: الحديثي. المرجع السابق. 552 ـ 553.

(6)ـ للقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 271 ـ 325.

(7)ـ قدامة. **الخراج**. ص 196، الإدريسي. **نزهة المشتاق**. ص 508.

(8)ـ ابن خرداذبة. **المسالك والممالك**. ص 58، قدامة. **الخراج**. ص 196.

.../...

وكانت هناك "مراصد" على هذه الطريق يقف عندها التجار ليدفعوا الضريبة، ويذكر البلخي أن في "أوش" إحدى مدن فرغانة "مرقب الأحراس على الترك".

ولعل هذا المرصد كان يقوم بجمع ضريبة المكس على التجارة الواردة إلى خراسان[1].

5 ــ إقليم الشاش

يقع إقليم الشاش غربي إقليم فرغانة، على ضفة نهر سيحون اليمنى، أي: الشمالية الشرقية. وتقع حاليا داخل "جمهورية أوزبكستان". وتعرف باسم طشقند[2].

والخرائب المعروفة اليوم بـــ (طشقند) القديمة هي موضع المدينة التي سمّاها العرب: (الشاش)، والفرس: (جاج)، وكان يقال لمدينة الشاش (بنكث) أو (بيكث)، وهي قصبة إقليم الشاش، وقد كان لكثير من أسماء المدن في بلاد ما وراء النهر تسميتان: إيرانية وتورانية[3].

وهو إقليم كثير القرى والعمارات والمنابر، وأرض سهلة كثيرة للزارع والرياض وبالشاش وإيلاق[4] مدن كثيرة ذوات أبواب وأسوار وأرباض وقلاع وأسواق وأنهار تخترق بعض المدن[5].

ومن مدن الشاش: بنكث، دنفغانكث، جينانجكث، نجاكث، بناكت، خرشكت، أشبينغو، أردلانكت، خدينكت، كنكراك، كاشجك، غرجندغناج، جيوزن، وردوك، كبرنه، غدارنك، فوجكث، غزك، أنوذكت، بغنكث، بركوش، خاتونكث، جيغوكث، فرنكث، كداك، نكالك[6]. ولكن أهم مدن الإقليم هي: (طراث، وأسبيجاب، وإيلاق، والبتم)[7].

التبت: مملكة متاخمة لمملكة الصين ومتاخم من أحدى جهاته لأرض الهند، ومن جهة المشرق لبلاد المياطلة، ومن جهة المغرب بلاد الترك. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 /ص 11.

(1) ــ أبو زيد البلخي. **صور الأقاليم**. ورقة 148. نقلا عن الحديثي. **دراسات في التنظيمات الإقتصادية في خراسان**. بحلة الخليج العربي. التجارة. ص 56.

(2) ــ انظر: **المسلمون في الإتحاد السوفياتي**. ج2 / ص459.

(3) ــ كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. ص 523.

(4) ــ إيلاق: مدينة من بلاد الشاش متصلة ببلاد الترك على عشرة فراسخ من مدينة الشاش، وقصبتها تونكث. ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 417.

(5) ــ الإصطخري. **مسالك الممالك**. ص 328.

(6) ــ انظر: الحديثي. **أرباع خراسان**. مرجع سابق. ص 521، وانظر: ابن حوقل. **صورة الأرض**. 416.

(7) ــ المرجع نفسه. ص 522.

وذكر ابن حوقل: "أن ليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقدار الشاش في المساحة أكثر منابر وقرى عامره وسعة وبسطة في العماره، إلى قوة شوكة منهم"[1].

أما القزويني: فيذكر أن إقليم الشاش هو أكبر ثغر في وجه الترك وهو من أنزه بلاد الله وأكثرها خيرا، وكانت عامة دورهم يجري فيها الماء وكلها مسترة بالخضرة[2].

وقد عرفت في إقليم الشاش زراعات متنوعة للحبوب كزراعة الحنطة وكذلك الخضر وأنواعها والفواكه باختلافها، وأكثرها الكروم والأعناب[3].

كما عرفت الشاش بوجود المعادن في جبالها، فجبال أسبرة يخرج منها النفط، والفيروزج والحديد والصفر والأنك والذهب[4]، مما جعل الصناعات بها تزدهر وتتوسع وتشمل الكثير من الأصناف.

ومن أشهر صناعات إقليم الشاش رواجا وأعظمها شهرة صناعة الأنسجة القطنية والصوفية كالثياب البيض الكثيرة، ونوع من الثياب على الطراز التركستاني والقلانس والكرابيس[5] الكندجيه الغلاظ والأزر والمصليات، كما اشتهرت بصناعة السيوف وغيرها من السلاح، وآلات النحاس والحديد كالإبر والمقاريض والقدور، ويرتفع منها أيضا سروج الكميخت (جلود الحمر الوحشية) الرفيعة، والجعاب والقسي الجيدة وجلود تجلب من الترك، وتدبغ ... كما يرتفع من رستاقها الرز والكتان والقطن[6].

وقد كان من شأن هذه الموارد وتنوع هذه الصناعات، وتعدد النشاطات الاقتصادية في الإقليم أن يساعد على انخفاض أسعار الأطعمة والأشربة والألبسة انخفاضا كبيرا، يبعث على الرخاء في العيش وازدهار الحياة العلمية في تلك البلاد.

---

(1) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 416.

(2) ــ القزويني. **آثار البلاد**. ص 538.

(3) ــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 411، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 322، 415، 418، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 273، 275، 301.

(4) ــ القزويني. **آثار البلاد**. ص 538.

(5) ــ الكرابيس: جمع كرباس. وهو ثوب من القطن الأبيض.

(6) ــ كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. ص 531.

2 ــ الفتح الإسلامي لخراسان وبلاد ما وراء النهر

بعد معركة نهاوند[1] عام 22هـ التي انتصر فيها المسلمون على الفرس انتصارا مؤزرا، قرر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب ﷺ ــ أخذا بنصيحة الأحنف بن قيس التميمي ــ[2] الانسياح في بلاد فارس وأعطيت الأوامر لسبعة أمراء بالتوغل في أعماق فارس، وهذه الألوية هي:

ــ لواء خراسان ويقوده الأحنف بن قيس

ــ لواء أردشير ويقوده مجاشع بن مسعود السلمي

ــ لواء اصطخر ويقوده عثمان بن أبي وقاص الثقفي

ــ لواء داربجرد ويقوده سارية بن زنيم الكناني

ــ لواء كرمان ويقوده سهيل بن عدي

ــ لواء سجستان ويقوده عاصم بن عمرو

ــ لواء مكران ويقوده الحكم بن عمرو التغلبي.

أما يزدجرد الثالث فقد ظل المسلمون يطاردونه حتى فرّ إلى أقصى الحدود الشرقية من إمبراطوريته وأخيرا قتل سنة (31هـ) في عهد الخليفة عثمان بن عفان وبموته زالت الدولة الفارسية إلى الأبد[3].

سار الأحنف بن قيس إلى خراسان فافتتح مدينة هراة عنوة، واستخلف عليها صحار بن فلان العبدي الربعي، وبعث الأحنف من هراة مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى نيسابور، وسار هو نحو مرو الشاهجان عن طريق نهر هراة فامتلكها واستخلف عليها حارثة بن النعمان، ومنها سار إلى مرو الروذ، حيث يقيم يزدجرد[4].

وكتب يزدجرد من مرو الروذ رسائل إلى ثلاثة ملوك: كتب إلى خاقان[5] الترك، وإلى ملك

(1) ــ **نهاوند**: يقال: إنها من بناء نوح عليه السلام، أي: نوح وضعها وإنما اسمها نوح أوند، فخففت وقيل نهاوند ... وقيل إن أصلها بنوهاوند فاختصروا منها.. ومعناه: الخير المضاعف. وهي مدينة قبلة همذان. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 /ص 361.

(2) ــ انظر: الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981م. ج4 / ص86.

(3) ــ نجيب بن خيرة. **التاريخ الإسلامي، عصر الخلافة الراشدة**. ط1، قسنطينة: دار البعث، 1999. ص 149، 150.

(4) ــ الطبري. **تاريخ**. ج2 / 546.

(5) ــ خاقان: لقب من ألقاب السيادة التي تطلق على أباطرة المغول والترك العظام، ومعناه ملك الملوك تمييزا له عن: الخان، وهو الحاكم الإقليمي لبعض الولايات التي كانت تتكون منها الإمبراطورية المغولية في آسيا الوسطى (تركستان) في

.../...

الصغد يستمدهما ويستنجدهما، وكتب إلى ملك الصين يستعينه، ولكن الأحنف وقد لحقت به أمداد من الكوفة لم يمهله، بل استخلف حاتم بن النعمان الباهلي على مرو شاهجان، وزحف منها نحو مرو الروذ، فاضطرّ يزدجرد إلى النزوح منها إلى بلخ[1]، فاستولى الأحنف على مرو الروذ، وبعث وحداته في أثره إلى بلخ ثم تبعها.

وفي بلخ التقى المسلمون لأول مرة منذ بدأت الفتوح بيزدجرد شخصيا فيمن بقي له من جند، وحاصروها، ولكن يزدجرد فرّ منها فدخلها الأحنف، وأقام ربعي بن عامر عليها، وعاد إلى مرو الروذ وجعل فيها مركز قيادته.

وعلم عمر بنجاح الأحنف، إلا أنه خشي من هذا التقدم الذي أحرزه المسلمون في هذه المناطق، فقد طالت خطوط مواصلاتهم، وتوزعت قواتهم في أرجاء الشام والعراق وفارس، كما أن التوغل فيما وراء فارس قد يثير التتار والمغول فيثورون دفاعا عن أرضهم وأنفسهم، ولهذا رأى عمر أن يوقف التقدم حتى يستتب الأمر وتستقر أوضاع الحكم في هذه المناطق[2].

أما يزدجرد فقد نزل بسمرقند، واستنجد بخاقان الترك الذي حشد جنده وسار بهم ومعه يزدجرد ليلقى المسلمين في خراسان، فعبروا جميعا إلى بلخ، فتراجع جند الكوفة إلى مرو الروذ وانضموا إلى قوات الأحنف، ورأى الأحنف أن قوات عدوه كثيفة، فقرر أن ينسحب إلى موضع يجري نهر مرو الروذ أمامه ويقوم جبل من خلفه، ليكون النهر خندقا بينه وبين العدو، ويكون الجبل حصنا فلا يؤتى من الخلف، وجمع جنده وقال لهم: "إنكم قليل وإن عدوكم كثير فلا يهولنكم، **فَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾، ارتحلوا من مكانكم هذا فاسندوا إلى هذا الجبل فاجعلوه في ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم، وقاتلوهم من وجه واحد"[3].

وفي هذه الأثناء وصلت إلى الأحنف رسالة من عمر يقول فيها: "أما بعد، فلا تجوزن النهر،

أيام الفتح " الإسلامي"، وقد استخدم هذا اللقب السلاطين المسلمون من المغول والترك، كما استخدمه السلاطين العثمانيون. محمود شيت خطاب. **بلاد ما وراء النهر**. مرجع سابق. ص 82.

(1) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج2 / 546.

(2) ـــ محمد فرج. **الفتح العربي للعراق وفارس**. (د. ط)، القاهرة: دار الفكر العربي، 1966. ص 250.

(3) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج2 / 547.

واقتصر على ما دونه، وقد عرفتم بأي شيء دخلتم على خراسان، فداوموا على الذي دخلتم به، يدم لكم النّصر، وإياكم أن تعبروا فتنفضوا"[1]. وهذا يبيّن لنا سياسة التريث الحكيمة التي اتبعها الخليفة عمر في فتحه لتلك البلاد الصعبة أرضها، الشداد أهلها. إلا بعد أن تكون للمسلمين الفاتحين قواعد انطلاق قوية تحمي ظهورهم، وتسندهم بالمدد وقت الحاجة.

ولم يستقر الأمر طويلا فقد عاد "يزدجرد" ومعه خاقان الترك، ومدد من أهل "فرغانة" فجازوا نهر جيحون كارّين إلى بلخ.

وكان لخاقان مصلحة في إبعاد المسلمين عن فتح مدينة بلخ، لأن فتحها هو بوابة العبور إلى بلاد ماوراء النهر، وتهديد لبلاد الترك تهديدا مباشرا.

وعاد المسلمون للمرة الثانية بالزحف على بلخ، وقاتلوا جيش الخاقان وانتصروا عليه بسهولة ويسر، وأجبروه على الانسحاب منها فعاد خاقان إلى بلاده فيما وراء النهر ومعه يزدجرد[2].

واستعاد الأحنف بن قيس فتح مدينة بلخ وسائر خراسان، فكتب إلى عمر بن الخطاب ﷺ بالفتح.

وجمع عمر بن الخطاب الناس حين تسلم كتاب الأحنف، فبشّرهم بهذا الفتح وخطبهم، وأمر بكتاب الفتح فقرئ على الناس، وقال في خطبته: "ألا إن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرّق شملهم، فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضرّ بمسلم، ألا وإن الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون، والله بالغ أمره، ومنجز وعده، ومتبع آخر ذلك أوله، فقوموا في أمره على رجل يعرف لكم بعهده، ويؤتكم وعده، ولا تبدلوا ولا تغيّروا فيستبدل الله بكم غيركم، فإنّي لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم"[3].

وبعد مقتل عمر بن الخطاب ﷺ انتقض الخراسانيون وغدروا، فاجتمع المسلمون في (مرو الروذ) وعليها عبد الرحمن بن سمرة، فكتب ابن سمرة إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان يخلع أهل خراسان، وقال أُسَيِّد بن المُتشمِّس للرّي. محرضا الخليفة على الإسراع في إرسال المدد. لإخضاع خراسان.

---

(1) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج2 / 547.

(2) ـــ انظر: المصدر نفسه. ج2 / 549.

(3) ـــ المصدر نفسه. ج2 / 549، أبي الفرج ابن الجوزي. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ـــ مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. (د. ت). ج4/ص322.

ألا أبلغا عثمـــان عنّـــي رســـالة فقد لقيت عنا خراسان بالغدر
فأذك هداك الله، حربـــا مقيمـــة بمروي خراسان العريضة في الدهر
ولا تفترز عنّـــا، فـــإنّ عـــدونا لآل كنازاء المدّين بالجسر[1].

فأرسل سيدنا عثمان ﷺ إلى عامله على البصرة عبد الله بن عامر بن كريز سنة (31هـــ) جيشا وجعل على مقدمته الأحنف بن قيس قائد الفتح الأول[2] ووجه أمير بن أحمد اليشكري البكري إلى "قوهستان" والأسود بن كلثوم العدوي إلى "بيهق". وفتح هو "نيسابور" صلحا وقيل عنوة. وقدم عظيم "أبيورد" على ابن عامر فصالحه، وبعث ابن عامر عبد الله بن خازم إلى "سرخس" فقاتلهم وغلب على أرض سرخس ودخلها عنوة، وأتى مرزبان طوس ابن عامر فصالحه على طوس.

ووجه ابن عامر جيشا إلى "هراة" عليه أوس بن ثعلبة بن رقى، فبلغ عظيم هراة ذلك فشخص إلى ابن عامر وصالحه على "هراة" و"باذغيس" و"بوشنج" بإستثناء طاغون وباغون فإنهما فتحا عنوة[3].

وأرسل مرزبان مرو الشاهجان يسأل ابن عامر الصلح، فوجّه إليه ابن عامر حاتم بن نعمان الباهلي فصالحه، وفتحت مرو كلها صلحا إلا قرية منها يقال لها "السنج" فإنها أخذت عنوة[4].

ثم وجه بعد ذلك ابن عامر. الأحنف بن قيس إلى طخارستان فانتهى إلى الموضع الذي سمي بإسم "قصر الأحنف" وهو حصن تابع لمرو الروذ فصالحه أهلها ثم تقدم بعد ذلك إلى "مرو" نفسها فلقي من أهلها أول أمره مقاومة عنيفة، ولكن مرزبانها اضطر أخيرا إلى المصالحة[5].

ولما هزم الأحنف الذين اجتمعوا له بمروالروذ وجه الأقرع بن حابس التميمي إلى "الجوزجان"[6]. ففتحها بعد قتال شديد استشهد فيه خلق كثير، ومات عدد كبير من الفاتحين للمسلمين. وقد فتحت الجوزجان بعد أن كرّ ذلك القائد العربي المسلم وأعلن وصيته فيهم، تلك الوصية المشهورة التي يدعوهم فيها إلى الود بينهم، بمجاهدة نفوسهم قبل عدوهم، حيث قال لهم خاصا بالذكر قومه بني

(1) ــ محمود شاكر. **خراسان**. مرجع سابق. ص20.
(2) ــ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج2 / ص 625.
(3) ــ انظر: البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 395 ــ 396، الطبري. **تاريخ**. ج2 / 626.
(4) ــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 396.
(5) ــ المصدر نفسه. ص 397.
(6) ــ الجوزجان: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان،وهي بين مرو الروذ وبلخ. ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ص211.

تميم "يا بني تميم تحابوا وتبادلوا تعتدل أموركم وابدؤوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم"[1].

وهذه الوصية صفعة في وجه الذين يرون أن المسلمين الفاتحين كانوا غزاة معتدين لا يرون في الجهاد إلا كسب الغنائم، والسيطرة على البلاد، وقهر الشعوب.

وقد أحسن غوستاف لوبون وصفه للفاتحين العرب المسلمين حين قال: "فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم"[2].

ثم سار الأحنف متمما فتح بقية المناطق في خراسان كالطالقان والفارياب[3]. وأخيرا توجه الأحنف إلى بلخ فطلب أهلها منه الصلح فأجابهم إليه. واستناب "أسيد بن المتشمس" على قبض المال، فقال أسيّد بعد استرداد خراسان:

ألا أبلغا عثمان عني رسالة ... لقد لقيت منا خراسان ناطحا
رميناهم بالخيل من كل جانب ... فولوّا سراعا واستقادوا النّوائحا
غداة رأوا خيل للعراب مغيرة ... تقرّب منهم أسدهنّ الكوالحا
تنادوا إلينا واستجاروا بعهدنا ... وعادوا كلابا في الديار نوابحا[4].

ولما تمّ لابن عامر ما أراده من فتح خراسان، أحرم من نيسابور عند رجوعه شكرا لله على ما فتح على يديه، ولما قدم على عثمان بن عفان ﷺ، لامه على ما صنع وقال له: ليتك تضبط لليقات الذي يحرم منه الناس[5].

واستعاد المسلمون مواقعهم في خراسان كلها، وأعادوا عمالهم على ما كانوا عليه، وقد ازدان عصر عثمان بالفتوحات الإسلامية، وسجل الفاتحون المسلمون صفحات مشرقة للبطولة والتضحية والفداء... ومع الأسف لا يذكر من تاريخ خلافة عثمان إلا الفتنة، والثوار، ويوم الدار ...!

وبمقتل عثمان بن عفان ﷺ، وقيام الصراع بين علي ومعاوية — رضي الله عنهم — لم تتمكن

(1) — البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 398.
(2) — غوستاف لوبون. **حضارة العرب**. ترجمة. عادل زعيتر. ط4، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964م، ص9.
(3) — البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 397.
(4) — محمود شاكر. **خراسان**. مرجع سابق. ص 21.
(5) — انظر: ابن الجوزي. **المنتظم**. ج5 / ص 16.

الجيوش الإسلامية الفاتحة من تحقيق انتصاراتها في تلك المناطق.

ومع بداية الحكم الأموي بدأ أمر خراسان يشهد نوعا من الإستقرار، وأخذ اهتمام الخلفاء والولاة يتجه نحو بلاد ما وراء النهر.

ولما كانت مدينة "بلخ" على الدوام باب بلاد ما وراء النهر الجنوبي، وكانت باستمرار عرضة لهجمات الترك القادمين من بلاد ما وراء النهر، يعبرون إليها نهر جيحون الذي كان يسمى: نهر بلخ أيضا فيغزونها، فلا عجب أن يقرّر المسلمون فتح بلاد ما وراء النهر للدفاع عن بلخ بخاصة وخراسان بعامّة؛ لأن الهجوم أنجع وسائل الدفاع[1].

ففي سنة ثمان وأربعين هجرية (48هـ) وسنة تسع وأربعين (49هـ) فتح الحكم بن عمرو الغفاري الصغانيان، ويقال: إنه أول من غزا وصلى في بلاد ما وراء النهر[2]. وفي سنة أربع وخمسين (54هـ) قطع عبيد الله بن زياد[3] نهر جيحون إلى جبال بخارى، ففتح "راميثين" و"نسف" و"بيكند"، وأرسلت (الخاتون)[4] ملكة بخارى إلى الترك تستمدهم، فجاءها منهم عدد كبير حيث لقيهم المسلمون، فانتصروا عليهم، فبعثت الخاتون تطلب الصلح والأمان فصالحها عبيد الله، ثم عاد إلى البصرة بجماعة من أهل بخارى جيدي الرمي بالنشاب وفرض لهم نصيبا مقابل عملهم في صفوف الجيش[5].

ومما يجب أن يقال عن فتح ممالك ما وراء النهر أن فتحها لم يخضعها لأحكام الإسلام السياسية، وأنها لم تصبح بمنزلة خراسان، لأن قوة المسلمين لا تسمح بالسيطرة عليها والإشراف عاى إدارتها،

(1) ـ محمود شيت خطاب. **بلاد ما وراء النهر**. مرجع سابق. ص 88.

(2) ـ انظر: البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 400.

(3) ـ عبيد الله بن زياد: أحد الولاة الفاتحين، ولد بالبصرة سنة 28هـ وتولى أمر خراسان سنة 53هـ والبصرة سنة 55هـ ولـه أخبار كثيرة، وهوصاحب معركة كربلاء قتل سنة 67هـ انظر: الزركلي. **الأعلام**. ج4/ص193.

(4) ـ الخاتون: هي زوجة الملك (بندون) ملك بخارى الذي توفي عنها وخلّف من خاتون ولدا حدثا يدعى (طغشاده) فانفردت خاتون بشؤون الملك وصيّة على ابنها الحدث . . .ويقال إنه لم يكن في عصر من العصور من هو أصوب منها، فكانت تحكم بصائب الرأي ويقاد لها الناس..حتى أنها فرضت على أهل الرستاق أن يجيء لخدمتها مائتا شاب من الدهاقين والأمراء متمنطقين بمناطق ذهبية ويحملون السيوف ويقفون من بعيد، وعند خروجها يحيونها ويقفون في صفين، وهي تأمر وتنهى وتنصب وتخلع من تريد، ويتكرر هذا للشهد صباحا ومساءا. انظر:النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص23.

(5) ـ انظر:البلاذري. **فتوح البلدان**. ص401. الطبري. **تاريخ**. ج3 / 244.

وتمكين الجيش المقاتل من مراقبتها في هذه الفترة المتقدمة من التاريخ. وإنما اعترف كل طرف من أطرافها بسلطان الإسلام وظلّ محتفظا بأربعة أشياء: بجيوشه وإدارته ورؤسائه وحريته الدينية. ولذلك فقد احتفظ ببعض شخصيته المستقلة التي دفعته إلى نقض الحلف وخلع سلطان للمسلمين[1].

وفي سنة (56 هـ) عزل عبيد الله بن زياد عن إمارة خراسان وصار الأمر إلى سعيد بن عثمان بن عفان[2] الذي عيّن واليا جديدا على ذلك الإقليم[3].

قدم سعيد بن عثمان فعبر جيحون واتجه إلى بخارى بعدما نقضت خاتون الصلح.[4] فلما علمت بعبوره النهر حملت إليه الصلح الذي صالحت عليه عبيد الله بن زياد، وأقبل أهل "الصغد" و"كش" و"نسف" إلى سعيد في مائة ألف وعشرين ألف، فالتقوا ببخارى، وقد ندمت خاتون على أدائها الأتاوة ونكثت العهد، ولكن بعض الجموع المحتشدة لقتال سعيد انصرفوا، فتضعضعت معنويات الآخرين، فلما رأت خاتون ذلك، أعادت الصلح. فدخل سعيد مدينة بخارى[5].

وبعد هزيمة الأعداء في بخارى أراد سعيد أن يواصل سيره إلى "سمرقند" فحاصرها و لم يكن له طاقة بها، فظفر بحصن فيه أبناء الملوك، فلما صاروا بيده، طلب القوم الصلح، فحلف أن لا يبرح حتى يدخل المدينة، ففتح له باب المدينة فدخلها ورمى قهندزها وقاتل أهلها ثلاثة أيام، وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث ففقئت عينه وعين المهلب بن أبي صفرة، ثم طلب الصلح فصالحهم على سبع مائة ألف درهم[6]. ثم انصرف سعيد إلى "ترمذ" ففتحها صلحا[7].

وبعد أن فرغ سعيد من أمر الفتوح في سمرقند والصغد عاد مكللا بالظفر طلب منه البخاريون عند

---

(1) ـــ انظر: محمد عبد الهادي شعيرة. **الممالك الخليفة أو ممالك ما وراء النهر و الدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم**. مجلة كلية الآداب، جامعة فاروق الأول، المجلد الرابع، السنة 1948م. ص52.

(2) ـــ سعيد بن عثمان بن عفان: أحد الولاة الفاتحين، نشأ بالمدينة. ووفد على معاوية بن أبي سفيان فولاه خراسان سنة (56هـ). انظر: ابن العماد. **شذرات الذهب**. بيروت: دار الآفاق الجديدة. ج1 /ص 61.

(3) ـــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج5 / ص 287، الطبري. **تاريخ**. ج3 /ص 251.

(4) ـــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 401.

(5) ـــ المصدر نفسه.

(6) ـــ المصدر نفسه، اليعقوبي. **تاريخ**. ج2 / ص 237.

(7) ـــ المصدر نفسه. ص 402.

عودته إلى خراسان أن يسلمهم الرهائن فلم يفعل وحملهم معه إلى المدينة المنورة،وكان كلما طولب بإعادتهم أرجأ ذلك، ولما أحس هؤلاء الرهائن باليأس من العودة إلى بلادهم هجموا على سعيد في بيته فقتلوه ثم انتحروا بعد ذلك، وبذلك غدر بهم، فكان هذا الغدر وبالا عليه. إذ قدم حياته ثمنا لغدره[1]. وكان ذلك في خلافة يزيد بن معاوية.

وإذا كانت الخطوات الأولى للفتح كانت مندفعة أو أنها كانت تمهيدية لم تتميز بالاستقرار، فإن الخطوات الثانية مع عبيد الله بن زياد وسعيد بن عثمان تميزت بالتنظيم والرعاية، وحسن الإشراف وإدراك الأهداف[2].

وتولى حكم خراسان بعد سعيد سلم بن زياد[3]. سنة إحدى وستين (61هـ)[4]. فأعاد تنظيم الجيش وتجميعه حتى كوّن جيشا ضخما توجه به إلى بخارى لفتحها، فاستنجدت خاتون من جديد بطرخون[5] ملك الصغد، وقالت: "إني أكون زوجة لك وتكون بخارى بلدك، ويجب أن تأتي وتكف يد العرب عن هذا الملك، فجاء طرخون في مائة وعشرين ألف رجل، وجاء بيدون أيضا من التركستان مع عسكر كثير"[6].

غير أن تلك الحشود الضخمة من الجيوش المعادية لم تؤثر في معنويات المسلمين، فحاصروا بخارى دون الهجوم عليها؛ ليقفوا أولا على تفاصيل أعدائهم عددا وعدة وموضعا، ونشب القتال بين الجانبين فقاتل المسلمون جيش الترك، حتى هزموهم. وجعلوهم يولون الأدبار تاركين وراءهم الغنائم والأموال،

(1) ــ الطبري. **تاريخ**. ج3 / ص250، ابن الأثير. **الكامل**. ج3 / ص95، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 69.

(2) ــ انظر: شكري فيصل. **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول**. ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م. ص 213، 214.

(3) ــ انظرسيرة سلم بن زياد في. ابن عساكر.**تهذيب تاريخ دمشق الكبير**. ط2، بيروت: دار المسيرة، 1979م. ج6/ص 237.

(4) ــ الطبري. **تاريخ**. ج3 /ص 345.

(5) ــ طرخون: كان يطلق في الدولة المغولية اصطلاحا على الأشراف من الرجال الذين يمنحهم الخاقان امتيازات خاصة تشمل الإعفاء من الضرائب مع الحق في أخذ نصيب من غنائم المعركة، ومنها كذلك الدخول إلى بلاط الخاقان بدون استئذان . . . وقد شاع في الدول التركية، بنفس المعنى. ومعناه كما جاء في المصادر التاريخية العربية القديمة كالطبري: ملك من ملوك ما وراء النهر، يتبع خاقان الترك، وعلى الخصوص هو ملك الصغد، فيقال: طرخون الصغد، والطرخون نيزك، أي طرخون الصغد المسمى نيزك..
انظر: محمود شيت خطاب. **بلاد ما وراء النهر**. مرجع سابق. ص 83 ــ 84.

(6) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 70.

فغنمها المسلمون، واضطرت خاتون لإعادة الصلح مع سلم بن زياد. واستعاد فتح بخارى[1].

والواقع أن هذا التمرد المتكرر في بلاد ما وراء النهر على الفاتحين المسلمين. مرده إلى عدم استقرار المسلمين في تلك البلاد نظرا لشدة بردها. ففي فصل الشتاء تتساقط الثلوج الكثيرة، التي لا يحتملها العرب، حتى أن نهر جيحون كان يجمد في فصل الشتاء لمدة شهرين، وكان الجو في الربيع والصيف معتدلا نوعا ما، وهذا ما يفسر لنا أن الحملات العسكرية كانت تنطلق في الربيع لتعود في أواخر الخريف، وهذا هو السبب الذي كان يمكّن الأتراك من نقض الصلح والعودة إلى ما كانوا عليه، فاكتفى العرب بسياسة الدفاع طوال القرن الثامن الميلادي (الثاني الهجري) "وذلك بعد أن تم لهم فتح الأماكن المتحضرة في أحواض جيحون وزرفشان، وسيحون"[2].

ويكاد هذا العامل يكون حاسما في الرد على مقولة بارتولد من "أن العرب قد اكتفوا لأمد طويل بالحصول على الغنائم والجزية، دون أن يهتموا لإخضاع البلاد بصورة نهائية"، ثم يعود ليذكر طبيعة الأرض الجبلية في المنطقة[3]، ثم يقول: "إن الهدف الأساسي للغزاة إنما كان الغنائم والمجد الشخصي، هذا بينما شغل الجانب الديني على وجه العموم دورا ضئيلا سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة لأهل البلاد الذين كانوا ينودون عن أوطانهم"[4].

إن سياسة العرب في هذه المنطقة، لم يكن هدفها الحصول على الغنائم بل كان فتح البلاد، ونشر الإسلام، وتأمين حدود الدولة الإسلامية من غارات الأتراك، وكان الموقف يتطلب اتباع هذه السياسة، أي: عقد المعاهدات، وتثبيت حكام البلاد أنفسهم عليها، مع وضع حامية صغيرة من الجند في مركز الإقليم، فلما فشلت هذه السياسة شرع العرب باتخاذ موقف آخر تجاه الترك، وتمثل هذا بتعيين قتيبة بن مسلم الباهلي[5].

ويشير النرشخي إلى هذا صراحة، "وفي كل مرة كان عسكر الإسلام يأتي إلى بخارى، ويغزو في

(1) — الطبري. **تاريخ**. ج3 /ص 244، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 71، البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 401.

(2) — بارتولد. **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**. ترجمة أحمد السعيد سليمان. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م.ص 55.

(3) — بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق، ص 300.

(4) — المرجع نفسه. ص 301.

(5) — طارق فتحي سلطان الديلمي. **الحركة الفكرية العربية في بخارى في القرنين الثالث والرابع الهجري**. كلية الآداب، جامعة بغداد، 1985م. (رسالة ماجستير). ص 100.

الصيف، ويعود في الشتاء، وكانت هذه الخاتون تحارب كل من يأتي مدة ثم تصالحه"[1].

وفي سنة (86هـ) عين الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي[2] على خراسان، وبقيادته بدأ العهد الذهبي لفتوح بلاد ما وراء النهر ... حيث بذل كل طاقاته في تثبيت دعائم الإسلام في تلك البلاد. معتمدا في ذلك على كفاءته الإدارية ومهارته العسكرية. مستغلا حالة الخلاف والشقاق التي تعيشها بلاد ما وراء النهر.

يروي للدائني[3]: "أن ملك الصاغانيان دعا قتيبة إلى بلاده لمعاونته ضد علوه أمير "آخرون وشومان"[4] الذي ضيق على ملك الصغانيان وغزاه فزحف قتيبة إلى مدينة "بيكند" وهي أدنى مدائن بخارى إلى النهر فاستنصر أهلها بالسغد واستمدوا من حولهم فحاصرها ما يقرب من شهرين حتى فتحها عنوة وطلب أهلها الصلح، فصالحهم قتيبة على مال أخذه، وأمّر عليهم ورقاء بن نصر الباهلي[5] ثم غزا بخارى في سنة (90هـ) وكان أهلها في كل مرة يسلمون ثم يرتدون حين يعود العرب، وقد حملهم قتيبة على الإسلام ثلاث مرات، ثم عادوا فارتدوا وكفروا، فحاربهم للمرة الرابعة واستولى على المدينة وأسكن معهم العرب في بيوتهم، واظهر الإسلام وألزمهم بأحكام الشريعة، وبنى المساجد وأزال آثار الكفر ورسم المجوسية[6]، واتبع سياسة تختلف عن ذي قبل، فقد ألزم كل فرد من سكان المدينة بعدم حمل السلاح، وتسلم الأسلحة التي لديه، كما منع الغرباء من دخول المدينة، إلا بإذنٍ وتختم يده، وأصدر قرارا بحضر التجول ليلا إلا لضرورة، ومن يخرج يُقتل[7].

---

(1) ــ **تاريخ بخارى**. ص 77.

(2) ــ هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي، أمير فاتح. من مفاخر العرب. تولى إمارة الري أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، وخراسان في أيام ابنه الوليد، ووثب لفتح بلاد ما وراء النهر، فتوغل فيها، وافتتح كثيرا من المدائن فيها إلى أطراف الصين، وفرض عليها الجزية. وفي سنة 96هـ قتله وكيع بن حسان التميمي..

انظر: ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ ص46 - 91، الطبري. **تاريخ**. ج3/ص 670،**شذرات الذهب**. ج1/ 96،الزركلي. **الأعلام**. 5/ص 189.

(3) ــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 409، الطبري. **تاريخ**. ج3 / ص670.

(4) ــ آخرون وشومان: (بلدان بالصغانيان من وراء نهر جيحون). **معجم البلدان**. ج3 /ص 424.

(5) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 74، اليعقوبي. **تاريخ**. ج2 /ص 286.

(6) ــ المصدر نفسه. ص 77.

(7) - أرمينوس فامبري. **تاريخ بخارى. منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**.ترجمة أحمد محمود الساداتي.القاهرة، (د. ت).ص69.

وطلب قتيبة من أهل بخارى المشاركة في الجيش فخرجوا معه في عسكره[1] وفي سنة 93هـ. زحف قتيبة إلى خوارزم عندما استنصر به خوارزم شاه ضد أخيه الأصغر خرزاد، وثبته في ملكه، على أن يسمح ملك خوارزم لجيش الفتح بدخول مملكته، وأن يكون حليفا للمسلمين[2]. ويبدو أن ما قام به قتيبة مع خوارزم شاه كان يهدف من ورائه أمورا أخرى غير المحالفة العسكرية، فقد كان يريد أن يشجع باقي أمراء المناطق على أن يحتذوا حذو ملك خوارزم، ويقبلوا فكرة الصلح ولا يقفوا في وجه الحملة المتوجهة إلى سمرقند، وقد نجحت هذه الفكرة عندما انضم إليه أهالي بخارى وساعدوا جيشه وقدموا له العون[3].

وقد كان لهذه السياسة الحكيمة في معاملة أشراف الفرس وأعيان الترك وترضيته لهم بإبقائهم في سدة الحكم على بلادهم. مع ضمان الامتيازات الاجتماعية والمالية لهم أثرا كبيرا في استقرار تلك المناطق ولو لفترة من الزمن إلى أن يستوطن العرب ويأخذوا مكانا لهم في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد ما وراء النهر. بل إنه من عوامل الانتصار في فتوح ما وراء النهر. هو ما قام به قتيبة من توحيد وتأليف الفرس والعرب، وقيس واليمن، ولم يكن هيّنا على قتيبة أن يستبقي حماسة جنده الذي لا يعرف التخاذل إليها سبيلا، إزاء معارك طويلة الأجل حامية الوطيس.

واستطاع قتيبة أن ينشر الأمن ويوطن سلطانه على خراسان وبلاد ما وراء النهر طوال حكمه، باستعماله لموظفين من الفرس وتقديمه الولاة الإيرانيين.

بل كان يعدهم عشيرته التي يحتاج إليها بين العرب. وعلى الرغم من ذلك فقد جلب عليه سخط العرب وكان عاملا قويا في إسقاطه، إلا أن ذلك كان أول دافع لإثارة الشعور باسترجاع العاطفة القومية في نفوس فرس خراسان[4].

لما أتمّ قتيبة صلح خوارزم تقدّم إليه المجشّر بن مزاحم السلمي[5]، وطلب التحدث إليه على انفراد،

---

(1) ـــ ابن أعثم. **الفتوح**. بيروت: دار الندوة الجديدة، (د، ت)، ج7 /ص 224.

(2) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج4 /ص 13.

(3) ـــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 401.

(4) ـــ انظر: هـــ أ. حب. **قتيبة بن مسلم الباهلي (البطل الفاتح)**. مجلة الرسالة. العدد 246. السنة 1938م. ص498.

(5) ـــ قائد من قواد قتيبة بن مسلم الباهلي.

وعندما تمّ ذلك قال المحشّر لقتيبة: "إن أردت الصّغد[1] يوما من الدهر فالآن فإنهم آمنون من أن تأتيهم من عاملك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام، قال: أشار بهذا عليك أحد ؟ قال: لا، قال: فأعلمته أحدا؟ قال: لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك"[2]. ثم إن قتيبة خطب في الناس وقال:

"إن الله تعالى قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن، وهذه السغد شاغرة برجلها أي [برجالها] قد نقضوا العهد الذي كان بيننا، منعونا ما كنا صالحنا عليه "طرخون" وصنعوا به ما بلغكم، وقال الله تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾[3].

وأتى السغد وقد سبقه إليها عبد الرحمن بن مسلم في عشرين ألفا، وقدم عليه قتيبة في أهل خوارزم وبخارى بعد ثلاثة أو أربعة من نزول عبد الرحمن بهم، فقال:[4] إنا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ [5]. فحاصرهم شهرا كاملا، حاول خلاله اقتحامها عدة مرات، و لم يفلح.

واستنجد غوزك ملك الصغد بعد خوفه من طول الحصار بملك الشاش، وبملك فرغانة، وكتب إليهما:

"إن العرب إن ظفروا بنا عادوا عليكم بمثل ما أتونا به، فانظروا لأنفسكم ومهما كان عندكم من قوة فابذلوها"[6].

واستجاب ملكا الشاش وفرغانة على إمداد أهل الصغد، فانتخبوا من أولاد الملوك وأهل النجدة، من أبناء المرازبة والأساورة والأبطال وأمروهم أن يأتوا قتيبة ويبيّتوه، أي: [يفاجئوه]، لأنه مشغول عنهم بحصار سمرقند[7]، ولكن استطلاع قتيبة دائم اليقظة والحذر، فطارت إليه الأخبار بما عزم عليه الأعداء.

---

(1) ـــ العاصمة القديمة لإقليم الصغد هي سمرقند.

(2) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج4 /ص 14.

(3) ـــ سورة الفتح: (الآية 21).

(4) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج4 /ص 14.

(5) ـــ سورة الصافات. الآية 177.

(6) ـــ المصدر نفسه. ج4 /ص 14.

(7) ـــ ابن الأثير. **الكامل**. ج4 /ص 126، محمود شيت الخطاب. **بلاد ما وراء النهر**. ص 122.

اختار قتيبة من قواته أهل النجدة والبأس حتى بلغ عددهم أربعمائة[1]، "ووضع قتيبة عيونا على العدو حتى إذا قربوا منه قدر ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم فكلّمهم وحضّهم، واستعمل عليهم صالح بن مسلم، فخرجوا من العسكر عند المغرب، فساروا، فنزلوا على فرسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصفوا لهم، ففرّق صالح خيله، وأكمن كمينا عن يمينه، وكمينا عن يساره، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت، وصالح واقف في خيله، فلما رأوه شدّوا عليه، حتى إذا اختلفت الرّماح، شدّ الكمينان عن يمين وعن شمال، فلم تسمع إلا الاعتزاء[2] فلم نر قوما كانوا أشدّ منهم"[3].

ولم يفلت منهم إلا نفر يسير، وغنم المسلمون السلاح والخيول ومناطق الذهب[4]. وعندما علم قتيبة بذلك كله قال: "جزاكم الله من قوم خيرا، فلقد جاهدتم فأحسنتم الجهاد، وأبليتم فأحسنتم البلاء"[5].

وقد منع قتيبة بهذا الكمين "وصول النجدات إلى ميدان المعركة، مع إشغال النجدات قبل وصولها بكمين ليلي، ريثما يتسنى له سحب قطعاته من حوالي أسوار سمرقند، والقيام بحركة خاطفة ليليّة للقضاء على أرتال النجدات في معركة ليليّة، في الوقت الذي يكون الكمين قد أوقف تقدمها"[6] ثم أمر قتيبة أن تنصب المجانيق على أسوار سمرقند، وسمع بعض المسلمين من قتيبة، وهو يردد كالمناجي لنفسه: "حتى متى يا سمرقند يعشش فيك الشيطان أما والله لئن أصبحت لأحاولن من أهلك أقصى غاية"[7].

وفي اليوم التالي ظل قتيبة يضربها حتى تصدعت أركانها، وتساقطت أحجارها، واشتدّ الضيق بالوثنيين، فطلبوا الصلح. فأجابهم قتيبة إليه، على أن يخلوا المدينة فلا يكون فيها مقاتل، وما هي إلا

(1) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج4 /ص 126.

(2) ــ الإعتزاء: من العزاء والعزوة، وهو اسم لدعوى للستغيث. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة: عزا.

(3) ــ الطبري. **تاريخ**. ج4 / ص17، ابن الأثير. **الكامل**. ج4 /ص126.

(4) ــ للصدر نفسه. ج4 / ص15.

(5) ــ ابن الأعثم. **الفتوح**. ج7 /ص 241.

(6) ــ صالح مهدي عماش. **قتيبة بن مسلم الباهلي**. سلسلة الأعلام والمشهورين.(د، م)، 1978. ص 110.

(7) ــ الطبري. **تاريخ**. ج4 / ص17، **الكامل**. ج4 / ص127.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أيام قلائل حتى بنى فيها مسجدا وصلى قتيبة فيه بالمسلمين، فاستضاءت سمرقند بنور محمد، وتردد في جنباتها نغم الأذان، وخطب قتيبة في أهل الصغد قائلا:

"من أراد منكم أن يأخذ متاعه، فليأخذه، فإني لست خارجا ولست آخذ منكم أكثر مما صالحتكم عليه، غير أن الجند يقيمون فيها"[1].

ومن أهداف قتيبة في الفتح هو تحرير العقول من الوثنية والقضاء على معالم الشرك. وحشد الأمم في ساحات الإيمان الرحيبة. فقد عمد إلى جمع ما تحتويه بيوت النيران، ومعابد الأصنام فأصبحت أمامه كالقصر العظيم، وأمر بتحريقها، فقال أهل الصغد: إن فيها أصناما من أحرقها هلك، فقال قتيبة: أنا أحرقها بيدي فجاء ملك سمرقند (غوزك)، وجثا بين يديه وقال: أيها الأمير إن شكرك علي واجب، لا تعرض لهذه الأصنام، فدعا قتيبة بالنار، وأخذ شعلة بيده، وخرج فكبّر ثم أشعلها، وأشعل الناس فاضطرمت فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال[2].

كانت معركة سمرقند معركة فاصلة ومصيرية بالنسبة للوجود الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، واتخذت سمرقند قاعدة للزحف على المدن والأقاليم الأخرى.

ففي سنة (94هـ) تقدم قتيبة بجيشه فغزا الشاش وفرغانة حتى بلغ خجندة واصطدم فيها بمقاومة قوية، ودارت معارك طاحنة كان النصر فيها حليف المسلمين، وفيها توجه إلى كاشان ثم عاد إلى مرو[3].

لقد أخذت الفتوح العربية في بلاد ما وراء النهر طابعا أعمق وأوسع في عهد قتيبة، ومما لاشك فيه أن أعدادا كبيرة من العرب كانت تسقط في ميادين القتال فتؤثر على حجم الجيش العربي وقوته، ولذا فقد كان الخلفاء وأمراء العراق يدفعون بقوات إضافية لفرض تعزيز الوجود العربي في خراسان وما وراء النهر[4]. فقد بعث الحجاج سنة 95هـ إلى قتيبة جيشا من العراق فغزا بهم، فلما كان بـ (الشاش) أتاه موت الحجاج فعمّه ذلك وقفل راجعا إلى مرو وتمثل:

---

(1) ـ الطبري. **تاريخ**. ج4 /ص 16، ابن الأثير. **الكامل**. ج4 / ص127، قدامة. **الخراج**. ص 408.

(2) ـ الطبري. **تاريخ**. ج4 /ص 16.

(3) ـ ابن الأثير. **الكامل**. ج4 /ص 131، الطبري. **تاريخ**. ج4 /ص 21 ـ 22.

(4) ـ أيوب عبد الحميد مخيلف أحمد. **خراسان من 99هـ إلى 132هـ دراسة في الإدارة والأوضاع العامة**. (رسالة دكتوراه). الجامعة الأردنية. 1998م. ص 39.

لعمري لنعم المرء مـــن آل جعفـــر بحوران[1]. أمسى أقصدته الحبائل

فإن تحي لا أملل حيـــاتي وإن تمـــت فما في حياتي بعد موتك طائل

فرجع بالناس إلى مرو، وفيها أتاه كتاب الوليد بن عبد الملك: "وقد عرف أمير المؤمنين بلاءك وجدّك واجتهادك في جهاد أعداء المسلمين، وأمير المؤمنين رافعك وصانع بك الذي يجب لك، فأتمّ مغازيك وانتظر ثواب ربك، ولا تغيب عن أمير المؤمنين كتبك، حتى كأنّي أنظر إلى بلادك والثغر الذي أنت فيه"[2].

وفي سنة (96هـ). غزا قتيبة (كاشغر) وهي أدنى مدائن الصين، فغنم منها غنائم كثيرة، وأوغل في الفتح حتى قارب الصين.

وظهر تمرد في مدينة الشاش، فتوجه إليه قتيبة بجيش للقضاء عليه وفي أثناء ذلك بلغه نبأ وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك، وتولى سليمان الخلافة بعده.

وكان قتيبة مستوحشا من سليمان بن عبد الملك وذلك أنه سعى في بيعة عبد العزيز ابن الوليد، وأراد دفعها عن سليمان[3]، وكان محور هذه الحركة السياسية الخطيرة عامل العراق وخراسان الحجاج بن يوسف الثقفي، لإطلاعه على خفايا الأمور السياسية في دار الخلافة الأموية، وعلى تحركات الأحزاب المعارضة للأمويين، ومعرفته الدقيقة بتكتلات القبائل وميولها السياسية، ولمراقبته ميول أمراء البيت الأموي، لذا أقنع الوليد بن عبد الملك أن يخالف وصية أبيه وأن يرشح لمنصب الخلافة عبد العزيز ابنه، وذلك لعدم صلاحية اتجاهات سليمان السياسية الخاصة والعامة، بالنسبة للسياسة التي وضع أسسها عبد الملك والتي أتمّها ونفّذها الوليد، وقد دبّر الحجاج الأمر، وأبعد قواد الفرق، وعين موالين له، ومن جملة القواد الذين عيّنهم لهذا الغرض، قتيبة في خراسان أكثر أقاليم الدولة العربية اضطرابا، بعد أن عزل يزيد بن المهلب الذي لجأ إلى سليمان هربا من بطش الحجاج ومؤامراته ضده[4].

---

(1) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2 /ص 364.

(2) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج4 / 131 ــ 132، الطبري. **تاريخ**. ج4 / 26.

(3) ــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 411.

(4) ــ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج3 / 671، وانظرأيضا: عبد الله مهدي الخطيب. **الحكم الأموي في خراسان**. ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي، بغداد: دار التربية، 1975م. ص 30.

كتب قتيبة إلى سليمان ثلاث رسائل في الأول يهنئه بالخلافة ويعزيه في الوليد ويذكر بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنّ له مثل ماكان لهما عليه من الطاعة والنصيحة إن لم يعزله عن خراسان، وكانت الرسالة الثانية تذكيرا لسليمان بإنتصاراته وفتوحاته، أما الرسالة الثالثة فيخلعه فيها عن الخلافة، إن هو ولّى مكانه يزيد بن المهلب[1] ولم يلبث سليمان أن أصدر قراره بعزل قتيبة كما أمر بإحضاره إلى دمشق. ولكن قتيبة فضّل أن يموت في حومة القتال دون أن يلقى منيته في غياهب السجون مثقلا بالأغلال، وأعلن عصيانه ومخالفته للخليفة، وقاد كتائبه الجريئة ليقف أمام جنود الخليفة ولكن سهما طائشا أودى بحياته [2]، فسقط شهيدا. وطارت روحه الباسله إلى ربها راضية. بعد فتح دوّخ الصغد، وأقضّ مضاجع الملوك، وأدخل الناس في دين الله أفواجا.

وبعد موت قتيبة دخلت فتوحات خراسان وما وراء النهر مرحلة جديدة اتسمت في بادئ الأمر بالاستقرار، ثم ما لبثت أن اضطربت الأمور في إقليم المشرق. ويرجع ذلك إلى عدم كفاءة القيادات التي جاءت بعد قتيبة.

يقول هاملتون جب(H.Gibb) عن الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر بعد قتيبة "لم تتوقف الفتوحات العربية في آسيا الوسطى مدى ربع قرن ولكن بدأ انحسار وتراجع..وكانت أوامر عمر بن عبد العزيز لا لتجديد الفتح بل للتخلّي عما وراء النهر جملة..."[3].

وقد بدأت بوادر هذا الاضطراب مع بداية القرن الثاني الهجري، حيث تراخت قبضة الأمويين على مناطق خراسان وما وراء النهر،فقامت ثورات مناوئة لولاة الأمويين الذين كانوا يتشددون أحيانا في تنفيذ أوامر الخليفة وجباية الضرائب.

ورغم كل الإصلاحات والإجراءات التي اتخذها عمر بن عبد العزيز في إقليم خراسان وما وراء النهر وذلك بتخفيف الجزية والجباية والخراج،.فإن الثورات ظلت مستمرة حتى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك. عندما ولي سعيد بن عبد العزيز أمر خراسان وما وراء النهر سنة (103هـ). فاستطاع

---

(1) ــ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج4 / 34.

(2) ــ انظر تفاصيل مقتل قتيبة في: الطبري. تاريخ. ص 38 ــ 43، ابن الأثير. **الكامل**. ج4 / 138.

(3) - Gibb (H. A. R). **the Arab conquest in central asia** (london 1923 The royal asiatic society) P 54.

نقلا عن. شكري فيصل. **حركة الفتح الإسلامي**. مرجع سابق. ص 218

أن يستميل الدهاقنة والأمراء، ويحسن معاملتهم إلا أنهم استضعفوه وثاروا عليه. مما جعل الخليفة يعزله ويولي مكانه سعيد بن عمرو الحرشي[1].

خاض الوالي الجديد حروبا كثيرة في سمرقند والصغد[2] وفرغانة ولكن نصره لم يتم؛ لأن الترك نصبوا له كمينا، وانقضوا عليه فكبدوه خسائر فادحة، وعُزل على إثرها من ولاية سمرقند[3].

وفي خلافة هشام بن عبد الملك تولى أمر خراسان أسد بن عبد الله القسري، فأعاد بناء مدينة بلخ ونقل الدواوين إليها[4]، وقدم سمرقند، وغزا جبال نمرود فصالحه وأسلم[5].

ثم استعمل هشام أشرس بن عبد الله السلمي على خراسان، وكان فطنا نبيها، حسن التصرف في الأمور، فاطلع على ما كان يدور حوله من كبيرة وصغيرة، وعمد إلى حماية الثغور من هجمات الأعداء، وأمر بتشييّد الرباطات في أماكن كثيرة، وأحكم قبضة الخلافة على المناطق المفتوحة، "ودعا أهل الذمة بسمرقند، ومن وراء النهر إلى الدخول في الإسلام، ويضع عنهم الجزية فأجابوه إلى ذلك وأسلم غالبهم"[6]. إلا أن أصحاب الخراج ألحوا في جبايته "وأخذوا الجزية ممن أسلم من الضعفاء فكفرت الصغد وبخارى واستجاشوا للترك"[7]. فتوجه إليهم أشرس وحاصر بخارى، ويبدو أن هذا الإجراء قد شجع السكان على مناهضة المسلمين في ما وراء النهر، لأن بعض الولاة تعسفوا في سياسة أخذ الجزية ممن أسلم، وهذا مخالف لتعاليم الإسلام وأحكامه؛ فثار الدهاقنة الذين تضرروا من حكمه فحقدوا وناصبوه العداء[8].

وفي عهد الوالي الجنيد بن عبد الرحمن المري تمردت بلاد ما وراء النهر "فأرسل الجنيد إلى مرو وبخارستان وإلى جميع من كان على دين الإسلام فحشرهم إليه، ثم عرضهم فكانوا ثلاثة وأربعين

(1) ــ الطبري. تاريخ. ج4 / 98، ابن الأثير. الكامل. ج4 / 183.

(2) ــ المصدر نفسه. ج4 / ص99.

(3) ــ المصدر نفسه. ج4/ص105.

(4) ــ المصدر نفسه. ج4/ص121، البلاذري. فتوح البلدان. ص417، قدامة. الخراج. ص417.

(5) ــ قدامة. الخراج. ص411.

(6) ــ ابن الأثير. الكامل. ج4 / 202.

(7) ــ المصدر نفسه.

(8) ــ الطبري. تاريخ. ج4 /ص127 ــ 129.

ألفا، فضمهم إلى رجل من أصحابه فوجه به نحو خاقان ملك الترك، وخاقان يومئذ على باب سمرقند، وقد حاصر أهلها أشد الحصار"[1].

وفي سنة (121هـ) استغل نصر بن سيار ـ والي خراسان ـ سقوط دولة الترك الغربيين وأعاد السيادة العربية على حوض سيحون وعقد معاهدات مع أمراء أشروسنة والشاش، وكانت موفقة[2]، كما وجه جيشا إلى كابل شاه أرغمه على دفع الجزية والطاعة، واستمر في دعوة الناس إلى الإسلام إن هم أطاعوه، وتشير الأخبار إلى أن ولاية خراسان في عهد نصر بن سيار كانت في أوج الرخاء والعمارة والاستقرار[3].

ولكن هذا الاستقرار كان نسبيا، لأن دولة بني أمية كانت تعاني من فتن واضطرابات في أواخر أيامها، أدت إلى سقوطها، وقد انتقلت هذه الاضطرابات إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر، فاستفحل أمر أبي مسلم الخراساني، منذ سنة (129هـ). كما ظهر في بخارى شريك بن الشيخ المهري، وكان رجلا مبارزا شيعيا، يدعو الناس إلى خلافة أبناء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فأيده خلق كثير من أهل بخارى وخوارزم وغيرهما[4].

ولما استخلف المأمون أغزى الصغد وأشروسنة ومن انتقض عليه من أهل فرغانة الجند، وألح عليهم بالحروب، ورغبهم في دخول الإسلام.

وكان المأمون يكتب إلى عماله في خراسان أن يعرفوا من لم يكن على الإسلام من أهل ما وراء النهر، ويفرض لمن أراد الفرض من أهل تلك النواحي، وأبناء ملوكهم، ويستميلهم بالترغيب، فإذا وردوا بابه شرّفهم، وبذل لهم الأرزاق والصلات[5].

وفي خلافة المعتصم بالله صار جل عسكره من الجند من أهل ما وراء النهر من الصغد والفراغنة والأشروسنية وأهل الشاش. وغلب الإسلام على تلك البلاد، وصاروا هم

(1) ـ ابن الأعثم. **الفتوح**. ج8 / ص104.

(2) ـ انظر: البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 418.

(3) ـ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج4 /ص230.

(4) ـ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 95.

(5) ـ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص 418 ـ 420، قدامة. **الخراج**. ص 412.

يغزون من وراءهم من الأتراك[1]. إلى أن جاء عصر الدويلات الإسلامية، حيث شهدت نوعا من الاستقرار والازدهار وصارت عواصمها مراكز للحضارة، ومناهل للعلم، ومنتجعا للعلماء، يقصده القاصي والداني من طلاب العلم. وأنجبت تلك البلاد علماء أعلام في شتى المعارف والعلوم. وهذا ما سوف نعرفه في الفصول اللاحقة إن شاء الله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ـــ قدامة. الخراج. ص 413.

3. الوجود العربي في إقليم المشرق

بعد الفتح العربي الإسلامي لخراسان وبلاد ما وراء النهر أصبح الوجود العربي في إقليم المشرق ضرورة ملحة يفرضها ضمان الأمن، وتوفير الاستقرار، ونشر الدين، وتوطين الثقافة العربية الإسلامية، والذود عن ثغور المشرق ضد هجمات الترك.

وقد أكد هذه الحقيقة فلهاوزن بقوله: " والحق أن العرب كانوا يحاربون الترك من أجل السيطرة على تلك النواحي ... وكان هذا في الواقع عملا كبيرا، استحق به العرب السيادة على الإيرانيين؛ لأن هؤلاء ما كانوا ليستطيعوا أن يردوا الترك عن بلادهم"[1]. وهذا ما أكده العرب في خراسان بقولهم: "إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطنا خراسان".

والواقع أن هجرات الاستقرار والاستيطان في خراسان وبلاد ما وراء النهر جاءت كمرحلة ثانية بعد الحملات العسكرية الأولى في زمن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، وكذلك الحملات التي وجهت في مطلع العصر الأموي.

فقد أقام المسلمون حاميات في المدن الرئيسية من إقليم المشرق واستوطنوا فيها مع عوائلهم مثل بلخ وهراة وبوشنج ونيسابور وطوس، وسمرقند، وبخارى..

ويجمع المؤرخون على أن استقرار العرب في خراسان جرى في إمارة الربيع بن زياد الحارثي، فيذكر للدائني[2] "أن زيادا ولّى خراسان الربيع بن زياد الحارثي في أول سنة إحدى وخمسين، فنقل الناس عيالاتهم ووطنوا بها". وفي رواية أخرى يذكر نوع المستوطنين الجدد فيقول: إن زيادا بعث الربيع بن زياد الحارثي إلى خراسان في خمسين ألفا، من البصرة خمسة وعشرون ألفا، ومن الكوفة خمسة وعشرون ألفا، وكان على أهل البصرة الربيع، وعلى أهل الكوفة عبد الله بن أبي عقيل"[3].

وتبدوا أخبار المصادر عن عرب الكوفة والبصرة الذين رحلوا إلى خراسان واستقروا فيها قليلة بشكل يدعو إلى الاستغراب، فلم يذكر من أسماء هؤلاء الخمسين ألفا، إلا اسمي رجلين

---

(1)-فلهاوزن. **تاريخ الدولة العربية**.ط2،ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة،القاهرة:نشرته لجنة التأليف والنشر، 1968م.ص 416 -417.

(2)ـ الطبري. **تاريخ**. ج3 / ص236.

(3)ـ المصدر نفسه. ج5 / 226.

اثنين، ويبدو أن ذكرهما جاء لكونهما من صحابة رسول الله ﷺ. وهما: (بريدة بن الحصيب الأسلمي) و(أبو برزة عبد الله بن نضلة الأسلمي)[1].

وبعد هذا التاريخ ازداد عدد العرب الوافدين إلى خراسان، ففي سنة (61هـ) شخص سلم بن زياد إلى خراسان واليا عليها، وكان معه عدد من وجوه العرب أمثال عمران بن الفضيل البرجمي، وعبد الله بن خازم السلمي، وطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، والمهلب بن أبي صفرة، وحنظلة بن عرادة، وأبو حزّابة الوليد بن نهيك أحد بني ربيعة بن حنظلة ويحي بن يعمر العدواني حليف هذيل، وخلق كثير من فرسان البصرة وأشرافهم، وقدم على أخيه عبيد الله بن زياد ومعه كتاب يزيد بن معاوية بنخبة ألفي رجل، وقيل: بنخبة ستة آلاف ينتخبهم من الوجوه والفرسان[2].

ولما كان الحجاج يعلم أن إقليم خراسان من أكثر الأقاليم قابلية للاتساع وازدياد الفتوح، وأن الجماعة العربية فيه أبعد عن الطاعة والانقياد للحكومة المركزية وسياستها، فإنه عمل على إرسال جموع من القبائل العربية لإحداث التوازن بين نفوذ القبائل الموجودة هناك. ففي سنة (75هـ)، اختار لخراسان واليا جديدا هو المهلب بن أبي صفرة. وأمر أهل العراق أن يخرجوا معه، فخرج الناس وازدحموا على الجسر، وعبر منهم في تلك الليلة أربعة آلاف من مذحج[3].

وفي سنة (96هـ) كان من بين المقاتلين بخراسان أربعون ألفا من أهل البصرة، ومن أهل العالية تسعة آلاف، ومن بكر سبعة آلاف، رئيسهم الحصين بن المنذر، ومن تميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حصين الضبي، ومن عبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان، ومن الأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله بن حوذان، وكان من المقاتلين من أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جهم بن زحر، أو عبيد الله بن علي[4].

وفي سنة (111هـ) استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان الجنيد بن عبد الرحمن المرّي

(1) ـ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص400.

(2) ـ الطبري. **تاريخ**. ج3 / ص345.

(3) ـ المصدر نفسه. ج3 / ص550، وانظر: محمد عبد الحي شعبان. **الثورة العباسية**، ترجمة. عبد المجيد حسيب القيسي، أبو ظبي: دار الدراسات الخليجية، (د، ت)، ص132، 133.

(4) ـ الطبري. **تاريخ**. ج4 / 37.

فقدمها في خمسمائة رجل[1]، وبعد ذلك تكبد الجيش العربي خسائر فادحة في معركة الشعب "بسمرقند" فاستمد الجنيد هشاما فبعث إليه بعمرو بن مسلم في عشرة آلاف رجل من البصرة، وبعبد الرحمن بن نعيم في عشرة آلاف من أهل الكوفة[2]. كما كان بخراسان كتائب وألوية أخرى لم تتحرك مع الجنيد إلى سمرقند، وإنما كانت تعسكر بمواقعها مع رؤسائها في مدن خراسان الأخرى، فقد كان البختري بن أبي درهم لا يزال مقيما هو وجنوده بهراة، كذلك لم يحضر إلى الجنيد الجنود الذين كانوا مرابطين بالطالقان[3]، بالإضافة إلى هذه الأعداد الهائلة من الكتائب والألوية الغازية وغير الغازية هناك فرق وسرايا أخرى كانت بعضها مراقبا في الثغور الهامة بخراسان وكان جنودها طلائع يراقبون العدو ويحرسون الحدود.[4] وهكذا أصبحت خراسان كما يصفها فلهاوزن "أشبه بجزيرة عرب ثانية"[5].

كما يصف البلاذري استقرار العرب بخراسان بقوله: "ففي جميع مدن خراسان قوم من العرب من مضر وربيعة وسائر بطون اليمن، إلا بأشروسنة فإنهم كانوا يمنعون العرب أن يجاوروهم حتى صار إليهم رجل من بني شيبان فأقام هناك وتزوج فيهم"[6].

وذكر صاحب تاريخ جرجان بعض الأحياء الخاصة بالقبائل العربية في خراسان منها حي الأزد وحي ربيعة وحي قيس[7].

وتوضح النصوص التي أوردناها الهجرات الواسعة النطاق، ولابد أنه كان بجانبها هجرات فردية أو محدودة العدد، تجري باستمرار، ولا ريب في أن عددا من هؤلاء للهاجرين كان يعود إلى العراق أو الجزيرة، كما أنه كان يسقط في ميادين القتال عدد غير قليل إلا أن للصادر لم تذكر عددهم[8].

---

(1) ــ الطبري. **تاريخ**. ج4 / 137.

(2) ــ المصدر نفسه. ج4 /ص 144.

(3) ــ المصدر نفسه.

(4) ــ المصدر نفسه. ج4 /ص 145.

(5) ــ **تاريخ الدولة العربية**. مرجع سابق، ص394.

(6) ــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص55.

(7) ــ السهمي. **تاريخ جرجان**. ج1 /ص 160.

(8) ــ صالح أحمد العلي. **امتداد العرب في صدر الإسلام**. ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة،1403هـ / 1983م.ص51.

وقد ذكر الرقم الإجمالي لعدد المقاتلين العرب في خراسان مرتين: الأولى: في زمن الربيع بن زياد الحارثي سنة 51هـ عندما نقل زهاء خمسين ألفا بعيالاتهم، والثانية: عند مقتل قتيبة بن مسلم عام 96هـ، حيث كان عددهم حوالي أربعين ألفا. وإذا افترضنا أن عائلة كل مقاتل مكونة من خمسة، فإن عدد العرب يكون حوالي ربع مليون ولا ريب في أن هذا العدد لا يشمل من لم يكن مسجّلا في الديوان، ممن كان عددهم قليلا ولكن دورهم كبيرا في الحياة الاقتصادية والفكرية[1].

وتظل هذه التقديرات والأرقام مجرد احتمالات يصعب قبولها أو رفضها ... لأن مسألة الأرقام في المصادر العربية عموما مسألة شائكة وبالغة الصعوبة، تتحكم فيها في الأعم الأغلب أهواء الرواة وانتماءات الإخباريين.

أما الاستقرار العربي في بلاد ما وراء النهر فيبدو أنه تمّ على عهد قتيبة بن مسلم الباهلي، ولكن يرجح أن يكون هناك استقرار في الفترة التي سبقته، إلا أن المصادر لا تسعفنا بالمعلومات.

ويبدو أن قتيبة أدرك أن الإسلام لن يستقر في تلك البلاد إلا بإسكان العنصر العربي فيها وتوطينه وإدماجه في الحياة الجديدة مع الأهالي العجم؛ لهذا عندما فتح مدينة بخارى للمرة الرابعة فكّر جديا في هذا الموضوع: "فقد أمر أهلها أن يدفعوا للخليفة كل سنة مائتي ألف درهم ولأمير خراسان عشرة آلاف درهم، وأن يعطى للمسلمين نصف الدور والضياع وعلف دواب العرب والحطب وما ينفق، وأن يدفع ذلك من خارج المدينة أيضا"[2].

وكان هذا الإجراء الحاسم ضروريا لمدينة عقدت الصلح مع المسلمين ثلاث مرات قبل ذلك ثم نقضه سكانها، فالأوجب والحالة هذه أن يحسم الموقف بإسكان جميع القبائل العربية، ويظهر الإسلام ويلزم أهلها بأحكام الشريعة؛ وذلك بإعلان شعائر الدين، وإبطال معالم الوثنية ورسوم المجوسية.

وقد أسكن قتيبة العرب في بخارى وقسّم المدينة "فمن حيث تدخل من باب العطارين إلى باب نون أعطاه لربيعة ومضر والباقي لأهل اليمن"[3]. ويشير (فامبري) إلى وقوع بعض الضواحي بيد

(1) ــ صالح أحمد العلي. **اعتناق العرب في صدر الإسلام**، مرجع سابق. ص52.

(2) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص84.

(3) ــ المصدر نفسه.

آخرين من العرب، وفي قسم منها كنيسة المسيحيين التي اتخذوا منها مسجدا لهم[1].

وأطلق العرب المستوطنون أسماء عربية على بعض أبواب المدينة "كباب بني سعد، باب بني أسد الذي كان يسمى يسمى في الجاهلية (درمهره) أي: باب الخرزة..."[2].

ويبدو أن بعضا من القبائل القرشية سكنت بخارى ونستدل على هذا من وجود مسجد باسم القرشي يقع على يمين الداخل إلى المدينة من الباب الجديد[3].

"وكانت بيوت العرب في الأغلب في أحصن المواقع في مدينة بخارى وأقوى الأبواب، وهو باب المجوس (دركبريه) لأنه إذا خرجت من الباب يكون الحصار [حصن المجوس] أمامك، وتعرف هذه المحلة باسم محلة "فغسادره" وقد صارت في أيام النرشخي مدافن، وللباب حزام طويل كبير طوله ستون قدما، وتحت ذلك الحزام بيوت كثيرة"[4].

كما تفيد مصادرنا التاريخية بأن التوافد العربي إلى بلاد ما وراء النهر امتد إلى فرغانة والشاش وسمرقند[5].

وقد حرض قتيبة العرب على فتح سمرقند حتى طلب السمرقنديون الصلح فوافق عليه، مقابل أن يأخذ منهم رهائن، ويدخل سمرقند فيبني مسجدا. وقد قيل:إن قتيبة لما دخل المدينة رفض أن يخرج منها وأنه بذلك غدر بأهل سمرقند[6].

ومن خبر هذه الحادثة أن أهل سمرقند لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وسمعوا بعدله وأخذه للظالم. ذهب إليه وفد منهم يشتكون إليه غدر قتيبة لهم، فكتب عمر إلى سليمان بن أبي السري ـــ وهو مولى من العجم ـــ أن ينظر في أمر هذه الشكوى قائلا له:

"إن أهل سمرقند شكوا إليّ ظلما أصابهم، وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا

---

(1) ـــ أرمينوس فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 69.

(2) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص85، 86.

(3) ـــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 196.

(4) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص86.

(5) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج4 / ص21.

(6) ـــ انظر: المصدر نفسه . ج4 / ص16.

وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة. قال: فأجلس لهم سليمان جميع بن حاضر القاضي الناجي، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة، فقال أهل الصغد بل نرضى بما كان ولا نجدّد حربا، وتراضوا بذلك. فقال أهل الرأي منهم: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر، وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة، فتركوا الأمر على ما كان، ورضوا ولم ينازعوا"[1].

ويدل هذا النص على مدى الانسجام والتوافق وحسن المعاملة التي يبديها العرب مع أهل سمرقند، ولم يدخر العرب أي جهد في دعوة أهالي بلاد ما وراء النهر إلى الإسلام إلى أن تحوّلت أعداد كثيرة منهم إلى الدين الجديد على عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99هـ ـــ 101هـ)، والخليفة هشام بن عبد الملك (105هـ ـــ 125هـ)[2]، ولكن أكثرهم ظل على ديانته الوثنية حتى عهد الخليفة العباسي المعتصم بن الرشيد (218هـ ـــ 227هـ)، حيث أخذ الإسلام ينتشر بينهم بعد أن انضموا إلى جند هذا الخليفة[3].

(1) ـــ المصدر نفسه. ج4 /ص 69، قدامة. **الخراج**. ص408 ـــ 409.

(2) ـــ أرنولد توماس. **الدعوة إلى الإسلام**. ط3، ترجمة حسن إبراهيم حسن. وعبد المجيد عابدين، القاهرة: لجنة التأليف والنشر، 1970م. ص185.

(3) ـــ المرجع نفسه. ص 186.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في إقليم المشرق وأثرها على الحياة العلمية

1 ــ ظاهرة الدويلات المستقلة في العالم الإسلامي:
(قوة الأطراف وتضاؤل المركز)

2 ــ الدولة الطاهرية

3 ــ الدولة السامانية

4 ــ الدولة الغزنوية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1. ظاهرة الدويلات المستقلة في العالم الإسلامي (قوة الأطراف وتضاؤل المركز)

لما كان وجود الدويلات المستقلة في المشرق يرتبط ارتباطا وثيقا بالأوضاع السائدة في العراق مركز الدولة العباسية فلا يتسنى فهم الحركات الانفصالية إلا إذا فهمنا أوضاع الدولة العباسية حتى أواسط القرن الثالث الهجري، لنتبين الأسباب الحقيقية التي كانت وراء تفكك الدولة العظمى وتجاذب أطرافها من قبل أجناس وأعراق مختلفة.

لقد وحّدت رابطة الدين بكل ما تمثله من مظاهر شعوب الأمة الواحدة،المحرّرين والفاتحين العرب، فكوّنوا حضارة إسلامية مزدهرة مترفة، ثم انشغلوا عن عامل توحدهم وهو " العقيدة " إلى مظاهر الثراء المادي والمجد والرفاه، والتنازع من أجل كسب أكبر قدر من السيطرة على مقدرات الدولة ومواردها، مما جعل الظروف المالية للدولة الإسلامية منذ بداية القرن الثالث الهجري تصاب بالانهيار بسبب الحروب الأهلية الطاحنة التي دارت بين جيش الأمين وأخيه المأمون بالإضافة إلى الحروب الخارجية والفتن الأهلية وإدخال عنصر جديد في الجيش هو العنصر التركي.

وقد أحكم الأتراك قبضتهم على مركز الدولة، وأضعفوا هيبتها، وخفّفوا من ضغطها على القوى الغير الإسلامية والمتمثلة في الدولة البيزنطية.

وإذا كان استخدام العباسيين للأتراك قد بدأ في عهد المأمون وفي حرسه الخاص، وإذا كان تواجدهم في هيكل الجيش قد تعاظم في عهد المعتصم، فهؤلاء الخلفاء بالإضافة إلى كونهم سياسيين محنكين كانوا قوّادا عسكريين أيضا، مما مكنهم من كبح جماح الجند الأتراك والإبقاء على قوتهم في إطار الحدود الممكن التحكم فيها، ولقد بدأت مؤسسة الخلافة تفقد قدرتها على السيطرة على الجند الأتراك بصورة تدريجية بداية من وفاة المعتصم، وكان استفحال أمرهم التام مع المتوكل حيث نجحوا في قتله، وكان هذا إيذانا بتزايد تدخلهم في شؤون الخلافة حتى أضحى الخليفة دمية مشدودة إلى أيديهم هم يحركونها كيف شاءوا، هذا فضلا عن قيامهم باختيار شخص الخليفة الذي أضحى بقاؤه في منصبه أو فقدانه له مرهونا بمدى قدرته على الامتثال لهم[1].

---

(1) ــ حسن إبراهيم حسن. **تاريخ الإسلام**. ط14، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1996م، ج2/ص156 ــ 160. محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. القاهرة: عالم الكتب (د.ت)، ص12.

ولما استأثر الجند الأتراك من دون الخلفاء العباسيين بأمور الحكم وتحكموا في شئون الدولة ساءت الأحوال الاقتصادية، واضطربت الأوضاع السياسية، وعمد الأتراك إلى استنزاف موارد الدولة للحصول على أرزاقهم دون الاعتناء بضرورة تعويض هذه الموارد، فأهملت شئون الزراعة والري والسدود، وأدى سوء الأحوال الاقتصادية إلى انفجار الثورات ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي مثل ثورة الزنج، وهي ثورة عمال الأراضي الزراعية في العراق، والتي نجحت في الاستيلاء على مناطق كبيرة منه، واستمرت حوالي أربعة عشر عاما، وكذا حركة القرامطة التي روعت البشر من سواد العراق إلى الشام إلى البحرين إلى مكة هذا بالإضافة إلى تفشي جرائم السرقة وقطع الطريق مما انعكس على عدم استقرار الحالة الأمنية وأثّر بالتالي على ندفق التجارة، فكان ارتفاع الأسعار لنقص المحاصيل الزراعية وتقلص تدفق التجارة، حتى أن بعض جماعات الشطار والعيارين الذين كانوا يسرقون من الموسرين ليعطوا الفقراء والمحتاجين[1].

إن هذه الأوضاع مجتمعة أثّرت سلبا على قدرة الدولة في بغداد على التحكم فيها ومواجهة تداعياتها.. إلا أن ذلك لم يحدث بسبب النوعية الرديئة لنماذج الخلفاء مع مطلع العصر العباسي الثاني، الذين صاروا فيه أضحوكة الزمان، وألعوبة في يد الأغراب فحسب.. بل إن قصورهم أصبحت عصبة أمم لما تضم من جواري وسراري من مختلف الأجناس (رومية، شركسية، تركية...) "مما أدى إلى كثرة الأبناء المطالبين بالسلطة مع عدم وجود قانون يحدد وراثة العرش وينظمها، فأدى إلى الفتن الأهلية ومؤامرات البلاط، وتدخل الحرم من أجل عزل خليفة ورفع آخر مكانه، ففُقد الاستقرار والاستمرارية التي كانت المبرر الرئيسي للالتجاء إلى تغليب نظام الوراثة على مبدأ الشورى"[2].

وكان من الطبيعي في ظل ضعف المركز أن تنمو النزعات الاستقلالية ليس فقط في الأقطار النائية كما كان الحال في العصر العباسي الأول، بل وفي الأقطار القريبة من المركز أيضا، فبعد أن شهد العصر العباسي الأول خروج المغرب الإسلامي من قبضة الدولة العباسية فإن العصر العباسي الثاني شهد تفكك المشرق ذاته منذ منتصف القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي،

(1) ـ علا عبد العزيز أبو زيد. **الدولة العباسية من التخلي عن سياسة الفتح إلى السقوط**، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: 1996م، ص64.

(2) ـ فاروق عمر فوزي. **الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية**. ط2، بغداد: مكتبة المثنى، 1977م، ص216.

فظهر الصفاريون بعد الطاهريين في خراسان عام (254هـ)، وظهر السامانيون في بخارى قبلهم عام (250هـ)، وظهر الطولونيون في مصر علم (254هـ)، ثم بعدهم الإخشيديون عام (323هـ)، وظهر الزيديون في اليمن قبل ذلك عام (246هـ)، والحمدانيون بعد ذلك في الموصل وحلب عام (317هـ)، حتى وصل الأمر في سنة (247هـ) إلى مقتل المتوكل وتقلص نفوذ العباسيين واقتصاره على العراق والجزيرة[1].

إن الأوضاع المتردية التي آلت إليها الخلافة العباسية ـــ والتي سبق ذكرها ـــ كانت قمينة بأن تنخر جسم الأمة الواحدة، وتجعل الجسد المتماسك تتناثر أشلاؤه، لا لشيء إلا لأن الجسم اعتورته أدواء وعلل تمثلت في:

1 ـــ تخلّي الدولة الإسلامية عن أداء واجبها تجاه الجماعة في تحقيق الشهود الإيماني في حراسة الدين وسياسة الدنيا به.

2 ـــ لما كان الرباط العقيدي يمنح المسلم حق الانتماء إلى كل من الدولة والأمة والجماعة انتماءا عقيديا فإن هذا المعنى كاد يغيض عندما شعر العرب بأنهم أعلى مقاما، وأقوم مسلكا، وأشرف نسبا، من جميع الأرومات المختلفة، الأمر الذي هيّج الشعوبية الكامنة، وبعثها من مرقدها، وجعل مصالح الأمة تضيع بين تطرفين: التطرف القومي العربي والتطرف الأعجمي الشعوبي.

3 ـــ غياب مبدأ الشورى في الأمة جعل أصنافا من الخلفاء من ذوي الهمم الهابطة، والكفاءات المعدومة، والمواهب المحنطة، تتولى شؤون دولة عظمى مترامية الأطراف، متباينة الأعراق، وهذا لعمري يجعل النزعة إلى الانفصال والاستقلال ترجح على النزعة إلى تركيز السلطة والإبقاء على الوحدة.

ومهما يكن من أمر فإن ظاهرة الاستقلال عن الدولة المركزية في مراحلها الأولى لم تكن بالمظهر الكارثي بمقاييس السياسة والدين.

فبمقياس السياسة يمكن اعتبار أن الدول المستقلة في المشرق والمغرب نابت عن المركز الخلافي في حمل عبء الجهاد ضد أطماع الأطراف الدولية الأخرى، وأحبطت خططهم لاستغلال ظرف انحلال مركز الخلافة العباسية في المشرق، بل واستطاعت في المغرب الإسلامي أن تستكمل دور الفتح والمد الإسلامي في الأراضي غير الإسلامية والذي كان قد بدأ في العصر

(1) ـــ علا عبد العزيز أبو زيد. **الدولة العباسية**..مرجع سابق، ص65.

العباسي الأول، وسيتضاعف هذا الدور الإيجابي للمغرب الإسلامي على الساحة الدولية بقيام الدولة الفاطمية الفتية لتعوض بشباها هرم الدولة العباسية وعجزها. وهذا دليل ما كانت تنطوي عليه الأمة الإسلامية من حيوية، وما تملكه من رؤية مشتركة للمسير والمصير، واستطاعت أن تمتص الصدمة إلى حد كبير، وتحويلها إلى حركة إيجابية في مجالات العقيدة والسياسة والحضارة.

أما من الناحية الدينية فقد رأينا الفقهاء حينما وجدوا ـــ في ضوء ما أثبتت لهم التجارب العملية ـــ أن وحدة الإمامة تكون في كثير من العصور متعذرة، فقد أفتوا بأنه يجوز تعددها عند اتساع المدى وتباعد الأقطار، والذي تبرهن عليه حقائق التاريخ أن تعدد الإمامة قد يكون ـــ في بعض الأحوال أو العصور ـــ أدعى إلى اقتدار الأمة على إصلاح حالها وتدبير شئونها، وإلى مضاعفة قواها، بازدياد قوات الوحدات التي تتألف منها، بينما تكون وحدة الحكومة أو الإدارة ـــ مع اختلاف طبائع وحاجات الأقطار والشعوب ـــ مؤدية إلى عكس هذه الأمور، فينتج عنها الإهمال، أو الاضطراب، أو الاستغلال.

والذي يجب إذا أجيز التعدد ـــ بحسب ما تمليه مصالح الشعوب ـــ هو أن تتحقق الوحدة في الأهداف والغايات. ومن أهم تلك الأهداف هي أن تقف الأمة كلها صفا واحدا أمام الأعداء، فهذا هو الذي يقتضيه واجب حمايتها. والوحدة في هذه الغاية هي الحكمة التي روعيت عندما أوجبت الآيات والأحاديث على المسلمين أن يكونوا في كل وقت متحدين. فيجب أن تتحقق الوحدة بين الشعوب الإسلامية ـــ إذا كان لابد أن تتعدد حكوماتها في مسائل الدفاع، وما يتصل به من شؤون الحرب والقتال، كما ينبغي أن تتحقق الوحدة أيضا في السياسات الخارجية[1].

وفي هذا دليل مرونة العقلية التشريعية في الإسلام،فاختلاف أشكال الحكم لا يهم مع وحدة المرجعية.

ولا شك أن هذه الدول المنفصلة استطاعت ولمدة طويلة أن تتصدى للخطر في الداخل والخارج، ونجحت في مدّ توسع دار الإسلام، وجعلت حواضر الثقافة الإسلامية تتعدد بعدما كانت مقصورة على العاصمة بغداد، وراح المستقلون يتنافسون في تلميع عواصمهم، وجعلها

(1)-محمد ضياء الدين الريس. **النظريات السياسية الإسلامية**. ط7، القاهرة: مكتبة دار التراث، (د.ت)، ص246-247.

مقصد أهل العلم وطلابه،مما منح فرصة جديدة لصيرورة الحضارة الإسلامية.

وفي هذا المعنى يقول بارتولد: "ونظرا لأن كل أمير قد جهد في أن يجعل من عاصمته مركزا للثقافة والحضارة فقد اجتذبوا إليهم الشعراء والأدباء وأهل العلم حتى أنه ليمكن القول بأن انحلال الإمبراطورية الإسلامية قد أعان على ازدهار العلوم والآداب"[1].

ولو أن تمزقا كهذا الذي شهده العالم الإسلامي في تاريخه المبكر أصاب أمة من الأمم لقادها إلى الموت الزؤام، والفناء الأكيد. ولكنه إذ جاء وللمسلمون يملكون دوافع الصيرورة وقيم البقاء بقوة العقيدة وبأهدافها المشتركة، فإنه حقق نتائج طيبة أغنت معطيات الوحدة وثوابتها في تاريخ المسلمين، فالتشكيلات السياسية التي انشقت عن الدولة الأم في طول العالم الإسلامي وعرضه كانت تعبر عن خصائصها الذاتية وتؤكد ذاتها، ولكنها تنضوي كلها تحت إطار الأسس والثوابت الإسلامية.

إلا أن ما يؤسف له هو أن الروح الاستقلالية لم تقف عند حدّ النزوع إلى البناء والتكامل، وسدّ الثغور، وتعدد الحواضر، والتنافس على المساهمة الحضارية، بل تحولت إلى نوع من العداء المستحكم بين الأطراف، والتقاتل الدائم بين الأمراء، والتعاون المستمر مع الأعداء، والتصارع على مناطق النفوذ في الشام ومصر وفارس وسجستان وخراسان وما وراء النهر، وظلّ هذا الداء يسري في كيان الدولة حتى بعد صعود نجم القوة الإسلامية الصاعد وهم "السلاجقة" الذين كانوا أملا لتجدد شباب الأمة. إلا أن عوامل الضعف سرعان ما دبت إلى الكيان الجديد، فاجتاحت الهجمة الصليبية المشرق الإسلامي وكونت دويلات مسيحية في قلب العالم الإسلامي، وهادن الفاطميون الصليبيين بل وتحالفوا معهم في بعض الأحيان لإفشال الهجمات السلجوقية التي كاد بعضها أن يكون نقاط تحول تدمر الحملات الصليبية إذا ما قُدر لها النجاح، ولكن النجاح الممكن يتحول إلى فشل أكيد بسبب خيانة "المسلمين".

وكلفت هذه الأخطاء الجسام المسلمين مواجهات شرسة دامت قرابة قرنين من الزمان، كما تنبهوا على وقع سنابك خيل التتار تدك المعاقل والحصون قادمة كالسيل الجارف من ناحية الشرق لتصل إلى قلب العالم الإسلامي وجسده لا يزال مثخنا بالجراح لطول عراك مع الصليبيين فترنحت الدولة التي كانت سيدة الدول في البر والبحر، وسقطت عاصمتها الشامخة وأصبحت معالم حضارتها الزاهرة أثرا بعد عين !!.

وظلّ الوضع قائما طيلة قرون، مما مهّد الطريق واسعا أمام القوى المتربصة، وأوقع العالم الإسلامي بين فكي كماشة؛ الصليبيون المتربصون في الغرب والتتار الزاحفون من الشرق.

(1) ــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق، ص68.

2. الدولة الطاهرية (205هـ. 259هـ)

2 ــ 1 ــ ظهور الطاهريين:

تنتسب الدولة الطاهرية إلى "طاهر بن الحسين"[1] الذي نشأ في عائلة كافحت بجانب العباسيين وشاركت في توطيد سلطانهم، واستقرار أوضاعهم، ونجاح دعوتهم وخاصة في إقليم المشرق. وبعد أن نشبت الحرب الأهلية بين الأمين وأخيه المأمون لعب طاهر بن الحسين وولده طلحة دورا بارزا في هذا الصراع وبذل جهودا كبيرة في ترجيح كفة المأمون على أخيه الأمين، وقد كافأه المأمون على صنيعه بأن عينه واليا على إقليم الجزيرة وأسند إليه رئاسة الشرطة ببغداد، كما عين أفراد أسرته في مناصب كبيرة في الدولة العباسية، إلا أن طاهرا لم ترضه المكافأة وظل يتطلع للحصول على ولاية خراسان إلى أن عيّنه المأمون عليها واليا رغم ما أبداه من مخاوف في بادئ الأمر من هذا التعيين، حيث قال لوزيره أحمد بن أبي خالد الذي توسّط لطاهر عند المأمون: "إنّي أخاف أن يغدر ويخلع ويفارق الطاعة"[2].

ويبدو أن المأمون استهدف من تعيين طاهر على خراسان القضاء على حركات التمرد والعصيان في ذلك الإقليم؛ نظرا لما كان يعهده فيه من مقدرة وكفاءة[3].

---

(1) ــ هو طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق بن ماهان، وقيل ابن أسعد، الخزاعي بالولاء، فقد كان جده "زريق" مولى لطلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي المعروف بطلحة الطلحات ... وهو فارسي الأصل. ولد سنة 159هـ في بوشنج إحدى مدن هراة حيث كان جده مصعب واليا عليها من قبل العباسيين. لقب "بذي اليمينين" لمهارته في استعمال كلتا يديه وكان أعور يرى بعين واحدة. وفي ذلك يقول الشاعر:

يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة

وقيل: إنه سمي ذا اليمينين "لأن المأمون كتب إليه لما فرغ من أمر المخلوع: يا أبا الطيب يمينك يمين أمير المؤمنين، وشمالك يمين فبايع بيمينك يمين أمير المؤمنين، ففعل فلزمه هذا الاسم". انظر: أبو منصور الثعالبي النيسابوري. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف (د. ت). ص 292.

انظر: ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص205، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2 / ص520، المسعودي. **التنبيه والإشراف**. بغداد: مكتبة المثنى (د. ت). ص 300.

(2)- ابن الطقطقي. **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**. بيروت:دار بيروت للطباعة والنشر،1980م،ص224.

(3) ــ للمزيد من المعلومات في هذا الموضوع، انظر: قحطان بن عبد الستار الحديثي. **الطاهريون** ــ كلية الآداب، جامعة بغداد، 1966م،(رسالة ماجستير).

اتخذ طاهر بن الحسين نيسابور عاصمة لدولته وبدأ يوطد حكمه في خراسان وللمشرق. ويبدو أن شكوك الخليفة كانت في محلها فلم تمض سنتان على حكمه حتى أعلن طاهر سنة(207هـ) إسقاط اسم الخليفة من الخطبة، وهذه علامة التمرد على السلطة المركزية في بغداد.

والواقع أن إقليم خراسان يغري بالتمرد والانفصال، لبعد أراضيه عن عاصمة الخلافة، وكثرة موارده الاقتصادية، وشراسة أهله في القتال، إلا أن طاهرا أساء التقدير هذه المرة فقد بادره المأمون وبمساعدة وزيره ابن أبي خالد وقتله قبل أن يستفحل أمره[1]، سنة (207هـ).

عهد المأمون بولاية خراسان من بعد طاهر بن الحسين إلى ولده طلحة بن طاهر سنة (207هـ). ويرى بعض الباحثين أن المأمون اضطر إلى أن يظل حكم خراسان في عقب طاهر؛ نظرا لما كان يتمتع به الطاهريون في هذا الإقليم من نفوذ واسع، أو لعله أراد أن يبعد الشكوك التي حامت حوله بسبب موت طاهر المفاجئ[2].

استمر حكم طلحة لخراسان إلى أن توفي سنة 213هـ وظل وفيا للمأمون، تربطه به روابط حسنة، وبذل خلال ولايته جهودا معتبرة في تتبع الخوارج وإخماد ثوراتهم، كما أعلن ولاءه للعباسيين مؤكدا على ذكر اسم الخليفة في الخطبة والشارات والسكة ومرسلا الربع السنوي المخصص لبيت المال في بغداد، والذي كان يقدر زمن الطاهريين بحوالي 38 مليون درهم سنويا[3].

بعد وفاة طلحة أسند المأمون ولاية خراسان إلى عبد الله بن طاهر الذي عرفت خراسان في عهده عصر القوة والازدهار بالنسبة للطاهريين فقد كان يتمتع بقابليات كبيرة، كما أنه كان ذكيا محافظا على علاقات جيدة مع العباسيين فقد جرّبه المأمون قبل هذا التاريخ حين عينه واليا على مصر ثم واليا على بلاد الشام والجزيرة الفراتية، وتشير رواياتنا التاريخية إلى اتباعه نهج الإصلاح والسهر على الأمن، وقد دسّ له المأمون من يمتحن طاعته فكان موقفه يدل على كياسة وولاء للخليفة[4].

ومنذ ولاية عبد الله بن طاهر على خراسان أصبح الحكم في بني طاهر وراثيا، كما أصبح اسم الولاة يذكر في الخطبة ويطبع في السكة إلى جانب اسم الخليفة، كما امتد سلطان بني

(1) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص163.

(2) ــ جمال الدين الشيال. **تاريخ الدولة العباسية**. ص67، عبد العزيز الدوري. **العصر العباسي الأول**. بغداد: مطبعة التفيض الأهلية، 1945م، ص217.

(3) ــ فاروق عمر فوزي. **تاريخ إيران**. بغداد: منشورات بيت الحكمة، 1989م. ص118.

(4) ــ فاروق عمر فوزي. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 118.

طاهر إلى مناطق أخرى غير خراسان مثل: الري وكرمان وبعض أقاليم بحر قزوين وبلاد ما وراء النهر، فأرسل عماله، وجبى أموالها واستقر حكمه بها[1].

اهتم عبد الله في بداية حكمه بمشكلة الخوارج الذين ظهروا بقرى نيسابور، وقد كثر عبثهم بها وغلبتهم عليها[2]. فقاتلهم وتمكن من كسرهم وقمع حركتهم[3]، كما أرسل قوة كبيرة إلى سجستان، فالتقت معهم في معارك دامية كان الظفر فيها لعبد الله حتى استطاع من تفريقهم وإزالة خطرهم، ثم رجع إلى نيسابور في رجب سنة (215هـ)[4]. بل إن خدماته الجليلة للدولة العباسية امتدت حتى شملت مصر. فقد أخمد بها ثورات في أجزاء مختلفة منها. أزعجت الخلفاء العباسيين وأقضت مضاجعهم.. وقد وصف أحد علماء الحديث من أهل مصر الحالة السياسية التي كانت قد تردت فيها مصر قبيل دخول عبد الله بن طاهر فيقول:

"قدم علينا من قبل الشرق فتى حدث (يعني عبد الله بن طاهر) والدنيا عندنا مفتونة، قد غلب على كل ناحية من بلادنا غالب، والناس منهم في بلاء، فأصلح الدنيا وأمّن البرئ، وأخاف السقيم واستوثقت له الرعية بالطاعة"[5]. ويذكر ابن الأثير أنه لا يزال في مصر نوع من البطيخ يسمى "العبدلاوي" نسبة إليه[6].

وحينما ثار محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة (219هـ) بالطاقان. يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ[7] ويدعي الخلافة؛ تمكن عبد الله من القبض عليه وإرساله إلى الخليفة في بغداد والذي سجنه بسامراء[8]. وبالرغم من أن ابن خلكان

(1) ــ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص153 ــ 154.

(2) ــ الشابشتي. **الديارات**.تحقيق كوركيس عواد، ط2، بغداد، مكتبة المثنى، 1966م ص89، كرديزي. **زين الأخبار**. ص2، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2 / ص271.

(3) ــ انظر: الأصفهاني. **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ط3، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د، ت)، ص168.

(4) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2 / ص271.

(5) ــ المصدر نفسه. ج5 / ص174، محمد الخضري بك. **الدولة العباسية**. تحقيق الشيخ محمد العثماني. ط1، بيروت: دار القلم، 1986م. ص230.

(6) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص271.

(7) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص207، الأصفهاني. **مقاتل الطالبيين**. شرح وتحقيق، السيد أحمد صقر، ط2، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1987م، ص464، ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص231.

(8) ــ اليعقوبي. **تاريخ**. ج2 / ص471، الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص270، ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص232.

يذكر أن طاهر بن الحسين كان من الشيعة ومن محبي آل البيت[1]، إلا أن الظروف العسكرية والسياسية اضطرت الطاهريين إلى مداراة هذا الشعور وعدم إظهاره، وتغليب الولاء التام للخلافة العباسية. كما شارك الطاهريون في إسناد الخلافة العباسية ضد حركة بابك الخرمي وما حدث في أعقابها وتمرد اصبهبذ طبرستان المازيار بن قارن[2] الذي كان يتذمر من الحكم العربي الإسلامي ويحوك مؤامرة بالتعاون مع الأفشين قائد المعتصم الذي كانت له هو الآخر طموحات انفصالية في خراسان والمشرق. وانتهى الأمر بهزيمة المازيار والقبض عليه وإرساله إلى المعتصم، حيث قتل وصلب في سامراء سنة 225هـ[3]. وإن إخماد ثورة المازيار لدليل على فشل الحركات السياسية التي تتمثل فيها الشعور القومي الإيراني حينما تتخذ الآراء الفارسية القديمة شعارا لحركاتها[4].

ولم تقتصر خدمات عبد الله بن طاهر على قمع الحركات المناوئة للعباسيين فحسب بل أرسل عبد الله بن طاهر ولده طاهر على رأس الجيوش لغزو بلاد الغوزية وفتح مواضع لم يصلها أحد من قبله[5].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الطاهريين وهم يخدمون الخلافة العباسية في القضاء على الاضطرابات في أنحاء مملكتها إنما كانوا في الوقت نفسه يخدمون مصالحهم الأساسية؛ لأنهم حكام خراسان. ومصالحهم متطابقة مع مصالح العباسيين فيها. إلا أنهم حققوا مطامعهم بعيدا عن الزندقة وعدم الاهتمام بالدين مما قد يحرج الخلافة، ويمكن اعتبار الطاهريين رعاة السلطة العربية، ومصدر قوتها المخلصة، يطيعون أوامرها وينفذونها بأمانة وإخلاص[6].

بل إن الخلافة العباسية ساعدت الطاهريين في حركتهم الثقافية؛حيث كانت تسمح لهم

(1) ـــ **وفيات الأعيان**. ج2 / ص203

(2) ـــ المازيار بن قارن: هو من سلالة بني قارن سلاطين طبرستان، وقد اتهم بالزندقة، وكان قد أثار الفلاحين على ملاك الأراضي.المسعودي.**مروج الذهب ومعادن الجوهر**.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت:دار المعرفة،(دت). ج4/ص61.

(3) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص261، ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص259.

(4) ـــ الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق، ص136.

(5) ـــ البلاذري. **فتوح البلدان**. ص431.

(6) - Siddiqi dr.Amir Hasan. **Caliphate And Sultanate In Medieval Persia (The Caliphate And Tahirids)** TheVoice Of Islam Februry ,Karatchi-Pakistan-1963,p242.

باستيراد العلماء والأدباء من بغداد وغيرها إلى خراسان لتنشيط حركة الفكر العربي فيها[1].

بقي عبد الله بن طاهر على حكم خراسان وبلاد المشرق طوال عهد المأمون والمعتصم، وصدر أيام الواثق إلى أن مات في يوم الأربعاء 10 من ربيع الآخر سنة (230هـ)[2]. وقد أكثر الشعراء في مراثيه، وأحسن ما قيل فيه وفي أبيه طاهر قول أبي الغمر الطبري:

فأيامك الأعياد صارت مآتما ... وساعاتك الصعبات صارت خواشعا
على أننا لم نعتقدك بطاهر ... وإن كان خطبا يقلق القلب راتعا
وما كنت إلا الشمس غابت وأطلعت ... على إثرها بدرا على الناس طالعا
وما كنت إلا الطود زال مكانه ... وأثبت في مثواه ركنا مدافعا
فلولا التقى قلنا تناسختما معا ... بديعي معان يفضلان البدائعا

2 ــ 2ــ سقوط الطاهريين:

بعد وفاة عبد الله بن طاهر، أسند الخليفة الواثق ولاية خراسان إلى ابنه طاهر[3]، الذي ظل ولاؤه وثيقا بالخلافة العباسية، يحفظ ثغورها الشرقية، وينكل بأعدائها، ويتتبع المناوئين لها إلى أن توفي سنة 248هـ بعد حكم لخراسان دام ثمانية عشر عاما.

ثم أوكل الخليفة العباسي المستعين بالله (248هـ ــ 251هـ) محمد بن طاهر على خراسان[4]. وقد خاب ظن الخليفة فيه وذلك لميله إلى العبث واللهو والمجون عاجزا عن صد الثورات التي قامت ضده[5]. وخاصة صد قوة الصفاريين الجديدة التي برزت في سجستان وكرمان. كما استطاع يعقوب بن الليث الصفار[6] في سنة (257هـ) أن يتقدم إلى بوشنج ويستولي عليها،

(1) ــ الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق، ص170.

(2) ــ الأصفهاني. **تاريخ سني**. ص168.

(3) ــ اليعقوبي. **تاريخ**. ج2/ص480، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 10، ابن الأثير. **الكامل**. ج5/ص271.

(4) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج5 /ص311.

5) ــ الكرديزي. **زين الأخبار**. ص11، عصام عبد الرؤوف الفقي. **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق**. القاهرة: دار الفكر العربي، (د. ت). ص8.

(6) ــ يعقوب بن الليث الصفار:ولد يعقوب بن الليث في قرية صغيرة تسمى "قرنين" قرب عاصمة سجستان "زرنج" وكان يعمل عند أحد الصفاريين بأجرة شهرية قدرها 15 درهما، أما أخوه عمرو فكان نجارا مرة وبناء مرة أخرى، ثم انخرط الأخوان في صفوف أحد الفرق المتطوعة لقتال الخوارج، تحت قيادة صالح بن النظر الكناني، واستطاع يعقوب أن يصل إلى مركز القيادة بقوته وحنكته. وبعد موت صالح آلت قيادة المتطوعة إلى درهم بن الحسين الذي لم يثبت جدارة

.../...

وقبض على الحسين بن طاهر عامل محمد بن طاهر عليها، فأرسل إليه محمد بن طاهر يسأله إطلاق سراحه، فلم يلب طلبه، وأبقاه في الأسر[1]. وفي نفس العام قام الحسن بن زيد صاحب طبرستان بالزحف على جرجان، فلم يقدر محمد بن طاهر على دفعه وعجز عن محاربته[2].

وأصبح محمد بن طاهر بين قوتين كبيرتين لا طاقة له على إخضاعهما، الحسن بن زيد[3] في طبرستان، ويعقوب بن الليث في سجستان، وكانت الظروف السياسية للخلافة في وضع لا يسمح لها بالتدخل حيث انشغلت الخلافة بحرب الزنج في جنوب العراق[4]. ولهذا ترك محمد بن طاهر وحيدا بين تلك القوى الطموحة[5].

ولما تحقق يعقوب بن الليث الصفارّ من ضعف محمد بن طاهر تقدم سنة (259هـ) إلى

تذكر فاختار المتطوعة يعقوب الصفار، الذي كان ذا تجربة عسكرية وقدرة على التنظيم، إضافة إلى اتصافه بالخشونة في العيش والتواضع مع أتباعه، ودخل الصفاريون بزعامة يعقوب مرحلة القوة حين سيطروا على هراة، وبوشنج، وكرمان، وفارس، ثم بلخ، وطخارستان، حتى تمكن من دخول نيسابور عاصمة الطاهريين، ودامت الدولة الصفارية من سنة 254هـ إلى سنة 289هـ. انظر: ابن خلكان. **وفيات الأعيان**ج6/ص402، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص12. حيدر علي. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. القاهرة: عالم الكتب، (د. ت)، ص57..

Armagani.the Saffarids.Astduy In I ranian Nationalisme.I.c.o.pp,168-173

(1) ـ محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. مرجع سابق، ص48.

(2) ـ ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص363.

(3) ـ الحسن بن زيد: هو أحد أبرز رجال الدعوة العلوية المعارضة للحكم العباسي، جعل الري مركزا له، ثم انتقل بعد ذلك إلى طبرستان وأعلن مناوءته للطاهريين وبويع لها سنة 250هـ على كتاب الله وسنة رسوله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمكن من طرد الأمير الطاهري عن طبرستان، وأسس الدولة الطبرية، فشملت طبرستان، والديلم، والري، وقزوين، وزنجان، وقومس، وجرجان، إلى أن توفي سنة 270هـ، وتولى بعده أخوه محمد وتلقب بالداعي إلى الحق. انظر: الرفاعي. **الخلافة العباسية**..، مرجع سابق، ص134 ـ 136.

(4) ـ كان الزنج يجلبون بأعداد كبيرة من سواحل إفريقيا الشرقية وأواسطها، حيث كانوا يستخدمون في أعمال زراعية مختلفة أهمها كسح السباخ وهو الطبقة الملحية التي تغطي سطح الأرض الزراعية ليصلحوها ويحولوها إلى تربة صالحة للزراعة. وكان في أنهار البصرة منهم عشرات ألوف يعذبون بهذه الخدمة، إذ كان وكلاء الملاك يسومونهم كافة أنواع العسف والإهانة. بل كانوا يجمعونهم في سلاسل حتى لا يتهاربون.. ولم تكن تدفع لهم أجورهم مقابل أعمالهم الشاقة كما تقضي أحكام الشريعة الإسلامية السمحاء. انظر: أحمد علي. **ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد**. بيروت: 1961م، ص75 فما بعدها، حسن إبراهيم حسن. **تاريخ الإسلام**. ج3/ ص216، بروكلمان. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1984م، مرجع سابق،ص215.

(5) ـ الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق، ص154.

نيسابور (العاصمة) وبها ابن طاهر فاستولى عليها، وقبض على محمد بن طاهر وعلى جميع أهل بيته وحملهم أسرى إلى سجستان، وظل سجينا بها إلى أن حمله يعقوب معه إلى بغداد مقيدا سنة 265هـ، وذلك في خطوة منه لمحاربة الخليفة[1]. وكأنه يريد للناس أن يعتبروا بمحمد، ولكن الخلافة أظهرت التعاطف مع الطاهريين وحاولت قدر استطاعتها أن تدافع عنهم، فتمكنت من تخليص محمد بن طاهر من أسر الصفار سنة (262هـ). وردّ له الخليفة عمله بخراسان كوال عليها. إلاّ أنّ محمد رفض الولاية من جديد، وآثر البقاء في حاضرة الخلافة وأناب عنه رافع بن هرثمة على خراسان، ولما ولي الخلافة المعتمد عزل رافع وأعاد عمرو بن الليث الصفار إلى ولاية خراسان، ولم يكتف بذلك بل طلب من الخليفة ولاية ما وراء النهر وكانت تحت إمرة إسماعيل بن أحمد الساماني، فرفض إسماعيل تسليمها له وحاربه وأسره، وشتت شمل جيشه في موقعة "إصطربند"، وكانت هذه الموقعة من المواقع الحاسمة، فقد كانت عاملا هاما في سقوط الدولة الصفارية وقيام الدولة السامانية على أنقاضها سنة (287هـ)[2].

(1) ـ أبو الفدا. **المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفدا** ء. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، ج2 / ص49، ابن الوردي. **تتمة المختصر في أخبار البشر**، تحقيق رفعت البدراوي، بيروت:دار المعرفة، (د، ت)،ج1 / ص358، ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص368 ـ 369.

(2) ـ بعد سقوط الصفاريين تمكن بنو خلف، وهم من أبناء "بانو" بنت عمرو بن الليث من إقامة دولة في سجستان سنة 320هـ عرفت لدى المؤرخين "بالدولة الصفارية الثانية" ولكننا نميل إلى تسميتها "بدولة بني خلف" وقد استمرت حتى استولى عليها الغزنويون سنة 399هـ. محمد عبد الحميد الرفاعي. **الخلافة العباسية والحركات الإستقلالية في المشرق**. ط1، القاهرة: دار الثقافة العربية، 1997م. ص149، ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص95، الشابشتي. **الديارات**. ص83، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص21.

3 ــ الدولة السامانية (261هـ ـ 389هـ)

إن ضياع التاريخ الكبير من تاريخ آسيا الوسطى وإيران لم يسمح لنا إلا بمعرفة القليل من تاريخ الدويلات الطاهرية، والصفارية، والسامانية، وذلك لأن المؤرخين البغداديين لم يتحدثوا عنها إلا بالقدر الذي يخدم تاريخ العراق أو المناطق القريبة من إيران.وإن كان تاريخ الدولة السامانية على وجه الخصوص كان أكثر حضورا؛ لاستقرار هذه الدولة إلى أواخر القرن الرابع في عاصمتها بخارى[1].

3 ــ 1 .قيام الدولة السامانية:

بعد أن تمكن إسماعيل بن أحمد السامانى من إنهاء النفوذ الصّفاري عن خراسان سنة (287هـ)، أقام السامانيون دولتهم التي استمرت مائة وثمانية وعشرين عاما من سنة (261هـ ــ 389هـ). مما يدل على قوتهم وصلابة معدنهم.

ويكاد يجمع المؤرخون على أن السامانيين ينتسبون إلى جدهم الأعلى "سامان خداة" وهو نبيل فارسي انحدر من "بهرام جوبين"[2] أحد ملوك الدولة الساسانية، وأصله من بلخ، يدين بالديانة الزرداشتية، وفي خلافة هشام بن عبد الملك وفد "سامان" على أسد بن عبد الله القسري والي خراسان، فأرسله أسد، وقهر أعداءه، وأعاد إليه بلخ، فاعتنق "سامان" الإسلام على يديه وسمى ابنه أسدا تبركا به[3].

وكانت الاضطرابات وهجمات المغيرين المتكررة من الأتراك والدهاقين على خراسان وخصوصا "بلخ" هي التي ألجأت سامان إلى الفرار والاحتماء بأسد بن عبد الله القسري الذي كان يقصده المضطهدون من العرب أو الفرس على حد سواء[4]، وفي مقابل ذلك قدم سامان خدمات كبيرة للعباسيين أيام دعوتهم، حيث تعاون مع أبي مسلم الخراساني في نشر الدعوة العباسية في الأقاليم الشرقية، ثم أصبح ولده أسد فيما بعد من أعوان علي بن عيسى بن هامان عامل هارون الرشيد على إقليم خراسان[5].

---

(1) - Claude Cahen LIslam Des Origines Au Debut DE L Empire Ottoman ,Hachettc Livre,france,1995,P280.

(2) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص3، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص21، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص91، محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق**. مرجع سابق. ص77.

(3) ــ كرديزي. **زين الأخبار**. ص22، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص91.

(4) ــ انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص91، حيدر. المرجع السابق. ص82.

(5) ــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج5 / ص141.

وكان لأسد بن سامان أربعة أبناء هم: نوح وأحمد ويحي وإلياس، وقد ساروا على نهج أبيهم في نصرة العباسيين، وتعضيد ملكهم، وتجلّى ذلك في إخمادهم ثورة رافع بن الليث ابن نصر بن سيار في سمرقند سنة (194هـ)، وذلك بعقد هدنة معه زمن الرشيد وفي عهد المأمون لعب هؤلاء الإخوة الأنجاب دورا مهما في الصلح بين المأمون وبين رافع بن الليث[1].

ومكافأة لهم على صنيعهم وتقديرا لإخلاصهم أمر المأمون واليه على خراسان غسان بن عباد أن يولي الأبناء الأربعة على ولايات إقليم ما وراء النهر، ففي سنة (204هـ) عين نوحا على سمرقند، وأحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش وأشروسنة، وإلياس على هراة، ولما تولى طاهر بن الحسين إقليم خراسان أقرّهم على أعمالهم[2]. ويذكر ابن خلكان في ثنايا إحدى تراجمه بأن نوح بن أسد السامانى كان عاملا على بخارى للخليفة المأمون، وبأنه كان قد أرسل إليه سنة (200هـ)، هدية شملت عددا من الرقيق[3]. وعندما تولى الخلافة المعتمد على الله وصل إلى نصر بن أحمد السامانى سنة (261هـ) منشور باسمه يقرّ فيه الخليفة السامانيين على مناصبهم، ويؤكد النظام الوراثي لحكمهم فيما وراء النهر[4].

وظل السامانيون يتمتعون بنفوذ كبير في مناطقهم، ويشدون أزر الطاهريين في صراعهم مع الصفاريين[5].

وفي سنة (259هـ). أسقط الصفاريون حكم الطاهريين، وباتت بلاد ما وراء النهر مهدّدة من قبلهم، فأرسل نصر بن أحمد السامانى جيشا لحماية شواطئ نهر جيحون، لكن الجند تركوا مهمتهم وشغبوا على قائدهم، وانطلقوا إلى بخارى، فأشاعوا فيها الفوضى، مما جعل الفرصة مواتية لمتغلب من خوارزم أسرع إلى المدينة واستولى عليها، وسرعان ما قتل فخلفه رجل آخر

---

(1) ــ أحمد شلبي. **موسوعة التاريخ الإسلامي**. ط5، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1990م، ج8 / ص70.

(2) ــ ابن خلدون. **التاريخ**. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، 1986م، ج3 / ص311، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص22، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص112، ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص3.

(3) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1 / ص173.

(4) ــ انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص112، حاشع المعاضيدي. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق والمغرب**، ط1، بغداد: جامعة بغداد، 1979م.. مرجع سابق. ص 36.

(5) ــ انظر: أحمد إبراهيم الشريف، حسن أحمد محمود. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، (د، ت)، ص466.

يدعى الحسين بن محمد الخوارجي، فأقام الخطبة في بخارى باسم يعقوب الصفار[1].

واستنجدت بخارى بنصر السامانى. فأرسل إليها أخاه إسماعيل، وجعله واليا عليها. فتمكن إسماعيل من إقرار الأمن بها وإقامة الخطبة فيها باسم الأمير نصر. وكان ذلك سنة (260هـ)[2]. ومع أن الوالي إسماعيل استطاع أن يضم أملاك بخار خداة[3] الشاسعة إلا أنه كغيره من السامانيين، لم يستطع تطبيق النظام على جميع الناس في كل المناطق؛ لأن حكمهم هذا اصطدم بوجود أسر كبيرة وعريقة في المناطق، وهذه الأسر كانت تحتفظ لنفسها بالحكم المحلي من إظهار الطاعة للسامانيين، وكانوا يقدمون لهم الهدايا، أما الخراج فلم تكن تلك الأسر تدفعه[4] بحكم تسلطها على مقاليد الحكم في البلاد ومن هذه الأسر المحلية: أسرة أبي داود في بلخ، وآل فريغون في جوزجان، والترك في بست وغيرهم، بل إن الصاغانيان ظلت تحت حكم أمرائها إلى ما بعد سقوط السامانيين[5].

وواضح أن أحوال الرعية قد تحسنت في زمن السامانيين لاستتباب الأمن وازدهار التجارة والصناعة. وهذا مما ساعد على استمرار الدولة السامانية أكثر من قرن وربع القرن من الزمان.

وفي سنة (261هـ) ـــ وهو التاريخ الذي يعتبر بدءا لقيام الدولة السامانية ـــ قدرت الخلافة العباسية للسامانيين إخلاصهم وجهودهم في الحفاظ على الحدود الشرقية واعترفت بنصر السامانى واليا على ما وراء النهر من نهر جيحون إلى أقصى ما يصل إليه شرقا. وجعلت إقليم ما وراء النهر منفصلا عن خراسان[6]. ويبدو أن الخلاف حول السلطة دب بين الأخوين نصر وإسماعيل إلى درجة نشوب الحرب بينهما انتهت بانتصار إسماعيل بن أحمد[7] غير أن دور نصر لم يتوقف، ويبدو أن علو همته، وقسوة شخصيته، وحسن تدبيره قدأكسبه سمعة طيبة في دار الخلافة، ففي سنة (271هـ). صدر أمر الأمير الموفق بالله طلحة[8] بعزل عمرو بن الليث الصفار عن ولاية خراسان وجعلها خالصة

(1) ـــ انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص113 ـــ 115، ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص4.

(2) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص115، فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص95.

(3) ـــ بخار خداة: ملك بخارى.

(4) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص275، وانظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص124.

(5) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص124.

(6) ـــ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص502، فامبري. **تاريخ بخارى**.مرجع سابق، ص95.

(7) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص121.

(8) ـــ الموفق بالله (طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد) ـــ أخو المعتمد على الله أحمد الخليفة العباسي الخامس عشر (256هـ ـــ 279هـ) كان يدير أمور أخيه و لم يعتل منصب الخلافة لوفاته مبكرا.

لأبي عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي، فاستخلف عليها رافع بن هرثمة "ما خلا أعمال بلاد ما وراء النهر، فإن الموفق بالله أقر عليها نصر بن أحمد بن أسد الساماني خليفة لمحمد بن طاهر"[1].

وهكذا فقد ورثت الأسرة السامانية التقاليد الطاهرية في الحفاظ على علاقات ودية مع بغداد في الأعم الأغلب، والتعاون مع الخلافة على حفظ الأمن في الأقاليم الشرقية. والدفاع عن الثغر الشرقي، وبسبب العوامل البشرية والجغرافية والحضارية فقد جمع بلاط السامانيين وإدارتهم العناصر الثلاثة التي كونت المشرق الإسلامي فكان على العموم عربيا في ثقافته وحضارته فارسيا في تقاليده ومراسيمه تركيا في جنده ومؤسساته العسكرية[2].

3 ــ 2 ــ عصر القوة والازدهار:

في سنة (279 هـ). توفي الأمير نصر بن أحمد بعدما أرسى قواعد دولة، وأوجد نظام حكم، واجتاز بالأسرة السامانية محنة التأسيس والبناء.. وخلفه أخوه إسماعيل في إمارته، ووصله تفويض الخلافة بذلك سنة(280هـ).

ويعد عهد إسماعيل بن أحمد الذي دام أكثر من 16 سنة عصر القوة السامانية ذلك لأن إسماعيل الساماني (279 هـ ــ 295 هـ). ضمّ إلى نفوذه ولاية أشروسنة ثم تبعها بضم خراسان له.

وبذل إسماعيل جهودا كبيرة في الحفاظ على أمن المناطق الشرقية التي عرفت اضطرابات وقلاقل بسبب بعدها عن مركز الخلافة العباسية.

وتمكن إسماعيل من القضاء على عصابات اللصوص، وقطاع الطرق، الذين تجمعوا حول بخارى يريدون الهجوم عليها. وأمر صاحب شرطته حسين بن العلاء بمحاربتهم، وأعاد الفلاحين إلى مزارعهم، وحفظ لهم حقوقهم، وساعده أهل بخارى وأعيانها إلى أن سحق اللصوص وانتصر عليهم وأسر رئيسهم. فعمرت البلاد، وازدادت ثرواتها، كما نجح في دحر قوات طاهر بن الحسين التي عبرت نهر جيحون لمهاجمة بخارى، وأنزل بها هزيمة ساحقة، فأثبت بذلك مقدرته العسكرية فزاد تعلق الجند به والتفافهم حوله[3].

---

(1) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج6 / ص424.

(2) ــ فاروق عمر فوزي. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص134. عبد العزيز الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**. بغداد: مطبعة السريان، 1945م، ص124 ــ 125.

(3) ــ انظرالنرشخي: **تاريخ بخارى**. ص 117، المعاضيدي. **تاريخ الدويلات**. مرجع سابق. ص 37.

وكان لإسماعيل دور بارز في رفع راية الجهاد ضد الأتراك البدو في تركستان الشرقية، فأوغل في بلادهم، حتى مدينة "طراز" الواقعة شمال طشقند. من بلاد الترك، وكان أهلها على المسيحية فنزلوا على الصلح ودخلوا في الإسلام[1].

وقد عرف الترك الإسلام عن طريق مجاورتهم للسامانيين، فدخل كثير من قبائلهم في الإسلام بصورة جماعية طواعية واقتناعا دون أن يغزوهم أحد، وظهر ذلك في سنة 349 هـ حيث أسلم منهم نحو مائة ألف خركاه[2] (أي خيمة تضم أسرة)، ويذكر بارتولد أن هذه الجماعة هي التي أسست الدولة القراخانية وهي أول دولة تركية إسلامية، وكان زعيمهم آنذاك هو ستوق بغراخان[3].

على أننا لابد أن نذكر بأن الخلافة العباسية على عهد المعتضد لم تكن بعد مطمئنة من نوايا ومخططات إسماعيل الساماني، كما أنها لا تريد له أن يقوى لدرجة كبيرة بحيث تسوّل له نفسه تهديدها كما فعل يعقوب الصفار؛ولهذا كله فرغم أن المعتضد[4] العباسي أقرّ إسماعيل الساماني على بلاد ما وراء النهر إلا أنه كان يحث عمرا الصفار على الاصطدام به وعدم السماح له بضم خراسان[5]. ويذكر النرشخي أن إسماعيل بن أحمد تسلم كتابا من عمرو بن الليث يدعوه إلى طاعته ويعده بالوعود الحسنة، ويشعره بأنه أحد أمرائه الذين يشاركونه في الحكم باعتباره الحاكم الحقيقي لإقليم خراسان[6]. وقد حاول إسماعيل الساماني في بداية الأمر تحاشي الاصطدام مع عمرو الصفار فكتب إليه: "إنك وليت دنيا عريضة وإنما في يدي ما وراء النهر وأنا في ثغر فاقنع بما في يدك واتركني في هذا الثغر"[7]. ولكن عمرا بن الليث رفض فكان

---

(1) ــ الرفاعي. **الخلافة العباسية**. مرجع سابق. ص 155.

(2) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص358.

(3)-بارتولد (**Barthold**). دائرة المعارف الإسلامية. ج4/ص24. **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**.مرجع سابق. ص 89ــ90.

(4) ــ المعتضد بالله: أحمد بن موفق بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، الخليفة العباسي السادس عشر، ولد سنة 243هـ، وتولى الخلافة سنة 279هـ، وتوفي سنة 289هـ.

(5) ــ فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 134. حيدر. **الدويلات الإسلامية**. مرجع سابق. ص 112.

(6) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 124.

(7) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص632، ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص95، ابن كثير. **البداية والنهاية**، بيروت: مكتبة المعارف، (د، ت). ج11 / ص80 ــ 81.

جواب إسماعيل أن "سأحارب عمرا بن الليث بهذا الجيش"[1]. وهكذا فرضت الظروف السياسية وإرادتها للصدام بين القوتين السامانية والصفارية عام (287هـ). خرج فيها إسماعيل بن أحمد منتصرا في معركته الكبيرة قرب بلخ والتي انتهت بأسر الصفار وهزيمة جنده[2]. وقد امتدح الخليفة المعتضد بالله موقف إسماعيل بن أحمد، بعد أن بلغته أنباء القتال الذي دار بين الطرفين والنتائج التي تمخض عنها[3]. وأرسل إسماعيل عمرا إلى الخليفة حيث سجن ومات أو صقل في السجن سنة (289 هـ)[4].

وبذلك تمكن السامانيون من إسقاط الإمارة الصفارية وإنهاء حكمها في خراسان إلا أن نفوذها بقي في سجستان وللتخلص منه أرسل الخليفة المعتضد سنة (288 هـ) إلى إسماعيل السامانى مبلغا من المال قدره (ثلاثة ملايين درهم) وطلب منه أن "يجهز جيشا إلى سجستان لحرب من بها من أصحاب طاهر بن محمد بن عمر"[5].

كما اشتبك إسماعيل السامانى مع أمير طبرستان محمد بن زيد العلوي الذي أبدى طمعه في الاستيلاء على خراسان بعد أسر عمرو بن الليث الصفار فنهاه إسماعيل وترك له جرجان على ألا يتقدم نحو خراسان، ولما أبى إلا العداء. ندب إسماعيل قائده محمد بن هارون، فحاربه وقضى عليه وأسر ابنه يزيد وأرسله إلى إسماعيل واستولى على طبرستان.وكان ذلك سنة (289هـ)[6].

ولم يكتف إسماعيل بذلك. بل ضمّ الري وقزوين وزنجان[7] إلى حوزته، وبذلك أمن حدود بلاده من ناحية الغرب[8]. ولكن محمد بن هارون استقرّ في طبرستان وأعلن عصيانه على

---

(1) ــ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج5/ص604، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص66، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 125. الخضري بك. **الدولة العباسية**. ص352.

(2) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص635، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 127، والنرشخي يرى أن ذلك تم سنة 288 هـ، الحديثي. **خراسان في العهد السامانى**. مرجع سابق. ص 147.

(3) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص632، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص81.

(4) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6 /ص 96.

(5) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص637. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج6/ص432.

(6) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص96 ــ 97.

(7) ــ زنجان: بلد مشهور من نواحي الجبال. وهي قرية من أعمر وقزوين وبينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 / ص171.

(8) ــ المصدر نفسه. ج6 / ص104، 107، الكرديزي. **زين الأخبار**. مرجع سابق. ص 23.

إسماعيل الساماني، ثم انطلق إلى الري وخلص أهلها من حاكمهم المستبد، واستفحل أمر محمد بن هارون فأوكل الخليفة المكتفي[1] أمر القضاء عليه إلى الأمير إسماعيل الساماني،فتوجه إليه وقبض عليه، وأودعه السجن، فلم يدم سجنه شهرين حتى مات فيه[2].

ونظرا لكون السامانيين سنة على مذهب أبي حنيفة[3]. فإن الصراع مع العلويين اتخذ شكلا عنيفا. استطاع خلاله السامانيون أن يثبتوا سيادتهم السياسية والدينية، ويخدمون توجه الخلافة في بغداد أيضا، وذلك باحتواء الحركات المناوئة في أقاليم الري وكرمان والجبال والديلم، أمثال الساجلية[4] والزيارية[5] ثم البويهية[6].

وهكذا يتبين أن سلطان السامانيين في أوجه امتد على خراسان وماوراء النهر. وجرجان وطبرستان وقومس والري وقزوين وزنجان وسجستان وكرمان وفارس وغزنة وقوهستان إلا أنّ الحديث عن النشاط العلمي عند السامانيين سوف يقتصر على إقليمي خراسان وما وراء النهر؛ لأن سلطان السامانيين استمرّ فيها بلا انقطاع حتى انهيار دولتهم.

وقد أجمع المؤرخون على ابنعاث نهضة إسلامية كبرى من مدارس ماوراء النهر خصوصا من بخارى وسمرقند زمن السامانيين، وساعد على ذلك مستوى الرخاء ومظاهر الثروة واستتباب الأمن وتشجيع التجارة والزراعة والصناعة[7].

ويبدو أن الأمير إسماعيل بن أحمد، كان يتوقع أن يرد الأتراك الدبالمة عليه، ويهجمون على دولته، في أعقاب انتصاراته المتكررة عليهم، ولذلك فإنه بادر إلى اتخاذ إجراء وقائي ضد مثل هذا الإحتمال، إذ أنه قام بقيادة جيوشه فأوغل في أراضيهم وقام بأعمال تخريب واسعة لمعابرها وطرقها ومرافقها،

---

(1) ــ الخليفة المكتفي: هو علي المكتفي بن المعتضد بن أبي أحمد بن المتوكل، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد بعهد منه وذلك في 22 ربيع الآخر سنة289هـ. ولم يزل خليفة إلى أن توفي في 12 ذي القعدة سنة 295هـ. انظر: الطبري. **تاريخ**. ج5/ص670، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص104.

(2) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص97، النرشخي.**تاريخ بخارى**. ص 132، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 23ــ24، فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 103.

(3) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 339، الدوري. **دراسات...** ص 123.

(4) ــ الساجلية: نسبة إلى فاتك غلام يوسف بن أبي الساج الذي خرج عن الخليفة في بلاد فارس.

(5) ــ الزيارية: نسبة إلى مرداويج بن زيار الديلمي مؤسس الدولة الزيارية في طبرستان.

(6) ــ انظر: فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 135.

(7)- انظر:حسن أحمد محمود.**الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي**،القاهرة:دار الفكر العربي(دت)،ص144.

كما احتوى كل ما مرّ به من الأموال قبل أن يعود إلى مقر حكمه. وكان ذلك عام (293 هـ)[1].

وفي عام (295 هـ)، توفي الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني، والدولة السامانية في أوج قوتها واستقرارها. فله الفضل الكبير في توطيد الحكم، والقضاء على الفتن والاضطرابات، فكسب حب الناس واحترامهم وتأييدهم؛ لأنه كان حسن السيرة عاقلا عادلا، مكرما للعلماء لقب (بالأمير الماضي). كما أطلق عليه في بعض أنحاء إيران اسم (الملك)، لأعماله الجليلة التي قام بها،و ظل مطيعا للخليفة مقرا بالطاعة له[2].

وبعد وفاة إسماعيل بعث الخليفة المكتفي بعهد الولاية إلى ابنه أبي نصر أحمد بن إسماعيل الساماني، الذي كان واليا على جرجان من قبل والي الري وطبرستان بارس الكبير[3].

ورغم أن الأمير أحمد بن إسماعيل أراد أن يسير وفق سياسة والده في الإدارة غير أنه لم يكن في قوة شخصيته وشدة إرادته وذكائه[4]. فقد كان محبا للعلم وراعيا للعلماء محبا للغة العربية. لذلك أكرم عمال الدولة المتقنين لها. مما أثار عليه سخط حراسه، فقتلوه غيلة عام (301 هـ)، وسمي بالأمير الشهيد[5].

وبموت الأمير أحمد بن إسماعيل حصل اختلاف شديد بين أمراء البيت الساماني حول السلطة وجرى ترشيح كل من الأمير نصر بن أحمد بن اسماعيل، وعم أبيه إسحاق بن أحمد، وكتب كل منهما إلى الخليفة المقتدر بالله[6] مؤملا الحصول على اعتراف الخلافة بإمارته[7]. كما وقعت الحرب بين الطرفين وكان من نتائجها انتصار الأمير نصر بن أحمد، ولكن على حساب قوة الدولة وتلاحمها[8].

ولقب الأمير نصر فيما بعد بالسعيد[9] وكان إذ ذاك حدثا في العاشرة من عمره، وحين دخل

---

(1) ــ ابن كثير. ج 11 / ص101، حسام الدين السامرائي. **مسودات كتاب تاريخ الأمة**. مشروع مؤسسة الإيمان، جدة: المملكة العربية السعودية، ص 64.

(2) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 129 ــ 130.

(3) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / 669، ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / 118، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 131.

(4) ــ انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 131.

(5) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 /ص 677، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 131، ابن الأثير.**الكامل**. ج6 / ص144.

(6) ــ المقتدر بالله: هو جعفر بن المعتضد بالله، ولد سنة 282 هـ، وبويع له بالخلافة سنة 295 هـ.

(7) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص677.

(8) ــ المصدر نفسه. ج5 / ص677 ــ 678.

(9) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص145.

عليه أعيان بخارى لتهنئته تملكه الرعب وصرخ في وجههم ظنا منه أنهم جاءوا ليقتلوه كما قتلوا أباه من قبل. ومازالوا به حتى هدأوا من روعه وخصت السنوات الأولى من حكمه تحت الوصاية. وكان لوزيره أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني فضل كبير في تدبير شؤون الدولة وحسن تسييرها.

وكان تألق عهد نصر بن أحمد في الواقع أقرب إلى ومضات لهب يخبو أكثر منه إلى ضوء ثابت مستقر، فهو برغم امتلاكه التام لكل بلاد جده إسماعيل، وقضائه على ثورة عم أبيه إسحاق بن أحمد الذي استقرّ بسمرقند، وثورة ابنه أبي صالح منصور بن إسحق الساماني الذي استولى على نيسابور، وبعض مدن خراسان[1]. وإضافته لأراضي جديدة إليها، فإنه لم يبلغ بحكمه الطويل إلى تقوية الدولة السامانية واستقرارها[2].

استمر حكم نصر بن أحمد ثمانية وعشرين عاما، وتوفي سنة (331 هـ)[3]، فاجتمع قادة الجيش وأولي الأمر وبايعوا ابنه نوحا على الإمارة، وأجمع الناس على ذلك لما يعرفونه عنه من سيرة حسنة وأخلاق حميدة. وقد كان حليما وكريما ولذلك لقبه الناس (بالحميد)[4].

ولكن الأمور لم تستقر في عهد نوح، بل استمرت الاضطرابات وتعددت الفتن والمحن وظل الأمر كذلك حتى وفاته.

وبوفاته بدأت الدولة السامانية تعاني آلام الانهيار والضعف والهزال، وبدأت النماذج المشرفة للأمراء والحكام تغيب عن منصب القيادة. مما جعل الدولة مطمعا للطامعين وهدفا للمتربصين. وقد خاض السامانيون صراعا متعدد الجوانب مع البويهيين[5] من جهة والزياريين من جهة

(1) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**.. ص 133.

(2) ــ انظر: فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 113.

(3) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6 / ص292.

(4) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 134، ابن الأثير. ج6 / 292، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 28.

(5) ــ البويهيون: ينتسب البويهيون إلى بويه بن فناخسرو الملقب بأبي شجاع، وهو عميد أسرة فارسية عاشت في بلاد الديلم التي تقع إلى جنوب غرب إقليم جيلان الذي يفصل بينها وبين بحر قزوين، فقد اشتهرت هذه البلاد في التاريخ بكونها موطن بني بويه أي الديالمة، وكان لأبي شجاع بويه ثلاثة من الأبناء هم: علي والحسن وأحمد، وبسبب الأحوال المعيشية التي تفرضها طبيعة البلاد عليهم، فقد عملوا مثل معظم الديلم كجند المرتزقة لتأمين معيشتهم، فالتحقوا بإحدى القيادات التابعة للديلم، الصاعدة في ذلك الوقت وهو ماكان بن كالي.

وقد حصلوا بسبب بلائهم الحسن وشجاعتهم على رتب الأمراء، غير أنهم سرعان ما انحازوا إلى صف القائد الديلمي

.../...

أخرى، ومما كان يزيد موقف السامانيين حرجا التأييد الذي كان يلقاه البويهيون في إيران من قبل الخلافة التي سيطر عليها معز الدولة البويهي حتى لم يبق للخليفة العباسي أي نفوذ سياسي يساند به حلفاءه من آل سامان[1].

يقول البيروني: "إن الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقي وأول أيام المستكفي من آل العباس إلى آل بويه، والذي بقي في أيدي العباسية، إنما هو أمر ديني اعتقادي لا ملكي دنياوي"[2].

لقد استطاع معز الدولة البويهي أن ينتزع الشرعية من الخليفة العباسي في حربه مع السامانيين والاستيلاء على خراسان. سنة (337 هـ). كما حصل عضد الدولة البويهي على مرسوم بولايته على كرمان وسجستان سنة (357 هـ). دون رغبة السامانيين[3]. ومن أشد الصعوبات التي واجهت حكم الأمير نوح غزو ركن الدولة البويهي لبلاد الري، واستيلائه عليها، ولم يلبث أبو علي بن محتاج ـ القائد السامانى ـ أن طرد الأمير البويهي من الري، على أن أبا علي نفسه انقلب على سادته السامانيين فطمع في إقليم خراسان، واستولى عليه، وأرسل إلى الخليفة العباسي يطلب تفويضا بولاية خراسان فأجيب طلبه، ودخل خراسان، واستولى على نيسابور وخطب للمطيع لأمر الله العباسي في سنة (343 هـ)، وهي السنة نفسها التي توفي فيها الأمير نوح بن نصر، وبهذا انحسر النفوذ السامانى مرة أخرى، فلم يعد يتجاوز بلاد ما وراء النهر[4].

مرداويج بن زيار، الذي نازع ماكان بن كالي السلطة، وتمرّد عليه، وقد قرّب مرداويج علي بن بويه وإخوته وجعلهم من خاصته. وبعد مقتل مرداويج سنة 323هـ سطع نجم البويهيين وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد فارس بأكملها بعد حروب طويلة، وسعوا إلى الاتصال بالخلافة العباسية والحصول على السند الشرعي لحكمهم، إلى أن تمكنوا من دخول بغداد سنة 334هـ وبذلك سيطروا على الخلافة العباسية حوالي قرن وربع. انظر: ابن الأثير: **الكامل**. ج6/ص230-231. الأربلي. **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**. وقف على طبعه وتصحيحه السيد حاسم، بغداد: مكتبة المثنى، (د، ت)، ص245، حسن منيمنة. **تاريخ الدولة البويهية**. (د، ط)، (د، م)، الدار الجامعية، 1987م، ص96-98.

(1) ـ الحديثي. **خراسان في العهد السامانى**. مرجع سابق. ص 154.

(2) ـ **الآثار الباقية**. ص 132.

(3) ـ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / 27.

(4) ـ عصام عبد الرؤوف الفقي. **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق**. القاهرة: دار الفكر العربي (د. ت). ص18.

3 ــ 3 ـ انهيار الدولة وأهم أسبابه:

في عهد الأمير منصور بن نوح بدأ الضعف يدب في جسم الدولة السامانية حيث تطلع البويهيون للاستيلاء على أملاك الدولة السامانية، ففي سنة (352 هـ) أقام القائد ألبتكين[1] إمارة في غزنة مستغلا ضعف الدولة وحالة الفوضى التي تسود البلاد، وكان ألبتكين هذا مملوكا تركيا ارتقى في مناصب الدولة حتى نال الوزارة بعد أن ولي نيسابور، ثم تطلع إلى الاستقلال عن الدولة السامانية، وأعلن عن قيام إمارته في غزنة في عهد الأمير منصور بن نوح الذي اضطر إلى الاعتراف بحكمه على أن يؤدي له ضريبة سنوية مقدارها خمسون ألف دينار[2]. كما انتهت حروب منصور مع ركن الدولة البويهي إلى نفس النتيجة التي انتهت إليها مع ألبتكين، فقد عقد الصلح بينهما، على أن يحمل ركن الدولة وولده عضد الدولة إلى منصور مائة وخمسون ألف دينار، ثم تصاهر البيتان بتزويج منصور الساماني بابنة عضد الدولة، وحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يعد ولا يحصى، وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق وذلك سنة (361 هـ)[3].

ولعل من أهم أسباب سقوط السامانيين تعرض البيت الساماني لعدة صراعات وفتن داخلية بين أفراده، مما أدى إلى نشوب الحرب بينهم. وقد انتهى أمر السامانيين إلى ما انتهى إليه أمر العباسيين من الاعتماد على الأتراك في إمداد جيوشهم بالعناصر الجديدة، وأصبح من السهل على الأتراك أن يتدرجوا في المراتب العليا للجيش الساماني وفي دواوين الإدارة، وقد استفحل خطر الأتراك وأصبح من المتعذر التخلص منهم، وخاصة عندما وصلوا إلى أكبر منصب عسكري في الدولة السامانية، وهو "صاحب جيش خراسان" ومنهم ابن سيمجور، وابن محتاج، وألبتكين، وفائق، وبكتوزون[4].

كما أن كثرة الصراع بين القادة الأتراك سببت في اضطراب أحوال البلاد، وازدياد نفوذ

---

(1) ــ ألبتكين: كلمة مركبة من "الب" بمعنى البطل و"تكين" بمعنى المسمى، والكلمة الأخيرة وصحتها تكن، أو تكن أوتين لا تزال تروج كاسم علم بين التركمان. انظر: هامش (2) عند فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 117.

(2) ــ فامبري. المرجع السابق. ص 117.

(3)ـانظر:ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ص48، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 51، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص272.

(4) ــ انظر: الرفاعي. **الخلافة العباسية**. مرجع سابق. ص 156 ــ 157، الشريف. **العالم الإسلامي**.. مرجع سابق. ص469. حسين أمين. **الدولة السامانية**. مجلة المورخ العربي،العراق، العدد الخامس عشر، 1980م، ص15ــ16.

الأرستقراطية العسكرية، وهذا النفوذ أدى إلى زيادة الشغب في مختلف أنحاء الدولة. فتحت حكم عبد الملك بن نوح بن نصر الساماني[1] استطاع قائد حرسه ألبتكين أن يستولي على مقاليد الحكم ويجمع أملاكا لا حصر لها[2].

وقد ظل الأمراء السامانيون يعانون من خيانات قادتهم، وتواطئهم مع أعداء الدولة والخارجين عليها وليس أدلّ على ذلك من تمرد أبي علي بن سيمجور ضد الأمير نوح بن منصور، وكتابته إلى بغراخان التركي يدعوه إلى قصد بخارى ويطمعه فيها، على أن يكون ملك ماوراء النهر لبغراخان وخراسان لأبي علي[3].

وكان ابن سيمجور ـــ كما يقول ا بن الأثير ـــ: "أول الوهن الذي دخل على الدولة السامانية[4]، وقد تعاظم نفوذه، ولقب نفسه: "أمير الأمراء المؤيد من السماء"، وكانت له خطبة المنابر على نوح[5]. وقد حاول الأمير نوح أن يستميل ابن سيمجور ويستنصره بالمعونة ضد بغراخان الذي اتجه بجيوشه نحو بخارى، فلم يجبه أبو علي و لم ينفذ أوامره بل ازداد طمعا في الاستيلاء على خراسان، [6] وهكذا وجد بغراخان الفرصة المواتية للاستيلاء على بخارى حاضرة الدولة السامانية سنة (383هـ). فاضطر الأمير نوح إلى الهرب إلى مدينة آمل[7].

ورغم تدهور أحوال السامانيين فإن بغراخان استولى على غنائم كثيرة في بخارى، ونزل بقصرها العظيم جوى موليان المشهور[8]، ثم وضع الأمير عبد العزيز بن نوح بن نصر على ولاية خراسان[9].

ويفسر الدكتور الحديثي ذلك بقوله: "وهذا يدل على أن احتلال بخارى لم يكن أكثر من رغبة

---

(1) ـــ ترك نوح بن نصر بعد وفاته سنة 342 هـ خمسة أولاد هم: عبد الملك، ومنصور، ونصر، وأحمد،وعبدالعزيز.

(2) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص150، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص45.

(3) ـــ أبو نصر العتبي. **التاريخ اليميني**. ج10 / 120، كرديزي. **زين الأخبار**. ص58، ابن الأثير. **الكامل**. ج161/7.

(4) ـــ **الكامل**. ج7 / 160.

(5) ـــ العتبي. **التاريخ**. ج10 / 115، كرديزي. **زين الأخبار**. ص58.

(6) ـــ انظر: كرديزي. **زين الأخبار**. ص58، ابن الأثير. **الكامل**. ج161/7.

(7) ـــ كرديزي. **زين الأخبار**. ص58، ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / 161، ابن خلدون. **التاريخ**. بيروت: دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، 1986م. ج8 / 768.

(8) ـــ قصر جوى موليان: بناه الأمير إسماعيل، ولا يبعد كثيرا عن القلعة والريكستان والتي تعتبر من خيرة بقاع بخارى. انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص49، بارتولد. **تركستان**. ص 396.

(9) ـــ كرديزي. **زين الأخبار**. ص 58، البيهقي. **تاريخ**. ص 214.

شخصية خالية من الأطماع السياسية بقصد اختبار بغراخان قوته أو لوضع حد لسيطرة الأمراء الأتراك والقواد العسكريين على دفة السلطة في بخارى"[1]. ويبدو أنه كان يحترم العائلة السامانية ويقدر أمراءها، مع ما كان يتصف به من التدين وحب الخير والعدل والسيرة الحسنة[2].

ولكن الأمير لم يستسلم وعاود الكرة لقتال الترك، واستعادة حاضرة الدولة بخارى، فاستنجد بابن سيمجور فلم ينجده، وفي تلك الأثناء مرض بغراخان في بخارى فعزم العودة إلى بلاده، وثار الأهالي ببخارى وعاونهم الترك الغزية، وتوفي بغراخان وهو في طريقه إلى بالاساغون[3]، فعاد نوح بن منصور وأصحابه إلى حاضرة ملكه[4].

وبعد أن استتب الأمن في بخارى قرّر الأمير نوح وضع حدٍّ لتمرد أعدائه في المنطقة أمثال أبي علي بن سيمجور، وفائق الخاصة[5]، فتطلع إلى الغزنويين باعتبارهم القوة الوحيدة التي تستطيع أن تقدم له العون والمساعدة، فاتصل بسبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية، وكان آنذاك يحكم المنطقة الواقعة بين غزنة وضفاف السند، فاستجاب له سبكتكين دون تردد، وتوجه صوب نهر جيحون على رأس جيش كبير ضم مائتين من الفيلة. وحين التقى بالأمير نوح بن منصور بادر سبكتكين بالنزول عن دابته إجلالا واحتراما له، وكان يرافق سبكتكين ولده محمود فساروا جميعا لحرب أبي علي وحليفه فائق الخاصة، فالتقوا بسهل هراة سنة (384هـ)، وأنزلوا بهما هزيمة منكرة تقهقر على إثرها إلى نيسابور، ومنها إلى جرجان، واستولى نوح على نيسابور، وعهد بحكمها إلى محمود بن سبكتكين كما جعله قائدا لجيوش خراسان ولقبه بسيف الدولة، كما لقب أباه سبكتكين بناصر الدولة وعاد إلى بخارى في حين عاد سبكتكين إلى هراة وأقام محمود بنيسابور[6].

---

(1) ـــ **خراسان في العهد السامانى**. مرجع سابق. ص119.

(2) ـــ انظر: العتبي. **التاريخ**. ج10 / 126.

(3)–بالاساغون:وتسمى أيضا (يدي صو) أي:سبعة أنهار، إلى الشرق من خوارزم. بارتولد.**تاريخ الترك**.مرجع سابق.ص94.

(4) ـــ أبو الفضل البيهقي. **تاريخ البيهقي**. ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، بيروت: دار النهضة العربية، 1982م، ص214، ابن الأثير. **الكامل**. ج161/7.

(5) ـــ هو أبو الحسن فائق بن عبد الله الأندلسي الرومي الخاصة، وإنما قيل له الخاصة لاختصاصه بالسلطان الأمير السديد أبي صالح منصور بن نوح مولى أمير المؤمنين والي خراسان، فإنه رباه وكان مختصا به أيام حياة أبيه الأمير الحميد نوح بن نصر. انظر: السمعاني. **الأنساب**. ج2 / ص 309.

(6) ـــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ص164، فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص121، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص142، الكرديزي. **زين الأخبار**. ص59.

وتوفي الأمير الرضي نوح في رجب من سنة (387هـ)، وتعتبر وفاته بداية النهاية للحكم السامانى في خراسان وماوراء النهر، فطمع فيهم أصحاب الأطراف، ثم زال ملكهم بعد مدة قصيرة[1].

وتولى أبو الحارث منصور بن نوح مقاليد الحكم وبايعه الأمراء والقادة، وسائر الناس، وأرسل "القادر بالله أبو العباس أحمد بن اسحاق بن المقتدر ...عهد خراسان إلى أبي الحارث"[2]. وكان رجلا حديث السن فتولى وزيره أبو المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي تسيير أموره وتوجيهه، حين عُين بكتوزون على قيادة جيش خراسان[3]. ومن أهم ما حدث في عهده استيلاء أيلك خان على سمرقند وبخارى، وقد فشل الأمير منصور في ردّه على أعقابه[4].

كان محمود بن سبكتكين حينئذ مشغولا بمحاربة أخيه إسماعيل الذي استولى على تركات أبيه وتولى ولاية غزنة فقهره وهزم جيشه واستولى على غزنة، في حين قام فائق الخاصة مع بكتوزون بخلع منصور بن نوح سنة 389هـ ونفياه إلى سرخس، وأجلسا على العرش أخاه عبد الملك بن نوح[5]. وسمع محمود الغزنوي بما حدث لمنصور بن نوح، فاتجه نحو خراسان لتأديب العصاة، وكان فائق قد فرّ إلى بخارى، كما فرّ بكتوزون إلى نيسابور[6].

ولما رأى محمود الغزنوي أن الدولة السامانية لم تعد تنفع كدولة لها حضور قوي في خراسان وما وراء النهر طمع في الحلول محلها، فاستولى على خراسان وأقام الدعوة فيها للخليفة العباسي القادر بالله (381هـ ــ 442هـ)[7]. وبذلك يعلق العتبي بأن السلطان محمود: "ورث دولة آل سامان، وملك ديار خراسان"[8]، "ثم عين محمود أخاه نصرا قيادة جيوش خراسان وجعله بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانية، وسار هو إلى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك، واتفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته"[9]. كما بعث السلطان محمود كتابا

(1) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص184.
(2) ــ كرديزي. **زين الأخبار**. ص64.
(3) ــ المصدر نفسه، ابن الأثير. **الكامل**. ج7، ص184.
(4) ــ المصدر نفسه.
(5) ــ المصدر نفسه. ص65.
(6) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص196.
(7) ــ المصدر نفسه.
(8) ــ **التاريخ**. ج11 /ص 15.
(9) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص196.

إلى الخليفة يذكر فيه دوافع استيلائه على خراسان وإزالة ملك السامانية عنها، شارحا فيه الأوضاع السياسية والإدارية التي كانت تمر بها الإمارة وعلاقتهم بالخلافة العباسية[1].

ولم يقنع محمود بخراسان فتصدى للبويهيين، وانتزع منهم الري وبلاد الجبل واستولى على قزوين، كما تصدى للأتراك الشرقيين أصحاب أرسلان بن سلجوق، وكانوا يقطنون صحاري إقليم بخارى كما قبض على زعيمهم أرسلان ببلاد ما وراء النهر[2]. والحقيقة أنه لم يبق بأيدي السامانيين في هذه الفترة سوى ما وراء النهر، ذلك لأن الأمير عبد الملك بن نوح حاول إعادة خراسان إلا أنه أخفق في محاولته[3].

وفي ذي القعدة من سنة (389هـ) تقدم أيلك خان نصر بن علي القراخاني (ت403هـ)التركي واستولى على الشطر الثاني من الدولة وهو بلاد ماوراء النهر، وسار إلى بخارى، ونزل دار الإمارة بها[4].

يقول ابن الأثير: "فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلة عدده فاختفى، ونزل أيلك الخان دار الإمارة وبث الطلب والعيون على عبد الملك حتى ظفر به فأودعه بافكند فمات بها، وكان آخر ملوك السامانية وانقضت دولتهم على يده كأن لم تغن بالأمس، كدأب الدول قبلها، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.."[5].

وهكذا انقرضت الدولة السامانية التي ظلت تحكم آسيا الوسطى قرابة مائة وخمسة وأربعين عاما حافظت فيها على أوامر الدين ونواهيه، وكانت ملاذ العلماء وكهف الأتقياء، تركت تراثا حضاريا رائعا، وقد وجدنا كثيرا من المؤرخين والجغرافيين يتحدثون عن دولة السامانيين حديثا شيقا، ويصفون ما كان فيها من حضارة ورقي واحترام للعلم والعلماء، وأنها من أحسن الدول سيرة وعدلا.. كالذي نجده عند المقدسي وابن حوقل،وابن الأثير،ونظام الملك والثعالبي وغيرهم[6].

(1) ــ انظر: الحديثي. **خراسان في العهد السامانى**. مرجع سابق. ص128.

(2) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 /ص 337 ــ 338.

(3) ــ كرديزي. **زين الأخبار**. ص66، البيهقي. **تاريخ**. ص709.

(4) - Bosworth.C.E.**The politicol And Dynastic History Of The Iranian World** In Combridge University History Of Iran.1968.p.8 .

(5) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص197.

(6) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 338، ابن الأثير. **الكامل**. ج 7 / ص197، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص388، الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4، النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 111 ــ وما بعدها.

وجدير بالذكر أن عوامل الانهيار تكاد تكون متشابهة بين الدويلات في إقليم المشرق، ولعلنا نستطيع أن نجمل سقوط السامانيين في العوامل الرئيسية الآتية[1]:

1 ــ انشقاق البيت السامانى على نفسه منذ أواخر عهد إسماعيل السامانى، وإذا كان إسماعيل حاكما مقتدرا تغلب على الانشقاق فإن الأمراء الذين جاءوا بعده كانوا ضعفاء وصغار السن مما عرض الدولة لتدخل الفساد في شؤون الحكم. فالأمير نصر بن أحمد تسلم الحكم في الثامنة من عمره، والأمير عبد الملك بن نوح كان في العاشرة حين جاءته السلطة !، ولاشك في أن الناس والأسرة الحاكمة وحكام الأقاليم استصغروا هؤلاء الحكام، فتمردوا عليهم، وثاروا ضدهم، بل إن كثيرا من الأمراء كانت نهايتهم محزنة بإيداعهم السجون، وهم المنصور وإخوته أبو إبراهيم، وإسماعيل، وأبو يعقوب، وأعمامه أبو زكرياء، وأبو صالح، وأبو سليمان، وغيرهم وماتوا جميعا في السجن، وبعض الروايات تشير إلى أن بعضهم حاول الهرب فقتله بعض أفراد القبائل هناك[2].

2 ــ سياسة العفو والتسامح التي اتبعها السامانيون مع المتمردين على سلطتهم وعدم استخدامهم القوة والبطش ضدهم، كان يشجع الأمراء والقواد ويحفّز عمال الولايات للنهوض والعصيان للاستئثار بالسلطة وخلق المتاعب والاضطرابات في كيان الدولة السامانية، وإضعاف قدرتها المادية والبشرية.

3 ــ تعرض الدولة السامانية للضغط المتزايد من كل الجهات، فمن الشمال والغرب تعرضت لضغط الديلم والعلويين، كما تعرضت للضغط البويهي، ثم تعرضت من الشرق لضغط خانات الأتراك الذين دخلوا الإسلام على يد السامانيين، ثم بدأوا يتطلعون للاستقلال والحلول محلهم، و لم يجد السامانيون من سبيل لصد هاذين الخطرين (الخانيين، والبويهيين) سوى الالتجاء إلى القوة المتنامية في الجنوب الشرقي من ماوراء النهر وهي الغزنويين، الذين كان ظهورهم عاملا من عوامل سقوط هذه الدولة.

---

(1) ــ انظر: فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 136 ــ 137، الحديثي. **خراسان في العصر السامانى**. مرجع سابق. ص 130 ــ 133، سرور. **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق**. مرجع سابق. ص 85، الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص 469، حيدر. **الدويلات الإسلامية في الشرق**. مرجع سابق. ص 129 ــ 166. الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**، مرجع سابق، ص121 ــ 122.

(2) ــ ابن خلدون. **التاريخ**. ج8 / ص 768 ــ 769، وانظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 125 ــ 134.

4 ـــ اعتماد السامانيين الفرس على الأتراك في جيشهم ـــ وهم من العناصر التي ثبت خطرها على الدول المعاصرة لهم ـــ كان له الأثر القوي في إضعاف دولتهم والتعجيل بزوال حكمهم، وذلك أن هؤلاء الأتراك ما لبثوا أن تقلدوا المناصب العالية في الجيش والإدارة المدنية، وأصبحوا خطرا عليهم بسبب السلطات الواسعة التي استأثروا بها، وغدا الأمراء الصغار غير المتمرسين في الحكم ألعوبة بأيديهم.

5 ـــ دخول مبادئ هدامة إلى البنية الاجتماعية السامانية، حيث انتشرت مبادئ باطنية إسماعيلية متطرفة وأيدها بعض قادة الدولة، حتى أن نصر بن أحمد اتُّهم بميوله الإسماعيلية فأُجبر على التخلي عن الحكم، وجاء بعده الأمير نوح الذي قمع الحركة الإسماعيلية واضطهدها في صفوف شعبه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4 ـ الدولة الغزنوية في خراسان وبلاد ما وراء النهر (351هـ ـ 432هـ)

4 ـ 1 ـ نشأتها وتطورها:

يرجع ظهور الدولة الغزنوية التي سميت بعاصمتها غزنة إلى أحد الأتراك المغامرين للسلمين المسمى "سبكتكين"[1] الذي استرعت حنكته العسكرية، وحسن تدبيره الإداري لقواد الجيش السامانى أمثال ألبتكين، فترقى بفضل موهبته في إجتياز الرتب العسكرية التي يتدرج بها الغلام المجند من الأتراك بين تجنيده ووصوله إلى رتبة "أمير" في الجيش السامانى المعروف بتنظيماته العسكرية المشددة[2]. وانصرف سبكتكين إلى خدمة ألبتكين وابنه أبي اسحق من بعده إلى أن آل إليه الأمر بعد وفاة الأخير. وكان أبو اسحق قائدا لجيوش السامانيين في غزنة. وحين قدم إلى بخارى أيام الأمير منصور بن نوح صحبه سبكتكين إليها. ثم عاد معه إلى غزنة، ولم يلبث أبو اسحق أن توفي سنة (366 هـ). ولم يترك من أهله من يصلح للإمارة من بعده فأجمع الجند على تولية سبكتكين لما عرفوه من عقله، ودينه، ومروءته، وكمال خلال الخير فيه، فأحسن السيرة فيهم ونال ثقتهم وتأييدهم[3].

---

(1) ـ سبكتكين: هو سبكتكين بن جوقى، يلقب بقراجكم وتعني بالتركية الزعيم الأسود الشجاع. انظر: الرفاعي. **الخلافة العباسية**. مرجع سابق. ص 165 ـ 166.

(2) ـ فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 152. كان التدرج العسكري في بلاط السامانيين بالنسبة للعبيد على هذا النحو:

أ ـ سنة كاملة لا يسمح له فيها بركوب الخيل سرّا أو علانية وإذا ما فعل يعاقب وعليه خدمة الركاب العالي راجلا.

ب ـ وحين تنقضي السنة يكلم رئيس عنبره الحاجب في أمره، فيخبر الحاجب الملك فيأمر له حينئذ بمهر تركي يسرج غير مدبوغ ولجام جلدي عادي، وبعد خدمة سنة بمهر وسوط فقط، يعطى في السنة الثالثة سيفا معقوفا يشده على وسطه، ويعطى في الرابعة جعبة وكنانة سهام يرتديهما عندما يمتطي جواده. أما في الخامسة فيعطى سرجا أحسن ولجاما مكوكبا وقباء ودبوسا. وفي السادسة يولى السقاية ويوكل بالماء فيعلق في وسطه قدحا. وفي السابعة، يوكل باللباس. وفي الثامنة يعطى خيمة من عمود واحد في ستة عشر وتدا، ويضاف إلى فوجه ثلاثة غلمان صغار ممن اشتراه حديثا ويلبس قلنسوة لباد سوداء محلاة بخيوط فضية، وقباء حريرا، وهكذا يظل يزداد في ألبسته وآلاته وعدده وعدد أفراده ومقامه سنويا إلى أن يصبح قائد فوج. ثم يصبح محط أنظار صحبه ومحبا لمولاه ينبغي ألا يولى الإمارة أو الولاية ما لم يبلغ الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره.

نظام الملك الطوسي. **سياسة نامة**. ص 144 ـ 145. نقلا عن العمادي. **خراسان في العصر الغزنوي**. ص 33 هامش1.

(3) ـ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص86، المعاضيدي. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية**.. مرجع سابق. ص69.

وما أن استقر سبكتكين في غزنة حتى أخذ يثبت سلطانه فيها. ويؤسس لبناء دولة قوية الأركان. واسعة الأرجاء. "وانتهج في ذلك سياسة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1 ـــ إيجاد قاعدة قوية في غزنة وما حولها للانطلاق منها نحو أهدافه.

2 ـــ وراثة أملاك السامانيين في خراسان.

3 ـــ بسط النفوذ شرقا في بلاد الهند لاكتساب تقدير المسلمين برفع راية الجهاد ونشر الإسلام، وكسب مزيد من البلاد والثروات.

وقد حقق سبكتكين قدرا كبيرا من هذه الأهداف وأكمل المسيرة من بعده ولده محمود[1]. ففي السنة الأولى من حكمه استولى على مدينة بست جنوب غزنة في سجستان حين استنجد به حاكمها المدعو (طغان) على أحد الثائرين الذي استولى على بست وطرده منها. فسار سبكتكين على رأس جيوشه وتمكن من القضاء على تلك الحركة وإعادة طغان إلى بلده، بعد أن تعهد له الأخير بدفع مبلغ من المال نظير مساعدته. إلا أن طغان لم يف بوعده وماطل في دفع المال. فنشب القتال بينهما. واستولى سبكتكين على بست، ثم سار إلى قصدار[2]. وألزم حاكمها بدفع مبلغ من مال يحمله إليه كل سنة[3].

رجع سبكتكين إلى غزنة ظافرا يحدوه الأمل في الانطلاق إلى أراضي الهند الواسعة ينشر فيها الإسلام، وفعلا يمّم وجهه شطر الأقاليم الهندية. "فاتجه إلى المواقع الجبلية الواقعة في بلاد الأفغان الآن، واستولى على بعض المواقع فيها، حيث مدينة كابل حاضرة بلاد الأفغان الحالية. وقد أفزعت أعمال سبكتكين أحد ملوك الهند المسمى "جيبال" الذي كانت مملكته تمتد في شمال غرب الهند، وقد رأى في استيلاء سبكتكين على أطراف بلاده تهديدا خطيرا لمملكته فدخل مع سبكتكين في حروب طاحنة، ألحقت الهزيمة بجيبال وأجبرته على طلب الصلح[4]. وهذا الصلح هو مال يؤديه، وبلاد يسلمها، وخمسون فيلا يحملها إليه، فاستقرّ ورهن عنده جماعة من أهله على تسليم البلاد، وسير معه سبكتكين من يتسلمها ... فلما أبعد جيبال قبض على من معه من المسلمين وجعلهم

(1) ـــ الرفاعي. **الخلافة العباسية**. مرجع سابق. ص 166 ـــ 167.

(2) ـــ قصدار: تبعد عن بست ثمانين فرسخا. وتمتاز بصعوبة مسالكها وحصانتها. ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص86.

(3) ـــ انظر: ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص86.

(4) ـــ الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص 473.

عنده عوضا عن رهائنه. فلما سمع سبكتكين بذلك سار نحو الهند فأخرب كل ما مرّ عليه من بلادهم، وقصد "لمغان" وهي من أحسن قلاعهم فافتتحها عنوة، وهدّ بيوت الأصنام وأقام فيها شعائر الإسلام.. ثم عاد إلى غزنة وسار خلفه جيبال في مائة ألف مقاتل، فلقيه سبكتكين وألحق به هزيمة كبيرة وأسر منهم ما لا يعد، وغنم أموالهم وأثقالهم ودوابهم الكثيرة، وذلّ الهنود بعد هذه الوقعة، ولم يكن لهم بعدها راية ...، ولما قوي سبكتكين بعد هذه الوقعة أطاعه الأفغانية والخلج"[1]، "ولوت الهند أذنابها على رؤوسها" كما يقول العتبي[2].

أما في الشرق فقد استطاع سبكتكين أن يوطن مركزه على حساب السامانيين الذين انحسرت دولتهم، وانكشفت أراضيهم. ففي سنة (384 هـ) استغاث به الأمير الساماني نوح بن منصور على أبي علي سيمجور وقائق الخاصة اللذين اعتزما خلع طاعته والتفرد بخراسان، فأسرع سبكتكين بالانضمام إلى نوح، وألحق بهما هزيمة ساحقة، فأنعم الأمير الساماني على سبكتكين بلقب، ناصر الدولة. كما لقب ولده الذي كان يرافقه بلقب سيف الدولة. وأسند إليه حكم خراسان، وعندما أعاد الثائران الكرة من جديد استعان محمود بوالده وأنزلا بهما هزيمة منكرة، واستتب الأمر لمحمود في إقليم خراسان، بينما واصل سبكتكين سياسة التوسع حتى وافاه الأجل في شعبان من سنة (387 هـ). بعد حكم استمر عشرين عاما[3].

وقد رثاه أبو الفتح البستي الشاعر المشهور، والذي كان كاتب سبكتكين بقوله:

قلت إذا مات ناصر الدين والدو ... لة حياة ربه بالكرامة

وتداعت جموعه بافتراق ... هكذا هكذا تكون القيامة[4]

وقبيل وفاة سبكتكين أوصى بالسلطة لابنه إسماعيل متجاهلا ابنه الأكبر محمود الذي كان في نيسابور آنذاك، ومخالفا للعرف والاتفاقيات السابقة بالنسبة لتولية العهد بعد سبكتكين، ويبدو أن السبب في اختيار اسماعيل للولاية هو إرضاء أخواله الذين كانت لهم سلطة في الدولة،

(1) ـــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص87. الخلج: قبيلة تركية منازلها في القسم الجنوبي من أفغانستان بين سجستان والهند، كانوا يعملون كحراس للحكام الأجانب.

(2) ـــ العتبي. **تاريخ اليميني**. ج1 / ص74 ـــ 87.

(3)- ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص184، المعاضيدي. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية**. مرجع سابق. ص71.

(4) ـــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5/ص176.

أما أخوال محمود فلم يكن لهم سلطان مثل هؤلاء[1].

"ولكنه من الصعب التأكد من الاعتبارات التي دفعت سبكتكين إلى تعيين إسماعيل مفضلا إياه على محمود كخليفة له، ربما يكون قد أثرت فيه صلة إسماعيل بألبتكين ـــ فهو حفيده من ابنته ـــ ولأنه وقف إلى جانبه وهو على فراش الموت في غياب أبنائه الثلاثة الآخرين، ولكننا لا ننكر أن سبكتكين أظهر نقصا في بعد نظره السياسي في خليفته للمستقبل وكذلك في توهمه بأن محمودا وهو الإبن الأكبر والأكثر مرونة سوف يقبل أن يتمتع أخوه بالحكم بعد أن ضمن حكم مقاطعات كل من بلخ والعاصمة وغزنة"[2].

حين قام إسماعيل بالأمر بعد أبيه سنة (387 هـ) عزّ على محمود ـــ وهو القوي الطموح ـــ أن يترك ملك أبيه يفلت من بين يديه، فأرسل إلى أخيه يطلب منه أن يتنازل له عن حكم غزنة فهو الأكبر سنا. ولكن إسماعيل رفض طلب أخيه، وقرر الاستئثار بحكم الدولة الغزنوية دونه، ولم يكن إسماعيل حازما. لذلك استضعفه الجند، واشتطوا في طلب الأموال حتى أفنى الخزائن التي خلفها أبوه[3]. أما محمود فقد قرر أن ينفذ مشيئته بحد السيف، فسار عن نيسابور إلى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة وانضم إليه عمه بغراجق وفي بست انضم إليه أيضا أخوه نصر. وفي غزنة وقعت بين الطرفين معركة، انهزم فيها إسماعيل وصعد إلى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بأمان فلما نزل إليه أكرمه وأحسن إليه وأعلى منزلته وأشركه في ملكه ... وكانت مدة ملك إسماعيل سبعة أشهر[4]. وولي محمود السلطنة سنة (388 هـ ـــ 421 هـ)[5].

استغلّ منصور السامانى سير محمود عن خراسان لقتال أخيه وعين بكتوزون بدله، ولكن محمودا قرر التخلص منه، وإخضاع كامل خراسان وتأمين جناحه الشمالي حتى يتفرغ إلى غزواته التي يزمع القيام بها في بلاد الهند، فتقدم نحو خراسان متخذا من تآمر بكتوزون وفائق الخاصة على منصور بن نوح، وقبضهما عليه، وسمل عينيه وتولية أخيه الصغير، فرصة لتحقيق سياسته، وأحل محمود الهزيمة

(1) ـــ أحمد شلبي. **موسوعة التاريخ الإسلامي**. ج8 / ص 87.

(2) - the combridg history of iran **(the early ghaznavids)** P. 168.

نقلا عن: العمادي. **خراسان في العصر الغزنوي**. مرجع سابق. ص 38.

(3) ـــ المصدر نفسه. ج7 / 184.

(4) ـــ انظر: ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / 185.

(5) ـــ المصدر نفسه. ج7 / 191.

بجيش السامانيين في مرو (جمادي الأولى سنة 389 هـ). وبذلك صفت له خراسان، وعين أخاه نصرا على جيوشها، فاتخذ نيسابور قاعدة له، وخطب للخليفة القادر، وبذلك زالت دولة السامانيين من خراسان على يد محمود كما زالت من بلاد ما وراء النهر على يد بغراخان التركي[1].

وتلقب محمود بعد هذا الانتصار بلقب "السلطان" بعد أن كان يلقب بلقب أمير، وقد لقبه الخليفة القادر بالله "يمين الدولة، وأمين الملة"، وظهرت هذه الألقاب على السكة التي تحمل اسمه[2].

راح السلطان محمود يمد رواق سلطانه على الأملاك المجاورة، فاستولى على سجستان سنة 393 هـ[3]، كما أزال سلطان البويهيين في الري وبلاد الجبال في سنة (420هـ)، ثم ملك قزوين وقلاعها ودان له بالطاعة أمراء هذه الجهات[4].

وقد أرضى محمود الخلافة العباسية حين أصبح زعيما قويا للمذهب السني في خراسان ضد المناوئين للخلافة والخارجين عليها، فتتبعهم بالقتل والنفي وخاصة الرافضة والإسماعيلية، والقرامطة وغيرهم، كما نفى المعتزلة وضيق عليهم، وأحرق كتب الفلسفة والنجوم، ورفض أن يستجيب للفاطميين الذين حاولوا استمالته تخفيفا من حملته على أشياعهم[5].

وقد كان محمود الغزنوي بأعماله تلك يقوم بتنفيذ أوامر الخلافة العباسية بصورة وأخرى، والدليل على ذلك أنه كان يوافي الخلافة بكل تحركاته بهذا الخصوص. كما كانت تحركاته تلك تلقى الكثير من الدعم والتأييد.

فقد استطاع السلطان محمود أن يخضع بلاد الغور فيما بين غزنة وهراة،ويمد نفوذه إلى بلاد ما وراء النهر[6].

---

(1) ـ الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص 474 ـ 475، حسن ابراهيم حسن. **تارخ الإسلام**، مرجع سابق. ج3/ص94 ـ 95.

(2) ـ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5/ص175 ـ 182، بروكلمان. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. ص 267، سهيل زكار. **تاريخ العرب والإسلام**. ط4، بيروت: دار الفكر، 1982. ص 350.

(3) ـ العتبي. **تاريخ**. ج1 / ص99، ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص 215.

(4) ـ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص335.

(5)-حسن ابراهيم حسن. **تاريخ الإسلام**. مرجع سابق. ج3/ص95. الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص475. **Bousani.A. Religion In the Saljuq Period**. In Combridge University Of Iran.1968.p.283.

(6) ـ إدوارد براون. **تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي**، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مصر: مطبعة السعادة، 1954م. ج1 / ص376.

إلاّ أن أهم توسع غزنوي استمات فيه السلطان محمود هو ما تحقق على يده في جبهة الهند، وأعطى محمودا سمعة كبيرة في "دار الإسلام" عرف بموجبها باسم السلطان الغازي، ومع أن السلطان محمود لم يكن أول من جاء بالإسلام إلى الهند بل سبقه إلى ذلك الأمويون العرب خلال خلافة الوليد بن عبد الملك، إلا أنّه قام بغزوها سبع عشرة مرة في مدى سبعة وعشرين عاما، فيما بين عامي (391 هـ) و(417 هـ) حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية من بنارس [1] إلى غزنة ومن الهملايا إلى الدكن [2].

هذا ومن المعروف أن الهند لم تكن غريبة على محمود فقد سبق له أن شارك أباه في غزواته لها من قبل، مما يسّر له الاطلاع على أحوالها والوقوف على قدر غير قليل من أساليب القتال عند أهلها [3].

ففي عام 392 هـ انتصر محمود على ملك البنجاب (جيبال) وأسره، كما أسر عددا كبيرا من الناس، ثم أطلق سراح الملك (جيبال)، وكان من عادة الهنود أنه إذا وقع أحد منهم بالأسر وكان رئيسا ألا تعود له الرئاسة فيما بعد إذا تخلص من الأسر، فلما فدى (جيبال) نفسه عاد وحلّق رأسه وألقى نفسه بالنار، وترك ملكه لابنه أنندبال، وقد قضى السلطان محمود على هذه العادات الجاهلية بنشره الإسلام في تلك المناطق [4].

ولا شك أن الفتح الإسلامي لبلاد الهند جلب منافع كثيرة ومكاسب عظيمة للهنود خاصة الطبقة المنبوذة التي سعدت بحياة الحرية والانطلاق في ظل الإسلام الذي حفظ حقوقها، وسوّاها مع الطبقات الأخرى، فدخلت في دين الله أفواجا.

وقد اعترف بذلك الزعيم الهندي جواهر لال نهرو في كتابه (Discovery OF India) قائلا: "إن دخول الإسلام الهند له أهمية كبرى في تاريخ الهند؛ إذ أنه قد فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوسي وأظهروا فروق الطبقات واحتقار المنبوذين وحب الاعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند، إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان يؤمن بها المسلمون أثرت في أذهان الهندوس تأثيرا عميقا، وكان أكثرهم خضوعا لهذا التأثير البؤساء

(1) ــ بنارس: لم أقف على ترجمتها.

(2) ــ الدكن: لم أقف على ترجمتها.

(3) ــ أحمد محمود الساداتي. **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم**. ط3، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق (د. ت). ص 67.

(4) ــ محمود شاكر. **التاريخ الإسلامي**. ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م، ج6 / ص 191.

الذين حرمهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية[1].

وفي عام (395هـ) قصد إقليم (ملتان) جنوب البنجاب ودخله وعمل على نشر الإسلام هناك، وولّى على الإقليم أحد المسلمين وعهد إليه بتعليم الإسلام للأهالي[2]. "وفي سنة 396هـ قصد محمود مدينة ملتان نفسها، وفي طريقه إليها انتصر على "أندبال" بن جيبال، ثم قضى على مقاومة أهل الملتان وافتتحها عنوة وفرض غرامة كبيرة على أهلها. ومازالت غزوات محمود تتوالى في كل عام على بلاد الهند حتى استولى على منطقة البنجاب كلها"[3].

في تلك الأثناء والسلطان محمود مشغول بجهاده في أرض الهند نقض القراخانيون معاهدة الصلح المتفق عليها مع الغزنويين، وأرسلوا فرقتين من جيشهم الأولى تحت قيادة سباشي تكين لاحتلال نيسابور وطوس، والثانية تحت قيادة جعفر تكين لاحتلال بلخ. وقد حققت الفرقتان هدفيهما، وأبدى سكان بلخ مقاومة مستميتة دفعت الغزاة فيما بعد إلى أن يسلموها للنهب. بينما كان موقف أهالي نيسابور إزاء الغزاة سلبيا للغاية. بل إن الطبقة الأرستقراطية أخذت جانبهم كما حدث في ماوراء النهر.

ولما وصل خبر الغزو إلى محمود عاد سريعا إلى غزنة وأجبر جعفر تكين على الانسحاب من بلخ إلى ترمذ، أما سباشي تكين فإنه لم يصمد أمام محمود وقواده، فعبر النهر في عدد قليل من جنده بعد أن قطع عليهم السلطان محمود الطريق[4].

"وترجع هزيمة القراخانيين أمام السلطان محمود إلى سببين. أولهما: أن السلطان محمود دخل الحرب بكل قواه أمام العدو الذي كان ينوي الاستيلاء على خراسان، ولأن محمودا كان يعلم أن نتيجة هزيمته في هذا الإقليم سوف تؤدي إلى القضاء على دولته. أما ثانيهما: فإن قلة خبرة القراخانيين في الحرب جعلتهم يخرجون منهزمين أمام السلطان محمود، وعندما عنف قواده

---

(1) ـــ محمد إسماعيل الندوي. **تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية**. ص 40 ـــ 42. نقلا عن مصطفى محمد رمضان. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. ط3، القاهرة، 1997م. ص 310.

(2) ـــ انظر: ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص226.

(3) ـــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص228، الشريف. **العالم الإسلامي**. مرجع سابق. ص 477...

Cahen. **L'Islam Des Origines Au Debut De L'Empire Ottoman,** Hachette Livre, france, 1995.P,284. Claude

(4) ـــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 412، ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / 231.

أجابوا بقولهم: "ليس لأحد قبل بمقاومة تلك الفيلة وذلك السلاح والعدّة وأولئك الرجال"[1].

عقد الأيلك العزم على الثأر لنفسه من محمود لهذه الهزيمة، ففي العام التالي جدد الحملة بقوات أكبر، واستنفر دهاقين ما وراء النهر لمساعدته وعقد حلفا مع قريبه قدرخان يوسف حاكم ختن[2]. وعبر أيلك النهر بهذا الجيش الكبير، وتقابل مع السلطان محمود عند قنطرة جرخيان على أربعة فراسخ من بلخ يوم الأحد 22 ربيع الثاني (398هـ). ومني جيش القراخانيين بهزيمة ساحقة، وابتلع النهر أعدادا كبيرة من جنده أثناء محاولتهم الهرب[3].

وقد وضعت هذه الوقعة حدّا لنهاية القراخانيين على خراسان، وحال بينهم وبين العمل الموحّد، إذ أن هذه الهزيمة أدت إلى حدوث منازعات وخلافات بين الأسر الحاكمة. فعقد الأخ الأكبر لأيلك وهو طغان خان حاكم كاشغر مع السلطان حلفا ضد أخيه، وعندما نوى أيلك نصر غزو كاشغر من أوزكند. كان سقوط الثلوج العظيمة سببا في إرغامه على العودة. وتلا هذا أن أرسل الطرفان سفراءهما إلى محمود الذي نجح في دور الوسيط في هذا النزاع وبذل جهده في ذات الوقت للتأثير على السفراء بعظمة بلاطه، فاستقبلهم على هيئة مهيبة يحيط به حرسه في زي متألق. وكان ذلك عام (402هـ)[4].

وفي عام (404هـ) استولى محمود الغزنوي على ناردين، وهدم الصنم المعروف "بسومنات" الذي يرمز لعناد الهنود ووثنيتهم. وغنم غنائم كثيرة، وشنّ غزوات ثلاث على بلاد كشمير سنة (404هـ)، (405هـ)، (406هـ). رغبة منه في ضمّها إلى مملكته ولكنه لم يوفق فيها جميعا وفقد كثيرا من جنده، وذهب أكثرهم غرقا في فيضان الأنهار[5].

وفي عام (407هـ) اشتغل السلطان محمود بقتال خوارزم، إذ كان مأمون شاه خوارزم قد تزوّج أخت السلطان محمود، واعترف بسلطانه على بلاده غير أن بعض قواده قد قتلوه وأجلسوا ابنه مكانه فسار السلطان محمود إلى بلاد خوارزم، واستولى عليها، وعاقب الثوار

(1) ــ المرجع نفسه. ص 412، العمادي. **خراسان في العصر الغزنوي**. مرجع سابق. ص 44.

(2) ــ ختن: بلد وولاية دون كاشغر.. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ص397.

(3) ــ بارتولد. المرجع السابق. ص 413.

(4) ــ المرجع نفسه.

(5)-ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ص270،273، 279،حسين أمين.**الدولة السامانية**.مجلة المؤرخ العربي.مرجع سابق ص18.

القتلة، وولىّ على خوارزم أميرا من قبله[1].

اتجه السلطان محمود بعد ذلك نحو كشمير فأخضع حاكمها الذي أسلم على يديه كما أسلم بعض راجات[2] الهند عندما اقترب السلطان محمود من بلادهم، إذ كان يتملكهم الخوف والفزع، وفي كل مكان يدخله كان يحطم الأصنام التي كان بعضها مصنوعا من الذهب[3].

وقد بلغ محمود الغزنوي في فتوحه إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية و لم تتل به قط سورة ولا آية، فدحض عنها أجناس الشرك، وبنى بها مساجد وجوامع[4]، وأقام بدلا من بيوت الأصنام، مساجد الإسلام، وعن مشاهد البهتان، معاهد التوحيد والإيمان، فصارت الأطفال تهدد في بطولاتها بإقدامه، وتفزع بإقبال ألويته وأعلامه، وظل أنديبالهم وجيبالهم وكماتهم وأبطالهم كما قال الأشجع السلمي:

وعلى عدوّك يابن عمّ محمد رصيدان: ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا هـــذا سلّت عليه سيوفك الأحـــلام[5]

وقد أطنب العتبي[6] في سجايا محمود الغزنوي، وأشاد باتساع رقعة مملكته في هذه العبارة فقال:

"إن راية الإسلام لم تظل على سلطان أحسن دينا، وأصدق يقينا، وأحسن علما، وأوقع حلما، وأسد سيرة، وأخلص سريرة، وأتم وفاء وأعم سخاء وأوفر حباء، وأغنى غناء، وأعظم قدرا، وأفخم ذكرا، وأمد باعا، وأشد امتناعا، وأجل جلالة، وأكمل عدة وآلة، وأرفع ملكا وسلطانا، وأطوع أنصارا وأعوانا، وأردع سيفا وسنانا، وأحمى للإسلام وذويه وأنقى للشرك ومنتحليه، وأعدى للباطل من يليه، اكتسابا ووراثة وطباعا واستفادة، من الأمير السيد، الملك المؤيد، يمين الدولة، وأمين الملة، أبي القاسم محمود بن ناصر الدين أبي منصور سبكتكين، ملك الشرق بجنبيه، والصدر من العالم ويديه، لانتظام الإقليم الرابع وما يليه من ثالث الأقاليم

(1) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص282.

(2) ــ راجات: سلاطين.

(3) ــ محمود شاكر. **التاريخ الإسلامي**. مرجع سابق. ج6 / ص192.

(4) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5/ص175 ــ 182.

(5) ــ العتبي. **تاريخ اليميني**. ج1 /ص 38، 39.

(6)ــ المصدر نفسه. ج1 /ص 33 ــ 34.

وخامسها[1] في حوزة ملكه وحصون انتظام ممالكه الفسيحة، وولاياتها العريضة في قبضة ملكه، ومصير أمرائها وذوي الألقاب الملوكية من عظمائها تحت حمايته وجبايته، واستدرائهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته، وإذعان ملوك الأرض على بعدهم لعزته، وارتياعهم من فائض هيبته، واحترامهم على تقاذف الديار، وتحاجز الأنجاد والأغوار، من فاجئ ركضته، واستخفاء الهند والروم تحت جيوبها عن ذكره، واقشعرارهم لهيب الرياح من أرضه، وقد كان أدام الله دولته منذ لفظه المهد وجفاه الرضاع، وانحلت عن لسانه عقدة الكلام، واستغنى عن الإشارة بالإفهام، مشغول اللسان بالذكر والقرآن، مشغول النفس بالسيف والسّنان، ممدود الهمة إلى معالي الأمور، معقود الأمنية بسياسة الجمهور، لعبه مع الأتراب جد، وجده مستكد، يألم لما لايعلمه حتى يقتله خبرا، ويحزن لما يحزن حتى يدمثه قسرا وقهرا".

4 ــ 2 . زوال النفوذ الغزنوي عن خراسان وبلاد ما وراء النهر: (422هـ ــ 432هـ)

بعد وفاة السلطان محمود سنة (421هـ). تولى السلطنة مسعود بعدما تخلص من مرشح والده أخوه محمد. تماما مثلما عمل محمود بعد وفاة والده سبكتكين. عندما تخلص من مرشح والده إسماعيل بقوة السلاح.

وسار مسعود إلى غزنة سنة (422هـ). وخرج الناس جميعا إلى حدود غزنة لاستقباله، ولما وصل إليها جلس على كرسي الحكم، واستقبل في حفل مهيب، وقدم له العلماء والفقهاء والأعيان التهاني والتعازي، ووعد مسعود بالعدل بين الرعية والنظر في المظالم[2].

ولما استقرت الأمور للسلطان مسعود في غزنة أرسل الخليفة العباسي القائم[3] إليه تقليدا

---

(1) ــ أراد بالإقليم الرابع خراسان، لأنها من أشهر كور هذا الإقليم، وأراد بالإقليم الثالث الذي منه قندهار وكابل وكثير من مدن بلاد الهند، والإقليم الخامس هو مايلي الإقليم الرابع من ناحية الشمال، ويراد به ما تملكه السلطان محمود الغزنوي من بلاد الترك وخوارزم وغيرها. ولا يبعد أن يكون العتبي قد أراد بالصدر من العالم الإقليم الرابع خراسان، لأنه يقع بالأقاليم السبعة وسيطا، وهو كالصدر من الإنسان وما يليه من الإقليم الثالث والخامس كاليدين. انظر: حسن إبراهيم حسن. **تاريخ الإسلام**. مرجع سابق. ص 102. هامش 3.

(2) ــ عبد الكريم عبده الطالب حتاملة. **العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية**. رسالة دكتوراه. كلية الآداب / جامعة القديس يوسف / بيروت، 1988م. ص 57.

(3) ــ القائم بأمر الله: هو أبو جعفر عبد الله القائم بأمر الله. ولي الخلافة بعد أبيه بعهد منه وكانت بيعته في ذي الحجة سنة 422هـ. وبقي خليفة إلى 13 شعبان سنة 467هـ.

بالحكم مع رسول دار الخلافة، وجاء في التقليد: أن ناصر دين الله، وحافظ بلاد الله، أباد سعيد مسعودا هو أعظم أركاننا وأقواها، وأمره بأن يقضي على الزنادقة والقرامطة، وأن يستولي على ما بيد أعدائه من البلاد.

واجتمع له ملك خراسان وغزنة وبلاد الهند وسجستان وكرمان ومكران والري وأصفهان وبلاد الجبل، وأتته رسل الملوك من سائر الأقطار[1].

وكانت المشكلة الأساسية التي واجهتها الإدارة الغزنوية خلال سلطنة مسعود مشكلة السلاجقة، فمنذ أن قبض السلطان محمود على زعيمهم أرسلان بن سلجوق وولده قتلمش مع عدد من كبار أصحابه، وبعث بأرسلان إلى بلاد الهند، حيث أمضى في السجن سبع سنوات وتوفي في سنة (422هـ). وألحق بهم هزيمة نكراء سنة (419هـ). ظل السلاجقة ينتظرون الفرصة المناسبة للثأر من الغزنويين، فبدأوا منذ سنة (425هـ) يغيرون على خراسان إغارات منظمة.

"وفي عام (426هـ). طلب السلاجقة من والي نيسابور أن يسمح لهم بالنزول بالقرب من المدينة والإقامة حولها، فرفض الوالي، وأحسّ بالخطر الذي يتهدده، فاستنجد بالسلطان مسعود، وطلب منه الحضور إلى نيسابور، للقضاء على هذا الخطر السلجوقي الداهم، فأسرع مسعود على رأس جيش قوي لقتال السلاجقة وهاجم معسكراتهم بالقرب من مدينة "نسا" وتمكن من إنزال هزيمة قاسية بهم، غير أنهم لم يلبثوا أن أعادوا تنظيم صفوف قواتهم، ثم هاجموا قوات مسعود الغزنوي وانتصروا عليها انتصارا باهرا، فاضطر مسعود إلى عقد صلح معهم، ترك بمقتضاه المنطقة لهم، وبادر بالرحيل إلى بلاد الهند لترتيب أمورها وإقرار الأوضاع فيها[2] لاشتعال الفتن والمنازعات فيها.

وهكذا خلا الجو للسلاجقة في إقليم خراسان فتهيأت لهم الأسباب لتدعيم نفوذهم وبسط سلطانهم على هذا الإقليم، ثم التفكير في إقامة دولة لهم في ربوعه تكون ندا للدولة الغزنوية"[3].

استفاد السلاجقة من صلحهم مع مسعود، فدعموا مركزهم، واستعدوا لإقامة دولة لهم.

---

(1) ـــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 /ص 347.

(2) ـــ للمزيد حول هذه الأحداث راجع **تاريخ البيهقي**. 571 ـــ 591.

(3) ـــ عبد النعيم محمد حسنين. **إيران والعراق في العصر السلجوقي**. ط1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م. ص34. وانظر: سهيل زكار. **تاريخ العرب والإسلام**. مرجع سابق، ص352.

وأصبحوا يهددون البلاد الغزنوية ويعملون على إزالتها نهائيا، فأوغر السلطان مسعود إلى عامله في خراسان سنة 429هـ بالخروج لقتال السلاجقة فدارت الحرب بين الفريقين على أبواب مدينة سرخس في آخر شعبان من السنة المذكورة، وانتهت بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوي. وانسحب الجيش الغزنوي من المنطقة تاركا إقليم خراسان كله لقمة سائغة للسلاجقة، بعد أن صارت قوتهم أعظم قوة في خراسان.

وكان انتصار السلاجقة حافزا لهم على الإسراع بإعلان قيام دولة لهم، فاندفعوا بقيادة زعيمهم طغرلبك إلى نيسابور، فدخلها ونادى بنفسه سلطانا على السلاجقة، وجلس على عرش مسعود الغزنوي في ذي القعدة من سنة (429هـ). وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه، واتخذ لقب السلطان فكان بذلك أول سلطان للسلاجقة[1]. ولقب طغرلبك السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبوطالب.

ويعتبر عام (429هـ) البداية الفعلية والحقيقية لقيام الدولة السلجوقية، وإن لم يعترف بها الخليفة العباسي إلا في سنة (432هـ)، حينما طلب السلاجقة منه أن يعترف بدولتهم وبطغرلبك سلطانا عليهم. والواقع أن اعتراف الخليفة العباسي بالسلطان السلجوقي كان أمرا شكليا؛ يمنح صفة الشرعية للدولة السلجوقية ويرضي الناس عنها، ويقبلوا بحكمها[2].

هبّ السلطان مسعود الغزنوي مذعورا لدى سماعه نبأ قيام الدولة السلجوقية واعتلاء طغرلبك العرش في نيسابور، فعزم على قتال السلاجقة وإسقاط دولتهم، والقضاء عليها في مهدها، فأعد جيشا بنفسه، وبذل جهودا متوالية بين عامي (429هـ) و(431هـ). للقضاء عليهم، ولكنها جهود باءت كلها بالفشل، أدت إلى تمكين السلاجقة وإحكام قبضتهم على خراسان وبلاد ما وراء النهر وقطع كل أمل للغزنويين في عهد مسعود وفي عهود خلفائه للسيطرة على شيء من إيران أو بلاد ما وراء النهر"[3].

وكان آخر اشتباك بين الغزنويين والسلاجقة في معركة ضارية في موضع يعرف باسم

---

(1) ــ البنداري. **تاريخ دولة آل سلجوق**. ط3، بيروت: دار الآفاق الجديدة 1980م. ص 8، المعاضيدي. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية**. مرجع سابق. ص 74، عبد النعيم محمد حسنين. المرجع السابق، ص 3.

(2) ــ عبد النعيم حسنين. **إيران والعراق في العصر السلجوقي**. مرجع سابق، ص 36.

(3) ــ المرجع نفسه. ص 37.

(داندانقان)[1] انتهت بهزيمة الغزنويين في رمضان من سنة (431هـ)[2]، ولم يلبث السلطان مسعود أن لقي مصرعه في سنة 432هـ واستقرّ بالحكم من بعده مودود بن مسعود (432-441هـ).

لم يعد الغزنويون يفكرون في مهاجمة السلاجقة أو مناوأتهم، بعد أن فقدوا معظم جيوشهم، وخسروا أجزاء كبيرة من أراضيهم أمام السلاجقة الذين أحكموا سيطرتهم على خراسان وما وراء النهر، وأخذوا يستعدون لبسط سلطانهم على إيران والعراق وآسيا الصغرى والشام وكل ما يستطيعون إليه وصولا من بلاد المسلمين وغير المسلمين. ويلاحظ أن السلاجقة سمحوا للغزنويين بالاستمرار في حكم غزنة وما حولها ولم يعملوا على إزالتها لكنه لأسباب تتعلق باعتراف الغزنويين بالكيان الجديد وسيادتهم عليها، فقد ظلت الدولة الغزنوية قائمة في غزنة والبنجاب برئاسة سلطانها إبراهيم بن مسعود وأحفاده واستمر حكمهم مائة وثلاثين سنة أخرى.

ولكن لم يكن السلاجقة وحدهم الذين يهددون الدولة الغزنوية بل إن الدولة تلقت ضربات شديدة من خانات التركستان، وضاعت منها أملاكها في الشرق، ولم يلبث أن استولى الغوريون[3] على غزنة سنة (553هـ). فنقل الغزنويون عاصمتهم إلى ما تبقى لهم في الهند فجعلوا "لاهور" عاصمة لهم، ولكن سرعان ما وقع "تاج الدين خسرو" آخر حكام الغزنويين في الهند أسيرا في يد الغوريين، فسيق إلى غزنة وهناك أعدم، وآلت أملاك الغزنويين في غزنة والهند إلى الغوريين[4].

(1) ـــ داندانقان: بلدة من نواحي مرو الشاهجان.

(2) ـــ البيهقي. **تاريخ البيهقي**. ص438.

(3) ـــ الغوريون: هم من أتباع الغزنويين وكانوا يحكمون (إقليم الغور) وهو إقليم جبلي عبارة عن الجزء الجنوبي من بلاد الأفغان الحالية يمتد ما بين غزنة وهراة. حول تاريخ الغوريين انظر: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م، ج24/ص7642-7652.

(4) ـــ المعاضيدي. **تاريخ الدويلات**.. مرجع سابق. ص 75، أحمد شلبي. **التاريخ الإسلامي**. مرجع سابق. ج8/ص93، فاروق عمر. **تاريخ إيران**. مرجع سابق. ص 159.

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في الحياة العلمية وأهم مؤسسات التعليم

1. طلب العلم فريضة إسلامية
2. الرحلة في طلب العلم
3. عناية الأمراء والحكام بالعلم والعلماء
4. المساجد والجوامع (رسالة تعليمية)
5. الكتاتيب
6. المدارس وتوطين الثقافة الإسلامية في إقليم المشرق
7. المكتبات الخاصة والعامة
8. حوانيت الوراقين
9. الربط والخانقاهات بين الجهاد والعلم
10. مجالس المناظرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ــ طلب العلم...فريضة إسلامية

ما أن استقرّ الإسلام في البلدان التي فتحت، حتى بدأت الحركة الفكرية تتأصل جذورها، وتبسق أغصانها، وتثمر حضارة زاهية، ظلت في القرون الأولى من تاريخ الإسلام. تمثل المورد الثّر لفكر البشرية وعقلها ووجدانها وطرائق معاشها، والعامل الأول في ازدهار الحياة الفكرية في الحضارة الإسلامية يرجع في الأساس إلى تأكيد الإسلام على أهمية العلم وحثه على طلبه؛ لأنه ينير العقول المظلمة، ويحيي القلوب الميتة، ويهدي النفوس الحائرة، ويرقى بالإنسان إلى أعلى الدرجات.

وقد كانت عناية الإسلام بالعلم تفوق حد الوصف، حتى أن كلمة العلم بجميع تصريفاتها واشتقاقاتها ترد في أكثر من خمسمائة آية من آيات القرآن الكريم[1].

والآيات الكريمة التي تحضّ على إعمال العقل كثيرة، حثّت على توظيف الفكر واستخدامه، ومع التفكّر حضّت على التدبّر والتذكر. من أجل الحصول على المعرفة في الكون والحياة: مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. وقال أيضا: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[3]. وهو استفهام استنكاري كبير التأثير في النفس، بل إن الإسلام لا يقف عند حد الطلب من المؤمنين أن يحصّلوا العلم، ولكن عليهم البحث المستمر عن العلم والمعرفة والبحث والدراسة[4]، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[5] وهو أمر صريح بوجوب طلب العلم.

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[6] قال ابن العباس: بينهما سبعمائة درجة.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[7]، علق فهم تلك الأمثال على العلم، وفي هذا من الحض على طلب العلم على وجه ما فيه[8].

---

(1) ــ أحمد عبد الرحيم السايح. **الإسلام والحضارة**. مجلة الأزهر. س 52، ج5، 1980م. ص681.

(2) ــ سورة العنكبوت. الآية (20).

(3) ــ سورة الزمر. الآية (9).

(4) - Muhammed Atiya Alibrassshi,**Education In Islam,Supreme colonil For Islamic affairs Studies In Islam Series**,No.(6),1384—1964,p.16.

(5) ــ سورة طه. الآية (114).

(6) ــ سورة المجادلة. الآية (11).

(7) ــ سورة العنكبوت. الآية (43).

(8) ــ محمد فريد وجدي. **قيمة العلم في الإسلام**. مجلة الأزهر. ج4. المجلد الخامس. 1934م. ص281.

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن تعلم العلم أمر واجب على الأمة جميعا وجوبا لا يقل عن وجوب الجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن الإسلامي، فإن الوطن يحتاج من يناضل عنه بالسيف وإلى من يناضل عنه بالحجة والبرهان[2].

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[3].

وأسباب العلم هي:

1 ــ القراءة

2 ــ النظر والتأمل في ملكوت الله

3 ــ السير في الأرض

ففي القراءة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4]، ففي هذه الآيات الخمس، بدأ الوحي الإلهي بالقراءة في أول آية، وكان ذلك بصيغة فعل الأمر، وقد تكرّر الأمر بالقراءة في الآية الثالثة، وأوضحها مؤكدا ما رمى إليه من معنى. وهو التعليم، وزاد التأكيد بذكر القلم.. " والتعليم بالقلم، من أعظم نعم الله على عباده، إذ به تخلد العلوم، وتثبت الحقوق، وتعلم الوصايا، وتحفظ الشهادات، ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس، وبذا تقيد أخبار الماضين للباقين اللاحقين. ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، ودرست السنن، وتخبطت الأحكام ولم يعرف الخلف مذاهب السلف... وكان معظم الخلل الداخل... والتعليم بذلك"[5].

(1) ــ سورة التوبة. الآية (122).

(2) ــ راجع أحمد مصطفى المراغي. **تفسير المراغي**. ط3، بيروت: دار الفكر، 1974م. ج4 / ص 47 ــ 48.

(3) ــ سورة آل عمران، الآية 190.

(4) ــ سورة العلق. الآية 1 ــ 5.

(5) ــ جمال الدين القاسمي. **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**. ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957م، ج 17/ ص 9 ــ 62.

وقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، فالله يقسم بالقلم والكتب فتحا لباب التعليم بهما، ولا يقسم الله إلا بالأمور العظام، فإذا أقسم بالشمس والقمر، والليل والفجر، فإنما ذلك لعظمة الخلق، وجمال الصنع، وإذا أقسم بالقلم والكتب، فإنما ذلك ليعم العلم والعرفان. وبه تتهذب النفوس، وترقى شئوننا الاجتماعية والعمرانية[1].

وفي النظر والتأمل يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وفي السياحة والسير في الأرض يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[3].

أما السنة النبوية الشريفة فقد شحنت بالأحاديث الحاثة على طلب العلم، والدءوب على تحصيله ولو من أقصى مظانه، فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «اطلب العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب»[4]، وما بين بلاد العرب والصين آلاف من الأميال. والسفر إليها في عصر النبوة كان من أشق الأمور. وفي هذا استنهاض الهمم، وبعث النفوس ما لا مزيد عليه.

والتصريح بهذا يشعر بأن أثر العلم في بناء الشعوب، وإقامة صروح عظمتها أبلغ من أثر بذل الأرواح في الدفاع عن حوزتها، وتوسيع دائرة سلطانها، وهذه الحكمة العليا تكشف عن إدراك بعيد المدى بأسباب الارتقاء والبقاء للأمم، فإنه قد ثبت في جميع أدوار التاريخ أن اعتماد الأمم على مجرد القوة للدفاع عن وجودها، ولضمان بقائها عاملة في مجموعة الأمم، لا ينيلها هذه الأمنية إلا إذا ضمت إلى قوتها المادية قوة أدبية توجب لها التفوق العقلي، فقد انحلت أمم كانت من القوة الحربية على أوفر الخطوط، ولم تخلف وراءها أثرا يذكر، خلافا للأمم التي جمعت بين الفضيلتين، فقد امتدت حياتها قرونا طويلة، ولو كانت استمرت حريصة على مكانتها منهما،

(1) **تفسير المراغي**. ج10 / ص27.

(2) ــ سورة يونس. الآية 101.

(3) ــ سورة الحج. الآية 46.

(4) ــ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وفي السنن. انظر عبد الرؤوف المناوي. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**. ط2، بيروت: دار المعرفة، 1972م. ج1 / ص542 ــ 543.

لبقيت قوية تغالب الحوادث وتتغلب عليها[1].

وجاء في السنة المطهرة أيضا ما يحث على طلب العلم ويرشد إليه منها، قول النبيﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقه في الدين»[2].

وقال أيضا: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظّ وافر»[3].

ولم يكتف الإسلام بحث المؤمنين على طلب العلم، والارتواء من منابعه، وإشباع النهم العقلي منه، بل فرض على العلماء تبليغه وإشاعته بين الناس. لقول النبي: «نضرّ الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه، كما سمعه، فربّ مبلغ أوعى من سامع»[4] بل حذّر من كتمه، وحجبه عن طلابه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[5].

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام:«من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[6].

فهذا الترهيب... وذاك الترغيب كان لهما وقع شديد في نفوس أهل العلم، فقد حملاهم على الرحلة في طلبه، والنفير إلى حواضره، ثم الرجوع لتبليغه ونشره في الناس كاملا غير منقوص.

---

(1) ــ محمد فريد وجدي. المقال السابق. ص281.

(2) ــ أخرجه البخاري في **صحيحه ــ كتاب العلم ــ** باب 13. حديث 1.

(3) ــ أخرجه الترمذي في **جامعه ــ واللفظ له ــ في كتاب العلم.** باب19. حديث 2، وابن حجر. **فتح الباري.** ج1 / ص83.

(4) ــ المصدر نفسه. باب 7. حديث 2.

(5) ــ سورة البقرة: الآية 159- 160.

(6) ــ أخرجه أبو داود في **سننه ــ في كتاب العلم ــ** باب 9. حديث 1. واللفظ له.

2 ـ الرحلة في طلب العلم
(مسلك ثقافي)

لقد تولدت في المجتمع الإسلامي دافعية قوية إلى التعلم، والرحلة في طلب العلم، والصبر على تحصيله، والجد في احتياز مراحله، واستطاع المسلمون فعلا أن يجسدوا "مجتمع التعلم المفتوح" وطبقوا عمليا شعار "التعلم مدى الحياة".

فانطلقوا كالشهاب الراصدة يقطعون الفيافي، ويجوبون الآفاق، ويسطرون في صفحات التاريخ أنصعها في ما سمي في حضارتنا بـــ "الرحلة في طلب العلم".

ويحدوهم في ذلك قول الشاعر أفلح بن عبد الوهاب:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا ... يريك أشخاصهم روحا وأبكارا
أشدد إلى العلم رحلا فوق راحلة ... وصل إلى العلم في الآفاق أسفارا
واصبر على دلج الأغساق معتسفا ... مهامه الأرض أحزانا وأقطارا
حتى تزور رجالا في رحالهم ... فضلا فأكرم بأهل العلم زوارا
فاطلب من العلم ما تقضي الفروض به ... واعمل بعلمك مضطرا ومختارا
واجعـــله لله لا تجعـــله فـــخرة ... ولا تـــرائي به بـــــدوا وأحضارا[1]

وتعتبر الرحلة في طلب العلم من أهم ما ميزّ حضارتنا الإسلامية عبر العصور، مما أدّى إلى ازدهار الحياة الفكرية في جميع حواضر العالم الإسلامي. وخاصة في مدن الشرق. في خراسان وبلاد ما وراء النهر، بين القرنين الثالث والخامس الهجريين.

وقد ساعد على تيسير الرحلة بين أقطار العالم الإسلامي، عدم وجود العوائق والحواجز؛ لوحدة المسلمين، والتواصل بين أممهم وشعوبهم.

وقد اندفع طلاب العلم في جميع البقاع ينفقون الجهد والمال، والنفس والنفيس سعيا وراء العلماء يسمعون منهم، ويتلقون المعارف على أيديهم.

قال الخطيب البغدادي: "ولو كان حُكم المتصل والمرسل واحدا لما ارتحل كتبة الحديث،

(1) ـــ إبراهيم بحاز. **الدولة الرستمية**. الجزائر:مطبعة لافوميك، 1985م، ص283 ـــ 284.

وتكلفوا مشاق الأسفار إلى مابعُد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق"[1].

وكان طلبة العلم أثناء رحلاتهم يعملون من أجل توفير النفقة، ويدرسون ويتلقون عن الشيوخ، ويجتمعون بالعلماء في المساجد والمدارس المنتشرة في العالم الإسلامي آنذاك، فكانت رحلاتهم العلمية بجانب المتعة في تحقيق الهدف، هي عناء ومشقة يواجهها الطالب بعيدا عن أهله، وهكذا كان علماء الفقه يرحلون إلى البادية ويختلطون بقبائل العرب يقيدون اللغة وقواعدها وينقلون الشعر والأدب. ورحل علماء الحديث إلى الأمصار المختلفة يروون الحديث ويقيدونه ويتابعون سماع مالم يتيسر لهم سماعه في بلدانهم[2].

يقول ابن الصلاح: «وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره»[3].

أما الأدباء فإنهم يدرسون ترحالهم في أقطار الدول الإسلامية الأخرى، يأخذون عن أدبائها ويفيدون من شرّاحها ونقادها، كمارحل الجغرافيون المسلمون إلى مختلف أصقاع العالم الإسلامي، يسجّلون مشاهداتهم ويقيدون أحوال الناس والبلدان، وعاداتهم وتقاليدهم، ويصفون حضارتهم ويقدمون تفصيلات موسعة عن بلادهم: طرقها ومسالكها وأوديتها وجبالها ومدنها وقراها[4].

ولا نكاد نجد عالما ذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق، ولم يرحل في طلب العلم، ونأى بعيدا عن الأهل، ليكتسب الفوائد، ويحفظ الفرائد، ويسعد بصحبة الشيوخ. وقد رصد ابن خلدون هذه الظاهرة في فصل خاص بعنوان: "في أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم" فقال: "والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا،فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلّطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق من

---

(1) ــ كتاب **الكفاية في علم الرواية**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م، ص402.

(2) ــ مريزنه سعيد عسيري. **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي**. مكتبة الطالب الجامعي. مكة المكرمة. 1987م. ص 244.

(3) ــ ابن الصلاح. **علوم الحديث**. تحقيق نور الدين عتر، بيروت: المكتبة العلمية، 1981م، ص222.

(4) ــ عسيري. **الحياة العلمية ...**. المرجع السابق. ص 245.

المعلمين، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرّد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم، وطرق توصيل»[1].

وفي كلام ابن خلدون ما يفيد أن الرحلة تزيد المعارف، ومنها تكتسب الأخلاق، وتنتحل المذاهب والأراء إما علما وتعليما، وإما محاكاة وتلقينا.

ويقول ابن جماعة: «ويقطع الطالب ما قدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب، وبذل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل، فإنها كقواطع الطريق، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن لأن الفكرة إذا توزعت قصُرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾. وقال أبو الدرداء: «لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفتحها عليّ إلاّ رجلا ببرك القتاد لرحلت إليه». وقال الشعبي: «لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع»[2].

وقد نشطت الرحلات العلمية أكثر زمن الدولة السامانية،حيث اهتم حكامها بإنشاء الطرق، وإقامة الرباطات الخاصة بالتجار والمجاهدين، والمخافر لحراسة القوافل التجارية التي كانت تجوب الطرق التجارية الهامة في ما وراء النهر وخراسان، وذلك لتسهيل التجارة، وتنظيم البريد، فكان العلماء في رحلاتهم ينتفعون بهذه المزايا كما ينتهزون الفرصة لخروج القوافل إلى الحج، فينتظمون في سلك الحجاج، ويرحلون إلى البلدان التي يريدونها[3].

كما أسهمت الرحلات التجارية ـــ فضلا عن الحج ـــ في إذكاء الحركة العلمية بشكل يدعو إلى الإعجاب، فقد أصبح تقليدا للعالم أن يرحل ويلاقي العلماء، ويأخذ منهم، ويروي عنهم، بحيث أصبحت المملكة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها كأنها وحدة مهما تعدد حكامها[4].

وقد وثقت هذه الرحلات الأواصر بين بلدان العالم الإسلامي، وذلك أمر واضح تفرضه طبائع

---

(1) ـــ ابن خلدون. **المقدمة**. بيروت: دار الفكر، 2002م، ص559. A.S.Tritton. **Materials On Muslim Education In The Middle Ages**. Luzac.LTD .London .1954.

(2) ـــ **جامع بيان العلم**. ص 95، أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. ط6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. 1978م، ص 317.

(3)-انظر:عارف النكدي. مقالة عن نقد كتاب **ظهر الإسلام**. مجلة المجمع العلمي العراقي. 1928م، مج23، ج3/ص599.

(4) ـــ أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت). ج1/ص317.

الأشياء، وما كانت النتيجة لتتم على غير هذه الصورة؛ لأن طواف الكثير منهم بالأقاليم ربط بين المشرق والمغرب، وألغى السدود والحدود، وجعل هذا العالم الإسلامي أشبه بالمدينة الواحدة[1].

وقد تحدث نيكلسون (Nicolson) عن الرحلات حديثا طريفا حيث يقول: «وكان جلة الباحثين وطلاب العلم يرحلون في حماسة ظاهرة عبر القارات الثلاثة ثم يعودون إلى بلادهم كما يعود النحل محمّلا بالعسل الشهي، ثم يجلس هؤلاء الباحثون في بلادهم ليرووا شغف الجماهير التي كانت تنتظر عودتهم لتلتف حولهم، فينالوا من علومهم ومعارفهم زادا وخيرا عميما. كما كان هؤلاء الباحثون يعكفون أحيانا على تدوين ما جمعوا وما سمعوا ثم يخرجون للناس كتبا هي بدوائر المعارف أشبه، مع نظام رائع وبلاغة عذبة، وهذه الكتب هي المصادر الأولى للعلوم الحديثة بأوسع ما تحتمله كلمة العلوم من معنى، وهي مرجع العلماء والباحثين، ومنها يستمدون فنونا من الثقافة والمعرفة أعمق بكثير مما يظن الناقدون»[2].

ونظرا لأهمية الرحلات العلمية في تاريخ المسلمين التعليمي فقد صنفت فيها الكتب من مثل ما ألفه الخطيب البغدادي في كتابه "الرحلة في طلب الحديث". وما ألفه أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي الأندلسي في كتابه "الرحلة"[3].

وبالرغم من أنه كان هناك تشرذما وانقساما بين بلاد العالم الإسلامي من الناحية السياسية فإن ذلك لم يمنع من التواصل الثقافي بين أقاليم الدول الإسلامية، مما أبقى على وحدة المسلمين الفكرية.

ونظرا لأن لغة العلوم كانت في الأغلب هي اللغة العربية، فقد ساعد ذلك من يرحل في طلب العلم أن يدرس أينما ذهب في أنحاء البلاد الإسلامية، فقد كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة في المساجد ودور العلم، وكان يتقنها الشيوخ والطلبة على السواء[4].

ومما شجع العلماء على الرحلة في طلب العلم أمران مهمان هما:

الأمر الأول: وجود المساجد والجوامع والمدارس، والربط، والزوايا، والخوانق التي كانت

---

(1) ــ صبحي الصالح. **علوم الحديث ومصطلحه**. ط12، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م، ص57.

(2)- **A literary History Of The Arabs**. p.281. نقلا عن شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 320.

(3)- علي بن محمد بن سعيد الزهراني. **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**. جامعة أم القرى. مكة المكرمة، 1996م، ص 202.

(4) ــ انظر: منير الدين أحمد. **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري** ــ مستقاة من **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي ــ ترجمة د. سامي الصقار ــ دار المريخ ــ الرياض. 1981م. ص67.

تتخذ لضيافة العلماء وإقامتهم بها دون مقابل، ونرى ذلك جليا في أثناء البحث.

الأمر الثاني: كان التعليم والتحديث والتدريس حسبة لا يتقاضى عنها العلماء أجرا، وقد ذهبت طائفة كثيرة من الفقهاء كالحنفية جميعهم، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري وغيرهم إلى أنه لا يجوز أن يأخذ المعلم أجرا على تعليم القرآن والحديث[1].

وقد التزم الرحالة في طلب العلم بآداب الرحلة، ورعوها حق رعايتها، حتى تؤتي الرحلة ثمارها وتحقق أهدافها أيّا كان العلم الذي يرحل من أجله طلبة العلم، وأهم هذه الآداب:

التزام الطلبة بسماع العلماء وأخذ نصائحهم وإرشاداتهم أينما رحلوا، وعدم الاستخفاف بتلك النصائح.

حسن اختيار أماكن الرحلة، والتي ينبغي أن تكون محظوظة ببعض مشاهير العلماء أو الفضلاء ممن يفاد منهم، وكان العلماء يعتنون بذلك ويستشيرون فيه، مع مراعاة الاهتمام بالمادة العلمية الملقاة. وما على الطالب إلا تدوين كل ما يسمعه، وذلك ليتمكن من فهم العلوم بعمق، ويتم ذلك بأن يحضر ما توصل إليه من آراء أو علاج لمشكلات العلم، فيلقيه على أهل التحقيق والدقة، ويعرض عليهم ما وقع من إشكال فيكسب بذلك آراء جديدة تزيده تمكنا وتعمقا، وهي فائدة هامة يكمل بها العالم وتسمو منزلته. كما ينبغي عدم التساهل في مراعاة الآداب العامة في السفر ومن أهمها: المداومة على الطاعات والعبادات وذكر الله تعالى، والسخاء بالمال، ثم تحمل متاعب السّفر والطريق والصبر على الرفاق[2].

"وقد كان المحدثون أنشط الناس للرحيل وأصبرهم على العناء، ذلك أن الصحابة عند الفتح تفرقوا في الأمصار... فكان في كل مصر طائفة من الحديث لا تعرف في الأمصار الأخرى، فجدّ العلماء في الرحلة يأخذون الأحاديث عن أهلها، ويجمعون ما تفرّق منها، وكان باعثهم الديني يذلل كل عقبة، ويسهل كل مشقة"[3].

والرحلة في طلب الحديث من مؤهلات المحدثين ولوازم طريقتهم ومنهجهم في تحصيل الأحاديث

---

(1) ــ انظر: السمرقندي. **بستان العارفين**. بيروت: دار الجيل، (د، ت). ص21.

(2) ــ انظر: ابن الخطيب البغدادي. **الرحلة في طلب الحديث**. تحقيق نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1975م، ص 29 ــ 31.

(3) ــ أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. ط10، بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت). ج2 / ص 70 ــ 71.

وجمع طرقها وأسانيدها، بل إن العلماء عدّوا عدم الرحلة في طلب الحديث، نقيصة في العلم، وغميزة في التحصيل. روى الحاكم بسنده عن يحي بن معين أنه قال: "أربعة لا تؤنس منهم رشدا: حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث"[1].

ومن أبلغ الأمثلة على رحلات علماء خراسان وبلاد ما وراء النهر في عصر الدويلات المستقلة ما يلي:

المحدث الشهير الإمام البخاري (تـ 265هـ) الذي أراد أن يجمع أكبر عدد من الأحاديث الصحيحة، فجمع أحاديث بخارى ثم رحل إلى بلخ وسمع محدثيها وروى أحاديثهم، ثم رحل إلى نيسابور والري وبغداد والبصرة والكوفة ومكة والمدينة ومصر ودمشق وقيسارية وعسقلان وحمص، فجمع بهذا ما تفرّق من الحديث في الأمصار، وأمضى في هذه الرحلات ستة عشر عاما لقي فيها عناء شديدا لا يتحمله إلاّ الأبطال الصابرون، وأخيرا عاد إلى وطنه[2].

ثم جاء من بعده تلميذه مسلم بن الحجاج القشيري، وكان من أهل نيسابور(تـ 261هـ)، وامتاز كالبخاري بكثرة رحلاته في طلب الحديث، رحل إلى العراق والشام ومصر والحجاز، وتكررت رحلاته إلى بغداد خاصة، وأفاد من البخاري في أثناء إقامته في نيسابور مدة.

ومنهم أبو بكر محمد بن إسحق بن خزيمة السلمي النيسابوري، كبير أئمة الفقه بنيسابور في عصره، كان مجتهدا عالما بالحديث مشاركا في العلوم الأخرى، قام برحلات عديدة في طلب العلم زار خلالها مرو والري وواسط وبغداد والشام ومصر والجزيرة.

قال عنه ابن كثير: «محمد بن اسحق بن خزيمة .... الملقب بإمام الأئمة، كان بحرا من بحور العلم، طاف البلاد ورحل إلى الآفاق في الحديث وطلب العلم، فكتب الكثير وصنف وجمع، وهو من المجتهدين في دين الإسلام..» توفي رحمه الله في ذي القعدة من سنة311هـ[3].

---

(1)الحاكم النيسابوري. **معرفة علوم الحديث**. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي،ط4،بيروت:منشورات دار الآفاق الجديدة،1980م ص9.

(2) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2 / ص649.

(3) ــ انظر: **البداية والنهاية**. ج11 / ص149، شمس الدين الذهبي. **كتاب تذكرة الحفاظ**. بيروت: دار الكتب العلمية. (د، ت). ج2 / ص720، تاج الدين السبكي. **طبقات الشافعية الكبرى**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م. ج2 /ص84، اليافعي. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط2، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1993م، ج2 / ص264، الذهبي. **العبر في خبر من غبر**. تحقيق أبو هاجر، السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م.. ج2 / ص149، ابن العماد الحنبلي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**.

.../...

وهذا الحافظ الحجة المحدث أبو حامد، أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري المعروف بابن الشرقي (ت325هـ)، ونسبته إلى نيسابور، أما الشرقي فمنسبة إلى الشرقية وهي الجانب الشرقي بنيسابور، قال عنه ابن كثير: كان حافظا كبير القدر كثير الحفظ، كثير الحج، رحل إلى الأمصار، وجاب الأقطار، وسمع من الكبار[1].

وقال عنه ابن الجوزي: سمع بالأمصار من شيوخها.. وكان واحد عصره في الحديث[2].

كما قال عنه الذهبي مُبرزا أثر الرحلة في علمه: تلميذ مسلم، سمع أحمد بن حفص السلمي، وطبقته ببلده، ثم ارتحل وأخذ بالري عن أبي حاتم، وبمكة عن عبد الله بن أبي مسرة، وببغداد عن أبي بكر الصاغاني، وعبد الله بن محمد بن شاكر، وبالكوفة عن أبي حازم أحمد بن أبي غرزة ....[3] توفي رحمه الله سنة (325هـ).

ومن هؤلاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن خليل الكلاباذي السبذموني من قرية "سبذمون" في بخارى[4] ويعرف بالأستاذ،كان من أئمة فقهاء الحنفية في بلاد ما وراء النهر، جاب البلاد ورحل إلى خراسان والعراق والحجاز، وكان يستملي الحديث منه أربعمائة كاتب. توفي رحمه الله في شهر شوال سنة 340هـ[5].

وهذا أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن المستفاض الفريابي من فرياب بنواحي بلخ وهو أحد الأئمة في الرحلة إلى الشرق والغرب، ولي القضاء بمدينة دينور مدة، قال عنه الخطيب البغدادي: "أحد أوعية العلم، ومن أهل المعرفة والفهم، طوّف شرقا وغربا، ولقي المحدثين في كل بلد، وسمع بخراسان وما وراء النهر والعراق والحجاز ومصر والشام والجزيرة، ثم استوطن بغداد

بيروت: دار الآفاق الجديدة، (د، ت). ج2 / ص262، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13 / ص233، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج9 / 235.

(1) ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص188.

(2) ــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13 /ص367.

(3) ــ شمس الدين الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص821.

(4) ــ سبذمون: قرية على نصف فرسخ من بخارى، انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3/ص207.

(5) ــ انظر: الزركلي. **الأعلام**. ج4 / ص120، حاجي خليفة. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار الفكر، 1982م، ج2 / ص1485. 1680، ابن الأثير. **اللباب في تهذيب الأنساب**. بيروت: دار صادر، 1980م، ج1 / ص525، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي. رجال فقه الحنفية**. ط1. قمران: شركة النشر العلمي والثقافي. 1370هـ. مج5. ص 41.

وحدث بها". كانت وفاته ببغداد من المحرم سنة (351هـ)[1].

ومنهم الحافظ أبو علي الحسين بن محمد بن ماسرجس النيسابوري (ت365هـ) أحد أركان الحديث في نيسابور، روى عن جده، وابن خزيمة وطبقتهما، ورحل إلى العراق ومصر والشام.

قال عنه ابن كثير: ماسرجس الحافظ، رحل وسمع الكثير وصنّف مسندا في ألف وثلاثمائة جزء بطرقه وعلله[2].

ومن الرحالة المسلمين من أهل ما وراء النهر (أبي نصر الفارابي) (ت 339هـ)، سافر إلى بغداد وبقي فيها مدة وانتقل إلى الشام عند الحمدانيين، ولما دخل بغداد كان يعرف التركية وعدة لغات غير العربية، فأتقن اللغة العربية وبلغ فيها غاية الإتقان، وأخذ المنطق عن أبي بشر بن متى يونس الحكيم المشهور، ثم ارتحل إلى مدينة حران وفيها يوحنا بن جيلان الحكيم النصراني" فأخذ عنه طرفا من المنطق أيضا، وبعدها رجع إلى بغداد[3]. وقد أورد الأستاذ إحسان ذنون جملة من العلماء الذين شُهد لهم بعلو الكعب في العلم في حاضرة الخلافة الإسلامية بغداد، واستطاعوا أن يزاحموا جلّة علمائها. فيقول: "وقد أقرّ علماء بغداد بالعلم لبعض أهل خراسان وما وراء النهر حتى قال أحدهم لمستفت، وقد عجز عن الفتوى: "حين تصل إلى بخارى سل السيد الإمام أبا حفص البخاري أو أحد أبنائه عنها"[4] ومنهم من صار إماما مفتيا للحنفية ببغداد كأبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي (ت 403هـ) الذي تخرج به فقهاء بغداد[5] أو مفتيا للشافعية كأبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي (ت 395هـ)[6]، ونعت أبو حامد

(1) ـ الخطيب. **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**. تحقيق. مصطفى عبد القادر عطا. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م. ج7 / ص209، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2 / ص692، السمعاني. **الأنساب**. ج4 / ص376، قيس آل قيس. **الإيرانيون**. مرجع سابق. ج2 / ص328.

(2) ـ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص50، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص283، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج 14/ ص244.

(3) ـ القفطي. **تاريخ الحكماء**. بغداد: مكتبة المثنى، (دت)، ص277 ـ 279.

(4) ـ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 87.

(5) ـ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج17 / ص235.

(6) ـ المصدر نفسه. ج13 / ص545، عبد الرحيم الإسنوي. **طبقات الشافعية**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م. ج1 / ص143.

أحمد بن محمد الإسفراييني (تـ 406هـ) في بغداد بـ "الشافعي الثاني"[1]. وقيل عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي: "انتهت إليه رئاسة العلم ببغداد"[2] وعن أبي حامد الإسفراييني: "انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ببغداد"[3] وفي (تاريخ بغداد) للخطيب كثير من أهل بخارى، وسمرقند، ونيسابور، والمروين (مرو الشاهجان ومرو الروذ) وبلخ، وهراة، وترمذ، وسرخس، والصاغانيان، وخوارزم، وجرجان، ونسا، وفرغانة، وبوشنج، وبست، والختّل، وتومس، وفرياب، وإسفرابين، والجوزجان، واستراباذ، وروذبار، وبسطام، والشاش، وأبيورد، والدامغان، وكش، ونسف، وآمل، وكرمينية، وباذغيس، وخجندة، واستوا، والداندقان، وأشروسنة، وزم، وسمنان. هؤلاء قدموا بغداد فحدثوا ودرّسوا أو أخذوا واستزادوا من الحركة العلمية فيها، واستطاع بعضهم أن يتبوأ مرتبة علمية رفيعة، فيحدث أو يدرّس أو يملي في جامع أبي جعفر المنصور، وهو المسجد الذي لا يحدث فيه إلا كبار العلماء[4].

(1) ـ ابن قاضي شهبة. **طبقات الشافعية**. ج1/ 173.

(2) ـ الإسنوي. **طبقات الشافعية**. ج2 / ص197.

(3) ـ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1/ص72 ـ 74، ابن الوردي. **تتمة المختصر في أخبار البشر**. تحقيق رفعت البدراوي، بيروت: دار المعرفة، (دت)، ج1/ص494.

(4) ـ ذنون. **الحياة العلمية**. مرجع سابق. ص 99 ـ 103.

3. عناية الحكام والأمراء بالعلم والعلماء

إذا كانت دولة بني أمية قد نشرت ألوية الإسلام بالغزو، فقد كان على الدولة الجديدة في وديان دجلة والفرات، أو دولة الأندلس، أو الدولة الناشئة على ضفاف النيل، وساحل البحر المتوسط، أو الدول المستقلة في إقليم المشرق أن تنشر الحضارة الإسلامية بفتوحات الفكر، وغزو القلم، وأن تبعث بثمار العقل السليم وآثاره في مهاب الرياح الأربع.

ولما كان العلم لا يزدهر إلا في ظل حاكم يشغف به ويأخذ بأيدي أهله، فإن أمراء وحكام الدول المستقلة في خراسان وماوراء النهر جمعوا إلى سلطان الإمارة وجاهة الأدب، ورعاية أعلامه، فأحاطوا أنفسهم بجو أدبي وعلمي رائع مما جعل مجالسهم مزدانة بالعلماء والأدباء، كما تزدان التيجان بالآلئ، وتنضح بأندية العلوم والمعارف، وتضفي على المملكة مهابة السلطان، وسلطان العلم، وفي ذلك منطلق للازدهار الإسلامي الساطع.

وإذا كانت بغداد هي العاصمة الثقافية للمملكة الإسلامية، والمنتجع الذي يقصدهُ العلماء والأدباء من مختلف الأقاليم في الدول المستقلة للقاء كبار رجال العلم، والتتلمذ على أيديهم، وأخذ الإجازات العلمية منهم، فإن عددا من عواصم الأقاليم الأخرى قد حظيت بقدر مهم من النشاط الثقافي متفاوت الحجم تبعا للأوضاع السياسية والاجتماعية التي تعيشها هذه الدول.

وقد كان للأمير دور أساسي في نمو الحركة العلمية وانتعاشها، فبقدر ميوله الثقافية يزدهر العلم وتنفق أسواقه، بل إن كثيرا من الأمراء اعتبر وصال العلماء شارة من شارات الملك العظيم، وعلائم السلطان المكين.

لذلك راح الأمراء في مختلف الدول الإسلامية يتنافسون في تقريب العلماء والحدب عليهم، وطلب رضاهم وتزكيتهم، فأغدقوا عليهم الأموال، وأجزلوا لهم في العطاء، وزينوا بهم مجالسهم، محاطين بجميع مظاهر التقدير والتبجيل والاحترام.

و الواقع أن في هذا المسلك خدمة لتقوية سلطانهم، وكسب رضا العامة به، لما يتمتع به العلماء من مكانه في نفوسهم، علاوة على تقدير الأمراء للعلم وأهله، مما جعلهم حماة متنورين للآداب والفنون، يسخون عليها ويستقبلون أهلها بكل ترحاب.

والأسرة الطاهرية وهي أول أسرة إسلامية من أصل فارسي تحكم إقليم المشرق (خراسان)،

لم تكن تمثل الميول القومية أو الشعوبية الإيرانية[1]. بل اندمج أهلها في الحياة الإسلامية، وتذوقوا اللغة العربية عندما درسوا علومها على أيدي أساتذة مبرزين لا يقلون أدبا وثقافة عن أساتذة الخلفاء وأبناء الخلفاء، فتلقنوا الفصاحة طبعا وبيانا وجلسوا إلى الرواة وسمعوا منهم فكان لكل ذلك أثر واضح في خلوص عباراتهم وانطباعهم على البلاغة وتذوقهم للآثار الأدبية تذوقا دقيقا، وفهمهم للحياة الأدبية فهما واسعا عميقا، وحبهم لهذه الحياة من الناحية العقلية والمعنوية ظاهر في وصاياهم وتوقيعاتهم وكتبهم[2].

كما أن سياسة الإغداق والعطاء التي اتصف بها الطاهريون والاحتفاء الكبير الذي يلقاه الشعراء عندهم كانت كافية لإغرائهم في أن يقصدوهم إلى خراسان للحصول على الأموال والتقدير معا[3].

ويذكر أن طاهر بن الحسين يحب مصاحبة أهل الأدب والعلم، ويأنس بهم فيجالسهم ويقربهم إليه فيتزود منهم في سفره وحضره.

ومن أحسن ما يروى في هذا هو أنه لما نزل طاهر بمرو حين مضى إلى خراسان، طلب رجلا يحدثه ليلة، فقيل له: ما هاهنا إلا رجل مؤدب، فأدخل عليه أبو القاسم بن سلام، فوجده أعلم الناس بأيام العرب وبأيام الناس والنحو واللغة والفقه، فقال له طاهر: "من الظلم تركك أنت بهذا البلد"، فدفع إليه دينارا وقال له: أنا متوجه إلى خراسان إلى الحرب، ولست أحب استصحابك شفقة عليك، فأنفق هذا إلى أن أعود إليك، ولما عاد حمله معه إلى سُرّ من رأى ودخل بغداد[4].

وهذا عوف بن محلم من الأدباء والشعراء المعدودين اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته، وعندما تولى عبد الله بن طاهر ولاية خراسان، أبقى عوفا في نفس مكانته، بل زاد عليه وأكرمه

ومن العز والتكريم الذي لقيه أهل العلم في بلاطات الطاهريين نجد كثيرا من العلماء شدوا الرحال إلى خراسان طمعا في العطاء، والظفر بالمقام المحمود، فهذا سيبويه ترك بغداد بعد

---

(1) ــ عبد العزيز الدوري. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**. مرجع سابق. ص110.

(2) ــ أنظر: وصايا الطاهريين وتوقيعاتهم عند: أحمد زكي صفوت. **جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة**، بيروت: المكتبة العلمية، (د، ت)، ج4/ص390،)، ابن الأثير. **الكامل**. ج5 / ص271، ابن عبد ربه الأندلسي. **العقد الفريد**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م، ج4/ص221.

(3) ــ الحديثي. **الطاهريون**، مرجع سابق. ص43.

(4) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج9 / ص358، ابن النديم. **الفهرست**. ط2، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م، ص97.

مناظرته للكسائي وأصحابه وتوجه إلى خراسان، بعد أن سمع أن الأمير طلحة بن طاهر كثير العطاء، إلا أنه توفي وهو في طريقه إليها[1].

وقد قصد الطاهريين بعض الشعراء فأنشدوا بين أيديهم قريضهم. وكان على رأسهم دعبل الخزاعي الذي وفد على عبد الله بن طاهر (213هـ ـ 230هـ) فأعطاه كثيرا من المال والهدايا، وردّ دعبل عليه مادحا بقصائد شعرية ومنها هذه الأبيات[2].

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمة ... وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ولكنني لما أتيتك زائرا ... فأفرطت في بري عجزت عن الشكر

فَملاّن[3] لا آتيك إلا معذّرا ... أزورك في الشهرين يوما وفي الشهر

فإن زدت في بري تزيدت جفوة ... ولم نلتق حتى القيامة والحشر

وما أن سمع ابن طاهر حتى زاد في عطاء دعبل ووهبه ثلاثمائة ألف درهم[4].

ويدل ذلك على معرفة عبد الله بالشعر العربي وبراعته فيه، ويروى في هذا الباب أن شاعرا من البصرة قدم عليه مادحا يريد عطاءه، فقبل وصوله إلى الأمير سمع عوف بن مطعم الخزاعي قصيدته فوجدها ضعيفة وأراد صرفه عن لقاء الأمير قائلا له: "لا توصلها إليه فإن الأمير بصير بالشعر وهو يقول منه الجيد القوي ومثل هذا الشعر لا يقع منه موقعا ينفعك إلا أن الشاعر رفض إلا أن يسمعها الأمير، فلما سمعها عبد الله قال: بمثل هذا الشعر يُلقى الأمراء والملوك؟!" وردها عليه.

ولم يكن يغض من قدر الطاهريين أن يرسلوا بأبنائهم إلى حلق العلماء في بيوتهم،فيجلسون بين أيديهم ويأخذون منهم العلم والأدب.

"فهذا محمد بن رافع الحافظ النيسابوري المتوفى سنة (245هـ)، كان يستند إلى شجرة الصنوبر في داره فيجلس العلماء بين يديه على مراتبهم وأولاد الطاهرية ومعهم الخدم كأن على رؤوسهم الطير"[5].

---

(1) - ابن الأنباري. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**. تحقيق إبراهيم السامرائي،بغداد: مطبعة المعارف، 1959م، ص41.

(2) ـ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج9 / ص490، الذهبي. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م. حوادث 221 ـ 230هـ. ج16 / ص231.

(3) ـ أصلها: "فمن الآن".

(4) ـ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث 221 ـ 230هـ. ج16 / ص231.

(5) ـ ابن جماعة. **تذكرة السامع**. ص151.

وكان أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي المعروف بثعلب قد صحب محمد بن عبد الله بن طاهر ولازمه مدة ثلاث عشرة سنة، وقعد مع ابنه طاهرا، وأفرد له دارا في داره، وأقام لهما وصيفه وكان معه أربع ساعات في النهار، وخصص له كل يوم سبع وظائف من خبز الدقيق غير المنخول، ووظيفة من الخبز المعمول من لباب الدقيق، وتسعة أرطال من اللحم، وعلوفة رأس (ما تأكله الدابة) وأجرى له في الشهر ألف درهم، وكان يتفقد ما يجري عليه القوت من الخبز واللحم حتى يصل ذلك إليه في وقته ولا يتأخر عنه[1].

وكذلك أبو سعيد، أحمد بن أبي خالد الضرير البغدادي (ت 282هـ) استقدمه طاهر بن عبد الله من بغداد إلى خراسان وأقام في نيسابور، وأملى فيها المعاني والنوادر، والتقى البدو القادمين إلى ابن طاهر في نيسابور، فيحتفل بمقدمهم ويلازمهم لأخذ المصطلحات اللغوية وما يتعلق بها من معاني ومفردات، وأصبح من مشاهير الأدباء[2].

ويروى أن إسحاق بن راهويه المروزي ركبه دين، فخرج من مرو قاصدا نيسابور، وهناك تفقد علماء الحديث أقرانه حاله، فعرفوا ظروفه، فكلموا يحيى بن يحيى في أمره، فقال: ما تريدون؟ قالوا: أن تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة، فقال يحيى ما كتبت إليه قط؟! فألحوا عليه، فكتب في رقعة إلى ابن طاهر جملة نصها: "أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم رجل من أهل العلم والصلاح". وحمل إسحاق الرقعة إلى ابن طاهر، فاستقبله الأمير بالترحاب، وأجلسه إلى جانبه، لما عرف أنه يحمل رسالة من الإمام يحيى بن يحيى النيسابوري، ثم قضى عبد الله بن طاهر دينه، وجعله من جلسائه[3].

ويعلق الإمام السبكي على هذه القصة بقوله: "قلت: ما كان أعظم أهل العلم عند الأمراء وانظر ما أدنى هذه الكلمة، وأقصر هذه الرقعة، وما ترتب عليها من الخير، وما ذلك إلا حسن اعتقاد ذلك الأمير وصيانة أهل العلم أيضا، والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم"[4].

"ولا ننسى أن بيوتات الطاهريين وقصورهم كانت بمثابة الأندية العلمية والمحافل الأدبية التي كان يقصدها الأدباء ويؤمها الشعراء فتجري فيها مختلف المناقشات الفكرية ويتسع الدهر فيها بألوان الثقافة والأدب"[5].

(1) ـ القفطي. **إنباه الرواة**. ج1/ص173 ـ 186.
(2) ـ ياقوت. **معجم الأدباء**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م، ج1/ص346.
(3) ـ انظر: السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص314 ـ 315.
(4) ـ المصدر نفسه. ج1/ص316.
(5) ـ الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق، ص45.

ومن جملة من كان يغشى مجالسهم المبرّد (محمد بن يزيد الأزدي ت285هـ)[1]. فقد اتصل بالطاهريين وتردد إلى قصورهم ومجالسهم الثقافية ليلتقي بكبار الأدباء هناك أمثال: ثعلب[2]، وكان محمد بن عبد الله ممن يقدره ويجله فكان مقيما معه يجري عليه الأرزاق[3]. ويذكر المبرد: "أنه لم ير في أهل زمانه من الرؤساء وأصحاب السلطان أشد رغبة في الأدب من محمد بن عبد الله بن طاهر[4].

وكذلك الصولي[5] (أبو بكر محمد بن يحيى) الذي كان من الأدباء الظرفاء، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء، ومآثر الأشراف، وطبقات الشعراء، واسع الرواية حسن الحفظ للأدب، يغشى مجالس الطاهريين وندواتهم الأدبية على ما كان بينه وبين عبيد الله بن عبد الله من صلات أدبية واحترام متبادل[6].

كما كان بين عبيد الله والشاعر أبي عبادة الوليد بن عبيد الطائي البحتري (ت284هـ) مساجلات شعرية حتى سجل فيها البحتري هجاءه له[7]، ولكن العلاقة ما لبثت أن تحسنت بينهما وتوثقت روابط الأدب حتى مدحه البحتري بقصيدته اللامية المشهورة[8].

وهناك شعراء دون هؤلاء مكانة قدّموا بين يدي عبيد الله مديحهم أمثال ابن أبي طاهر المعروف بابن طيفور (ت280هـ) وأبي الفرج إبراهيم البندنيجي الذي مدح عبيد الله بقصيدة جميلة موضحا له فيها كرم الأمير وفضله عليه[9].

وممن كان يخص محمد بن عبد الله بن طاهر بمدائحه ابن أبي فنن، وتصادف أن كانت له

---

(1) ـ انظر ترجمته في: ياقوت: **معجم الأدباء**. ج5/ص479، القفطي. **إنباه الرواة**. ج3/ص241، ابن النديم. **الفهرست**. ص82، ابن الأثير. **الكامل**. ج6/ص91.

(2) ـ انظر ترجمته في: ياقوت. **معجم الأدباء**. ج2/ص55، ابن النديم. **الفهرست**. ص100، الزركلي. **الأعلام**. ج1/ص367.

(3) ـ الحديثي. المرجع السابق، ص45.

(4) ـ الرقيق النديم. **قطب السرور في أوصاف الخمور**. دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، (د، ت). ص14.

(5) ـ انظر ترجمته في: ابن الأنباري. **نزهة الألباء**. ص188، ياقوت. **معجم الأدباء**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م. ج5/ص478، ابن النديم. **الفهرست**. ص 189.

(6) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص567، الشابشتي. **الديارات**. ص112، الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق. ص45.

(7) ـ البحتري. **الديوان**. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1980م، ج2/ص156.

(8) ـ المصدر نفسه ج1/ص399، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج10 / 339.

(9) ـ أبو الهلال العسكري. **الصناعتين**. تحقيق علي محمد البجاوي. محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: منشورات المكتبة العصرية، 1986م. ص336.

ضيعة بجوار إقطاع له، وكان عامل الخراج والعشور يلحُّ عليه في طلب عشوره وخراجه وربما آذاه، فكتب إلى محمد يستغيث به من قصيدة طويلة[1].

أبـــــني حســـــين إنـــــني ... أصـــبحت في كنـــف الأمـــير
ولنـــــا معـــــاش في قطيـــــ ... ـــــعته علـــى المـــاء الـــنمير
لـــــولا تـــــوردُّ عامـــــل ... كالكلـــــب في يـــــوم مطـــــير
فهـــــل الأمير بجـــوده ... من قبـــح طلعـــته بجـــيري

فلما قرأ محمد القصيدة وقّع تحتها قد أجرناك أبا عبد الله وأمرنا لك باحتمال خراجك ـــ وكان في كل سنة ستة آلاف درهم ـــ وحمل إليه ألف دينار، وحلف عليه أن يقبلها، قال ابن أبي فنن: وصرت منذ هذا الحين أمدحه في كل عام بقصيدة[2].

ولاشك في أن هذه الصلات الوثيقة بين الأمراء والشعراء أثر واضح في ازدهار الحياة الأدبية وتطورها.

ويتضح أنه كان لهؤلاء الأدباء تأثيرهم الفكري في خراسان على العرب والعجم على حد سواء... فوسعوا فيها حركة الكتابة والتأليف، ونشروا بذلك بين الناس ضروب العلم والأدب، فتثقف الجمهور بثقافتهم، وتأدبوا بآدابهم ونمت مداركهم الفكرية، وبالإضافة إلى ذلك فإن عبد بن طاهر قد شجع حركة التعليم في خراسان وجعله في متناول العامة بقدر المستطاع، ونتيجة لذلك كله أصبحت خراسان تنجب الكثير من الكتاب والعلماء منذ القرن الثالث الهجري، كما اهتمت نيسابور والمدن المجاورة لها ـــ والتي كانت في حكم الطاهريين ـــ بالأدب واللغة والثقافة العربية، وظهر في كل مدينة عدد كبير من الأدباء، حتى أن (بست) كانت تسمى (عربستان خراسان) لكثرة من ظهر فيها من العلماء[3].

أما السامانيون فقد حرص أمراؤهم على أن يخطبوا ودّ العلماء، ويقفوا أمامهم موقف للُجل المحترم، والمحب للغدق، ويحدثنا المقدسي عن إجلال الأمراء السامانيين للعلماء وأهل العلم فيقول: "وهم من

(1) ـــ الشابشتي. الديارات. ص125.
(2) ـــ شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي ـــ العصر العباسي الثاني ـــ. ط2، القاهرة: دار المعارف، (د، ت). ص44.
(3) ـــ انظر: الحديثي. الطاهريون. مرجع سابق. ص49 ـــ 50.

أحسن الملوك سيرة ونظرا وإجلالا للعلم وأهله ... ومن رسومهم أنهم لا يكلفون أهل العلم تقبيل الأرض.. وإذا أرادوا أن يرفعوا رجلا أجلسوه معهم على الخوان (مائدة الطعام)"[1].

وَوُصِف أمراء السامانيين بأنهم "كانوا أهل عدل ودين وحسن سيرة وكرم خلق، وازدانت بيوتهم بمكتبات عامرة"[2]. وعلى هذا فقد جعلوا من مدينة بخارى حاضرة الدولة، ومحط رحال العلماء، ومنتجع الفضلاء، ومجمع الفقهاء والأدباء والمحدثين، فشجعوا العلم، وقربوا أهله، وأحلوهم موضع التقدير والاهتمام، يقول القزويني: "إن بخارى كانت دائما مجمع الفقهاء، ومعدن الفضلاء، ومنشأ علوم النظر ... وقد توارثوا تربية العلم والعلماء كابرا عن كابر، و لم تر مدينة كان أهلها أشدّ احتراما لأهل العلم من بخارى"[3].

ويصف الثعالبي مدينة بخارى مبرزا أهميتها العلمية فيقول: "وكانت بخارى في الدولة السامانية مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر"[4].

فحدثني أبو جعفر محمد بن موسى الموسوي قال: اتخذ والدي أبو الحسن دعوة ببخارى في أيام الأمير السعيد نصر الثاني 301هـ ـ 331هـ)[5]، جمع فيه أفاضل غربائها كأبي الحسن اللحام، وأبي محمد بن مطران، وأبي جعفر بن العباس بن الحسن، وأبي محمد ابن أبي الثياب، وأبي نصر الهرثمي، وأبي نصر الظريفي، ورجاء بن الوليد الأصبهاني، وعلي بن هارون الشيباني، وأبي إسحاق الفارسي، وأبي القاسم الدينوري، وأبي علي الزوزني، ومن ينخرط في سلكهم، فلما استقر بهم مجلس الأنس أقبل بعضهم على بعض يتجاذبون أداب المذاكرة، ويتهادون رياح المحاضرة، ويقتفون نواضح الأدب، ويتساقطون عقود الدر، وينفثون في عقد السحر، فقال لي أبي: يابني هذا يوم مشهود مشهور، فاجعله تاريخا لاجتماع أعلام الفضل وأفراد الوقت، واذكره بعدي في أعياد الدهر، وأعيان العمر، فما أراك ترى على السنين أمثال هؤلاء مجتمعين،

(1) ـ المقدسي. أحسن التقاسيم. ص 338 ـ 339.
(2) ـ ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج2/ص158، وانظر: ابن الجوزي. المنتظم. ج12/ص331.
(3) ـ القزويني. آثار البلاد وأخبار العباد. ص510.
(4) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4/ص101.
(5) ـ يعتبر نصر الثاني شبيها بالمأمون حتى أنه يسمى (مأمون السامانيين).

فكان الأمر على ما قال، و لم تكتحل عيني بمثل ذلك المجمع"[1].

والحقيقة أن استقرار الأوضاع السياسية والعسكرية كان باعثا على ازدهار الحياة العلمية وبروز جلّة من العلماء طبقت شهرتهم الآفاق. كما أن دافع السامانيين في سلوكهم هذا ومحاولتهم الظهور كسدنة للعلم، وقُوّاما على مدارسه، هو استكمال العز والجاه والسلطة التي وصلوا إليها، خاصة بعد أن سيطروا على أهم أقاليم الدولة الإسلامية في بلاد المشرق.

وقد تمثلت رعاية الأمراء السامانيين للعلماء في صور شتى، منها إجراء الجرايات وتقديم الهدايا للعلماء والأدباء، فهذا الأمير إسماعيل بن أحمد الذي ذكره القلقشندي بقوله: "كان رجلا عالما، محبا للعلماء مُقربا ومُكرِما لهم"[2] يصل الفقيه أبا عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت294هـ) بأربعة آلاف درهم سنويا... وكان ينهض له ويستقبله استقبالا حافلا، ويجلسه بجواره على كرسي ملكه"[3].

وكان الأمير نوح بن نصر يرعى العلماء، فوصل عالم القراءات الإمام أحمد بن العباس البغدادي (ت355هـ) بمبلغ كبير من المال[4].

ويذكر الذهبي أن الأمير إسماعيل بن أحمد كان "معظما للعلماء"، ومكرما لهم[5].

وتذكر المصادر حادثة لها دلالة واضحة على إكبار الأمراء للعلماء فقد روي "عن إسماعيل بن أحمد أنه جلس يوما للمظالم، وجلس بجانبه أخوه إسحاق بن أحمد، فدخل عليه أحد العلماء، فما كان من الأمير إلا أن قام ليصافحه ويسلم عليه، فعاتبه أخوه على ذلك، وقال له: أنت الأمير، فكيف تقوم لواحد من رعيتك؟ فردّ عليه: قمت إجلالا لعلمه. وقال: فلما بتُّ ليلتي تلك، رأيت النبي مقبلا علي قائلا: يا إسماعيل، ثبت الله ملكك وملك بنيك بإجلالك للعلم، وسيذهب ملك أخيك باستخفافه بالعلم"[6].

وكان إسحاق بن أحمد (أحد أمراء الأسرة السامانية) "مذكورا بالعلم والأدب والمحبة لأهله

---

(1) ــ **يتيمة الدهر**. ج4/ص101.

(2) ــ القلقشندي. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**. القاهرة: مطبعة كوستا توماس وشركاه، (دت)، ج4/ص446.

(3) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج4 / ص82، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج14 / ص37، الأسنوي. طبقات الشافعية. ج2 / ص195، إحسان ذنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق، ص44.

(4) ــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (351 ــ 380هـ) ج26/ص119 ــ 120.

(5) ــ ابن الأثير. **اللباب**. ج2/ص94.

(6) ــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص74، ابن الأثير. **الكامل**. ج6/ص4، 5، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص653.

وكثرة مجالستهم والاستئناس بهم"[1].

ويروى أن مجالس الأمير إسماعيل يحتدم فيها النقاش حول مسائل من العلم مختلفة، يقول المقدسي: "ولهم مجالس عشيات جُمع شهر رمضان للمناظرة بين يدي السلطان، فيبدأ هو فيسأل ثم يتكلمون عليها"[2].

"وفي إحدى مجالس الأمير إسماعيل جرى ذكر الإمارات السابقة مثل الإمارة الطاهرية، والإمارة الصفارية، كما تمّ التحدث عن الأحساب والأنساب"[3]. ولربما روى الأمير حديثا أثناء المجلس، مما يدل على رواية الأمراء للأحاديث أيضا، فقد روى الحاكم أنه سمع "أبا سعيد عمرو بن محمد بن منصور يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إسحاق يقول: لما دخلت بخارى ففي أول مجلس حضرت مجلس الأمير إسماعيل بن أحمد في جماعة من أهل العلم، فذكرت بحضرته أحاديث فقال الأمير: حدثنا أبي قال حدثنا يزيد عن هارون أيد الله الأمير ما حدّث بهذا الحديث أنس ولا حميد ولا يزيد بن هارون، فسكت وقال: كيف؟ قلت هذا حديث أبي موسى الأشعري ومداره عليه، فلما قمنا من المجلس قال لي أبو علي صالح بن محمد البغدادي: يا أبا بكر، جزاك الله خيرا، فإنه قد ذكر لنا هذا الإسناد غير مرّة، فلم يجسر واحد منا أن يرده عليه، قال أبو عبد الله: وإنما أراد الأمير إسماعيل ... حديث يزيد بن هارون عن المسعودي عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن جده"[4].

ويذكر أن أبا بكر الرازي ـــ الذي برع في علوم الأقدمين ـــ كان يتنقل في البلدان، وعقد صداقة مع الأمير منصور بن إسماعيل الساماني، وألّف له كتاب "المنصوري"[5].

ولم تقتصر العناية بالحركة العلمية على الأمراء وحدهم بل تعدتهم أيضا إلى الوزراء وكبار قادة الدولة، فهم بدورهم أيضا كانوا مثقفين، ولهم اهتمام بعلوم العربية وآدابها، فهذا أحمد بن

(1) ـــ الماوردي. **نصيحة الملوك**. تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1983م، ص83.
(2) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص339.
(3) ـــ ابن الأثير. **الكامل**. ج6/ص118.
(4) ـــ الحاكم النيسابوري. **معرفة علوم الحديث**. ص145ـــ 146.
(5) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص360، ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**. ط3، بيروت: دار الثقافة، 1981م، ج2/ص343، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5/ص157.

أبي بكر بن حامد كان كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد ثم صار وزيرا لابنه أحمد ذكره الثعالبي بأنه: "أول من تأدّب وتظرف وبرع وشعر بما وراء النهر، وحذا في قرض الشعر حذو أهل العراق، وسار كلامه في الآفاق"[1].

كما سعدت الدولة السامانية بوزيرين كبيرين كانا صورة مصغّرة لابن العميد[2]، وابن عباد[3]، وهما: الوزير البلعمي[4]، وأبو عبد الله الجيهاني[5].

فالوزير البلعمي هو أبو الفضل محمد بن عبيد الله البلعمي، أصل أجداده عرب من تميم، استوطن فرعهم في بخارى، وكان وزيرا لنصر بن أحمد الساماني، قال السمعاني: "وكان واحد عصره في العقل والرأي، وإجلال العلم وأهله"[6].

والجيهاني هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، قال فيه ياقوت: "وكان أديبا فاضلا شهما جسورا، وكان حسن النظر لمن أمله وقصده، معينا لمن أمله واعتمده، وله تآليف"[7]. وقد استوزر أيضا لنصر بن أحمد.

---

(1) ــ **يتيمة الدهر**. ج4/ص64.

(2) ــ ابن العميد: أبو الفضل محمد بن الحسين، فارسي الأصل من مدينة قم، كان زيديا، النحق بخدمة البويهيين، وخدم الحسن بن بويه (صاحب الري) وأصبح وزيرا منذ سنة 328هـ، كان مثقفا ثقافة واسعة، آية في الترسل والإنشاء، ملما بكثير من العلوم، ويقال بأنه: "كان أجمع أهل عصره لآلات الكتابة، حفظا للغة والغريب في اللفظ فيها، ومتوسعا في النحو والعروض، واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام، توفي سنة 360هـ" انظر: الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج3/ص183.

(3) ــ ابن عباد، إسماعيل: (الملقب بالصاحب)، كاتب شاعر متبحر في العلوم الشرعية واللسانية والأدبية، وصفه الثعالبي بقوله: " ليست تتحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب، وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفرده بغايات المحاسن، وجمعه أشتات المفاخر، لأن همة قولي تنخفض عن أدنى فضائله ومعانيه، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق، وكانت أيامه للعلوية والعلماء والأدباء والشعراء، وحضرته محط رحالهم وموسم فضلائهم ... ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم ... واحتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر ما يزيد عددهم على شعراء الرشيد. "، وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد، وكان الصاحب بن عباد تلميذه وخصيصه وصاحبه، ولذلك قالوا: الصاحب، ثم صار لقبا. انظر: الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج3/ص225، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج2/ص213ــ 290، الذهبي. **العبر**. ج2/ص107.

(4) -وسمي البلعمي بهذا الإسم نسبة إلى بلعم من ديار الروم التي فتحها المسلمون تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك،وقد اشترك مؤسس الأسرة في ذه الغزوة فنسب إلى المدينة،واشتهر أولاده أيضا بهذه النسبة.انظر:السمعاني.**الأنساب**.ج1/ص391.

(5) ــ أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. ج1/ص269 ــ 270.

(6) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص391، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج1/324.

(7) ــ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص596، **ومعجم البلدان**. ج2/ص235.

ويروي ابن النديم: "أنه كان يجري على أبي زيد أحمد بن سهل البلخي جرايات كثيرة"[1].

ويحكي ابن فضلان في رسالته مقابلة الوزير السامانى (الجيهاني) له، وللبعثة العلمية التي كانت متجهة إلى بلاد الترك بأمر الخليفة العباسي، فيقول: "دخلنا بخارى، وصرنا إلى الجيهاني ـــ وهو كاتب أمير خراسان ـــ وهو يدعى بخراسان الشيخ العميد، فتقدم بأخذ دارًا لنا، وأقام لنا رجلا يقضي حوائجنا، ويزيح عللنا في كل ما نريد، فأقمنا أياما..."[2].

ويتضح أن تعيين هؤلاء الأدباء والمؤلفين في منصب الوزارة كان ضمن سياسة السامانيين الهادفة إلى ترويج حركة الفكر العربي في خراسان، كما تنطوي على جانب من جوانب الرسوم السامانية في تولية الوزراء لأصحاب الأقلام العربية المشهورة[3].

ويبدو أيضا أن الاهتمام كان كبيرا بطبقات الكتاب والشعراء؛ لأن هؤلاء كانوا يؤدون خدمات خطيرة تتصل بحياة الدولة وحياة القائمين عليها، فهي من النوع الذي تقدمه مؤسسات الدعاية لحكوماتها في العصر الحاضر، ولم يكن للدعاية حينئذ لسان سوى الشعر، فالوزير وكذلك الوالي والقائد حين يطريه شاعر ويثني عليه يطير اسمه في الناس، فكثيرا ما يجمعونهم من حولهم، لكي يعددوا مناقبهم، ويصوروا كفاءتهم، وأنهم الصفوة المختارة للأمة.

كما أن السامانيين اختاروا قوادهم العسكريين من طبقات النبلاء والدهاقين وأصحاب البيوتات المعروفة ممن لهم اهتمام بالعلم والأدب، أمثال: القائد أحمد بن سهل، وهو من نبلاء العجم، ويتصف بالرأي والعلم والفهم[4].

وآل محتاج ـــ وهم من أعيان خراسان ـــ كان من بينهم محمد بن المظفر وابنه أبو علي أحمد الذي "لم ير بخراسان من الإسوارية[5] مثله فضلا ونبلا وعفة وأصلا في عصره، مع رياسة وسياسة"[6].

---

(1) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص170..

(2) ـــ انظر: ابن فضلان. **الرسالة**. ص76.

(3) ـــ الحديثي. **خراسان في العهد السامانى**. مرجع سابق. ص264.

(4) ـــ كرديزي. **زين الأخبار**. ص29ـــ 31..

(5) ـــ الإسوارية: نسبة إلى قرية بأصبهان، انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج1/ص226.

(6) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص394، ابن الأثير. **الكامل**. ج6/ص270.

وآل سيمجور كانوا "أمراء فضلاء وعلماء عادلون"، ومن القواد المشهورين الذين حنكتهم التجارب وهذبتهم الأيام[1].

كان منهم الأمير أبو الحسن السيمجوري الملقب بناصر الدين، كان أبو بكر القفال الشاشي يقول: "لولا الأمير أبو الحسن لما استقرّ لي وطني بالشاش".

أما آل ميكال فقد اشتهر من بينهم أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، وأبو محمد عبد الله بن اسماعيل الميكالي. وهم أسرة كبيرة من سادة خراسان وأولوا الفضل والنبل والرياسة فيها، جمعوا إلى إنشاء الأدب حماية الأدب[2].

ومن الطريف أن بعض القواد السامانية كانوا من آدب أصحاب الجيوش وذوي أدب وشعر كالحسين بن علي المروروذي[3].

أما أمراء الأقاليم فنذكر منهم، أبو العباس مأمون بن مأمون بن محمد خوارزم شاه، وهو من أفضل وأشهر حكام الأسرة المأمونية[4]، صادق أهل العلم والحكمة، وكان بلاطه مجمعا لهم[5].

وقد حكى الأستاذ (براون) في كتابه (تاريخ الأدب في إيران)، أن السلطان محمود الغزنوي علم أن في مجلس مأمون بن مأمون جماعة من رجال العلم والفلسفة منهم ابن سينا، والبيروني، وأبو السهل المسيحي، وابن الخمّار، وأبو نصر العرّاق، فكتب إليهم أن أرسلهم ليشرفوا بمجلسي، ونستفيد من علمهم، فجمعهم مأمون بن مأمون، وقرأعليهم كتاب السلطان، فأبى ابن سينا، وقبل البيروني، وابن الخمّار، والعرّاق[6].

أما الغزنويون فلم يكونوا بأقل قدر في الاهتمام بالحركة العلمية وتنشيطها، فقد راج العلم والأدب في عصرهم رواجا كبيرا، ويؤيد ذلك ما يذكره المستشرق سيديو "بأن نشوء الدولة

---

(1) ــ العتبي. **التاريخ**. ج10 / 113، السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص363.

(2) ــ أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. مرجع سابق، ج3 / 275.

(3) ــ الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4 / 85، النظامي. العروضي. **جهار مقاله**. (المقالات الأربع)، ط1، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1949م،ص48.

(4) ــ المأمونية: أسرة من الولاة بدأوا حياتهم تابعين للسامانيين، وكانوا شبه مستقلين في الفترة بين سقوط الدولة السامانية وقيام الدولة الغزنوية، ولكنهم عادوا حكاما تحت حماية الغزنويين، إلى أن قضوا عليهم سنة (408هـ).

(5) ــ النظامي، العروضي. **جهار مقالة**. ص169.

(6) ــ براون. **تاريخ الأدب في إيران**. ج2/ص96.

الغزنوية في هذه الظروف العصيبة التي كانت تمر بها الخلافة العباسية.من تفكك وتجزئة حفز النفوس على النشاط العلمي"[1] وأصبحت (غزنة)[2] حاضرة ثقافية عظيمة ويؤمها العلماء، ويقصدها الأدباء من مختلف البقاع، وفاقت غيرها من الحواضر كبخارى وسمرقند والري، وأصفهان، فوقوعها على ملتقى طرق القوافل التجارية التي تربط شرق آسيا بغربها ساعد على النشاط الثقافي بها حيث تأثرت بثقافات مختلفة، مما زاد الحياة الثقافية حيوية وازدهارا، وخاصة كان ذلك في عصر السلطان محمود بن سبكتكين الذي كان مثقفا ثقافة عالية وبخاصة في العلوم الدينية[3]، حيث كانت (غزنة) في عهده عبارة عن قلعة حربية ومركزا للعلم والعرفان، وكانت تزدحم بالجوامع والمكتبات، وكانت تشد إليها العلماء والحكماء ورحالها، وقد تمكن محمود من تحقيق كل ذلك بفضل فتوحاته وغزواته[4].

فقد التف حوله علماء الدين وتنافس أهل المذاهب الدينية والفقهية على كسبه لاعتقادهم أنه إذا اعتنق مذهبا ساد في الأقاليم الخاضعة له. وقد حاول الفاطميون في مصر استمالته إليهم ودعوه إلى اعتناق مذهبهم ليخففوا عن أنصارهم من الإسماعيلية في بلاد المشرق ما كانوا يلاقونه على يد محمود الغزنوي، إلا أن الأخير رفض كل المحاولات، وأمر بقتل رسول الفاطميين وأحد دعاتهم الذي عرض عليه اعتناق المذهب الفاطمي سنة393هـ[5].

وقد عاش في بلاط السلطان محمود نخبة من الكتاب والشعراء والمؤرخين، ويقال: إنه كان في بلاطه نحو أربعمائة شاعر، من أمثال أبي الفتح علي بن محمد البستي الذي اشتهر بجودة شعره ونثره، وقد مكنت السلطان محمود ثروته الطائلة التي جمعها من معابد الهند وغيرها من أن يشجع الشعراء ويفرق عليهم العطايا والهبات، مما يدفعهم إلى الابتكار والإبداع، فلا غرو

---

(1) ــ سيديو. ل.أ. **تاريخ العرب العام**. ترجمة عادل زعيتر، ط2، القاهرة: مطبعة عيسى بابي الحلبي، 1969م، ص352ــ 353.

(2) ــ غزنة: ومكانها اليوم إلى الجنوب الشرقي من مدينة كابل عاصمة أفغانستان حاليا وبينهما (120) كلم تقريبا.

(3) ــ العني. **التاريخ**. ج2/ص239، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5 / 180.

(4) ــ ابن الأثير. **الكامل**. ج7/ص347ــ 348، لوثروب استوارد. **حاضر العالم الإسلامي**. تحقيق وتعليق شكيب أرسلان: ترجمة عجاج نويهضي. ط3، 1971م. ج4 / 189 ــ 290.

(5) ــ العني. **التاريخ**. ج2 / 238 ــ 251، خاشع المعاضيدي وآخر. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق والمغرب**. مرجع سابق، ص 75 ــ 76.

أن التف حوله هذا العدد الهائل من الشعراء، يمدحونه ويطرون بطولته وشجاعته، ويسبغون عليه ألقابا عظيمة من الألقاب التي لقبه بها الخليفة (القادر بالله) من قبيل يمين الدولة، وأمين الملة، ويطلقون عليه كذلك حامي الدين وسلطان المسلمين؛ طلبا للربح والنوال.

ويصف العتبي بلاط محمود بقوله: "وغدت سدته ميثاقا للفضل وأهليه، وسوقا للأدب ومنتحليه، تجلب إليها بضاعات الفضائل بين منظور ومنثور ومنشور"[1].

وليس أدّل على ذلك طلبه لاستضافة كوكبة من العلماء في بلاطه، من أمثال الفردوسي والفرخي والعنصري ومنوجهري، والبيروني وابن سينا ...، والثعالبي، والبيهقي، والعتبي، وأضرابهم ...[2].

وقد بلغ شغف محمود الغزنوي باستقدام أهل العلم والأدب أنه استدعى أبا صالح النباتي والإمام أبا صادق. ولما توفي أبو صالح أرسل محمود إلى نيسابور يسأل عمن بقي منهم ؛ لأنهم أخلص الناس إلى مذهب أبي حنيفة. وكان أبو صادق آية في العلم والكمال، تولى قضاء طوس، ونسا، وتجلت مقدرته العلمية في مجالسه ومناظراته العديدة حتى أن السلطان عهد إليه بالإشراف على المدارس الدينية في تلك النواحي[3].

كما استفاد محمود من فتحه مدينة بست، حينما قرب إليه "أبو الفتح البستي" وأكرمه وأصبح موضع ثقته[4].

وكان السلطان محمود يعقد الندوات والمناظرات في قصره، وعندما أعجبته مناظرات الفقيه أبي نصر التباني الحنفي أسند إليه منصب قاضي قضاة إقليم ختلان[5].

وربما ترجع رعاية السلطان محمود للعلم وأهله إلى كونه هو يلم بالثقافة العربية، فيذكر أنه كان من أعيان الفقهاء، وله مؤلفات منها: "التغريد في الفروع" الذي اشتهر بالجودة في بلاد

---

(1) ــ العتبي. تاريخ. ج2/ص46ــ 47.

(2) ــ براون. تاريخ الأدب في إيران. ج2/ص121، محمد حسن العمادي. خراسان في العصر الغزنوي. مرجع سابق، ص244، للعاضيدي. تاريخ الدويلات الإسلامية. مرجع سابق. ص 76، علي الشابي. الأدب الفارسي في العصر الغزنوي. تونس: دار النشر، 1965م، ص 40.

(3) ــ انظر: البيهقي. تاريخ. ص 227.

(4) ــ العتبي. تاريخ. ج2/ص67ــ 68.

(5) ــ إقليم ختلان: بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند. انظر: ياقوت. معجم البلدان. ج2/ص396.

الغزنويين؛ لما كان يحويه من مسائل، فكان فيه نحو ستين ألف مسألة[1].

ويذكر أن محمودا: كان فقيها على مذهب أبي حنيفة، وأنه صنف كتابا قبل سلطنته بسنتين، وتنسب إليه قصائد في الغزل[2].

وبلغ من تسامح محمود أن مجلسه كان يضم كثيرا من العلماء من مختلف الديانات والأجناس، كالهنود والمسيحيين واليهود، ولم يكن يفرق بينهم في العطاء[3].

ومما يجدر ذكره أن السلطان محمود لما فتح الري سنة 420هـ، كان صاحبها مجد الدولة بن فخر الدولة متشاغلا عن أمور بلده بقراءة الكتب ونسخها، وكان عنده مكتبة ضخمة احتوت على كتب في فروع مختلفة من العلم، فلما استولى عليها محمود أحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال، والنجوم وأخذ ما سواها مائة حمل إلى خزائنه[4].

ويحدثنا العتبي حديثا طويلا عن مسجد غزنة الجديد الذي بناه محمود، وكيف كان يغري العمال الذين اشتركوا في بنائه بالأجور والأموال طلبا للإجادة والإتقان، وكيف نقل ما احتاجه البناء من الأخشاب من الهند والسند، وكيف بالغ في تجميل المسجد وتزيينه حتى استخدم الأصباغ والألوان والتذهيب، وفرش ساحته بالمرمر الصقيل اللامع، وألحق به مدرسة ملئت قاعاتها بالمؤلفات في جميع العلوم، ووكل التدريس فيها إلى فريق من الفقهاء والعلماء كان يغدق عليهم، ويغمرهم بالنعمة[5].

وإلى جانب المدرسة التي ألحقها السلطان محمود بغزنة، أنشأ أخوه الأمير السعيد نصر مدرسة أخرى في نيسابور عرفت "بالسعيدية"، وبهذا كان الغزنويون أسبق من نظام الملك وزير السلاجقة في إنشاء المدارس.

ويذكر أن مسعود الأول (422هـ ـ 431هـ) كان له اطلاع ومعرفة بعلم النجوم وله ولع بمعرفة حقائق العلوم حتى أنه كان يتباحث مع البيروني في مسائل اختلاف الليل والنهار

(1) ـ عبد المنعم النمر. تاريخ الإسلام في الهند. ط1، مطبعة دار العهد الجديد، ص 130.
(2) ـ القرشي. الجواهر المضية. ج2/ص158.
(3) ـ ندا، طه. دراسات في الشاهنامة. الإسكندرية: دار الطالب، 1954م، ص 17.
(4) ـ ابن الأثير. الكامل. ج7/ص335.
(5) ـ العتبي. تاريخ. ج2/ص291.

وغيرها[1]. أغدق الكثير على الشعراء والعلماء، فأعطى للشاعر العنصري ألف دينار، وللشاعر الزينبي العلوي خمسين ألف درهم حملت إلى منزله على ظهر فيل، وأمر للشعراء الأقلّ شأنا بعشرين ألف درهم وللمطربين والمضحكين بثلاثين ألف درهم،وهذا كله في مجلس واحد.

ومن أهم مظاهر اهتمام ورعاية حكام غزنة بالعلماء والأدباء، أن تؤلف المؤلفات وتهدى لهم. مقابل كريم صنيعهم وحسن وفادتهم ورعايتهم للعلم وأهله، وخير دليل على ذلك زمن السلطان مسعود عندما قصده العلماء وصنفوا باسمه التصانيف الكثيرة، فكتب البيروني باسمه كتابيه المشهورين "القانون المسعودي في الرياضة"، و"الزيج المسعودي" وأهداهما إليه[2].

وتتحدث الروايات عن رعاية السلطان مسعود للأدباء والعلماء. فقد أعطى شاعرا في إحدى المناسبات على قصيدة ألف دينار وأعطى آخر على كل بيت شعر ألف درهم وكان مسعود نفسه يجيد الكتابة[3].

ومما يذكر أن إسماعيل بن سبكتكين كان هو الآخر يقرب العلماء والأدباء، فقد اختص به محمد بن الحسين الفارسي النحوي ووزر له[4] كما أن إبراهيم بن مسعود (451هـ ـ 492هـ) قرّب إليه أبا حنيفة الإسكافي[5] ووصفه البيهقي "بالسلطان العالم أبي المظفر إبراهيم"[6].

ومن مظاهر اهتمام الغزنويين بالثقافة العربية هو استيزارهم رجال العلم والأدب، فهذا الوزير أبو القاسم الميمندي[7] عرف بكفاءته العلمية والسياسية معا، وقد وثق السلطان محمود به، وأوكل إليه تصريف شؤون الدولة في حالة غيابه[8]. وقد بذل جهودا كبيرة لكي يجعل اللغة العربية لغة المكاتبات الرسمية بعد أن كانت تحرر بالفارسية[9].

---

(1) ـ ياقوت. معجم الأدباء. ج5/ص126.

(2) ـ محمد عبد الحميد الرفاعي. الخلافة العباسية والحركات الإستقلالية بالمشرق. ط1، القاهرة: دار الثقافة العربية، 1997م، ص 201.

(3) ـ ابن الأثير. الكامل. ج8/ص27.

(4) ـ ياقوت. معجم الأدباء. 5/334، القفطي. إنباه الرواة. ج3/ص116ـ 118.

(5) ـ نظامي. جهار مقالة. 21.

(6) ـ البيهقي. تاريخ. ص498ـ 499.

(7) ـ نسبة إلى ميمند: وهي مدينة بنواحي غزنة. انظر: ياقوت. معجم البلدان. ج5/ص284.

(8) ـ العتبي. تاريخ. ج2/ص166ـ 169.

(9) ـ بارتولد. تركستان. مرجع سابق. ص 434.

وكان يصل إلى البلاط الغزنوي نخبة من شعراء العرب ـــ هاجروا إلى غزنة لينعموا بكرم سلاطينها ـــ أمثال أبي حفص عمر بن مطبوعي، وأبي الحسن محمد بن عيسى الكرجي، وأبي الفضل أحمد بن محمد الرشيدي، وأبي بكر عبد المجيد أفلح الغزنوي وغيرهم[1].

ويتضح مما سبق أن أمراء وسلاطين الدويلات المستقلة في إقليم المشرق أدركوا أن العلم هو سياج الدولة وعمادها، وأن العلماء هم المنائر التي يهتدى بها إذا ادلهمت الدروب، والمشاعل التي يستضاء بنورها إذا عميت المسالك، فعملوا على تشجيع العلوم، وبنو المدارس، وأكرموا العلماء وأحسنوا وفادتهم وأجزلوا لهم في العطاء. كما أدركوا أن خير ما يضمن لهم بقاء دولتهم ورقيها أن يعمروا المدن والحواضر بالعلماء في شتى الفنون؛ لنصرة الدين، وسياسة دنيا الناس به.

(1) ـــ حليلي. **ابن بطوطة في أفغانستان**. ص 56 نقلا عن. ادهام فاضل خطاب. **علاقات الدولة الغزنوية بالبويهيين والخلافة العباسية**. جامعة الموصل، 1975م ـــ (رسالة ماجستير).

4 ـ المساجد والجوامع: (رسالة تعليمية)

لقد اعتبر المسلمون عبر تاريخهم أن تنشيط الحركة العلمية، وبعث الحياة الثقافية وإحياء النفوس بالعلم في المساجد هو صنو الصلاة، من حيث أثره وانعكاسه على الأمة اجتماعيا وتربويا، ذلك أن عملية التشكيل الثقافي يبقى محلها المسجد، فيه يعبد الناس ربهم، ويفقهوا أحكام دينهم، ويعرفوا حقوقهم وواجباتهم، ويتشبعوا بفضائل الأخلاق وكرم الشمائل.

"فالدرس يلقى حيث تقام الصلاة، وترادف المسجد والمدرسة وتماثلا في الشكل والمعنى والوظيفة، واختلط الدرس بالصلاة، حتى كان ابن مسعود يقول: "الدراسة صلاة"، بل وقدم ابن الجوزي الدراسة على صلاة النافلة فقال: "العلم أفضل من كل صلاة نافلة"، فالعلم طلبه عبادة، ودراسته تسبيح"[1].

وكل هذا يخرج من مشكاة واحدة وهو الوحي الأعلى، الذي يضبط الإنسان على أوامره ونواهيه ويوجه حركته في الحياة. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وتاريخ التعليم عند المسلمين يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد، ولهذا فالحديث عنه حديث عن مؤسسة هامة من المؤسسات التي عملت على نشر العلم الإسلامي عبر العصور، وفي مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع. "ولعل السبب في جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات في سني الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه، وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال"[3].

وقبل البدء بالحديث عن المساجد والجوامع فلا بدّ من التفريق بينهما، فالمساجد الجامعة تقام فيها الصلوات المفروضة، بشكل عام. لأعداد كبيرة من الناس كالجمع والعيدين والمناسبات الهامة التي يكون الاجتماع فيها ضروريا، وغالبا ما تكون هذه المساجد الجامعة تحت الإشراف الرسمي للدولة. وأما المساجد فهو للمكان الذي تقام فيه الصلوات الخمس. وهي كثيرة الانتشار في الأحياء

---

(1) ــ أبو بكر البيهقي. **الأربعون الصغرى**. الدوحة: دار إحياء التراث الإسلامي، 1983م، ص195. محمد قمبر. **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**. ط1، الدوحة: دار الثقافة، 1992م، ج3/ص77.

(2) ــ سورة الأنعام: الآية 162.

(3) ــ أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 102. M.M.Sharif. L origine De La Medrasah De La Mosquee Et Du Caravanserail A quatre Iwans. (In Ars Islamica). vol.1951.pp.1-9.

والقرى، ويشرف على هذه المساجد أصحابها من أهل الحي من حيث النظافة ورفع الأذان[1].

ومن المهم أن نذكر أن المسلمين الفاتحين لبلاد خراسان وما وراء النهر حرصوا على أن تكون أول انجازاتهم هو بناء المساجد الجامعة، تحشد فيها الجماهير لتعليم القرآن ومبادئ الإسلام. فحين فتح قتيبة بن مسلم سمرقند "بنى مسجدا فيها وخلّف بها جماعة من المسلمين فيهم الضحاك بن مزاحم البلخي صاحب التفسير"[2].

وعندما فتح بخارى بنى فيها مسجدا وحرص على أن يحضر أهل بخارى الصلاة الجامعة. لتعلم أحكام الدين، والتزم بإعطاء درهمين لكل من يحضر الصلاة[3]. وكانت مساجد بخارى مكتظة بالعلماء الذين يدرسون الطلاب والمدرسين على السواء[4].

وذكر ابن حزم أن بلاد فارس حين فتحت لم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الأئمة القرآن"[5].

وعجت نيسابور بالمساجد العامرة التي ذكر كثيرا منها الصيرفيني، صاحب المنتخب من السياق[6]. كما شهدت جوامع مرو كل ليلة مجالس الفقه يتعلم الناس فيها فقه أبي حنيفة[7].

كما أشار ابن حوقل إلى مساجد خراسان وما وراء النهر وما تزدحم به من العلماء والفقهاء. فقال: "ليس بخراسان وما وراء النهر وسجستان والجبال أعمر بالناس على دوام الأيام من مسجد هراة ومسجد بلخ... فإن بهذه المساجد كثرة من الفقهاء، وزحمة من أرباب القرآن"[8].

---

(1) ــ المرجع نفسه، وانظر: عبد الحميد. سعد زغلول. **الحياة الدينية في المدينة الإسلامية**. مجلة عالم الفكر، مج 11، ع1، 1980، ص33.

(2) ــ قدامة بن جعفر. **الخراج وصنعة الكتابة**. ص 408.

(3) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 78.

(4) ــ برهان الإسلام الزرنوجي. **تعليم المتعلم طريق التعلم**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1986م. ص 108، إحسان ذنون. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري**، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 1997م، (رسالة ماجستير)، ص 327.

(5) ــ ابن حزم. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. بيروت: دار المعرفة، 1983م، ج2/ص80.

(6) ــ انظر: الصيرفيني. **المنتخب من السياق**، ص66، 73، 101، 111، 168.

(7) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 310.

(8) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 366.

ويقول ياقوت عن "الشاش": "وليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقداره من المساحة أكثر منابر منها"[1].

وهذه الكثرة في المساجد تعكس لنا مدى نمو وتطور الحركة التعليمية في إقليم المشرق، وكثرة المتعلمين والمعلمين.

ونظرا لسعة المساجد الجامعة وفخامتها فقد ضمت حلقات علم متنوعة تعقد في جهات مختلفة منها، وتتخذ أسماءها إما من اسم شيخ الحلقة، وإما من اسم العلم الغالب عليها، كحلقة النحويين، وحلقة أهل الحديث، وحلقات الوعظ والإرشاد.

وقد عقد كثير من العلماء حلقات دروسهم في المساجد الجامعة أو في المساجد التي بنوها هم بأنفسهم ونسبت إليهم. وفيما يأتي طائفة منهم:

علي بن الحسين بن موسى بن ميسرة الهلالي النيسابوري (الداربجردي)[2] المتوفى سنة (267هـ) درّس في مسجد الداربجردي، سمع عن سليمان بن حرب، وأبي عاصم النبيل، وروت عنه جماعة من علماء الحديث أمثال: البخاري، ومسلم، وابن خزيمة[3].

كما اشتهر في نيسابور أبو بكر محمد بن يحي بن سهل النيسابوري المطرّز في (مسجد المطرّز) توفي بعد سنة (300هـ) وكان من أجل المشايخ إتقانا واجتهادا[4]. وعقدت في هذا المسجد المجالس العلمية ومن أشهر من عقد فيه:

1 ـ أبو علي، الحسن بن علي بن محمد الدقاق النيسابوري المتوفى سنة (405هـ) الذي برع في علم الأصول واللغة العربية، ورحل إلى مرو طلبا للعلم، تتلمذ على يدي أبي بكر القفّال المروزي وعلي الخضري، ثم قفل عائدا إلى نيسابور فعقدت له مجالس الإملاء في هذا المسجد[5].

2 ـ أبو عمرو، محمد بن عبد الله بن أحمد الزّرهاجي (ت 427هـ)، الفقيه، المحدث،

---

(1) ـ ياقوت. **معجم البلدان**. ج3 /350.

(2) ـ نسبة إلى داربجرد، موضع في أعلى نيسابور. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ص478.

(3) ـ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج12/ص213.

(4) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص323.

(5) ـ الفارسي. **ذيل تاريخ نيسابور** (مخطوط)، نقلا عن أديل وهبي. **الحركة العلمية في نيسابور من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري** ـ جامعة اليرموك ـ قسم التاريخ ـ 1998م. ص 42 (رسالة ماجستير).

النحوي، الأديب، أملى على الطلاب بعد أن تفقّه على أبي سهل الصعلوكي وخط الحديث عن أبي بكر الإسماعيلي[1].

3 ــ أبو سعيد، عبد الرحمن بن الحسن النيسابوري الحافظ (ت 431هـ) وهومصنف كتاب المختلف في المؤتلف، وكان مجلسه الأسبوعي يعقد يوم الأربعاء يتحدث فيه عن أبي سعيد الرازي والحاكم بن أحمد، وأبي بكر بن شاذان، وأبي حفص بن شاهين الدارقطني، وفي الوقت ذاته تتلمذ على يد أبي عبد الغافر الفارسي وأبي المعالي الجويني[2].

أما الإمام أبو إسحاق الإسفراييني (ت 418هـ) فكانت له مجالس إملاء بمسجد عقيل بنيسابور، وهو من أئمة العربية والفقه والكلام والأصول ومعرفة الكتاب والسنة[3].

والشيخ أبو بكر الإسماعيلي (ت371هـ) يعقد مجالسه العلمية بمسجد نيسابور بالعشيات من كل يوم إلا يوم الجمعة، يومين للإملاء، ويوما للنظر، ويومين للقراءة، وكان لا يتخلف عن مجلسه كل يوم في هذه العلوم أحد إلا لعذر[4].

كما عقد أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد الإسفراييني مجلس إملائه بمسجد عقيل في نيسابور سنين عددا، واختلف إليه الأئمة فقرأوا عليه. توفي سنة429هـ[5].

ومن أشهر من عقد مجالس الإملاء والنظر والتحديث في مساجد نيسابور:

أبو علي الحافظ النيسابوري (ت 349هـ) أبو طاهر الخزيمي (ت 387هـ)، وهو حفيد إمام المسلمين أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة، وأبو محمد الصائغ الحليمي (ت 403هـ)[6] وعبد السلام بن محمد بن الهيصم (ت 442هـ)، ناظر للمشايخ، وذكر فصلا أمام الخليفة

---

(1) ــ الأسنوي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص304.

(2) ــ تقي الدين الصيرفيني. **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**. ضبط نصه، خالد حيدر، بيروت: دار الفكر، 1993م، ص336ــ 337.

(3) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج1 / ص144، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص209. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1/ص28.

(4) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص152.

(5) ــ القفطي. **إنباه الرواة**. ج2/ص185، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص142، الكتبي. **فوات الوفيات والذيل عليها**. تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، (د، ت)، ج2/ص370، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص203.

(6) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص250ــ 251، ناحي معروف. **عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية**، بغداد: مطبعة وزارة الإعلام، 1976م، ج2 / 72.

العباسي القادر بالله، وكان المجلس غاصًا بمشايخ بغداد ورؤسائها وأعيانها والكبار من غرباء الحجيج ورؤسائهم فأمر القادر بنسخ كلامه ليخلد في الخزانة وأمر بانصرافه إلى خراسان مكرّما، ولما وصل نيسابور التقاه الأئمة من الفرق، وعقدوا له مجلس التذكير وحضره العلماء والأئمة[1].

وممن كانت له حِلق للعلم في مساجد خراسان وما وراء النهر في فترة الدراسة: أبو سهل الاستراباذي هارون بن أحمد (ت 364هـ) كان له مجلس إملاء في مسجد مدينة نسف بعد صلاة الظهر، وكان يشهد مجلسه عامة أهل العلم وأولاد أرباب النعم، كما كانت له مجالس إملاء بمساجد مدينة بخارى أيضا[2].

ومن كل هذا نخلص إلى القول بأن مجالس الإملاء، والوعظ والتذكير، ومجالس المناظرة في المساجد غذت الحياة الثقافية وأمدتها بحيوية نادرة. جعلت جماهير الناس تغشى هذه المجالس، وتنتفع بما يلقى فيها من العلوم والآداب والتزكية. ولا شك أنّ هذه المجالس كانت تعقد في جو فكري حرّ. مكنّها أن تنفس مجالس العلم في عاصمة الخلافة بغداد، بل جعل التدوين الحقيقي للعلوم الدينية، وعلوم الآلة، تزدهر وتنموا في خراسان وما وراء النهر أكثر منها في العراق.

(1) ــ الصوفي. المنتخب من السياق. ص394.

(2) ــ السمعاني. الأنساب. ج1/ص131.

5 ـ الكتاتيب[1]

تمثل الكتاتيب المرحلة الأولى للنظام التعليمي عند المسلمين، وإن كان نظام الكتاب عرف في العصر الجاهلي ويهدف إلى تعليم الصبيان القراءة والكتابة[2]، وجاء الإسلام وازداد عدد المتعلمين، والراغبين في طلب العلوم الشرعية. وضاقت المساجد بالطلاب، ولم يكن من الممكن أن تضم مجالس العلم في المساجد الصبية الصغار لأنهم لا يتحرزون من النجاسات.

ولما سئل الإمام مالك ﷺ عن ذلك قال: "لا أرى ذلك يجوز ؛ لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة". وورد في كتب الحسبة ما يؤيد ذلك، فقد نصّت على أنه: "لا يجوز تعليم الأطفال في المسجد لأن النبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسوّدون حيطانها ولا يتحرزون من النجاسات، بل يتّخذ لتعليمهم حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق"[3].

أما ابن عبدون الإشبيلي، فيقول: "المساجد هي بيوت الله ومواضع الذكر، ومواضع العبادة، مشهورة بالطهارة، ويجب أن لا يؤدب فيها الصبيان، فإنهم لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم ولا من ثيابهم، فإن كان ولا بد ففي السقائف"[4].

"والكتاتيب تتكون من بناية بسيطة غالبا ما تكون إلى جانب المساجد ونادرا ما تكون فيها؛ لعدم تحرز الأطفال من الوساخة والضوضاء، وربما كانت في بيت المعلم في بعض الأحيان، وهي لا تعدو في أغلب الأحيان حجْرة أو حجرتين متواضعة الفرش والأثاث تتناسب مع عدد الأطفال"[5].

وكانت الكتاتيب في بادئ الأمر مؤسسات خاصة تعود إلى أصحابها وهم المعلمون، فالرقابة متروكة لدين المعلم ووجدانه وخلقه؛ لذلك كان الناس يتخيرون المعلمين والكتاتيب التي تحقق

---

(1) ــ الكتاتيب: هو موضع تعليم الكتاب. والمُكَاتِب، والمُكْتِب: موضع التعليم، والكُتّاب: الكتبه. ويقال للذي يعلم الصبية في هذه الكتاتيب (معلم) و(مُكْتِبٌ). انظر: ابن منظور. **لسان العرب**.مصر: دار المعارف، (دت)، مادة "كتب" ج5/ص3816،، ابن الأثير. اللباب. ج3/ص251.

(2) ــ حسام السامرائي. **المدرسة مع التركيز على النظاميات**. بحث من أبحاث الفكر التربوي في الإسلام ــ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. الأردن، ص 1 ــ 2.

(3) ــ الشيزري. **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**.القاهرة، (دم)، 1946م، ص103، وانظر: أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 53.

(4) ــ **رسالة في الحسبة**. تحقيق ليفي بروفينسال ــ نشر بالمجلة الأسيوية. عام 1934. ص 314.

(5) ــ بشار عواد معروف. **حضارة العراق**. بغداد: دار الحرية للطباعة. 1985م. ج8 / ص 26.

طموحاتهم في تعليم أولادهم وتربيتهم[1]. ويشير الجاحظ إلى اختلاف كبير في مستوى المعلمين لا سيما بين معلمي المدن ومعلمي القرى، والظاهر أن معلمي الكتاتيب العادية كانوا قليلي الثقافة ولا سيما أولئك الذين يعملون في القرى والأرياف، قال الجاحظ: "ومن أمثال العامة "أحمق من معلم كتّاب" وقد ذكرهم صقلاب فقال:

وكيف يرجى الرأي والحلم عند من يروح على أنثى ويغدو على أطفل

وفي قول بعض الحكماء: "لا تستشيروا معلّما، ولا راعي غنم، ولا كثير القعود مع النساء" ... وللعلمون عندي على ضربين: منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الملوك أنفسهم للرشحين للخلافة، فكيف تستطيع أن تزعم أنّ مثل علي بن حمزة الكسائي، ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب، وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم، فإن ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة، فما هم في ذلك إلاّ كغيرهم، وكيف تقول مثل ذلك في هؤلاء ومنهم الفقهاء والشعراء والخطباء، مثل الكميت بن زيد، وعبد الحميد الكاتب، وقيس بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، ومثل عبد الكريم أبي أمية وحسين المعلم وأبي سعيد المعلم ... وما كان عندنا بالبصرة رجلان أروى لصنوف العلم، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير وأبي عدنان المعلّمين، وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا ..."[2].

ومهما يكن من أمر فإن المعنيين بالتربية الإسلامية وضعوا شروطا لمعلم الكتاب ينبغي أن تتوفر فيه منها الثقافة العامة، ومعرفة لطرائق التربية النفسية للأطفال، والتدين مع الزواج، ومن جملة الشروط التي وضعوها:

1 ــ أن يقصد من عمله التربوي والتعليمي وجه الله تعالى، فيعمل على إصلاح ناشئة المسلمين لا طمعا في مال أو جاه.

2 ــ أن يكون مثلا يحتذى في قوة اليقين بالله وإقامة شعائر الدين، والتخلق بمحاسن الأخلاق، والاعتناء بنظافة جسمه وثيابه، ويتشبه بأهل الفضل والدين من معلمي الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الفضلاء، وبذلك يؤدب طلابه بسيرته وعمله قبل تأديبهم بقوله وموعظته.

---

(1) ــ المرجع نفسه. ص 23 ــ 24.

(2) ــ الجاحظ. البيان والتبيين. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، (د، ت)، ج1 / ص248 ــ 252.

3 ــ أن يحب تلاميذه، ويصونهم عن الأذى ما استطاع، ويرحب بهم عند حضورهم، ويسأل عنهم إذا غابوا عنه، ويغفر لهم خطاياهم، ويعذرهم على هفواتهم، فإن أراد تنبيههم على ذنوبهم أدبهم أولا بالتلميح، فإن لم يتعظوا صرح لهم، فإن لم يفدهم ذلك وبّخهم.

4 ــ وعليه مراعاة مستوى فهم طلابه فيخاطبهم على قدر فهمهم وإدراكهم، فلا يعلم أحدا ما لا يحتمله ذهنه أو سنّه، ويحرض طلابه على الاجتهاد ويطالبهم بإعادة محفوظاتهم، فمن وجده حافظا أثنى عليه، ومن وجده مقصرا عنّفه، وأن يطرح عليهم أسئلة يختبر بها أفهامهم، ويأمرهم بالاعتدال في الدراسة إذا ما أسرفوا فيها وظهر ذلك على أجسامهم وفي وجوههم، وإذا ما رأى من أحد ضجرا أو نحوه أوصاه بالراحة والاستجمام.

وكان يعاون معلم الكتّاب في مهمته شخص يدعى (نقيب) يكون عادة أقل مرتبة من المعلم اشترط فيه أن يكون فطنا كيّسا دربا يرتب الأطفال على أقدارهم، وينبه الغافل منهم، ويأمرهم بحسن الاستماع والانتباه،وغالبا ما يتولى معاونة المعلم في تلقين الأطفال وإعادة ما حفظوه[1].

وقد تبنت الدولة الإسلامية عبر العصور مسؤوليتها في الإشراف على الكتاتيب فأكثرت من بنائها مستقلة عن المساجد حتى أصبح بكل قرية كتاب بل ربما وجد فيها أكثر من كُتّاب، ونصّبت الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم[2].

وكان الذين يتولون التعليم في المكاتب يطلق عليهم إسم "المعلمين"، أو "المكتبيين" كما كان الآباء يدفعون بأبنائهم إلى المكتب منذ الصغر في الخامسة أو السادسة وبعضهم في السابعة والثامنة[3]. وفي ذلك يقول الغزالي: "إن التربية الدينية يجب أن تبدأ في سن مبكرة، ذلك لأن الصبي في هذه السن يكون مستعدا لقبول العقائد الدينية والإيمان بها دون أن يطلب عليها دليلا"[4] كما أشار إلى أن الصبي لا بد وأن يتعلم في الكتاتيب القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم، وبعض الأحكام الدينية والشعر[5].

---

(1) ــ بشار عواد معروف. **حضارة العراق** ...مرجع سابق. ص 24 ــ 25.

(2) ــ أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 54، السامرائي. **المدرسة**.. مرجع سابق. ص 3.

(3) ــ أبو حامد الغزالي. **إحياء علوم الدين**. بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت)، ج1/ص48.

(4) ــ المصدر نفسه. ج3/ص83.

(5) ــ المصدر نفسه. ج3/ص63.

ويضع الجاحظ منهاجا مفصلا لتعليم الصبية فيقول: "ولا تشغل قلب الصبي بالنحو إلا بالقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام، في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به، كرواية الخبر الصادق، والمثل الشاهد، والمعنى البارع، ويعرف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة، ويعلم كتابة الإنشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة، ويحذر التكلف، ويحثه ـــ في قراءة كتب البلغاء ـــ أن يستفيد المعاني لا الألفاظ"[1].

ويعد نظام الكتاتيب من أهم الأنظمة التي أسهمت في نشر التعليم الأولى في البلاد الإسلامية. وساعد على انتشاره في القرى والمدن بصورة واسعة بساطة مبنى الكتاب، فإنه يكفيه حجرة صغيرة في بيت المعلم، أو دكان يستأجر في المحلة أو السوق يخصص لتعليم الصبية، ولم يكن يتجاوز أثاثه في أغلب الأحيان حصيرا يطرح على الأرض في الحجرة، وكان المعلم يجلس على مقعد صغير، ويتحلق حوله الصبية الصغار[2].

أما فيما يتعلق بطريقة التعليم في الكتاب فتكاد تكون واحدة في كافة البلدان الإسلامية وذلك نظرا لوحدة الهدف الذي أنشئت من أجله، على أن طرق المعلمين والمؤدبين قد تختلف من شخص لآخر، إلاّ أنّها في كل الأحوال لن تخرج عن الإطار الذي حدّده من كتب عن المعلمين وآدابهم وواجباتهم والمحتسبين[3]. لأن المحتسب[4]. المعيّن من قبل الدولة عليه أن ينذر معلمي الكتاب بأن لا يضربوا الصبيان ضربا مبرحا ولا في مقتل[5]، كما يتولى مسؤولية مراقبة ما يقدم إلى الصبيان والفتيات من العلوم والمعارف، كما أنه يدقق على معلم الصبيان ومدى

(1) ـــ رسالة المعلمين (مخطوط)، نقلا عن أحمد شلبي. التربية الإسلامية ... مرجع سابق. ص 55 ـــ 56.

(2) ـــ طارق فتحي سلطان. مقدمة في الحركة العلمية العربية في المشرق الإسلامي، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة بالعراق، 1989م، ص21.

(3) ـــ علي بن محمد بن سعيد الزهراني. الحياة العلمية في صقلية الإسلامية. مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1996م. ص 228 ـــ 229.

(4) ـــ من واجبات المحتسب: النظر في أحوال الرعية، ومراقبة الأسواق والطرق، وضبط الخدمات الاجتماعية والصحيّة. مع الاهتمام بأمر المساجد والكتاتيب والمحافظة على الأخلاق والآداب العامة. انظر: حسام الدين السامرائي. المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية. ط2، القاهرة: دار الفكر العربي. 1403هـ، ص 305 وما بعدها.

(5) ـــ عبد المنعم ماجد. تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى. ط4، القاهرة: مطبعة النهضة الجديدة، 1984م، ص 159.

ملائمته لمهمة التعليم من نواحي الأخلاق والسلوك والعلم[1].

وكان من العادة أن يذهب الطفل إلى الكتاب مبكرا، ويستمر التعليم حتى الظهيرة، ويعود الطفل إلى منزله لتناول الغذاء والراحة قليلا، ثم يعود لمواصلة الدرس حتى أذان العصر، وبهذا ينتهي يومه الدراسي[2].

أما الأدوات التي كانت تستخدم في العملية التعليمية، فكانت عبارة عن لوح من الخشب وقلم (هو ريشة طائر) ومحبرة صغيرة، وربما استخدموا الفحم في الكتابة، أو نوعا من التراب الأسود، كما كان يوجد طين أبيض[3]، أشبه بالطباشير يستخدم للكتابة[4].

وبعد أن ينتهي الصبي من تلقي العلوم الأولية في الكتاتيب يمكنه الانتقال إلى حلقات المساجد، لتلقي مرحلة تعليمية أعلى، وكان هذا النظام متعارفا عليه في جميع أنحاء العالم الإسلامي شرقا وغربا[5].

ويظهر أن كتاتيب الصبيان أنشئت في خراسان منذ أوائل الفتح الإسلامي بهذا يقول ابن حزم حيث ذكر أن بلاد فارس حين فتحت نسخت للصاحف وقرأ الأئمة القرآن "وعلمه الصبيان في المكاتب شرقا وغربا"[6].

كما ذكر الخطيب أن أهل خراسان اهتموا بالكتاتيب وإرسال أبنائهم إليها، كما أن العلاقة بين أولياء التلاميذ ومعلميهم كانت قائمة، حيث كان الآباء يقومون بزيارة الكتاتيب ويطلعوا على مدى تحصيل أبنائهم، وحسن سيرهم[7].

وقد حفظت لنا كتب التراجم كثيرا من العلماء والأدباء والمحدثين والفقهاء في خراسان وما وراء النهر ممن كانوا قد بدأوا حياتهم العلمية في الكتاتيب ثم حذقوا قسطا كبيرا من العلوم

---

(1) ــ الشيزري. **نهاية الرتبة في طلبة الحسبة**.ص103.

(2) ــ الزهراني. **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**.. مرجع سابق. ص 229.

(3) نسميه نحن في الجزائر (بالصيصال).

(4) ــ انظر: المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص443، سلطان. **مقدمة الحركة العلمية ...**. مرجع سابق. ص 21 ــ 22، عبد الباري محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم بالإسلام**. ط1، (د، م)، 1994م، ص164.

(5) ــ سلطان. **مقدمة في الحركة العلمية**. مرجع سابق. ص 22.

(6) ــ ابن حزم. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. ج2/ص80.

(7) ــ انظر: الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. ج12/ص403.

ووصلوا إلى مراتب علمية مرموقة، فكانت دراستهم هي اللبنات الأولى في صرح عطائهم العلمي الخالد. نذكر منهم:

أبا عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الصحيح بدراسته الحديث في الكتّاب حيث يقول: "ألهمت حفظ الحديث في المكتب ولي عشر سنين أو أقل، وخرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره[1].

كما أن الطبيب ابن سينا درس في طفولته في أحد كتاتيب قريته أفشنة[2]. وعلى هذا فله رأي مشهور في تربية الأولاد، يدور حوله المنهج الأول للتربية الإسلامية فيقول: "وينبغي البدء بتعلم القرآن، بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين جسميا وعقليا، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء، ويلقن معالم الدين، ثم يروى الصبي الشعر مبتدئا بالرجز ثم بالقصيدة، لأن رواية الرجز وحفظه أيسر، إذ أن بيوته أقصر، ووزنه أخف، على أن يختار من الشعر ما قيل في فضل الأدب ومدح العلم، وذم الجهل، وما حث منه على بر الوالدين، واصطناع المعروف، وقرى الضيف، فإذا فرغ الصبي من حفظ القرآن، وألمّ بأصول اللغة، نظر عند ذلك في توجيهه إلى مايلائم طبيعته واستعداده"[3].

(1) ــ السبكي. طبقات الشافعية. ج421/1.

(2) ــ الباكوي. تلخيص الآثار. ورقة 36ب. نقلا عن، ذنون. الحياة العلمية ... مرجع سابق. ص 54 ــ 55.

(3) ــ كتاب السياسة.

6 ـ المدارس: (توطين الثقافة الإسلامية في إقليم المشرق)

يقصد بقولهم "مدرسة" معناها الاصطلاحي عند العرب منذ أواسط القرن الخامس الهجري، وهي غير مواضع العلم الأخرى كدور الحكمة ودور العلم، ولا من أمكنة التعليم والتدريس والإملاء والإقراء. ولفظ المدرسة من الألفاظ المولدة عند العرب، وهو في الأصل مأخوذ من العبرانية أو الآرامية، مدارس أو مدرس وجمعها مداريس ثم خفف فأصبح مدارس[1].

ومما وقر في أذهان كثير من المؤرخين قديما[2] وحديثا[3] أن نشأة المدارس في العالم الإسلامي كانت بعد الأربعمائة من سني الهجرة، على يد الوزير السلجوقي "نظام الملك الطوسي"[4]، وسميت بالمدارس النظامية التسع في (نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وأصبهان، وآمل طبرستان، والبصرة، والموصل، وبغداد[5]. وأن السلاطين والأمراء المسلمين من بعده اقتدوا به في إنشاء المدارس الحرة المجانية في أنحاء المملكة الإسلامية،وأشهرهم السلطان نور الدين زنكي (ت 569هـ)، ثم صلاح الدين الأيوبي (ت589هـ)، ثم الملك المعظم مظفر الدين كوكبري صاحب إربل (ت 630هـ)[6].

غير أنه بعد البحث والتقصي تبين أن هناك مدارس أنشئت في العالم الإسلامي قبل المدارس النظامية. بأكثر من قرن ونصف. فهذا المقدسي يشير إلى المدارس في بلاد الشام سنة(375هـ).

ذكر المقدسي المتوفى سنة (378هـ) أنه شاهد في رحلته إلى بلاد المشرق مراكز علمية من

---

(1) ـ مصطفى جواد. **أول مدرسة في العراق**. مقال في مجلة المعلم الجديد. العراق، العدد 1، السنة 1940م.

(2) انظر: المقريزي. **الخطط**. ج2 / ص 363، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2/ص129.

(3) ـ انظر: جرجي زيدان. **تاريخ التمدن الإسلامي**. بيروت: منشورات مكتبة الحياة، (د، ت)، ج2 / 220، أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 116، محمود قمبر. **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 17، أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. مرجع سابق. ج2 / 49.

(4) ـ هو أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي، ولد براذكان بلدة صغيرة بطوس سنة 408هـ، اشتغل بالحديث والفقه، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان معتمد مدينة بلخ ثم وزر للسلطان ألب أرسلان السلجوقي، ثم لولده ملكشاه، وأخذ في بناء المساجد والرباطات. وللمدارس المعروفة بالنظاميات .... عمّر دور الكتب، وابتاع الكتب بأوفر الأثمان، وأدرّ الجرايات على الخزّان، فكانت سوق العلم في أيّامه قائمة، قتل على يد الحشاشين الباطنية قرب نهر نهاوند سنة 480هـ. انظر: ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2/ص128، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص3.

(5) ـ انظر: السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص3.

(6) ـ ناجي معروف. **علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي**. بغداد: مطبعة الإرشاد. 1973م. ص4.

مساجد، وجوامع، ومدارس، ومكاتب، فيقول: "أقمت في المساجد، وذكرت في الجوامع، واختلفت إلى المدارس"[1].

ثم يتحدث عن إقليم المشرق، فيقول عنه: "كثير العلماء، ومستقرّ العلم، فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك ... فجانب الهيطل من الإقليم يضم سمرقند الجليلة، وخجندة العجيبة والمدارس والأئمة والمشايخ ... والدرس بالليل والنهار"، وجانب خراسان (الذي فيه نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ ....) يراه المقدسي أكثر علما وتقدما وأنه ليس به إلا مساجد ومكاتب، ثم يقرر أن بمرو مدارس، لكل دارس وظيفة[2].

كما أن المدرسة الصادرية بدمشق أسست سنة (391هـ). وبذلك يرى الدكتور يوسف غوانمة أن بلاد الشام قد عرفت المدارس قبل نظام الملك، وكانت هذه المدارس موئلا للعلماء والفقهاء، يرتادونها من جميع أنحاء العالم الإسلامي[3]. بينما يرى ناجي معروف أن أول مدرسة أنشئت في نيسابور هي مدرسة الحسان القرشي قبل سنة (349هـ)[4].

وتشير الوثائق التي بين أيدينا على أن المدارس التي كانت بخراسان وبما وراء النهر، في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي لعبت الدور الأهم في نشر الإسلام، وكانت هذه المدارس مستقلة عن تدبير الحكومات وسياساتها، وفي ذلك القرن كانت الدعوة للإسلام خارج حدود الخلافة أكثر نجاحا في آسيا الوسطى منها في أي مكان آخر، وذلك بفضل هذه المدارس[5].

والمدارس التي بنيت قبل نظامية بغداد في خراسان وما وراء النهر كانت كلها أحادية أي أنها بنيت لمذهب واحد من المذاهب الفقهية الأربعة، وكان أغلبها للشافعية والحنفية[6]، وأبرز الخصائص التي تميزت بها أبنية المدارس التي سيأتي ذكرها. هي:

1 ـــ تخطيط المدرسة هو مستطيل أو مربع تتوسطه ساحة مكشوفة "صحن" تحيطها مرافق

(1) ـــ المقدسي. أحسن التقاسيم. ص241، 363، 390، 391.
(2) ـــ المصدر نفسه. ص310.
(3) ـــ يوسف غوانمة. تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي. عمان: دار الحياة للنشر والتوزيع. 1982م. ص 150.
(4) ـــ مدارس قبل النظامية، مجلة المجمع العلمي العراقي. المجلد الثاني والعشرون، بغداد: 1973م. ص 118.
(5) ـــ بارتولد. تاريخ الترك في آسيا الوسطى. مرجع سابق. ص 75.
(6) ـــ ناجي معروف. المرجع السابق. ص 111.

المدرسة. وتحتل هذه الساحة أكبر قدر ممكن من المخطط العام للبناية.

2 ـــ وجود أواوين على الساحة الوسطية، فبعض المدارس ذات إيوان واحد وبعضها فيها إيوانان، وهناك مدارس ذات أربعة أواوين.

3 ـــ إقامة بيت الصلاة في الجهة القبلية بحيث يوفر ذلك إمكانية الإستفادة من الساحة في أداء الصلاة عند عدم كفاية بيت الصلاة ووجود عدد كبير من المصلين.

4 ـــ وجود حجرات وغرف للسكن مع قاعات كبيرة للتدريس[1].

ولسكن الطلاب آداب خاصة ينبغي للطلاب أن يراعيها نذكر منها:

1 ـــ أن ينتخب الطالب لنفسه من المدارس بقدر الإمكان ما كان يوافقه أقرب إلى الورع وأبعد عن البدع بحيث يغلب على ظنه أن المدرسة ووقفها من جهة حلال، وأن معلومها إن تناوله من طيب المال، وأن يتنزه عن المدارس التي لا يعرف حال بانيها أو التي أسست على مظلمة كأن تكون بنيت سخرة ".

2 ـــ على الطالب أن يظهر المودة والاحترام لأهل المدرسة وأن يرعى لهم الحقوق ويتغافل عن تقصيرهم فإن لم يرضى بجيرتهم فليرتحل عنها.

3 ـــ على المدرس الساكن بالمدرسة أن يعترف بشروطها ليقوم بحقوقها وأن يتنزه ما أمكنه التنزه عن معلومها ولا سيما في المدارس التي ضيق في شروطها وشدد في وظائفها، ولا بأس بالاستعانة بحرفة أخرى بنية التفرغ لأخذ العلم، ونفع الناس به.

4 ـــ إذا حصر الواقف سكنى المدرسة على المرتبين[2] بها دون غيرهم نفّذ ذلك الشرط، وإن لم يحصر فلا بأس إذا كان الساكن أهلا لها، مقدما ساكنيها على نفسه.

5 ـــ على الطالب الساكن بالمدرسة أن لا يشتغل بغير شأنه وتحصيله وما بنيت المدرسة لأجله دون الصحبة والمعاشرة؛ لأنها تفسد الحال وتضيع المال، وإذا كملت استفادته من مدرسته تركها وارتحل عنها.

---

(1) ـــ خالد محمد عزب. **المدارس في الحضارة الإسلامية**. مجلة الوعي الإسلامي. العدد 344. السنة 31. سبتمبر 1994م. ص 42.

(2) ـــ المرتبين: هم الذين يُجرى عليهم إدرار من أوقاف المدارس فيقيمون فيها.

6 ــ ينبغي للمدرس الساكن بالمدرسة ألا يكثر البروز والخروج من غير حاجة فإن كثرة ذلك، تسقط حرمته من العيون، ويواظب على الصلاة في الجماعة فيها ليقتدي به أهلها ويتعودوا على ذلك.

7 ــ لا يتمشى الساكن في المدرسة أو يرفع صوته بقراءة أو تكرار أو بحث رفعا منكرا أو يغلق بابه أو يفتحه بصوت ونحو ذلك؛ لما في ذلك كله من إساءة الأدب على الحاضرين والحمق عليهم.

8 ــ أن يلزم أهل المدرسة التي يسكنها بإفشاء السلام وإظهار المودة والاحترام ويرعى لهم حق الجيرة والصحبة والأخوة في الدين والحرفة ؛ لأنهم أهل العلم وحملته وطلابه.

9 ــ على الساكن أن لا يدخل ميضأة للمدرسة عند الزحام إلا لضرورة، وأن يتأنى عند فتح بابها.

10 ــ أن لا ينظر في بيت واحد في مروره من شقوق الباب أونحوه، ولا يلتفت إليه إذا كان مفتوحا، وأن لا يشير إلى الطاقات الخاصة إذا كان فيها نساء. وأن لا يصعد إلى السطح إلا لضرورة.

11 ــ أن يتقدم على المدرس في حضور موضع الدرس ولا يتأخر إلى بعد جلوسه وجلوس الجماعة. فيكلّفهم المعتاد من القيام ورد السلام وربما فيهم معذور فيجد في نفسه منه ولا يعرف عذره[1].

ومن خلال هذه الآداب يتكشف لنا أصالة المنهج التربوي الإسلامي الذي التزمت به المدارس وسكناها في صقل أخلاق الطلاب وتهذيب طباعهم، وجعلهم نموذجا يحتذى، وقدوة تتّبع.

ولما كانت طرائق التربية ونظم التعليم في البلاد الإسلامية متشابهة مشرقا ومغربا، فإنه يمكن أن نصف دقة نظام المدارس في خراسان وما وراء النهر بنفس النظام الذي وضعه الخليفة المستنصر بالله لمدرسته ويمكننا تلخيصه في النقاط التالية:

1 ــ يكون عدد الفقهاء (طلاب الفقه). 248 متفقها. من كل طائفة (مذهب) منهم 62 فقيها لهم للمشاهرة والجراية واللحم والطبخ والحلوى والفواكه والفرش والصابون والمسرجة وإبريق النحاس مع راتب شهري قدره ديناران يضاعف في شهر رمضان.

2 ــ يعين كل طائفة (مذهب) مدرس وأربعة معيدين ومرتب ينظم أمور الطلاب ويسهر

(1) ابن جماعة. تذكرة السامع. ص 193 ــ 234.

على راحتهم وطعامهم ويراقبهم ليلا ونهارا، وهذا يفيد في حرص أهل ذلك العصر على متابعة هؤلاء الطلاب وتربيتهم تربية جيدة من خلال المتابعة المستمرة.

3 ـــ يكون في دار القرآن ثلاثون صبيا أيتاما لكل منهم الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

4 ـــ يعين في دار القرآن شيخ مقرئ صالح لتلقين القرآن الكريم، له في كل يوم الخبز والطبيخ مع راتب شهري قدره ثلاثة دنانير، ويعين مع الشيخ المذكور معيد يحفظ القرآن الكريم للصبيان له الخبز والطبيخ وراتب شهري.

5 ـــ يكون في دار الحديث شيخ عالي الإسناد يشتغل بعلم الحديث له في كل يوم الخبز واللحم مع راتب شهري قدره ثلاثة دنانير.

6 ـــ يساعد الشيخ المذكور قارئان للحديث لكل منهما الخبز والطبيخ مع راتب شهري.

7 ـــ يكون في دار الحديث عشرة أشخاص لكل منهم الخبز والطبيخ وراتب شهري.

8 ـــ يعين في المدرسة طبيب حاذق مسلم له نصيب من الخبز واللحم مع راتب شهري.

9 ـــ يكون مع الطبيب عشرة أشخاص من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب لهم الجرايات مثل طلاب الحديث.

10 ـــ يقوم الطبيب بمعالجة من يعرض له مرض من أرباب المدرسة.

11 ـــ يعطى المريض مجانا ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأطعمة وغير ذلك.

12 ـــ اشترط الخليفة أن يكون في المدرسة من يشتغل بعلم الفرائض والحساب.

13 ـــ جعل الخليفة للمدرسة أوقافا كثيرة كان المسؤول عنها يسمى "صدر الوقوف"[1].

ويتبين لنا من خلال هذا النظام الذي تسير عليه المدارس أن دورها لا ينحصر في الجانب التعليمي فقط بل يتعداه إلى تقديم الخدمات الاجتماعية، مما يحسن من مستوى معيشة الطلاب وذويهم، وبهذا يتحسن الأداء، ويزداد التحصيل، وتنمو الملكات، ويتخرج جيل من العلماء من هذه المدارس لا تزال آثارهم مشاهدة عليهم إلى يوم الناس هذا.

وقد حفظت لنا المصادر أسماء عدد من المدارس في خراسان وما وراء النهر انتشرت في حواضر كثيرة خلال فترة البحث.

(1) ـــ خالد محمد عزب. المقال السابق. ص 44.

"وقد وردت إشارات إلى وجودها منذ أواخر القرن الثالث الهجري، منها ما ذكره أبو نصر السمرقندي عن الأوقاف التي أوقفها الأمير إسماعيل بن أحمد (ت 295هـ) على عشر مدارس. وذكر السمعاني أن أحد فقهاء المالكية كان يدرّس بمدرسة في نيسابور وتوفي عام (299هـ)، وذكر في موضع آخر أن فقيها توفي عام (305هـ) كان لأبيه مدرسة، وكان يجتمع بها مع أقرانه العلماء، ومنهم الحاكم أبو عبد الله النيسابوري.

ولعل هذه الإشارات هي التي جعلت صاحب (روضات الجنات) يغلب الرأي القائل بأن أول مدرسة كانت في بخارى"[1].

بل إن (فامبري) يذهب إلى أن بخارى هي أكثر حواضر إقليم المشرق في عدد المدارس فيقول: "ويقال إن عدد المدارس الجامعة ببخارى كان في عهد إسماعيل [الساماني] يزيد على نظائره في كل مدن آسيا، حتى لنرى بلخ، وهي التي تعرف بقبة الإسلام، لم تستطع أن تبرز لمنافستها، إلا بعد ذلك بكثير"[2].

ومن مدارس بخارى الأولى مدرسة فارجك "التي تستدل من رواية النرشخي بصدد الحريق الهائل الذي شب عام (325هـ) على أن مدرسة فارجك وبالتالي الباب الذي يحمل نفس الإسم، كانا يقعان إلى الشمال من القناه الرئيسية للمدينة، والتي كانت كما نرى تشق بالتقريب نفس المواضع التي تشقها الآن، وأن مسجد ماخ كان إلى الجنوب منها"[3]، ومدرسة جوبار التي تقع قرب باب إبراهيم ـــ باب الشيخ جلال ـــ فأما "الشيخ الجليل أبو الفضل البلعمي (ت 321هـ)، وأما الباب الذي حمل اسمه، فأغلب الظن أن المقصود به هو باب إبراهيم الذي أخذ عنه أيضا تسميته الحالية شيخ جلال، ولا تزال تقوم قرب مقبرته إلى اليوم مدرسة جوبار ..."[4].

وتوجد مدرسة تعرف بمدرسة الإمام أبي حفص بمدينة بخارى كان يدرس بها علماء منهم أبو بكر محمد بن أحمد القاضي الفقيه من أهل فارس، أقام بنيسابور مدّة، ثم خرج إلى مدينة

(1) ـــ ذنون. الحياة العلمية ... مرجع سابق. ص 76.
(2) ـــ أرمينوس فامبري. تاريخ بخارى. مرجع سابق. ص 109.
(3) ـــ بارتولد. تركستان. مرجع سابق. ص 197.
(4) ـــ المرجع نفسه. ص199.

بخارى، حيث درس في مدرسة أبي حفص الفقيه، توفي سنة 361هـ.

كما أنّ هناك مدرسة يقال لها (كولار تكين) كانت ببخارى أيضا قبل سنة (328هـ)، ومدرسة (المشرب) وكان لها دور لا ينسى في التعليم والتثقيف بتركستان الشرقية. وهي "عبارة عن مجلس من ثلاثين شابا يجتمعون في ليالي الشتاء الطويلة على شكل مجلس يقرأون أعمال الكتاب والشعراء من عرب وترك وفرس، ويعملون على سدّ ثغرات النقص الموجودة عند الشباب في شتى الموضوعات المعنوية والروحية والثقافية"[1].

أما نيسابور فقد كانت مركزا فكريا بارزا في خراسان، منذ القرن الثالث الهجري وما بعده، فقد وصفها السخاوي بأنها "دار السنة العوالي وذكر عددا من علمائها مشيرا إلى كثرة الرحلة إليها، واستمرارها حتى ظهور التتار"[2].

وأكد ذلك الدكتور صالح أحمد العلي بقوله: "لنيسابور أهمية خاصة في إقليم خراسان فقد اتخذها الطاهريون مقرا لهم، وبذلك حلّت منذ أوائل القرن الثالث محلّ مرو مقرا لحكام خراسان، وصارت مركزا لحركة فكرية نشطة"[3].

ويقرر المقريزي صراحة أن "أول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور". فقد أسس العلماء النيسابوريون والواردان إليها المدارس، كما شارك رجال الحكم والعلم والأهالي في بناء المدارس، وعنوا بتوسيعها والاهتمام بها، ويرجع ذلك إلى ارتفاع المستوى المعيشي في نيسابور والقوة الاقتصادية لأهلها. مما يجعل المدارس، التي تحتاج إلى تمويل ورعاية مالية، تشهد أزهى عصورها.

ومن أشهر المدارس بنيسابور:

1 ـ مدرسة حسان القرشي الأموي أنشئت قبل سنة (349هـ)، وهو إمام أهل الحديث بخراسان، درس في بغداد ونيسابور ونسا، وحدّث في المدن التي زارها وله مصنّفات عديدة أشهرها "كتابه المستخرج على صحيح مسلم" توفي سنة(349هـ)[4].

---

(1) البتكين. عيسى يوسف. **قضية تركستان الشرقية**. ترجمة إسماعيل حقي. القاهرة: 1978م. ص 50 ـ 51.

(2) ـ شمس الدين السخاوي. **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**. القاهرة: مطبعة الترقي، 1349هـ، ص141.

(3)- **تقسيمات خراسان الإدارية**. مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد. مج 2، ع14، السنة 1970 ـ 1971. ص 799.

(4) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص169، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص236، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج1/ص380، معروف ناجي. **مدارس قبل النظامية**. مرجع سابق، ص 118.

2 ــ مدرسة ابن حبان البستي: أنشئت قبل سنة 354هـ، أنشأها أبو حاتم محمد بن حبان البستي التميمة المتوفى سنة (354هـ) بنيسابور، لهذا عرفت باسمه، ويذكر ياقوت الحموي أنه جمع كتبه فيها، وأكد ذلك أبو عبد الله، الحاكم النيسابوري حيث قال: "إن أبا حاتم محمد بن حبان البستي قد أنشأ مدرسة عرفت باسمه، وأوقف كتبه بعد أن جمعها في داره" كما أصبحت مدرسته مسكنا للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة وأجرى عليهم أرزاقا لكي يتفرّغ كل منهم لطلب العلم، كما سهّل لهم دخول مكتبة المدرسة والمطالعة بداخلها. دون إعارة الكتب خارجها. ومن أشهر مصنّفات أبي حاتم:

كتاب "علل أبي حنيفة ومثالبه"، و"الكنى وما يعرف بالأسامي" و"الفصل والوصل" و"مناقب مالك بن أنس" و"التاريخ"، و"المسند الصحيح"[1].

3 ــ مدرسة محمد الحمشادي أنشئت قبل سنة (388هـ): أنشأها محمد بن عبد الله بن حمشاد أبو منصور بن أبي محمد الحمشادي النيسابوري. الفقيه الأديب الزاهد المتوفى سنة (388هـ)، رحل في طلب العلم إلى أماكن كثيرة، سمع الحديث بخراسان عن أبي حامد بن بلال، وأبي بكر القطان وأقرانهما، وفي العراق أخذ العلم عن أبي علي الصفار، وأبي جعفر الرزاز، وفي الحجاز تتلمذ على يد أبي سعيد بن الأعرابي، وصف بالزهد والتعبّد وملازمة المسجد ومدرسته، تخرجّت على يديه، طائفة من العلماء الواعظين، كما أنه عاش مجانبا للسلاطين وأوليائهم[2].

4 ــ مدرسة ابن رضوان السمرقندي أنشأت سنة (390هـ)، أنشأها أبو علي، الحسين بن داود بن رضوان السمرقندي، المتوفى سنة (395هـ)، وهو فقيه حنفي تفقّه بخراسان، والعراق وسمع بالبصرة سنن أبي داود من أبي داسة، ثم عاد إلى نيسابور وأقام بها، ودرّس في المدرسة خمس سنين، وروى السنن وقرئ عليه، ونشر العلم والمعرفة[3].

5 ــ المدرسة الدقاقية أنشئت بنيسابور سنة (391هـ): أسسها أبو علي الحسن بن علي

---

(1) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج1/ص492، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص920، القفطي. **إنباه الرواة**. ج3/ص122، معروف. المرجع السابق. ص 119، العمادي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 256.

(2) ــ ابن الصلاح. **طبقات الفقهاء الشافعية**. تحقيق محي الدين علي نجيب، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1992م، ج1/ص189.، معروف. المرجع السابق. ص121.

(3) ــ معروف.. المرجع السابق. ص 121.

الدقّاق المتوفى سنة (405هـ) إمام عصره في العربية والنحو، رحل في طلب العلم ودرس علم الأصول في مرو على الخضري وأبي بكر القفّال المروزي، وعقد الدقاق مجالسه في مسجدي أبي بكر المطرز والجامع القديم، كما عقدها في مدرسته، وكان العلماء والأئمة الأجلاء يحضرون مجالسه الموزعة على هذه الأماكن الثلاثة. كان يسعى لجمع الأموال من الأغنياء والموسرين لإنفاقها على مدرسته. وقد ورد ذكر هذه المدرسة في ترجمة أبي إسحق الطوسي المتوفى سنة (411هـ) الذي كان جارا للمدرسة في سكة أبي علي الدقاق، وهو من كبار أصحاب الشافعي ومناظريهم ومن ذوي الثروة والعلم والجاه.

وكان لأبي علي الدقاق بنت عالمة مشهورة يقال لها فاطمة ولدت في نفس السنة التي أنشأ والدها فيها مدرسته، (391هـ ـ 480هـ). اعتنى بتربيتها عناية فائقة، وعلّمها وهذّبها، ولم يرزق بغيرها، تتلمذت على أيدي جلّة علماء نيسابور. كانت حافظة لكتاب الله تقرأه أناء الليل والنهار وعارفة بالكتاب، بالغة في العبادة والاجتهاد. عقد لها أبوها مجلس التذكير وحفظها المجالس لعزّها عليه، ولم يكن له إذ ذاك ابن فكان إقباله على هذه البنت. زوّجها أبوها من الإمام أبي القاسم القشيري، ورزقت الأولاد الستة من الذكور والإناث أفراد عصرهم "[1].

6 ـ المدرسة الصاعدية أنشئت قبل سنة (402هـ): وهي مدرسة حنفية أسسّها القاضي أبو العلاء الصاعدي المتوفى سنة (430هـ).

ومن أشهر مدرسيها: عبد الله بن محمد بن عمرو الزيادي القاضي أبو القاسم، وهو من كبار الفقهاء في نيسابور، استخلفه أبو العلاء للتدريس في المدرسة عند خروجه إلى الحج سنة (404هـ)، ومنهم أيضا: أبو القاسم الصاعدي ابن قاضي القضاة، وكان رجلا فاضلا مشهورا، تولى القضاء مدة نيابة عن أبيه، ودرّس بالمدرسة الصاعدية سنين. وترجع إليه الفتوى على مذهب أبي حنيفة[2].

7 ـ مدرسة أبي سعد الزاهد، أنشئت قبل سنة (404هـ): تنسب هذه المدرسة إلى

(1) ـ الصيرفيني. **المنتخب من السياق**. ص458ـ 459، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص16، معروف. **مدارس**. مرجع سابق. ص 122، أديل. **الحركة العلمية ...** مرجع سابق. ص 62.

(2) ـ الصيرفيني. **المنتخب من السياق**.ص304، معروف. **مدارس**. المرجع السابق.. ص 123.

مؤسسها أبي سعد، عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم النيسابوري الشافعي الخركوشي[1] المتوفى سنة (404هـ)، رحل أبو سعد إلى بلاد كثيرة كالعراق والحجاز ومكة ومصر والشام طالبا للعلم. ثم رجع إلى نيسابور ولزم بيته ومدرسته، بذل نفسه وجاهه وماله للفقراء والمستورين والغرباء والغزاة والمنقطعين من طلاب العلم، صنّف عددا من الكتب في علوم الشريعة ودلائل النبوة، وحملت تصانيفه إلى المسلمين شرقا وغربا، ومن تصانيفه:

كتاب تهذيب الأسرار في طبقات الأخيار.

وكتاب البشارة والنذارة.وهو في تفسير الأحلام.

وكتاب شرف المصطفى. وهو في حياة النبي في ثمانية مجلدات.

وكتاب دلائل النبوة.

وكتاب سيرة العبّاد والزهاد.

وكتاب الزهد.

وكتاب اللوامع.

وله تفسير كبير. وهذه الكتب لا تشير المصادر إلى أنها مطبوعة أم مخطوطة أم مفقودة.

وقد درّس في مدرسته عدد من العلماء أشهرهم:

أبو بكر أحمد بن بن علي بن محمد بن إبراهيم اليزدي الأصبهاني المعروف بابن فنجويه أحد حفاظ زمانه، وفرسان أهل الحديث من أقرانه، كتب الكثير، وصنّف على الصحيحين وعلى جامع أبي عيسى الترمذي، وجمع الأبواب، وخرج الفوائد للمشايخ. وانتخب عليهم، رحل في طلب العلم إلى نسا وهراة وبلاد ما وراء النهر، وصار من كبار الأئمة الحفّاظ عقد له مجلس الإملاء في مدرسة أبي سعد الزاهد. كانت وفاته سنة (428هـ)[2].

8 ــ مدرسة سهل الصعلوكي العجلي أنشئت بنيسابور قبل سنة (404هـ): أسسّها أبو

(1) ــ خركوش: كلمة فارسية بمعنى الأرنب، وهي بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وكاف مضمومة وشين. سكة بنيسابور. انظر: الصرفيني. **المنتخب من السياق**. ص91.

(2) ــ الصرفيني. **المنتخب من السياق**. ص91، معروف. **مدارس...**مرجع سابق. ص 125 ــ 126، أديل.**الحركة العلمية** ...مرجع سابق. ص 63، عمر رضا كحالة. **معجم المؤلفين**. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م. ج3/ص247، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج4 / ص127 ــ 131.

الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى بن إبراهيم بن بشر الحنفي الصعلوكي الأصبهاني المتوفى سنة (404هـ). تتلمذ على أبيه أبي سهل الصعلوكي، فدرس الحديث والفقه، حتى وصل إلى منصب فقيه نيسابور، ووصف بأنه جمع بين رياستي الدنيا والدين. ولقب بشمس الإسلام. وصفه أحد كبار الشافعيه بقوله: "كان عالما في شخص، وأمة في نفس، وإمام الدنيا على الإطلاق، وشافعي عصره بالإطباق"[1].

9 ـ مدرسة الإسفراييني أنشئت بنيسابور قبل سنة 405هـ: شيّدها أبو اسحق، إبراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الاسفراييني المتوفى سنة (418هـ)، رحل في طلب العلم. فقصد خراسان والعراق لسماع الحديث ودراسته على أيدي علمائها، فسمع عن أبي بكر الإسماعيلي، ومحمد بن عبد الله الشافعي، وأقرّ أهل خراسان والعراق له بالفضل والتقدم، رجع بعد رحلته إلى نيسابور حيث بنيت له بها مدرسة لا مثيل لها من قبل، ودرّس فيها وحدّث، هو أوّل من لقب "بركن الدين"، لبلوغه حد الاجتهاد، وتبحره في العلوم واستجماعه شرائط الإمامة من العربية والفقه والكلام والأصول ومعرفة الكتاب والسنة.

روى عن أبي إسحق طائفة من العلماء نذكر منهم: أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وأبو السائب هبة الله بن أبي الصهباء، ومحمد بن الحسن البالوي. عقد له أول مجلس إملاء في مسجد عقيل بنيسابور بعد صلاة العصر يوم الخميس في المحرم سنة 411هـ. صنّف الكثير من الكتب أشهرها: "الجامع في أصول الرد على الملحدين" و"مسائل الدور" و"تعليقة" في أصول الفقه[2].

9 ـ مدرسة الصابوني أنشئت قبل سنة 405هـ: تقع في سكة حرب، بمدينة نيسابور، أسّسها شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عائذ الصابوني المتوفى سنة (449هـ)، أمضى حياته واعظا في المسلمين ولما حضرته الوفاة

---

(1) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص128، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ص204، السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص539، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص172، سراج الدين ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. تحقيق نور الدين شريبة، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994م، ص215ـ 216، معروف. **عروبة العلماء**. مرجع سابق، ج1 /221، و. **مدارس**.. مرجع سابق. ص 126 ـ 127.

(2) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص144ـ 145، الصيرفيني. **المنتخب من السياق**. ص128ـ 129، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1/ص28، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص509، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج3/ص31، معروف. **عروبة العلماء** ...مرجع سابق. ص 127، أديل. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص 65.،

طلب إلى إخوانه وأحبابه أن يجلسوا في المدرسة ويساعدوا طلابها على تعلم القرآن. وعقدت فيها مجالس الإملاء، وأشهر من عقد فيها: أبو الحسين عبد الله بن طاهر بن أحمد البوشنجي الذي قدم إلى نيسابور سنة (405هـ) وعقد له مجلس للإملاء في مدرسة الصابوني، كما عقد لإبنه عبد الرحمن أبو بكر الصابوني مجلس إملاء بالمدرسة، ولكنه تولى القضاء في أذربيجان ووصل إلى منصب قاضي القضاة[1].

10 ـ المدرسة الناصحية أنشئت قبل سنة (408هـ): تنسب هذه المدرسة إلى ناصح الدولة عبد الواحد بن اسماعيل ابن البوشنجي أبو القاسم الفقيه الفاضل الورع الديّن، من وجوه الفقهاء والمدرسين والمناظرين والعاملين الجارين على مذهب السلف الصالح في وفور الفضل والاشتغال بالعلم ولزوم الفقر والقناعة، تفقّه على يد أبي إبراهيم الضرير الفقيه. أقعده ناصح الدولة في مدرسته مدرسا بها، حيث أسمع طلابه كتاب (حلية الأولياء) لأبي نعيم الأصفهاني[2].

11 ـ المدرسة البيهقية أنشئت قبل سنة (414هـ): مدرسة شافعية بناها علي بن الحسين بن علي بن الشيخ الموفق البيهقي، الكاتب الأديب المتوفى سنة (414هـ)، في حي سيّار بنيسابور، تتلمذ بالحديث على يدي أبي حفص القرميني، وأنفق مالا كثيرا على بنائها من ماله الخاص[3].

وقد قسّم الإمام البيهقي أوقات طلابه في هذه المدرسة ثلاثة أقسام: قسم التدريس وقسم للإملاء (إملاء الحديث)، وقسم للتذكير ووعظ المسلمين[4].

ومن العلماء الذين اشتهروا بالتدريس بهذه المدرسة منهم[5]:

1 ـ أبو بكر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحارث التميمة الأصبهاني المقرئ النحوي المحدث، المتوفى سنة (430هـ).

2 ـ الحافظ أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد، المعروف بأبي صالح

---

(1) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص517، الأسنوي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص43، السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص506، ابن الأثير. **اللباب**. ج2/ص228، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج18/ص40، معروف. **مدارس قبل النظامية**. مرجع سابق. ص 128 ـ 129، أديل. المرجع السابق. ص 66.

(2) ـ معروف. **مدارس**.. مرجع سابق. ص 131 ـ 132.

(3) ـ أديل. **الحياة العلمية**. مرجع سابق. ص 67.

(4) ـ العمادي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 167.

(5) ـ انظر: معروف. **مدارس** ...مرجع سابق. ص 133 ـ 138.

المؤذن، المتوفى سنة (470هـ).

3 ـ عبد للملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيويه، أبو للعالي ابن ركن الإسلام أبي محمد الجويني النيسابوري، للوصوف بشيخ الإسلام، وإمام الأئمة، للتوفى سنة (478هـ).

4 ـ محمد بن مأمون بن علي أبو بكر الأبيوردي. المتوفى سنة (494هـ).

5 ـ أبو القاسم الأنصاري، صاحب التصانيف الحسنة. توفي سنة (512هـ).

6 ـ أحمد بن محمد بن بشار الخرجردي البوشنجي. المتوفى سنة (543هـ).

12 ـ مدرسة أبي بكر ألبستي أنشئت قبل سنة (429هـ). أسسّها: أحمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن موسى أبو بكر ألبستي، الفقيه الشافعي الكبير. بنى لأهل العلم مدرسة على باب داره برأس "سكة للسيب"في نيسابور. ووقف عليها جملة من ماله. سمع الكثير بنيسابور والعراق، وحدث عن الدارقطني وطبقته. وعقد له بجلس الإملاء فأملى مدة في دار السنة مدرسة الصيغي بباب الجامع القديم. توفي سنة (429هـ)[1].

ومما يلاحظ من خلال دراستنا لمدارس نيسابور أنه لم تؤسس أية مدرسة في القرن الثالث الهجري، وإنما كانت بدايات تأسيس المدارس في الربع الأول من القرن الرابع الهجري، وربما مرد ذلك إلى أن القرن الثالث كان عصر حركات الانفصال عن مركز الخلافة ببغداد. مما يجعل الأوضاع السياسية والاجتماعية في الأقاليم المنفصلة غير مستقرة مما لم يساعد على النشاط العلمي فيها. إلاّ أنها كانت تمثل ملاذا وملجأ لأهل السنة، فمنذ أيام الطاهريين في خراسان وجدنا أن المذهب السني وجد في الإمارة الطاهرية سندا وعونا لكبار رجال العلم والحديث ممن اضطهدوا من قبل المعتزلة في بغداد. وفي القرن الرابع ازداد النفوذ الشيعي في العراق بسبب الحكم البويهي وتشجيعه عليه. مما دفع بالمذهب السني إلى التوجه نحو إقليم خراسان لبعده عن مركز الحكم في بغداد مما شجعهم لإحياء المدرسة السنية هناك على المذهبين الشافعي والحنفي مع التعايش مع المذهب الشيعي العلوي والكرامي.

وقد تبنى فكرة هذه المدرسة أحد مشاهير بيهق في القرنين الرابع والخامس الهجريين أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف بن عمرو، على أن يتولى من كل طائفة أساتذة وعلماء التدريس

(1) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص395، معروف. **مدارس**. مرجع سابق. ص 141.

في هذه المدرسة، وبالفعل تولى الإمام أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف البيهقي لتدريس طائفة الحنفية وقد تداول المؤرخون أخبارها إلى أواخر القرن السادس الهجري، كما تولى التدريس للطائفة الشافعية أبو الحسن ضاني واعظ نيسابور (ت 416هـ)، وكان يرأس أبو عسكر عبد الله وأبو سهل ابنا أبي ذر محمد بن محمد المطوعي (ت 401هـ) طائفة الكرامية، أما الشيعة والمعتزلة والزيدية فقد تولى التدريس لهم الإمام علي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب (ت 418هـ)[1].

ثم توالى إنشاء المدارس في القرن الخامس الهجري "حيث أخذ الأمراء ينشئون المدارس إذاعة لنفوذهم، أو خدمة لدينهم، أو نشرا للنور والمعرفة بين شعوبهم، وفي هذه المدارس كانوا يجمعون العلماء، فصار طالب العلم لا ينتقل إلى العلم، فقد انتقل العلم إليه، وصار لا يبحث عن شيخه فقد جاء الشيخ إليه.

وقد توجس المخلصون من العلماء خيفة من ذلك، وظنوا أن العلم سيبتذل، ويطلبه المخلص وغير المخلص، ويطلبه ذوو الأرب، وذوو الدين، ويطلبه العلية ويطلبه السفلة. حتى ليروى أن علماء ما وراء النهر عندما علموا بإنشاء المدارس، وجلب العلماء لها أقاموا مأتما للعلم، لأنهم حسبوا ذلك يؤدي إلى ضياعه، وفساد الأمر.

ولسنا نجاري أولئك العلماء في خيفتهم، ولكننا نقول: إن إنشاء المدارس مع أنه أدى إلى نشر العلم وكثرة تحصيله، فقد أدّى إلى التعصب الفكري، وكثرة الأتباع وقلة التفكير الحر المستقل الذي ينظر إلى الدليل، وما يوصل إليه البرهان من غير تقليد أو اتباع، وإن تساهلنا وقلنا أن ذلك التحيز الفكري قد اقترن بإنشاء المدارس، فإنه لابد أن ذلك كان بعض أسبابه وإن لم يكن كلها"[2].

ففي خراسان وفي بلاد ما وراء النهر، ـــ مع أوائل القرن الخامس الهجري ـــ بنى الخواجة أميرك أحد كبار أعيان الدولة الغزنوية مدرسة في سبزوار[3] ليتزود منها طلبة العلم بشتى أنواع

(1) ـــ العمادي. خراسان ... مرجع سابق. ص 259، أديل. الحياة العلمية.. مرجع سابق. ص 74، الحديثي. الطاهريون.. مرجع سابق. ص 59.

(2) ـــ محمد أبو زهرة. ابن تيمية. حياته وعصره ـــ آراؤه وفقهه. القاهرة: دار الفكر العربي، 1991م، ص132.

(3) ـــ سبزوار: لم أقف على ترجمتها، وتبدو أنها بالقرب من العاصمة غزنة.

العلوم والآداب، وكان الإمام أحمد بن علي البيهقي الفقيه المعروف من الذين سكنوا في هذه المدرسة بعد أن انتقل إلى هذه المدينة بأمر من نظام الملك للمشاركة في النهضة العلمية هناك وكذلك شارك الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني الذي كان يرأس الوزارة في عهد السلطان محمود إلى عام 401هـ في بناء مدرسته في مدينة بلخ[1].

أما في مدينة غزنة زمن السلطان محمود الغزنوي فقد كثرت المدارس التي أصبحت تعرف باسم (دبيرستان)[2]، كثرة عظيمة، حتى كانت غزنة وحدها تضم أكثر من خمسين مدرسة، وغدا التنافس على إنشاء المدارس بين الموسرين لا يقل عن حرص الأمراء أنفسهم على فتحها، حيث أخذوا ينشئون المباني الضخمة، ويوقفوها لتكون مدارس ومعاهد للتعليم[3].

وقد ذكر البيهقي أن السلطان محمود الغزنوي أرسل ـــ بعد استيلائه على خراسان ـــ القاضي أبا صالح التباني إليها ليكون فيها إماما على مذهب أبي حنيفة، ويشتغل بالتدريس في مدرسة "باب بستان" من الذين تخرجوا على يده وأخذوا العلم عنه قاضي القضاة أبو سليمان بن داود بن يونس والقاضي زكي محمود[4] وقد ساهم السلطان محمود شخصيا في إنشاء مدرسة بالعاصمة غزنة، وخطط لهذه المدرسة لتكون فيها مكتبة علمية ضخمة يتردد عليها طلاب العلم والوافدين إليها من كل مكان. بعد أن توفرت لهم سبل الراحة من الناحية العلمية والمادية؛ لأنهم كانوا يتقاضون أثناء دراستهم رواتب شهرية من هذا الصرح العظيم[5].

وعلى ذكر ما تقدم يمكن القول أن الدويلات الإسلامية بالمشرق بعد استقلالها عن الخلافة العباسية استطاعت أن توطن للثقافة الإسلامية في تلك الأقطار الجديدة، وأن تنفس على بغداد ـــ عاصمة العلم يومئذ ـــ مكانتها ومركزها الثقافي فعملت جاهدة على تزيين مدارسها وجوامعها، ومجالس أمرائها، بالنخب العلمية، وفي شتى المعارف والآداب، وتغدق عليهم الأموال. وتجعل من

(1) ـــ العمادي. خراسان.. مرجع سابق، ص 259.

(2) ـــ دبيرستان: لفظة فارسية معناها اليوم ـــ المدرسة الثانوية.

(3) ـــ نشأة وحجازي. صفحات عن إيران. ص145، نقلا عن: محمد التونجي. حول الأدب السلجوقي، ط1، بنغازي: مكتبة قورينا، 1974م، ص116ـــ 117.

(4) ـــ البيهقي. تاريخ البيهقي. ص213.

(5) ـــ العمادي. خراسان.. مرجع سابق. ص 257 ـــ 260.

حواضر خراسان وما وراء النهر، قبلة لطلاب العلم، والعلماء على حد سواء.

آداب التدريس وأساليبه:

1 ــ آدابه:

كان لمجالس التدريس جلال وهيبة ووقار، يتلقى فيها الطلاب التربية قبل التعليم، وذلك من خلال القدوة الحسنة التي تتمثل في شيوخهم ومدرسيهم.

وقد أورد علماء التربية الإسلامية قديما وحديثا ممن اهتموا اهتماما كبيرا بأخلاق المدرسين وواجباتهم صفات للمدرس ينبغي أن تتحقق وخصالا ينبغي أن يتمثلها.

وقد اختلفت كتب التربية والتعليم في تحديد بعض هذه الصفات واتفقت على أكثرها وأهمها:

1 ــ أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة، والرأي، واللفظ، فيكون تعليمه للناس بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه.. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

2 ــ أن يكون طاهر القلب واللسان، وأن يكون نظيفا عن الغيبة وناصحا في جميع الأمور، وملائما في العيش وشريفا في النسب وكبيرا في السن.

3 ــ أن يعامل الناس بمكارم الأخلاق، من طلاقة الوجه وإفشاء السلام وإطعام الطعام وكظم الغيظ...إلخ.

4 ــ أن يشفق على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: «إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»[2] وروح الأبوة لا تمنع التأديب، وضرورة التنبيه على الخطأ، وان لا يدع من نصح للمتعلم شيئا، وأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها، ثم ينبهه أن الغرض من طلب العلم، الثقافة والقرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة، وأن يهتم بأخلاق التلاميذ اهتمامه بعقولهم، وأن يزجرهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح بالزجر إلا عند الضرورة.

---

(1) ــ سورة الآية البقرة: الآية (44).

(2) ــ رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة ج1/ص144، رقم، 313، والدارمي في الطهارة، باب الاستنجاء بالأحجار ج1/ص182، رقم 679، وابن خزيمة في صحيحه، كتاب الوفود، باب النهي عن الاستطابة بدون ثلاثة أحجار، ج1/ص43، رقم 80.

5 ــ أن يدمم الحرص على الاستزادة من العلم، بملازمة الجد والاجتهاد والمواظبة على العبادة والاشتغال به قراءة وإقراء ومطالعة وفكرا وتعليقا، والاشتغال بالجمع والتصنيف والتأليف.

6 ــ أن لا يستنكف من الاستفادة ممن هو دونه سنا أو نسبا أو منصبا.

7 ــ أن يربي في تلاميذه ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد والتسليم حتى ينشأ مستقلا لا نسخة من معلمه.

8 ــ ألا يدرس وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه أو اضطرابه أو قلقه، وينصحه كذلك ألا يطيل الدرس تطويلا يمل ولا يقصره تقصيرا يخل، ويراعي في ذلك مصلحة الآخرين، ثم عليه ألا يجاوز صوته مجلسه، وألاّ يقصّر عن إسماع الحاضرين.

9 ــ ألا يكون في مجلسه مكان مميز لآحاد الناس بل كل من سبق لموضع فهو أولى به، هذا مع استثناء ما تدعوا إليه الضرورة العلمية من جلوس العلماء والمعيدين في أمكنة خاصة.

10 ــ ألا يخالطه السلطان إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك واقتضته مصلحة دينه، وأن يتخلّق بالزهد في الدنيا بقدر طاقته[1].

أما الشروط اللازم توفرها في طالب العلم فأهمها:

1 ــ أن يطهر قلبه من كل سوء ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، وأن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه.

2 ــ أن يخلص النية في طلب العلم وأن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، ويقطع ما يقدر عليه من عقبات في سبيله.

3 ــ أن يقنع من القوت بما تيسّر، ومن اللباس ما ستر، وأن لا يكثر من الطعام الذي يذهب بقوة عقله، ولا بأس أن يروّح عن نفسه بالسير والتنزه، وأن يقلل نومه ما لم يلحقه ضرر من ذلك.

4 ــ أن يبالغ في احترام أستاذه، كأن لا يمشي أمامه ولا يجلس مكانه ولا يبتدئ بالكلام عنده إلا بإذنه، ولا يسأل شيئا عند ملالته، ويراعي الوقت ولا يدق الباب بل يصبر حتى يخرج، ومن توقيره توقير أولاده ومن يتعلق به، وينبغي عليه أيضا أن يعظم من يدرس معه فمن "تعظيم

(1) ــ انظر: ابن جماعة. **تذكرة السامع**. ص 15، شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص258-260، وانظر: عماد عبد السلام رؤوف. **مدارس بغداد في العصر العباسي**. ط1، بغداد: مطبعة دار البصرى، 1966م. ص17-18.

العلم تعظيم الشركاء في طلب العلم".

5 ــ على المتعلم أن يكون مستفيدا في كل وقت، وأن يكون معه في كل وقت محبرة يكتب ما سمعه من الفوائد، وأن يثبت ما استنبطه بفكره مما لم يسبق إليه لمن بعده.

6 ــ ينبغي لطالب العلم أن يقتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراء، وإلا فأجارة أو إعارة ولا يشغل نفسه بالنسخ دائما، كما لا يستعير كتابا مع إمكان شرائه أو إجارته[1].

وخراسان وبلاد ما وراء النهر إقليمان من أقاليم البلاد الإسلامية، فلا تكاد تختلف فيهما طرائق التدريس كثيرا عن غيرها سواء في غرب العالم الإسلامي أو في مشرقه.

2 ــ مواعيد التدريس:

"كانت مواعيد الدروس تحدد من قبل الأساتذة، وعادة تبدأ الفترة الأولى بعد صلاة الظهر، ثم الفترة الثانية بعد صلاة العصر، وبعضهم كان يحدد بعد صلاة المغرب وآخرون كانوا يحددون بعد صلاة العشاء. وهذه تسمى بالدراسة المنتظمة، ولما كان الأساتذة يتمتعون بحرية تامة ولا توجد جهة رسمية أو غير رسمية تتحكم في التعليم، كان بوسع هؤلاء أن يحددوا أوقات الدروس، فهم أحرار في ذلك[2].

3 ــ كيفية التدريس وأساليبه:

يفتتح التدريس عادة بتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم، فإن كان ذلك من شروط المدرسة، اتبع الشرط دائما، وعند انتهاء التلاوة يدعو المدرس لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي على النبي ﷺ ثم يبدأ بالشروع في الدرس[3].

وقد تشعبت طرق التدريس وتمايزت أساليبه في أواخر العصر العباسي ومن ثم في الدويلات الإسلامية المستقلة في إقليم المشرق، "فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص

(1) ــ عماد. مدارس بغداد.. مرجع سابق. ص 18 ــ 19.

(2) ــ انظر: منير الدين أحمد. تاريخ التعليم عند المسلمين ... مرجع سابق. ص 61.

(3) ــ عماد. المرجع السابق. ص 21.

به شأن الصنائع كلها"[1]. وهذا حسب مستوى التلميذ، وحسب المادة التي تدرس ولكن من الممكن إجمالها في الطرق التالية:

1 ــ السماع:

بأن يقرأ الأستاذ من كتابه على طلابه، أو من ذاكرته وسواء أأملى عليه أم لم يمل. وقد يكون السماع أيضا بأن يقرأ الطالب من كتاب أستاذه أو من نسخته بحضور أستاذه وهذا يسمى "العرض"، ومن العلماء من لا يحبّذ السماع أو العرض خشية أن يكون الطلبة غير منتبهين لما يقرأ عليهم[2].

2 ــ الإملاء:

فقد عده أغلب العلماء خير أساليب التعليم حتى لمن يأخذون بأسلوب السماع. وكانت تعقد مجالس الإملاء في المساجد والمدارس، فيملي الأستاذ من كتابه أو من ذاكرته، وعندما تكون المجالس كبيرة يستعان بالمستملين الذين يمكن أن يسموا مدرسين مساعدين (معيدين) مهمتهم إعادة ما يلقيه الأستاذ ليسمعه البعيدون عنه وقد يتعدد للمستملون حسب كثرة عدد الحاضرين[3].

وتقوم مجالس الإملاء على ثلاثة أركان هي:

أولا: المملي: وهو المحدث، أو الراوية، الذي يعقد له المجلس، ويستحب أن يكون المملي في حال الإملاء على أكمل هيئة، وأفضل زينة، ويصلح أموره التي تجعله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين، ويقتصد في مشيته إذا قصد المجلس، ويعم بالسلام كافة الحاضرين حتى الصبيان غير البالغين، وإذا وصل إلى المجلس منع من كان جالسا من القيام لأن النبي ﷺ قال: «لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا».

وينبغي للمملي أن يعين لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم وليستعدوا لحضوره، ويعد بعضهم بعضا، وإذا عين لهم اليوم ووعدهم بالإملاء فيه فلا ينبغي له إخلاف موعده،

---

(1) ــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص413.

(2) ــ انظر: صبحي الصالح. **علوم الحديث ومصطلحه**. مرجع سابق. ص 88، منير الدين. **تاريخ التعليم ...** مرجع سابق. ص 63.

(3) ــ منير الدين.. المرجع السابق. ص 63.

وعليه أن يستعمل لطيف الخطاب مع أصحابه، ويحسن خلقه معهم، ومع أهل مجلسه، ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع الحاضرين، وأن يقعد على المنبر، أو على موضع مرتفع خاصة إذا كثر عدد من يحضر، حتى يبدو للجماعة وجهه ويبلغهم صوته، وإذا روى المملي حديثا فيه كلام غريب فسّره، أو معنى غامض بيّنه وأظهره، ولا يجوز أن يفسر إلاّ ما عرف معناه، وأما ما لم يعرفه فيلزمه السكوت عنه، فقد سئل أبو القاسم ابن الطاهر الشحامي النيسابوري عن معنى حديث فأمسك وقال: أنا محدث ولست مفسّرا[1].

وينبغي على المملي عدم إملال السامع واضجاره بطول إملائه، ذلك لأن المستمع أسرع ملالة من المتكلم[2].

ثانيا: المستملي: وهو الذي يبلّغ عن المملي من بعد في الحلقة، ويستحب أن يقعد المستملي على موضع مرتفع مثل دكة أو كرسي فإن لم يجد استملى وبلغ الناس قائما لأن المقصود من الاستملاء أن يبلغ جميع الحاضرين، وينبغي أن يكون المستملي جهوري الصوت، وأن يكون أفصح الحاضرين لسانا، وأوضحهم بيانا، وأحسنهم عبارة، وأجودهم أداء: ويستحب للمستملي أن لا يخالف لفظ المملي في التبليغ، خاصة إذا كان الراوي من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية، وعليه أن يرفع صوته بما يذكره ويمليه[3].

ثالثا: السامع: ينبغي لمن أراد سماع الإملاء أن يحضر المجلس قبل أن تبدأ عملية الإملاء، لأنه إذا فاته شيء منها كان يتعذر على المملي إعادته، وأن تكون مشيته في غير عجلة، وأن يشمّر ثيابه لئلا يعثر بها، وأن يجلس حيث ينتهي به المجلس إن كان غاصا بأهله، كي لا يتخطى رقاب الحاضرين، وإذا كرّمه المملي بمخدّة فلا يردها وليجلس عليها، ويكره من السامع أن يجلس في صدر المجلس أو وسط الحلقة، ويستحب لمن كان جالسا في الحلقة أن يوسع للداخل، ويفسح أمامه المجال ليجلس، ويكره الجلوس في موضع من قام من المجلس وهو راغب في العودة إليه، وإذا خاطب المملي أو راجعه في شيء عظّمه في خطابه، وما اشترط في السامع ألاّ يحضر مجلس

(1) ــ السمعاني. **أدب الإملاء والاستملاء**. نشر باعتناء مكس ويسويلر، ليدن، 1952م، ص63.

(2) ــ المصدر نفسه. ص25، 84.

(3) ــ المصدر نفسه. ص84، 108

الإملاء إلاّ مع المحبرة، وأما القلم فينبغي أن يكون صلبا[1].

ونذكر هنا نماذج لبعض العلماء في خراسان ممن عقدت لهم مجالس الإملاء فمثلا في نيسابور وفي مؤسساتها الدينية والعلمية، نذكر جملة من العلماء: من بينهم أبو بكر، محمد بن اسحق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الحافظ إمام الأئمة شيخ الإسلام المتوفى سنة (311هـ) عقد مجلس الإملاء لطلابه[2].

ومنهم أبو بكر، عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل بن ميمون الفقيه النيسابوري المتوفى سنة (324هـ)، عرفت عنه الرحلة إلى العراق والشام ومصر في طلب العلم وكثرة السماع، رتّب مجلسا للإملاء أمّه قرابة ثلاثين ألفا من المستمعين بدليل وجود ثلاثين ألف محبرة[3].

والظاهر أن هذا العدد مبالغ فيه وفيه شيء من التهويل، لأن المجالس تعقد عادة في المساجد والمدارس ومنازل العلماء، وهذا يتنافى مع منطق القبول الذهني بالاتساع لهذا الحجم الهائل من البشر، وإمكانية وصول الصوت إليهم، والأرجح أن طلبة العلم كانوا يترددون على حلقات كثيرة ومتعددة وفي أوقات مختلفة[4].

كما عقد أبو علي بن يزيد الحافظ النيسابوري مجلس الإملاء في المساجد في عام (337هـ).

ومنهم أيضا أبو سعيد، أحمد بن محمد بن سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان الحيري النيسابوري المتوفى سنة (353هـ)الحافظ المحدث، رحل في طلب العلم وسمع الحديث في كل من: نسا، نيسابور، الري، بغداد، وعقد مجالس الإملاء، وصنّف عددا كثيرا من الكتب أشهرها: "التفسير الكبير" وخرّج على "صحيح مسلم"[5].

أبو اسحق، إبراهيم، بن محمد بن سختويه المزكي النيسابوري المتوفى سنة (362هـ) تنقّل بين المدن لسماع الحديث، فزار بغداد وروى عددا من المصنّفات مثل "البخاري" و"التاريخ".

---

(1) ـ المصدر نفسه. ص108، 158.

(2) ـ أنظر. الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص720.

(3) ـ ابن الجوزي. المنتظم. ج 13/ص363.

(4) ـ أديل. **الحركة العلمية**.. مرجع سابق. ص 89.

(5) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص20ـ 25، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص32. ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص12، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج16/ص29.

كما روى عددا من كتب أبي مسلم بن الحجاج، وكان واسع الإنفاق على أهل الخير من ماله الخاص[1] وفي سرخس أخذ عن محمد بن عبد الرحمن الدغولي، ثم رجع إلى نيسابور مقيما مجلس الإملاء فيها سنة (363هـ)، وواظب على عقد هذه المجالس حتى وافاه الأجل[2].

أبو القاسم، بشر بن محمد بن أحمد بن ياسين بن النضر بن سليمان الباهلي القاضي المتوفى سنة (378هـ)، عقد مجالس الإملاء في المسجد المربعة، وأملى المجلس الثاني في داره، وتزامن إملاؤه في نفس العام الذي توفي فيه[3].

كما أن العلماء الواردين على نيسابور عقدت لهم مجالس الإملاء في مساجدها ومدارسها، وأشهر من عقد لهم:

أبو الحسن، محمد بن سهل، بن مصلح الماسرجسي الفقيه الشافعي المتوفى سنة (334هـ)، تفقّه في كل من خراسان، والعراق، والحجاز، ومصر. دخل نيسابور ودرّس فيها طلبة الفقه، وعقد مجلس الإملاء في دار السنة، علما بأنه من العلماء الواردين على نيسابور[4].

أبو بكر بن عبدان النيسابوري عقد له مجلس الإملاء بمساجدها سنة 337هـ، حدّث بالمصنفات عن الشيوخ بقية عمره. توفي سنة (349هـ)[5].

أبو سعيد محمد بن رميح بن عصمة النخعي النسوي ثم المروزي المتوفى سنة (357هـ)، وهو صاحب التصانيف، فصنّف وألّف وأكثر الترحال، ويذكر أهل نيسابور أنه قدم نيسابور وعقدت له المجالس وقرأ صحيح البخاري على طلابه[6].

أبو سعد محمد بن منصور الجولكي المتوفى سنة (410هـ)، دخل نيسابور رسولا من منوجهر بن قابوس، إلى السلطان محمود الغزنوي سنة (406هـ)، واستغلّ وجوده في نيسابور، وعقد مجلس الإملاء فيها بعد انتهاء مهمته السياسية، ورجع إلى بلاده، ثم عاد مرة ثانية إلى

(1) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج6/ص165، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج1/ص541).
(2) ــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج14/ص216، ابن الصلاح. **طبقات الفقهاء**. ج1/ص317.
(3) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص276.
(4) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ص202.
(5) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص158.
(6) ــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص930.

نيسابور، وحدث فيها إلى وفاته[1].

أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمة البغدادي المتوفى سنة (429هـ)، ورد نيسابور مع أبيه وتتلمذ على كبار مشايخ نيسابور، ثم أملى في مدرسة الإسفراييني مدة سنتين، حيث أجلسه فيها مؤسسها لما عرف عنه غزارة علمه[2].

أما في المدن والحواضر الثقافية الأخرى (في خراسان وماوراء النهر) فقد كانت لمجالس الإملاء أثر كبير في ازدهار الحياة العلمية، وبروز كوكبة من العلماء وأكثرهم من رواد هذه المجالس، نذكر منهم:

أبو عبد الله البلخي، محمد بن الفضل المتوفى سنة (319هـ) الذي اشتهر بمجالسه في مدينة بلخ ثم في سمرقند، وكان يقول: "ما خطوت أربعين خطوة لغير الله ﷻ، وما نظرت أربعين سنة في شيء أستحسنه حياء من الله ﷻ"[3].

أبو بكر مكي بن أحمد بن سعدويه البردعي أحد الرحالة المشهورين بطلب الحديث ورد نيسابور سنة 302هـ، وأقام بها ثم خرج إلى بلاد ما وراء النهر سنة 350هـ، وحدّث بسمرقند، وعقد له مجلس الإملاء بها، توفي سنة (354هـ)[4].

ولم تقتصر مجالس الإملاء على العلماء من خراسان وما وراء النهر وحدهم بل عقدت هذه المجالس من قبل العلماء من خارج هذين الإقليمين.

ففي تاريخ بغداد نجد أن أبا الطيب البغدادي أحمد بن محمد، سكن سمرقند وله فيها مجالس الإملاء، وكان حافظا للقرآن مواظبا على قراءته. توفي بسمرقند سنة (350هـ)، وكان أبو ذر التميمة عمار بن محمد بن مخلد قد سكن بخارى، وعقدت له فيها مجالس التحديث، روى عنه أبو عبد الله محمد بن أحمد الغنجار البخاري، والحاكم أبو عبد الله بن البيّع النيسابوري، وجماعة من أهل خراسان وما وراء النهر، توفي سنة (387هـ)[5]. ومن الجدير بالذكر أن البحث في

(1) ـ الصرفيني. المنتخب من السياق. ص20.
(2) ـ ابن الصلاح. طبقات الفقهاء. ج2/ص553.
(3) ـ ابن الجوزي. المنتظم. ج13/ص303.
(4) ـ السمعاني. الأنساب. ج1/ص314.
(5) ـ الخطيب. تاريخ بغداد. ج12/ص250.

مجالس الإملاء والتحديث، كان قد تركز في الغالب على رواية أحاديث النبي، ويعزى السبب في ذلك إلى أن علم الحديث عند المسلمين كان أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله تعالى والأحكام مبنية عليهما، كما أن هناك مواضيع نافعة كانت تملى في مجالس الإملاء أيضا كأحاديث الترغيب والترهيب، والأحاديث الفقهية التي تتعلق بالعبادات والمعاملات، وكل ما يتعلق بالأحكام الشرعية من حلال وحرام"[1].

وكانت مجالس الإملاء والتحديث تعقد أيضا من أجل تفسير القرآن. فقد اشتهر المفسر الضرير المقرئ أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله النيسابوري، بإملاء تفسير القرآن، وله التصانيف المشهورة في القرآن، والقراءات والحديث، والوعظ، رحل في طلب الحديث كثيرا. وسمع من زاهر السرخسي، وأبي حسين الخفاف، وآخرين، روى عنه الخطيب البغدادي، وكان مفيدا نفاعا للخلف، مباركا في علمه، ولد سنة (360هـ)، ومات سنة (430هـ)[2].

3 ـ الإجازة: والإجازة في اللغة معناها: إعطاء الإذن، وأجاز له: سوغ له.

ولفظ الإجازة مأخوذ من جواز الماء الذي تسقاه الماشية والحرث،يقال: استجزته فأجازني، إذا أسقاك ماء لماشيتك وأرضك"[3].

وفي الاصطلاح: إذن وتسويغ، وعلى هذا فنقول:أجزت له رواية كذا، كما تقول: أذنت له وسوغت له[4].

وهي عند علماء الحديث أن يأذن ثقة من الثقات لغيره رواية حديث أو كتاب سواء كان ذلك الكتاب من تصنيفه أم كان يرويه عن شيوخه بالإسناد[5].

ويرى الخطيب البغدادي أن الإجازة هي: "أن يسأل طالب العلم. العالم أن يجيزه علمه،

(1) ـ جهاد عزت عبد الله. **الحركة الفكرية العربية في سمرقند في القرنين الرابع والخامس الهجريين**. كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م، (رسالة دكتوراه)، ص 156 ـ 157.

(2) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص514، الداودي. **طبقات المفسرين**. تحقيق علي محمد عمر، ط1، القاهرة: مكتبة وهبة، 1972م، ج1/ص104.

(3) ـ ابن منظور. **لسان العرب**. ج5/ص305.

(4) ـ عبد الله فياض. **الإجازات العلمية عند المسلمين**. بغداد: 1967م، ص 21.

(5) ـ ابن الصلاح. **علوم الحديث**.(د. ط) بيروت: المكتبة العلمية. 1981م. ص 136.

فيجيزه إياه: والطالب مستجيز، والعالم مجيز"[1].

قال السيوطي: "فعلى هذا يجوز أن يقال: أجزت فلانا مسموعاتي، ومن جعل الإجازة إذنا وهو المعروف: أجزت له رواية مسموعاتي"[2].

ومن هذا يتضح أن الإجازة هي إذن ورخصة تتضمن تخويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه[3].

والإجازة نوعان: شفوية وتحريرية. والأولى أقدم عهدا من الثانية، وأول من منحها هو أبو هريرة رضي الله عنه إلى بشير بن مهتك: حيث قال: كتبت عن أبي هريرة كتابا، فلما أردت أن أفارقه قلت: يا أبا هريرة إني كتبت عنك كتابا، فأرويه عنك. قال: نعم أروه عني[4].

أما الإجازة التحريرية ففيها قد يبين الشيخ بالتحديد ما يجيزه للطالب أو أن يجيزه بإطلاق، وهنا قد يحدد الأستاذ تاريخ مولده ومكانه وأسماء شيوخه، وما يجب أن يروى عنه بصفة عامة[5].

والإجازة في أصلها ضمان بعلم الطالب، وقدرته على نقل هذا العلم، ولقد بدأت مع علم الحديث، وهو العلم الذي تشدد فيه المسلمون كثيرا بسبب ما ناله من تحريف ودس وتزييف. ولذلك وضعت له من القواعد الشديدة أكثر من غيره من العلوم للتأكد من صحة الحديث، ومن هنا كانت الإجازة للدلالة على صحة نقل الناقل من المنقول عنه، ثم انتقلت بعد ذلك إلى باقي العلوم الأخرى[6].

وقد فصل علماء الحديث في الإجازة وجعلوها إحدى طرق تحمل الحديث ونقله [7]. وقسموها إلى أنواع منها:

---

(1) ــ الخطيب البغدادي. **الكفاية في علم الرواية**. ط1، القاهرة: دار الكتب الحديثة. ص 447.

(2) ــ السيوطي. **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي**، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1966م. ج2 / ص 42.

(3) ــ مريزن عسيري. **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي**. ط1، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، 1987م. ص 249 ــ 250.

(4) ــ عبد الله فياض. **الإجازات العلمية ...** مرجع سابق. ص 21.

(5) ــ محمد عبد الحميد عيسى. **تاريخ التعليم في الأندلس**.. ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1982م. ص 414.

(6) ــ المرجع نفسه.

(7) ــ السيوطي. **تدريب الراوي**. ج2 / ص8.

النوع الأول: المناولة: وهي أن يعطي الشيخ تلميذه كتابا أو حديثا مكتوبا ليقوم بأدائه وروايته عنه، وهي على صور متعددة تتفاوت قوة وضعفا، فأعلى صورها وأقواها أن يناول الشيخ تلميذه الكتاب أو الحديث المكتوب ويقول له: "قد ملكتك إياه وأجزتك بروايته فخذه منّي واروه عنّي". وتسمى هذه الصورة "مناولة مع الإجازة". وتحل تلك الإجازة محل السماع عند جماعة من أئمة الحديث[1].

النوع الثاني: وهو أن يدفع الطالب إلى الراوي صحيفة قد كتب فيها: إن رأى الشيخ أن يجيز لي جميع ما يصح عندي من حديثه فعل، فيقول له الراوي بلفظه: قد أجزت لك كلما سألت، أو يكتب له ذلك تحت خطه في الصحيفة[2].

النوع الثالث: وهو أن يكتب الراوي بخطه جزءا من سماعه أو حديثا، ويكتب معه إلى الطالب: إني قد أجزت لك روايته بعد أن صححته بأصلي[3].

النوع الرابع: وهو أن يكتب المحدث إلى الطالب: قد أجزت لك جميع ما صحّ ويصحّ عندك من حديثي[4].

النوع الخامس: وهو أن يأتي الطالب إلى الراوي بخبر، فيدفعه إليه، ويقول له: أهذا من حديثك؟ فيتصفح الراوي أوراقه، ثم يقول له: نعم، هو من حديثي ... فيذهب به الطالب فيحدث به عنه من غير أن يستجيز منه[5].

ولم يقتصر إعطاء الإجازات العلمية على رواية الحديث وسماعه وإملائه. بل تعدى ذلك إلى العلوم الأخرى كالأدب والتاريخ[6]. بل إنه كان للعلوم الطبيعية نصيبها في الإجازة، فقد حدثتنا الروايات التاريخية عن إجراء امتحانات من قبل العلماء المتخصصين في علوم الفلك والنجوم في عهد الخليفة المأمون للمشتغلين من الطلبة بهذه الحقول العلمية لتوظيفهم في المراصد، وقد أشير

(1) ــ الخطيب. **الكفاية**. ص 466، السيوطي. **تدريب الراوي**. ص 138، عسيري. **الحياة العلمية**. مرجع سابق. ص250ــ251.

(2) ــ المصدر نفسه. ص 477.

(3) ــ المصدر نفسه. ص 480.

(4) ــ المصدر نفسه. ص 492.

(5) ــ المصدر نفسه. ص 493.

(6) ــ أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**.. مرجع سابق. ص 263.

إلى أن الخليفة المأمون قد أوكل إلى سند بن علي المنجم الإشراف على الامتحان. وإن اجتياز الطالب لهذا الامتحان يعني إجازته بالعمل بالمراصد[1].

ولم يقتصر الأمر على علم الفلك. بل كان لعلم الصيدلة نصيبه في ذلك، فقد امتحن الأفشين ومعه زكريا بن الطيفوري الصيادلة وقال له: "فامتحنهم حتى نعرف الناصح من غيره". وكان ذلك سنة (220هـ)[2].

وبالرغم من أن المصادر لم تنقل لنا نصوصا خاصة بالإجازة عند علماء خراسان وما وراء النهر إلا أن هذا النمط من طرق التدريس كان يشمل أقاليم الدولة الإسلامية مشرقا ومغربا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ـ القفطي. **تاريخ الحكماء**. بغداد: مكتبة المثنى، (دت)، ص206.

(2) ـ ابن أبي أصيبعه. **عيون الأنباء**. ج2/ص92، أحمد عيسى بك. **تاريخ البمارستانات في الإسلام**. ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1981م، ص49.

7 ـ المكتبات الخاصة والعامة

لما كان الكتاب أداة العلم، والمساعد على البحث والدرس، ومنه يتعلم الطلبة جلّ علومهم، وإليه المرجع والمثاب، فقد احتلّ في الأعصر التي نمت فيها العلوم وازدهرت، منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة، ومقاما محمودا .... حتى أنك لتدهش في كثير من الأحيان عندما تسمع المسلم يتحدث عن الكتاب، وما يُكِنُّ له من تقدير وإجلال، فتخاله يتحدث عن صديق له نما ودّه، وزاد إخلاصه، أو حبيب طال بعده، وكثر الشوق إليه.

ولعلّ الجاحظ كان من بين الأوائل الذين وجهّوا الناس إلى الكتاب وقيمته، والنثر وفائدته، وقد كان الغالب قبل ذلك الميل لقول الشعر وحفظ دواوين الشعراء، وفي ذلك يقول: "ولولا الحكم المحفوظة، والكتب المدونة لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار، ولو لم يتم ذلك لحرمنا أكثر النفع، ولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها، وخلدت من عجيب حكمتها، ودونت من أنواع سيرها، حتى شاهدنا بها ما غاب عنّا، وفتحنا بها كل مستغلق، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم، وأدركنا ما لم نكن ندركه إلاّ بهم ..."[1] وقال واصفا الكتاب: ".... الكتاب صامت ما أسكتّه. وبليغ ما استنطقته، مسامر لا يبتديك في حال شغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يحوجك إلى التجمل له، والتذمم منه، وهو جليس لا يطريك، وصديق لا يغريك، ورفيق لا يملك، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب"[2].

وقد أقبل الناس على الكتب، وقدّروها حق قدرها، فهذا محي الدين العربي يروي عن أحد العلماء قوله: "ما رأيت بستانا يحمل في ردن، وروضة تنقل في حجر، ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء، من الكتاب، فمن لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك؟ ولا ينطق إلا بما تهوى؟ أكتم للسر من صاحب السر، وأحفظ للوديعة من أرباب الوديعة، ولا أعلم جارا أبرّ، ولا خليلا أنصف. ولا رفيقا أطوع، ولا معلما أخضع، ولا صاحبا أظهر كفاية وعناية، ولا أقلّ إملالا ولا إبراما، ولا أترك لشغب، ولا أزهد في جدال، ولا أكف عن قتال من كتاب"[3].

---

(1) ـ الجاحظ. **المحاسن والأضداد**. مصر: المكتبة التجارية، 1932م، ص 4.

(2) ـ الجاحظ. **الحيوان**. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، 1992م ج1 / ص 50ـ 51.

(3) ـ المصدر نفسه. ج1/ص41ـ 42.

وعبروا عن ذلك أصدق تعبير فقالوا: "من ورثه كتابا وأودعته علما فقد ورثه ما يغل ولايستغل"وقيل لابن المبارك: "يا أبا عبد الرحمن لو خرجت فجلست مع أصحابك، قال: إني كنت في المنزل جالست أصحاب رسول الله ﷺ"[1] ويقصد كتب الحديث التي توجد في مكتبته الخاصة.

وقال ابن المبارك أيضا: "من أحب أن يستفيد فلينظر في كتبه"[2]. وجاء في اللباب: "أن أبا محمد سليمان بن عبد الله الزغنداني الفقيه نسبة إلى زغندان وهي قرية بمرو ... رحل إلى الشافعي محمد بن إدريس وحصل كتبه، ولما مات تزوج إسحق بن راهويه بابنته بسبب كتب الشافعي حتى صارت عنده"[3].

وقال ابن الأعرابي: (ت 231هـ):

لنا الجلساء ما نملُّ حديثهم ... أمينون مأمونون غيبا ومشهدا
إذا ما خلونا كان خير حديثهم ... معينا على نفي الهموم مؤيدا
يفيدوننا من علمهم علم مامضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا سؤددا
فلا ريبة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت: أموات فلست بكاذب ... وإن قلت أحياء فلست مفندا[4]

وأبلغ بعضهم في وصف الكتاب، فقال عبد الله بن المقفع: "كل مصحوب ذو هفوات، والكتاب مأمون الغدرات"[5] وقال بعضهم: "الكتب بساتين العلماء"[6] وسئل عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاري، (ت 256هـ) عن دواء للحفظ، فقال: "إدمان النظر في الكتب"[7].

وقال ابن حزم: "ولا سبيل إلى حفظ المرء لجميع علمه الذي يختص به، فإذ لا سبيل إلى ذلك، فالكتب نعم الخازن له إذا طلب، ولولا الكتب لضاعت العلوم ولم توجد... فلولا

(1) ـــ الخطيب البغدادي. شرف أصحاب الحديث. تحقيق: محمد سعيد خطي أوغلي. أنقرة: [illegible]، ص[illegible].
(2) ـــ المصدر نفسه. ص 140.
(3) ـــ ابن الأثير. اللباب. ج2/ص71.
(4) ـــ ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله. بيروت: دار الكتب العلمية، (د، ت). ج2/ص202.
(5) ـــ الراغب الأصفهاني. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر والبلغاء، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (دت)، ج1/ص117.
(6) ـــ إبراهيم البيهقي. المحاسن والمساوئ. بيروت: دار صادر، (د، ت)، ص6.
(7) ـــ ابن عبد البر. الجامع. ج2/ص204.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شهادة الكتب لاستوت دعوى العالم والجاهل ..."[1].

وقد ترتب على ذلك التقدير وهذا الإعجاب اهتمام المسلمين بإنشاء المكتبات، وحرصهم على تكوينها. وليس هذا فحسب، وإنما بذلوا لها ما بذلوه من قبل للكتب من حب وحرص وتقدير.. وصار ذلك كله تقليدا علميا شمل ربوعا كثيرة من الدول الإسلامية. ولما كانت خراسان وبلاد ما وراء النهر من أوائل الأقاليم التي اهتمت بإنشاء المدارس فقد اهتم مؤسسوا المدارس فيها بإيقاف الكتب على اختلاف علومها وفنونها، وأنشأوا للمكتبات المباني الخاصة والحجرات العديدة، وأقاموا عليها الخزّان، والمشرفين والنظار، وتدل كثرة الخزائن ودور الكتب على ما كان عند المسلمين من عناية بالعلم، ورعاية لطلبته، فانتشرت المكتبات في المشرق الإسلامي، مثل مرو، ونيسابور، وهراة، وبخارى، وسمرقند،.. وغيرها. وقد كانت هذه المكتبات إما خاصة مستقلة، وإما عامة في المدارس والمساجد[2].

وقد عمل الطاهريون في خراسان على إحياء الثقافة الإسلامية ودعمها ونشرها. واحتلوا بذلك الدرجة الرفيعة في الثقافة والعلوم. يقول بارتولد: "إن الطاهريين بحسب نشاطاتهم الثقافية والعلمية قد احتلوا مركزا فريدا في عصرهم"[3] وآية ذلك ما أنشأوه من المكتبات العامرة، الزاخرة بالكتب القيمة، والمخطوطات النادرة. التي يؤمها الرواد من خراسان ومن خارجها. يروي ابن النديم فيقول: "قرأت بخط أبي الفتح النحوي صاحب بني الفرات وكان صدوقا منقرا بحاثا قال أبو بكر بن دريد: وقع بالبصرة كتاب العين سنة ثمان وأربعين، قدم بها وراق من خراسان وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا، وكان سمع بهذا الكتاب أنه بخراسان في خزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق، وقيل: إن الخليل حمل كتاب العين وحج، وخلف الكتاب بخراسان، فوجه به إلى العراق من خزائن الطاهرية"[4].

وظهر كتاب النوادر للأصمعي في البصرة ثم جاء به أبو ربيعة صاحب عبد الله بن طاهر من خزانة الطاهريين ووضعه بين يدي الأصمعي فجعل ينظر فيه فقال ليس هذا كلامي كله وقد

(1) ـ ابن حزم. **رسائل**. ج4/ص77.

(2) ـ انظر: جرجي زيدان. **تاريخ التمدن الإسلامي**، مرجع سابق. ج2 / ص 231.

(3) ـ E. I. S. V. TAHIRIDS. VOL. IV. P .614 نقلا عن الحديثي. **الطاهريون**، مرجع سابق. ص 54

(4) ـ ابن النديم. **الفهرست**. ص 65.

زيد فيه علي فإذا أحببتم أن أعلم على ما أحفظه منه واضرب على الباقي فعلت وإلا فلا تقرأوه، قال سلمه بن عاصم فاعلم الأصمعي على ما أنكر من الكتاب ثم أمرنا فنسخناه[1].

ويفهم من هاتين الروايتين أن الطاهريين ولعوا بجمع الكتب وجلبها إلى خزائنهم، وخاصة خزائن نيسابور وخزائن مرو. التي ملئت كتبا، حتى الكتب الأعجمية. يذكر ابن طيفور أن العتابي قال: "كتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو"[2].

وكان يشرف على هذه المكتبات موظفون من أهل العلم والمعرفة فكان يتولى رئاسة خزائن الطاهرية بنيسابور أبو العمثيل، وأبو سعيد الضرير خازنا لها[3].

ولعل أسبق المكتبات العامة ظهورا هي المكتبات الملحقة بالمساجد. فقد جرت العادة منذ أقدم العصور الإسلامية أن يودع الناس في المساجد عددا من نسخ القرآن الكريم وغيره من الكتب الدينية النافعة، ولهذا فإن مكتبة المسجد قد ظهرت منذ اتخذ المسلمون المسجد مكانا للصلاة وللدراسة، ذلك لأنه لا دراسة بدون كتب[4].

ومن هنا شكلت أول نواة للمكتبات العامة والتي يمكن الرجوع إليها؛ لتقدم المصادر لكافة الناس على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم، وأعمارهم، ينهلون منها ما يشاءون.

"وقد كان يوجد في بعض المساجد الكبرى أكثر من خزانة واحدة للكتب، فيذكر ياقوت الحموي أنه كان يوجد في أيامه في مدينة (مرو) خزانتان في المسجد الجامع، إحداهما يقال لها العزيزية والأخرى يقال لها الكمالية، ويبدو أن بعض العلماء قد اعتاد أن يوصي بكتبه أو مكتبته كوقف في مسجد بلدته من خلال خزانة خاصة في المسجد تعرف باسمه وكان أكثر معلومات كتابه "معجم البلدان"وما ألفه من كتب أخرى كانت مما جمعه من مقتنيات هذه الكتب[5].

وأشار السيوطي إلى أنه كان في جامع "مرو" كتب موقوفة[6]، وجدير بالذكر أن المكتبات العامة

---

(1) ــ الأزهري. **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار القومية العربية، 1964م. ج1 / ص 15.

(2) ــ ابن طيفور. **تاريخ بغداد**. بيروت: 1968م، ص87.

(3) - NOURI. M. the **SHOLARS Of Nishapur**, thesis for the degree of doctor. 1967. vol. I. P. 28.

(4) ـ رشحي مصطفى عليان. **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**. ط1 ،عمان:دار صفاء للنشر والتوزيع،1999م ص114

(5) ــ انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج5/ص134.

(6) ــ السيوطي. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، بيروت: دار الفكر، 1979م، ج1/ص51.

كانت عامة بالمعنى الحرفي والدقيق للكلمة فلا يمنع أحد من ارتيادها، أو المطالعة فيها بالمجان، كما أنها تقدم لروادها الورق والحبر وأدوات الكتابة مجانًا. وكان في بعضها مرشدون لمساعدة القرّاء في إيجاد الكتب التي يبحثون عنها، كما أنها تسمح أحيانا بالإعارة الخارجية بدون رهن[1].

أما المكتبات الخاصة فتشمل المكتبات التي كان ينشئها الخلفاء، الأمراء والحكام، من أجل أنفسهم وقد جعلوها حلقات للمناظرة والسمر والمحاضرات وإلقاء العلوم المختلفة. وقد ازدهرت هذه المكتبات حيثما وجد الأمير المتنور، والحاكم المولع بالعلوم والآداب الراغب في تحصيلها، والتقرب من أهلها. وكان يسمح بدخول هذه المكتبات للصفوة من الناس كحاشية الأمير وخلصائه من العلماء والأدباء.

فهذا الأمير نوح بن نصر الساماني فتح دارا له فيها بيوت الكتب، واستدعى الطبيب ابن سينا لعلاجه حتى برئ، فقربه إليه، مما جعله يظفر بما في تلك المكتبة من علم الأوائل وغيرها، وحصّل فوائدها، واطلع على أكثر علومها واتفق بعد ذلك أن احترقت تلك الخزانة فانفرد بما حصله من علومها[2].

وكان وزراء وحكام الأقاليم الإسلامية يملكون مكتبات كبيرة يتردد عليها الفقهاء والعلماء والأدباء بين الحين والآخر للاستفادة منها في القراءة وللملاحظة وفي تدوين ملاحظاتهم أثناء كتابة البحوث.

ويذكر أن الأمير نوح بن منصور عندما استدعى الصاحب بن عباد المتوفى سنة (358هـ) ليوليه وزارته اعتذر عن ذلك، فكان مما اعتذر به أنه لا يستطيع حمل أمواله وما عنده من الكتب العلمية إلى بخارى، وقدرت كتب هذا الوزير ما يحمله أربعمائة جمل أو أكثر، وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات[3].

ويصف ابن سينا مكتبة السامانيين بعد أن أذن له في دخولها لقراءة ما فيها، فيقول: "دخلت دارا ذات حجرات كثيرة، وفي كل حجرة صناديق مملوءة بالكتب، وفي بعضها كتب العربية والشعر، وفي آخر الفقه، وأخرى للعلم والفلسفة، وكان لكل مجموعة خاصة من الكتب أمكنة

(1) ـــ انظر: ربحي عليان. **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**، مرجع سابق. ص 138.

(2) ـــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2/ص158، حيدر علي. **اللويلات الإسلامية في المشرق**، مرجع سابق. ص 206.

(3) ـــ آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**..مرجع سابق، ج1/ص326، العمادي. **خراسان في العصر الغزنوي**. مرجع سابق. ص255.

معينة لها، وقد تفقدت أسماء المؤلفين القدامى لأبحث عن مؤلفاتهم، وراعني ما وجدت من الكتب الكثيرة التي لا يعرفها كثير من الناس"[1].

وهذه المكتبة نفسها التي دخلها الرحالة المقدسي حينما زار بخارى واستفاد من كتب الاصطخري المحفوظة فيها[2]. أما الأمير إسماعيل الساماني فقد قدم إليه من طلاب العلم من أماكن بعيدة ليستكملوا دراستهم في مدرسته وليقضوا حياتهم في التأمل والبحث بدار كتبه التي حبس عليها الحبوس[3].

وكان لأبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي أمير نيسابور خزانة كتب عامرة وضعها تحت تصرف أدباء عصره ليستفيدوا منها[4].

أما في عصر الدولة الغزنوية فلم يأل السلطان محمود جهدا في تشجيع الحركة الثقافية، فقد ازدانت غزنة بأجمل ما حصل عليه من مغانم الهند، وأعاد تشييد مسجدها الجامع على أحسن صورة، وأضاف إلى المسجد مدرسة رائعة اشتملت حجراتها من بساط الأرض إلى سقوفها على مكتبة عامرة بتصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين منقولة من خزائن الملوك السابقين، يتناولها فقهاء وعلماء غزنة بالتدريس[5].

أما المكتبات الخاصة بالعلماء فإن قلما يوجد عالم ليست له مكتبة في بيته تكون مرجعا علميا بين يديه وأمام ناظريه، ولسنا نريد هنا حصر كل من كان له مكتبة من العلماء والأدباء، فإننا لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا: إن كل العلماء والأدباء المصنفين كانت لهم مكتبات خاصة، تتفاوت في حجم مجموعاتها، وأن ما جاء ذكره في كتب التراث من أخبار هذه المكتبات إنما كان عن مكتبات استحقت الذكر، إما لضخامة مجموعاتها، وإما لشهرة أصحابها فذكرت في جملة أخبارهم. فمن ذلك يذكر الخطيب البغدادي، أن أبا زكريا يحي بن محمد بن يحي النيسابوري يقول: "دخلت على ابي في الصيف السائف وقت القائلة وهو في بيت كتبه، وبين

(1) ــ حيدر علي. المرجع السابق. ص207.
(2) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ج6 / ص10.
(3) ــ أرمينوس فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 106.
(4) ــ ذنون. **الحياة العلمية ...** مرجع سابق. ص 79.
(5) ــ العتبي. **تاريخ اليميني**. ج2 / ص91 ــ 299، العمادي. **خراسان في العصر الغزنوي**، مرجع سابق. ص 254.

يديه السراج وهو يصنف، فقلت: يا أبت هذا وقت الصلاة ودخان هذا السراج بالنهار، فلو نفّست عن نفسك؟ فقال لي: يا بني هذا وأنا مع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين"[1].

وأورد الخطيب أيضا: "عقد لمسلم مجلس للمذاكرة فذكر له حديث لم يعرفه فانصرف إلى منزله وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخلن أحد منكم هذا البيت (مشيرا إلى بيت كتبه) فقيل له: أهديت لنا سلة فيها تمر فقال: قدموها إليّ، فقدموها إليه. فكان يطلب الحديث ويأكل تمرة تمرة فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث"[2].

ويروى أن أبا عبد الرحمن بن علي بن الحسن بن شفيق العبدي المروزي (ت 215هـ) كان مولعا بجمع الكتب حتى كتب التوراة والإنجيل فتجمعت له كتب كثيرة[3].

"وكان عبد الله بن محمد بن هانئ النيسابوري (ت236هـ) جماعا للكتب كثير الحفظ لها إلى أن صارت جملة عظيمة بيعت بأربعمائة ألف درهم[4]. وقيل كان له وكيل خاص بتجارة الكتب، وكان قد أعد دارا خاصا لطالبي العلم وفّر فيها كل ما يحتاجه طالب العلم من الكتب والورق. فقد ذكر الأزهري: "وكان قد أعدّ دارا لكل من يقدم عليه من المستفيدين، فيأمر بإنزاله فيها ويزيح علته في النفقة والورق، ويوسع النسخ عليه"[5].

وكان لأبي بكر محمد بن إسحق بن خزيمة النيسابوري "بيت كتب"[6] ورثه حفيده أبو طاهر محمد بن الفضل بن إسحق، وقد استفاد منه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري[7]. "وبلغ من اهتمام العلماء باقتناء الكتب القيمة، والولوع بجلبها وتزيين مكتباتهم الخاصة بها أنهم كانوا لا يدعون في أيديهم شيئا حتى مصدر عيشهم، فحين منع أحمد بن سيار عبد الله بن محمد بن عنبر المروزي من النظر في كتب الشافعي واستنساخها باع ضيعة له وخرج إلى مصر منكبا على

(1) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج14 / ص220.
(2) ــ المصدر نفسه. ج13 / ص101، وانظر: ابن الجوزي. **المنتظم**. ج12 / 171 ــ 172.
(3) ــ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج1/ ص35.
(4) ــ القفطي. **إنباه الرواة**. ج2/ص127.
(5) ــ الأزهري. **تهذيب اللغة**. ج1/ص24.
(6) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص363.
(7) ــ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج12 / ص512.

استنساخ كتب الشافعي وعاد بها إلى مرو حاملا معه مختصر المزني"[1].

أما أبو العباس جعفر بن أحمد للروزي ـــ وهو أحد المؤلفين للكتب في سائر العلوم، "فإن له مكتبة غزيرة جدا، وقد حملت كتبه إلى بغداد وبيعت في طاق الحراني سنة أربع وسبعين ومائتين"[2].

كما أن أبا العباس محمد بن إسحق بن إبراهيم الثقفي من أهل نيسابور كانت مكتبته عامرة. قال يوما لبعض من حضر وأشار إلى كتب منضدة عنده (أي: مكتبته)، فقال: هذه سبعون ألف مسألة لمالك ما نفضت التراب عنها منذ كتبتها. توفي سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة[3]. وفي هذا إشارة إلى كثرة ما عنده من الكتب في مكتبته الخاصة.

وكان للمكتبات العامة والخاصة موظفون أمناء ومترجمون ونساخ، ومجلدون، ومناولون، ولكل منهم مسؤولية خاصة[4]. وكان لتلك المكتبات فهارس منظمة تسهّل الإفادة منها، فهذا ابن سينا اطلع على فهارس مكتبة السامانيين في بخارى واختار بضعة كتب طلب أن يطلع عليهما، فأحضرت إليه في الحال[5].

ويمكن أن نختم الحديث هنا فنذكر مسائل تعرض لها علماء المسلمين في كتاباتهم تتعلق بآداب التعامل مع الكتاب، يذكرها ابن جماعة فيقول: "ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها، أو مخدة أو مروحة [6]، ولا مكبسا ولا مسندا ولا متكأ، ولا مقتلة للبق وغيره، ولا سيما في الورق فهو على الورق أشد"[7].

ويقول فيما يتعلق بإعارة الكتب: "وإعارة الكتب للطلبة والمشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرون لما فيه من نشر العلم خاصة، وإفادة الناس عامة، حتى عد من صفات العلماء المحمودة"[8].

---

(1) ـــ السخاوي. **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**. ص189 ـــ 190.

(2) ـــ ابن النديم. الفهرست. ص 184.

(3) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص509.

(4) ـــ عبد الحليم منتصر. **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه**. ط1، مصر: 1975م، ص 57 ـــ 58، وانظر: أحمد شلبي. **تاريخ التربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 157 ـــ 177.

(5) ـــ أحمد شلبي. المرجع السابق. ص 152.

(6) ـــ لأن محافظ الكتب قديما كانت تصنع من الجلود. وبأشكال كبيرة.

(7) ـــ ابن جماعة. **تذكرة السامع**. ص 172.

(8) ـــ المصدر نفسه. ص 168.

كما وضع العلماء آدابا للتعامل مع الكتب عند شرائها أو استعارها أو إعادتها يتفقدها المشتري أو المستعير، أو مالكها؛ بأن يتعهد أولها وآخرها ووسطها وترتيب أبوابها، وصفة نسخها[1].

ومما تقدم يتبن لنا كيف كان للمكتبات في حواضر خراسان وماوراء النهر دورا في الإنتاج الفكري الذي أتاحه المؤلفون، والذي عمل الوراقون على توفيره في نسخ متعددة، مما جعل الحياة العلمية زاخرة تنضح بالعطاء لعلمي النافع في جميع المجالات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ــ انظر: المصدر نفسه. ص 168 ــ 172.

8 ـ حوانيت الوراقين

كان لظهور صناعة الورق، وانتشار استعماله، أثره الواضح في ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب، وهؤلاء هم الوراقون، ولئن أغفل المؤرخون أخبار هذه الطائفة ولم يهتموا بهم، فإن فضل الوراقين لا يمكن إنكاره بأي حال. ذلك أن ملايين المخطوطات العربية التي ملأت مكتبات بغداد والبصرة، ودمشق، وقرطبة، ونيسابور، وبخارى، والقاهرة واستنبول وغيرها من الحواضر الإسلامية قبل اختراع الطباعة تشهد لهؤلاء الوراقين بالسبق، في نهضة الحركة العلمية، وتدين لهم بازدهارها.

وتعد سمرقند أشهر مدينة في صناعة الورق المعروف "بكاغد سمرقند"، وهو مصنوع في معاملها، ويُعد من أنعم وأحسن وأرفق ورق موجود، حتى أنه نافس الورق المصري في الجودة والكثرة، فعطلت قراطيسها.

ومن أشهر الكواغد هي (السليماني) نسبة إلى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان في عهد هارون الرشيد، و(الجعفري) نسبة إلى جعفر البرمكي، و(الطلحي) المنسوب إلى طلحة بن طاهر بن الحسين، و(النوحي) نسبة إلى الأمير نوح الأول من بني سامان[1].

ويقال: إنه في منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) أسر العرب بعض الصناع الصينيين، ثم أطلقوا سراحهم بعد أن تعلموا منهم صناعة الورق، وسرعان ما تبين لهم أهمية هذه المادة، ووجدت طريقها إلى حياتهم، وتطبيقاتها في تعاملاتهم[2].

كما أن المصاهرة التي حدثت بين السامانيين وملوك الصين زمن الأمير نصر بن أحمد قد أدّت إلى تحسين العلاقات السياسية، مما فتح الطريق أمام الصلات التجارية بين الطرفين[3].

وقد عرفوا الوراقة بقولهم: "هي العناية بالكتاب نسخا وضبطا وتجليدا وتجميلا وبيعا وشراء"[4].

---

(1) ـ الجاحظ. التبصر بالتجارة في ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة. دمشق: 1932م. ص36.

(2) ـ علي جمعة الشكيل. صناعة الورق في الحضارة الإسلامية. مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث، ع11، س8، أكتوبر 2000م، ص118.

(3) ـ متز. الحضارة الإسلامية. ج2 / ص416.

(4)- كريم عجيل حسين. الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1976م، ص286.

وهم في أيامنا هذه بمثابة الناشرين للكتب، "يقومون بنسخ الكتب وتجليدها وتصحيحها وبيعها وعرضها في الحوانيت الخاصة، وبيعها في أسواق الكتب"[1]. فضلا عن بيع الورق وأدوات الكتابة.

ويبدو أن الوراقة كانت من الصنائع التي وفرت الكثير من المتاعب للعلماء، وحفظت علمهم من النسيان باستنساخه ورواجه بين الناس، فيصفها السبكي بقوله: "وهي من أجود الصنائع فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم"[2].

وقد عني المسلمون بالكتاب ؛ لأنه ثمار عقول العلماء، وحصيلة أبحاثهم، وسبيل نهضة الأمم وارتفاع مستوى الثقافة بين أبنائها..وتوفر الكتاب والعناية به له دلالات منها وجود العلماء للمنتجين، والرغبة في طلب المعرفة.بل إن ابن خلدون جعل الوراقة دليلا على النهضة العلمية. ورمزا للعمران، فقال: "... فكثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأمصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين للمعانين للانتساخ والتصليح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة للعمران"[3].

وقد وصفت حوانيت الوراقين بأنها "من أبرز الأماكن التي أرست دعائم الحركة الثقافية وكانت مقصد طلاب العلم والمعرفة، فقد كانت هذه الحوانيت منبعا غزيرا للثقافة، ومجالا واسعا للمناظرات الأدبية والحوار العلمي، يؤمها المثقفون والأدباء، ويتخذونها منتدى لهم وملتقى لاجتماعاتهم، ومكانا لعرض أبحاثهم، وإقامة مناظراتهم، ثم تحولت هذه الحوانيت رويدا رويدا لتصير مقصدا لكل من يبغي علما أو يهوى أدبا"[4] حتى إنهم ليذكروا أن الجاحظ "كان يبيت فيها للبحث والنظر"[5]، ولم تكن حوانيت الوراقين مجرد دكاكين للتجارة ينشد أهلها الربح وإنما كانوا ـــ في أغلب الأحيان ـــ من المتعلمين الذين يسعون إلى جذب الباحثين إلى محالهم من ذوي الثقافة العالية سعيا إلى اللذة العقلية من وراء هذه الحرفة،التي كانت تتيح لهم

(1) ـــ ربحي عليان. **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**. مرجع سابق. ص 71.

(2) ـــ السبكي. **معيد النعم**. نقلا عن: طالب حامد حسن الضمور. **التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول**. كلية الآداب، جامعة مؤته، الأردن، 1996م،(رسالة ماجستير)، ص 288.

(3) ـــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص 403 ـــ 404.

(4) ـــ أحمد جمال العمري. **حوانيت الوراقين وقيمتها العلمية**. مجلة "الفيصل العربية". السنة الثانية، العدد السادس، 1978م،ص 16.

(5) ـــ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج4/ص472، آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق. ج1 / ص324.

القراءة والاطلاع وتحول دكاكينهم إلى ملتقى غير رسمي للمناقشات الأكاديمية[1]، يؤمها الأدباء والعلماء والفلاسفة والمحدثون ... فهي أشبه بالمنتدى الفكري، يتذاكرون فيه الحوادث ويتناشدون الأشعار، ويتجادلون ويتساجلون. ومما قيل في مجالسهم هذه:

مجالسة السوق مذمومة ومنه مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى وهاتيك آلة أهل الأدب

ويمكن تلخيص الأعمال التي يقوم بها الوراق بمعناه الواسع (الناشر) على النحو التالي[2]:

1 ــ أن ينشئ محلا للوراقة (حانوتا أو دكانا بلغة ذلك العصر) يكون مقرا للقرطاسية من ورق وحبر وأقلام، ويكون مقرا لاجتماع النساخين لنسخ الكتب، يوزع عليهم العمل لنسخه تحت إشرافه، وربما يحدد من يملي الكتاب إذا كان الهدف إنتاج أكثر من نسخة في وقت واحد ويحدد طريقة مراجعة النسخ.

2 ــ يقوم بشراء القرطاسية من مصانع الورق والأحبار والأقلام والدوى.. وربما يصنع بعضها في دكانه مثل الحبر والأقلام مما لا يحتاج إلى مجهود خاص أو آلات خاصة، كما يقوم باختيار الورق المناسب من حيث النوع والحجم والجودة.

3 ــ يستأذن المؤلفين في نسخ وتوزيع كتبهم ويتفق معهم، وفي بعض الأحيان كان يتم الأمر دون إذن من المؤلفين، وكان الوراق يحدد ما قد يروج لديه من الكتب.

4 ــ الإتفاق مع الزبائن من مشتري الكتب على النسخ التي يريدونها والسعر الذي يدفعونه فيها، وترتيب تجليد الكتب وتصويرها. ووضع رسومها وزخرفتها إن كان مطلوبا من قبل الزبائن.

5 ــ في القليل النادر كان بعض الوراقين يملكون ورش تجليد لتجليد الكتب ؛ لأن التجليد والتصوير كانا عملين منفصلين عن النسخ وإن كانا يدخلان في الوراقة بمعناها الواسع.

---

(1) - Bayard Dodge, **Muslim Education In Medival Times**, The Middele East Instiiitute, Washington,Dc,1962,p.14.

(2) ــ شعبان عبد العزيز خليفة. **الكتب والمكتبات في العصور الوسطى**. ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997م. ص150ــ 151، وانظر: لطف الله قاري. **الوراقة والوراقون في التاريخ الإسلامي**. ط2، الرياض: منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، 1983م، ص51 وما بعدها.

6 ــ يقوم ببيع الكتب وتوزيعها سواء تم ذلك في دكانه أو خارج الدكان في الأسواق وعلى البيوت.

وعلى الرغم من أن عددا كبيرا من العلماء والفضلاء والصلحاء اشتغلوا بمهنة الوراقة إلا أنه كان ينظر في بعض الأوقات إلى المشتغلين بها بشيء من الازدراء ويرجع ذلك إلى الذين أساءوا إلى هذه المهنة إساءة بالغة وذلك عن طريق:

1 ــ دس معلومات لم يقل بها مؤلف العمل الأصلي فيما ينسخون من كتب مما سنرى نماذج له فيما بعد.

2 ــ تزوير بعض الحقائق عن طريق تغيير ما يجدونه في الكتاب الذي ينسخون.

3 ــ نسبة كتاب إلى غير مؤلفه أو انتحال اسم مؤلف كبير رغبة في ترويج كتاب من وضع مؤلف مغمور.

4 ــ رداءة الخط وسوء إخراج الكتاب باستخدام نساخ منخفض الأجرة، وبسبب ذلك ضرب عنهم المثل القائل "تصنيف الوراقين وكذب المؤلفين" إشارة إلى أن المعلومات غير دقيقة وغير موثقة أو كما نقول في أيامنا: "كلام جرايد"[1].

وقد شكى وراق من نيسابور يدعى أبا حاتم، مهنة الوراقة. التي عمل فيها لمدة خمسين سنة بقوله:

إن الوراقـــة مهنـــة مذمومـــة محرومة عيشي بها زمن
إن عشت عشـــت وليس لي أكل أو متّ مـــتّ وليس لي كـــفن[2]

ومن الطريف أن نذكر أن ورّاقا نام ليلة فرأى في المنام كأن القيامة قامت، وحوسب وأدخل الجنّة، فلما دخل الباب استلقى على قفاه، ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال: "آه والله استرحت من النسخ"[3].

واشتكى بعض من امتهنوا الوراقة مرّ العيش، وقلة الجاه، وسوء الحال، قال أبو هفان عبد الله بن أحمد الشاعر: "سألت وراقا عن حاله، فقال لي: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي

(1) ــ شعبان. **الكتب والمكتبات**. مرجع سابق. ص 153.
(2) ــ انظر: الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4/ص 424.
(3) ــ أحمد امين. **ظهر الإسلام**. مرجع سابق. ج2 / ص 233.

أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سوادا من الحبر بالزاج، وحظي أخفى من شقّ القلم، ويداي أضعف من قصبة، وطعامي أمر من العفص، وشرابي أسود من الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ، فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء".

وفي هذه الرواية إشارة واضحة إلى الأدوات المستخدمة في الوراقة وإلى ما يمكن أن تحويه دكاكين الوراقين من أدوات ووسائل[1].

وقد وجدت حوانيت الوراقين في أغلب حواضر العالم الإسلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجري وخاصة في خراسان وما وراء النهر، فقد كانت على شكل أسواق للوراقة، مثل سوق الوراقين ببخارى، وسمرقند[2].

وقد امتهن بعض العلماء الوراقة للارتزاق منها مثل جعفر بن محمد بن علي أبو القاسم الوراق المؤدب البلخي (ت 283هـ)[3] والشهيد بن الحسن أبا الحسين البلخي الوراق، المتكلم (ت315هـ)، وكان أبو زيد وأبو القاسم وشهيد البلخيون في عصر واحد وكل منهم كان إماما في العلوم الحكمية وكانت بينهم مودة أكيدة وعشرة حسنة".

كما ارتزق أبو العباس أحمد بن محمد القباني النيسابوري (ت 371هـ) من مهنة الوراقة. وكان يأكل من كسب يده، ويعطر زواره[4]. وقد كان من الوراقين المحدثون كالمحدث الحافظ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر البخاري المعروف بغنجار وراقا[5]. والمظفّر بن محمد بن أحمد الخراساني البلخي (ت367هـ)، الورّاق المحدث، كان عارفا بالأخبار، وشاعرا، وله تصانيف منها: كتاب المثالب ـــ نقض كتاب العثمانية للجاحظ ـــ الأعراض والنكت في الإمامة ـــ الردّ على من جوز القدم البطلان ـــ وكتاب الأرزاق[6]. وكمحمد بن أبي بكر الوراق ببخارى[7]،

(1) ـــ طالب الضمور. **التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول**، مرجع سابق. ص 292.
(2) ـــ ذنون. **الحياة العلمية ...** مرجع سابق. ص 81.
(3) ـــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج12 / ص 362.
(4) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص441.
(5) ـــ المصدر نفسه. ج4/ص311.
(6) ـــ انظر: إسماعيل باشا البغدادي. **هدية العارفين**. بيروت: دار الفكر، 1982م، ج6 / ص463.
(7) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج2 / ص174.

وأحمد بن جعفر بن المثنى بن بشر أبي العباس الوراق البلخي[1]. وأبي اسحق إبراهيم بن أحمد بن رجاء النيسابوري الوراق الأبزازي، (نسبة إلى إبزاز، قرية بنيسابور)[2] والفقهاء كأبي سعد أبي الحسين الوراق النيسابوري، وكان من كبار المشايخ عالما بالشريعة والحقيقة[3].

والمؤذنون كأبي نصر أحمد بن حسين ابن حسكويه النيسابوري (ت 381هـ)[4]، ومحمد بن يعقوب بن سنان المعقلي المؤذن بنيسابور[5].

والصوفية كأبي بكر محمد بن عمر الحكيم الترميذي البلخي، الملقب بمؤدب الأولياء، ومبارك النفس، له تصانيف، توفي بمدينة (ترمذ) سنة (280هـ)[6]. وأبي سهل محمد ابن محمد المسكي النيسابوري[7]. وأبي الحسين محمد بن سعد، وهو من كبار مشايخ نيسابور، وكان عالما بعلوم الظاهر ويتكلم في دقائق علوم المعاملات وعيوب الأفعال توفي قبل سنة(320هـ)[8].

وهناك من قصد الوراقون داره؛ لكثرة ما عنده من الكتب النادرة النافعة، كأبي نصر سهل بن المرزبان القائني، الذي استضاف الوراقين في منزله بنيسابور[9].

وهناك كتب راج بيعها، وكثر الطلب عليها، فراح الوراقون يكثرون من نسخها. فمثلا "في سمرقند، نسخ الوراقون جميع مؤلفات الإمام أبي منصور الماتريدي، المتوفى سنة (333هـ)[10] كتاب تأويل القرآن، وكتاب التوحيد، وكتاب المقالات.

كما نسخوا مؤلفات أبي الليث نصر بن أحمد بن أحمد السمرقندي المتوفى سنة (375هـ)،

---

(1) ـ المصدر نفسه. ج4 / ص 283.

(2) ـ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص48، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج14 / ص465.

(3) ـ ابن تغرى بردي. **النجوم الزاهرة**. ج3 / ص231.

(4) ـ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج16 / 424.

(5) ـ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص373.

(6) ـ أبو نعيم الأصفهاني. **حلية الأولياءوطبقات الأصفياء**. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1980م، ج10 / ص235، السلمي. **طبقات الصوفية**. بيروت: دار الكتب العلمية، (د، ت)، ص178، الهجويري. **كشف المحجوب**. ج1/ص354، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص374.

(7) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص294.

(8) ـ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص229.

(9) ـ الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4 / 391 ـ 392.

(10) ـ سوف يأتي تفصيل ذكره في المبحث الخاص " بعلم الكلام ".

ككتاب تفسير القرآن، وبستان العارفين وتنبيه الغافلين، وخزانة الفقه وعيون المسائل، وقرة العيون، وفوح القلب المحزون ....

وكانت مصنّفات البستي السمرقندي، أبي حاتم محمد بن حبّان، المتوفى سنة (354هـ). في الفقه والحديث أكثر انتشارا ونسخا ككتاب (الثقات)، و(التقاسيم والأنواع) ثم (الجرح والتعديل) و(الضعفاء) ثم كتاب مشاهير علماء الأمصار، وغيرها"[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ــ جهاد عزت عبد الله. **الحركة الفكرية العربية في سمرقند**، مرجع سابق. ص 170 ــ 172.

9 ـ الربط والخانقاهات بين الجهاد والعلم

الرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو[1]، وهو المكان الذي يربط فيه الخيل لغرض الجهاد وملاحقة الكفار[2]. وهذا معنى مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[3].

و للربط معنى الانقطاع عن الأغيار ولزوم العبادة، واستحضار الحق سبحانه وتعالى، قال السهروردي: "وشرائط سكان الرباط قطع المعاملة مع الحق، وترك الاكتساب اكتفاء بكفاية مسبب الأسباب، وحبس النفس عن المخالطات، واجتناب التبعات، ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة، والاشتغال بحفظ الأوقات، وملازمة الأوراد، وانتظار الصلوات، واجتناب الغفلات، ليكون بذلك مرابطا مجاهدا"[4].

كما أن الرباط أماكن يتجمع فيها الجنود عند الثغور الإسلامية المعرضة للخطر؛ لذلك بنيت قلاع وسور حصين يحيط به ومخازن للأسلحة والمؤن وبرج للمراقبة[5]. وفي داخل كل رباط غرف لسكن المرابطين المتطوعة، وأماكن لربط الخيول[6].

والهدف من إنشاء هذه الرباطات في بادئ الأمر هي إقامة المجاهدين للذود عن حدود الدولة الإسلامية، فهي في الأصل مؤسسة عسكرية، غير أنها ما لبثت أن أصبحت موضعا لإيواء المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة والزهد، وطالبي العلم، وقراء القرآن، وأهل الذكر، ومأوى للفقراء[7]، وإقامة الزّهاد والعباد المتصوفة، ومصادر الإنفاق كانت على حساب الواقفين

(1) ـ ابن منظور. **لسان العرب**. ج1 / ص1108.

(2) ـ انظر: السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص39.

(3) ـ سورة الأنفال. الآية (60).

(4) ـ المقريزي. **الخطط**. ج2 / ص427.

(5) ـ مارسيه. **الرباط**. دائرة المعارف الإسلامية.

(6) ـ يصف المقدسي رباط مدينة (نسا) بقوله: "رباط جليل، به رجال شهام، وعدد من خيل، وسلاح". انظر: **أحسن التقاسيم**. ص273، 320، 412.

(7) ـ لفظ الفقراء يصلح في الحقيقة والمجاز، فأما الحقيقة فلأنهم كانوا يعيشون على الوقف والصدقة، وأما المجاز فلأنهم فقراء إلى الله. لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. (سورة فاطر. آية 15).

عليها[1]، وهكذا أصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية، ودينية، وثقافية، كالوعظ، والإقراء، والتحديث، والسماع، والإفتاء، ومنح الإجازات العلمية، وتصنيف الكتب[2]، ثم تحولت فيما بعد إلى مراكز للمتصوفة.

وكان بعض العلماء يرون ضرورة الاختلاف إلى هذه الرباطات لاستكمال شخصيتهم، فهم يرون أن العلم النظري، ينبغي أن يتوّج بالعمل، وأن يجمع العالم إلى علمه جانب الجهاد. فيحقق مراد الله تعالى من أمره للمؤمنين بالنفير للجهاد بالنفس والمال ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾[3]. وبأمره بالنفير إلى طلب العلم. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[4].

وخراسان نظرا لمصاقبتها لبلاد الكفر، ولطبيعتها السياسية تعج بالربط التي ازدحمت بالمجاهدين. والعلماء العاملين، ففي طريقك إلى قصر الريح بسواد نيسابور تمر بقرى ورباطات يمنة ويسرة[5].

وقد ارتبطت بعض الرباطات بالمدن الجديدة التي يبنيها الأمراء أو يدخلونها فاتحين، كما ارتبط بناؤها أحيانا بالمساجد التي تنشأ، ومن أمثلة ذلك: أن عبد الله بن طاهر أنشأ في نيسابور رباطا في وسط الجامع[6]. كما شيّد رباطا في نواحي "نسا"[7]، وأقام عبد الله بن المبارك المروزي رباطا في مرو، وأقام رباطا آخر في قرية تابعة لأبيورد ـــ من نواحي نيسابور ـــ كان له أربعة أبواب، وفي وسطه مسجد جامع. وشيد إسماعيل بن أحمد السامانى الربط، وأوقف عليها الأوقاف. وكل رباط كان يسع ألف فارس، كما أقام الإقامات للمسافرين[8]. وقد أملى أبو القاسم عبد الله بن

(1) ـــ ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**. ج8 / ص81.
(2) ـــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج9 / ص6، 7، ج16 / ص59، ج17 / ص65، ج18 / ص100.
(3) ـــ سورة التوبة. الآية 41.
(4) ـــ سورة التوبة. الآية 122.
(5) ـــ ابن رستة. **الأعلاق النفيسة**. ص172.
(6) ـــ انظر: المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص332، معروف. **عروبة العلماء**.. مرجع سابق. ص118، عبد الباري. **خراسان وما وراء النهر** ... مرجع سابق. ص 173.
(7) ـــ مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام.. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج5/ص325.
(8) ـــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13 / ص74.

أحمد الكعبي المعتزلي (ت 319هـ)، دروسه في رباط (الجويق) بنسف[1]. كما حدّث في نفس هذا الرباط عبد العزيز بن نصر النيسابوري الذي دخل نسف سنة (324هـ)[2].

كما انتشرت الربط في بلاد ما وراء النهر حيث قدر ابن حوقل عددها أكثر من عشرة آلاف رباط[3]، وكان ذلك لأجل الجهاد والمرابطة في سبيل الله، وإيقافها على طلاب العلم، ويؤكد ذلك القزويني بقوله: "والغالب عليهم بناء الرباطات وعمارة الطرق، والوقف على سبيل الجهاد وأهل العلم، وليس بها قرية، ولا منهل ولا مفازة. إلا وبها من الرباطات ما يفضل عن نزول من طرقه"[4]، وقد وصل عدد الرباطات في أسبيجاب (1700) رباطا، ووصل عدد الرباطات في بيكند بالقرب من بخارى ألف رباط[5].

وكان ينفق على هذه الربط من صدقات المحسنين من أهل تلك البلاد لذلك يقول الاصطخري: "وترى الغالب على أهل الأموال بما وراء النهر، صرف نفقاتهم إلى الربط، وعمارة الطرق، والوقوف على سبيل الجهاد، ووجوه الخير .... إلا القليل منهم"[6]. ومن هذا الاهتمام بالربط، وكثرة عددها يتبيّن لنا مدى النشاط العلمي والثقافي في هذه المنشآت العسكرية وإسهاماتها في الحياة العلمية في خراسان وما وراء النهر.

فقد جمع كثير من أهل العلم بين الجهاد مع الرغبة في نشر العلم بين طلابه المرابطين. فمن بينهم أحمد بن عبد الله المعروف بابن رجاء الهروي (ت 232هـ) إمام عصره بهراة في الفقه

---

(1) ـ السلفي. **القندفي ذكر علماء سمرقند**. تحقيق يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، 1999م. ص209، السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص80.

(2) ـ المصدر نفسه. ص294.

(3) ـ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص386.

(4) ـ القزويني. **آثار البلاد**. ص558.

(5) ـ انظر: المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص272 ـ 273، ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص403.

(6) ـ الاصطخري. **مسالك الممالك**.ص290. ولكن يظهر أن كثيرا من المريدين في هذه الأربطة استمرأوا حياة البطالة، والتواكل، ولزوم الأربطة، بدعوى التصوف، والتزهد والانقطاع عن الدنيا، وطمعا فيما تجود به أيدي الأغنياء والموسرين، يقول ابن الجوزي: " وهذا الذي نهينا عنه من التقلل الزائد في الحد، قد انعكس في صوفية زماننا، فصارت همتهم في المأكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع، لهم الغذاء والعشاء والحلوى، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة، وقد تركوا كسب الدنيا، وأعرضوا عن التعبد، وافترشوا فراش البطالة، فلا همة لأكثرهم إلا الأكل واللعب". **تلبيس إبليس**. بيروت: دار الرائد العربي. ص 221.

والحديث كتب عنه الشيء الكثير واستفاد منه عدد كبير في تلك الأماكن[1].

وقد كان العلماء الذين يرابطون في هذه الثغور يشاركون في المعارك فقد روي أن "عبد الله بن واصل بن عبد الشكور ... أبا الفضل البخاري محدث بخارى، حدث عنه البخاري في غير صحيحه، ولد سنة مائتين واستشهد في وقعة خولنجه سنة اثنين وسبعين ومائتين"[2].

وكانت هناك دروس في رباط دهستان، وفي أربطة المربع، وكاسورغ، ونوكمين والأمير بباب دستان في سمرقند،[3] ورابط محمد بن يوسف بن مطر الفربزي بفربز (أحد أربطة بخارى) "فرحل إليه الناس وسمعوا منه صحيح البخاري، وهو أحسن من حدث عن البخاري"[4] وكان في رباط فراوة بطرف نسا مجالس للفتيا والقضاء[5]. وأقام من العلماء في هذا الربط أبو بكر عبد العزيز بن الحسن البرذعي بعد أن لازم محمد بن إسحق بن خزيمة النيسابوري واستفاد من علمه وأصبح في حياة ابن خزيمة وبعد وفاته المفيد بنيسابور بعلمه ومعرفته توفي سنة (323هـ)[6].

ويبدو أن الربط كانت تحظى بإشراف ورعاية عدد من الموظفين يتولون مهامها القضائية والإدارية وكذلك العلمية. فيذكر أن أبا عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت 224هـ) تولى قضاء الثغور وأخرج منها ثلاثة أشخاص كانوا من الرافضة قائلا لهم: "مثلكم لا يساكن أهل الثغور"[7].

كما تولى أحمد بن سعيد الرباطي المروزي (ت 243هـ) الإشراف على الرباط ولعله كما يقول السمعاني: "يتولى عمارة الرباط حتى لا تضيع الأوقاف التي لها". وعرف أحمد الرباطي بثقته وعلمه وكان من أكابر شيوخ الصوفية عالما بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق، وصفه الجنيد أنه رأس فتيان خراسان، ولوجوده في هذه المهمة دور كبير في نشر العلم في هذه الأماكن حيث

---

(1) ـ ابن حجر العسقلاني. **تهذيب التهذيب**. ط1، بيروت: دار الفكر، 1984م، ج1 / ص40.

(2) ـ السيوطي. **طبقات الحفاظ**. تحقيق علي محمد عمر، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة، 1994م، ص273.

(3) ـ النسفي. **القند**. ص90، 179، 181، السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص239، دنون. **الحياة العلمية**. مرجع سابق. ص86.

(4) ـ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص286.

(5) ـ السهمي. **تاريخ جرجان**. ج1 / ص172، دنون. المرجع السابق. ص 86.

(6) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص317.

(7) ـ يحي ابن معين. **تاريخ ابن معين**. تحقيق أحمد نور سيف، ط1، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، 1979م، ج2/ص480.

كتب عنه الشيء الكثير"[1].

وفي فترة دراستنا لدينا إشارات بوجود الربط في سمرقند منها: رباط غازيان بالقرب من مزار الخضر عليه السلام، ورباط الشيخ أبو القاسم حكيم السمرقندي، ورباط الشيخ أبو الحسن السمرقندي، ورباط الشيخ محمد فضل البلخي، الذي كان قاضيا في بلخ، ثم قدم سمرقند واستوطن فيها.

وفي حي غانفر الواقعة في الشمال الغربي من سمرقند كان هناك عددا من الربط منها: للشيخ أبو القواس البغدادي، والشيخ عمر بن أحمد مرغيناني، والشيخ إسكندر الدارمي، والشيخ زين الدين الدمشقي، وكذلك رباط فخر الإسلام علي بزودي، الذي اشتهر بمؤلفاته منها: كتاب (المبسوط) و(شرح الجامع الصغير)، و(الأصول)، ثم رباط الشيخ برهان الدين الساغرجي، التي كانت واقعة جنوب القلعة ... وغيرها من الربط[2].

ولعل المقدسي هو أكثر من ذكر أسماء الربط ومواقعها في بلاد ما وراء النهر، ويكفي أن نشير إلى حديثه عن الطرق والمسافات في هذه البلاد لنتأكد من كثرة انتشارها فمن الربط التي ذكرها: رباط عتيق، رباط خواران، رباط تاش، رباط طغان، رباط جكربند، رباط حسن، رباط ملش، رباط سنده، رباط باهان، رباط مهدي، رباط ميان شاه، رباط أبو سهل، رباط دوغاج، رباط جعفر، رباط أستانة، رباط سعد، رباط سراب، رباط الأوفل، رباط مرحلة، رباط الجحرية، رباط قهستان، رباط نصرك، رباط بارس، رباط شور، رباط شار، رباط ميانة[3].

أما بخارى فقد وجدت فيها أربطة كثيرة[4]. وكذلك مدينة بيكند [على بعد 44 كلم من بخارى] فهي ذات مسجد جامع وأبنية عالية، وكان على بابها أربطة كثيرة. ويروى أنه كان فيها أكثر من ألف رباط، بتعداد قرى بخارى. وقد بنى أهل كل قرية هناك رباطا وأقاموا به جماعة وبعثوا بنفقاتهم إليهم[5].

---

(1) ـــ الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. ج4/ص387، السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص39–40، إبراهيم إسماعيل محيسن. **الحركة الفكرية العربية في خراسان في القرن الثالث الهجري**. كلية الآداب، جامعة بغداد، 1982م، (رسالة ماجستير)، ص 121.

(2) ـــ جهاد عبد الله. **الحركة الفكرية ...** مرجع سابق. ص 134.

(3) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص344 ـــ 348.

(4) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 27.

(5) ـــ المصدر نفسه. ص 36.

أما الخانقاهات أو الخوانق ـــ مفردها ـــ خانقاه ـــ فهي كلمة فارسية ارتبط استخدامها في المشرق الإسلامي[1] بالبيوت. التي تقام لإيواء الصوفية الذين يخلون فيها للعبادة ويسمى رباط الصوفية[2]. وقيل "مسكن الدراويش والمراشدين حين يجرون فيها مراسيم تصوفهم"[3].

وقد قدمت هذه الخانقاهات خدمات علمية جليلة القدر، عظيمة الأهمية، لكثرة ما قصدها طلاب علم الشريعة وعلم الحقيقة، فعقدت فيها حلقات العلم، ومجالس المناظرة، وألقيت فيها دروس الفقه، وأملى فيها الحديث، مما ساعد على تطوير الحياة العلمية وكثرة عطائها في التصنيف في مختلف العلوم والمعارف، وقد شهدت خراسان وما وراء النهر حركة علمية نشطة في هذه الخانقاهات وكان لبعض العلماء خانقاه ليقصده المريدون فيه. كأبي حاتم بن حبان ألبستي (ت 354هـ)، الذي بنى خانقاه في سمرقند، ولما قدم إلى نيسابور بنى فيها خانقاه، قرئت عليه جملة من مصنفاته ثم عاد إلى وطنه سمرقند[4].

ونجد أن كل شيخ من شيوخ الصوفية ارتبط اسمه بخانقاه خاص به وبمريديه. فهذا الحسن بن يعقوب المتوفى سنة (336هـ). بنى خانقاه وكانت ملتقى للعباد والزهاد والصوفيين، وحدّث فيها إبراهيم بن أبي طالب، وعقدت فيها مجالس الإملاء[5]. ولم تقتصر هذه البيوت على التدريس والتربية الروحية، بل فتحت أبوابها للطلبة الغرباء، وقد أشار السمعاني إلى أن أبا العباس أحمد بن عبد الله بن سعيد الديبلي الورّاق المتوفى سنة(343هـ). من الرّحالة في طلب العلم، سكن هذه الخانقاه[6]، وحضر الحلقات العلمية فيه.

وكان لأبي حامد أحمد بن محمد بن شعيب بن هارون الفقيه الجلاباذي (المتوفى سنة 338هـ)

---

(1) ـــ أما أهل مصر والشام فقد استعملوا كلمة رباط فقط. (انظر: أسعد طلس. **التربية والتعليم في الإسلام**. ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1957م. ص 114.

(2) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص313. ابن الأثير. **اللباب**. ج1 / ص415.

(3) ـــ محمد التونجي. **المعجم الذهبي**. بيروت: دار العلم للملايين، 1969م. ص 232.

(4) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص100 ـــ 101، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص920، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص16، الذهبي. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، بيروت: دار المعرفة، (د، ت). ج3/ص506. السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص348 ـــ 349.

(5) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص524.

(6) ـــ المصدر نفسه. ج2/ص524.

ـــ نسبة إلى جلابذ محلة كبيرة بنيسابور ـــ خانقاه على رأس جلابذ. وكان أبو حامد ورعا صالحا زاهدا سمع أبا زكريا يحي بن محمد بن يحي الذهلي وأقرانه[1].

كما أنشأ أبو الحسن، علي بن محمد بن أحمد بن دلويه المتوفى (341هـ) خانقاه سكنها وأقام فيها مجالس العلم، وتخرّج فيها أبو عبد الله الحاكم النيسابوري الذي واظب على حضور مجالس شيخه[2].

ومن مشايخ أهل سرخس من الصوفية من اقترن اسمه بالخانقاه مثل أبي العباس الخانقاهي، الذي كان زاهدا ورعا من أهل القرآن والعلم .... وكذلك حفيده أبو ناصر ظاهر بن محمد الخانقاهي كان واعظا حسن السيرة مليح القول رقيق الوعظ[3].

أما في سمرقند فهناك عدد من الخانقاهات بأسماء شيوخ الصوفية فيها. منها: خانقاه الشيخ برهان الدين مرغيناني بالقرب من مقبرة جاكرديزة، وخانقاه الشيخ درويش خان في الطرف الغربي من جاكرديزة، وخانقاه الشيخ يعقوب أبي الليث في الطرف الجنوبي من حي رزنجبر، ويعقوب هذا من أولاد الفقيه المشهور أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي. والشيخ أبو المكارم، الواقعة غربي مدرسة طلاكاري، والشيخ أبي الفضل البلخي في الشمال الغربي من سمرقند، والشيخ دانيال في الطرف الشمالي الشرقي من القلعة، والشيخ احراريشان بالقرب من مسجد عمر بن الخطاب، والشيخ عبدي برون جنوبي سمرقند، والشيخ بابا حاجي صفاء في حي قلند رخانة، والشيخ اسحق ختلاني، والشيخ إمام علي السغدى، في قرية إيشان، والشيخ فخر الدين خان في موضع يقال له جمعة بازار، والشيخ بابا نظر آغا جاروق، ثم خانقاه الشيخ عزيز .... وغيرها[4].

أما في عصر الغزنويين فقد اشتهر بالتعليم في الخانقاهات شيخ شيوخ الصوفية أبي سعيد بن أبي الخير، الذي عمل قرابة نصف قرن على نشر تعاليمه الصوفية في خراسان مستقرا في نيسابور وموطنة "ميهنة"ومتنقلا ما بين "طوس"و"خرقان"، و"مرو" تارة أخرى، وتجمع حوله المريدون من كل مكان، ونال حظوة كبيرة عند العامة والخاصة.

وقد عاصر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير عددا من شيوخ الصوفية المعروفين أمثال أبي

(1) ـــ السمعاني. الأنساب. ج2/ص524.
(2) ـــ المصدر نفسه.
(3) ـــ المصدر نفسه. ج2/ص313، ابن الأثير. اللباب. ج1 / ص415.
(4) ـــ جهاد عزت عبد الله. الحركة الفكرية. مرجع سابق. ص136.

عبد الرحمن السلمي (ت 412هـ)، وأبي حسن الخرقاني (ت 425هـ). وأبي العباس الشقاني، وأبي الفضل الختلي، .... وقام كل هؤلاء بنشاط كبير في نشر التعاليم الصوفية في خراسان وأجزاء أخرى من إيران، وانشغل كل منهم بتربية عدد من المريدين الذين برزت منهم مجموعة بلغوا بدورهم مرتبة الشيوخ، وقاموا بتربية جيل آخر من المريدين وأداروا الخانقاهات وقاموا برحلات واسعة النطاق لنشر التعاليم الصوفية[1].

وبعد هذا العرض الذي تناول الأربطة والخوانق، يتضح لنا جليا أنه بالرغم من أن هذه الربط والخوانق، كانت أماكن للمرابطة والوقوف على الثغور، مع العبادة والانقطاع والتزهد. فإنها في نفس الوقت قدمت خدمات علمية جليلة، وساهمت في بعث النهضة الفكرية في خراسان وبلاد ما وراء النهر. فصارت محط أنظار العلماء والأدباء والمتصوفة. من جميع أنحاء دار الإسلام. درسوا فيها، وتخرّجوا منها علماء أعلام في شتى صنوف المعارف الإسلامية. تبوّأوا بها صدارة الأمم عدة قرون.

(1) ــ العمادي. خراسان في العصر الغزنوي .... مرجع سابق. ص 292 ــ 293.

10 ـ مجالس المناظرة

لم يكن من ديدن علماء المسلمين التقوقع والانغلاق على ذواتهم، وأن يحبسوا العلم عن غيرهم، أو يكون ما عندهم هو الصواب الذي لا يحتمل الارتياب، أو أن يتظاهروا بأنهم امتلكوا ناصية العلم والمعرفة، بل كان من أبرز سماتهم أن يتحروا العقل، وما كان ليثني أحدهم شيء من أن يصرح بعجزه عن الإجابة عن سؤال، أو أن ينتفع من غيره بعلم يقال، ليزداد هدى وبصيرة، فكانوا يأخذون الحكمة من أي وعاء خرجت، وينالون الحقيقة من أي أفق سطعت مجسدين بذلك غاية مبادئ حركتهم الفكرية، التسامح مع الآخر، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. فلا تستغرب إذن أن يصدر من أحد الموالي قولا كبير المعنى بعيد المغزى مؤداه: "إن كانت العربية لسانا فقد نطقنا به، وإن كانت دينا فقد دخلنا فيه".

وقد استطاع المسلمون أن يستوعبوا الآخر بكل مواريثه وأفكاره وتناقضاته. بيد أنهم فتحوا الأبواب مشرعة أمام بسط الأدلة، ومقارعة الحجج، بالتناظر العقلي البناء. الذي يؤول في أغلب الأحيان إلى الإقناع ودحض الشبهات القائمة. والأوهام الواردة. وردها جميعا بالمنطق السديد والدليل الساطع والحجة الدافعة، بعيدا عن المماراة التي تفسد القلوب، وتهيج النفوس، وتورث التعصب، ولا تُوصل إلى الحق. فظهرت في مجالس العلم يومئذ ما يدعى بـــ "مجالس المناظرة". وقبل الحديث عنها. نُعرف المناظرة أنها هي. المحاججة العقلية التي يتهيأ لها المتناظرون في مجلس النظر، ويعدون أنفسهم إليها، وقد شاعت هذه المحاججات أو المناظرات في العصر العباسي وعقدت المجالس لها، التي تشبه الندوات في عصرنا الحاضر.

ويرجع سبب قيام المناظرات إلى علم الكلام الذي يبحث في العقائد بالأدلة العقلية والرد على المخالفين ؛ لأن من أهم المسائل التي وقع فيها الخلاف في العصور الإسلامية الأولى هي مسألة كلام الله، وخلق القرآن، وإنما سمي بعلم الكلام؛ لأن مبناه كلام صرف في المناظرة على العقائد الدينية[1].

"وعلم النظر يتناول كيفية إيراد الكلام بين المتناظرين، وموضوعه الأدلة التي يثبت بها المدّعي دعواه بها على الغير، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة والقدرة على التناظر، لئلا يقع

(1) ــ انظر: أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. ط10، بيروت: دار الكتاب العربي، (د. ت)، مرجع سابق. ج3 / ص9.

الخبط في البحث الذي يناقشه فيتضح الصواب"[1]. وقد عدّ علم الجدل من فروع علم النظر[2].

أما المناظرة فلها ثلاثة شروط هي:

1 ــ أن يجمع بين خصمين متضادين أو متابينين في صفاتهما، بحيث تظهر خواصهما كالربيع، والخريف، والصيف، والشتاء، وغير ذلك.

2 ــ أن يأتي كل من الخصمين مستعدين للمناظرة، ومحاولة تفنيد مزاعم الخصم. بأدلة عقلية، من شأنها أن ترفع قدره، وتحطّ من قدر الخصم بحيث يميل بالسامع منه إليه.

3 ــ أن تصاغ المعاني والآراء صياغة حسنة، وترتب على سياق محكم ليزيد بذلك نشاط السامع، وتنمي فيه الرغبة في حل المشكل[3].

وقد وضع علماء البحث والمناظرة جملة من الآداب ألزموا المتناظرين بها، حفاظا على سلامة المناظرة وتحقيقا لمقصدها، نذكر أهمها:

1 ــ أن يتجنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه، لئلا يؤثر ذلك فيه.

2 ــ ألا يظن المناظر خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن، فذلك يقلل من اهتمامه.

3 ــ ألا يظن خصمه أقوى منه بكثير، حتى لا يتخاذل ويضعف عن تقديم حجته على الوجه المطلوب.

4 ــ ألا يكون في حالة قلق نفسي واضطراب، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه الفكري والنفسي، كأن يكون جائعا، أو ظامئا، أو حاقنا، أو نحو ذلك.

5 ــ أن يتقابل المتناظران في المجلس، ويبصر أحدهما الآخر إن أمكن، ويكونا متماثلين أو متقاربين علما ومقدارا.

6 ــ ألا يكون المناظر متسرعا يقصد إسكات خصمه في زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رؤيته الفكرية. ويبعده عن منهج المنطق السديد، والتفكير في الوصول إلى الحق.

7 ــ أن يقصد كل من المتناظرين المساهمة في إظهار الحق ولو على يد خصمه.

---

(1) ــ أحمد بن مصطفى المشهور بطاش كبري زاده. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م. ج1/ص303.

(2) ــ المرجع نفسه. ج1/ص304.

(3)-أحمد السيد الهاشمي. **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**.بيروت: مؤسسة المعارف، (د.ت)ج1/ص224.

8 ــ أن يتجنب كل منهما الهزء والسخرية، وكل ما يشعر باحتقار المناظر وازدرائه لصاحبه، أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم، كالتبسم والضحك والغمز والهمز واللمز.

9 ــ أن يحترز المناظر عن الاختصار المخل في الكلام، وعن إطالة الكلام بلا فائدة ترجى من ذلك.

10 ــ أن يتجنب المناظر الألفاظ الغريبة، والألفاظ المجملة التي تحتمل عدّة معان، من غير ترجيح أحدهما الذي هو المراد.

11 ــ أن يأتي كل من المتناظرين بالكلام الملائم للموضوع، فلا يخرج كلامهما عمّا هما بصدده.

12 ــ ألاّ يتعرض أحدهما لكلام خصمه قبل أن يفهم مراده تماما.

13 ــ أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يُتمّه.

14 ــ أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره، أو يعترف بأن قوّة دليله تقدم ترجيحا لوجهة نظره، أو لمذهبه، حتى يكشف شيئا آخر يضعف دليله، ويجعله غير صالح للترجيح.

أمّا الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة، وأمّا المراوغة فهي تهرب وانسحاب من مجلس المناظرة. ومتى وجد المناظر هذه المراوغة من خصمه فمن الخير له أن يقطع المناظرة، ويلزم خصمه بالهروب والانسحاب، وليحذر من أن يستدرجه إلى موضوع آخر، ثم آخر، وهكذا، فتتحول المناظرة إلى ما يشبه المصارعة الحرة التي ليس لها قيود ولا ضوابط، وهذا جدال محظور[1].

وكانت مجالس المناظرة تعقد في المدارس والمساجد والربط وحتى في منازل العلماء. كما اهتم الأمراء بمجالس المناظرة والإملاء، وقد شهدت خراسان وبلاد ماوراء النهر كثيرا من هذه المجالس. حتى أن المقدسي يذكر أنه لم يكد يمر يوم وإلا وفيه مجلس للنظر[2].

وقد حفلت تلك المجالس بتبادل الآراء التي أرهقتها دقة المناظرة وطول أناتها لتقليبها على وجوهها "ليستبين الصواب" كما يقول: ابن الجوزي حيث "كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق "والحقيقة المدعمة بالأدلة العقلية والنقلية فقد "كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل" لأن التناظر لم يكن "طلبا للمفاخرة والمباهاة" فأينما كان الحق كانوا إلى جانبه كما قال

(1) ــ انظر: عبد الرحمن حسن حبنك الميداني. **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**. ط3، دمشق: دار القلم. ص361، وانظر: نور الدين صغيري. **الحوار والمناظرة في منظور الشارع**. مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث. دبي، السنة9، العدد 36، يناير 2002م. ص17.

(2) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص315.

الشافعي "ما ناظرت أحدا فأنكر الحجة إلا سقط من عيني، ولا قبلها إلا هبته، وما ناظرت أحدا فباليت مع من كانت الحجة إن كانت معه صرت إليه"[1].

ولكن رغم ذلك فإن كثيرا في هذه المجالس كانت تشهد مناظرات ومجادلات حامية الوطيس، بل إن بعض تلك المجالس تعقد خصيصا للمناظرات، فكان المتناظران يختاران مكان وزمان وموضوع المناظرة[2]. "هذا وكانت مجالس المناظرة تعقد أحيانا بمحض الصدفة، إذ يقصد أحد العلماء شيخا بارزا ليناقشه، ويتطور النقاش بينهما إلى مناظرة ... وهناك مناظرات كان الغرض منها هو إثبات تفوق أحد الطرفين المتناظرين، ويعين عادة في هذه الحالة حكم...وربما تمّت مثل هذه المناظرات دون أن يحصل اللقاء بين المتناظرين"[3].

وكثيرا ما كانت المناظرات سبيلا للشهرة والمجد، وعندما يحسّ العالم بتفوقه في علمه كان يسعى لمناظرة عالم مشهور، وإذا تغلّب عليه في مجلس المناظرة، سطع نجمه، وذاع صيته، وطبقت شهرته الآفاق، ومثال ذلك: ما حدث بين بديع الزمان الهمذاني (ت 398هـ) والخوارزمي، حيث عرف عن الهمذاني اهتمامه بالعلم، ورحل إلى نيسابور حبّا فيه، لِمَا سمع عن غزارة العلم فيها، واحتفاء أمرائها بالعلماء، فبعد عام من وصول الهمذاني إلى نيسابور، جرت مناظرة بينه وبين أبي بكر الخوارزمي سنة (383هـ)، وتعاطف أعيان نيسابور، وعلية القوم مع الهمذاني، لكرههم الشديد للخوارزمي، ولإعجابهم الشديد بغزير علمه، وعريض ثقافته، وجرت المناظرة[4]. في دار أبي علي "حاكم نيسابور" وطلب إلى الخوارزمي أن يناظر الهمذاني في حفظ الشعر أو نظمه أو ضروب النثر أو البديهة. فاختار الخوارزمي للبادهة، واختار أحد الحاضرين قصيدة معينة على بحر معيّن، وقافية محدّدة، وموضوع محدّد، وهذا ما يعرف في مضمار الشعر بالمعارضات، وأخذ كل منهما أدواته، وما لبث الهمذاني أن انتهى حيث يقول:

هـــذا الأديـــب علـــى فتكـــه ... وبروكـــه عنـــد الفـــريض يبركـــه

(1) ــ ابن الجوزي. تلبيس إبليس. ص 120.

(2) ــ دنون. الحياة العلمية ... مرجع سابق. ص 69.

(3) ــ منير الدين أحمد. تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري. الرياض: دار المريخ، 1981م. ص 57.

(4) ــ ياقوت. معجم الأدباء. ج1/ص269.

متســـرع في كـــل مـــا يعتـــاده من نظمـــه متبـــاطئ عـــن بركـــه
والشعر أبعد مذهـــب ومصاعـــدا من أن يكون مطبـــعة في فكـــه

عند ما سمع أبو بكر ذلك، أحجم عن إنشاد الأبيات التي يع بّر فيها عن انهزامه في هذه المناظرة، وهذا انتصار للهمذاني على خصمه[1].

ويفهم من هذه الرواية أن المناظرات العلمية والأدبية كان يحضرها علية القوم وجمع من الناس، وكانوا يشاركون مشاركة فعلية في المناقشات والمحاورات والمساجلات التي كانت تجري بين المتناظرين، إضافة إلى الأسئلة التي كانوا يطرحونها على المتناظرين مما يدل على أن الحاضرين كانوا يفقهون حوار المتناظرين وكانوا على بينة وبصيرة مما يأخذ به المتناظرون في الحديث عنه فكانوا يزيدوه من نواحيه الحسنة ونواحيه السيئة إيضاحا وبيانا، فيجعلون عيوبه ومحاسنه تظهر جلية للمثقفين المتعلمين وغير المتعلمين من الناس فيرونها بعد أن تتجلى بالمناظرة واضحة بيّنة[2].

وقد حفظت لنا كتب المصادر نماذج من هذه المناظرات نذكر منها:

أن أبا يعقوب إسحاق بن ابراهيم التميمة الحنظلي المروزي (ت 238هـ) ناظر الشافعي فلما عرف فضله انتسخ كتبه وجمع مصنفاته بمصر فرجع إلى أكثرها وبنى عليها الجامع الكبير لنفسه[3].

كما اشتهر إبراهيم بن يوسف أبو اسحاق البلخي الباهلي أخذ عن أبي يوسف وزفر وكان مهيبا متمكنا في المناظرة، كان شيخ بلخ في زمانه. توفي سنة (239هـ)[4].

وقد تنوعت مواضيع المناظرات ولكن يبدو أن معظم المناظرات تدور حول الجدل العقائدي الذي كان له صداه وعمقه في الحركة الفكرية الإسلامية. وخاصة في بلاد ما وراء النهر لأنها متاخمة لأراضي الترك الوثنيين، وأن من الخراسانيين من ظل على مجوسيته حتى عهد السامانيين

(1) ــ مصطفى الشكعة. **بديع الزمان الهمذاني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية**. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1959م. ص186 ــ 187، أديل. **الحركة العلمية ...**. مرجع سابق. ص 80 ــ 81.

(2) ــ منيرة ناجي سالم. **الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري**، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1977م، (رسالة دكتوراه)، ص 149.

(3) ــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1 / ص314.

(4) ــ محمد محروس المدرس. **مشايخ بلخ من الحنفية، وما انفردوا به من المسائل الفقهية**. بغداد، منشورات وزارة الأوقاف. ج1/ص141.

كما أن تلك المناطق كانت تموج بمختلف الآراء والمعتقدات والأفكار[1]. ولما تعددت المدارس الفكرية، واشتدت العصبيات المذهبية والطائفية، وأصحاب ديانات من مسلمين ويهود ونصارى وغير ذلك من الحركات التي كان يغلي بها جسم الدولة الإسلامية الواسعة. فإن إقليم المشرق شهد كثرة مجالس المناظرة التي تروي لنا الخصومات الفكرية ونذكر منها:

أن أبا يعقوب إسحاق بن محمشاذ الكرّامي أنه كان يناظر أهل الكتاب والمجوس، حتى أسلم على يديه نحو خمسة آلاف رجل وامرأة [2]، ودخل حومة الجدل والمناظرة علي بن الحسين بن شفيق محدث مرو والمتوفى سنة (215هـ) مع اليهود والنصارى قال الحنبلي "كان حافظا كثير العلم كثير الكتب، كتب التوراة والإنجيل وجادل اليهود والنصارى"[3]، وما جرى في حضرة الأمير عبد الله بن طاهر من مناظرة اشتد أوارها وتوقدت نارها بين إسحاق بن إبراهيم المروزي وممثلين عن الجهمية حول حديث نزول الله إلى السماء الدنيا فكان الجدال الهادئ والمنطق العلمي ماء إخمادها[4]. وقد برع البعض بالمناظرات، كأبي نصر بن سهل "نظار خراسان"[5] وأبي اليسر محمد بن محمد البزدوي الذي وصف بأنه من "فحول المناظرين"[6] وقد سجلت مجالس المناظرة لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي حضورا دائما في مناظرة المخالفين لمذهبه حتى اهتدى به ناس كثيرون في خراسان كما أشار إلى ذلك المرتضى، ومن محاسن مناظراته ما حكاه عن نفسه في كتابه المعروف بمقالات أبي القاسم الكعبي من أنه وصل إليه رجل من السوفسطائية راكبا على بغل فدخل عليه فجعل ينكر الضروريات ويلحقها بالخيالات فلما لم يتمكن من حجة تقطعه نهض من المجلس زاعما أنه قام في بعض حوائجه فأخذ البغل وذهب به إلى مكان آخر ثم عاد ليتم الحديث، فلما نهض السوفسطائي للذهاب و لم يكن قد انقطع بحجة عند طلب البغل حيث تركه فلم يجده فرجع إلى ابن القاسم وقال: إني لم أجد البغل، فقال أبو القاسم: لعلك تركته في غير هذا الموضع الذي طلبته فيه وخيل لك أنك وضعته فيه بل

(1) ــ انظر: المقدسي. أحسن التقاسيم. ص315، القشيري. الرسالة القشيرية. تحقيق مصطفى الزريق، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2001م، ص37، ذنون. الحياة العلمية. مرجع سابق. ص 69.

(2) ــ ابن الأثير. اللباب. ج3 / ص89.

(3) ــ ابن العماد الحنبلي. شذرات الذهب. ج2/ص35.

(4) ــ الذهبي. تذكرة الحفاظ. ج2 / ص435.

(5) ــ المقدسي. أحسن التقاسيم. ص379.

(6) ــ السمعاني. الأنساب. ج1/ص339.

لعلك لم تأت راكبا على بغل وإنما خيّل إليك تخيّلا، وجاءه بأنواع من هذا الكلام، فأظن أنه ذكر أن ذلك كان سببا في رجوع السوفسطائي عن مذهبه[1].

ولم يعف أبو زيد أحمد بن سهل البلخي من تلك للناظرات التي لا يشق له غبار فيها. فقد ذكر ياقوت، أن الوزيري قال: "وكان أيضا يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم، ويقول ليس في هذه للناظرات الثلاثة ما يجدي طائلا، ولا يتضمن حاصلا لأن الله تعالى يقول في القرآن ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم فقوله عليه السلام «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[3].

ومن العلماء للناظرين، أبو عبد الله الحليمي، الحسين بن الحسين بن محمد، سنة (403هـ) وقد اعتبره السبكي، أحد أئمة الدهر، وشيخ الشافعيين في ما وراء النهر، وأنظرهم بعد أستاذيه أبي بكر القفّال، وأبي بكر الأودني[4].

وقد شارك الفقهاء أيضا في مجالس المناظرة، فهذا أبو حامد أحمد بن أبي طاهر بن محمد بن أحمد الإسفراييني الفقيه الشافعي المتوفى سنة (406هـ) مجالس للناظرة في نيسابور التي يحضرها أكثر من ثلاثمائة فقيه، ولم تذكر المصادر مواضيع للناظرة التي كان يقيمها، والراجح أنها في الفقه، لأن أبا حامد فقيه وأجمع علماء عصره على تقدمه في هذا العلم، ويروى أن أحد للناظرين قابله أمام بعض الفقهاء بما لا يليق في مجلس للناظرة، فأتاه معتذرا وأنشده يقول[5]:

جفاء جرى جهرا لدى النـاس وأنـبط ... وعذر أني سرّا فأكـده مـا فـرط

ومن ظنّ أن يمحو جلّـى جفائـه ... خفيّ اعتذار فهو في أعظم الغـلط

وهنا دليل واضح على رقيه ورفعة مكانته بين علماء عصره[6].

ومنهم أبو بكر البستي أحمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن موسى، من

---

(1) ـ أحمد بن يحي المرتضى. **طبقات المعتزلة**، تحقيق شوسنه فلزر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: 1961م. ص 89.

(2) ـ سورة يوسف. (الآية. 2).

(3) ـ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص374.

(4) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص19، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2/ص137، ابن كثير. البداية والنهاية. ج11/ص349، الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج17 / ص231.

(5) ـ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1/ص72.

(6) ـ أديل. **الحركة العلمية ...**. مرجع سابق. ص 82.

كبار فقهاء أصحاب الشافعي والمدرسين للمناظرين بنيسابور، وكانت له المروءة والثروة الوافرة، لذلك وقف أكثر أمواله لأهل العلم، وعرفت بأوقاف شيبان، توفي سنة (429هـ)[1]. وأبو أحمد السنجي، بكر بن محمد بن أحمد بن مالك الورسنيني، المتوفى سنة (351هـ) في سمرقند، روى عن أبيه وآخرين، وكان فقيها، مناظرا، كما كان يعقد له مجلس الإملاء في سمرقند[2].

كما اشتهر أبو علي الحسن بن داود بن رضوان، الفقيه السمرقندي، المتوفى سنة (395هـ) بأن كان من الفقهاء الكوفيين المقدمين في النظر والجدل، ويبدو أنه عاش مدة في الكوفة ثم انتقل منها إلى نيسابور حيث أقام مع الحاكم النيسابوري مدة[3].

كما شملت المناظرات أيضا مجالس النحاة واللغويين، فهذا أبو بكر محمد بن أحمد بن منصور الخياط النحوي، المتوفى سنة (320هـ) ذكره ياقوت وقال: أصله من سمرقند، قدم بغداد واجتمع مع إبراهيم بن السري الزجاج النحوي، وجرت بينهما مناظرة، حيث أخذ عنه الزجاج، وكان يخلط نحو البصريين بالكوفيين، وكان حميد الأخلاق، طيب العشرة، له من الكتب كتاب (النحوالكبير)، وكتاب (معاني القرآن)، وكتاب (المتفنن في النحو) و(الموجز في النحو)[4].

وقد قدم إلى نيسابور كثير من العلماء الأجلاء. من شتى بقاع العالم الإسلامي، لما يجدونه فيها من التبجيل والتقدير، والاحتفاء والتكريم، وعقدوا مجالس المناظرة، وأغنوا الحياة العلمية فيها بغزير علمهم، نذكر منهم:

ـ أبو بكر، أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن حفص بن مسلم الحرشي الحيري المتوفى سنة (388هـ) ورد نيسابور وسكنها، وكان خليفة عبد الله بن عامر على خراسان، ودرس الفقه على أبي الوليد حسان القرشي، وعلم الكلام على أصحاب أبي الحسن الأشعري، وعقد مجالس للنظر والإملاء في عهد أستاذه أبي الوليد حسان القرشي، ثم تقل القضاء في نيسابور، ورحل في طلب الحديث، وأخذ عن أبي علي محمد بن أحمد الميداني، وأبي محمد

(1) ـ السبكي. طبقات الشافعية. ج2/ص392.

(2) ـ القرشي. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، القاهرة: هجر للطباعة والنشر، 1993م، ج1 / ص172.

(3) ـ الصوفيين. المنتخب من السياق. ص190، القرشي. الجواهر المضيئة. ج1 / ص146.

(4) ـ ابن النديم. الفهرست. ص109، السيوطي. بغية الوعاة. ج2 / 49.

حاجب بن أحمد الطوسي، وفي جرجان أخذ من أبي بكر الإسماعيلي، وأبي أحمد عبد الله بن عدي الحافظ، وفي بغداد سمع عن أبي سهل أحمد بن محمد بن زياد القطان[1].

ـــ أبو عبد الله، محمد بن الحسن بن إبراهيم الختن الفارسي الشافعي، فهو إمام في الأدب ومعاني القرآن والقراءات. وهو من الأعلام اللامعين في مجالس النظر والجدل، وله حضوره المتميز فيها، أخذ الحديث عن أبي نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي في بلده، وقدم نيسابور سنة (337هـ) ثم زار أصبهان. وسمع "مسند أبي داود" من عبد الله بن جعفر، وسمع من مشايخها، وقدم نيسابور مرّة أخرى سنة (369هـ)، فمكث فيها مدة من الزمن، وحدّث فيها، وانتفع الناس من علمه الوافر، وحضر مجلس الأستاذ أبي سهل فأغلظ له الأستاذ في مناظرة جرت بينهما، فخرج غاضبا، ثم كتب إليه الأستاذ أبو سهل هذه الأبيات[2].

أعيذ الفقيه الحرّ من سطوة الحظ ... مصونا عن الأفكار يجلها الغلط
يضايق حتى لا يسوغ لفظه ... ويعتب من لفظ يغور على اللّغط
أحاكما فيه إليه فحكما ... وأساله عضوا لبادرة السقط
ومهما عد أوجه الصواب حفاظه ... فإن سداد الرأي يلزمه النّمط

كما عقدت مجالس النظر من قبل بعض العلماء ممن قدموا إلى نيسابور لمهمة سياسية نذكر منهم[3] :

ـــ أبو الفضل أحمد بن علي الخوارزمي الشارغي، قدم نيسابور سنة (400هـ) رسولا من قبل خوارزم شاه إلى السلطان محمود الغزنوي، فنزل في سكة هشام وشكلّ مجلسا للنظر بحضور كبار المشايخ، وبعد الانتهاء من المناظرة عاد إلى بلده وتوفي هناك.

ـــ أبو بكر، محمد بن بكر النوقاني الطوسي المتوفى سنة (420هـ)، الذي درس في نيسابور، فهو إمام المذهب الشافعي في نيسابور، ومدرّس الفقه فيها، وعقد مجلس النظر، وكان يتحلى بخصال كريمة مثل الورع والزهد، كما كان منقبضا عن الناس، زاهدا في الجاه والتقرب من السلاطين.

ـــ أبو طالب، أحمد بن محمد بن علي البغدادي المتوفى سنة (450هـ)، فهو إمام في النحو

(1) ـــ السمعاني. الأنساب. ج2/ص202.
(2) ـــ ابن الصلاح. طبقات الفقهاء. ج1 / ص119، السبكي. طبقات الشافعية. ج2/ص104.
(3) ـــ أديل. الحركة العلمية ... مرجع سابق. ص 85.

والأدب، قدم نيسابور سنة (430هـ) وعقد فيها مجالس النظر في النحو والأدب وكان يتكلم بالمسائل الدقيقة في هذين العلمين، واستفاد من علمائها وأفادهم.

لقد كان للمناظرة تأثير بالغ في نظام التعليم الإسلامي وفي تفكير المسلمين، ذلك أنها استلزمت أن يكون المتناظرون محيطين بعلوم شتى مع الالتزام بقواعد المنطق، وأن تكون معارفهم ذات ترتيب منطقي، وهذه من أبرز دعامات الثقافة الإسلامية التي التزم بها المسلمون، ولا سيما الحنفية منهم. فقد اعتبروها من المؤسسات التعليمية الواجب استخدامها، بل صنفت الكتب حول أشكالها وآدابها[1].

(1) ـــ منير الدين. تاريخ التعليم ... مرجع سابق. ص 58.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

علوم الوحي

1. تمهيد: حول تصنيف العلوم في التأصيل الإسلامي
2. علوم القرآن
3. السنة النبوية وعلومها
4. الفقه والقضاء والإفتاء
5. علم الكلام: التحدي والمواجهة
6. التصوف: من الزهد ... إلى العرفان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ــ تمهيد

حول تصنيف العلوم في التأصيل الإسلامي

لم يحظ علم تصنيف العلوم عند المسلمين بما يليق به من الدراسة والتحليل، سواء من قبل الدارسين المسلمين أنفسهم، أو من قبل الدارسين عامة، فالمسلمون يندرج ضعف اهتمامهم بدراسة هذ العلم ضمن ضعف اهتمامهم بالعلوم المنهجية عامة، وأما عامة الدارسين فإن أغلب دراساتهم في تصنيف العلوم باعتباره علما منهجيا فلسفيا تقفز على آثار المسلمين في التصنيف لتنقل من التقسيم القديم المتأثر بتقسيم أرسطو إلى تقسيم روجر بيكون (1214 ــ 1268م) Roger Bacon ــ وفرانسيس بيكون (1561 ــ 1625م) Francis, Bacon[1].

وقد وصلتنا مؤلفات إسلامية في تصنيف العلوم منفردة أو مشتركة، مما نقدر أنه كان له إسهام في إنضاج هذا الفن من فنون المعرفة، ويُمكّن الدارس من تبيّن خصائص الفكر الإسلامي في التصنيف، وميزاته فيه، وفي ما يلي لائحة لأهم هذه المؤلفات:

1 ــ "إحصاء العلوم" للفرابي (لأبي نصر محمد بن محمد ت339هـ).

2 ــ "رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا" (منتصف القرن الرابع هـ).

3 ــ "مفاتيح العلوم" للخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف، ت387هـ).

4 ــ "الفهرست" لابن النديم (محمد بن إسحاق، ت438هـ).

5 ــ رسالة "أقسام العلوم العقلية" لابن سينا (ت428هـ)

6 ــ رسالة "مراتب العلوم" لابن حزم (ت456هـ).

7 ــ "طبقات العلوم" للأبيوري (أبي المظفر محمد بن أحمد، ت507هـ).

8 ــ "المقدمة" لابن خلدون (ت808هـ).

9 ــ "مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم" لطاش كبري زاده (ت968هـ).

10 ــ "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" لحاجي خليفة (ت 1067هـ).

11 ــ "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي (محمد بن علي، توفي بعد 1158هـ).

12 ــ "أبجد العلوم" لصديق بن حسن القنوجي (ت 1158هـ 1889م).

وتبين هذه المؤلفات العناية المستمرة من قبل المسلمين بهذا العلم، والإنضاج للطرد لشكله

(1) ــ عبد المجيد النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م، ص37.

ومحتواه تمشيا في ذلك مع واقع العلوم الإسلامية في تناميها وتوسعها وتفرعها[1].

ولكن المتأمل في هذه التصانيف من جهة هيكلها وخصائصها التصنيفية، ومن جهة بنيتها الداخلية، وعلاقتها بواقع العلوم في البيئة الثقافية الإسلامية يلاحظ بسهولة وجهتين مختلفتين في التصنيف، تتمايزان في الهيكلة العامة، كما تتمايزان في الخصائص التصنيفية والبنية الداخلية، وهو ما ينتهي باختلاف بينهما في النسبة من الغاية التي رامت كل التصانيف تحقيقها: أما الوجهة الأولى، فهي وجهة يظهر فيها بوضوح التأثر بالتصنيف الأرسطي للعلوم، ولذلك فإننا نسميها الوجهة التقليدية، وأما الثانية فهي وجهة حاولت أن تشتق أصولا للتصنيف من خصائص البيئة الثقافية الإسلامية المتأتية بالداعي العقائدي الإسلامي، ولذلك فإننا نسميها بالوجهة التأصيلية[2].

ولاشك أن الوجهة التقليدية الإسلامية في تصنيف العلوم قامت بدور لا ينكر في بناء الفكر الإسلامي، ويتمثل أساسا في إدخال الفكر التصنيفي في دائرة الثقافة الإسلامية كمنهج لتنظيم المعرفة في نسق منطقي تترتب فيه العلوم على نحو من الترتيب يوفي بغرض التحصيل الأقوم للعلم. بالإضافة إلى أن هذه الوجهة أفادت أيضا في نقل تجربة اليونان في التصنيف.

وقد مثلت هذه الوجهة المرحلة الأولى في التصنيف لدى المسلمين حيث لم تكن على عهدها قد اكتملت العلوم الإسلامية ووضحت صورة مستقرها، بل كانت لا تزال في طور التوالد والتكامل والتنامي فربما كان التقليد خطوة لا زمة نحو التأصيل[3].

ولما كانت الوجهة التأصيلية هي التي تهمنا في هذا المقام فإننا نتأمل في خصائصها العامة فنجد أن التصنيف من منطلقها يتميز بـ:

(أ) ـ **الصبغة الواقعية:** حيث أن العلوم المدرجة فيها جمعت من الواقع الثقافي والعلمي في البيئة الإسلامية على أساس من إحصاء للعلوم التي كانت قائمة بين الناس سواء كانت معتمدة في النظام التربوي العام،أو متدارسة عند الخاصة من المسلمين وغير المسلمين أو محفوظة في الكتب والرسائل...أو بمعنى آخر أن هذه التصانيف أقرب إلى أن تكون برنامجا تعليميا لعموم الأمة الإسلامية في واقع احتياجاتها منها إلى التصنيف الفلسفي للمعرفة الإنسانية عامة.

(1) ـ النجار. مباحث.. مرجع سابق، ص37 ـ 38.

(2) ـ المرجع نفسه. ص42.

(3) ـ المرجع نفسه. ص56 ـ 57.

(ب) ـــ **صيغة التوحيد والمؤالفة:** إذا ما نظرنا إلى الهيكل العام وجدنا الأقسام الأساسية أقيمت بحسب واقع التفكير الذي من خصائصه التواصل والتتابع، و لم تقم على أساس واقع مواضيع العلم التي هي مفصولة عن بعضها وجوديا كانفصال المادة عمّا وراء المادة، ولذلك اختفت من هذه التصانيف التقسيمات الحادة المعتمدة على مفاصل مفرقة بين الأقسام على نحو ما تقدم في التقاسيم المتأثرة بأرسطو.

ويبدوا هذا المعنى جليا عند ابن النديم حينما صدّر مقالاته بالقرآن وعلومه، ثم تابع ذلك بالمقالات التي تشتمل على علوم هي كالوسائل لفهم القرآن من نحو وآداب وشعر، ثم تابع ذلك بالعلوم الفلسفية التي وضعت خدمة للتوحيد أي خدمة لعلوم الوحي.

وأما ما ورد عند ابن حزم[1] وابن خلدون في "المقدمة" من تقسيم إلى علم عقلي وعلم شرعي لم يكن تقسيما على أساس التناقض بينهما أو غاية، بل هو تقسيم على أساس وسيلة المعرفة ومنهجها... حيث نلمح مظاهر التواصل والتكامل بين ما هو عقلي وما هو شرعي من العلوم. وإلى هذا المعنى أشار ابن حزم في قوله: "العلوم كلها متعلق بعضها ببعض ... محتاج بعضها إلى بعض ولا غرض لها إلا معرفة ماأدى إلى الفوز في الآخرة"[2].

(ج) ـــ **صيغة الالتزام:** ولعل أوضح مظهر لهذا الالتزام فيما يتعلق بالبنية العامة التفريق الـــذي أشرنا إليه آنفا بين العلوم المحمودة والعلوم المذمومة،وليست العلوم المذمومة إلا تلك التي لا تســـتقيم مع ميزان العقل والشرع وهي بالتالي تودي إلى عرقلة أغراض الدين كالسحر والشعوذة والتنجيم، ولذلك فإن هذه العلوم تليت في إيرادها ضمن هذه التصانيف بنقد يبين زيفها، ويكشـــف عـــن ضررها بما يكشف عن وعي عميق بخصوصية الالتزام في التصنيف[3].

ومن خلال هذه الخصائص يتبن لنا مبرر التقسيم الذي عمدنا إليه في تناول المعرف في خراسان وما وراء النهر، من علوم للوحي بما تتضمنه من علوم القرآن وعلم الحديث والفقه وعلم الكلام والتصوف وما يجع بينها من وحدة وترابط تقتضيه خدمة لمقاصد الوحي الأعلى، مما كان غاية دائمة لمنشإ العلوم وتطورها.

---

(1) ـــ خصص ابن حزم رسالتين لتصنيف العلوم هما: "رسالة التوقيف"و"رسالة مراتب العلوم".

(2) ـــ ابن حزم. **رسالة مراتب العلوم**.ص90. نقلا عن: النجار. **مباحث**.. مرجع سابق، ص68.

(3) ـــ النجار. المرجع السابق. ص64 ـــ 71.

2 ــ علوم القرآن

إن القرآن الكريم هو هداية الخالق لإصلاح الخلق، وشريعة السماء لأهل الأرض، وهو التشريع العام الخالد، وهو المعجزة العظمى، والحجة البالغة، فكّ العقول من عقالها، وأطلق النفوس من إسارها.. اهتدت به القلوب بعد ضلال، وأبصرت به العيون بعد عمى، واستنارت به العقول بعد جهالة، واستضاءت به الدنيا بعد ظلمات، وصدق الله:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1].

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2].

فهو الكتاب الذي لا تفنى ذخائره، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا يزداد على التكرار إلا حلاوة وطلاوة، وصدق القائل:

تزداد منه على تـــرداده مقـــة ... وكل قول على الترداد ممـــــلول

وقصارى القول وحُماداه: أنك لن تجد في الكشف عن حقيقة هذا الكتاب وخفاياه وفضائله ومزاياه أوفى مما وصفه به نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

روى الترمذي بسنده عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على "علي" فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إنها ستكون فتنة، قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعوه حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾[3] من قال به

(1) ــ سورة الإسراء، الآية (9 ــ 10).

(2) ــ سورة المائدة، الآية (15 ــ 16).

(3) ــ سورة الجن: (الآية 1-2).

صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ودعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

إن كتابا هذا بعض شأنه لجدير أن ينال عناية أمة الإسلام ورعايتها، من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، حفظوا لفظه، وفهموا معناه، واستقاموا على العمل به، وأفنوا أعمارهم في البحث فيه، والكشف عن أسراره، فألفوا في تفسيره ورسمه، وقراءاته[1].

وتبارى المسلمون على طول التاريخ وعرضه يصنفون حول الكتاب العظيم، فخلدوا تراثا مجيدا، وثروة علمية هائلة، لا تزال مفخرة الدنيا، وغرّة في جبين ملّة الإسلام في كل عصر ومصر، وأضحت هذه العناية، بحق أروع مظهر عرفه التاريخ لحراسة كتاب هو سيد الكتب وأجلها، وأبعدها عن التحريف والتزييف، وهو مصداق قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

وعندما دخل المسلمون إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر كان من الطبيعي أن يحرصوا علـــى نشر القرآن الكريم في هذين الإقليمين.

وما من ريب في أن الفضل في دخول القرآن الذي جاء عبر مسارين: محفوظا في الصدور، ومكتوبا في المصاحف، إنما يعود لطلائع الفاتحين من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذين تصدوا لنشره بين أبناء البلاد الأصليين. عملا بقول الرسول الأعظم ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[3].

ويعتبر هذا الحديث أيضا دافعا قويا عند المسلمين لتعلم القرآن وتفسيره واستنباط أحكامه، وقد لخص الإمام السيوطي العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم على النحو التالي:

معرفة سبب النزول ـــ معرفة المناسبة بين الآيات ـــ الفواصل ـــ معرفة الوجوه والنظائر ـــ علم المتشابه ـــ علم المبهمات ـــ أسرار الفواتح ـــ خواتم السور ـــ المكي والمدني ـــ أول ما نزل ـــ على كم لغة نزل ـــ كيفية إنزاله ـــ بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة ـــ معرفة تقسيمه ـــ معرفة أسمائه ـــ معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز ـــ معرفة ما فيه من غير لغة العرب ـــ معرفة غريبه ـــ معرفة التصريف ـــ معرفة الأحكام ـــ معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح ـــ معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص ـــ معرفة توجيه القرآن ـــ معرفة الوقف ـــ علم رسوم الخط ـــ معرفة فضائله ـــ معرفة خواصه ـــ هل في القرآن شيء أفضل من شيء ـــ في آداب

---

(1) ـــ انظر: محمد أبو شهبة. المدخل لدراسة القرآن الكريم. ط1، القاهرة: مكتبة السنة، 1992م، ص16ـــ17.

(2) ـــ سورة الحجر. (الآية 9).

(3) ـــ رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلّمه، ج4/ص1919، رقم 4739.

تلاوته ـــ في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب واستعمال بعض آيات القرآن ـــ معرفة الأمثال الكامنة فيه ـــ معرفة أحكامه ـــ معرفة جدله ـــ معرفة ناسخه من منسوخه ـــ معرفة موهم المختلف ـــ معرفة المحكم من المتشابه ـــ في حكم الآيات المتشابهة الواردة في الصفات ـــ معرفة إعجازه ـــ معرفة وجوب متواتره ـــ في بيان معاضدة السنة والكتاب ـــ معرفة تفسيره ـــ معرفة وجوه المخاطبات ـــ بيان حقيقته ومجازه ـــ في الكنايات والتعريض ـــ في أقسام معنى الكلام ـــ في ذكر ما تيسّر من أساليب القرآن ـــ في معرفة الأدوات[1].

وهذه الأنواع التي ذكرها السيوطي، قام العلماء المسلمون بدراستها والبحث والتأليف فيها، وكل باب منها يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، ولذلك يقول السيوطي: "واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره"[2].

وأول علوم القرآن التي اهتم بها المسلمون هو علم القراءات، وعلم التفسير.

2 ـ 1 ـ علم القراءات:

لما كان من أسباب اختلاف الناس في القراءات عدم وجود مصحف جامع يرجعون إليه حينئذ، ويحتكمون فيما نشأ بينهم من اختلاف، بالإضافة إلى أن القراء من الصحابة قد تفرقوا في الأمصار والأقاليم، وكان الصحابي يقرئ بما يعرف من الحروف التي نزل عليها القرآن، ومن واقع ما تلقاه من رسول الله ﷺ فقط.

فقد رأى سيدنا عثمان ﷺ أن يتدارك الأمر ويستأصل الداء قبل أن يستشري خطره فجمع الصحابة واستشارهم في جمع الناس على مصحف واحد، وحملهم على القراءة به، وتمّ الإجماع على ذلك، وكتب المصحف من غير تنقيط ولا شكل يحتمل وجوه الأحرف السبعة، ووزعت منه نسخ على الأمصار والأقطار[3].

وإذا كان العلم في اصطلاح التدوين هو: "مجموع المسائل المتعلقة بجهة مخصوصة"[4]. فإن تعريف القراءات كعلم مدون هو: "مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تعالى في الحذف والإثبات

---

(1) ـــ السيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**. بيروت: المكتبة الثقافية، (د. ت). ج1 / ص5.

(2) ـــ المصدر نفسه.

(3) ـــ محمد عبد العظيم الزرقاني. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. بيروت: دار الفكر، 1988م. ج1 / ص254 ـــ 258.

(4) ـــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج1 / ص6.

والتحريك والإسكان والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع".

أو "مجموع المسائل المتعلقة باختلاف الناقلين لكتاب الله تبارك وتعالى من جهة اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من حيث النقل" أو "مجموع المسائل المتعلقة بالنطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله"[1].

ويجمل ابن خلدون هذه التعاريف في قوله: "القرآن كلام الله المنزل على نبيّه المكتوب بين دفتي المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلاّ أن الصحابة رووه عن النبي ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معيّنة[2]، تواتر نقلها أيضا بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمّ الغفير، فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع، إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل"[3].

والثابت أن القراءات الصحيحة عشر، وقد ألف ابن بندار الواسطي القلانسي كتابا بعنوان"إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر"تحقيق ودراسة عمر حمدان الكبيسي ـــ جامعة أم القرى ـــ 1404هـ / 1984م. كما ألف ابن الجزري كتابه الكبير "النشر في القراءات العشر"وكذلك منظومته "طيبة النشر في القراءات العشر"، وكتب الدكتور محمد محيسن كتاب "المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر"، والدكتور عبد الفتاح القاضي

---

(1) ـــ محمد بن عمر بن سالم بازمول. **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**. ط1، الرياض: دار الهجرة، 1996م. ج1/ص112.

(2) ـــ هناك فرق بين الرواية والطريق والوجه:

فالرواية في اصطلاح علماء القراءات: هي ما ينسب للآخذين عن الإمام الذي اتفقت عليه الروايات والطرق عنه. ومثالها: قولهم: رواية ورش عن نافع، ورواية شعبة عن عاصم، ورواية حفص الدوري عن الكسائي.

والطريق: هو ما ينسب لمن أخذ عن الرواة، وإن سفُل. ومثاله: قولهم: رواية قالون عن نافع من طريق أبي نشيط والحلواني عنه، ورواية البزي عن ابن كثير من طريق أبي ربيعة وابن الحباب عنه.

أما الوجه: فهو ما رجع إلى اختيار القارئ من الاختلاف في القراءة، ومثاله: كقولهم: الأوجه الثلاثة الجائزة في البسملة إذا فُصل بين السورتين بها هي التالية: الأول: الوقف على آخر السورة وعلى البسملة.

الثاني: الوقف على آخر السورة، ووصل البسملة بأول التالية.

الثالث: وصل آخر السورة بالبسملة مع وصل البسملة بأول التالية.

انظر: بازمول. **القراءات**. مرجع سابق. ص118 ـــ 124.

(3) ـــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص419.

"البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدري"، إلا أن القراءات التي اشتهرت هي القراءات السبع، وقد كتب الإمام أبو عمرو وعثمان بن سعيد الداني كتابه "التيسير في القراءات السبع" ومنهم من زاد أربع قراءات وتممها إلى أربع عشرة قراءة. وهي قراءات شاذة وإن كان فيها ما صحّ وثبت.

ويعود هذا الاختلاف إلى كون الصحابة رضوان الله عليهم انتشروا في الأمصار الإسلامية يُعلمون الناس أمور الدين ويبلغونهم ما تلقوه عن النبي ﷺ فكان أعظم ما بلغ لأهل تلك الأمصار القرآن الكريم، الذي لقنه من لقنه من التابعين وتجردوا للقراءة والإقراء، واشتدت عنايتهم بذلك وطلبهم له"[1].

واشتهر بالقراءة والإقراء قوم من التابعين رضي الله عنهم ارتبطوا بخمسة أمصار إسلامية فممن اشتهر بالمدينة: سعيد بن المسيب (ت 94هـ)، وعروة بن الزبير (ت95هـ)، وعمر بن عبد العزيز (ت 101هـ)، وعطاء بن يسار (ت 103هـ)، وسليمان بن يسار (ت107هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز (ت 117هـ)، ومحمد بن مسلم الزهري (ت124هـ)، ومسلم بن جندب (ت103هـ)، وزيد بن أسلم (ت 130هـ).

وممن كانوا بمكة: عبيد بن عمير بن قتادة (74هـ)، ومجاهد بن جبير (ت 103هـ)، وعكرمة مولى ابن العباس (ت 105هـ)، وطاووس بن كيسان (ت 106هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت 114هـ)، وعبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة (ت 117هـ).

وممن كانوا بالكوفة: علقمة بن قيس (62هـ)، وعبيدة بن عمرو (72هـ)، وأبو عبد الرحمن السلمي (ت 74هـ)، والأسود بن يزيد بن قيس (ت 75هـ)، وزر بن حبيش (ت82هـ)، وسعيد بن جبير (ت 95هـ)، وإبراهيم النخعي (ت 96هـ)، والشعبي (ت 105هـ).

وممن كانوا بالبصرة: يحي بن يعمر (قبل 90هـ)، ونصر بن عاصم (قبل 90هـ)، وأبو العالية رفيع بن مهران (ت 90هـ)، وعمران بن تيم (ت 105هـ)، والحسن البصري (ت110هـ)، ومحمد بن سيرين (ت 110هـ)، وقتادة بن دعامة الدوسي (ت 117هـ). وممن كانوا بالشام: المغيرة بن أبي شهاب (ت 91هـ)[2].

ولما كانت أواخر عهد التابعين في المائة الأولى للهجرة تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم

(1) ـــ بازمول. **القراءات ...** مرجع سابق. ص 129.

(2) ـــ طاش كبري زاده. **مفتاح السعادة**. مرجع سابق. ج2/ص15ـــ 22.

عناية[1]، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم، ويرحل إليهم، ويؤخذ عنهم، ثم اشتهر منهم ومن الطبقة التي تلتهم أولئك الأئمة السبعة الذين تنسب إليهم القراءات إلى اليوم. ومن المفيد أن نذكر هنا ترجمة مختصرة عن هؤلاء القراء مع ذكر سندهم في القراءة المتواتر[2] للتصل إلى رسول الله ﷺ لأن قراء خراسان وبلاد ما وراء النهر أخذوا عن هؤلاء السبعة، مما يشير إلى اتصال سند قراء هاذين الإقليمين بالنبي ﷺ[3].

(1) ـــ لقد وضع العلماء شروطا لمن يشتغل بعلم القراءات وهي أن يكون عالما بما يلي:

1 ـــ أن يعلم من الفقه ما يصلح به أمر دينه، والازدياد في التعمق يكون أفضل بالنسبة له وأنفع.

2 ـــ أن يعلم من الأصول قدر ما يدفع به شبهة من يطعن في بعض القراءات، ويكون قادرا على إقامة الحجة على خصومه، ولن يتحقق له ذلك إلا بمعرفة القواعد الأصولية.

3 ـــ أن يحصل جانبا من النحو والصرف، بحيث يستطيع أن يوجه كل قراءة على حدة.

ولن يتحقق له ذلك إلا بمعرفة قواعد الإعراب والبناء والاشتقاق. وهذا أهم ما يجب عليه معرفته.

انظر: ابن الجزري. منجد المقرئين ومرشد الطالبين. تحقيق عبد الحي الفرماوي. ط1، دار الفكر للطباعة، 1977م. ص66.

(2) ـــ المتواتر: هو ما نقله جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب، أوله كآخره، وأوسطه كطرفه، كنقل القراءات السبع. أما القراءة المشهورة، فهي القراءة التي صح سندها و لم يبلغ درجة التواتر، ووافقت رسم المصحف ولو احتمالا ووافقت وجها من العربية، واشتهرت عند القراء بالقبول. عند علماء هذا الشأن. ومنها القراءات الثلاثة المتممة للعشرة.

أما القراءات المردودة فهي ثلاثة أنواع:

1 ـــ القراءة التي صح سندها ووافقت الرسم وخالفت العربية.

2 ـــ القراءة التي لم يصح سندها.

3 ـــ القراءة التي لا سند لها.

ـــ وهناك القراءات المتوقف فيها وهي: كل قراءة صح سندها ووافقت العربية وخالفت رسم المصحف. وهي قراءات شاذة. لا يتعبد بها، وإنما ... منهم مراد الله تعالى.

انظر: بازمول. القراءات ... مرجع سابق. ص 129 ـــ 173.

(2) ـــ مثال ذلك: جاء في معجم الأدباء. ج1/ص344ـــ 346،"قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن مهران يقول: قرأت على أبي علي محمد بن أحمد بن حامد الصفا المقرئ ـــ القرآن من أوله إلى آخره. وقال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره على أبي بكر محمد بن سلمان بن موسى الهاشمي ببغداد. قال: قرأت على قنبل بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد بن خروحة المكي، وقال: قرأت على أبي الحسن النال وأخبرني أنه قرأ على ابن الأخريط وهب بن واضح وقرأ ابن الأخريط على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين وقرأ ابن قسطنطين على شبل بن عباد ومعروف بن السلطان فأخبراه أنهما قرأ على عبد الله بن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن ابن أبي كعب عن رسول الله"وتوفي ابن مهران سنة 381هـــ وهو أبوبكر النيسابوري إمام عصره في القراءات وأعبد أهل دهره، رحمه الله. وسوف نأتي ترجمته إن شاء الله.

الأول: ابن عامر: وهو أبو عمران عبد الله بن عامر بن تميم بن ربيعة اليحصبي الشامي الدمشقي، ولد سنة 8هـــ بالبلقاء من أعمال دمشق، وقد انتقل ابن عامر إلى دمشق بعد فتحها، وتولى قضاءها، وكان إمام الجامع الأموي، ويعد من التابعين، أخذ القراءة عن عثمان بن عفان، والمغيرة بن أبي شهاب، عن النبي ﷺ، كما أخذ ابن عامر عن عثمان ابن عفان عن النبي ﷺ، وكان ابن عامر إمام الإقراء بالشام، وكان له راويان هما:

هشام بن عمار، وعبد الله بن ذكوان، وتوفي ابن عامر سنة (118هـــ)[1].

الثاني: ابن كثير: وهو أبو سعيد عبد الله بن كثير بن عبد المطلب الداري المكي، ولد بمكة سنة 45هـــ، ولقي جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وهو من التابعين، أخذ القراءة عن عبد الله بن السائب المخزومي، الصحابي الجليل، عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ، كما أخذ عن مجاهد بن جبر ودرباس، وهما أخذا عن ابن عباس، عن أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكان ابن كثير إمام أهل مكة في القراءة، وله راويان هما: قنبل والبزي، وتوفي سنة (120هـــ)[2].

الثالث: عاصم: وهو عاصم بن بهدلة الأسدي الكوفي الحناط، أخذ القراءة عن زر بن حبيش، عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، كما أخذها عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي، عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، عن النبي ﷺ، وقد انتهت لعاصم رئاسة الإقراء بالكوفة، وله ثلاثة رواة هم: أبو حفص بن سليمان، وحماد بن سلمة، وأبو بكر شعبة ابن عياش، وتوفي عاصم سنة (127هـــ)[3].

---

(1) ـــ انظر: ابن الجزري. **غاية النهاية في طبقات القراء**. ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982م. ج1/ص423، أبو عمرو الداني. **التيسير في القراءات السبع**. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1985م. ص 5، 6، 9، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج5 / ص240، الذهبي. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. بيروت: دار المعرفة، (د، ت). ج2/ص449. ابن الجزري. **النشر في القراءات العشر**. بيروت: دار الفكر، (د، ت). ج1/ص144، **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م. ص15، الزركلي. **الأعلام**. ج4/ص95.

(2) ـــ انظر ترجمته في: ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج1/ص443 ـــ 445، النشر. ج1/ ص120 ـــ 121، الداني. التيسير. ص9، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص41.

(3) ـــ انظر ترجمته في: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج5 / ص35، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص9، الداني.

.../...

الرابع: أبوعمرو: وهو أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري، ولد بمكة سنة(70هـــ)، ونشأ بالبصرة، وقرأ على كثيرين مثل: مالك بن أنس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعاصم، وعبد الله بن كثير، وغيرهم من الصحابة والتابعين ممن أخذوا عن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ. وكان أبو عمرو يتنقل بين مكة والمدينة والكوفة والبصرة طلبا للقراءات، ثم أصبح من أئمة الإقراء بالبصرة، وممن روى عنه عبد الله بن للبارك والأصمعي، ولأبي عمرو راويان هما: حفص الدوري، وصالح بن زياد السوسي. توفي سنة(154هـــ)[1].

الخامس: حمزة: هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الكوفي، ولد سنة 80هـــ وتعلّم الفرائض والقرآن والعربية، وقرأ عن سليمان بن مهران الأعمش، عن أبي عبد الرحمن السلمي وعلقمة وزر بن حبيش، وأخذ هؤلاء عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ. وصار حمزة إمام القراءة بالكوفة بعد عاصم، ولحمزة راويان هما: خلف بن هشام البغدادي، وخلاء بن خالد الكوفي، وتوفي حمزة سنة (156هـــ)[2].

السادس: نافع: وهو أبو رويم (وقيل أبو الحسن) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المدني، ولد سنة (70هـــ)، أصله من أصبهان، أخذ القراءة عن أبي جعفر القارئ وعن سبعين من التابعين، أخذوا عن عبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، عن أبي بن كعب رضي الله عنهم، عن رسول الله ﷺ، وانتهت لنافع رئاسة الإقراء بالمدينة، وكان الإمام مالك يقول عنه: "قراءة نافع سنة"، ولنافع راويان هما: قالون وورش. توفي سنة (169هـــ)[3].

السابع: الكسائي: وهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي النحوي، للعروف بالكسائي، ولقب بهذا الإسم لأنه جاء بمجلس حمزة ملتفا بكساء، فقال حمزة: من يقرأ؟

التيسير. ص 9، ابن الجزري. غاية النهاية. ج1/ص346 ــ 348، النشر. ج1/ص155، التحبير. ص15.

(1) ــ انظر ترجمته في: ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج3/ص466، ابن العماد. شذرات الذهب. ج1/ص237 ــ 238، الداني. التيسير. ص 5، 8، ابن الجزري. غاية النهاية. ج1/ص288.

(2) ــ انظر ترجمته في: ابن الجزري. غاية النهاية. ج1/ص261 ــ 263، النشر. ج1/ص166، التحبير. ص16، ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج2/ص216، الداني. التيسير. ص 6، 7، ابن حجر. تهذيب التهذيب. ج3 / ص24.

(3) ــ انظر ترجمته في: ابن الجزري. غاية النهاية. ج2/ص330، النشر. ج1/ص113، التحبير. ص13 ــ 14، ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج5/ص368، الذهبي. ميزان الاعتدال. ج4/ص242، الداني. التيسير. ص8، الزرقاني. مناهل العرفان. ج1/ص461.

فقيل له: صاحب الكساء ـــ فبقي عليه الوصف، وقيل إنه أحرم في كساء. أخذ القراءة عن كثير من القراء منهم: ابن عياش، ويحي ابن آدم، وخلف بن هشام، والفراء، وحمزة، وأخذ قراءة نافع عن إسماعيل بن جعفر وأخيه يعقوب، وله تصانيف منها: معاني القرآن، والحروف، والقراءات، والنوادر، وكان من أئمة الإقراء بالكوفة، وللكسائي راويان هما: حفص الدوري، وأبو الحارث الليث بن خالد، وتوفي الكسائي سنة (189هـــ)[1].

وقد جمعهم العلامة محمد أبو اليسر عابدين بقوله:

فنافع وابن كثير عاصم وحمزة ثم أبو عمرو هم
مـــع ابن عامـــر أتـــى الكســـائي أئمة الســـبع بـــلا افـــــتراء[2]

هناك مسألة مهمة لابد من الحديث عنها في هذا المقام. وهي أن: اجتماع الناس على سبعة قراء وعدّهم أئمة القراء. أحدث خلطا بين الأحرف السبعة والقراءات السبع، لحديث النبيﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف من سبعة أبواب"[3].

والحقيقة أن القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء. وكانوا بعد عصر النبوة، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات المنقولة عن رسول الله ﷺ أو صحابته رضوان الله عليهم ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، حرف ابن كثير، بمعنى الوجه من القراءة الذي اختاره نافع للإقراء به، والوجه من القراءة الذي اختاره ابن كثير للإقراء به، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوّغه وجوّزه، إذ مرجع ذلك كله إلى النقل الصحيح الموافق لرسم المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختياران أو أكثر، وكل صحيح[4].

قال مكي بن أبي طالب (ت 437هـــ): "فأمّا من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء

(1) ـــ انظر ترجمته في: السيوطي. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم. ط2، بيروت: دار الفكر، 1979م. ج2 / ص162 ـــ 164، الداني. **التيسير**. ص 7، ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج1/ص535 ـــ 540، النشر. ج1/ص172، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج11 / ص402.

(2) ـــ خالد عبد الرحمن العك. **أصول التفسير وقواعده**. ط2، بيروت: دار النفائس، 1986م. ص 434.

(3) ـــ رواه البخاري في كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، ج2/ص851، رقم 2287، ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وبيان معناه، ج1/ص560، رقم 818.

(4) ـــ بازمول. **القراءات ...** مرجع سابق. ص 134.

كنافع وعاصم وأبي عمرو، أحد الحروف السبعة التي نص النبي ﷺ عليها، فذلك غلط عظيم".

وقال الإمام القيسي: "فإن سأل: فالعلة التي من أجلها اشتهر هؤلاء السبعة بالقراءة دون من هو فوقهم، فنسبت إليهم السبعة الأحرف مجازا، وصاروا في وقتنا أشدّ من غيرهم ممن هو أعلى درجة منهم وأجلّ قدرا؟":

قال: "فالجواب: أن الرواة عن الأئمة من القراء كانوا في العصر الثاني والثالث كثيرا في العدد، كثيرا في الاختلاف فأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على ما يسهل حفظه، وتضبط القراءة به، فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة والأمانة في النّقل وحسن الدين وكمال العلم، واشتهر أمره بالثقة وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، وثقته فيما قرأ وروى، وعلمه بما يقرأ، و لم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم، فأفردوا من كل مصر وجّه إليه عثمان مصحفا إماما، هذه صفته وقراءته على مصحف ذلك المصر"[1].

ولابد أن نذكر الجهود العظيمة التي نهض بها علماء القراءات منذ القرن الثاني للهجرة ـــ ومنهم كثير من علماء خراسان وما وراء النهر ـــ فقد أخذوا يؤلفون مصنفات مختلفة في قراءة كل إمام نابه أو في قراءات الأئمة المختلفين محاولين بكل ما أوتوا من قوة أن يضبطوا قراءة كل إمام وأن يميزوها بجميع شاراتها وخصائصها من حيث الإدغام والإمالة والاختلاس وتحقيق الهمز وتسهيله والإشمام وغير الإشمام....

غير أن هذه المصنفات المتتابعة في القراءات والقراء لم تستطع أن توقف السيل، فقد كان الأئمة يتكاثرون كما كان يتكاثر حملة القراءات عن أئمة القرن الثاني الهجري بحيث أخذت الطرق إليهم تتعدّد تعدّدا واسعا، وكان منهم المتقن للتلاوة والرواية والدراية بها دراية علمية، ومنهم من ينقص إتقانه من بعض الوجوه...

وكل ذلك جعل من الضروري أن يتجرد عالم من علماء القراءات أو طائفة من جهابذتها، ليقابلوا بين القراءات الكثيرة التي شاعت في العالم الإسلامي، ويستخلصوا منها للناس قراءات يحملونهم عليها حتى لا يتفاقم الأمر ويلتبس الباطل بالحق، وتصبح قراءة القرآن فوضى، لكل أن يقرأ حسب معرفته، بدون بصر تام بوجوه القراءات، وبدون تمييز بين المتواتر المشهور منها وغير

(1) ـــ مكي بن أبي طالب القيسي. **الإبانة عن معاني القراءات**. تحقيق محي الدين رمضان. ط1، دمشق: دار المأمون للتراث، 1399هـ. ص 63 ـــ 65.

المتواتر. ولم يلبث أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت324هـــ)[1]، أن نهض بهذا العبء الرائع الذي تنوء به جماعات العلماء من القراء الأفذاذ، فاختار بعد البحث والفحص الطويل سبعة من أئمة القراءات حمل عليهم المسلمين في جميع أقطارهم وأمصارهم، وبذلك لمّ الشعث، وأدرك الأزمة قبل أن يتسع بينها الخلاف في قراءات كتابها السماوي العظيم، ودوّن مصنفه النفيس"كتاب السبعة في القراءات".

ولم يسقط رواية من سواهم، بل دعاها شاذة، أي تأتي وراء القراءات السبعة في عدد من يقرأون بها في الأمصار. وعلى منوال رأيه هذا. ألف ابن ضبي كتابه"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها"[2].

ثم اشتهر بعد هؤلاء السبعة ثلاث قراءات متممة للعشرة، والتي انتشرت أيضا في خراسان وما وراء النهر وهي: قراءة أبو جعفر: وهو يزيد بن القعقاع المدني، توفي بالمدينة سنة (132هـــ)، ويعقوب: هو ابن إسحاق أبو محمد الحضرمي، توفي بالبصرة سنة (205هـــ) وخلف: هو ابن هشام البزار أبو محمد، توفي ببغداد سنة (229هـــ). وهذه القراءات الثلاثة المتممة للعشرة متواترة أيضا[3].

أما القراءات الشاذة [4] فقد تتبعها وتقصّى أنواعها وبحث عن أسانيدها من صحيح ومصنوع وصنّف فيها هو شيخ خراسان أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـــ)[5]. في كتابه"القراءات"حيث جمع فيه قراءة خمس وعشرين قارئا مع القراء السبعة[6]. مما يدل أن القراءات الشاذة انتشرت أيضا في خراسان مع القراءات المتواترة والمشهورة، مما جعل الدراسات القرآنية نشيطة في تلك المنطقة لذلك نجد أنه ظهر جمهرة من العلماء المتخصصين في القراءات في منطقة

---

(1) ـــ انظر ترجمته في: ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص35، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص43، ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج1/ص139، ابن النديم. **الفهرست**. ص53.

(2) -انظر: **كتاب السبعة في القراءات**.لابن مجاهد، تحقيق. شوقي ضيف. ط2، القاهرة: دار المعارف،(د.ت).ص14-22.

(3) ـــ خالد عبد الرحمن العك. **أصول التفسير ....** مرجع سابق. ص 435.

(4) ـــ القراءة الشاذة: وهي ما لم يصح سنده.

من ذلك قراءة: (مَلَك يوم الدين) بصيغة الماضي، ومن ذلك أيضا قراءة ابن أبي السميقع. ﴿فَالْيَوْمَ نُنَحِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ قرئ بالحاء المهملة في (ننحيك) بدل (ننجيك) بالجيم، وقرئ (لتكون لمن خَلَفك) بفتح اللام في (خلفك)، انظر: السيوطي. **الإتقان**. ج1 / ص77، ابن الجزري. **النشر**. ج1/ص16.

(5) ـــ سوف ترد ترجمته في المبحث الخاص بعلم الحديث. إن شاء الله.

(6) ـــ ابن الجزري. **النشر**. ج1/ص34، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2 / ص1449.

خراسان وبلاد ما وراء النهر، وتصدروا للإقراء بها، وبعض بلدان العالم الإسلامي أثناء رحلاتهم العلمية إليها، أو إقامتهم في تلك البلدان.

ولقد أمدتنا المصادر بذكر بعض أعلام القراءات ممن اهتموا بالدراسات القرآنية عموما والقراءات على وجه الخصوص، ولكن تلك الإشارات في المصادر يخلو بعضها من تفصيلات عن نشاط ذلك العالم ومؤلفاته، ورحلاته وشيوخه وتلاميذه، فنجد الإشارة إلى أن فلانا النيسابوري، أو الهروي، أو البخاري .... كان مقرئا ومفسرا وفقيها ونحويا. وأديبا، دون أن تعطينا تفصيلات نتبيّن من خلالها بروز أحد الجوانب على الآخر، مما يجعلنا نشير أحيانا إلى هذا العالم في أكثر من موقع في البحث. فنذكره مثلا في مجال الدراسات القرآنية، ثم نشير إليه عند حديثنا عن الفقه مثلا. على اعتبار أن ذلك الشخص مقرئ وفقيه.

وعلى هذا فسوف نقتصر البحث في الغالب على العلماء المشهورين الذين صنفوا كتبا في العلوم التي اشتهروا بها أو قرئ عليهم، أو حدث عنهم، حتى تدلل على مدى النشاط العلمي الذي شهدت خراسان وبلاد ما وراء النهر في شتى العلوم والمعارف.

أما نيسابور فقد كانت تعقد في مساجدها يوم الجمعة مجالس القراء يقرأون إلى الضحى وعلى رؤوس مشايخهم الطيلسان فوق العمائم[1]، ونذكر من أشهر قراء نيسابور الذين ورد ذكرهم في المصادر خلال فترة البحث:

الفضل بن شاذان ابن خليل الأزدي النيسابوري (ت 260هـ)، صنف كتاب التفسير وكتاب القراءات[2].

وحامد بن محمود بن حرب النيسابوري (ت 266هـ)، فقدم القراء بنيسابور. سمع من اسحاق بن سليمان الرازي، ومكي بن إبراهيم، روى عنه أبو طاهر المحمد أباذى، وابن الأخرم[3].

والعلامة أبو الحسين، محمد بن محمد بن يعقوب النيسابوري (ت 368هـ)، الحافظ المقرئ، تنقّل بين مصر والشام والعراق وخراسان طلبا للقراءات والحديث. وقرأ على كبار مشايخ عصره، وله مصنّفان شهيران هما: (العلل) و(الشيوخ والأبواب)[4].

(1) ـــ المقدسي. أحسن التقاسيم. ص328.

(2) ـــ الداودي. طبقات المفسرين. ج2/ص30، ابن النديم. الفهرست. ص283.

(3) ـــ ابن الجزري. غاية النهاية. ج1/ص202.

(4) ـــ الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج16 / ص240، ابن عماد. شذرات الذهب. ج3/ص67، الذهبي. العبر. ج2/

.../...

أما أبو بكر، أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني النيسابوري المتوفى سنة (381هـ)[1]، فهو شيخ القرّاء في نيسابور، صاحب التصانيف المشهورة. قال ياقوت: "قال الحاكم: هو إمام عصره في القراءات، وأعبد من رأينا من القرّاء، وكان مجاب الدعوة...". رحل إلى الشام والعراق في طلب أسانيد القراءات. كما رحل إلى سمرقند للغرض نفسه، وقرأ على جمع غفير من العلماء القرآن الكريم بقراءاته عن القراء العشرة، وأخذوا رواياتهم بسند متصل، بل إنه زاد على ذلك بتفرده برواية قراءة عن أبي حاتم السجستاني.

ويمكن أن نعرض لسلسلة الإسناد لقراءة واحدة من القراءات العشر، اتصل ابن مهران بسندها إلى رسول الله ﷺ وهي قراءة ابن كثير.

قرأ ابن مهران على أبي علي الصفار في سمرقند قراءة ابن كثير برواياتها الثلاث عنه وهي: رواية البزّي، ورواية القواس، ورواية ابن فليح. ونختار رواية واحدة من هذه الروايات نعرضها بدءا برسول الله ﷺ، وانتهاءا بابن مهران لنوضح سلسلة الإسناد:

لقد قرأ على رسول الله ﷺ كل من عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب ـــ رضي الله عنهما ـــ وقرأ عليهما الصحابيان عبد الله بن السائب وعبد الله بن العباس ـــ رضي الله عنهما ـــ وقرأ مجاهد على عبد الله بن عباس، وقرأ ابن كثير (ت 120هـ) على ابن السائب ومجاهد، ثم روى قراءة ابن كثير عنه البزّي، الذي قرأ عليه إسحاق بن أحمد الخزاعي، والحسين بن محمد الحداد، وقرأ عليهما أبو بكر الهاشمي، الذي قرأ عليه أبو علي الصفار، وأخيرا قرأ ابن مهران على الصفار[2].

وصنّف ابن مهران العديد من الكتب في مجال القراءات، تقارب العشرين كتابا، لا يعلم حجمها بالتحديد. لأنها مفقودة ولعل أغلبها رسائل صغيرة، ويظهر ذلك من عناوينها مثل:

ص130، ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**. ج4 /ص 134.

(1) ـــ انظر ترجمته في: الذهبي. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**. تحقيق بشار عواد معروف وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة، (د. ت)، ج1/ص347. شمس الدين الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. بيروت: دار الكتب العلمية، (د. ت)، ج3 / ص275. ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج1/ص49 ـــ 50. ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص98. كارل بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ترجمة عبد الحليم النجار، ط5، القاهرة: دار المعارف،(د.ت)، ج4 / ص5 ـــ 6. فؤاد سزكين. **تاريخ التراث العربي**. ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض: إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، 1983م، م1. ج1 / ص46.

(2) ـــ انظر: ابن مهران. **الغاية في القراءات العشر**. تحقيق. محمد غياث الجنباز، ط1، الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر. ص 33 ـــ 36.

كتاب قراءة أبي عمرو ـــ كتاب الإنفراد ـــ كتاب شرح للعجم ـــ كتاب شرح التحقيق ـــ كتاب اختلاف عدد السور ـــ كتاب رؤوس الآيات ـــ كتاب الوقف والابتداء ـــ كتاب قراءة عبد الله بن عمر ـــ كتاب الاتفاق والانفراد ـــ كتاب المقطع والمبادئ ـــ وكتاب المدات ـــ وكتاب الإستعاذة بحججها .....

أما الكتب الكبيرة الحجم:

فكتاب (المبسوط في القراءات العشر)، وكتاب (الشامل في القراءات)، وكتاب (تحفة الأنام في التجويد)، وكتاب (آيات القرآن)، وكتاب (غرائب القراءات)، وكتاب (طبقات القراء). أما أهم كتب ابن مهران فهو كتاب (الغاية في القراءات العشر). وهو من الكتب الجامعة لولا اختصار شديد في ألفاظه وعباراته[1].

وقد ذكر ابن مهران بعد مقدمة موجزة أسانيده في القراءات التالية وهي:

قراءة أبي جعفر ـــ قراءة نافع ـــ قراءة عبد الله بن كثير ـــ قراءة أبي عمرو بن العلاء ـــ قراءة عبد الله بن عامر ـــ قراءة عاصم ـــ قراءة حمزة ـــ قراءة الكسائي ـــ قراءة يعقوب ـــ قراءة أبي حاتم السجستاني ـــ قراءة خلف.

ثم ذكر اختلاف القراء في الفاتحة ثم البقرة، فالإدغام ثم ذكر الإمالة، وذكر بعدها كل سور القرآن الكريم حتى آخره وختم كتابه بذكر اختلاف القراء في حذف الياء وإثباتها[2].

كما تذكر للصادر. أبا عمرو، يحي بن أحمد بن محمد المخلدي النيسابوري المتوفى سنة (383هـ) وقد كان ثقة وإماما في القراءات[3].

كما ظهر زمن الدولة الغزنوية أبو الحسن، علي بن محمد النيسابوري المقرئ المعروف بالخبازي صاحب التصنيف توفي سنة (398هـ)[4].

وأبو عبد الله، محمد بن علي بن محمد بن حسن الخبازي النيسابوري (ت 449هـ) للسند،

---

(1) ـــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2 / ص1025، باقوت. **معجم الأدباء**. ج1/344 ـــ 346، ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج1/ص49، النشر. ج1/184 ـــ 185، بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ج4 / ص5 ـــ 6.

(2) ـــ بازمول. **القراءات**.. مرجع سابق. ص 279 ـــ 280.

(3) ـــ ابن الصلاح. **طبقات الفقهاء**. ج2 / ص678.

(4) ـــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث ووفيات 381هـ. ج27 / ص361.

للقرئ، وتصدر لتدريس قراءة القرآن، وصنّف في القراءات[1].

أما في مدينة مرو فقد اشتهر بالقراءة فيها:

أبو معاذ الفضل بن خالد المروزي (ت 211هـــ) أتقن قراءة نافع، وثقه ابن حبان، وروى عنه القراءة عدد من أبناء خراسان، وصنّف الفضل بن خالد كتابا بعنوان "القراءة" لم يصلنا، وإنما توجد منه بعض المقتبسات في كتاب"الكشف والبيان في تفسير القرآن" لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت 427هـــ). كما توجد منه مقتبسات أخرى في كتاب "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت 370هـــ).

وتجدر الإشارة إلى أن كلا من الثعلبي والأزهري اللذين نقلا مقتبسات من كتاب "القراءة" للفضل بن خالد هما من أبناء إقليم خراسان، وممن عاشوا في القرن الرابع الهجري، مما يشير إلى وصول هذا الكتاب إلى نيسابور وهراة، واستخدامه كمصدر في اللغة والتفسير. ولعل كتاب "القراءة" لم يكن مجرد كتاب في القراءات القرآنية، وإنما كان كتابا يحوي علوما لغوية، ومادة علمية في مجال التفسير، مما جعل الثعلبي والأزهري يفيدان منه ويقتبسان من مادته[2].

أبو جعفر محمد بن هارون المعروف بأبي نشيط (ت 258هـــ). متقن قراءة نافع ورواياها عن قالون[3].

وإسحاق بن إبراهيم بن عثمان بن عبد الله أبو يعقوب المروزي. راوية خلف أحد القراء العشرة، ثقة. توفي سنة (286هـــ)[4].

ومنهم أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن الفضل العجلي المروزي. (ت 355هـــ) فقد قرأ على أبيه قراءة ابن كثير[5].

أما في هراة فكان أبرز وأشهر علمائها في القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت

---

(1) ــ الذهبي. **معرفة القراء الكبار**. ج1/ص413، ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج2/ص207، عز الدين بن الأثير. **اللباب في تهذيب الأنساب**. بيروت: دار صادر، 1980م. ج1 / ص417.

(2) ــ الداودي. **طبقات المفسرين**. ج2 / ص28، ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج2/ص9، عبد الباري.. **خراسان وما وراء النهر...** مرجع سابق. ص 202.

(3) ــ ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج2/ص272 ــ 273.

(4) ــ المصدر نفسه. ج1/ص155.

(5) ــ المصدر نفسه. ج1/ص66 ــ 67.

224هـــ)، أخذ العلم عن مشايخ وقته ثم رحل في طلب علوم زمانه. صنّف في علوم كثيرة وصفه القاضي أحمد بن كامل بقوله: "كان أبو عبيد فاضلا في دينه وعلمه ربانيا متفننا في أصناف علوم الإسلام من القراءات، والفقه، والعربية، والأخبار، حسن الرواية، صحيح النقل، لا أعلم أحدا من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه. أخذ القراءة عرضا وسماعا عن الكسائي، وإسماعيل بن جعفر، وشجاع بن أبي نصر، وسليمان بن حماد، وحجاج بن محمد، وهشام بن عمار، وعبد الأعلى بن مسهر، وسليم بن عيسى، ويحي بن آدم.

وروى عنه القراءة أحمد بن إبراهيم ورّاق خلف، وأحمد بن يوسف التغلبي، وعلي بن عبد العزيز البغوي، والحسن بن محمد بن زياد القرشي، ومحمد بن أحمد بن عبد الباقي، وأحمد بن الحسن بن عبد الله المقرئ.

وله اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر.

وكان في أيام الدولة الطاهرية مقربا إلى أمرائها، مجالسا لهم، مؤدبا لأبنائهم، ولما ألف كتابه "غريب الحديث" عرضه على الأمير عبد الله بن طاهر فاستحسنه وقال: "إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق أن لا يحوج إلى طلب المعاش"، فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر.

ولما ورد نعي أبي عبيد على عبد الله بن طاهر أنشأ يقول:

يا طالب العلم قد أودى ابن سلام ... قد كان فارس علم غير محجام

أودى الذي كان فينا ربع أربعة ... لم يلف مثلهم اسناد احكام

حبر البرية عبد الله عالمها ... وعامر ولنعم الثاويا عامي

هما أتـــانا بعـــلم في زمانهـــما ... والقاسمـــان ابن معـــن وابـــن سلام

ـــ خلّف القاسم ابن سلام ـــ رحمه الله ـــ للمكتبة الإسلامية مصنّفات في غاية الأهمية منها:

كتاب الغريب للمصنّف ـــ كتاب الأجناس من كلام العرب ـــ وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى ـــ كتاب غريب الحديث.

كتاب الأمثال: وقد شرحه، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت687هـــ) في كتاب وسماه: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال.

كتاب معاني القراءات –كتاب عدد آي القرآن ـــ كتاب الناسخ والمنسوخ ـــ كتاب غريب القرآن[1].

(1) ـــ انظر: ترجمته في: الذهبي. تذكرة الحفاظ. ج2/ص417، ابن حجر. تهذيب التهذيب. ج8 / ص283، الخطيب. تاريخ بغداد. ج12 / ص401، ابن العماد. شذرات الذهب. ج2/ص54، الزركلي. الأعلام. ج5/ص176، ابن النديم.

.../...

ومن أهم كتبه في علوم القرآن وبالخصوص في علم القراءات هو كتاب "فضائل القرآن ومعالمه وآدابه".

ويعتبر هذا الكتاب أكبر كتاب أصيل في موضوعه وأشمله، بل هو أول محاولة تطبيقية لتدوين علوم القرآن العظيم بمعناه الشامل، فهو يحتوي بين صفحاته على روايات في فضائل القرآن العظيم بصورة عامة وفضائل السور والآيات وآداب تلاوة القرآن وجمع القرآن والقراءات والقراء من الصحابة والتابعين وتابعيهم، والمنسوخ تلاوة، ومنازل القرآن، وأول ما نزل وآخر ما نزل وخواص القرآن العظيم، والاسترقاء به، والمصاحف وكل ما يتعلق بما فيها من تنقيطها وتعشيرها ولغات القرآن وغيرها من البحوث.

ومن الأبواب التي تضمنها هذا الكتاب مما له علاقة بالقراءت مايلي:

جملة أبواب قراء القرآن ونعوتهم وأخلاقهم.

جماع أحاديث القرآن وإيثاره في كتابه وتأليفه وإقامة حروفه.

جماع أبواب للمصاحف وما جاء فيها وما يؤمر به وينهى عنه.

ويلاحظ في هذا الكتاب مايلي:

1 ــ أن هذا الكتاب احتوى على جملة كبيرة من المباحث المتعلقة بعلم القراءات. بله القراءات الكثيرة التي أوردها أو أشار إليها.

2 ــ أنه تضمن جملة كبيرة من القراءات المخالفة لرسم المصحف العثماني.

3 ــ أن الأحاديث والآثار التي يوردها أبو عبيد في كتابه هذا جميعها مسندة ومنها المقبول والمردود.

4 ــ تضمن الكتاب آراء أبي عبيد في كثير من المسائل من ذلك ما اختاره بالنسبة للقراءة الشاذة ومنزلتها في التفسير.

5 ــ أن القراءات في هذا الكتاب برزت بروزا ظاهرا ولا غرو فإن لأبي عبيد مصنفا فيها[1].

كما ظهر في هراة إسماعيل بن ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن السرخسي ثم الهروي، وهو محدث وفقيه، مقرئ أديب، توفي سنة 414هـــ، من تصانيفه: "الجمع بين الصحيحين" (البخاري ومسلم) و"درجات التائبين ومقامات الصديقين" وله في القراءات كتاب"الشافي في القراءات

الفهرست. ص56، حاجي خليفة. كشف الظنون. ج1 / ص167، ياقوت. معجم الأدباء. ج4/ص592، ابن الأنباري. نزهة الألباء.ص93 ــ 97، ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج4/ص60، السبكي. طبقات الشافعية. ج1/ص375.

(1) ــ انظر. بازمول. القراءات ... مرجع سابق. ص 218 ــ 219.

السبع" في عدة مجلدات[1].

وفي مدينة بلخ تصدّر للإقراء بها، على قراءة نافع. أبو بكر محمد بن أبان الوكيعي (ت245هـــ)[2].

كما اشتهر بها أيضا أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي و(فرياب من ضواحي بلخ)، (وفي سنة 301هـــ)[3] صنّف كتابه الشهير (فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل، وفي كم يقرأ، والسنة في ذلك).

وقد تضمن الموجود من هذا الكتاب أبوابا حول فضل قراءة القرآن وترتيله كما يأتي:

باب في فضل القرآن وقراءته ـــ باب فضل القرآن والاستماع وتعاهد القرآن ـــ باب ختم القرآن وما جاء فيه ـــ باب الوقف في قراءة القرآن والجمع في السور، وكيف كانت قراءة رسول الله ﷺ وترتيله وفي كم يقرأ القرآن والسنة في ذلك ـــ باب النظر في المصحف ـــ باب ماجاء في تعاهد القرآن عن النبي ﷺ. هذا عدا بعض الأبواب المتعلقة بفضائل السور.

ويلاحظ: 1 ـــ أن هذه الأبواب لم تتعرض مباشرة لموضوع القراءات، إلا أن الناظر يجد كلمة: "الوقف في قراءة القرآن"وهي تشير إلى علم الوقف والابتداء في قراءة القرآن العظيم وهو أحد العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات.

2 ـــ أنه لم يسق شيئا من الروايات إلا بالسند وفيما أورده المقبول والمردود.

3 ـــ أن الموجود من هذا الكتاب لا يشمل جميع الكتاب[4].

وأبو القاسم عبد الله بن الكعبي البلخي، المتوفى سنة (317هـــ) اشتهر بعلم القراءات، كذلك وصف كتابه في التفسير بالجودة والشهرة وكثرة الإستفادة منه[5].

وجدير بالملاحظة أن قراءة نافع حظيت بالانتشار في إقليم خراسان وما وراء النهر أكثر من غيرها من القراءات، ولعل ذلك يرجع إلى جهود أحد أبناء هذه المنطقة وهو أبو نشيط محمد بن

(1)السبكي. طبقات الشافعية. ج2/ص515.ابن الجزري. غاية النهاية. ج1/ص160،الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج17/ص379.

(2) ـــ ابن الجزري. غاية النهاية. ج2/ص43.

(3) ـــ الزركلي. الأعلام. ج2/ص127.

(4) ـــ بازمول. القراءات ... مرجع سابق. ص 223 ـــ 224.

(5) ـــ الذهبي. العبر. ج2 / ص176، ابن كثير. البداية والنهاية. ج11/ص164.

هارون، وغيره ممن كانوا رواة لهذه القراءة[1].

أما في مدينة بخارى فبالرغم من اهتمام أهلها بعلم الحديث، فإن علم القراءات كان يدرس فيها منذ بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وربما قبل ذلك. لأن الشاعر أبا عبد الله الرودكي كان قد تعلمه في بداية حياته[2].

وأبو بكر محمد بن عبد الله بن يزداد بن علي بن عبد الله الرازي المفسر، وكان يعرف بابن الخباز. سكن مدينة بخارى وتوفي بها (سنة 353هـــ)[3].

كما تذكر المصادر أبا بكر أحمد بن العباس ابن عبيد الله، شيخ بغدادي، نزل خراسان، قرأ على أحمد بن سهل الأشناني، وأبي بكر بن مجاهد، وقرأ عليه أبو عبد الله الحاكم وقال: "كان أوحد عصره في أداء الحروف في القراءات، دخل مرو وبخارى، وسمعتهم يذكرون أنه وصل إلى فرغانة، وأن الأمير نوح بن نصر السامانى قرأ عليه ختمة ووصله بأموال..". توفي سنة (355هـــ)[4].

كما نشطت الدراسات القرآنية وخاصة علم القراءات في مدينة سمرقند طيلة أيام الدولة السامانية والغزنوية. ومن أشهر علماء القراءات السمرقنديين والمبرزين في هذا الميدان نذكر:

أبو الحسن أعين بن جعفر الأشعث البجحزني السمرقندي، المتوفى سنة (315هـــ). كان شيخا فاضلا، مشهورا بعلم القراءات، سخيا، له آثار جليلة حيث بنى رباطا ووقف عليها جملة من الضياع[5].

وكذلك أبو يحي محمد بن سليمان الخياط السمرقندي (ت 315هـــ) في سمرقند[6].

وأبو العباس عبد الله بن أحمد بت إبراهيم بن الهيثم بن مخلد السمرقندي (ت 318هـــ)، مقرئ، متصدر، حاذق، صدوق، مشهور ثقة[7].

ثم أبو بكر محمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي (ت 354هـــ)[8].

---

(1) ـــ عبد الباري. خراسان وما وراء النهر ... مرجع سابق. ص 201.

(2) ـــ طه ندا. الرودكي. مجلة كلية الآداب ـــ جامعة الإسكندرية، العدد 21، السنة 1967م. ص 6.

(3) ـــ ابن الأثير. اللباب. ج3 / ص410.

(4) ـــ الذهبي. معرفة القراء الكبار. ج1/ص310.

(5) ـــ السمعاني. الأنساب. ج3 /ص209، بجحزن. قرية من قرى سمرقند.

(6) ـــ ابن الجزري. غاية النهاية. ج2/ص149.

(7) ـــ المصدر نفسه. ج2/ص403.

(8) ـــ المصدر نفسه. ج2/296.

ومن خلال استعراضنا لطائفة القراء في خراسان وبلاد ما وراء النهر يمكن أن نستخلص مايلي:

1 ــ كثرة القُرّاء بالمنطقة

2 ــ كثرة التآليف والتصانيف في علم القراءات.

3 ــ المصنفون جميعهم يؤكدون على أصل التلقي والرواية والسماع في القراءات وذلك من خلال ما يوردونه من أسانيدهم في القراءات.

4 ــ أغلب الكتب المحررة في القراءات لم تخرج عن القراءات المتواترة والمشهورة.

5 ــ إتصال سند القراءات برسول الله ﷺ.

2 ــ 2 ــ علم التفسير

التفسير: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"[1].

وعرّفه التهانوي بقوله: "علم يعرف به نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها، ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها وأمثالها"[2].

ولما كان علم التفسير هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام، وعليه يتوقف فهم المعنى، وبيان مراد الله تعالى، فإن شرف هذا العلم لا يخفى على كل ذي بصيرة ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[3]. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: [يؤتي الحكمة من يشاء] قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه ومقدّمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله وعبره.

وقال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[4]، وقد أخرج ابن أبي

---

(1) ــ الزركشي. **البرهان في علوم القرآن**. ط3. بيروت: دار الفكر، 1980م. ج1 / ص 13.

(2) ــ محمد علي الفاروقي التهانوي. **كشاف اصطلاحات الفنون**. تحقيق لطفي عبد البديع، مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م. ج1/ص33.

(3) ــ البقرة. الآية (269).

(4) ــ العنكبوت. الآية (43).

حاتم عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾. وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفاية، وأجل العلوم الشرعية، قال العلامة الأصبهاني: "أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان، تفسير القرآن، وبيان ذلك هو أن علم التفسير قد حاز الشرف من جهات ثلاث: من جهة الموضوع، ومن جهة الغرض، ومن جهة شدة الحاجة إليه.

أما من جهة الموضوع، فلأن موضوعه كلام الله سبحانه الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة، وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الأبدية التي لا تفنى، إذ به معرفة أمره فيؤتى، ومواضع نهيه فتجتنب. وأما من جهة شدة الحاجة إليه ؛ فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى ...

وإني أقول، ولا أظن ما أقوله إلا حقا: إن علم التفسير يجب أن يكون أول علم يعتنى به على وجه الصحة والدقة العلمية، لحصول القدرة على استنباط الأسرار القرآنية بحسب الطاقة البشرية، ومعرفة معاني كلام الله سبحانه من الأوامر والنواهي وغيرها، ثم كيف بنا وإن أحبّ الخلق إلى خالقهم سبحانه وتعالى أعلمهم بما أنزل..."[1].

ولما كانت وظيفة النبي ﷺ هي البيان لكتاب الله، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2]. فقد بيّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يبيّن كل معاني القرآن، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لايعذر أحد في جهالته كما صرّح بذلك ابن العباس فيما رواه عنه ابن جرير. قال: "التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"[3].

وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة عدد قليل،قالوا في القرآن بما سمعوه من رسول الله ﷺمباشرة

(1) ــ العك. أصول التفسير وقواعده. مرجع سابق. ص 28 ــ 29.

(2) ــ سورة النحل. الآية 44.

(3) ــ ابن جرير. جامع البيان. ج1 / ص 25.

أو بالواسطة، وبما شاهدوه من أسباب النزول، وبما فتح الله به عليهم من طريق الرأي والاجتهاد[1].

كما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله، اشتهر أيضا بالتفسير أعلام من التابعين، تكلموا في التفسير، ووضحوا لمعاصريهم خفي معانيه.

وقد روت لنا كتب التفسير كثيرا من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير قالوها بطريق الرأي والاجتهاد، و لم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله ﷺ أو عن أحد من الصحابة[2].

ولما انتشر الإسلام في الأمصار الكثيرة وتفرّق الصحابة في البلاد واستقروا في الأراضي المفتوحة حملوا معهم العلم الذي وعوه وحفظوه عن رسول الله ﷺ. فجلس إليهم كثير من التابعين يأخذون العلم عنهم، وينقلون لمن بعدهم، فقامت في هذه الأمصار المختلفة مـــدارس علميـــة، أســـاتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون. ومن أهم هذه المدارس ثلاث هي:

1 ــ مدرسة مكة: قامت مدرسة التفسير بمكة على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يفسّر لهم كتاب الله تعالى، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه، وكان تلاميذه يعون عنه ما يقول، ويروون لمن بعدهم ما سمعوه منه.

وقد اشتهر من تلاميذ ابن عباس بمكة: سعيد بن جبير[3]، ومجاهد[4]، وعكرمة[5]، مولى ابن

---

(1) ــ محمد حسين الذهبي. التفسير والمفسرون. ط2، مصر، 1976م. ج1 / ص 63.

(2) ــ انظر: المرجع نفسه. ص 99 ــ 100.

(3) ــ سعيد بن جبير: هو أبو محمد، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، مولاهم. كان حبشي الأصل. أسود اللون، أبيض الخصال، سمع جماعة من أئمة الصحابة. أخذ القراءة عن ابن عباس عرضا. وسمع منه التفسير، وكان ابن عباس يثق بعلمه، ويحيل عليه من يستفتيه، ويروي عمر بن ميمون عن أبيه أنه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. وكان قتادة يرى أنه أعلم التابعين بالتفسير. قتله الحجاج صبرا سنة 95هـــ بعد مناظرة له معه دلت على قوة يقينه، وثبات إيمانه، وثقته بالله، فرضي الله عنه وأرضاه. (انظر: ابن حجر. تهذيب التهذيب. ج4 / ص11، ابن خلكان.

(4) ــ مجاهد بن جبر: المكي، المقرئ، المفسر، أبو الحجاج المخزومي، مولى السائب بن أبي السائب، أحد أعلام الأثبات. توفي بمكة وهو ساجد سنة 104هـــ.

قال عنه قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، وقال ابن سعد: كان ثقة، فقيها، عالما، كثير الحديث. وكان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. (انظر: الذهبي. ميزان الاعتدال. ج3 / ص439، ابن حجر. تهذيب التهذيب. ج10 / ص38.

(5) ــ عكرمة: هو أبو عبد الله عكرمة البربري المدني مولى ابن العباس، أصله من البربر بالمغرب، روى عن مولاه. وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة وغيرهم. أحد أعلام الأثبات. قال عنه المروزي: أجمع عامة أهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث عكرمة، واتفق على ذلك رؤساء أهل الحديث من أهل عصرنا .... ولقد سألت إسحاق بن راهويه عن الاحتجاج بحديثه فقال: عكرمة عندنا إمام الدنيا. تعجب من سؤالي إياه !؟ ... وكيف لا يكون كذلك وهو وارث علم ابن عباس؟. توفي رحمه الله سنة 104هـــ فرضي الله عنه وأرضاه. (انظر: ابن حجر. تهذيب التهذيب. ج7 / ص234.

العباس، وطاووس بن كيسان اليماني[1]، وعطاء بن أبي رباح[2].

2 ــ مدرسة المدينة: كان بالمدينة كثير من الصحابة، أقاموا بها و لم يتحولوا عنها كما تحوّل كثير منهم إلى غيرها من بلاد المسلمين، فجلسوا لأتباعهم يعلمونهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. فقامت بالمدينة مدرسة للتفسير. تتلمذ فيها كثير من التابعين لمشاهير المفسرين من الصحابة، ونستطيع أن نقول: إن قيام هذه المدرسة كان على يد أبي بن كعب، الذي يعتبر بحق أشهر من تتلمذ له مفسروا التابعين بالمدينة. وذلك لشهرته أكثر من غيره في التفسير، وكثرة ما نقل لنا عنه في ذلك[3].

ومن أشهر رجال هذه المدرسة: أبو العالية رفيع بن مهران[4]، ومحمد بن كعب القرظي[5] وزيد بن أسلم[6].

3 ــ مدرسة العراق: قامت مدرسة العراق على يد عبد الله بن مسعود ﷺ، ويمتاز أهل العراق بأنهم أهل الرأي، وهذه ظاهرة نجدها بكثرة في مسائل الخلاف، ويقول العلماء: إن ابن مسعود هو الذي وضع الأساس لهذه الطريقة في الاستدلال. ثم توارثها عنه علماء العراق. ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الطريقة في مدرسة التفسير، فيكثر تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد[7].

ومن أشهر رجال هذه المدرسة. علقمة[8]، ومسروق[9]، والشعبي[1]، والحسن البصري[2].

---

(1) ــ طاووس بن كيسان اليماني: مولى بحير بن ريسان، روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم، وروي عنه أنه قال: جالست خمسين من الصحابة. كان رحمه الله عالما متقنا. خبيرا بمعاني كتاب الله تعالى، قال عنه ابن حبان: هو من عباد أهل اليمن، ومن سادات التابعين. مستجاب الدعوة. توفي رحمه الله سنة 106هـ. انظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج5 / ص8.

(2) ــ عطاء بن أبي رباح: المكي القرشي نزيل مكة. أدرك مائتين من الصحابة، فقيها عالما، كثير الحديث. وانتهت إليه فتوى أهل مكة. توفي رحمه الله سنة 110هـ. انظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج7 / ص179.

(3) ــ الذهبي. **التفسير والمفسرون**. مرجع سابق. ج1 / ص 114.

(4) ــ أبو العالية: هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي مولاهم. أدرك الجاهلية. وأسلم بعد وفاة النبي (ص) بسنتين روى عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي بن كعب. وقد أجمع على ثقته أصحاب الكتب الستة توفي سنة 90هـ. انظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج3 / ص246.

(5) ــ محمد بن كعب القرظي: أحد الأئمة الأعلام، روى عن عدد من الصحابة، قال عنه ابن سعد: كان ثقة عالما. كثير الحديث، ورعا. وقال عنه ابن عون: مارأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي. توفي سنة 118هـ. أنظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج9 / ص373.

(6) ــ زيد بن أسلم: مولى عمر بن الخطاب، له تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة. توفي سنة 136هـ. انظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج3 / ص341.

(7) ــ الذهبي. المرجع السابق. ج1 / ص 118.

(8) ــ علقمة: وهو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي، روى عن عدد من الصحابة الكبار، ومن أشهر رواة عبد الله بن مسعود، وأعرفهم به، وأعلمهم بعلمه. توفي سنة 62هـ. انظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج7 / ص244.

(9) ــ مسروق: هو أبو عائشة، مسروق بن الأجدع ابن مالك بن أمية الهمداني الكوفي العابد، قاضي الكوفة، اعترف به

.../...

ثم يمضي عهد التابعين، وعليه عهد تابعي التابعين، وحملوا هذا التراث العلمي. وزادوا عليه بمقدار ما زاد من الغموض وما حدّ من اختلاف في الرأي، وهكذا تناقل الخلف علم السلف، وحمل علماء كل جيل علم من سبقهم وزادوا عليه، سنة الله في تدرج العلوم. تبدأ ضيقة الدائرة، محدودة المسائل، ثم لا تلبث أن تتسع وتتضخم إلى أن تبلغ النهاية وتصل إلى الكمال[3].

وفي أواخر عهد بني أمية وأول عهد العباسيين ـــ كانت الخطوات الأولى للتصنيف والتدوين، حيث دونت السنة النبوية وهي تضم بين جنباتها تفسير القرآن الكريم. ومناهج تفسيره. فكان أول ما دون منه هو التفسير بالمأثور[4]. فكان رجال الحديث والرواية هم أنفسهم أهل التفسير، ثم ما لبث أن استقل التفسير بمؤلفات خاصة، ووضع التفسير لكل آية من القرآن. ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف ثم خطا التفسير خطوة أخرى تمثلت في تجاوز حدود التفسير بالمأثور. وإن كان قد تجاوز روايته بالإسناد، فصنّف في التفسير خلق كثير، اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال المأثورة عن المفسرين من أسلافهم دون أن ينسبوها لقائليها. فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، واتسع النقل عن الإسرائيليات. أما أوسع خطوة خطاها التفسير فهي التي امتدت من العصر العباسي إلى يومنا هذا. وهي تدوين تفسير اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، وكان ذلك على تدرج ملحوظ في ذلك.

علماء الجرح والتعديل،فقال ابن معين: ثقة لا يسأل عن مثله. توفي سنة 63هـــانظر: ابن حجر.**تهذيب التهذيب**. ج10/ص100.

(1) ـــ الشعبي: هو أبو عمرو. عامر بن شراحيل الشعبي، الحميري، الكوفي، التابعي الجليل. روى عن كبار الصحابة. أدرك خمسمائة من الصحابة، قال عاصم: ما رأيت أحدا أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز من الشعبي. توفي سنة 109هـــ انظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج5 / ص57.

(2) ـــ الحسن البصري: هو أبو سعيد، الحسن بن أبي الحسن يسار البصري مولى الأنصار، قال عنه ابن سعد: كان الحسن جامعا، عالما، رفيعا، فقيها، ثقة، مأمونا. كثير العلم فصيحا، جميلا، وسيما. قال الشافعي: "لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لفصاحته"توفي سنة 110هـــ. انظر: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج2 / ص231.

(3) ـــ الذهبي. **التفسير والمفسرون**. مرجع سابق. ج1 / ص 127.

(4) ـــ التفسير بالمأثور: وهو يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن النبي ﷺ. وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم. وهناك التفسير بالرأي، وهو: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ" العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي"ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر. الذهبي. **التفسير والمفسرون**. مرجع سابق. ج1/ص 152 ـــ 255.

وهكذا تدرج التفسير، واتجهت الكتب المؤلفة فيه اتجاهات متنوعة، وتحكمت الاصطلاحات العلمية، والعقائد المذهبية في عبارات القرآن الكريم، فظهرت آثار الثقافة الفلسفية والعلمية للمسلمين في تفسير القرآن، كما ظهرت آثار التصوف واضحة فيه، وكما ظهرت آثار النحل والأهواء فيه ظهورا جليا[1].

ويجد الباحث صعوبة في تحديد الفترة الزمنية التي نشأ فيها علم التفسير في خراسان وبلاد ما وراء النهر كعلم مستقل عن باقي العلوم، ولعلّ مرجع ذلك يعود إلى أسباب أهمها:

أولا: ظاهرة الجمع بين العلوم، والناظر في كتب التاريخ والتراجم لأعلام المنطقة يلاحظ هذه الظاهرة بوضوح، وإن كانت الشهرة في أحد العلوم تبدو ظاهرة على غيرها، فلو نظرنا إلى ترجمة حياة عالم من علماء المنطقة نجد العبارة التي تعبر عن هذه الظاهرة وهي: "العالم، الفقيه، المحدث، الأديب، النحوي ...." ومرجع هذه الظاهرة يعود إلى طريقة تحصيل العلوم فقد كانوا يبدؤون بالقرآن الكريم، ثم بعلوم العربية،ثم العلوم الشرعية جملة ...

ثانيا: إن نظام التعليم في مدارس خراسان وما وراء النهر هو نظام الحلقات العلمية تدرّس فيه مختلف العلوم العربية والدينية.

وقد كان تفسير القرآن ضئيلا بخراسان في صدر الإسلام شأنه في ذلك شأن تعليم القرآن، إذ لا يتضمن ما حفظ من أخبار الصحابة الذين نزلوا خراسان[2] ما يكشف عن اهتمام واضح لهم بالتفسير أو عن جهد بارز فيه، ومصدرذلك أن وجود العرب بخراسان كان محدودا مزعزعا في ذلك العصر، وأن الصحابة الذين حلوا بها لم يكونا من الصحابة الذين عنوا بالتفسير، وأن طائفة من الصحابة كانت تتحرج من الخوض في التفسير.

ولكن تفسير القرآن ازدهر بخراسان ازدهارا شديدا في أيام بني أمية إذ انقطع له فريق كثير من التابعين، وكان لهم آثار ظاهرة فيه[3]. وتخرّج على يد هؤلاء التابعين جيل تفرّعت على يديه مدارس للتفسير مختلفة.حيث ظهرت جميع أنواع التفاسير التي ذكرناها. وبعض تفاسيرهم التي وصلت إلينا

(1) ـــ انظر: الذهبي. **التفسير والمفسرون**. مرجع سابق. ص 140 ـــ 147.

(2) ـــ عن الصحابة الذين نزلوا خراسان انظر: البستي. **مشاهير علماء الأمصار**. تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ط1، بيروت: موسسة الكتب الثقافية، 1987م. ص100.

(3) ـــ حسين عطوان. **الدراسات الدينية بخراسان في العصر الأموي**. ط1، بيروت: دار الجيل، 1993م. ص5.

تظهر تعدد الاتجاهات في هذا الميدان. من تفسير بالمأثور، إلى التفسير بالرأي، إلى التفسير الصوفي الإشاري[1]، إلى التفاسير اللغوية أو التفاسير الوثيقة الصلة بالأحكام الفقهية وغيرها.

وسوف نورد لكل نوع من هذه التفاسير طائفة من العلماء تخصصوا فيه وألفوا مصنفاته وفق منهجه ونذكر منهم في نيسابور:

الحسين بن الفضل بن عمير البجلي النيسابوري (ت 282هـــ) إمام عصره في معاني القرآن، ارتحل إليه طلبة العلم من الحواضر الإسلامية المجاورة، لينهلوا من علمه بعد أن استقدمه عبد الله بن طاهر من الكوفة إلى نيسابور. وفي التفسير، تتلمذ على يديه عدد من العلماء منهم محمد الأخرم المتوفى سنة (341هـــ) شيخ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري المقرئ المتوفى سنة (381هـــ)[2].

أما أبو يحي زكريابن داود النيسابوري (ت 286هـــ). فقد كان كما قال الحاكم: المقدم في عصره صاحب التفسير الكبير[3].

كما عرف إبراهيم بن إسحاق النيسابوري الأنماطي الحافظ المفسّر المتوفى سنة (303هـــ)، فهو مفسّر كبير، له سطوته الجليلة في التفسير ودراسات الحديث، ومن أشهر مصنفاته: "التفسير

---

(1) ـــ ينقسم التفسير الصوفي إلى قسمين:

1 ـــ التفسير الصوفي النظري، 2 ـــ والتفسير الفيضي أو الإشاري. والفرق بينهما من وجهين:

أولا: ـــ أن التفسير الصوفي النظري ينبني على مقدمات علمية تتقدح في ذهن الصوفي أولا، ثم يتنزّل القرآن عليها بعد ذلك. أما التفسير الإشاري، فلا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية.

ثانيا: أن التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه .... وهذا بحسب طاقته طبعا.

أما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولا وقبل كل شيء: ذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره. (انظر: الذهبي. **التفسير والمفسرون**. مرجع سابق. ص 352، العك. **أصول التفسير وقواعده**. مرجع سابق. ص 205.

(2) ـــ انظر: الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1 / ص156، السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص37 ـــ 38. ابن حجر. **لسان الميزان**. ج2/ص352. ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص178، الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (281هـــ ـــ 290هـــ). ص 162 ـــ 163.

(3) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج8 / ص463، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص676، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1 / ص175، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص307.

الكبير"، وكان من كبار الرحّالة في عصره[1].

وكان أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (ت 311هـــ). ممن عني بعلوم القرآن وصنّف فيها، قال الذهبي رواية عن الحاكم النيسابوري ...."مصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا منها تفسير القرآن"[2].

كما عرف بالتفسير أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت 318هـــ)، وهو فقيه مجتهد، من الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة المكرمة، قال عنه الذهبي: "وهو صاحب الكتب التي لم يصنف مثلها، وكان غاية في معرفة الاختلاف والدليل، وكان مجتهدا لا يقلد أحدا".

وقال عنه ابن خلكان: "كان فقيها عالما مطلعا، ذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقات الفقهاء وقال: صنف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنف مثلها واحتاج إلى كتبه للوافق والمخالف ...". من كتبه المشهورة في اختلاف العلماء (كتاب الإشراف) وهو كتاب كبير يدل على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة وهو من أحسن الكتب وأنفعها، وأرفعها ذكرا، وأكثرها فائدة.

وهذا الكتاب في حقيقته مختصر عن كتاب الأوسط لابن منذر، فقد أوجز هنا ما فصله هناك من أسانيد الأحاديث الشريفة، وأسانيد آثار الصحابة، واختصر جانبا كبيرا من أدلة المذاهب وحججهم ومناقشاتها[3]. وقد افتّن ابن المنذر في تصنيفه وأتقن فأجاد في كتابة أبوابه وفصوله، وأودعه من علم اختلاف العلماء ما جعله يُرزق القبول من جميع الفقهاء، فصار مصدرا لهم على اختلاف مذاهبهم.

واشتهر بتفسير القرآن، وهو صاحب كتاب "تفسير القرآن الكريم". قال عنه السبكي: "وهو من التصانيف المفيدة السائرة"، ووصفه الداودي: "بأنه لم يصنف مثله"، وكان ابن المنذر يفسر بما صحّ لديه من الحديث، ومن أقوال الصحابة، ويجتهد في بعض الآيات التي تحتمل الاجتهاد، وقد وقف السيوطي على تفسير ابن المنذر، واعتمد عليه في تفسيره "ترجمان القرآن"، و"الدرّ المنثور" وقال عنه: "كتاب التفسير وقفت عليه وكان على نهاية في معرفة الحديث والاختلاف". كما

---

(1) ــ الذهبي. العبر. ج1 / ص446، السيوطي. طبقات الحفاظ. ص307، ابن العماد. شذرات الذهب. ج2/ص242.

(2) ــ البغدادي. هدية العارفين. مج6 / ص29.

(3) -انظر كتاب: الإشراف على مذاهب أهل العلم.تحقيق. محمد نجيب سراج الدين.ط1، الدوحة: دار الثقافة، 1986م. (كتاب أهل البغي) عند الفقرة (1783)، وفي الباب الذي قبله فقرة(1781) وفي كتاب (الأشربة) عند الفقرة (1757).

وصلتنا بعض نصوص من هذا التفسير على هامش تفسير ابن أبي حاتم[1].

أبو الحسن علي بن محمد بن سحنون بن حمشاد النيسابوري (ت 338هـــ)، الحافظ الكـــبير. صاحب التصانيف. روى عنه أبو أحمد الحاكم وقال: ما رأيت في مشـــايخنا أثبـــت في الروايـــة والتصنيف منه. توفي رحمه الله وخلّف للمكتبة الإسلامية مصنفات منها:

1 ــ التفسير. وهو تفسير للقرآن المجيد في عشر مجلدات.

2 ــ الاحكام. وهو في مائتين وستين جزءا.

3 ــ المسند. وهو في أربعمائة جزء[2].

كما اشتهر بالتفسير أحمد بن محمد بن عبد الله أبو الحسين، ويقال أبو الفضل النيسابوري (ت351هـــ) قاضي الحرمين وشيخ الحنفية في زمانه، من أهل نيسابور، تفقه ببغداد، واتصل بعلي بن عيسى بن الجراح وزير المقتدر العباسي، ولي قضاء للوصل والرملة والحرمين، وغاب عن نيسابور نيفا وأربعين سنة، ثم عاد إليها وولي قضاءها وتوفي بها. من كتبه: "تفسير القرآن"[3].

أما العلامة أبو سعيد، أحمد بن محمد بن سعيد بن إسماعيل الحافظ بن الشيخ أبي بكر بن الشيخ الزاهد أبي عثمان الحيري النيسابوري الشافعي (ت 353هـــ)، وضع تصانيف مشهورة في معظم العلوم ومنها: الحديث، والتفسير، وهو صاحب"التفسير الكبير"[4].

كما أن أبا القاسم، الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب بن أيوب (ت 406هـــ)، كان إمام عصره في معاني القرآن، وعلومه، أديب، نحوي، عارف بالمغازي والقصص والسير، من أهل نيسابور، قال عنه الفارسي: هو أشهر مفسّري خراسان. له كتاب "التفسير المشهور" وانتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وله أيضا"كتاب التنزيل وترتيبه"[5].

---

(1) ــ انظر: الداودي. **طبقات المفسرين**. ج2 / ص50، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص77، ابن حجر العسقلاني. **لسان الميزان**. تحقيق. عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م. 5/ص37، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج7/ص250، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2 / ص261، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص782،السيوطي.طبقات المفسرين.ص77،طبقات الحفاظ.ص330،بروكلمان.تاريخ الأدب العربي ج3/ص300

(2) ــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص855.

(3) ــ الذهبي. **العبر**. ج2 / ص87، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص7، البغدادي. **هدية العارفين**. ج5/ص 64.

(4) ــ الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1 / ص72، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص12.

(5) ــ السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص35، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1 / ص140، حاجي خليفة. **كشف الظنون**.

.../...

وظهر في مجال التفسير أبو عبد الرحمن، محمد بن الحسين بن موسى السلمي النيسابوري (ت412هـــ)، وهو شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. صنّف في علوم مختلفة، وبلغت تصانيفه مائة تصنيف أشهرها: "التفسير والتاريخ" و"الحقائق في التفسير". وهو يمثل الاتجاه الصوفي في تفسير القرآن.

قال عنه السيوطي: "وتفسيره غير محمود"[1]، بل إن بعض المؤرخين يقول: لو قرأت هذا التفسير لم تجد فيه لأبي عبد الرحمن رأيا خاصا، إنما هي آراء القوم وفهمهم جمعها في كتاب، أخرجه للناس"لكن المفسرين من أهل الظواهر تكلموا فيه على ما هو رأيهم في أمثاله"، بل لقد غلا الإمام الواحدي في حملته على أبي عبد الرحمن بسبب هذا الكتاب، حتى ليروى عنه أنه قال: "إن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيرا فقد كفر"[2]، وبالرغم من هذا كله فقد لاقى الكتاب رواجا وقبولا عند خاصة العلماء، حتى في حياة مؤلفه، قال السلمي: "لما دخلنا بغداد، قال لي الشيخ أبو حامد الإسفراييني: أريد أن أنظر في "حقائق التفسير" فبعثت به إليه، فنظر فيه، وقال: أريد أن أسمعه، ووضعوا لي منبرا، ثم استنسخه أحد الأمراء، وهو في طريق همذان، وأراد أن يصل مؤلفه فرفض الصلة، ففرقها الأمير في نقباء الرفقة وبعث معهم من خفرهم، كما سمعه منه الأمير نصر بن سبكتكين، وكان عالما قد أجازه به أبو عبد الرحمن، وبرغم ذلك فإن ما في هذا الكتاب هو آراء صوفية لا رأي أبي عبد الرحمن[3].

كما يعدّ أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت 427هـــ)، مفسّرا معروفا، ذاع صيته وانتشر اسمه، وعلا قدره، لقد جمع في شخصه منفردا، مختلف العلوم والمعارف، منها: التفسير واللغة والنحو، والفقه، وعلم القراءات، وصنّف كثيرا من المصنّفات في التفسير أهمها: "التفسير الكبير" وسمّاه بـــ"الكشف والبيان في تفسير القرآن"[4]، قال عنه ياقوت: "هو من التفسير

ج1 / ص460، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص181.

(1) ـــ السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص84 ـــ 85، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص196، الذهبي. **ميزان الاعتدال**. ج3/ص523.

(2) ـــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج1 / ص673.

(3) ـــ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص44، العمادي. **خراسان.. مرجع سابق**، ص298.

(4) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص380، الذهبي. **العبر**. ج2 / ص255، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1/ ص65، السيوطي. **بغية الوعاة**. ج1 / ص356، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص230، ياقوت. **معجم الأدباء**.

.../...

الحاوي أنواع الفرائد من المعاني والإشارات وكلمات أرباب الحقائق ووجوه الإعراب والقراءات"[1].

وقد ذكر الثعلبي شيئا عن نفسه ومنهجه في البحث فقال: "إنه اختلف منذ الصغر إلى العلماء واجتهد في الاقتباس من علم التفسير الذي هو أساس الدين، ورأس العلوم الشرعية، وأنه واصل ظلام الليل بضوء الصباح بعزم أكيد وجهد حتى رزقه الله ما عرف به الحق من الباطل والمفضول من الفاضل والحديث من القديم والبدعة من السنة والحجة من الشبهة، وظهر له أن المفسرين على فرق شتى وطرق كثيرة ...." ثم قال: "إنه لم يعثر في كتب من تقدمه على كتاب جامع مهذب يعتمد. ثم ذكر ما كان من رغبة الناس إليه في إخراج كتاب في تفسير القرآن وأحاديثه لمطلوبهم ورعاية منه لحقوقهم وتقربا به إلى الله". ثم تكلم عن منهجه فيه فقال: "إنه استخرجه من زهاء مائة كتاب وتلقفه عن أقوام من المشايخ الأثبات وهم قريب من ثلاثمائة شيخ ...".

ومن مميزات تفسيره: أن القارئ له يجد أنه:

1 ـــ يفسر القرآن بما جاء عن السلف.

2 ـــ يختصر الأسانيد اكتفاء بذكرها في مقدمة الكتاب.

3 ـــ يعرض للمسائل النحوية ويخوض فيها بتوسع ظاهر مثلا عن تفسيره لقوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ...[2] نجده يتوسع في الكلام على نعم وبئس ويفيض في ذلك ويتعرض لشرح الكلمات اللغوية وأصولها وتصاريفها، ويستشهد على ما يقول بالشعر العربي.

4 ـــ يمتاز بالتوسع في ذكر الإسرائيليات بدون أن يتعقب شيئا من ذلك أو ينبه على ما فيه ... لولوعه بالقصص وغرائب الأخبار.

5 ـــ لا يتحرى الثعلبي الدقة في كل ما ينقل من تفاسير السلف.

6 ـــ فيه سلامة من البدع وإن ذكرها تقليدا لغيره[3].

أما أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الحيري[4] النيسابوري المتوفى (سنة 435هـ).

ج2/ص19، القفطي. إنباه الرواة. ج1/ص154، ابن الأثير. اللباب. ج1 / ص238.

(1) ـــ ياقوت. معجم الأدباء. ج2/ص19.

(2) ـــ سورة البقرة. الآية 90.

(3) ـــ انظر: محمد عبد القادر حجازي. التعريف بالتفسير ومنهج رجاله. مصور بمكتبة أحمد عروة، جامعة الأمير عبد القادر رقم 6/1/212، ج1 / ص 85 ـــ 92.

(4) ـــ نسبة إلى (الحيرة). محلة كانت في نواحي نيسابور. انظر: ياقوت. معجم البلدان. ج2/ص376.

فهو مفسّر له تصانيف في العلوم القرآنية والقراءات والحديث والوعظ منها: "الكفاية في التفسير"[1].

ولعبد الله بن يوسف بن عبد الله الجويني[2] (ت 438هـــ). والد إمام الحرمين الجويني (ت478هـــ). كتاب"التفسير"فسّر منه كل آية بعشرة أوجه، قال عنه الداودي. يشتمل على عشرة أنواع من العلوم في كل آية. كما أن له تصانيف أخرى نذكر منها: كتاب "التبصرة والتذكرة"، وكتاب "الوسائل في الفروق وللمسائل"، وكتاب "الجمع والفرق"، وكتاب "الإمام والمأموم". وله عدة رسائل منها: رسالة إثبات"الاستواء"، مكتوب في ظاهر أصلها المخطوط ما نصه: قال شيخ الإسلام الصابوني: لو كان الجويني في بني إسرائيل لنقلت لنا أوصافه وافتخروابه"[3].

كما اشتهر من بين فرقة المعتزلة مفسرين أعلام نذكر منهم: سعيد بن محمد بن حسن بن حاتم. أبو رشيد النيسابوري (ت 440هـــ) وهو من كبار المعتزلة. أخذ عن قاضي القضاة "عبد الجبار بن أحمد"[4]. وانتهت إليه الرياسة بعده. من آثاره:

"إعجاز القرآن"[5]. وأبو بكر محمد بن علي الشاشي (ت 365هـــ). وله "تفسير اعتزالي"[1].

---

(1) ــ الداودي. **طبقات المفسرين**.ج1/ص104، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص514، ابن الصلاح. **طبقات الفقهاء**. ج1/ص422، حاجي خليفة. **كشف الظنون**.ج2/ص1498، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج2/ص193.

(2) ــ نسبة إلى جوين. من نواحي نيسابور. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ص223.

(3) ــ ابن الأثير. **اللباب**. ج1/ص315، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1/ص253، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج12/ص55، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص101، السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص46، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص47، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص261ــ 262، حاجي خليفة. **كشف الظنون**.ج1/ص601، الزركلي. **الأعلام**. ج4/146.

(4) ــ القاضي عبد الجبار: هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسدباذي الشافعي، شيخ المعتزلة عاش دهرا طويلا، وفاق أقرانه، وسار ذكره، وعظم صيته، ورحلت إليه الطلبة، وأخذ عنه كثير من العلماء. استدعاه الصاحب بن عباد إلى الري سنة (360هـــ) فولي قضاءها، وبقي بها مواظبا على التدريس إلى آخر حياته. وكان الصاحب يقول فيه: هو أعلم أهل الأرض.

خلّف القاضي عبد الجبار مصنّفات في أنواع مختلفة من العلوم، منها: كتاب"الخلاف والوفاق"، و"كتاب المبسوط"، و"كتاب المحيط"، وكلها في علم الكلام، وألف في أصول الفقه: "النهاية والعمدة"وشرحه، وألف في المواعظ كتابا سماه"نصيحة المتفقهة"، وكتاب"دلائل النبوة"في مجلدين، أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة، وبالجملة. فقد طبق الأرض بكتبه، وعظم قدره، حتى انتهت إليه الرياسة في المعتزلة. وصار شيخها وعالمها غير مدافع. وكانت وفاته في ذي القعدة من سنة 415هـــ (انظر: السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص48، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص202، الذهبي. **ميزان الاعتدال**. ج2/ص533.

(5) ــ ابن حجر. **لسان الميزان**. تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،

.../...

وفي زمن الدولة الغزنوية أيام السلطان محمود بن سبكتكين. اشتهر بالتفسير في نيسابور. أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي الطيب (ت 458هـــ) الذي كانت له معرفة تامة بالقرآن وبتفسيره. قال عنه السيوطي: "كان رأسا في تفسير القرآن، وكان من حفاظ العالم". من آثاره "التفسير الكبير "في ثلاثين مجلدا، و"التفسير الأوسط" في أحد عشر مجلدا. و"التفسير الصغير" وهو في ثلاث مجلدات[2].

أما في مدينة (مرو) فإن التفسير يعتبر من العلوم التي نمت فيها وازدهرت على يد علماء أعلام. نذكر منهم:

أبو الحسن آدم بن أبي إياس المروزي المحدث (ت 220هـــ)، أحد الكتاب الستة الذين يضبطون الحديث عند شعبة، صنّف كتاب التفسير وغيره[3].

ثم سعيد بن منصور بن شعبة المروزي (ت 227هـــ) صاحب تفسير القرآن، وهو التفسير الذي اتخذه الثعالبي مصدرا له في كتابه المترجم"الكشف والبيان"[4].

وأبو الحارث سريج بن يونس المروزي (ت 235هـــ)، محدّث، مفسر، مقرئ، وفقيه، سكن بغداد وحدّث بها، ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عنه البخاري ومسلم والنسائي، له"تفسير القرآن"و"الناسخ والمنسوخ"وكتاب "القراءات"[5].

وأبو عبد الله محمد بن حاتم بن ميمون المروزي (ت 235هـــ). صنّف في تفسير القرآن كتابا مشهورا بين الناس ومعتمدا. فقد ذكره ابن سعد في طبقاته "استخرج كتابا في تفسير القرآن كتبه الناس". وكان من الثقات الشأن، وثقه ابن حبان، روى عنه مسلم 300 حديث[6].

1996م، ج3/ص49.

(1) ــ الذهبي. **سير الأعلام النبلاء**. ج18/ص525، الشيرازي. طبقات الفقهاء. تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1981م، ص112.

(2)-السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص65ــ 66، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج4/ص140، الزركلي. الأعلام. ج4/ص204.

(3) ــ السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص172، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج1/ص409، ابن قتيبة الدينوري. المعارف. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، ص292،

(4) ــ ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج4/ص78، فواد سزكين. تاريخ التراث العربي. ج1/ص287.

(5) -الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1/ص178،ابن النديم. **الفهرست**. ص282 -283، الذهبي. العبر. ج1/ص331، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص84 ــ 85، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج3/ص397، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج9/ص217.

(6) ــ محمد ابن سعد. **الطبقات الكبرى**. تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، ج7/ص256، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج9/ص89، الذهبي. تذكرة الحفاظ. ج2/455.

ولإسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي المروزي (ت 238هـ)، كتاب التفسير، رواه عنه محمد بن يحي بن خالد المروزي[1].

ومن علماء مرو في التفسير أيضا علي بن حجر بن إياس السعدي المروزي، رحل إلى بغداد ونزل بها، ثم انتقل إلى مرو وأقام فيها حتى وفاته سنة (244هـ) بعد أن قضى تسعين سنة أوقفها للعلم. من مؤلفاته كتاب أحكام القرآن[2].

أما في مدينة بلخ فقد اهتم كثير من العلماء بعلم التفسير وصنّفوا فيه. نذكر منهم:

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد الفيريابي (ت 212هـ). مصنف كتاب"تفسير القرآن"[3].

وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي (ت 319هـ) مصنف كتاب في التفسير وصف بالجودة والشهرة وكثرة الاستفادة منه، وضعه في أربعة عشر مجلدا، يخدم فكر المعتزلة من خلال الآيات المتصلة بالعقيدة[4].

وأبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت 322هـ) مصنف كتاب نظم القرآن، جمع فيه ما غاب عنه من غريب القرآن ووصف بأنه كتاب فريد في نوعه تكلم فيه بكلام لطيف دقيق في مواضع، وأخرج سرائر القرآن فيه، وكتاب في أن سورة الحمد تنوب عن جميع القرآن، وكتاب ما أغلق من غريب القرآن، وكتاب تفسير الفاتحة والحروف المقطعة في أوائل السور. إلا أنه سلك في تفسيره طريق الفلاسفة[5].

ومحمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن جعفر الصالح الشهير بأبي بكر بن أميرك الرواس البلخي، من كبار علماء بلخ، وكان مبرزا في كل العلوم وبخاصة في التفسير، وله في التفسير كتاب "المبسوط المروج لجامع العلوم" توفي ببلخ سنة (413هـ)[6].

وفي مدينة هراة اعتنى بالتفسير:

---

(1) ــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 281، الذهبي. **العبر**. ج1/ص334، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص191.

(2) ــ المصدر نفسه.

(3) ــ المصدر نفسه. ص280 ــ 281، محمد بن جعفر الكتاني. **الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة**. ط5، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1993م، ص67.

(4) ــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص164.

(5) ــ ابن النديم. **الفهرست**. ص170، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/374، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1/ص42، ابن حجر. **لسان الميزان**. ج1/289.

(6) ــ المدرس. **مشايخ بلخ من الحنفية**. مرجع سابق. ص 55 ــ 56.

أبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهروي (ت 311هـــ) كان صدوقا ثبتا في الحديث له العناية التامة في طلب الآثار والرحلة، صنّف في التفسير[1].

وممن تزعم منهج التفسير اللغوي في هراة نجد: أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت 370هـــ)،حيث اتجه إلى التحليلات اللغوية للألفاظ[2].

وأبو حامد أحمد بن محمد الشاركي الهروي الذي قيل عنه: "مفتي هراة وعالمها ومفسرها ومحدثها وأديبها". توفي سنة 355هـــ[3].

كما كان لعلم التفسير مكانة واضحة في بخارى، ويتجلى ذلك من خلال اشتغال العلماء البخاريين بهذا العلم الشريف.

ومن أوائل الذين وجدناهم مهتمين بهذا العلم:

أبو زكريا يحيى بن جعفر بن أعين الأزدي البكري البيكندي (ت 243هـــ)، وكان من سكان قرية بكيون البخارية، صنف تفسير القرآن الكريم[4].

ومحمد بن حريث بن عبد الرحمن بن حاشد البخاري (ت 302هـــ)، صنف "المسند" و"التفسير" و"التاريخ"[5].

ولا يغفل في هذا المجال، دور أبي حفص قتيبة بن أحمد بن شريح (أبو سريج) البخاري (ت 316هـــ) فقد كان من كبار علماء الشيعة في بخارى، وسمع كثيرا من العلماء، مما أعطاه القدرة على وضع تفسير مفصل للقرآن الكريم، يسمى"التفسير الكبير"[6].

وجاء بعده محمد بن سليمان بن محمد الصعلوكي الشافعي الذي وصفه الداودي: "بشيخ عصره وقدوة أهل زمانه، وإمام وقته في الفقه والتفسير"[7].

كما أن الفقيه أبا بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي المعروف بالقفال الكبير ـــ والذي

---

(1) ـــ السيوطي. **طبقات الحفاظ**.ص312.

(2) ـــ عبد الباري. **خراسان وما وراء النهر**.. مرجع سابق. ص 222.

(3) ـــ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج16/ص273، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص34.

(4) ـــ البغدادي. **هدية العارفين**. ج6/ص515.

(5) ـــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. (حوادث 301 ـــ 310هـــ)،ج23/ص98.

(6) ـــ المصدر نفسه. (حوادث 311 ـــ 320هـــ)، السيوطي. **طبقات المفسرين**.ص77، ذنون. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى**. مرجع سابق، ص 370.

(7) ـــ الداودي. **طبقات المفسرين**. ج2/ص147.

ذكرناه آنفا ـــ استقر فترة من الوقت في بخارى، وجلس لإعطاء دروس في تفسير القرآن الكريم، وصنّف في التفسير أيضا، قال عنه السيوطي: "وكان أعلم ما وراء النهر بالأصول"[1].

وأما في سمرقند فإننا نرى أن أقدم وأشهر التفاسير التي درست في سمرقند، في القرن الرابع والخامس للهجرة على أيدي علماء سمرقند تفسير: مقاتل بن سليمان الأزدي المتوفى سنة (150هـــ)، وتفسير ابن جريج، عبد الملك بن عبد العزيز المكي المتوفى سنة (150هـــ)، ثم تفسير قتادة بن دعامة السدوسي الذي وصف بأنه كان أعلم الناس بالقرآن والفقه، توفي سنة (177هـــ)، وتفسير العبد بن حمد الكشي، المتوفى سنة (249هـــ)[2].

وقد نبغ طائفة من العلماء في التفسير خلال فترة البحث نذكر منهم:

أبو النصر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي (ت 325هـــ). فقيه مـــن كبار الشيعة الإمامية، اشتهرت كتبه في خراسان ونواحيها اشتهارا عظيما. وهي تزيد على مـــائتي كتاب. كتب في عدة فنون. كالحديث، وعلم الرجال، والنجوم، والتفسير، وغيرها... صـــنّف في التفسير. كتاب: تفسير العياشي. وقد نقحه إبراهيم بن علي القمي، ويتكون في الغالب من روايات للإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق عليهما السلام. وله كتب أخـــرى جـــاءت في أغلبـــها رسائل علمية تزيد على 175 رسالة[3].

أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي[4] السمرقندي المتوفى سنة (333هـــ) الذي ذاع صيته. وطارت شهرته في الآفاق وذلك لعلو كعبه في علوم مختلفة، منها علم التفسير. فقد احتل فيه مكانة بارزة بين علماء عصره. نظرا لما تمتع به من معرفة واسعة بعلوم القرآن، والفقه، وصنّف تفسيره المسمى"تأويلات أهل السنة". ولم يكن تأثر الماتريدي في تأويله ذلك بآرائه العقيدية فحسب بل إنه مزجها بآرائه الفقهية والأصولية وآراء أستاذه الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، فكان بذلك تفسيرا عقيديا فقهيا. ثم إن الماتريدي تعرض لبعض آراء المتصوفة أو كما سماهم المتقشفة، فدفعها بصريح القرآن الكريم كما هو منهجه في كل مناقشاته وأبحاثه. فمثلا نجده

(1) ـــ السيوطي. **طبقات المفسرين**.ص95، ذنون. المرجع السابق. ص 370.

(2) ـــ جهاد عبدالله. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 192 ـــ 193.

(3) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص240ـــ 242، الزركلي. **الأعلام**. ج7/ص95، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. مج1 /ص134ـــ144.

(4) ـــ سوف نعرض للحديث عن الماتريدي في المبحث الخاص بعلم الكلام.

في تفسيره قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾[1]، يقول: والقول بها، يعني رؤية الرب، لازم عندنا في الآخرة، وحتى من غير إدراك ولا تفسير، والدليل على ذلك قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[2].

ولو كان لا يرى لم يكن لنفي الإدراك حكمة؛ إذ لايدرك غيره غير الرؤية، فموضع نفي الإدراك وغيره من الخلق لا يدرك إلا بالرؤية لا معنى له والله الموفق[3].

ويمكن أن نتبين منهج الماتريدي في كتابه"التأويلات"الذي يختلف عن مناهج المفسرين الآخرين فنقول[4]:

أولا: يعتمد على العقل والنقل في تفسير القرآن، فهو يرد على كل ما لا يتفق مع أهل السنة من المعتزلة، والمجسمة والمشبهة، والحشوية وغيرهم، ويقرر عقيدة أهل السنة في أثناء تفسيره بالأدلة العقلية والنقلية.

ثانيا: له مهارة فائقة في استخلاص المسائل الاعتقادية لا تصادفها في أي تفسير ممن سبقه، ولهذا يقول ابن أبي الوفاء: "إنه لا يوازيه فيه كتاب ... من تصانيف من سبقه في ذلك العصر.

ثالثا: أما في المسائل الفقهية التي ترد في الآيات، فيقرر بها رأي أستاذه الإمام أبي حنيفة، ويرد فيها بعض الأحيان على آراء الفقهاء الآخرين.

رابعا: وفي توضيح معنى الآيات، يحشد كل ما يمكن الاستشهاد به من الأحاديث النبوية وأقوال السلف، مما يساعد على جلاء المعنى واستخلاص الأحكام.

خامسا: ثم إنه لا يهتم في تأويله بالاستشهاد بالشعر اكتفاء منه في ذلك بالقرآن، فهو على ما يبدو يرى أن القرآن حجة للعربية في تقنينها تقوم عليه بحوث علماء اللغة.

وأبو بكر محمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي المتوفى سنة (354هـ)[5].

وأبو بكر الشاشي محمد بن علي بن إسماعيل (ت 365هـ)، أحد أئمة الدهر، ذكره السبكي

---

(1) ــ سورة الأعراف. الآية 143.

(2) ــ سورة الأنعام. الآية 103.

(3) ــ الماتريدي. **تأويلات أهل السنة**. تحقيق إبراهيم عوضين، القاهرة: 1971م. نقلا عن جهاد عبد الله. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص194.

(4) ــ جهاد عبد الله. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 195.

(5) ــ ابن الجزري. **غاية النهاية**. ج2/ص216.

بقوله: "كان إماما في التفسير، إماما في الحديث، إماما في الكلام، إماما في الأصول، إماما في الزهد والورع، إماما في في اللغة والشعر، ذاكرا للعلوم، محققا لما يورده، حسن التصرف فيما عنده، فردا من أفراد الزمان"، له مؤلفات منها: "التفسير الكبير" و"دلائل النبوة"و"محاسن الشريعة". وقد سئل أبو سهل الصعلوكي عن تفسير أبي بكر القفال فقال: "قدّسه من وجه، ودنّسه من وجه، أ ي دنسه، من جهة نصرة الاعتزال"[1]. ولعلّ في هذا القول تحامل وتعصب من قبل الصعلوكي على الذين دافعوا عن الإسلام بقوة المنطق والحجة والبرهان.

ولعل أشهر مفسري سمرقند هو، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت373هـ)[2] الملقب بإمام الهدى فقيه. مشهور من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين، له تصانيف نفيسة جدا، اشتغل بكل العلوم الدينية كالتفسير، والفقه، والوعظ، والعقائد. لاقت انتشارا واسعا وتقديرا شاملا في مختلف أنحاء العالم الإسلامي غربا وشرقا حتى زماننا ... ولكن المطبوع والمحقق، منها قليل ككتاب: خزانة الفقه ـــ كتاب عيون المسائل ـــ كتاب النوازل من الفتاوى ـــ وكتاب مختلف الرواية وهو في الخلافيات بين أبي حنيفة ومالك والشافعي ـــ كتاب المقدمة في الصلاة وله شروح ـــ كتاب بيان عقيدة الأصول في الإيمان ـــ كتاب في أصول الدين ـــ كتاب بستان العارفين في المواعظ والتقوى والتصوف ـــ كتاب تنبيه الغافلين. وهي تأملات في 94 بابا في الأخلاق والتقوى والحكم والمواعظ وأقوال النبي ﷺ ـــ كتاب أسرار الوحي ـــ كتاب قرة العيون ومفرح القلب المحزون في عقاب الذنوب الكبيرة ـــ كتاب فضائل رمضان ـــ كتاب دقائق الأخبار في بيان أهل الجنة والنار ـــ كتاب شرح الجامع الصغير في الفقه ـــ وله شرح الجامع الكبير في الفروع ـــ وله شرح لكتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان[3].

ولكن أهم كتبه في ميدان التفسير هو."تفسير القرآن الكريم". ويسمى "بحر العلوم"[4]. يقول عنه صاحب "التفسير والمفسرون": "تتبعت هذا التفسير فوجدت صاحبه يفسر القرآن بالمأمون عن السلف. فيسوق الروايات عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير، ولكنه لا يذكر إسناده إلى

---

(1)-السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص152،السيوطي. **طبقات المفسرين**.ص94ـ95،الأسنوي. **طبقات الشافعية** ج2/ص4.

(2) ـــ سوف يرد ذكره في مبحث التصوف.

(3) ـــ الزركلي. **الأعلام**. ج8/ص27، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص169، بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ج3/ص238، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. مج / ص 176 ـــ 187، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج13/ص91.

(4) ـــ طبع هذا التفسير في القاهرة سنة 1315هـ. ثم درسه وحققه عبد الرحيم أحمد الزفة:بغداد، 1405هـ/1985م.في ثلاثة أجزاء.

من يروي عنهم، ويندر سياقه للإسناد في بعض الروايات، وقد لاحظت عليه أنه إذا ذكر الأقوال والروايات المختلفة لا يعقب عليها ولا يرجح كما يفعل ابن جرير الطبري ــ مثلا ــ اللهم إلا في حالات نادرة أيضا، وهو يعرض القراءات ولكن بقدر. كما أنّه يحتكم إلى اللغة أحيانا ويشرح القرآن بالقرآن إن وجد من الآيات القرآنية ما يوضح معنى آية أخرى، كما أنه يروى من القصص الإسرائيلي، ولكن على قلة وبدون تعقيب منه على ما يرويه، وكثيرا ما يقول: قال بعضهم كذا، وقال بعضهم كذا، ولا يعين هذا البعض، وهو يروي أحيانا عن الضعفاء فيخرج من رواية الكلبي ومن رواية أسباط عن السدي، ومن رواية غيرها ممن تكلم فيه، ووجدته يوجه بعض إشكالات ترد على ظاهر النظم ثم يجيب عنها، كما يعرض لوهم الاختلاف والتناقض في القرآن ويزيل هذا الإيهام، وبالجملة فالكتاب قيّم في ذاته، جمع فيه صاحبه بين التفسير بالرواية والتفسير بالدراية إلا أنه غلب الجانب النقلي فيه على الجانب العقلي، ولهذا عددناه ضمن كتب التفسير بالمأثور"[1].

ومن خلال ما قدمناه من نماذج للمفسرين واتجاهات للتفسير في إقليم المشرق خراسان وبلاد ما وراء النهر، يمكن أن نستنتج ما يلي:

1 ــ بروز علماء أعلام في خراسان وبلاد ما وراء النهر في علم التفسير. وهذا ينبع من تعلق أهل تلك البلاد بالإسلام وإقبالهم على تعلم كل ما يخدم هذا الكتاب العزيز.

2 ــ إلمام العلماء بشتى المعارف العربية من اللغة وقواعدها. وأساليبها البلاغية. وفهمهم للدقائق النحوية، إضافة إلى معرفتهم لعلوم القرآن التي أشرنا إليها في شروط المفسر.

3 ــ خطا التفسير خطوة هامة بعد أن انفصل عن الحديث فأصبح علما قائما بنفسه، حيث وضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف. وتمّ ذلك على يد طائفة من علماء المنطقة ذكرنا نماذج منهم.

4 ــ تجاوز التفسير مرحلة رواية ما نقل عن السلف هذه الأمة إلى مرحلة تدوين تفسير امتزج فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي.وتصدر لهذا النوع من التفسير أئمة أعلام من السنة والشيعة على حدٍّ سواء.

5 ــ ظهور تنوع في اتجاهات التفسير، وذلك بتنوع الفرق الإسلامية التي ظهرت في المنطقة، فقد كانت كل فرقة تجتهد في تأويل النصوص القرآنية، مما أدّى ببعضهم إلى التعسف في التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنية عن معانيها ومدلولاتها.

---

(1) ــ الذهبي. التفسير والمفسرون ... مرجع سابق. ص 225 ــ 226.

6 ــ فتح باب الاجتهاد بعد عصر التدوين مع استحداث قضايا لم تكن موجودة في عصر النبي ﷺ ولا الصحابة، فكان لكل واحد من المفسرين يحاول أن يستنبط من القرآن والسنة الحكم المناسب لهذه القضايا.

7 ــ إبداع أهل السنة والشيعة في التفسير، كل حسب مذهبه، وأدواته، وطرائقه، وتنوع مقاصده، واختلاف اتجاهه، وكل يدافع عن مذهبه بكل ما أوتي من سلاح الجدل وقوة الدليل.

8 ــ ظهور اتجاه"للمدرسة الباطنية"في التفسير بكل فئاتها، وبمختلف أسمائها، من قرمطية وإسماعيلية، ونصيرية ودرزية، وهي تنزع إلى تأويل النصوص البينات المحكمات، وتحملها على معان باطنة غير ما يفهم من ظاهرها، وهذا هو الإلحاد في آيات الله تعالى، الذي توعد الله عليه فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾[1] والمراد بالإلحاد هنا: الميل بها عن المقصود منها، وهذا مدخل واسع للهدامين الذين أرادوا الكيد للإسلام وأمته بدعوى أن لكل ظاهر باطنا هو المقصود، والظاهر هو القشر، والباطن هو اللب ... والواقع أنهم لا دين لهم، فحاصل مذهبهم وزبدته كما قال الإمام أبو حامد الغزالي [2]: طي بساط التكليف، وحط أعباء الشرع عن المتعبدين، وتسليط الناس على اتباع اللذات، وطلب الشهوات، وقضاء الوطر من المباحات والمحرّمات، فهم امتداد للمزدكية المجوسية الفارسية الإباحية، إنما تمسّحوا بالدين ليهدموه باسم الدين، وتعلقوا بالإسلام ليضربوه من داخله.

ولما كان القرآن محفوظا من كل تغيير وتبديل في ألفاظه، فلا يمكنهم الزيادة فيه، أو النقص منه، لم يجدوا حيلة أمامهم إلا هذا التأويل المفترى، وهذا الادعاء ببواطن خفية يقولون فيها ما يشاءون، دون ضابط من لغة أو عقل أو شرع[3].

9 ــ انتشار التفسير الاعتزالي في المنطقة والذي حاول فيه شيوخه التوفيق بين مذهبهم والقرآن بكل ما يستطيعون من وسائل التوفيق، تارة بتطبيق مبدئهم اللغوي على كثير من آيات القرآن الكريم، حتى يتمشى النص القرآني مع قواعد مذهبهم أو يتخلصوا من معارضته ومصادمته لهم على

(1) ــ سورة فصلت. الآية 40.

(2) ــ انبرى الإمام أبو حامد الغزالي في القرن الخامس الهجري للرد على الباطنية، وكتب كتابه الشهير (فضائح الباطنية) عقد فيه فصلا لتأويلاتهم للظواهر، ذكر فيه نماذج عجيبة، تعد أغرب من الخيال. حققه الدكتور عبد الرحمن بدوي، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1964م.

(3) ــ يوسف القرضاوي. من محاذير التفسير. سوء التأويل. مجلة إسلامية المعرفة.ماليزيا، العدد الثامن، السنة الثانية، ذو الحجة 1417هـ /ابريل 1997م، ص117.

الأقل، وتارة بتحويل النص القرآني، والتصرف فيه مما يجعله في جانبهم لا في جانب خصومهم. ولكن امتدت إلى تفاسيرهم يد الزمان فضاعت بتقادم العهد علينا، وحرمت المكتبة الإسلامية العامة من معظم هذا التراث العلمي الذي لو بقي إلى يومنا هذا لألقى لنا ضوءا واضحا على مدى التفكير التفسيري لشيوخ مذهب الاعتزال.

ولئن كان أهل السنة قديما قد أطلقوا على تفاسير المعتزلة اسم (التفاسير البدعية) فإنه ينبغي لنا نحن اليوم ـــ كما يقول الدكتور عبد المنعم النمر ـــ: "أن لا نتأثر بهذه الخصومة بعد أن ركدت ريحها، وذهب زمانها، وبالتالي نرى بجانبنا على كتب المعتزلة وآرائهم جملة، بل ننظر إليها من حيث الموضوع غير متأثرين ولا وارثين لخصومة أهل السنة لهم ...

ففي هذه الكتب والتفاسير ما لا يحصى من الفوائد العلمية، وآرائهم الخاصة تحت نظرنا، يأخذ بها من يأخذ ويتركها من يترك"[1].

10 ـــ نمو التفسير الفقهي وخصوصا عند الحنفية ؛ لأنه يقوم على تركيز مذهبهم، والترويج له، والدفاع عنه.

(1) ـــ عبد المنعم النمر. **علم التفسير. كيف نشأ وتطور. حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر**، ط1. القاهرة: دار الكتاب المصري، 1985م. ص102.

3 ــ السنة النبوية وعلومها

السنة النبوية وحي من الله إلى نبيه محمد ﷺ وهي أصل من أصول الدين وركن في بنائه القويم، يجب اتباعها وتحرم مخالفتها، على ذلك أجمع المسلمون وتضافرت الآيات على وجه لا يدع مجالا للشك، فمن أنكر ذلك فقد نابذ الأدلة القطعية واتبع غير سبيل المؤمنين.

وهي بوجه عام تعني: "كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة"[1].

وقد جاءت الآيات القرآنية الدالة على حجية السنة النبوية، ومن الآيات في ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4].

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[5].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[6].

أما من السنة فقد وردت أحاديث تثبت مكانة السنة النبوية في التشريع الإسلامي ومنها:

1 ــ عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه"[7].

2 ــ وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه،

---

(1) ــ محمد لطفي الصباغ. **الحديث النبوي. مصطلحه ــ بلاغته ــ كتبه**. ط5، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، 1986م، ص117 وما بعدها.

(2) ــ سورة النجم. الآية 3 ــ 4.

(3) ــ سورة النحل. الآية 44.

(4) ــ سورة الحشر. الآية. 7.

(5) ــ سورة آل عمران. الآية 31.

(6) ــ سورة النساء. الآية 65.

(7) ــ رواه أبو داود في باب لزوم السنة. [5 / 12 ج 4605] ورجاله كلهم ثقات، ورواه أيضا الترمذي في كتاب العلم من جامعه (5 / 37 ج 2663) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله"[1].

3 ـــ وعن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[2].

وعلى هذا الأساس فإن علماء خراسان وما وراء النهر أولوا السنة النبوية عناية فائقة، وبذلوا في خدمتها جهودا معتبرة، وقبل التعرض في تعداد هذه الجهود، ومعرفة ما أضافه علماء المنطقة من جديد في هذا المجال، لابد من ذكر نبذة مختصرة عن تطور تدوين السنة قبل القرن الثالث للهجرة، لمعرفة ما أضافه علماء المنطقة من جديد في هذا الميدان.

3 ـ 1 ـ تدوين السنة وتصنيفها قبل القرن الثالث الهجري

عرف الصحابة رضوان الله عليهم منزلة السنة فتمسكوا بها، وتتبعوا آثار الرسول ﷺ، أبوا أن يخالفوها حتى ثبتت عندهم، كما أبوا أن ينحرفوا عن شيء، فارقهم عليه، واحتاطوا في رواية الحديث عنه عليه الصلاة والسلام. خشية الوقوع في الخطأ، وخوفا من أن يتسرب إلى السنة المطهرة الكذب أو التحريف. وهي المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره، فآثروا الاعتدال في الرواية عن رسول الله ﷺ بل إن بعضهم فضّل الإقلال منها[3].

قال ابن قتيبة: "كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية، أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه، وكان يأمرهم بأن يقلّوا الرواية، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها، ويدخلها الشوب، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي، وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله ﷺ، كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلّون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا

---

(1) ـــ رواه أبو داود في باب لزوم السنة (5 / 10 ج 4604) ورجاله كلهم ثقات، ورواه أيضا الترمذي في كتاب العلم من جامعه (5 / 38 ج 2664) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(2) ـــ رواه الترمذي في كتاب العلم عند رسول الله ـــ باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وابن ماجة في كتاب المقدمة ـــ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ـــ رقم 42.

(3) ـــ محمد عجاج الخطيب. **السنة قبل التدوين**. ط2، بيروت: دار الفكر. 1971م. ص 92.

يكاد يروي شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة"[1].

بعد وفاة النبي ﷺ استشعر الصحابة الكرام عظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم لحفظ الشريعة كتابا وسنة، وتطبيقها ثم تبليغها إلى الأمة أداء للأمانة التي اختيروا لها كما أداها رسول الله ﷺإليهم.

ومع الفتح الإسلامي انتشر الصحابة في الأمصار ووصلوا إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر[2] "وكان للصحابة الذين وردوا خراسان حظوظ مختلفة في رواية الحديث، وقد تفاوتت حظوظهم في روايته بسبب تفاوتهم في صحبة رسول الله ﷺوملازمته، وكان أكثرهم من الصحابة الذين تحوّلوا من المدينة إلى البصرة ثم نزلوا بخراسان"[3]. واستوطنوا ديارها يرشدون أهلها، ويعلمون أبناءها. وقد دخل الناس في دين الله أفواجا. والتفوا حول الصحابة الكرام ينهلون من معينهم، ويرتوون من نبعهم ويأخذون عنهم سنة المصطفى ﷺ. وتخرج في حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم، وحفظوا السنة الشريفة المطهرة. إذ هم نقلة الشريعة وحفظتها والقائمين عليها، وسدنتها، فبهم يستبين الصحيح من الفاسد من حديث رسول الله ﷺوخاصة بعدما التبس الحق بالباطل، ورتع في وضع الحديث كل عاطل، وهيهات فإن حفظ الله قائم لشرعه ويد الله تعمل في الخفاء ولا تعرّضوا لها ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[4].

"وقد نظر الخلفاء الراشدون وتابعهم سائر الصحابة إلى السنة الشريفة فألفوها كنوزا ثمينة في صدور الذين أوتوا العلم فلم يشاءو أن يعرضوها في سوق الرواية، لئلا يتخذ المنافقون من شيوع الحديث عن رسول الله ﷺذريعة للتزيد فيه وسلّما لتزييف الحديث عن رسول الله ﷺولئلا تزل بالمكثرين أقدامهم فيسقطوا في هوة الخطأ والنسيان فيكذبوا على رسول الله من حيث لا يشعرون كما كرهوا أن يشتغل الناس برواية الحديث وينصرفوا عن تلاوة القرآن ولما تيسّر حفظه لكثير منهم. لذلك نجدهم قد أنفقوا من السنة بقدر حسب ما يعنّ لهم من مسائل الفتوى والقضاء"[5].

وقد كره الصحابة كتابة الحديث ؛ لأن من كان قبلهم اتخذوا الكتب فأعجبوا بها فكانوا

(1) ــ ابن قتيبة الدينوري. **تأويل مختلف الحديث**. مصر: مطبعة كردستان العلمية، 1326هـ، ص48 ــ 49.

(2) ــ انظر: ملحق أسماء الصحابة والتابعين في خراسان.

(3) ــ حسين عطوان. **الدراسات الدينية بخراسان** ... مرجع سابق. 85.

(4) ــ سورة المدثر. الآية 31.

(5) ــ محمد محمد أبوزهو. **الحديث والمحدثون. أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1984م. ص 66 ــ 67.

يكرهون أن يشتغلوا بها عن القرآن. وكما قال الخطيب البغدادي: "إن كراهة من كره الكتابة من الصدر الأول، إنما هي لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه"[1].

كاد القرن الأول ينتهي ولم يصدر أحد من الخلفاء أمره إلى العلماء بجمع الحديث بل تركوه موكولا إلى حفظهم وبعض كتابات لأفراد منهم يعملونها لأشخاصهم أو لمن يطلب منهم، ومرور مثل هذا الزمن الطويل كفيل بتركيز القرآن في نفوسهم، فقد أصبح يتلوه القاصي والداني ويعرفه الخاص والعام، لا يختلف فيه أحد ولا يتشكك في شيء من آياته، ولأول وهلة يسمع المسلم حرفا من القرآن يعلم لوقته أنه هو القرآن لا غيره يحمل متانة ألفاظه وجزالة أسلوبه وقوة إعجازه.

ومرور هذا الزمن الطويل كفيل أيضا بأن يذهب بكثير من حملة الحديث من الصحابة والتابعين ويهيأ لكثير من أهل الأهواء كالخوارج والروافض أن يتزيدوا في الحديث ما شاءوا وشاءت لهم أهواؤهم. ومرور مثل هذا الزمن جعل العرب يختلطون بالأعاجم في البلدان المختلفة فيحصل بينهم الازدواج والتناسل فينشأ جيل جديد قليل الضبط ضعيف الحفظ.

لذلك لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز في العام التاسع والتسعين من الهجرة نظر بثاقب رأيه إلى الحديث النبوي فوجد من الواجب عليه كتابته وتدوينه فقد زال المانع وتوفرت الدواعي[2].

ويتضح من جملة الأخبار المروية في هذا الشأن أن خوف عمر بن عبد العزيز من دروس العلم وذهاب أهله هو الذي حمله على الأمر بالتدوين. فكتب إلى عامله على المدينة أبو بكر محمد بن حزم الأنصاري بذلك.

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن دينار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: "أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّا"[3].

وكتب عمر إلى أهل الآفاق وإلى عمال الأمصار بمثل ما كتب إلى ابن حزم، وكان أول من استجاب له في حياته وحقق له غايته عالم الحجاز والشام محمد بن شهاب الزهري المدني (124هـ)،

(1) ــ الخطيب البغدادي. **تقييد العلم**. تحقيق يوسف العش. دمشق: 1949م. ص 57.

(2) ــ محمد أبوزهو. **الحديث والمحدثون**. مرجع سابق. ص 127.

(3) ــ **صحيح البخاري**. كتاب العلم باب كيف يقبض العلم.

الذي قال: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترا دفترا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا"[1]. وحقّ للزهري أن يفخر بعلمه قائلا: "لم يدوّن هذا العلم أحد قبل تدويني"[2].

"وقد كانت طريقتهم في التدوين تتبع وحدة الموضوع فهم يجمعون في المؤلف الواحد الأحاديث التي تدور حول موضوع واحد كالصلاة مثلا يجمعون الأحاديث الواردة فيها في مؤلف واحد وهكذا الصوم والزكاة والطلاق وهلم جرا" [3].

ومع القرن الثاني للهجرة ظهرت طبقة من العلماء الأفذاذ تلت طبقة الزهري، خدموا السنة فدونوها نذكر منهم:

ابن جريج بمكة (150هـ)، وابن إسحاق (151هـ) ومالك (179هـ) بالمدينة، والربيع ابن صحيح (160هـ) وسعيد بن أبي عروبة (156هـ)، وحماد بن سلمة (176هـ) بالبصرة، وسفيان الثوري (161هـ) بالكوفة، والأوزاعي (156هـ) بالشام، وهشيم (188هـ) بواسط، ومعمر (153هـ) باليمن، وجرير ابن عبد الحميد (188هـ) وابن المبارك (181هـ) بخراسان[4].

ويمكن أن نوجز الكلام عن التدوين ومصنفاته في هذا القرن في النقاط التالية:

1 ــ ظهور التفريق بين التدوين الذي هو مجرد الجمع وبين التصنيف الذي هو الترتيب والتبويب والتمييز في المصنّفات في هذا القرن.

2 ــ أن هذه المصنفات المدونة في هذا العصر قد جمعت إلى جانب أحاديث الرسول ﷺ أقوال الصحابة وفتاوى التابعين بعد أن كانت تتناقل مشافهة وكانت الصحف فيما مضى تقتصر على الأحاديث النبوية فقط.

3 ــ طريقة التدوين في مصنفات هذا القرن هي: جمع الأحاديث المتناسبة في باب واحد ثم يجمع جملة من الأبواب أو الكتب في مصنف واحد بينما كان التدوين في القرن الماضي مجرد جمع الأحاديث في الصحف بدون ترتيب أو تمييز.

4 ــ إن مادة المصنفات في هذا القرن قد جمعت من الصحف والكراريس التي دونت في عصر

---

(1) ــ ابن عبد البر. **جامع بيان العلم وفضله**. بيروت دار الكتب العلمية. (د. ت) ج1 / 76.

(2) ــ الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص4.

(3) ــ محمد أبوزهو. **الحديث والمحدثون**.. مرجع سابق. ص 128 ــ 129.

(4) ــ المرجع نفسه. ص 244.

الصحابة والتابعين، ومما نقل مشافهة من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.

وقد حملت مصنفات علماء القرن الثاني عناوين: (موطأ ـــ مصنف ـــ جامع ـــ سنن)، وبعضها كان بعناوين خاصة مثل: (الجهاد ـــ الزهد ـــ المغازي والسير...)[1].

3 ـ 2 ـ أشهر علماء الحديث في خراسان وما وراء النهر وجهودهم في خدمة السنة النبوية

أما في القرن الثالث الهجري فيعتبر عصر ازدهار العلوم الإسلامية عامة وعلوم السنة النبوية خاصة بل يعدّ هذا القرن من أسعد القرون بخدمة الحديث وتمحيصه ونقد رواته، وتمييز صحيحه من حسنه، وضعيفه من غريبه. وقد تطور علم الحديث، وتفرع عنه جملة من العلوم الخاصة بالمصطلح، منها:

علم الرجال[2] وعلم الناسخ والمنسوخ[3]، وعلم الإسناد[4]. ثم أتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في فنون الحديث، من غريب ومشكل، أو مفترق، أو مختلف. ولقد قام العلماء في هذا القرن بنقد الحديث، ونقد السند، ودققوا في سير المحدثين وتراجمهم، ووضعوا علم الجرح والتعديل[5] على أصول محددة، ووصلوا في ذلك إلى غاية بعيدة، ثم ألف العلماء في علوم الحديث وأكثروا، وانصرفت العناية بعد ذلك إلى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفيها، والنظر في أسانيدها إلى مؤلفيها، وعرض ذلك على ما تقرر بالرواية عن مصنفيها من الشروط والأحكام لتنقل الأسانيد المحكمة

---

(1)- محمد بن مطر الزهراني. **تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره**. ط1. الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع. 1996م. ص89 -90.

(2) ـــ علم الرجال: هو معرفة وفيات الصحابة والتابعين، ورجال الحديث، وعلمائه ومعرفة مواليدهم ومقادير أعمارهم ليكون هذا وسيلة لمعرفة الحديث الصحيح والحسن والضعيف وتمييز الصحيح من السقيم، والمقبول من المردود. انظر: حسن محمد مقبولي الأهدل. **مصطلح الحديث ورجاله**. ط2. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد. 1990م. ص 222.

(3) ـــ علم الناسخ والمنسوخ: وهو علم يبحث عن الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ، وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ، فما ثبت تقدمه يقال له منسوخ وما ثبت تأخره يقال له ناسخ. انظر: صبحي الصالح. **علوم الحديث ومصطلحه**. ط12، بيروت: دار العلم للملايين. 1981م. ص 113.

(4) ـــ علم الإسناد: هو رفع الحديث لقائله، وقد يطلق على سلسلة الرجال الموصلة للمتن فيكون بهذا مرادفا للسند. انظر: مناع خليل القطان. **مباحث في علوم الحديث**. مكتبة وهبة، عابدين، 1987م. ص 50.

(5) ـــ علم الجرح والتعديل: "هو علم يبحث فيه عن القواعد المعتمدة في تعيين مرتبة راوي الحديث جرحا وتعديلا من خلال ألفاظ وعبارات تعديل وتجريح خاصة". أمين أبولاوي. **علم أصول الجرح والتعديل**. ط1، الخبر: دار ابن عفان للنشر والتوزيع، 1997م، ص72.

إلى منتهاها[1].

وقد نشطت حركة الرحلات التي تميزت بها الحياة العلمية في القرن الثالث الهجري، وخصوصا الرحلة في طلب الحديث إلى البلاد النائية لتلقي الرواية من أفواه الرعيل الأول من الرواة. واختلفت أشكال الرحلة وصورها باختلاف الأشخاص والأمصار والأجيال، وأصبح الذي يوصف بأنه "طوّاف الأقاليم" موضع إكبار وإجلال في جميع العصور.

وتبعا لذلك نشط التأليف في علم الرجال وتوسّع في تدوين الحديث، فظهرت كتب المسانيد والكتب الستة الصحاح والسنن التي اعتمدتها الأمة واعتبرتها دواوين الإسلام"، وقد قدمت لنا كتب التراجم والطبقات مئات الأسماء لعلماء انتسبوا إلى خراسان وما وراء النهر أثروا الحياة العلمية. بحفظهم لسنة رسول الله ﷺ، وأحاديثه الشريفة ونقلوها لمن بعدهم، وابتكروا علوما تسهم في ضبط ما يروي عن النبي ﷺ، ليحفظوه متنا وسندا، وبذلوا في سبيل ذلك كل غال وثمين، وضربوا أكباد الإبل في أنحاء الأرض الإسلامية ؛ حبّا في رسول الله ﷺ. وخدمة لسنته المطهرة"[2].

ولا ريب أن الاهتمام بالحديث جمعا وضبطا وتمحيصا وتنقيحا كان في مدينة نيسابور التي وصفت بأنها "دار السنة والعوالي"[3]، وكان لعلمائها في هذا الشأن"الرحلة إلى الآفاق والاجتماع بالأئمة الحذاق"[4]. وقد انجفل إليهم طلبة العلم والراغبون في دراسة الحديث وعلومه من أقطار الأرض. وقيل في حق مصنفاتهم في الحديث بأنها"من أنفع الكتب وأجلها"[5].

ويؤكد ذلك الدكتور أكرم ضياء العمري بقوله: "وقد برزت نيسابور كمركز من مراكز الحديث المهمة منذ القرن الثالث الهجري حتى بلغ عدد علمائها والواردين عليها خلال القرن الثالث 1135 عالما ترجم لهم الحاكم في تاريخ نيسابور"[6].

(1)ــ صنف في علم الحديث ومصطلحه مصنفات هامة قديما وحديثا، يمكن الرجوع إليها. من أهمها: ابن الصلاح. علوم الحديث. الخطيب البغدادي. الكفاية في علم الرواية. ابن حجر. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر. الحاكم النيسابوري. معرفة علوم الحديث. أحمد محمد شاكر. الباعث الحثيث. محمد عبد العظيم الزرقاني. المنهل الحديث في علوم الحديث. صبحي الصالح علوم الحديث ومصطلحه.

(2) ــ انظر: عبد الباري. **خراسان وما وراء النهر** ... مرجع سابق. ص 236.

(3) ــ الذهبي. **الأمصار ذوات الآثار**. تحقيق قاسم علي سعد، ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1986م.ص205.

(4) ــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص123، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص779.

(5) ــ المصدر نفسه. ج11/ص149.

(6) ــ أكرم ضياء العمري. **العلامة الأنصاري الهروي**. مقال بمجلة المورد. العراق. العدد الأول. السنة 1397هـ / 1977م. م6، ص 65.

.../...

ويطالعنا في فترة الدراسة عدد عظيم من رجال الحديث كان لهم فضل محمود في الكتابة والتصنيف في هذا الباب من أبواب علوم الوحي.

و الحقيقة أن ذكر جميع العلماء الذين شاركوا في علم الحديث لا يتسع له المقام، وذلك لأن دراسة الحديث كانت من أهم الأساسيات في تكوين العالم المسلم، وبمعنى آخر فإن كل العلماء ـــ بغض النظر عن تخصصهم العلمي ـــ شاركوا في علم الحديث تصنيفا أو تدريسا، مع تفاوت في درجة المشاركة؛ ولذلك فإننا نقصر الذكر على البارزين منهم فنذكر:

أبا إسحاق إبراهيم بن نصر المطوعي النيسابوري، الذي رحل في طلب الحديث، وقد كان أبو زرعة يقدمه في حفظ للسند ويثني عليه، صنّف "المسند" واستشهد في وقعة بابك الخرمي سنة (216هـــ)[1] وقيل سنة (213هـــ)[2].

وللفائدة نذكر أن تاريخ علماء نيسابور جمعه عدد من الأئمة منهم:

ـــ الحافظ أبو الحسن أحمد بن سيار المروزي (ت 268هـــ) وسمى كتابه"تاريخ نيسابور".

ـــ والحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم، الذي كان يعرف بابن البيّع، (ت 405هـــ) وسمى كتابه "تاريخ نيسابور" أيضا.

ـــ وللحافظ أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي ثم النيسابوري (ت 529هـــ) ذيل على كتاب أبي عبد الله الحاكم، سماه"السياق لتاريخ نيسابور".

ـــ وللحافظ تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفيني (ت641هـــ) كتاب"المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور". وهو الكتاب المطبوع، وما عداها ففي حكم المفقود.

(1) ـــ بابك الخرمي: هو صاحب حركة دينية سياسية تدين بالخرمية، والخرمية ماهي إلا المزدكية التي تؤمن بالحلول، والتناسخ، وأن روح"جاويدان"مؤسس المذهب دخلت في بدن بابك، وكذلك القول بالرجعة، وإباحة النساء.

والمعروف عن المزدكية أن مذهبهم أقرب إلى الموادعة، ولكن بابك طوّر الخرمية فجعلها تؤمن بالمقاومة المسلحة والإرهاب ويشير ابن النديم إلى أن بابك"أحدث في مذاب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة، و لم تكن الخرمية تعرف ذلك".

بدأت سيرة بابك الخرمي السياسة سنة 200هـــ، وانتهت بقتله سنة 222هـــ، بعدما شملت حركته أذربيجان وإقليم الجبال، وأرمينية، ومركز في الجبال الشاهقة، وعرف المسالك، واستخدم أتباعه الكمائن، ووضعوا العوائق أمام بش العباسيين النظامي، ولكن الأفشين قائد الجيش العباسي كان لا يمد قدما دون أن يثبت الأولى، فأطال أمد الحرب، واختار مواقع حصينة، وشدد الحراسة على العراق، حتى تمكن من القبض على بابك أسيرا، وأرسله إلى المعتصم في سامراء، حيث أمر الخليفة بأن يستعرض بابك في الشوارع راكبا على فيل ثم أعدم في اليوم نفسه. انظر: ابن النديم. **الفهرست**. ص416ـــ 418، الدينوري. **الأخبار الطوال**. ص367ـــ 370، فاروق عمر فوزي. **تاريخ إيران**. مرجع سابق، ص93-97.

(2) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص414، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 183، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص61.

والإمام الحافظ المتقن الثبت، محدث خراسان[1]، أبو زكريا يحي بن يحي بن بكير الحنظلي النيسابوري (ت 226هـــ)، كان يشبه ابن المبارك في وقته. روى عن مالك والليث وطبقته، قال ابن راهويه: "ما رأيت مثل يحي بن يحي، ولا أحسبه رأى مثل نفسه، ومات وهو إمام أهل الدنيا". أخذ عنه الحديث مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح[2].

زهير بن حرب بن شداد النسائي (234هـــ) من أئمة الحديث الثقات المتقنين، رحل في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة، وسمع من العلماء في هذا الشأن، روى عنه مسلم ألفا ومائتين وواحدا وثمانين حديثا. وكان حجة في الرجال، وثّقه غير واحد من العلماء أمثال ابن حبان في الثقات. قال في حقه: "كان أبو خيثمة متقنا ضابطا". وقال الصفدي: "كان من كبار الأئمة في الأثر". من آثاره: "كتاب المسند"، و"كتاب العلم" مطبوع بدمشق سنة 1966م[3].

أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي. الحافظ[4]، المجتهد، الحجة، عالم المشرق، النيسابوري (ت 238هـــ) المعروف بابن راهويه، صاحب التصانيف منها: "المسند" و"التفسير"

---

(1) ـــ يطلق على الشخص الذي يقوم برواية الحديث لقب (المحدث) وهو: "من علم طرق إثبات الحديث، وعلم عدالة رجاله وجرحهم، دون المقتصر على السماع"وقال ابن سيد الناس: والمحدث في عصرنا من اشتغل بالحديث رواية ودراية، وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره، وتميّز في ذلك حتى عرف فيه خطه، واشتهر فيه ضبطه". انظر: ظفر أحمد العثماني. **قواعد في علوم الحديث**. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط3، بيروت: دار القلم، 1972م، ص27.

(2) ـــ ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج11/ص259، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2/ص91، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / 59، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 181.

(3) ـــ ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج3/ص296، ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**.ج2/ص276، سزكين. **تاريخ التراث العربي**. ج1/ص293.

(4) ـــ أطلق العلماء على طلاب الحديث ألقابا مختلفة، تبعا لنشاطهم في الرحلة والتجوال ووفق درجة حفظهم وإتقانهم. وأشهر الألقاب التي نبهوا على التمييز بينها ثلاثة: المسند، والمحدث والحافظ، والحاكم.

فالمسند: هو من يروي الحديث بإسناده، سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرّد روايته.

أما المحدّث: فهو أرفع منه بحيث عرف الأسانيد والعلل، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني، وضمّ إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية.

أما الحافظ: فهو أعلاهم درجة وأرفعهم مقاما. فمن صفاته: أن يكون عارفا بسنن رسول الله ﷺ بصيرا بطرقها مميزا لأسانيدها. يحفظ منها ما أجمع أهل المعرفة. على صحته، وما اختلفوا فيه للاجتهاد في حال نقلته.

أما الحاكم: فهو الذي يحيط علما بجميع لأحاديث حتى لا يفوته منها إلا اليسير". السيوطي. **تدريب الراوي**. (ج1 / ص43)، صبحي الصالح. **علوم الحديث ومصطلحه**.. مرجع سابق. ص 75.

و"السنن في الفقه" و"كتاب العلم" وله جزء حديثي مشهور[1].

أبو الحسن محمد بن أسلم الطوسي (ت 242هـــ)، شيخ المشرق في الحديث كم وصفه الذهبي، وقال ابن خزيمة في حقه مبيّنا مكانته العلمية في الحديث "حدثنا رباني هذه الأمة" و"حدثني من لم تر عيناي مثله"، وقد شد الرحال، وأصاب في التجوال. عرف بعلو الإسناد في الحديث. قال الذهبي: "كان من الثقات الحفاظ والأولياء الأبدال، سمعت الأربعين له بالعلو وأقدم شيخ له النضر بن شميل" من آثاره المشهورة كتاب "المسند" وكتاب "الأربعين"[2].

علي بن الحسن بن عبد الرحمن بن يزيد، أبو الحسن الذهلي النيسابوري المعروف بالأقطس (ت251هـــ) ويعدّ شيخ عصره في نيسابور، سمع الحديث من كبار المشايخ، وعقد المجالس العلمية، يؤم مجلسه أكثر من عشرة آلاف طالب، يكتبون عنه الآثار النبوية، وبرّز مئتا إمام مؤهلين للفتوى، ومن أشهر مصنفاته: "مسند مخرّج على الرجال في الصحابة"[3].

أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد الله الذهلي النيسابوري (ت 258هـــ)، أمير المؤمنين في الحديث، كثير الرحلة في طلب الحديث. قال عنه الخطيب: "كان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للتقنين، والثقات المأمونين". وقال النسائي في مشيخته: "ثقة ثبت أحد الأئمة في الحديث" وقال فيه أحمد بن سيار المروزي صاحب تاريخ مرو: "كان ثقة كتب الكثير ودوّن الكثير". طارت شهرته في الآفاق. وعلا كعبه في الحديث بتصنيفه حديث الزهري الذي قال في حقه أحمد بن حنبل: "ما رأيت خراسانيا، أو قال: ما رأيت أحدا أعلم بحديث الزهري منه ولا أصح كتابا منه"، وحين سئل ابن معين عن جمع حديث الزهري قال: "كفانا محمد بن يحي جمع حديث الزهري"، وقال الدارقطني مبيّنا قيمة هذا الكتاب: "من أحب أن يعرف قصور علمه عن علم السلف. فلينظر في علل حديث الزهري لمحمد بن يحي". وذكر الكتاني أن حديث الزهري كتاب في مجلدين موسوم بـــ"الزهريات"[4].

---

(1)-الخطيب.**تاريخ بغداد**.ج6/ص343، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج11/ص358، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص433،ابن حجر.**تهذيب التهذيب**.ج1/ص190، ابن الندم. **الفهرست**.ص281. السيوطي.**طبقات الحفاظ**.ص191.

(2) ـــ الذهبي. **تاريخ دول الإسلام**. ج18/ص7، **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص532، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 238، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 /ص 100.

(3) ـــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج12/ص53، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص235 ـــ 236.

(4) ـــ ابن حجر. **تهذيب التهذيب**.ج9/ص452، الخطيب. **تاريخ بغداد**.ج4/ص185، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج12/ص147، الذهبي. **العبر**.ج1/ص371، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 238، ابن العماد. **شذرات الذهب**.ج2/ ص138،الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص110.

الإمام الكبير الحافظ البارع الحجة أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ) أحد الحفّاظ الأربعة في هذه الدنيا وهم: "أبوزرعة، وعبد الله الدارمي، والبخاري ومسلم".

قال عنه النووي: "إمام أهل الحديث، أجمعوا على جلالته وإمامته وعلو مرتبته وحذقه في هذه الصنعة وتقدمه فيها وتضلعه منها، ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها كتابه الصحيح الذي لم يوجد في كتاب قبله ولا بعده من حسن الترتيب وتلخيص طرق الحديث بغير زيادة ولا نقصان، والاحتراز من التحويل في الأسانيد عند اتفاقها من غير زيادة، وتنبهه على ما في ألفاظ الرواة من اختلاف في متن أو إسناد ولو في حرف واعتنائه بالتنبيه على الروايات المصرحة بسماع للمدلسين وغير ذلك مما هو معروف في كتابه. وقد ذكرت في مقدمة شرحي لصحيح مسلم جملا من التنبيه على هذه الأشياء وشبهها مبسوطة ووضحته ثم نبهت على تلك الدقائق والمحاسن في أثناء الشرح في مواطنها وعلى الجملة فلا نظير لكتابه في هذه الدقائق وصنعة الإسناد.

واعلم أن مسلما رحمه الله أحد أعلام هذا الشأن وكبار المبرزين فيه وأهل الحفظ والإتقان، والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان والمعترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان والمرجوع إلى كتابه والمعتمد عليه في كل الأزمان. قال الحاكم أبو عبد الله: حدثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم قال سمعت أحمد بن سلمة يقول: رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الحديث. ومن حقق نظره في صحيح مسلم رحمه الله واطلع على ما أودعه في إسناده وترتيبه وحسن سياقه وبديع طريقه من نفائس التحقيق وجواهر التدقيق وأنواع الورع والاحتياط والتحري في الروايات وتلخيص الطرق واختصارها وضبط متفرّقها وانتشارها وكثرة اطلاعه واتساع روايته وغير ذلك مما فيه من المحاسن والاعجوبات واللطائف الظاهرات والخفيات علم أنه إمام لا يلحقه من بعد عصره، وقلّ من يساويه بل يدانيه من أهل دهره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وقد اقتصرت من أخباره ﷺ على هذا القدر. فإن أحواله ﷺ ومناقبه ومناقب كتابه لا تستقصى لبعدها عن أن تحصى".

وقد استطاع الإمام مسلم أن يحدث حركة علمية نشطة في علم الحديث بنيسابور حيث تخرّج على يده علماء لم يبلغوا مبلغه في الحديث وأخرجوا عليه كتبا في الحديث. قال ابن حجر: "وقد نسج على منواله خلق من النيسابوريين فلم يبلغوا شأوه، وحفظت منهم أكثر من عشرين إماما ممن

صنّف المستخرج على مسلم فسبحان المعطي الوهاب".

ولعلّ من شواهد علمه وسعة معارفه ما صنّفه الإمام مسلم رحمه الله في علم الحديث من كتب كثيرة نذكر منها:

1- صحيح مسلم:وهو أشهر كتبه، وأحد الصحيحين للمعوّل عليهما عند أهل السنة في الحديث.

2 ــ كتاب الأسامي والكنى.

3 ــ كتاب الأفراد والواحدان"وهو ترجمة للرواة الذين يروون حديثا واحدا عن راو واحد فقط".

4 ــ رجال عروة.

5 ــ المسند الكبير على الرجال.

6 ــ كتاب الجامع الكبير على الأبواب.

7 ــ كتاب الأقران.

8 ــ كتاب حديث عمرو بن شعيب.

9 ــ كتاب مشايخ الثوري.

10 ــ كتاب مشايخ مالك بن أنس

11 ــ كتاب المخضرمين.

12 ــ كتاب أولاد الصحابة.

13 ــ كتاب أوهام المحدثين.

14 ــ كتاب الطبقات.

15ــ كتاب من ليس له إلا راو واحد.

16 ــ كتاب أفراد الشاميين.

17 ــ كتاب التمييز في الحديث.

18 ــ كتاب العلل.

19 ــ كتاب التاريخ.

20 ــ كتاب سؤالاته أحمد بن حنبل.

21 ــ كتاب الانتفاع بأهب السباع.

ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه الكتب مخطوط ومطبوع. والبعض مفقود[1].

ومن مشاهير علماء الحديث بنيسابور:

أبو الفضل أحمد بن سلمة بن عبد الله النيسابوري (ت 286هـ) أحد الحفاظ المتقنين، رافق مسلم بن الحجاج النيسابوري في رحلته إلى قتيبة بن سعيد في بلخ، وفي رحلته الثانية إلى البصرة، وكتب بانتخابه على الشيوخ، ثم جمع له مسلم الصحيح في كتابه. حدّث عنه أبو زرعة الرازي، ومحمد بن مسلم بن واره، وهما من شيوخه.

صنّف كتاب "المسند الصحيح" الذي عدّ كصحيح مسلم في منهجيته وقيمته العلمية فملازمته

(1) ــ انظر ترجمته في: ابن حجر. **تهذيب التهذيب**.ج10/ص113، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص588، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص264، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2/ص174، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5/ص194، ابن النديم. **الفهرست**. ص282، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج12/ص557، ابن النديم. **الفهرست**. ص 282، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص144، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج13/ص101، الزركلي. **الأعلام**. ج7/ص221.

لمسلم أثمرت علما وعطاءا[1].

أبو علي الحسين بن محمد بن زياد النيسابوري القباني (ت 289هـــ)، أحد أركان الحديث، واسع الرحلة كثير السماع، يجتمع أصحاب الحديث إليه بنيسابور بعد مسلم. وله في هذا المضمار دراسات قيمة، فقد صنّف في الحديث كتاب: "المسند" و"كتاب الكنى" و"كتاب اتباع الأتباع"و"كتاب التاريخ"[2].

إبراهيم بن محمد بن نوح بن عبد الله النيسابوري، المعروف بابن أبي طالب (ت295هـــ). محدّث نيسابور. له كتاب "العلل في الحديث" الذي أملاه على طلابه[3].

أبو عمرو الخفاف الحافظ الإمام المحدث، أحمد بن نصر بن إبراهيم النيسابوري، (ت 299هـــ). تنقّل بين خراسان والكوفة وبغداد والحجاز وسمع الحديث عن مشايخها، ثم رجع إلى نيسابور وأقام فيها، وعقد مجالس الحديث، وكان يلقى بمجلسه أكثر من مائة ألف حديث؛ لهذا قيل: "لم يكن بخراسان أحفظ منه للحديث". وقيل أيضا: "ما رأيت أحفظ من أبي عمرو الخفاف، كان يسرد الحديث سردا حتى المقاطيع والمراسيل"[4].

وعرف من رجال الحديث الكبار أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان النسائي النيسابوري (ت 303هـــ). الإمام الحافظ الثقة. قال عنه ابن كثير: "هو الإمام في عصره والمقدم على أضرابه وأشكاله وفضلاء دهره، رحل إلى الآفاق، واشتغل بسماع الحديث والاجتماع بالأئمة الحذاق... روى عنه خلق كثير، وقد أبان في تصنيفه عن حفظ واتقان وصدق وإيمان، وعلم وعرفان. وقال الحاكم النيسابوري: نقلا عن الدارقطني: "أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر بهذا العلم من أهل عصره. وكان يسمى كتابه الصحيح. قال أبو علي الحافظ: "للنسائي شرط في الرجال أشد من شرط مسلم بن الحجاج، وكان من أئمة المسلمين" وقال أيضا:

---

(1) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج4/ص408، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص637، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 283، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**.ص28، ابن العماد. **شذرات الذهب**. 2ج /ص 192.

(2) ــ ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص680، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج 2 / ص201. اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2/ص217، الزركلي. **الأعلام**. ج2/ص253.

(3) ــ السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 283 ــ 284، الذهبي. **العبر**. ج1/ص427.

(4) ــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. (حوادث وفيات 291هـــ ــ 300هـــ)، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 290. ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص105ــ 106،، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص638. ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص218.

"هو الإمام في الحديث بلا مدافعة"[1].

ولعل شهرته طارت في الآفاق. وذاع صيته في الأمصار بسبب تصنيفه كتاب "السنن" الذي قال عنه عبد الرحيم المكي (من مشايخ مكة): "مصنّف النسائي أشرف المصنّفات كلها وما وضع في الإسلام مثله". وعدّ كتاب "السنن" من الصّحاح الستة. وهو جامع بين الحديث والفقه[2].

ويذكر حاجي خليفة أن كتاب السنن هذا مستخرج من كتاب السنن الكبير، حيث أن بعض الأمراء [3] سأله عن السنن الكبير أكله صحيح؟ فقال: لا، فطلب من أن يكتب الصحيح مجرّدا، فلخص السنن الصغير منها، وترك كل حديث أورده في الكبير مما تكلم في إسناده بالتعليل وسماه المجتبى، وهو أحد الكتب الستة[4].

وقال الحافظ ابن رشيد واصفا كتاب النسائي: "أبدع الكتب المصنفة في السنن تصنيفا وأحسنها ترصيفا. وكان كتابه جامعا بين طريقي البخاري ومسلم مع حظ كبير من بيان العلل.

وعلى الجملة فكتاب النسائي أقل الكتب الستة بعد الصحيحين حديثا ضعيفا ورجلا مجروحا، ويقاربه كتاب أبي داود والترمذي ويقابله من الطرف الآخر كتاب ابن ماجة فإنه تفرد فيه بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب"[5].

وقد اعتنى العلماء بكتاب النسائي كعنايتهم بغيره من الكتب الستة رواية وإسماعا ونسخا. وترجموا لرجاله ضمن رجال الكتب الستة[6]. وله من المصنّفات غير كتاب السنن الكبرى، والمجتبى أو السنن الصغرى: كتاب الضعفاء والمتروكين: وهو في رجال الحديث. وكتاب الخصائص في فضل الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وأهل البيت عليهم السلام. وكتاب مسند الإمام علي ﷺ. وكتاب مسند مالك ﷺ[7].

(1) ــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص123، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص10، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 306 ــ 307، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص155، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص698، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص239 ــ 241، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1/ص77، الزركلي. **الأعلام** ج1/ص170.

(2) ــ الأسنوي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص268.

(3) ــ هو أمير الرملة (مدينة عظيمة بفلسطين). وكانت رباطا للمسلمين. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج3/ص79.

(4) ــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2/ص1006.

(5) ــ الزهراني. **تدوين السنة النبوية**.. مرجع سابق. ص 142.

(6) ــ المرجع نفسه. ص 143.

(7) ــ انظر: قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. م2. رجال علم الحديث. مرجع سابق. ص 345.

وظهر أيضا من نسا أبو العباس الحسن بن سفيان الشيباني النّسوي، (ت 303هـ) كان أعلم محدثي خراسان في عصره، مقدما في الفقه والأدب، رحل إلى البلدان وسمع الكثير، وتفقه على أبي ثور، وكان يفتي على مذهبه، وأخذ الأدب عن أصحاب النضر بن شميل وإليه كانت الرحلة بخراسان، وصفه ياقوت بقوله: "إمام عصره في الحديث من غير مدافع".

من مصنفاته المشهورة في علم الحديث: "المسند الكبير في الحديث"، و"كتاب الأربعين" و"كتاب الجامع" و"كتاب المعجم"[1].

ومن رجال الحديث المعدودين في نيسابور، خلال فترة الدراسة ـــ أبو جعفر أحمد بن حمدان الحيري النيسابوري (ت 311هـ). وهو من الحفّاظ الزاهدين الورعين رحل على كبر سنه إلى الموصل. وجرجان. من مصنفاته كتاب "الصحيح على شرط مسلم"[2]. وظهر أبو بكر محمد ابن إسحاق ابن خزيمة السلمي النيسابوري (ت311هـ). اشتهر اسمه وانتهت إليه الإمامة في حفظ الحديث في عصره بخراسان قال عنه أبو حاتم محمد بن حبان التميمي: "ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزيادتها حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد ابن إسحاق بن خزيمة فقط". ووثّقه الدارقطني بقوله: "كان ابن خزيمة إماما ثبتا معدم النظير".

وقد عده الحاكم النيسابوري من المصنفين المكثرين ومن أصحاب الفضائل الكثيرة، فقد ذكر في كتابه علوم الحديث: "فضائل ابن خزيمة مجموعة عندي في أوراق كثيرة، مصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتابا سوى المسائل المصنّفة مائة جزء وله فقه حديث بريرة في ثلاثة أجزاء". وهو صاحب "مختصر المختصر" المعروف بالصحيح[3].

كما برز أبو عوّانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النيسابوري ثم الإسفراييني الحافظ. (ت 316هـ)، رحل في طلب الحديث إلى البلاد الشاسعة، أول من أدخل كتب الشافعي ومذهبه

(1) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص703، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/195، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص308، ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ص352، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ ص157، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص71، السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص487.

(2) ـــ السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص322، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص761، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص361، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص223.

(3) ـــ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج16/ص29، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص720، الحاكم النيسابوري. **معرفة علوم الحديث**. ص83، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص27.

إلى إسفرايين، خلّف مصنّفات في علم الحديث منها:

"الصحيح المسند": وهو مخرج على صحيح مسلم، وله فيه زيادات. و"مختصر أبي عوانة في الحديث"[1].

أما الإمام الحافظ الحجة محدّث خراسان أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري المعروف بابن الشرقي، (ت 325 هـــ) فقد قال عنه ابن كثير: "كان حافظا كبير القدر كثير الحفظ، كثير الحج، رحل إلى الأمصار، وجاب الأقطار، وسمع من الكبار". وقال عنه الذهبي: "تلميذ مسلم، ارتحل إلى الري، ومكة، وبغداد، والكوفة وسمع من كبار محدثيها". قال ابن عدي: "لم أر أحفظ ولا أحسن سردا من أبي حامد ابن الشرقي، كتبت جمعه لحديث أيوب السختياني فكنت أقرأ عليه من كتابي فيقرأ معي حفظا من أوله إلى آخره". صنّف "كتاب الصحيح"[2].

وعرف أيضا محمد بن يعقوب بن يوسف بن الأخرم الشيباني النيسابوري (ت344هـــ) وهو محدّث، حافظ. روى عن علي بن الحسن الهلالي، ويحي بن محمد الذهلي، وروى عنه أبو بكر السبيعي ومحمد بن إسحاق بن منده، وأبو عبد الله الحاكم وغيرهم. من آثاره:

"مصنف على الصحيحين للبخاري ومسلم" و"المسند الكبير في الحديث" و"كتاب الرسالة"[3].

وأبو علي الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن ماسرجس النيسابوري (ت365هـــ) أحد أركان الحديث بنيسابور، ثقة مأمون. روى عن جده وابن خزيمة وطبقتهما، ورحل إلى العراق ومصر والشام. قال الحاكم: "هو سفينة عصره في كثرة الكتابة".

وقال ابن عساكر: "كان يعرف بالزهري الصغير"من مصنّفاته: "المسند الكبير"، في ألف وثلاثمائة جزء بطرقه وعلله يكون سبعين مجلدا جمع فيه حديث الزهري جمعا لم يسبق إليه. وقيل "ما صنّف في الإسلام أكبر من مسنده".

---

(1) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص779، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص329، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج6/ص393، ياقوت. **معجم البلدان**. ج1/ص211، الزركلي. **الأعلام**. ج8/ص196.

(2) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص821، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص188، الخطيب. تاريخ بغداد. ج5/ص192، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص306، ابن الأثير. **اللباب**. ج2/ص193، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج15/ص37، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص343.

(3) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص864، ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**.ج3/ص313، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/368.

كما صنّف "كتاب المغازي والقبائل" وكتاب على "البخاري" وكتاب على "مسلم"[1].

الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد بن محمد بن زكرياء بن الحسن الجوزقي[2] النيسابوري (ت388هـ) أحد أئمة المسلمين علما ودينا، محدث نيسابور. روى عن أبي العباس السراج، وأبي العباس الأصم، وأبي نعيم بن عدي الجرجاني.. وغيرهم بنيسابور، وسرخس، وهمذان، والري، ومكة، وبغداد وغيرها.

روى عنه الحاكم أبو عبد الله، والكنجروذي، وسعد بن محمد البجيري،.. وآخرون. صنّف "المسند الصحيح" على كتاب مسلم، و"كتاب المتفق" وله كتاب آخر في المتفق، أبسط من هذا المشهور في نحو ثلاثمائة جزء[3].

ونختم حديثنا عن علماء نيسابور بعلم من أعلام علم الحديث، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيّع. (ت405هـ).

قال عنه ابن خلكان: "إمام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها، كان عالما عارفا واسع العلم تفقه على أبي سهل الصعلوكي الفقيه الشافعي، ثم انتقل إلى العراق وقرأ على أبي علي بن أبي هريرة الفقيه، ثم طلب الحديث وغلب عليه فاشتهر به وسمعه من جماعة لا يحصون كثرة فإن معجم شيوخه يقرب من ألفي رجل .... وله إلى الحجاز والعراق رحلتان، وكانت الرحلة الثانية سنة ستين وثلاثمائة، وناظر الحفاظ وذاكر الشيوخ وكتب عنهم أيضا، وباحث الدارقطني فرضيه، وتقلّد القضاء بنيسابور في سنة 359هـ في أيام الدولة السامانية، وقلّد قضاء جرجان فامتنع وكانوا ينفذونه في الرسائل إلى ملوك بني بويه".

خلّف الحاكم النيسابوري رحمه الله للمكتبة الإسلامية كتبا كثيرة جدا. قال ابن عساكر: "وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفا وخمسمائة جزء".

وقال ابن خلدون في الحاكم النيسابوري ومصنفاته: "وقد ألّف الناس في علوم الحديث وأكثروا، من فحول علمائها وأئمتهم أبو عبد الله الحاكم، وتآليفه فيه مشهورة، وهو الذي هذبه وأظهر

---

(1) ــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص283، عبد القادر بدران،الذهبي. **تاريخ الإسلام**. (حوادث وفيات 351ــ 380هـ)، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص50، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج14/ص244.

(2) ــ الجوزق: قرية من قرى نيسابور. انظر: ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ص213.

(3) ــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص140ــ 141، السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص129، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص1013، **سير أعلام النبلاء**. ج16/ص493.

محاسنه" ومن مؤلفاته:

1 ــ كتاب"المستدرك على الصحيحين"، وما تفرد به كل واحد من الإمامين.

2 ــ كتاب"الإكليل".

3 ــ"كتاب المدخل إلى علم الصحيح".

4 ــ"كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من الأخبار المروية". أو"المدخل إلى الإكليل".

5 ــ"كتاب تاريخ النيسابوريين"أو"تاريخ علماء نيسابور". قال عنه ابن السبكي في طبقات الشافعية: "وهو التاريخ الذي لم تر عيني تاريخا أجلّ منه، وهو عندي سيد الكتب الموضوعة للبلاد".

6 ــ"كتاب تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم".

7 ــ"كتاب معرفة علوم الحديث".

8 ــ"كتاب تراجم الشيوخ".

9 ــ"كتاب فوائد الشيوخ".

10 ــ"كتاب فضائل الشافعي".

11 ــ"كتاب مزكى الأخبار".

12 ــ"كتاب الصحيح".

13 ــ"كتاب العلل".

14ــ"كتابالأمالي". [1]

أما مدينة مرو فقد نشط علماؤها منذ وقت مبكر في جمع الحديث وتصنيفه وتمييز صحيحه من سقيمه، وتحملوا في طلبه المشاق والمخاطر، وبلغوا في ذلك شأوا بعيدا مما جعل ياقوت في معجم البلدان يقول: "وقد أخرجت مرو من الأعيان، وعلماء الدين، والأركان، ما لم تخرج مدينة مثلهم"[2]. ونذكر منهم:

---

(1) ــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص443، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص410، ابن الصلاح. **طبقات الفقهاء**. ج1/ص198، ابن حجر. **لسان الميزان**. ج5/ص236، الذهبي. **ميزان الاعتدال**. ج3/ص608، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ص280، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**.ص21، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج10/ص238، قحطان عبد الستار الحديثي. **التواريخ المحلية لإقليم خراسان**. مطبوعات جامعة البصرة، 1990م، ص 101 ــ 103.

(2) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5/ص133، وقد جمع تاريخ علماء مرو الشاهجان عدد من الأئمة منهم: الحافظ أبو علي محمد بن علي بن حمزة الفراهياني المروزي، (ت 247هـــ)، وسماه"التاريخ في رحال المحدثين بمرو"والحافظ أبو الحسن أحمد بن

.../...

الإمام الحافظ الثقة شيخ خراسان أبو عبد الرحمن علي بن الحسن بن شقيق المروزي (ت215هـــ)[1].

والإمام الحافظ، الثبت الرحالة، محدث مرو. أبو عبد الرحمن عبد الله بن عثمان بن جبلة الأزدي المروزي، (ت 222هـــ)[2].

أبو عثمان سعيد بن منصور للروزي (ت 227هـــ) من أئمة الحديث المتقنين،والمصنفين المعتمدين وشهد له بهذه المكانة أهل العلم في هذا الشأن، ومرجع ذلك إلى رحلته الواسعة في طلب الحديث وروايته والتصنيف فيه. قال أبو حاتم "هو ثقة من المتقنين الأثبات ممن جمع وصنّف"، من مصنّفاته: "كتاب الزهد": سمعه الإشبيلي عن شيخه أبي الحسن بن عبد الله بن موهب، وله أيضا "كتاب السنن" رتبه على كتب الفقه أي بحسب الموضوعات العامة والفرعية التي تناولها الفقه، وكل جزء يضم عددا من الكتب والكتاب مقسّم إلى أبواب وهو اثنان وعشرون جزءا. واعتبر من الكتب الرفيعة في السنن، وله "أحاديث العوالي" جمعها أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430هـــ)[3].

ومنهم نعيم بن حماد بن معاوية بن مالك الخزاعي، أبو عبد الله المروزي (ت229هـــ) وهو إمام في السنة، وأول من جمع المسند، قال عنه أحمد بن حنبل وأبو حاتم قال: محله الصدق، ووثقه البخاري وجماعة، وكان رحمه الله شديد الرد على الجهمية. وكان يقول: كنت جهميا فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث علمت أن مآلهم إلى التعطيل.

أما الذهبي فقد وصفه بقوله: "كان من أوعية العلم ولا يحتج به"لأنه روى أحاديث مناكير عن الثقات، ووصل أحاديث يوقفها الناس.

سيّار المروزي (ت 268هـــ)، وسماه"تاريخ مرو أو أخبار مرو"، وأبو رجاء محمد بن حمدويه السنجاني الهورقاني (ت 306هـــ) وسماه"تاريخ المراوزة"والحافظ أبو العباس أحمد بن سعيد بن معدان المعداني (ت 374هـــ) وسماه"تاريخ المراوزة"، والحافظ أبو صالح أحمد بن عبد الملك النيسابوري (ت 470هـــ)، عمل مسودة لتاريخ مرو، والحافظ أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي (ت 562هـــ)، وسماه"تاريخ مرو"، وأبو الفضل العباس بن مصعب بن بشر ـــ لم أعثر على سنة وفاته ـــ وسماه"تاريخ مرو". انظر: قاسم علي سعد، من تحقيقه **لكتاب الأمصار ذوات الآثار** للذهبي. ص 211.

(1) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج11/ص369، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج10/ص349، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج1/ص370، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج7/263، الذهبي. **الأمصار وذوات الآثار**. ص 21.

(2) ـــ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج10/270، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج1/ص401، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج5/ص274، الذهبي. **الأمصار ذوات الآثار**. ص 214.

(3) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/416، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج4/ص78، إبراهيم محيسن. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 188.

وله كتاب شهير يسمى "الفتن" أكثر فيه من الأحاديث والآثار المرفوعة والمقطوعة والموقوفة، بل وأقوال وروايات عن أهل الكتاب، وروايات عمن يُعدون في عداد المجهولين[1].

أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الحنظلي التميمي المروزي (ت 238هـــ). رزق من الحفظ لأسانيد وفنون الحديث ما جعله محط أنظار المحدثين وإعجابهم واعتمادهم عليه في رواية الحديث. وثّقه ابن حبان بقوله: "كان إسحاق من سادات أهل زمانه فقها وعلما وحفظا، وصنّف الكتب، وفرّع على السنن، وذبّ عنها، وقمع من خالفها". ويبدو أنه استنبط من السنن للمسائل الفقهية وبها دافع عن السنة ضد أعدائها، حيث كان مذهبه الجمع بين الحديث والفقه، وصنّف في ذلك كتبا غير أننا لم نجد له غير كتاب للمسند. الذي ذاع صيته. وأملاه على طلابه حفظا وقراءة. وجاء في ست مجلدات[2].

أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي القاضي (ت 292هـــ). الحافظ. الثقة سمع من جلّة علماء الحديث في خراسان وغيرها. من مصنّفاته: "رسالة في الجمعة وفضائلها"، وقال الذهبي "له تصانيف مفيدة ومسانيد"[3].

وفي مدينة "مرو الروذ" برزت من النساء المحدثات، أم الكرام (وقيل: ست الكرام) كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروذية (ت 463هـــ) التي كانت تروي صحيح البخاري.

قال عنها ابن العماد: "روت الصحيح عن الكشميني، وروت عن زاهر السرخسي، وكانت تضبط كتابها وتقابل بنسخها، لها فهم ونباهة، وما تزوجت قط، وقيل: إنها بلغت المائة، عدها ابن الأهدل من الحفاظ".

وقال اليافعي: "كانت ذات ضبط وسمع منها خلق". أما ابن الأثير فقال: "وهي التي تروي صحيح البخاري وإليها انتهى علو الإسناد للصحيح إلى أن جاء أبو الوقت"[4].

(1) ـــ انظر: **كتاب الفتن**، تحقيق مجدي بن منصور وبن سيد الشورى،ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م، مقدمة التحقيق. وانظر في ترجمته: الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج10/ص595. ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج10/ص490، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص184.

(2) – ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج1/ص190، الشيرازي. **طبقات الفقهاء**.ص94، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص65.

(3) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص663، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص209، الزركلي. **الأعلام**. ج1/ص171، آل قيس. **الإيرانيون**.. مرجع سابق. مج 2 /ص 352ـــ353.

(4) ـــ أبو الوقت: هو الإمام الزاهد الصوفي شيخ الإسلام، مسند الآفاق عبد الأول بن الشيخ المحدث المعمر أبي عبد الله عيسى بن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق السجزّي ثم الهروي المالكي، حدّث بخراسان وأصبهان وكرمان وهمذان وبغداد، وتكاثر عليه الطلبة، واشتهر حديثه، وبعُد صيته، وانتهى إليه علو الإسناد. توفي سنة 553هـــ. انظر: الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج20/ص303.

جاورت بمكة المكرمة وتوفيت بها[1].

أما مدينة بلخ فقد خرّجت من استحق أن يقال في حقه: "أحد أئمة الحديث" و"محدث خراسان" و"أحد أوعية العلم" و"شيخ بلخ". فهذا الإمام الحافظ الثبت المعمّر أبو السكن مكي ابن إبراهيم التميمي الحنظلي البلخي مسند خراسان (ت215هـــ)[2].

وهو الإمام الحافظ أبو يحي زكريا بن يحي بن صالح اللؤلؤي البلخي (ت 235هـــ). قال عنه الذهبي: "هو أحد الأعلام. أخذ عن مطيع الحكم بن عبد الله مفتي بلخ، ووكيع وأبي أسامة، وعبد الله بن نمير وطبقتهم".

حدث عنه البخاري، وأحمد بن سيار، ويحي بن منصور الهروي، والفريابي وآخرون. وهو أحد من قال فيه شيخه قتيبة: فتيان خراسان أربعة: زكريا بن يحي البلخي، والحسن بن شجاع، والدارمي، والبخاري.

كان ثقة صاحب سنة وفضل وممن يرد على أهل البدع. وهو مصنف كتاب "الإيمان"[3].

والإمام الحافظ محدث خراسان أبو رجاء قتيبة بن سعيد البلخي البغلاني (ت 240هـــ). (وبغلان من قرى بلخ)، روى عنه البخاري في صحيحه 308 حديث. ومسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحه 668 حديثا، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني المتوفى سنة 282هـــ، والمحدث الزاهد محمد بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي.

قال عنه صاحب النجوم الزاهرة: "كان إماما عالما فاضلا محدثا، رحل إلى الأمصار، وأكثر من السماع، وحدث عن مالك ابن أنس وغيره، وحدث عنه الإمام أحمد بن حنبل، وغير واحد"[4].

ثم الحافظ أبو علي عبد الله بن محمد بن ميمون البلخي (ت 294هـــ). أحد أئمة الحديث حفظا وإتقانا وثقة وإكثارا. وله كتب مصنّفة. استشهد على يد القرامطة ـــ رحمه الله ـــ له من

(1) ـــ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/314، ابن الأثير. **الكامل**. ج8/ص110ـــ 111، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج3/ص89، الزركلي. **الأعلام**. ج5/225.

(2) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج13/ص116، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج9/ص549، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص365، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج10/ص260.

(3) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص517، آل قيس. **الإيرانيون**.. مج2 / ص160.

(4) ـــ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**.ج11/ص13، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج12/ص460، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص446، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج8/ص321، الذهبي. **الأمصار ذوات الآثار**. ص 215، ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**. ج2/ص303.

تصانيف حديثية منها: "كتاب العلل"، و"كتاب التاريخ"[1].

وأبو عبد الله محمد بن عقيل بن الأزهر بن عقيل البلخي (ت 316هـ). محدث بلخ وعالمها، طوّف وسمع الحديث عن كثير من أعيان المحدثين. من مصنفاته: "كتاب المسند" و"كتاب الأبواب في الحديث" و"كتاب التاريخ"[2].

كما برز في بلخ أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البلخي المعروف بالمستملي (ت 376هـ). سمع الكثير، وحدّث بصحيح البخاري مرّات، عن الفربري[3]. كان ثقة صاحب حديث. على ما يذكر ابن العماد. خلّف مصنّفات منها: "معجم الشيوخ"[4].

أما في هراة فقد برّز في علم الحديث رجال كثير وكان لهم مشاركة عظيمة في ازدهار علوم الحديث، نذكر منهم:

أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلي الهروي (ت 236هـ)، صاحب سنة، ثقة، اهتم بالحديث منذ صغره. رحل إلى الموصل وحدّث بها بنحو ألفي حديث حفظا. كانت له آراء في الرد على الفرق المشبهة وتكفيرهم[5].

وأبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت 280هـ)، نسبة إلى بني دارم من قبيلة تميم محدث هراة وخراسان، وأحد الأعلام الثقات في الحديث أخذ الأدب عن ابن الأعرابي والحديث عن يحي بن معين طوّف الأقاليم طلبا للحديث ولقي الكبار من مشايخه. ويفهم من كلام الذهبي أنه كان شديد التدقيق في مسند الحديث. له مسند كبير في الحديث[6].

---

(1) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج10/ص106، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص690، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص219، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص76. آل قيس. **الإيرانيون**... ص 308 ــ 309.

(2) ــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص791، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص333، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص274، الزركلي. **الأعلام**. ج6/ص269.

(3) ــ الفربري: نسبة إلى "فربر" بلدة من بلاد خراسان على طرف جيحون مما يلي بخارى. وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري، راوي جامع صحيح البخاري، رحل إليه الناس وحملوا عن هذا الكتاب. وقد سمع الفربري الكتاب من البخاري في ثلاث سنين توفي سنة (320هـ). انظر: السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص359، ياقوت. **معجم البلدان**. ج4/ص179.

(4) ــ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص86، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2/ص406، البغدادي. **هدية العارفين**. ج5/ص6، الزركلي. **الأعلام**. ج1/ص28ــ 29، آل قيس. **الإيرانيون**.. ج 2 / ص442.

(5) ــ ابن سعد. **الطبقات الكبرى**. ج7/ص256، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج1/ص239.

(6) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص440، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص621، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص495»، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج1/ص176، الزركلي. **الأعلام**. ج4/ص20.

ومحمد بن أحمد بن محمد بن عمار الهروي (ت 317هـــ) كانت له معرفة في علل الحديث، له جزء فيه بضعة وثلاثون حديث من الأحاديث التي بين عللها في حديث مسلم في صحيحه، وخرّج صحيحا على رسم مسلم، و لم يتمه بعد أن استشهد على يد القرامطة[1].

كما ظهر أبو حامد أحمد بن محمد بن شارك الهروي (ت355هـــ)، حافظ من علماء الحديث كان مفتي هراة في عصره وأديبها، أقام مدة في نيسابور، من تآليفه "مستخرج على صحيح مسلم"[2].

والحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الشماخي الهروي الصفار (أبو عبد الله) (ت 372هـــ)، محدث حافظ، جوال، سمع بدمشق، وبغداد، وبمصر والري، من تصانيفه: "المستخرج على صحيح مسلم"[3].

وأبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الحمن الهروي الباشاني ـــ نسبة إلى باشان وهي قرية من قرى هراة ـــ (ت 401هـــ) قرأ على جماعة منهم أبو سليمان الخطابي، وكان اعتماده وشيخه الذي يفتخر به هو منصور محمد بن أحمد الأزهري صاحب كتاب التهذيب في اللغة. ترك مصنّفات منها: "كتاب الغريبين"،و"كتاب غريب القرآن"، و"كتاب غريب الحديث"، وقد يكون كتابا واحدا[4].

وختم علماء هراة بعبد ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الأنصاري، الخراساني الهروي المالكي (ت 434هـــ). المعروف (بابن السّماك)، وهو محدث حافظ صوفي، رحل من الأندلس إلى المشرق، وسمع ببغداد والبصرة وهراة وسرخس وبلخ ومرو ودمشق ومصر، وحدث بخراسان، وجاور مكة وتوفي بها. من مصنّفاته: "مستدرك على الصحيحين" في مجلد، و"السنة والصفات"، و"فضائل القرآن"، و"دلائل النبوة"، و"فضائل مالك"[5].

وفي الضفة الأخرى لنهر جيحون نجد أن مدينة بخارى كانت محجّ طلاب حديث رسول الله ﷺ،

(1) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص834.

(2) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص34، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**.ص28، الزركلي. **الأعلام**. ج1/ص208، آل قيس. **الإيرانيون**. ج 2 / ص412.

(3) ـــ ابن حجر. **لسان الميزان**. ج2/ص302، الذهبي. **ميزان الاعتدال**. ج1/ص528.

(4) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص396، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص344، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص640، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1/ص95، آل قيس. **الإيرانيون**. ص471ـــ473.

(5) ـــ ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**.ج5/ص36.

فقد دارت فيها حركة علمية كبيرة في مجال علم الحديث سواء بقدوم العلماء إلى بخارى لجمع الحديث، ودراسته أو رحلة البخاريين إلى الحواضر الإسلامية الأخرى لجمع الحديث ودراسته، أو بانتشار أحاديث رسول الله ﷺ على ألسنة العلماء والناس في بخارى. فقد اكتظت المصادر بالأحاديث التي رويت عن بخاريين، وشوهدت ذات مرة قافلة تضم أربعين وقرا من الأحمال، فظن الناظرون أنها ثياب، لكثرتها وضخامة حجمها، ولما دققوا النظر فإذا هي محملة بمجلدات فيها حديث رسول الله ﷺ[1].

وقد أبدع البخاريون في تصنيف كتب الحديث، وأكثروا في ذلك، ووصف كثير منهم بكثرة التصنيف وجودة التأليف، حتى قال السبكي عن أبي الفضل أحمد بن علي بن عمرو البيكندي البخاري: "كان من الحفظ والإتقان، وعلو الإسناد، وكثرة التصانيف بمكان مكين وقدر رفيع"[2].

وبلغ من اهتمام البخاريين بحديث رسول الله ﷺأن الحديث كان يدرّس في كتاتيب الصبية في بخارى. وهم في سنّ مبكرة جدا. على ما روى الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري[3].

ولم يكن الإمام البخاري هو أول من اهتم من البخاريين بحديث رسول الله ﷺ بل سبقته طائفة من جلّة العلماء ممن نذروا أنفسهم للرحلة في طلب الحديث وحفظه وروايته وخدمة علومه، وقد أخذ الإمام البخاري عن كثير منهم. وسوف لن نتوسع في سير بعض المحدثين بل نكتفي بالعلماء الذين ثبتت تواريخ وفياتهم، وكانت لهم مساهمات علمية في مجال الحديث، نذكر منهم:

الإمام الحافظ الثقة الرحال أبو عبد الله محمد بن سلام البخاري البيكندي محدث ما وراء النهر وصاحب التصانيف، (ت 225هـ)[4].

والإمام الحافظ الحجة أبو جعفر عبد الله بن محمد مولاهم البخاري (ت 229هـ) المعروف بالمسندي ؛ لاعتنائه بالأحاديث المسندة دون المقاطيع والمراسيل، جمع مسند الصحابة بما وراء النهر، وهو إمام الحديث في عصره هناك بلا مدافعة، وهو أستاذ الإمام البخاري[5].

---

(1) -الذهبي. **تاريخ الإسلام**.(حوادث وفيات 381-400)،ذنون. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى**.مرجع سابق.ص 382 ــ 383.

(2) ــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص370ــ 371.

(3) ــ ذنون. المرجع السابق، ص 385.

(4) ــ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**.ج10/ص628، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص422، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج9/ص188، الذهبي. **الأمصار ذوات الآثار**. ص 218.

(5) ــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج10/ص302، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**.ج9/ص188، ابن عماد. **شذرات الذهب**. ج2/ ص67، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/492، الذهبي. **الأمصار ذوات الآثار**. ص 218.

أما الذي وقف في القمة بالنسبة لعلم الحديث فهو سيد الحفاظ ورأس النقاد، الذي رحل الناس إليه، وعوّلوا في الرواية عليه، وصار محط أنظار أهل العلم ومقصد طلابه، الجهبذ الفقيه الحجة أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري، (ت256هـ).

"كان البخاري ملهما بحفظ الحديث في صغره وهو ابن عشر سنين أو أقل، رحل رحلات واسعة في طلب الحديث إلى أمصار الإسلام، فورد مصر وبغداد والبصرة، وكتب عن شيوخ متوافرات، وأئمة متكاثرات ... روى عنه أئمة وخلائق كثيرون نحو من مائة ألف أو يزيدون أو ينقصون،عظمه العلماء غاية التعظيم، وكرّمه الفضلاء نهاية الإجلال والتكريم. حتى أن مسلما صاحب الصحيح كلما دخل عليه يسلم ويقول: دعني أقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله. يا أستاذ الأستاذين، يحلف الناس به... وكانت فرق الجند التي تستحلف على صحيح البخاري عند الخدمة في الجيش ببلدان المغرب تسمى البخارية".

وقال عنه الإمام الترمذي: " لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من البخاري"، وقال ابن خزيمة: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ ولا أحفظ له من محمد بن إسماعيل البخاري". وقال بعضهم: "هو آية من آيات الله يمشي على وجه الأرض"[1].

اتجه منذ حداثته إلى الفقه، فقرأ فقه أهل الرأي،ثم أخذ فقه الشافعي وفقه الإمام مالك أيضا، وكانت صلته بالإمام أحمد بن حنبل متينة قوية، فجمع فقه المدارس الاجتهادية في عصره، مما ساعده على الاستقلال برأيه، حيث انتفع كثيرا من طريقة أهل الرأي في الاستنباط ودقة النّظر، ثم باطلاعه على نقد أهل الحديث لهم على وفق الحديث، فكان ذلك تمهيدا للإمام البخاري أن يكون له نظر ممتاز، وفقه اجتهادي خصوصا و لم يكن في ذلك العصر جمود المقلدين للمذاهب، بل كانوا يتفقهون ويستدلون، فيوافقون أو يخالفون [2].

خلّف الإمام البخاري إنتاجا علميا غزيرا، ومصنّفات بلغت منزلة عظيمة بين الناس، استفاد منها من جاء بعده مقتفيا أثره في طريقة التأليف والتصنيف. وقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم

(1) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج2/ص5، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص555، السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص293، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج6/ص9، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 252، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص421، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ص188، اليافعي. **مرآة الجنان**.ج2/ص167، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ ص 134، الزركلي. **الأعلام**. ج6 /ص 34، آل قيس. **الإيرانيون**. مج2 / ق1. ص 190.

(2) ــ نور الدين عتر. **الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين**. ط2، بيروت: دار الرسالة. 1988م. ص39.

أسماء كتبه ومصنفاته، لكن أكثرها مفقود وبعضها موجود. نذكر منها:

1 ــ الجامع الصحيح: ولم يحظ كتاب بعد كتاب الله تعالى من العناية ما حظيه صحيح البخاري. شرحا واختصارا وضبطا وتحقيقا.

2 ــ التاريخ الكبير: وهو في تاريخ الرواة وأخبارهم على طريقة المحدثين، اشتمل على (12315) ترجمة. ولقد رتبه على حروف المعجم، دون اهتمام بالاسم الأول والثاني للمترجم، وأورد البخاري في كتابه قسما خاصا بالكنى، وقد بدأ كتابه بسيرة مختصرة عن رسول الله ﷺ ثم بمن اسمه "محمدا" ثم شرع في الترتيب اللألفبائي إلى نهاية الكتاب [1].

3 ــ التاريخ الأوسط: وهو مرتب بحسب الأزمنة.

4 ــ التاريخ الصغير: انتزعه البخاري من التاريخ الكبير، ولكن رتبه حسب الوفيات ويكاد ينقل عبارته في معظم الأحيان مع حرصه على الاختصار، ومع ذلك فيه إضافات لا توجد في التاريخ الكبير [2].

5 ــ كتاب الضعفاء والمتروكين في رواة الحديث. المعروف بكتاب"الضعفاء".

6 ــ"تفسير القرآن".

7 ــ"كتاب الأدب المفرد". وموضوعه أحاديث الآداب والأخلاق.

8 ــ"تنوير العين برفع اليدين في الصلاة: تعرض فيه لمسألة رفع اليدين في الصلاة، فبيّن سنيّة الرفع عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه، وبين الركعتين.

9 ــ"كتاب خير الكلام في القراءة خلف الإمام": تعرض فيه لمسألة قراءة الفاتحة في الصلاة وتوسّع في ذكر أدلة هذه المسألة والرد على المخالفين فيها.

10 ــ"كتاب خلق أفعال العباد". وموضوع هذا الكتاب هو الرد على المعتزلة والقدرية النفاة لقدر الله عز وجل. والقائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه. وكذلك الرد على الجهمية والمعطلة النافين لصفات الله عزّ وجل ... وهو كتاب مهم لأنه حفظ لنا كثيرا من نصوص السلف في مسائل الاعتقاد. والرد على أهل البدع والأهواء [3].

---

(1) ــ انظر: **التاريخ الكبير**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1407هـ. ج1 / ص 7 ــ 9.

(2) ــ أبو بكر كافي. **منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح**. ط1. بيروت: دار ابن حزم. 2000م. ص 64 ــ 65.

(3) -آل قيس. **الإيرانيون**... مج2 / ق1. ص 202 -210، كافي. **منهج الإمام البخاري**.. مرجع سابق. ص 64 ــ67.

وجاء بعد الإمام عبد الله البخاري علماء كثيرون من بخارى. شغفوا بحديث رسو ل الله ﷺ وكلفوا بخدمته. حفظا وتدوينا وتدريسا منهم:

ـــ الإمام الحافظ شيخ ما وراء النهر أبو علي الأسدي البغدادي، نزيل بخارى. الملقب بجزرة لأنه صحف كلمة"خزرة"في حديث لعبد الله بن بسر أنه كان له خرزة للمريض، فأبقاها عليه أهل الحديث. توفي سنة (293هـــ)[1].

ـــ وأبو بكر أحمد بن عبد الواحد بن رفيد البخاري. روى عن أبي الليث نصر بن الحسين. وأبي إبراهيم الجوباري. وابن حمدين شيخ غنجار، توفي سنة (311هـــ)[2].

ـــ وأبو العلاء كامل بن مكرم بن محمد بن عمرو بن وردان التميمي السغدي سكن بخارى، وكان يورق على باب صالح جزرة. روى عن الربيع بن سليمان المصري، وسعد بن عبد الله بن الحكم، ومحمد بن عوف الحمصي، ومحمد بن حماد الطهراني. حدّث عنه أبو محمد عبد الله بن عزيز ابن داود السمرقندي. توفي سنة (311هـــ)[3].

ـــ وأبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث الكلاباذي، ويعرف بعبد الله الأستاذ. حدّث عن أبي الموجه، ويحي بن ساسويه المروزيين، ومحمد بن الفضل البلخي، والفضل بن محمد الشعراني، والحسين بن الفضل البلخي النيسابوريين. ومحمد بن يزيد الكلاباذي، وعبيد الله بن واصل. وسهل بن المتوكل ....قدم بغداد أكثر من مرة وحدّث بها، وروى عنه أبو العباس بن عقدة، وأبو بكر بن أبي دارم، الكوفيان وعامة أهل بخارى. وقد ذمه الخطيب فقال عنه: "صاحب عجائب ومناكير وغرائب ... وليس بموضع الحجة" لكن ياقوت يقول عنه: "كان إماما فاضلا عالما بالحديث ثقة". ويؤكد هذا القول الذهبي بقوله: "كان عالم ما وراء النهر ومحدثه" وقد قام بجمع مسند أبي حنيفة. توفي سنة 340هـــ[4].

---

(1) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج9/ص322، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج14/ص23، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص641، الذهبي. **الأمصار ذوات الآثار**. ص 218.

(2) ـــ علي بن هبة الله بن ماكولا. **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، ج4 / ص 171ـــ 172.

(3) ـــ المصدر نفسه. ج4 / ص 563 ـــ 564، ياقوت. **معجم البلدان**. ج3/ص251.

(4) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج10/ص125، ياقوت. **معجم البلدان**. ج4/ص536، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص854.

ـــ وأبو نعيم محمد بن الحسن بن حمدويه الاستراباذي ... روى عن محمد بن أيوب الرازي، والحسن بن المثنى، وأبي شعيب الحراني، ومحمد بن علي الجرجاني، روى عنه جماعة من أهل جرجان وبخارى وسمرقند توفي ببخارى سنة (345هـــ)[1].

ـــ وأبو أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن سوار بن مسمع بن ثابت البزاز البخاري. قدم بغداد حاجا، وحدث بها عن مسيح بن سعيد وإسحاق بن أحمد بن خلف البخاريين، وعمر بن محمد بن يحي السمرقندي، وأحمد بن محمد بن الفضل البلخي، وأبي نعيم بن عدي الجرجاني. وبلغ من حذقه في رواية الحديث أن الإمام الدارقطني روى عنه. توفي سنة (360هـــ). ومحمد بن الحسن الزوزني (توفي ببخارى سنة 370هـــ). ألف ما يزيد على مائة كتاب في العلوم الدينية. ومن ضمنها علم الحديث[2]. وكل هذا كان نتيجة لاهتمام الأمراء وتشجيعهم. حتى أن الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني كان نفسه مهتما بالحديث. قال عنه ابن العماد: "كان ذا اعتناء زائد بالعلم والحديث"[3].

ـــ وأبو الفضل، محمد بن أحمد بن محمد بن معروف المعروفي البخاري، سمع ببخارى حامد بن سهل، وبالبصرة أبا خليفة الجمحي، وزكريا بن يحي الساجي، وأبو محمد أحمد بن محمد بن أحمد بن معروف المعروفي، صاحب الأوقاف، روى عن الهيثم بن كليب وغيره. توفي سنة (384هـــ)[4].

ـــ وأبو زكريا يحي بن يحي بن عبد الله بن محمود المحمودي البخاري، سمع أبا جعفر الجوزجاني، وإسماعيل بن محمد الصفار، سمع منه الحاكم أبو عبد الله، توفي ببخارى سنة (384هـــ)[5].

ـــ ومحمد بن أبي إسماعيل علي بن الحسين بن الحسن بن أبي طالب الهمذاني المعروف بالوصي. لأنه كان وصي الأمير السديد نوح. [بن نصر الساماني]. سمع الحديث من أبي محمد عبد الرحمن بن حمدان الجلاّب، وإسماعيل بن محمد الصفار، سمع منه الحاكم النيسابوري، وأبو سعد الكنجروذي وغيرهم، توفي ببخارى سنة (395هـــ)[6].

---

(1) ـــ أبو القاسم السهمي. **تاريخ جرجان**. ط4، بيروت: عالم الكتب، 1987م، ص 475 ـــ 476.

(2) ـــ ابن الصلاح. **طبقات الفقهاء**. ج1/ص131.

(3) ـــ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص 219.

(4) ـــ ابن الأثير. **اللباب**. ج3/ص233 ـــ 234.

(5) ـــ ابن الأثير. **اللباب**. ج3/ص176.

(6) ـــ المصدر نفسه. ج3/ص368.

ـــ وأبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن رستم الكلاباذي، من أهل بخارى، أحد حفاظ الحديث المتقنين. سمع محمد بن عبد الله بن محمد الأستاذ، والهيثم بن كليب الشاشي. روى عنه أبو العباس المستغفري، وقال: "هو أحفظ من كان بما وراء النهر في زمانه، وهو ثبت لم يخلف بما وراء النهر مثله. له مصنف مشهور في معرفة من أخرج له البخاري في صحيحه "وروى عنه الحاكم النيسابوري وقال عنه: "كان إماما فاضلا عالما بالحديث ثقة". توفي سنة 398هـــ[1].

ـــ وأبو الفضل أحمد بن علي بن عمرو البيكندي البخاري، من الحفاظ المكثرين، رحل إلى العراق والشام ومصر، وله أكثر من أربعمائة مصنف صغار. قال عنه السمعاني: "كان يصنف كل أسبوع مجموعا ويحضره في الجامع يوم الجمعة ويحدث به". وقال عنه السبكي: "كان من الحفظ والإتقان وعلو الإسناد وكثرة التصانيف بمكان مكين وقدر رفيع". توفي سنة 412هـــ[2].

أما علماء سمرقند فقد ساهموا في مجال الحديث بالتأليف والرواية والرحلة واشتغلوا بتدريس صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي[3]. وفيما يأتي نخبة من هؤلاء العلماء ومصنفاتهم:

الإمام الحافظ أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل عبد الصمد الدارمي الســـمرقندي، (ت 255هـــ)، شيخ الإسلام بمدينة سمرقند، وشيخ الإمام مسلم وأبي داود والترمذي. عُدّ مـــن حفّـــاظ الحديث الكبار، العارفين بطرقه وعلله وأسماء رجاله ونقلته، عميق الفهم في مسائله، حافظا لمتونه ومعانيه.

قال عنه الخطيب: "كان أحد الرحالين في الحديث، والموصوفين بجمعه وحفظه والإتقان له، مع الثقة والصدق والورع والزهد، استقضى على سمرقند فأبى، فألحّ عليه السلطان حتى تقلده، وقضى قضية واحدة، ثم استعفى فاعفي، وكان على غاية العقل، وفي نهاية الفضل، يضرب به المثل في الديانة والحلم والرزانة والاجتهاد والعبادة والتقلل والزهادة".

ومن دلائل براعته وتضلعه ما قاله رجاء بن مرجى: "رأيت الشاذكوني وابن راهويه ـــ وسمى جماعة ـــ فما رأيت أحفظ من عبد الله الدارمي".

---

(1) ـــ ابن الأثير. اللباب. ج3/ص121، الذهبي. تذكرة الحفاظ. ج3/ص1027، الخطيب. تاريخ بغداد. ج5/ص201.

(2) ـــ ابن الأثير. اللباب. ج1/ص199، السمعاني. الأنساب. ج1/ص434، السبكي. طبقات الشافعية. ج2/ص370، الذهبي. تذكرة الحفاظ. ج3/1036.

(3) ـــ انظر: جهاد عبد الله. الحركة الفكرية العربية في سمرقند.. مرجع سابق. ص 205 ـــ 213.

من مصنفاته: "المسند"وهو في الحديث، و"كتاب التفسير"و"الجامع الصحيح"[1].

وأبو حفص عمر بن محمد بن بجير الهمذاني السمرقندي (ت 311هـــ). إمام حافظ ثبت. اشتهر بكتابيه "الجامع الصحيح" و"التفسير"[2].

وأبو محمد رجاء بن مرجى بن رافع الغفاري المروزي السمرقندي، روى عن النضر بن شميل ومحمد بن مجيب بن همام، وأبي نعيم وقبيصة وأبي اليمان وأبي صالح وغيرهم.

وروى عنه أبو داود وابن ماجة وأبو حاتم والحسين بن إسماعيل المحاملي وأخوه القاسم بن إسماعيل وغيرهم، كان صدوقا، ثقة ثبتا إماما في علم الحديث وحفظه والمعرفة به. وذكره ابن حبّان بقوله: "كان متيقظا ممن جمع وصنّف. توفي سنة 349هـــ. بسمرقند[3].

وأبو سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الاستراباذي المتوفى سنة (40هـــ) محدث سمرقند ومصنف تاريخها، وتاريخ استراباذ[4].

وبين خراسان وماوراء النهر على الضفة الشمالية الشرقية لنهر جيحون (آموداريا) شمالي إيران، تقع مدينة ترمذ التي أخرجت لنا علماء جهابذة خدموا السنة النبوية. وجمعوا أحاديثها من الأطراف. وضربوا في البلاد. وسمعوا خلقا كثيرا. من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين. وصنّفوا في الحديث. بمختلف علومه، ويكفي أن نقتصر في الحديث عن مدينة ترمذ عن أحد حفاظ الحديث الماهرين في معرفته متنا وسندا، بارعا في أحوال الرواة المعدّلين منهم والمجرّحين العالم الحافظ الثبت الثقة. الذي تقدم في محراب الإمامة في الحديث من غير منازع ولا مدافع. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن شداد البوغي الترمذي (ت279هـــ)، تتلمذ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح وتأثّر به وأفاد منه، فقد لازمه طويلا وأخذ عنه العلم الكثير حتى تخرّج على يديه وعرف به. ولم تقتصر إفادته على الحديث وعلومه، بل إنه أفاد منه فقه

---

(1) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج10/ص30، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج5/ص258، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص534، السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص441، الذهبي. **تاريخ دول الإسلام**. (وفيات وحوادث 255هـــ)، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص 130.

(2) ــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص719، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص262، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج14/ص402.

(3) ــ ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج3/ص232، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص 120.

(4)-السمعاني.**الأنساب**.ج1/ص130،الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص1062، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص354.

الحديث كما قال الذهبي: "وتفقّه في الحديث بالبخاري"وحسبك بالبخاري إماما فقيها في الحديث غوّاصا على خفايا فقهه والاستنباط منه. ومما يدل على سعة علم الترمذي وواسع حفظه أن البخاري يعترف باستفادته منه ـــ وهو تلميذه ـــ فيقول له: "ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي".

حتى قال ابن العماد: "أبو عيسى الترمذي الضرير تلميذ أبي عبد الله البخاري ومشاركه فيما يرويه في عدة من مشايخه، سمع منه شيخه البخاري وغيره. وكان مبرزا على الأقران آية في الحفظ والإتقان".

وقد خلف الترمذي شيخه البخاري في الفضل والخلق والعلم. وما أحسن قول الحافظ عمر بن علك: "مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد. بكى حتى عمي وبقي ضريرا سنين".

اشتهر أبو عيسى الترمذي بتصانيفه، فكان المؤرخون يعرفونه بها، ويشيدون بجودتها. ويستدلون على إمامته بها. فقد كانت غزيرة العلم والفائدة. ضمنها من علم شيوخه وأقوالهم غزير الفوائد وعزيزها. وأتى فيها بالعلوم الكثير متبعا طريق السهولة والوضوح وقد وجد له بعد التتبع المؤلفات التالية:

1 ـــ كتابه العظيم "الجامع" المشتهر باسم "سنن الترمذي". وسوف نورد تفصيل فوائد هذا الكتاب.

2 ـــ كتاب"الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية" المعروف بـــ"شمائل الترمذي"

3ـــ كتاب "العلل المفرد" أو "العلل الكبير" وهو كتاب في علل الحديث.

4 ـــ كتاب "الزهد" المفرد، قال ابن حجر "لم يقع لنا".

5 ـــ كتاب "التاريخ".

6 ـــ كتاب "أسماء الصحابة".

7 ـــ كتاب "الأسماء والكنى"[1].

أما آخر بلاد الإسلام التي انتشر بها علم الحديث ونفقت سوقه. فهو إقليم الشاش في ما وراء النهر. وقد ظهر فيها:

الإمام الحافظ الرحالة أبو علي الحسن بن صاحب بن حميد الشاشي (ت 314هـــ)[1].

---

(1)-ابن حجر.تهذيب التهذيب.ج9/ص443 الذهبي.تذكرة الحفاظ.ج2/ص633،السيوطي.طبقات الحفاظ.ص282،ابن الأثير.اللباب.ج1/ص188،السمعاني. الأنساب.ج3/ص42،الذهبي. ميزان الاعتدال.ج3/ص678،ابن كثير.البداية والنهاية. ج11/ص66،ابن النديم.الفهرست.ص285، ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج4/ص278، حاجي خليفة. كشف الظنون. ج1/ ص 559، الزركلي.الأعلام.ج6/ص322، آل قيس. الإيرانيون. مج2/ق1، ص262- 274، كحالة. معجم المؤلفين. ج11/ص 104.

والإمام الهيثم بن كليب بن شريح الشاشي (أبو سعيد) (ت 335هـــ). محدث. حافظ أصله من مرو، وروى عن عيسى بن أحمد البلخي، وأبو عيسى الترمذي وغيرهما. وروى عنه علي بن أحمد الخزاعي، ومنصور أبي نصر الكاغدي وغيرهما، وتوفي بسمرقند. من آثاره:

"المسند الكبير" في الحديث في مجلدين [2].

بعد القرن الثالث الهجري ـــ وهو العصر الذهبي لعلوم السنة النبوية ـــ أصبح الاهتمام بكتب الحديث المصنّفة كثيرا. وخاصة بصحيح البخاري ومسلم وجامع الترمذي. حيث كانت تروى في المجالس والمدارس ودور السنة. وجاء من بعدهم من علماء الحديث فصنّفوا على غرارها، وألفوا كتبهم على شروطها في قبول الأحاديث وردها. بل إننا وجدنا أن أغلب ما صنّف في كتب الحديث. كان من قبيل المستخرجات والمستدركات والجمع بين الصحيحين. أي كلها تدور في تلك الجهود الرائعة التي بذلها هؤلاء الجهابذة الثلاثة في خدمة السنة النبوية المطهرة. فالبخاري من بلاد ما وراء النهر، ومسلم من نيسابور بخراسان. والترمذي من ترمذ على نهر جيحون بينهما.

3-3 ـ جهود الإمام البخاري في علم الحديث من خلال كتابه "الجامع الصحيح"

لم يحظ كتاب بعد كتاب الله تعالى من العناية ما حظيه صحيح البخاري. وكانت هذه العناية جهودا علمية دقيقة في خدمة هذا الكتاب، فقد انتقل إلينا صحيح البخاري من مؤلفه إلى عصرنا عبر أيد علمية أمينة ؛ سماعا أو إجازة، أو مناولة [3].

وهو كتاب قمين بهذا الاهتمام والتبجيل، لأنه كان نقلة كبرى في مجال التصنيف في الحديث النبوي الشريف.

ومن المفيد أن نذكر هنا أن الإمام البخاري ـــ رحمه الله ـــ رأى أن دواوين السنة التي ألفت في عصره وقبله جمعت الصحيح والحسن والضعيف من الأحاديث، ولا يستطيع الناظر فيها أن يميز بين الصحيح وغيره. إلا إذا كان من أهل الفن والصناعة الحديثية،"وكذلك لا يستطيع أن يجمع الأحاديث التي تتعلق بموضوع واحد من الأحكام الشرعية. لأن هذه الدواوين كان يقصد منها جمع الأحاديث

---

(1) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج7/ص343 الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج41ص/134، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص780، **والأمصار ذوات الآثار**. ص 220.

(2) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص863، **والأمصار ذوات الآثار** ص 022، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص 352، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص 342، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج13 / ص 156.

(3) ـــ كافي. **منهج الإمام البخاري**.. مرجع سابق. ص 58.

وحفظها على الأمة فقط، فلم تراع فيها المناسبات في ترتيب الأحاديث وضم بعضها إلى بعض.

إلا أن بعض أهل الحديث ورواته أهملوا فقه الأحاديث، وما تدل عليه ألفاظها من المعاني والفوائد إلى مجرد الحفظ والرواية فكان من أثر ذلك أن عجز هؤلاء عن مناهضة أهل البدع والأهواء بالحجة وقمعهم بالبرهان، كما شاعت الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة فيما بين الناس عن طريق القصاص الذين لا يميزون بين المقبول والمردود من الأحاديث.

وأوغل بعض المنتسبين إلى أهل الرأي في مخالفة السنن الثابتة عن رسول ا لله ﷺ. فحركت هذه العوامل مجتمعة من إمام المحدثين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري همته العالية لجمع طائفة كبيرة من الأحاديث التي صحت أسانيدها وسلمت متونها من العلل مرتبة على أبواب الفقه والسير والتفسير إلى غير ذلك"[1].

لهذا جاء "صحيح البخاري" متميزا بثلاث ميزات:

1 ــ الصحة المتناهية، والشرط القوي في إيراد الحديث.

2 ــ كثرة الفوائد فيه، من التعليقات والاستنباطات وكلام الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.

3 ــ جودة التبويب والترتيب، فإنّه دبّجه ووشّحه بتبويب وترتيب عجيب[2].

وقد لخّص العمادي تلك النقلة التي قادها الإمام البخاري في تدوين الحديث الشريف عن طريق كتابه "الجامع الصحيح" مما جعله منهجا للمحدثين من بعده. في النقاط التالية[3]:

أولا: اقتصر البخاري في كتابه على أحاديث رسول الله ﷺ، ولم يكن ذلك موجودا من قبله حيث كانت الأحاديث مختلطة بأقوال الصحابة وفتاويهم.

ثانيا: جمع الأحاديث الصحيحة فقط دون غيرها.

ثالثا: اعتمد البخاري في روايته للحديث الصحيح على اتصال الإسناد، وإتقان رجاله، بحيث يكونون من الطبقة الأولى عند كل راو من الرواة. يقول ابن حجر: "مدار الحديث الصحيح على الاتصال وإتقان الرجال ... وعند التأمل يظهر أن كتاب البخاري أتقن رجالا وأشد اتصالا"[4].

---

(1) ــ أبو زهو. **الحديث والمحدثون**.. مرجع سابق. ص 378.

(2) ــ عائض عبد الله القرني. **إقرأ باسم ربك**. ط1، بيروت: دار ابن حزم. 2000م، ص 192 ــ 193.

(3) ــ انظر: العمادي. **خراسان** .. مرجع سابق. ص 258 ــ 261.

(4) ــ انظر: **هدي الساري**. ص

كما اشترط البخاري لقبول الحديث من الراوي أن يكون قد عاصر من يروي عنه وأن يكون قد لقيه، وقد عدّ العلماء شروط البخاري لقبول رواية الحديث أشد الشروط.

ولعلّ الذي جعل البخاري يختار شرط المعاصرة واللقيا هو رحلته الطويلة، وشدة تمكنه ومعرفته بالرجال وطبقاتهم، حتى إنه تحدث في كتابه "التاريخ الكبير" عن أربعة عشر ألفا من رواة الحديث، وقال: "كل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب".

رابعا: جمع البخاري في صحيحه (91) كتابا،جمع فيها بين الأحكام والسير والرقائق والزهد والأدب والعقائد والفتن والتفسير، وغير ذلك مما كان منهجا للمحدثين من بعده.

خامسا: بدأ البخاري جامعه بكتاب بدء الوحي، وهي بداية موفقة، لم يسبق إليها، فكأنه يريد التأكيد على أن الوحي هو مصدر هذا الدين، ثم تحدث عن الإيمان، ثم العلم، ثم الوضوء ...

سادسا: مجمل الأحاديث التي جمعها البخاري في كتابه: أربعة آلاف حديث،مختارة من بين ستمائة ألف حديث، وأكثر هذه الأحاديث الأربعة الآلاف مفرق بين عدة أبواب. فالبخاري يذكر في الباب الجزء من الحديث الذي يخدم موضوع الباب، ولعلّ ذلك كان لهدفين: أحدهما "فقهي"حيث يضع القارئ على موضع الاستشهاد من الحديث، والثاني: "حديثي"، حيث كان يقدم الحديث الواحد بأكثر من إسناد، ليعطي فائدة أو أكثر.

سابعا: قدم البخاري لكل كتاب أو باب بمقدمة تشرح مضمون الباب بإيجاز، وهذه المقدمات، يطلق عليها "التراجم"، وقد اهتم العلماء بتراجم البخاري حتى إنهم قالوا: "فقه البخاري في تراجمه"، ويبدو أن أمر الاستنباط الفقهي الموجود في تراجم الكتب أو الأبواب كان هدفا لذاته، ولذا كان البخاري يضع في تلك التراجم بعض الآيات القرآنية التي تسهم في بيان الأحكام الفقهية المستنبطة من الحديث، كما كان يضيف في تلك التراجم بعض أقوال الصحابة أو الأحاديث الموقوفة أو المعلقة للإستئناس بها، وربما لينبه إلى أنه لم يصح في الباب على شرطه شيء من الحديث.

3-4 .جهود الإمام مسلم في علم الحديث من خلال كتابه"الصحيح"

لقد حملت لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء كتب الإمام مسلم وشهادات العلماء الفحول له بالتقدم وعلوّ الشأن في فن الحديث،سندا ومتنا، دراية ورواية، وآثاره في هذا كثيرة ـــ كما قدمنا في ترجمته ـــ فهي لم تقتصر على الرواية والتصنيف فيها، بل شملت أيضا معرفته بالرجال، وأسمائهم وأوطانهم، وكناهم، وطبقاتهم وأحوالهم، وتفرداتهم.

ونبدأ بالحديث عن الأثر الهام من تراث الإمام مسلم وهو "صحيحه" الذي عرفه كل فرد من أفراد المسلمين، وطبقت شهرته الآفاق، وسار ذكره في الأمصار حتى كانوا يعرفون الإمام مسلم به فيقولون بعد ذكر اسمه "صاحب الصحيح"، و لم تظهر مكانة الإمام مسلم الحقيقية إلا بعد تأليفه له. فبه عرف واشتهر "وأبقى له به ذكرا جميلا وثناء حسنا إلى يوم الدين"[1].

وقد كان غرض الإمام مسلم ـــ رحمه الله ـــ من تصنيف كتابه "الصحيح" أن يجمع جملة من الأخبار الصحاح في سنن الدين وأحكامه وغير ذلك من صنوف الموضوعات، لتكون قريبة سهلة المنال من عموم الناس ـــ الراغبين في طلب الحديث ـــ من غير عناء في البحث عن عن صحة الحديث وسقمه. قال رحمه الله: "أخرجت هذا من حديث الصحيح ليكون مجموعا عندي، وعند من يكتبه عنّي، فلا يرتاب في صحتها". وقال أيضا: "فلولا الذي رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدّثا فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة، بعد معرفتهم وإقرارهم بألسنتهم. أن كثيرا مما يقذفون به إلى الأغبياء من الناس هو مستنكر، ومنقول عن قوم غير مرضيّين، ممن ذمّ الرواية عنهم أئمة أهل الحديث مثل: مالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج، وسفيان بن عيينة، ويحي ابن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من الأئمة، لّما سهل علينا الانتصاب لما سألت من التمييز والتحصيل، ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضّعاف المجهولة. وقذفهم بها إلى العوام الذين لا يعرفون عيوبها، خفّ على قلوبنا إجابتك إلى ما سألت"[2].

وعلى هذا "فصحيح مسلم": برز إلى الوجود نتيجة باعثين:

الأول: باعث الطلب المباشر من أحد المعاصرين أو التلاميذ، وهو (أحمد بن سلمة) على ما رجحناه ... ولا شك أن طالب الشيء، إنما يطلبه غالبا ممن يستطيع القيام به، وفي ذلك ما يدلّ على مكانة الإمام مسلم.

الثاني: وباعث الطلب غير المباشر، طلب الحالة الحاضرة التي كان عليها الحديث قبل جمع "الصحيحين" من اختلاط الصحيح بالسقيم، والقوي بالضعيف، وقصور الاستفادة من الأحاديث

(1) ـــ صحيح مسلم بشرح النووي. بيروت: دار الفكر، 1980م.

(2) ـــ مقدمة صحيح مسلم.

على الخاصة دون العامة، فكتب "صحيحه" حرصا منه على حفظ أحاديث سيد المرسلين، وصيانة لعوام المسلمين، عما يخاف عليهم من الوقوع في غرر الأخبار المنكرة، والروايات الضعيفة[1].

وقد اعتنى علماء خراسان وما وراء النهر بـــ"صحيح مسلم" عناية فائقة، وتتجلى مظاهر هذه العناية في نواح شتى. من أهمها:

أولا: نسخه: وتوجد في مكتبات العالم من هذا"الصحيح"نسخ خطية عديدة جدا. فتكاد أن لا تخلو منه مكتبة أو دار للكتب، وهذه النسخ تتفاوت في تاريخ نسخها، وفي نفاستها وجودتها[2].

قال بروكلمان: صحيح مسلم يكاد يضاهي "صحيح البخاري" في كثرة مخطوطاته، ووجودها في أكثر المكتبات"[3].

ثانيا: تدريسه وإقراؤه وسماعه: فما من عالم من العلماء إلا وتجد في ترجمته أنه قرأ هذا الكتاب أو قرأه على شيخه. وقد اعتنى العلماء بصحيح مسلم رواية وإسماعا إلا أنه اتصلت واشتهرت الروايات في الأعصار المتأخرة لصحيح مسلم برواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري الفقيه الزاهد المجتهد. راوية صحيح مسلم توفي سنة 308هـــ[4].

ثالثا: تصنيف المستخرجات[5]

1ـــ"المسند الصحيح المستخرج على صحيح مسلم" لأبي بكر محمد بن محمد بن رجاء النيسابوري (ت 286هـــ).

2-"مستخرج على صحيح مسلم" لأبي الفضل أحمد بن سلمة النيسابوري البزاز(ت 286هـــ).

3-"مستخرج على صحيح مسلم" لأبي جعفر أحمد بن حمدان الحيري (ت 311هـــ).

4-"مستخرج على صحيح مسلم" لأبي عوانة يعقوب بن اسحاق الإسفراييني (ت316هـــ).

---

(1) ـــ مشهور حسن آل سلمان. **الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح وأثره في علم الحديث**. ط1، الرياض: دار الصميعي، 1996م. ج1 / ص 354 ـــ 355.

(2) ـــ المرجع نفسه. ج1/ ص673.

(3) ـــ بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي**. ج3ص/081.

(4) ـــ الزهراني. **تدوين السنة النبوية**.. مرجع سابق. ص 031.

(5) ـــ الاستخراج عند علماء الحديث: هو أن يعمد حافظ من الحفاظ إلى كتاب من كتب الحديث كصحيح البخاري أو صحيح مسلم أو غيرهما من الكتب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه ولو في الصحابي مع رعاية ترتيبه ومتونه وطرق أسانيده. انظر:أبو زهو. **الحديث والمحدثون**.مرجع سابق.ص403.

5-"مستخرج على صحيح مسلم" لأبي عمران موسى بن العباس الجويني النيسابوري(ت 323هـ).

6-"مستخرج على صحيح مسلم"لأبي الوليد حسان بن محمد القرشي الفقيه النيسابوري(ت344هـ).

7-"مستخرج على صحيح مسلم" لأبي حامد بن أحمد بن محمد الشاركي الهروي (ت 350هـ).

8-"مستخرج على صحيح مسلم" لأبي سعيد أحمد بن أبي بكر محمد بن إسماعيل الحيري النيسابوري (ت353هـ).

9-"مستخرج على صحيح مسلم" لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الشمّاخي (ت 372هـ)[1].

كما بلغ الاهتمام بالصحيحين"البخاري ومسلم" إلى أن استدرك عليهما غير واحد، وصنّف ما يسمى"بالمستدركات"[2]. ومن أشهرها:

1ـ"المستدرك على الصحيحين"لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت 405هـ).

2ـ"المستدرك على الصحيحين"لأبي ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عفير الهروي، (ت434هـ).

كما اعتنى بعض علماء إقليم المشرق برجال الصحيحين فمنها:

1ـ"تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم" لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت405هـ).

2ـ"ا لجمع بين رجال الصحيحين" لأبي نصر الكلاباذي، (ت398هـ)[3].

ولما كانت مكانة "صحيح مسلم" جليلة القدر، عظيمة القيمة، فقد انبرت طائفة من العلماء لشرحه، ووضع الحواشي والتعليقات عليه، ومنها شروح بغير العربية، ولكن ذلك تمّ بعد القرن الخامس للهجرة[4].

3 – 5 ـ جهود الإمام الترمذي في علم الحديث من خلال كتابه "الجامع"

اشتهر كتاب الترمذي "بالجامع" ويقال له السنن أيضا، وقد ألف الترمذي جامعه على أبواب الفقه وغيره وأودعه الصحيح والحسن والضعيف مبينا درجة كل حديث في موضعه من الكتاب مع

(1) ـ آل سلمان. **الإمام مسلم بن الحجاج**.. مرجع سابق، ج2/ص603.

(2) ـ الاستدراك في اصطلاح أهل الحديث: هو جمع الأحاديث التي تكون على شرط أحد المصنفين و لم يخرجها في كتابه. انظر: محمد أبو زهو. **الحديث والمحدثون**.. مرجع سابق، ص407.

(3) ـ آل سلمان. المرجع السابق. ج2/ص608 ـ 609، 628 ـ 629.

(4) ـ المرجع نفسه. ج2/ص632 وما بعدها.

بيان وجه الضعف، كما بيّن مذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، واختصر طرق الحديث فذكر واحدا وأشار إلى ما عداه، وجعل في آخره كتابا للعلل جمع في فوائد هامة؛ لذلك جاء كتابه فذا في بابه، ففيه من الفوائد الفقهية والحديثية ما ليس في غيره[1].

وقد عدّد العلماء فوائد كتاب الترمذي وبيّنوا مقاصده، فقال ابن رشيد: "إن كتاب الترمذي تضمن الحديث مصنّفا على الأبواب، وهو علم برأسه، والفقه وهو علم ثان، وعلل الحديث، ويشتمل على بيان الصحيح من السقيم وما بينهما من المراتب. وهو علم ثالث، والأسماء والكنى، وهو علم رابع، والتعليل والتجريح،وهو علم خامس، ومن أدرك النبي (ص) ومن لم يدركه ممن أسند عنه في كتابه، وهو علم سادس، وتعديد من روى ذلك الحديث، وهو علم سابع.

هذه علومه المجملة، وأما التفصيلية فمتعددة، وبالجملة فمنفعته كثيرة، وفوائده غزيرة".

وقال الإمام أبو بكر بن العربي في شرحه "عارضة الأحوذي" في فصل نفيس عقده لبيان فوائد الكتاب: "وليس فيها ـــ يعني كتب الحديث ـــ مثل كتاب أبي عيسى حلاوة مقطع، ونفاسة مترع، وعذوبة مشرع، وفيه أربعة عشر علما، فهو قد صنّف، وأسند، وصحح، وأسقم، وعدد الطريق وجرح وعدل، وأسمى وأكنى، ووصل وقطع، وأوضح للمعمول به والمتروك، وبيّن اختلاف العلماء في الرد والقبول لآثاره، وذكر اختلافهم في تأويله.

وكل علم من هذه العلوم أصل في بابه وفرد في نصابه، فالقارئ له لا يزال في رياض مونقة، وعلوم متفقة متسقة"[2].

و الناظر في هذه الفوائد يجدها ترجع إلى أمرين: الصناعة الحديثية، والفقه استنباطا واختلافا.

فنستطيع أن نخلص إلى نتيجة وهي: أن موضوع كتاب أبي عيسى الترمذي "الجامع" هو الحديث الشريف صناعة وفقها[3].

وقد عني الإمام الترمذي بصناعة الأسانيد، فجمعها واختصرها في مكان واحد بطريقة حسنة، فشابه بذلك عمل الإمام مسلم بن الحجاج، وسار في فنه على مسلك جيّد تفرّد به، فميّز أنواع الحديث في كتابه، ونبّه على عللها بأوضح عبارة وأبينها، وأتى بأحكامه على الأحاديث مشروحة مبينة، فاحتوى

(1) ـــ أبو زهو. **الحديث والمحدثون**.. مرجع سابق، ص415.

(2)ـــ ابن العربي المالكي. **عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي**، ط1، القاهرة: المطبعة المصرية، 1931م،ج1/ص5-6.

(3) ـــ نور الدين عتر. **الإمام الترمذي**.. مرجع سابق، ص53.

كتابه غزير المسائل المفيدة في علوم الحديث، فأثنى عليه بذلك أئمة علم الحديث وحفّاظه، وأشادوا بتفوقه. قال الحافظ أبوجعفر بن الزبير: "وللترمذي في فنون الصناعة الحديثية ما لم يشاركه غيره"[1].

ويدل على ذلك أيضا ما تحدث به الإمام الترمذي عن تأليف كتابه فقال: "وإنما حملنا على ما بيّنا في هذا الكتاب من قول الفقهاء، وعلل الحديث، لأنا سئلنا عن هذا فلم نفعله زمانا، ثم فعلناه لما رجونا فيه من منفعة الناس، لأنا قد وجدنا غير واحد من الأئمة تكلفوا من التصنيف ما لم يسبقوا إليه، منهم: هشام بن حسان، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، وسعيد بن أبي عروبة، ومالك بن أنس، وحماد بن سلمة، وعبد الله بن المبارك، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم من أهل العلم والفضل، صنفوا فجعل الله في ذلك منفعة كثيرة، فنرجو لهم بذلك الثواب الجزيل عند الله، لما نفع الله به المسلمين، فهم القدوة فيما صنفوا"[2].

ويمكن أن نجمل مميزات جامع الترمذي فيما يلي:

1 ــ يعقب على الحديث بالتصحيح والتضعيف، فيقول: حديث حسن صحيح، حديث حسن غريب، حديث غريب، ويعد الترمذي أول من نبه إلى الحديث الحسن، وأكثرمنه.

2ــ يذكر الصحابة الذين رووا الحديث، يقول: وهو من حديث فلان، وفي الباب عن أبيّ وأبي أيوب وحذيفة وأسماء وابن عباس وابن عمر.. وهذه فائدة جليلة تطلعنا على من روى الحديث من الصحابة.

3 ــ أنه قد يسمّي من كُني أم من لم يسمَّ في السند، فيقول: أبو فلان اسمه كذا وكذا، وقد ينسبه، يقول: هذا البجلي، أو الغطفاني، أو الفزاري.

4ــ أنه يذكر أقوال أهل العلم فيقول: وهو قول مالك وأحمد وابن المبارك وإسحاق، ويذكر إذا كان ذلك إجماعا أو غير ذلك.

أنه ربما ذكر الضعف ثم قال: لا نعرفه إلا من حديث فلان، فإذا ذكر ذلك فقد نبّه على أن سبب الضعف هو ذلك المذكور[3].

ولإتقان الترمذي كتابه وما ضمنه من الفوائد العظيمة التي سبق أن تحدثنا عنها لقي كتابه

(1) ــ السيوطي. تدريب الراوي. ص 99، نور الدين عتر. الإمام الترمذي.. مرجع سابق. ص230.

(2) ــ ابن العربي. عارضة الأحوذي. ج2/ص322.

(3) ــ عائض القرني. إقرأ باسم ربك. مرجع سابق، ص198.

"الجامع" القبول والحظوة لدى العلماء كافة منذ عصر مصنفه إلى اليوم.. ونصوصهم الصريحة في الاعتماد عليه وأخذ الصحيح منه ـــ مما سبق أن ذكرنا بعضه ـــ يظهر لنا أن قبول الجامع وأحكامه الحديثية التي تضمنها هي موضع إجماع علماء الأمة جيلا بعد جيل، ويكشف عن رسوخ الترمذي في فن الحديث، وبعد نظره في علومه وأصوله.

وقد قال الترمذي نفسه: "صنفت هذا الكتاب، فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم"[1].

وبعد هذه الجولة في علم الحديث وأشهر رجاله في خراسان وما رواء النهر، والجهود التي بذلوها في خدمة السنة المطهرة يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

1 ـــ بالرغم من أن الحياة السياسية خلال القرون الثلاثة ـــ فترة الدراسة ـــ كانت مضطربة مائجة لكن هذه الأحداث التي غيرت خريطة الدولة الإسلامية سياسيا، كانت خيرا وبركة على الحركة العلمية التي انتشرت في كل مكان على يد العلماء الذين أخذوا يرحلون من قطر إلى قطر ومن مصر إلى مصر، ويتلقى بعضهم عن بعض، ويعرضون الكتب والمسموعات على الشيوخ، وكان لهم نشاط علمي في نقد الرجال، وتمحيص الأحاديث، ومصنفات جياد في علل الحديث، وتاريخ الرواة وعلوم الحديث عامة.

2 ـــ أن القرن الثالث الهجري هو أزهى عصور السنة وأحفلها بخدمة الحديث، فقد سلك المحدثون سبلا جديدة لصيانة السنة والذب عنها أمام تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وقد ظهر الرجال الأفذاذ والمحدثون الأفراد في إقليم المشرق خلال هذا القرن، أسهموا إسهاما فعّالا في تنشيط حركة التأليف والتدوين في علوم الحديث خاصة، بل نالوا فضل السبق في وضع القواعد الكلية والضوابط العامة في مجال النقد التي عرفت فيما بعد بعلوم الحديث.

3 ـــ ما كاد ينتهي القرن الثالث حتى وجدنا أن عمل العلماء أصبح قاصرا على الجمع والترتيب أو التهذيب لكتب السابقين، كالجمع بين الصحيحين أو بين الكتب الستة، أو الجمع بين أحاديث من كتب مختلفة.

---

(1) ـــ ابن الأثير الجزري. **جامع الأصول**. مطبعة السنة المحمدية، 1949م ج1/ص144، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج9/ص389.

4 ــ لما كان الحديث يعتمد بالدرجة الأولى على السماع والرواية والحفظ أكثر من اعتماده على التدوين والكتابة، ودوّن في كتب الصحاح والمسانيد والسنن المعتمدة خلال القرن الثالث الهجري، فقد وجدنا التركيز في القرن الرابع والخامس على حفظ هذه الكتب ورواية الأحاديث بأسانيدها التي ذكرت فيها، ونفي لما اندس في ثناياها، واستنباط من عيونها، وتأليف بينها، وشرح لغامضها. أكثر من الاهتمام بالتآليف الإبداعية، فقد جاءت في أغلبها عبارة عن شروح على الكتب السابقة أو مختصرات لها، أو تخريجات منها، أو تذييلات عليها.

5 ــ نلاحظ أن أغلب العلماء ظهروا خلال حكم الدولة السامانية، وخاصة في علم الحديث، وذلك يعود إلى تشجيع الأمراء والحكام على العلم، وحرصهم على رعاية طلابه.

6 ــ قدم علماء خراسان وماوراء النهر جهودا جبارة فاقت جهود كثير من علماء الأقطار الأخرى في تتبع الأسانيد والبحث عن سقيم الأخبار، وحملوا راية الذب عن سنة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4. الفقه والقضاء والإفتاء

1.4. مدخل:

إن الدين الذي يبني أمة ذات رسالة تبقى على الدهر، وتظل صلاحيتها كامنة في تعاليمها مع تغير الأعصار والأمصار، ولا يدع في السلوك العام أو الخاص فجوة يقوم غيره بسدادها ...

والحقيقة أن المجتمع الإسلامي منذ نشأ صبغ بطابع الفكر القانوني في كل شيء، وتدخلت تعاليم الإسلام في تنظيمه.. وهي تتابع الإنسان من مهده إلى لحده، وتضبط حركته في الكون وفق نصوص شرعية واضحة. بدءا من علاقة المرء بربه إلى علاقته بغيره. أو بعبارة أخرى من الأحوال الشخصية إلى العلاقات الدولية ... مما يؤكد أن الأمة الإسلامية ليست أمة سائبة، بل هي أمة ملتزمة بعقيدة وشريعة.. والفقه هو الذي يضبط الدورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع، متناغمة إيقاعاتها الحضارية مع ما يريده الإسلام، وما يأمر به، وما ينهى عنه ...

ولهذا جمعت أبواب هذا الفقه مباحث الوضوء والغسل، وقضايا عهود الأمان ودار الحرب، وغيرها من موضوعات القانون الدولي.

وقد شحنت كتب الفقه المحيط بالأحكام الفردية والأسرية والسياسية والدستورية والمالية والدولية،مع استبحار في حياة الإنسان بشكل لا نظير له في ثقافة أخرى ... مما جعل الفقهاء هم الذين تصدروا الإفتاء في الدولة.. وتقلدوا مناصب القضاء ؛ لكونهم أعلم الناس بالكتاب والسنة والقياس والإجماع. وأفقههم في تنزيل أحكام الشارع في دنيا الناس وما يطرأ فيها من أقضية ونوازل.

وهذا الفقه الرحب يمكن تعريفه بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية بالاستدلال"[1]. وهذا المعنى مأخوذ من المعنى اللغوي للكلمة الذي يفيد معنى العلم والفهم.

كما عرفه ابن خلدون بقوله: "هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر، والندب، والكراهة، والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها: فقه، وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيما بينهم"[2].

وأجمل الدكتور الأشقر تعريف الفقه بأنه: "العلم بالأحكام الشرعية الفرعية المتعلقة بأفعال العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الأسرية، وجناياتهم، والعلاقات بين المسلمين بعضهم

(1) ــ أبو حامد الغزالي. **المستصفى في علم الأصول**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م، ص5.

(2) ــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص 427 ــ 428.

وبعض، وبينهم وبين غيرهم في السلم والحرب، وغير ذلك، والحكم على تلك الأفعال بأنها واجبة أو محرّمة أو مندوبة أو مكروهة، أو مباحة، أو صحيحة أو فاسدة أو غير ذلك. بناء على الأدلة التفصيلية الواردة في الكتاب والسنة وسائر الأدلة المعتبرة"[1].

ويعتبر عصر الخلفاء الراشدين، هو عصر التأسيس للفقه الإسلامي فيه بدأ ينمو ويتسع. مع اتساع رقعة دولة الإسلام، ودخول أجناس مختلفة في الدين الجديد، وذلك بعد فتح الشام والعراق ومصر وخراسان وما وراء النهر وغيرها. وفي هذه البلاد نظم لم يألفوها، وعادات وتقاليد لم يعرفوها، وظهرت وقائع ومشكلات جديدة لابدّ لها من حلول.

وكان لانتشار الصحابة في الأمصار دور كبير في نشوء المذاهب، واختلاف الآراء.. يقول ابن القيم: "الفقه انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود بالعراق، وأصحاب زيد بن ثابت وابن عمر بالمدينة، وأصحاب ابن عباس بمكة"[2].

تبعا لهذا تكونت لشخصيات الصحابة واجتهاداتهم مدارس[3] الفقهاء المختلفة في البلدان على أيدي تلاميذهم من التابعين الذين أصبحوا قادة تلك المدارس وأئمتها.

وكانت أهم تلك المدارس، مدرستا المدينة والكوفة، أي: مدرستا الحجاز والعراق[4].

وقد عرف أصحاب مدرسة المدينة بأهل الحديث؛ لأن رأيهم أن أهل للدينة أثبت النـــاس في الفقه، لأنها البلد الذي عاش فيه أكثر الصحابة، ووجدت فيها السنة، وما وجدوه مجمعا عليه بـــين علماء المدينة فإنهم يتمسكون به، وما كان فيه اختلاف عندهم فإنهم يأخذون بأقواه وأرجحه بوجه من وجوه الترجيح لديهم. دون النظر في علّة النّص وبواعثه والظروف التي ورد فيهـــا. ومعرفـــة غرض الشارع فيها. ولا سيما نصوص الحديث النبوي التي تناولت أمورا معيّنـــة بخصوصـــها، ولم تقتصر على العموميات. بينما نصوص القرآن تغلب فيها العموميات الدستورية.

كما عرف أصحاب مدرسة العراق بأهل الرأي، وهؤلاء يرون أن الشريعة معقولة المعاني ولها أصول يرجع إليها، فكانوا لا يخالفون الأولين في العمل بالكتاب والسنة ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، ولكنهم لاقتناعهم بمعقولية الشريعة وابتنائها على أصول محكمة مفهومة من الكتاب والسنة. كانوا لا يحجمون عن الفتوى بما يرونه أقرب إلى مقاصد الشريعة فيما لم يجدوا فيه

(1) ـــ عمر سليمان الأشقر. **الواضح في أصول الفقه**.ط4، عمّان: دار النفائس، 1992م. ص 10 ـــ 11.

(2) ـــ ابن القيم الجوزية. **أعلام الموقعين عن رب العالمين**. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، (دت)، ج1/ص21.

(3) ـــ لا يقصد بالمدرسة هنا الهيكل والبناء. بل المقصود هو الجماعة الذين يصدرون عن نظرية أو مذهب واحد علمي أو فلسفي، وقد يراد بها المذهب نفسه.

(4) ـــ انظر:مصطفى أحمد الزرقا.**المدخل الفقهي العام**. ط1، دمشق: دار القلم 1998م ج1/ص185 ـــ 186.

نصّا. وفوق ذلك كانوا يحبوّن معرفة العلل والغايات التي من أجلها شرعت الأحكام، وربما ردوا بعض أحاديث لمخالفتها أصول الشريعة، ولا سيما إذا عارضتها أحاديث نبوية أخرى[1].

ولكن رغم هذا الاختلاف بين المدرستين المتباينتين جغرافيا، فإن مرجع هذا الاختلاف ليس إلى التباين الجغرافي، بل إلى اختلاف منهج مدرستي أهل الحديث وأهل الرأي. الذي هو مظهر لمنهجين أساسين في التعامل مع النصوص التشريعية عموما، قلما تخلو منها بيئة إنسانية متحضّرة: منهج شديد التمسك بظاهر النّص، ومنهج يعطي وزنا أكبر للمقاصد العامة التي بني عليها النّص والحكمة المتوخاة منه[2].

وعلى هذا الأساس وجدنا في إقليم خراسان وماوراء النهر من الفقهاء من كلا المدرستين. دون اعتبار للتقسيم الجغرافي التقليدي في التميز بين المذهبين. وقد انتشر في خراسان وبلاد ما وراء النهر أغلب المذاهب الفقهية السنية فيها والشيعية. التي كتب لها التدوين والبقاء. والتي اندثرت وتلاشت لعدم تدوين أصحابها لها، أو لعدم وجود تلاميذ يقومون عليها.

" فهذا المذهب المالكي، وهو مذهب أهل المدينة، دخل إلى خراسان وبلاد المشرق بواسطة يحي بن يحي التميمي شيخ الإمام مسلم، وابن المبارك، وقتيبة بن سعيد، وكان له هناك أئمة وأتباع، وفشا بقزوين وأهر وما ولاها من بلاد الجبل، ويعدّ آخر من درّس المذهب المالكي بنيسابور أبو اسحاق بن القطان"[3].

وقد أعطى القاضي عياض خريطة وافية بالأقاليم التي دخل إليها المذهب وانتشر فيها، فقال عن المذهب المالكي: "...وغلب من بلاد خراسان على قزوين وأهر وظهر بنيسابور، وكان بها وبغيرها أئمة مدرسون..."[4].

إلا أنّ سعة انتشار مذهب أبي حنيفة في العراق وبلاد خراسان،ضايقت مذهب الإمام مالك فلم يكتب له سعة الانتشار في هذين القطرين.. كما حصل له في مصر وشمال إفريقية والأندلس[5].

---

(1) ــ انظر: محمد عبد اللطيف صالح الفرفور. **تاريخ الفقه الإسلامي**. ط1، بيروت: دار ابن كثير. 1995م. ص 34، ابراهيم عبد الرحمن ابراهيم. **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي**. ط1، عمان: مكتبة دار الثقافة، 1999م. ص 86 ــ 87، شوقي عبده الساهي. **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي**.ط1، الكويت: مؤسسة علي الصباح للنشر والتوزيع.1989م.ص 66-69.

(2) ــ مصطفى الزرقا. **المدخل الفقهي العام**. مرجع سابق. ج1 / ص 198.

(3) ــ عبد الهادي الفضيلي وآخرون. **المذاهب الإسلامية الخمسة**، تأريخ وتوثيق. ط1، بيروت: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م. ص 478.

(4) ــ انظر: القاضي عياض. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**. تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة (د. ت). ج1 / ص 79 ــ 80.

(5)-عبد الله الدرعان. **المدخل للفقه الإسلامي،تاريخه،قواعده،مبادؤه العامة**. ط1، الرياض: مكتبة التوبة، 1993م.ص147.

ومن أكثر المذاهب الفقهية انتشارا في خراسان وبلاد ماوراء النهر مذهبان أساسيان هما: المذهب الشافعي، والمذهب الحنفي.

وجدير بالذكر أن أول من أظهر المذهب الشافعي بمرو وخراسان هو الحافظ عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي (ت 293هـ)، بعد أحمد بن سيار، كما كان القفال الشاشي الكبير: محمد بن اسماعيل (ت 365هـ) أول من أدخل مذهب الشافعي إلى بلاد ما وراء النهر[1].

ولعل انتشار المذهب الشافعي في تلك الأقاليم من بلاد الإسلام يرجع إلى ما تميّز به المذهب الشافعي من التوفيق بين الفقه والرأي، ... وتلمذة الشافعي على أستاذه الإمام مالك في المدينة المنورة. وتلمذته على أستاذ عراقي هو محمد بن الحسن[2]. الذي اطلع على فقه الإمام أبي حنيفة من طريق كتبه، وكان أسلوب التوفيق بارعا يعتمد على أصالة السنة وحجيتها، وكونها المصدر الثاني للتشريع، ثم يأتي دور القياس في ما لم يكن فيه نص شرعي.

جاء في الفوائد البهية: "انتشر المذهب الشافعي بعد مقامه في مصر، فظهر في العراق، وكثر أتباعه في بغداد، وغلب على كثير من بلاد خراسان، وتوران، والشام، واليمن، ودخل ما وراء النهر، وبلاد فارس والحجاز، وبعض بلاد الهند، وتسرّب إلى بعض شمال إفريقية والأندلس بعد سنة 300هـ"[3].

ولم يكن إقليم المشرق بمعزل عن ظاهرة التعصب المذهبي، وبروز التناظر والتحاجج بين المذهبين، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: " وأما الشافعي فمقلدوه بمصر أكثر مما سواها، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق، وخراسان، وما وراء النهر، وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار، وعظمت مجالس المناظرات بينهم، وشحنت كتب الخلافيات بأنواع استدلالاتهم، ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره ..."[4].

أما الشيخ أبو زهرة فيرجع مظاهر شيوع العصبيات المذهبية وما حدث بين الشافعية والحنفية في العراق وخراسان إلى أثر البيئة واختلاف النزعات، فمن الفقهاء من كان يتقيد تقيدا شديدا بالفروع المأثورة عن الشافعي، ومنهم من لا يتشدد في التقيد.

ويوازن الإمام النووي بين المدرسة العراقية والمدرسة الخراسانية. في نقلها عن الإمام الشافعي،

(1) ــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص152. ولا يزال المذهب الشافعي اليوم غالبا على الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفياتي عام 1990م.

(2) ــ هو محمد بن الحسن الشيباني، من أشهر تلاميذ أبي حنيفة، ومن عباقرة الفقهاء الأذكياء، ومن أئمة اللغة أيضا، وإلى جانبه أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم الذي تولّى سلطة القضاء في الدولة العباسية في عهد الرشيد. وألّف له كتاب الخراج، وأبو يوسف ومحمد. يلقبان بـــ " الصاحبين " وإليهما يعود الفضل في تدوين فقه أبي حنيفة ونشر مذهبه.

(3) ــ نقلا عن. عبد الهادي الفضيلي وآخرون. **المذاهب الإسلامية الخمسة**. مرجع سابق. ص 542.

(4) ــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص 430.

قوله: "إعلم أن نقل أصحابنا العراقيين لنصوص الشافعي وقواعد مذهبه، ووجوه متقدمي أصحابنا أوثق وأثبت من نقل الخراسانيين غالبا، والخراسانيون أحسن تصرفا وتفريعا وترتيبا غالبا".

وأن وجود الشافعية المخرجين بخراسان ونيسابور جعلهم يتصلون بالشيعة الإمامية كما اتصلوا بالزيدية في اليمن، وأن الاتصال في المذاهب المتضاربة في بعض نواحيها وإن أوجد جدالا في بعض المسائل يمكن أصحاب كل مذهب من أن يفهموا بعض ما عند مخالفيهم مما يحسن أخذه، لأن الالتقاء الفكري والمادي يجعل الأفكار تتبادل بينهم أرادوا أو لم يريدوا.

وأن المذهب الشافعي قد صاحب في هذه البلاد النائية عن البلاد العربية المذهب الحنفي، واشتد الصراع بين المذهبين بلغت حدّته أقصى ما يمكن، فعقدت مجالس المناظرات في المساجد والأندية كل فريق يحشد أدلته وحججه لينصر رأيه، ويترصد مواطن الضعف في أدلة خصومه[1].

وقد كانت شدة الصراع تصل إلى حد التقاتل وإراقة الدماء.. حتى كان يتدخل بينهم السلطان لفض ما يقع بينهم من خلاف[2].

أما المذهب الحنفي فقد ساد في كل بلد كان للدولة العباسية سلطان فيه، وكان يخف سلطانه كلما خفّ سلطانها[3]. فقد تبنت الدولة السامانية ـــ وهي على وفاق مع العباسيين ـــ الفقه الحنفي وعولت عليه، مما حدّد وضيق من وجود المذاهب الأخرى. كالفقه الجعفري والمالكي. لكن "الغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش وإيلاق وطوس ونسا وأبيورد وسواد بخارا ... فإنّهم شافعية كلهم، والعمل في هذه المواضع على مذهبهم ... ولا يكون قاضيا إلا من الفريقين"[4].

ولما كان للفقهاء مكانة في المجتمع وشأن بين العامة عظيم تنقاد لهم وتستجيب لأقوالهم. فقد مثلوا حلقة الوصل بين الحكام وجمهور الأمة، فهم مناط الاستقرار في الدولة، ومحل التقدير من كلا الطرفين، فلا غرو أن يختار الحكام منهم القضاة والمفتين ورجل الحسبة والخطباء.

و نجد أنه في أيام الدولة السامانية كان الفقيه يقيم بدار السلطان، يطلق عليه لقب "الأستاذ" مهمته الإجابة على ما يرد إليه من أسئلة الأمير، وممن شغل هذا المنصب أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب السبذموني البخاري (ت 340هـ)[5].

---

(1) ـــ محمد أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية. القاهرة: دار الفكر العربي (د. ت). ص 465.

(2) ـــ انظر: المقدسي. أحسن التقاسيم. ص 336.

(3) ـــ محمد أبو زهرة. تاريخ المذاهب الإسلامية. القاهرة: دار الفكر العربي (د. ت). ص 381.

(4) ـــ المقدسي. أحسن التقاسيم. ص 323.

(5) ـــ السمعاني. الأنساب. ج1/ص129، ج3/ص213.

أما في عصر الدولة الغزنوية فقد وجدنا أن الاهتمام بخدمة المذهب الحنفي لم يقتصر على الفقهاء والعلماء، بل حتى الحكام والأمراء ساهموا في تنشيط الحركة الفقهية. وشاركوا بتآليف نافعة فيها. فهذا محمود الغزنوي (361هـ ـ 421هـ) وصف أنه كان من الفقهاء والبلغاء، واستعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في علوم مختلفة نسبت إليه. منها كتب الفقه الحنفي مثل كتابه التفريد في فروع الفقه الحنفي[1].

كما وجه الفقهاء في هذه الفترة اهتمامهم للمشاكل التي طرأت على المجتمع نتيجة التوسع الجغرافي، واختلاط الأجناس والأعراق والأعراف والتقاليد، فقد كثر البذخ، وانتشر الترف. وزاد عدد الرقيق في البيوت من نساء ورجال وأطفال، وحدثت حوادث للرقيق كثيرة من إباق ومكاتبة وغير ذلك، فتوسع الفقهاء في هذا الباب كثيرا. كما شغلتهم ظاهرة زيادة حالات الطلاق في المجتمع. بسبب تعدد الزوجات، وكثرة الإماء، وغيرة الحرائر من الإماء، والإماء بعضهن من بعض، فكثرت الفروض والأحكام في هذا الباب[2].

و استطاع الفقهاء في هذا العصر أن يجدوا لقضايا مستجدة، ونوازل طارئة ما لم يرد فيها نص. ساعين في ذلك إلى جعل الشريعة الإسلامية فيصلا في ما يقوم بين الناس من خصومات. ومن ذلك: أن فقهاء خراسان ألفوا كتابا في أحكام القنوات سدّا لباب الخصومة التي تقع بين الناس بسببها. يقول الكرديزي في هذا الصدد: "لما كانت خصومات القنوات تقع بينهم دائما، ولم يكن قد ورد في كتب الفقه، وأخبار رسول الله ﷺ في معنى القنوات شيء من الأحكام، فجمع عبد الله البخاري كل فقهاء خراسان وآخرين من العراق ليؤلفوا كتابا في أحكام القنوات، ويسمون ذلك الكتاب "كتاب القنى" ويكون متضمنا لسائر الأحكام التي ترد في ذلك الصدد، ففعلوا حسب المطلوب، واصطلح ذلك الكتاب بهذه الغاية، وصارت أحكام القني وقتنا تجري في ذلك المعنى على موجب ما ورد في ذلك الكتاب"[3].

والحق أن أبا حنيفة أنضج الفقه العراقي ـــ الذي يعتبر فقه خراسان امتدادا له ـــ وأوفى فيه على الغاية، ولم يقتصر على ما وجد بل أكثر من التفريع، وفرض الفروض وتقدير المسائل التي لم تقع، فبيّن حكمها، ووضح أدلتها،وأكثر في ذلك من القياس، واستخراج العلل من ثنايا النصوص وملابساتها.حتى لقد ادعى أنه وضع ستين ألف مسألة.

(1) ـ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج1 / 426، الزركلي. **الأعلام**. ج7/ص171، البغدادي. **هدية العارفين**. مج6 / 401، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج3/ص809.

(2) ـ احمد أمين. **ظهر الإسلام**. ج2 / ص 54.

(3) ـ الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 9 ـ 10.

ولكن جاء بعض الفقهاء بعد القرن الثالث الهجري فشغلوا أنفسهم بالتفريع حتى فرضوا مسائل لا تقع، بل لا يتصور وقوعها ويستحيل في العقل وجودها[1].

أما الفقه الحنبلي فهو أضيق المذاهب انتشارا في حواضر المشرق وأقلّ اتباعا على مرّ العصور. ولعلّ السبب يعود إلى ابتعاد علمائه عن القضاء، وتولّي المناصب في الدولة إيثارا للعلم والتدريس واجتناب الفتن.

كما أن تشدد الحنابلة في كثير من الفروع الفقهية وتمسكهم بما ألب عليهم الناس والسلطان بما اتخذوه من عنف في سبيل إظهار مذهبهم[2].

أما مذهب الشيعة الإمامية[3]. فقد انحسر وجوده في ظل الدويلات المستقلة في خراسان وماوراء النهر خلال فترة الدراسة ولم يكن له حضور قوي في إقليم المشرق إلا بعد القرن السادس الهجري، ويرجع في اعتقادي إلى سببين رئيسيين هما:

أولا: ردة الفعل حول ما تعرضت له المذاهب السنية من المضايقات خلال حكم البويهيين في بغداد، فوجدت هذه المذاهب في إقليم المشرق متنفسا لها، ومساحة رحبة لانتشارها.

ثانيا: نفس الشيء حدث في بلاد المغرب حين فرضت الدولة الفاطمية المذهب الشيعي على أهل المغرب بالقوة والقسوة، حتى عوقب رجل بالقتل شوهد وهو يحمل كتاب الموطأ لمالك، ويحكي لنا القاضي عياض في "ترتيب المدارك" كيف أسرف الفاطميون في فرض المذهب الشيعي، وقتل من رفض اتباعه، فيقول في ترجمة أبي بكر بن هذيل وأبي إسحاق بن البرذون كيف سجنا وربطا في أذناب الدواب حتى ماتا لعدم إفتائهما بمذهب أهل البيت[4].

---

(1) ــ افترض بعض الفقهاء وقوع مسائل يستحيل وقوعها عادة، فقالوا: لو وطئ الخنثى نفسه. فولد هل يرث ولده بالأبوة أو الأمومة أو هما، ولو توالد له ولد من بطن وآخر من ظهره لم يتوارثا. لأنهما لم يجتمعا في بطن ولاظهر، واعتذر بعضهم عن ذلك بأنهم فرضوا ما يقتضيه الفقه بتقدير الوقوع.

والحق أنه لو اشتغل الفقهاء بما يخص المسلم من واجبات وأوامر تصلح دينه وعبادته لكان أزكى وأحسن.

(2) ــ محمد أبو زهرة. **أحمد بن حنبل. حياته ــ عصره ــ آراؤه وفقهه**، القاهرة: دار الفكر، (دت)، ص353، **تاريخ المذاهب الإسلامية الخمسة**. مرجع سابق. ص 528.

(3 (كل الشيعة الإمامية يتلاقون على العمل في الفروع الفقهية بالمذهب الجعفري، فهو المذهب السائد في الفروع، ذلك لأن الإمامية يتلاقون متفقين عند الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه، ثم يفترقون بعد ذلك، فمنهم من يعتبر إسماعيل هو الإمام وهؤلاء هم الإسماعيلية، أما الإثنا عشرية فقد اعتبروا الإمام من بعده هو موسى الكاظم، ثم أرسلوا سلسلتهم إلى محمد بن الحسن العسكري الذي هو في غيبة بسامراء ولا يزال ينتظر وسوف يعود..

(4) ــ **ترتيب المدارك**. ج 1 / ص 95.

4.2. أعلام الفقه والإفتاء في خراسان وما وراء النهر

حفلت خراسان وبلاد ما وراء النهر خلال فترة الدراسة بعدد كبير من الفقهاء من مختلف المذاهب الإسلامية ولا يسعنا إحصاؤهم وتدوينهم وحصر أعدادهم، لكثرتهم مما يدل دلالة واضحة على عناية القوم في هذا العصر بدراسة الفقه: أصوله وأقضيته وأحكامه وفتاواه، إضافة إلى مجمل القضايا والنوازل التي استجدت في إقليم المشرق المزدحم بمختلف الأجناس وكثرة الدول التي تعاقبت عليه.

ويحسن بنا أن نعرض لأشهر الأعلام الفقهاء ممن عنوا بالفقه وفروعه وصنفوا فيه المصنّفات الكثيرة القيمة، ونأتي على ذكرهم وفق الحواضر الشهيرة في خراسان وبلاد ما وراء النهر متخذين سني وفاتهم أساسا في الترتيب. ونذكر منهم:

في نيسابور التي أخرجت الجمّ الغفير من الفقهاء من أهل الحديث وأصحاب الرأي يقول ابن حوقل: "خرجت نيسابور من العلماء كثرة ونشأ بها على مرّ الأيام من الفقهاء من شهر اسمه وسمق قدره وعلا ذكره"[1].

فهذا أبو بكر يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري، كان من فقهاء الحديث على مذهب مالك بن أنس، فقد قضى يحيى في مجلس مالك سنين أفاد من علمه وشمائله، وروى عنه "الموطأ"،رزق يحيى بسطة في المال والعلم حتى صار شيخا ثقة لأصحاب الحديث، خرّج عنه البخاري ومسلم في صحيحهما، وقال إسحاق بن راهوية: "لم أكتب العلم على أحد أوثق في نفسي منه"[2].

لقب بالشكاك، لكثرة شكه في الحديث، قال عنه أحمد بن حنبل: "ما أخرجت خراسان مثله، كنا نسميه بالشكاك من كثرة ما كان يشك في الحديث"[3].

من آثاره في الفقه: "كتاب عشرة يحي بن يحي على مذهب مالك بن أنس" وظهر له عشرون ألف حديث. توفي سنة (226هـ) ومات وهو "إمام لأهل الدنيا"[4].

وهذا أبو عبد الله أحمد بن نصر القرشي النيسابوري (ت 245هـ). قال الحاكم: "كان فقيه أهل الحديث في عصره، كثير الحديث والرحلة " رحل إلى مصر والشام والعراق، سمع منه

(1) ــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 364.
(2) ــ القاضي عياض. **ترتيب المدارك**. ج1 / ص 407 ــ 409، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص415.
(3) ــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص416.
(4) ــ المصدر نفسه.

أبو نعيم وهو شيخه، ورحل إلى أبي عبيد[1] على كبر السن متفقها فأخذ عنه، وكان يفتي بنيسابور على مذهبه،وممن تفقه عليه ابن خزيمة النيسابوري[2].

من آثاره الفقهية: كتاب "اختلاف الفقهاء الكبير"، وكتاب "اختلاف الفقهاء الصغير"[3].

ومن فقهاء الحديث في نيسابور أيضا. أبو أحمد حميد بن زنجويه الأزدي النسوي، (ت251هـــ)،قال عنه أحمد بن سيار في تاريخه: "كان حسن الفقه قد كتب الحديث، ورحل إلى الشامات وكان رأسا في العلم، حسن الموقع عند أهل بلده". وهو مرجع ثبت في مذهب مالك. قال ابن أبي أويس: "أخرجت مسائل لمالك كنت أحب أن ينظر فيها من أهل خراسان.. حميد بن زنجويه"[4].

ذكره ابن حبان في الثقات بقوله: كان من سادات أهل بلده فقها وعلما وهو الذي أظهر السنة بنسا"[5]. من آثاره في الفقه: كتاب "الأموال"[6]. وهو كالمستخرج على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وقد شاركه في بعض شيوخه وزاد عليه زيادات كما يذكر الكتاني[7] وكتاب "الترغيب والترهيب"[8]، وكتاب"فضائل الأعمال"[9]، وكتاب "الآداب"[10].

ومن فقهاء الحنفية محمد بن يزيد بن عبد الله السلمي النيسابوري، ذكره الصفدي بقوله: "كان شيخ الحنفية في عصره بنيسابور، توفي سنة (259هـــ)"[11].

كما نذكر علي بن موسى بن يزداد القمي النيسابوري (ت 305هـــ) الحنفي المذهب، وهو فقيه أصولي، محدّث، رحالة، مفسّر، تصدّر بنيسابور للإفتاء، وتخرّج به الكبار وذاع صيته وطال عمره، من مصنفاته: أحكام القرآن ـــ إثبات القياس ـــ الاجتهاد وخبر الواحد ـــ شرح

(1) ـــ أبو عبيد القاسم بن سلام.
(2) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص401، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص237.
(3) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 263.
(4) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج8/ص156، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج3/ص42ـــ 43.
(5) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**.ج2/ص550 ـــ 551، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**.ج3/ص43. السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص245.
(6) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / 326، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص550.
(7) ـــ الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص 47.
(8) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / 326، ابن الأثير. **اللباب**. 3/ص223.
(9) ـــ السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص245.
(10) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص191.
(11) ـــ الصفدي. **الوافي بالوفيات**. ج5/216.

الجامع الكبير للشيباني ـــ وكتاب في بعض ما خالف فيه الشافعي العراقيين[1].

وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن زهير بن حرب النسائي (ت 299هـــ)، صنّف في الفقه كتاب الزكاة، وأبواب الأموال بعلله من الحديث[2].

وأبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ضمرة النيسابوري المعروف بالعطار (ت 299هـــ)، درس مذهب مالك بنيسابور، وهو كما يقول القاضي عياض آخر من درس مذهب مالك رحمه الله، وتفقه على عبد الله بن عبد الحكم، سمع أبا عبد الله ابن أخي ابن وهب[3].

ومحمد بن منذر النيسابوري (أبو بكر)، (ت 318هـــ)، الفقيه الشافعي، وأحد المتقدمين فيه، وقد بلغ درجة الفتوى والاجتهاد مع الأصالة. قال الذهبي: "كان غاية في معرفة الاختلاف والدليل وكان مجتهدا لا يقلد أحدا".

صنّف في الفقه كتبا معتبرة ومشهورة، صارت مرجعا وسندا لطلاب علم الفقه. قال الشيرازي: "صنّف في اختلاف العلماء كتبا لم يصنّف أحد مثلها واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف". وقـــال الداودي: "صنّف كتبا معتبرة عند أهل الإسلام لم يصنف مثلها في الفقه وغيره".

ومن أهم مصنفاته كتاب "الإشراف في اختلاف العلماء" وهو في اختلاف الفقهاء مع تأييد ذلك بالكتاب والسنة والاستشهاد بالفقهاء الأولين وشرح آراء المذاهب المختلفة وتأسيسها مع ذكر رأيه الخاص الذي يوافق به مذهب الشافعي، وعدّ هذا الكتاب من بين أشهر المصـــنّفات الفقهية الأكثر نفعا والأمتع تأليفا. قال ابن خلكان:

"ومن كتبه المشهورة في اختلاف العلماء كتاب "الإشراف"، وهو كتاب كبير يدل علـــى كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة، وهو من أحسن الكتب وأنفعها وأمتعها". وقال ابن حجـــر: "من أحسن المصنّفات في فنه".

ومن مؤلفاته في الفقه أيضا كتاب "المبسوط"، وهو أكبر من كتاب "الإشراف"، وهو في نقل اختلاف مذاهب الفقهاء أيضا، وكتاب "الإجماع" وهو صغير ـــ لأنه عبارة عن أحكام مجردة ـــ وكتاب "الأوسط" وهو أصل "الإشراف"[4].

(1) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 257، السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص26.

(2) ـــ المصدر نفسه. ص 282.

(3) ـــ القاضي عياض. **ترتيب المدارك**. ج3/ص59.

(4) ـــ انظر: الشيرازي. **طبقات الفقهاء**. تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1981م، ص108. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ص207، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص782، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج2/ص51، ابن النديم. **الفهرست**. ص 265. السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص77، ابراهيم محيسن. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص261-263.

كما نذكر من برزوا في الفقه بنيسابور أبو محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي المتوفى سنة (260هـ)، برز في علوم مختلفة كالفقه وعلوم القرآن والتفسير وعلم الكلام، وقيل بأنّه صنّف حوالي مائة وثمانين مصنّفا. من أهمها في الفقه: "كتاب السنن" وله كتب أخرى نذكر منها:

1 ـ كتاب التفسير 2 ـ كتاب القراءات 3 ـ الرد على الباطنية 4 ـ الرد على الثنوية 5 ـ الرد على المرجئة 6 ـ الرد على الفلاسفة 7 ـ كتاب الإيمان 8 ـ كتاب التوحيد[1].

ومن أعلام الفقه الشافعي بنيسابور نذكر أبا بكر عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل المتوفى سنة (324هـ)، صاحب التصانيف، تنقّل بين مدن العراق والشام ومصر طلبا للعلم، حتى انتهى به المطاف في بغداد واستقرّ فيها، وصار إماما للشافعية فيها، تتلمذ على يده الدارقطني وقال فيه: "إنه أفقه المشايخ، وإنه لم ير مثله"، ومن أهم مصنّفاته: "كتاب الربا" وله "زايادات على كتاب المزني"[2].

ومنهم أيضا برز أبو علي، محمد بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الثقفي النيسابوري الفقيه المتكلم الواعظ. (ت 328هـ). قال فيه الحاكم: هو الإمام المقتدى به في الفقه والكلام والدين والعقل والوعظ، وقال ابن سريج: ما جاءنا من خراسان أفقه منه.

وقال الحاكم: سمعت أبا العباس الزاهد يقول: كان الثقفي في عصره حجّة الله تعالى على خلقه ...أدخل علم الجدل والنظر إلى خراسان حين قدم إليها من العراق، وقد أولاه ابن خزيمة منصب الإفتاء في نيسابور وخراسان كلها. حتى قال: "ما يحل لأحد منا بخراسان أن يفتي وأنت حي"[3].

ومن علماء الفقه والأصول أبو بكر، أحمد بن اسحاق بن أيوب النيسابوري الفقيه الشافعي المعروف بالصبغي، (ت 342هـ)، عرف بالتضلع في الفقه، حتى اسندت له الفتوى في نيسابور طيلة خمسين سنة. ومن تصانيفه نذكر:

1 ـ كتاب الطهارة ـ 2 ـ كتاب الصلاة ـ 3 ـ كتاب الزكاة ـ 4 ـ الأسماء والصفات ـ 5 ـ كتاب المبسوط ـ 6 ـ كتاب الإيمان بالقدر ـ 7 ـ كتاب الإمامة[4].

كما اعتبر الفقيه محمد بن محمد بن أحمد الشعبي المتوفى سنة (357هـ) من أعلم مشايخ

---

(1) ـ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3 / 819 ـ 820، الذهبي. **العبر**. ج2/ص22، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص343، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / 302.

(2) ـ ناجي معروف. **عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية**. مرجع سابق. ج1 / ص 153.

(3) ـ الذهبي. **العبر**. ج2/ص31، ابن قاضي شهبة. **طبقات الشافعية**. تحقيق عبد العليم خان، بيروت: عالم الكتب، 1987م، الأسنوي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص157.

(4) ـ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (331هـ ـ 340هـ) ص256ـ 257.

نيسابور بالشروط[1] من آثاره: كتاب في فضائل الإمام أبي حنيفة "[2].

وتذكر أيضا، محمد بن محمد بن عمرو النيسابوري المحدث الشاعر الفقيه المتوفى سنة (370هـــ)، صاحب التصانيف والرحلة الواسعة والسماع الكثير، ومن آثاره: "المدخل إلى الاجتهاد" وهو يبحث في أصول الفقه [3]. وفيه يقرر مذهبه في الاعتزال[4].

ومن أعلام الشافعية أيضا أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد الإسفراييني، ولد في إسفرايين بالغرب من نيسابور وتوفي سنة (406هـــ)، قال عنه الإسنوي في طبقاته: "شيخ الدهر بلا نزاع، ووجه العصر بغير دفاع، ذو الأصحاب الذين طبقوا الأرض، وملأت تصانيفهم وتلامذتهم الطول والعرض ... انتهت إليه رياسة الدين والدنيا، وطبّق الأرض بالأصحاب، وجمع مجلسه نحو من ثلاثمائة متفقّه ... وقيل: يحضر درسه سبعمائة فقيه..وقال عنه الشيرازي: ".... اتفق الموافق والمخالف على فضله وتقديمه في جودة الفقه وحسن النظر ونظارة العلم..... ".

من مصنّفاته: 1 ــ كتاب "المطوّل " في أصول الفقه، 2 ــ كتاب "الرونق "في فروع الشافعية على طريقة اللباب للمحاملي، 3 ــ كتاب "التعليقة الكبرى "في الفروع (في المذهب)، 4 ــ البستان في النوادر والغرائب، 5 ــ وله تعاليق على مختصر المزني[5].

كما ظهر أيضا عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي أبي منصور البغدادي النيسابوري الفقيه الشافعي المتوفى سنة (429هـــ)، الذي صنّف في الحديث والفقه مصنّفات كثيرة، نذكر من أهمها:

1 ــ كتاب في تخريج مسائل على أصول الشافعي،2 ــ كتاب "نقض ما عمله أبو عبد الله الجرجاني"،3 ــ ترجيح مذهب أبي حنيفة،4 ــ الفرائض،5 ــ كتابه في "الدور والوصايا"

(1) ــ المقصود بالشروط، "هو علم يبحث عن كيفية ثبت الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال. وموضوعه تلك الأحكام من حيث الكتابة وبعض مبادئه مأخوذ من الفقه. وبعضها من علم الإنشاء، وبعضها من الرسوم والعادات، والأمور الإستحسانية وهو من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقا لقوانين الشرع. وقد يجعل من فروع الأدب باعتبار تحسين الألفاظ". حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج2 / 1045 ــ 1046.

(2) ــ القرشي. **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**. ج3/ص34. حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج2 / 1839.

(3) ــ أصول الفقه:" هو مجموعة القواعد العامة التي تستخدم في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية". وعرفه ابن خلدون بقوله: " هو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف". ابن خلدون. **المقدمة**. ص 435، وانظر: عمر سليمان الأشقر. **الواضح في أصول الفقه**، مرجع سابق. ص 9.

(4) ــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (351 هـــ ــ 380هـــ) ص468.

(5) ــ انظر: ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج12 / 2 ــ 3، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج5/ص132، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3 / 178، الإسنوي. **طبقات الشافعية**. ج1 / ص39، الشيرازي. **طبقات الفقهاء**. ص123، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1 / 72 ــ 74، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج1 / 423 ــ 424، 934. مج2 / ص 1635.

يزيد على ثلاثمائة باب[1].

أما في مدينة مرو فقد لازم الفقه علم الحديث حتى نجد أنّ أغلب الفقهاء كانوا على مذهب أهل الحديث وخاصة مذهب الشافعي، ومرد ذلك على ما يبدو إلى أنّ علماء مرو اتصلوا منذ وقت مبكر بالشافعي وأصحابه، واطلعوا على المذهب أصولا وفروعا. ونسخوا ما كتب فيه وعملوا على نشره، وتكون مذهب الشافعي بفضل حرص تلاميذه وأتباعهم على انتشار مذهب إمامهم. حتى صار أغلب أهل مصر شفعوية[2].

وقد بلغ علماء مرو مبلغ الفتوى والاجتهاد وكان لهم في ذلك آثار ومصنّفات تنم عن الدور النشيط في الفقه على اختلاف مذاهبه نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن مهران المروزي الكوسج، توفي سنة (251هـــ). رحل إلى الشام والعراق والحجاز، أخذ العلم عن الإمام أحمد بن حنبل، ثم رحل إلى نيسابور حاملا الفقه الحنبلي إليها. وكان الكوسج من شيوخ البخاري ومسلم.

من آثاره: كتاب "مسائل أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم ابن راهويه"[3].

ـــ إبراهيم بن إسحاق الحربي المروزي (ت 285هـــ)، كان إماما في العلم عارفا بالفقه بصيرا بالأحكام، تفقه على يد الإمام أحمد بن حنبل فأوفى وأخلص لمذهبه حتى كان يشبّه به في علمه وورعه، ومن مصنّفاته المشهورة في الفقه:

1 ـــ كتاب سجود القرآن،2 ـــ وكتاب مناسك الحج،3 ـــ وكتاب الهدايا والسنة فيها، 4 ـــ وكتاب الحمام وآدابه،5 ـــ وكتاب ذم الغيبة،6 ـــ وكتاب اتباع الأموات،7 ـــ وكتاب التيمم،8 ـــ وكتاب القضاة والشهود،9 ـــ وكتاب دلائل النبوة[4].

ـــ كذلك عبد الله بن محمد بن عيسى المروزي المعروف بعبدان (ت 293هـــ)، أحد أئمة خراسان في الحديث والفقه، والعلامة في غوامضه ـــ على حد تعبير صاحب مرآة الجنان ـــ رحل إلى مصر وأخذ بعلم الجم عن أصحاب الشافعي مثل المزني والربيع، ثم عاد إلى مرو ومعه مختصر المزني والربيع.

وإليه يعود الفضل في تنشيط مذهب الشافعي بعد أحمد بن سيار إلى أن أصبحت ترجع إليه

(1) ـــ ابن الصلاح. **طبقات الفقهاء**. تحقيق محي الدين علي نجيب، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1992م، ج2/ص553.

(2) ـــ انظر: إبراهيم محيسن. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 193.

(3) ـــ ابن أبي يعلى. **طبقات الحنابلة**. بيروت، دار المعرفة، (دت)، ج1/ص113 ـــ 115، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج6/ص360، سزكين. **تاريخ التراث العربي**. ج3/ص228.

(4) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص457، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج6/ص27، الأنباري. **نزهة الألباء**.ص145ـــ 147.

الفتوى في النوازل والمعضلات. وتفقه على يديه جلّة فقهاء مرو.

من آثاره في الفقه: 1 ــ كتاب المعرفة في مائة جزء، 2 ــ وكتاب "الموطأ" وهو كتاب مشهور انتفع به خلق كثير صاروا أئمة في الفقه على حد قول الأسنوي[1].

ــ وأبو عبد الله محمد بن نصر المروزي (ت 294هـ). أحد أفراد الدنيا في الحديث والفقه، ومن أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام، قال عنه ابن كثير: "رحل إلى الآفاق وسمع من المشايخ الكثير النافع، وصنّف الكتب المفيدة الحافلة النافعة...".

وصار رأسا في الحديث، رأسا في العبادة ثقة عدلا خيّرا. نذكر من تراثه الضخم:

1 ــ كتاب القسامة، وهو في الفقه. أثنى عليه ابن الصيرفي قوله: "لو لم يصنّف إلاّ كتاب القسامة لكان من أفقه الناس".

2 ــ وكتاب المسند في الحديث.

3 ــ وله ثلاثة كتب هي: أ ــ كتاب قيام الليل، ب ــ كتاب قيام رمضان، ج ــ كتاب الوتر.

4 ــ كتاب تعظيم قدر الصلاة: يشتمل على أحاديث كثيرة وأحكام يسيرة يؤذن بسعة روايته وصحّة درايته.

5 ــ كتاب الصيام.

6 ــ كتاب الورع[2].

ــ ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي (ت 340هـ)، الفقيه الأصولي الشافعي، أقام مدة ببغداد وكان يدرس فيها ويفتي، وانتهت إليه رئاسة الشافعية بها. له من الكتب: كتاب شرح مختصر المزني (أول وثاني) ــ كتاب الفصول في معرفة الأصول ــ كتاب الشروط

(1) ــ انظر: السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص357، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص687 ــ 688، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص409، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص298، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2/ص221، الأسنوي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص86، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص46، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص215، البغدادي. **هدية العارفين**. مج 5 / 442.

(2) ــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / 102، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج4/ص85، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص650، ابن السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص449، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص54، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج9/ص432، البغدادي. **هدية العارفين**. مج2 / ص 21، بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ترجمة عبد الحليم النجار، ط5، القاهرة: دار المعارف، (دت)، ج3/ص159، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. م4/ ص 12 ــ 16.

والوثائق ـــ كتاب الوصايا وحساب الدور ـــ كتاب الخصوص والعموم[1].

ـــ وأحمد بن عامر بن بشر، بن حامد المروروذي الشافعي (أبو حامد) (ت362هـــ). فقيه، أصولي نزل البصرة وسكنها، ودرّس بها، وتولى القضاء، وأخذ عنه فقهاء البصرة، وكان من أخصاء تلامذته أبو حيان التوحيدي، من مصنّفاته:

الجامع الكبير -الجامع الصغير -شرح مختصر المزني- والإشراف على الأصول[2]. في فقه الشافعية.

ـــ وعبد الله بن أحمد بن عبد الله الشافعي المعروف بالقفّال المروزي (أبو بكر) (ت417هـــ) فقيه، من آثاره: شرح فروع ابن الحداد [3] في الفقه [4].

ـــ ومحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مسعود بن أحمد المروزي الشافعي (أبو عبد الله). توفي بمرو سنة (420هـــ). من آثاره في الفقه: شرح مختصر المزني في فروع الفقه الشافعي[5].

ـــ الحسين بن شعيب السّنجي المروزي الشافعي (أبو علي) فقيه، توفي سنة (430هـــ). من تصانيفه:

1 ـــ شرح التلخيص لأبي العباس بن القاص، 2 ـــ كتاب المجموع، 3 ـــ شرح مختصر المزني، 4 ـــ شرح فروع ابن الحداد وكلها في فروع الفقه الشافعي، 5 ـــ كما جمع مسند الشافعي[6].

ـــ أبو الخير جعفر بن محمد بن عثمان المروزي الشافعي، فقيه، درس المذهب الشافعي وألف فيه. رحل إلى بلاد الشام سنة 418هـــ. ونشر العلم بين طلابه بمدينة مقرة النعمان. توفي سنة (447هـــ). خلّف تآليف قيمة منها: كتاب "الذخيرة في المذهب الشافعي"[7].

ـــ الحسين بن محمد بن أحمد المروزي الشافعي، المعروف بالقاضي (أبو علي) فقيه أصولي، توفي بمرو الروذ في 23 محرم (462هـــ). من تصانيفه:

1 ـــ تلخيص التهذيب للبغوي في فروع الفقه الشافعي وسماه لباب التهذيب، 2 ـــ شرح

(1) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 262، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص355 ـــ 356.

(2) ـــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1/ص22، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11/ص209، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص8، الشيرازي. **طبقات الفقهاء**. ص114، رضا كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1/ص161، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص40.

(3) ـــ ابن الحداد: فقيه من أعيان الشافعية في مصر.

(4) ـــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص46.

(5) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص454، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج2 / 1635.

(6) ـــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2/ص135، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج12 / 57، رضا كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1/ص612.

(7) ـــ الأسنوي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص217. السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص535، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج1 / ص 825، رضا كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1/ص497.

فروع ابن الحداد في الفقه، 3 ــ أسرار الفقه، 4 ــ التعليق الكبير، 5 ــ والفتاوى[1].

أما في مدينة بلخ فقد نبغ الفقهاء ووصلوا إلى مرتبة الاجتهاد، وصنّفوا في ذلك الكتب المعتمدة المشهورة. و لم يكن ذلك بغريب عنهم. فقد كانت بلخ معدن العلم والفضل حتى قال عنها يحي بن أكثم القاضي[2]: "ما وجدت مدينة فيها فضلاء وعلماء كبلخ".

هذا وقد اشتهر فقهاؤها وبرزوا، حتى أن أبا يوسف القاضي لم يعترف بفقيه في المشرق إلا بفقيه بلخي حيث قال: " ليس ما وراء الجسر ــ أي دجلة ــ أفقه من أبي مطيع البلخي " وقد بلغ من مكانتهم العلمية والثقة بفقههم أن استفتتهم الدولة في بعض الأمور. كما وردت إليهم فتاوى من خارج بلخ[3].

واعتنى أهل بلخ بالفقه حتى نسب إليهم. قال الإصطخري: "وأنجب أهل خراسان من أهل بلخ ... في الفقه"[4]، وأكدّ ذلك المقدسي حين وصف بلخ بقوله: "وفي بلخ... علم كثير وصيت لأهله ومقدار، وهي خزانة الفقه ... وبها مشايخ أجلة، وصدور أئمة"[5].

كما كانت بلخ تسمى "دار الفقاهة" و"دار الفقه" وفيها درب يسمى "زقاق دار الاجتهاد"[6].

وقد بلغ من كثرة علمائها أن كل قرية من قراها كان فيها مسجد جامع، ومفت وقاض عادل، ومدرّس. وكان لأبي جعفر الهنداوي ــ من مشاهير فقهائها ــ أربعون تلميذا كل منهم قدوة، وبلغوا مرتبة الاجتهاد، واستحق كل منهم تولّي القضاء[7].

ولمنزلتها العلمية قصدها طلاب العلم من كل حدب وصوب. مما دفع بالنشاط الفكري فيها أشواطا متقدمة ... كما انتشر علماؤها في الأمصار يدرسون ويعلّمون. وبلغ من انتشار علمائها في أرجاء دار الإسلام إلى أن أسسوا مدرسة في دمشق باسم "المدرسة البلخية"[8].

بل إن محلة الحربية ببغداد منسوبة إلى حرب بن عبد الله من أهل بلخ، صاحب شرطة

(1) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2/ص134، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج3/ص85، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج1/ ص 424.

(2) ــ يحي بن أكثم بن محمد التميمي المروزي القاضي، ولاه المأمون قضاء البصرة، ثم قضاء القضاة في بغداد مع تدبير شؤون المملكة، وعزله المعتصم ثم أعاده للمتوكل ثم عزله، وتوفي بالربذة من قرى المدينة المنورة سنة 242هـ أو سنة 243هـ. انظر: الزركلي. **الأعلام**. ج8/ص138.

(3) ــ المدرّس. **مشايخ بلخ من الحنفية**.. مرجع سابق. ج1 / ص 37.

(4) ــ الاصطخري. **مسالك الممالك**. ص282.

(5) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 302.

(6) ــ المدرّس. **مشايخ بلخ**.. مرجع سابق. ج1 / ص 38.

(7) ــ المرجع نفسه. ج1 / 162.

(8) ــ القرشي. **الجواهر المضيئة**. ج2/ص225، المدرّس. **مشايخ بلخ**. ج1 / ص 40.

المنصور، وكانت محلة الحربية مقسمة إلى قطائع، منها قطيعة إلى أهل بلخ[1].

ومن أشهر الفقهاء الذين أخرجتهم بلخ، وبلغت القدرة ببعضهم إلى درجة التفرد بآراء قيمة[2]. نذكر المشهور المعروف فحسب، قصد التمثيل لا الاستقصاء، لأن الاستقصاء يخرجنا عن الغرض. ولتمرد علينا الحصر ونحن في هذا المقام. ومن بينهم:

ـــ أبو يحي زكريا ابن يحي بن صالح البلخي (ت 230هـ أو 232هـ)، كان من الفقهاء الحفاظ الأعلام ممن يحتج بعلمه وفقهه، عده شيخه قتيبة من بين فتيان خراسان الأربعة في العلم وهم: البخاري والدارمي، والحسن بن شجاع. ويبدو أنه كان من فقهاء أصحاب الحديث، صاحب سنة. جنّد نفسه للرد على أهل البدع والأهواء. صنّف كتاب " الإيمان "[3].

ـــ موسى بن سليمان أبو سليمان الجوزجاني البلخي، (ت 233هـ). سمع عبد الله بن المبارك ومحمدا ابن الحسن وأبا يوسف من أصحاب الإمام أبي حنيفة، وكان فقيها بصيرا بالرأي، استنسخ لنفسه كتب محمد بن الحسن ورواها عنه وفيها اختلاف روايته عن رواية أبي حفص البخاري، وكان بسببه انتشار كتب محمد بن الحسن في خراسان. وسكن وحدّث بها[4].

ـــ محمد بن عمر الوراق الترمذي، سكن بلخ، وكان عالما ورعا مستقيما. له تصانيف منها: 1 ـــ العالم المتعلم، 2- والفروق، 3- والعتق والفكاك، 4- والدرجات... وغيرها. توفي سنة 294هـ[5].

ـــ أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي (ت 300هـ أو 301هـ)، عده ابن فرحون من فقهاء المالكية في بلخ، من مصنفاته: 1 ـــ كتاب مناقب مالك، 2 ـــ وكتاب آداب الإسلام[6].

ـــ محمد بن الفضل بن العباس الحنفي البلخي،(ت 319هـ) فقيه، صوفي، أخرج من بلخ فدخل سمرقند وتوفي بها، من آثاره: الفتاوى[7].

---

(1) ـــ انظر: المدرّس. **مشايخ بلخ**..مرجع سابق. ج1/ص40.

(2) ـــ أورد الدكتور محمد عبد اللطيف المدرس في الباب الثالث من كتابه " مشايخ بلخ من الحنفية " جميع المسائل الفقهية التي انفرد بها مشايخ بلخ وتتضمن ستة وثلاثين فصلا. أنظر. ج1 / ص 216 وما بعدها.

(3) -الذهبي. **تذكرة الحفاظ**.ج2/ص517،ابن حجر. **تهذيب التهذيب**.ج3/ص289،السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص226.

(4) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**.ج13/ص38، المدرس. المرجع السابق. ج1 / ص 88.

(5) ـــ المدرّس. المرجع السابق. ج1 / ص89.

(6) ـــ ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. تحقيق محمد الأحمدي أبو نور، القاهرة: مطبعة دار النصر، (د. ت). ج1 / ص 321 ـــ 322.

(7)ـــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج 2 / 1219، الزركلي. **الأعلام**. ج6/ص330، كحالة. **معجم المؤلفين**.ج3/ص588.

ـــ أحمد بن حام بن عصمة وقيل " عضد " أبو القاسم الصفار البلخي: من مشاهير بلخ ومفاخرها، ومن فقهائها المعدودين، بلغ في الفقه منزلة كبيرة، ومن اعتداده بمنزلته أنه قال: "خالفت أبا حنيفة في ألف مسألة، وكنت أفتي باختياري واجتهادي، والفتوى اليوم على قولي في هذه الألف مسألة ". ويظهر أنه كان حنفي المذهب ولكنه خالف إمامه في مسائل. كان يعمل صفارا [1]، ويتكسب من عمل يده، ومع هذا حاز منزلة عظيمة، فكان الناس يتدافعون للأخذ عنه. توفي سنة (326هـ)وقيل سنة (336هـ) [2].

ـــ محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر أبو جعفر الهنداوني البلخي الذي يعرف بالفقيه؛ لعلو كعبه في فقه الحنفية. حتى سمي بأبي حنيفة الصغير، حفظ المسائل في المذهب، وتفوق في ذلك. وبلغ من حفظه للأقوال والروايات في مذهب أبي حنيفة أن قال: " لو أحرقت جميع أقوال أبي حنيفة، وأمالي أبي يوسف ونوادر وزيادات محمد بن الحسن لاستطعت كتابتها عن ظهر قلب، لا يتقدم حرف ولا يتأخر ".أخذ عن أبي القاسم الصفار، وأبي بكر الأعمش البلخي، وأبي بكر الإسكاف.أخذ عنه أبو الليث السمرقندي البلخي. توفي سنة (362هـ) [3].

ـــ يونس بن طاهر النصيري، شيخ الإسلام من رؤساء العلماء ببلخ، وله مصنفات منها: "البهجة في ذكر أصحاب أبي حنيفة "، وهو أول من سمي بشيخ الإسلام ببلخ، توفي سنة (411هـ)[4].

أما مدينة هراة فقد حفظت لنا عددا كبيرا من الفقهاء من مختلف المذاهب الإسلامية شهد لهم بالتقدم والسبق، نذكر منهم:

ـــ أبو عبيد القاسم ابن سلام الهروي الأزدي. (ت 224هـ)، الفقيه الشافعي الذي قال في حقه الأمير عبد الله بن طاهر: " علماء الإسلام أربعة: عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلام في زمانه. " وكان أبو عبيد ديّنا ورعا جوادا. حسن المذهب. ذو فضل ودين عمد في كتبه المصنفة في الفقه إلى مذهب مالك والشافعي، وقيل أنه كلما ألف كتابا أهداه إلى الأمير عبد الله بن طاهر، وقد قدم صاحب الفهرست قائمة بكتبه نذكر منها الكتب الفقهية التالية: 1ـــ كتاب النسب، 2 ـــ كتاب الأحداث،3 ـــ كتاب أدب القاضي،4 ـــ كتاب الأيمان والنذور،5 ـــ كتاب الحيض،6 ـــ

(1) ـــ صفارا: أي يشتغل بصناعة النحاس.

(2) ـــ القرشي. الجواهر المضية. ج1/ص200 ـــ 201، المدرّس. مشايخ بلخ.. مرجع سابق. ج1 / 160 ـــ 161.

(3) ـــ انظر: ابن قطلوبغا. تاج التراجم. تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط1، دمشق: دار القلم، 1992م،ص264، ابن العماد. شذرات الذهب.ج3/ص41، القرشي. الجواهر المضية. ج3/ص192.

(4) ـــ المدرس. مشايخ بلخ. مرجع سابق. ج1 / ص 92.

كتاب الطهارة،7 ــ وكتاب الأموال الذي عدّ من أحسن ما صنف في الفقه وأجوده[1].

ــ أبو العباس محمد بن أحمد بن سليمان الهروي (ت 292هـــ) فقيه ومحدث صاحب رحلة وتصانيف[2].

وأبو محمد عبد الله بن عروة الهروي (ت 311هـــ)، صنّف كتاب "الأقضية"[3].

ــ ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد العبادي، الهروي. الشافعي (أبو عاصم) المتوفى سنة (458هـــ). فقيه محدّث، تفقّه بهراة وبنيسابور، ورحل في البلاد. ولقي خلقا من المشايخ وأخذ عنهم، وسمع الحديث الكثير. من تصانيفه:

1 ــ كتاب الهادي إلى مذهب العلماء في الفقه، 2 ــ كتاب الرد على السمعاني، 3ــ كتاب في طبقات الفقهاء، 4 ــ أحكام المياه، 5 ــ أدب القضاة[4].

أما سمرقند فقد استمدت مدرستها الفقهية أصولها عن مدرسة الكوفة، مـــع إدراك رجالهـــا للفروق بين بيئة الكوفة وبيئة سمرقند. وما يتبع ذلك من اختلاف في الفتوى. مع مراعاة حـــال المستفتي في ظرفه وبيئته ومجتمعه.

وفيما يأتي طائفة من علماء المدرسة ومؤلفاتهم:

ــ محمد بن صالح الكرابيسي، الحنفي، السمرقندي (أبو الفضل) فقيه. (ت322هـــ). صنّف في الفروق في فروع الفقه الحنفي[5].

ــ أبو نصر أحمد بن علي بن طاهر الجوبقي النسفي الشافعي نسبته إلى مدينة نسف (قرب سمرقند) والجوبقي نسبة إلى " جوبق " من توابع نسف. (ت 340هـــ). فقيه شافعي، أديب، شاعر مصنف طاف البلاد في طلب العلم، من مصنفاته في الفقه: شرح مختصر المزني: الأصل هو كتاب " المختصر " في فروع الفقه الشافعي. تأليف الشيخ الإمام إسماعيل بن يحي المزين الشافعي (ت 264هـــ)، وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية. والشرح

---

(1) ــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 97، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج12/ص401، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ص60، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1/ص375، القفطي. **إنباه الرواة**. ج3/ص15 ــ 22.

(2) ــ الذهبي. **العبر**. ج1/ص423، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2/ص221.

(3) ــ السيوطي. **طبقات الحفاظ**.ص330.

(4) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج4/ص214، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص409، اليافعي. **مرآة الجنان**.ج3/ص82، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص306.

(5) ــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج2 / 1257، البغدادي. **هدية العارفين**. مج6 / 33، كحالة. **معجم المؤلفين**.ج3/ص355.

لصاحب الترجمة[1].

ـ وأبو بكر محمد بن علي بن اسماعيل الشاشي السمرقندي المعروف بالقفال الكبير الشافعي (ت 365هـ). من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب، كما كان أصوليا شاعرا، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، وعنه انتشر مذهب الشافعي في ما وراء النهر، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور. وربما قيل له القفال الكبير تميزا له عن القفال الصغير[2].

قال الإسنوي في " طبقات الشافعية ": " قال العبادي في " الطبقات ": هو أفصح الأصحاب قلما، وأمكنهم في دقائق العلوم قدما، وأبرعهم بيانا، وأثبتهم جنانا، وأعلاهم إسنادا، وأرفعهم عمادا".

وذكره طاش كبري زاده بقوله: " واعلم أن أول من صنّف الجدل الحسن من الفقهاء أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الشافعي، إمام عصره بلا مدافعة، كان فقيها محدثا، أصوليا لغويا شاعرا.. ".

كما ذكره اليافعي بقوله: " الإمام النحرير، الفاضل الشهير، المعروف بالقفال الكبير.. إمام عصره بلا منازع، وفريد دهره بلا مدافع، صاحب المصنفات المفيدة، والطريقة الحميدة، روى عن أكابر العلماء ... ".

خلّف لنا القفّال الشاشي مصنفات مفيدة نذكر منها الكتب الفقهية:

1 ـ كتاب أصول الفقه،2 ـ شرح رسالة الشافعي،3 ـ كتاب محاسن الشريعة، وهو في فروع الفقه الشافعي. اشتمل على مسائل غريبة لكنها قليلة الوجود،4 ـ أدب القضاة،5 ـ كتاب فتاوى القفال،6 ـ شرح التلخيص: الأصل هو كتاب التلخيص في الفروع لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بابن القاص الطبري الشافعي (ت 335هـ) والشرح لصاحب الترجمة. 7 ـ شرح الفروع: والأصل هو كتاب الفروع في مذهب الشافعي لأبي بكر محمد بن أحمد المعروف بابن الحداد المصري الشافعي (ت 345هـ)، والشرح لصاحب الترجمة[3].

(1) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص15، الأسنوي. **طبقات الشافعية**.ج1/ص169، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1/ص203، قيس آل قيس. **الإيرانيون**... ج4 / 53.

(2) ـ القفال الصغير: هو أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله المروزي القفال (327هـ ـ 417هـ).

(3) ـ الأسنوي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص4، السبكي. **طبقات الشافعية**.ج2/ص152، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**.ج4/ص200 ـ 201، اليافعي. **مرآة الجنان**.ج2/ص381، ابن الأثير. **اللباب**. ج2/ص174، الشيرازي. **طبقات الفقهاء**، ص112، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج1 / 479، مج2 / 1228، السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص375، أحمد بن مصطفى، طاش كبري زاده. **مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة**

.../...

أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، كان فقيها، حنفيا، ومفسرا، ومتصوفا. عرف بإمام الهدى (توفي سنة 373هـ)، تفقه على يد الفقيه أبي جعفر الهنداواني، وهو الإمام الكبير صاحب الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة. له مؤلفات عديدة والمطبوع منها قليل، ويمكن تصنيف مؤلفات أبي الليث إلى أربعة أصناف هي: كتاب التفسير، وكتب العقائد[1]، وكتاب المواعظ والأخلاق[2]. والكتب الفقهية التي نذكر منها:

1 ـ كتاب النوازل في الفروع: أورد فيه عيون أقوال المشايخ من فقهاء الحنفية.

2 ـ كتاب مختلف الرواية: وهو في اختلاف الآراء الحنفية عن رأي الإمام أبي حنيفة.

3 ـ كتاب الجامع الصغير في الفروع: له شروح كثيرة منها شرح الإمام أبي الليث السمرقندي وشرح الجامع الكبير في الفروع للمؤلف نفسه.

4 ـ حصر المسائل في الفروع، ومبسوط في الفروع.

5 ـ كتب النوادر: وفيه نوادر فقهية للإمام أبي الليث السمرقندي.

6 ـ خزانة الأكمل.

7 ـ تأسيس الفقه.

8 ـ رسالة في الفقه.

9 ـ خزانة الفقه وعيون المسائل[3].

وكتاب خزانة الفقه هو موجز لفروع الفقه الحنفي، ولعلّ هذا الإيجاز راجع إلى الروح العلمية لأبي الليث السمرقندي، حيث أراد به تيسير الفقه للعالم والجاهل. مع تصرف في عرض مادته الفقهية. ويتضح هذا القصد من خلال مقدمته القصيرة لهذا الكتاب بقوله:

" إعلم أن الفقه علم حسن، وهو أجل من سائر العلوم، وهو علم الشريعة والدين وقوام الشرائع به، فلا بد لكل عاقل من عالم أو جاهل أن يشرع فيه ويستفيد منه ما يغنيه، ويتقوى

في موضوعات العلوم. تحقيق علي دحروج، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1998م، ص678، البغدادي. **هدية العارفين**. مج2 / 48، فيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج4 / 78ـ 82.

(1) ـ منها كتاب: تأسيس النظائر، ـ عمدة العقائد ـ شريعة الإسلام ـ رسالة في أصول الدين ـ رسالة في الإيمان. انظر: ابن قطلوبغا. **تاج التراجم**.ص310، بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. مرجع سابق. ج4/ص44 ـ 50.

(2) ـ منها كتاب: تنبيه الغافلين وبستان العارفين، ودقائق الأخبار في بيان ذكر أهل الجنّة وأهوال أهل النار، وفضائل رمضان. انظر: الزركلي. **الأعلام**. ج8/ص27.

(3) ـ القرشي. **الجواهر المضية**.ج3/ص544، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج1 / 563، جهاد عزت عبد الله. **الحركة الفكرية في سمرقند ...** مرجع سابق. ص 229 ـ 233.

به على أداء فرائض الله تعالى ".

ويفهم من هذه العبارات بأن الفقه كما يكتب للخاصة. يكتب أيضا للعامة مما لا يســتغني عنه كل مسلم. فالجميع مكلف بمعرفة أحكام الفقه الإسلامي.

أما عيون المسائل فهو عبارة عن مختارات من أقوال رجال المذهب الحنفي الأولــين ومــن معاصريه من قضاة الكوفة المشهورين، فهو بذلك حلقة هامة من حلقات تطور الفقه الحنفــي خاصة والإسلامي عامة، ولابد أن نشير إلى أن عيون المسائل ليست مجرد تجميع للنوادر مــن الفتاوى ومن أقوال أبي حنيفة وأصحابه وإنما برزت فيها شخصية أبي الليث الفقهية بما أبداه من تحليل وتعليل وعرض وجهة نظر جديدة في حدود الأقوال المروية عن مؤسس المذهب وأصحابه.

كما عالج أبو الليث في كتبه الوعظية والأخلاقية موضوعات شرعية ذات جوانب متعددة. أخلاقية، واجتماعية، وشرعية. وفي كتابه (عيون المسائل) عرض لجملة من المسائل التي تمس أحوال المجتمع، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. المنوطة بالأمة كلها حكاما ومحكومين. وقد لاقت كتب أبي الليث قبولا عند الناس في كل أرجاء بلاد ما وراء النهر، فتداولوها، دراسة، وشرحا، وتعليقا[1].

ومن أعلام المدرسة الفقهية في سمرقند نذكر أيضا:

ــ أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن الحليمي الجرجاني من أوحد الشافعيين، بما وراء النهر وأنظرهم وأدبهم بعد أستاذيه القفال والأودني[2].من تصانيفه: كتاب "المنهاج في شعب الإيمان". في نحو ثلاث مجلدات ... وغيره. توفي الحليمي سنة 403هــ [3].

ــ وأبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي المتوفى سنة (430هــ). كان شيخ الديار، وممن يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج والرأي. كانت له بسمرقند وبخارى مناظرات مع الفحول. وقال ابن خلكان:" كان من كبار أئمة الحنفية، وممن يضرب به المثل، وهو أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود".

وله مؤلفات نافعة منها: " النظم في الفتاوى " و" تقويم الأدلة " وأجلها كتاب " الأسرار "في

(1) ــ انظر: جهاد عزت عبد الله. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 231 ــ 235.

(2) ــ هو أبو بكر محمد بن عبد الله الأودني (ت 385هــ). انظر: السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص138، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص118.

(3) ــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص19، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص167 ــ 168، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص58.

أصول الفقه. وكتاب " تأسيس النظر ". ويعدّ هذا الكتاب من أنفس ما أنتجه الفقهاء في بداية القرن الخامس الهجري. وموضوع الكتاب في ذاته بيان سرّ منشأ الخلاف بين الفقهاء، فهو أول كتاب ظهر في الفقه الموازن قبل أن يكون أول كتاب في القواعد الفقهية[1]. ونستشف قيمة هذا الكتاب ومدى تأثيره في هذا الفن عندما نتناول بإيجاز عرض أهم موضوعات هذا الكتاب وكيف أثبت صاحبه أن الخلاف الموجود بين الفقهاء يقوم على أسس معينة. فوضع لكل منهم أصولا وقواعد ينشأ عنها فروع حسب اختلاف تلك القواعد. وذلك ما يسّر الوصول إلى المقصود. وقد اشتمل الكتاب على ست وثمانين قاعدة. ومعظم القواعد هي قواعد مذهبية. ورتبة المؤلف على ثمانية أقسام تناولت الاختلاف بين الأئمة حسب الترتيب التالي:

1 ـــ خلاف بين الإمام أبي حنيفة وبين صاحبيه محمد بن الحسن وأبي يوسف.

2 ـــ خلاف بين أبي حنيفة وأبي يوسف وبين محمد بن الحسن.

3 ـــ خلاف بين أبي حنيفة وبين أبي يوسف.

4 ـــ خلاف بين أبي يوسف ومحمد.

5 ـــ خلاف بين فقهاء الحنفية الثلاثة محمد بن الحسن، والحسن بن زياد، وزفر.

6 ـــ خلاف بين أئمة الحنفية وبين الإمام مالك بن أنس.

7 ـــ خلاف بين علماء الحنفية الثلاثة، محمد بن الحسن والحسن بن زياد وزفر، وبين ابن أبي ليلى.

8 ـــ خلاف بين فقهاء الحنفية الثلاثة. وبين الإمام الشافعي.

وقد اعتبر عمل الدبوسي عملا مبتكرا فريدا من نوعه، فإن كثيرا من القواعد التي أوردها جاءت في صيغ موجزة متقنة، ولعله أول من رسم الخطّة في إلحاق المسائل المنثورة في أبواب الفقه المختلفة إلى الأصل الذي تفرعت منه في صورة هذا الكتاب[2].

---

(1) ـــ القواعد الفقهية: جمع قاعدة فقهية: " وهي حكم كلي ينطبق على جزئياته ليتعرف أحكامها منه " والقواعد الفقهية هي أصل كلي يتضمن أحكاما تشريعية عامة من أبواب متعددة في القضايا التي تدخل تحت موضوعه. كقولهم: " الأمور بمقاصدها "، " الضرر يزال "، " العادة محكّمة "، المشقة تجلب التيسير "، " اليقين لا يزول بالشك "، وغيرها.. إذا تعتبر القواعد الفقهية تصويرا بارعا للمبادئ والمقررات الفقهية العامة. فهي تضبط كثيرا من الفروع الجزئية بضوابط تكشف عن كل مجموعة من هذه الفروع عن وحدة العلة أو جهة الارتباط، وبذلك يسهل على المتفقه الإحاطة بأحكام الجزئيات الكثيرة، وتتكون عنده ملكة الفقه فيسير في فهمه ودراسته بخطى ثابتة، وبصيرة مدركة. انظر: محمود حمزة. **الفرائد البهية في القواعد والفوائد الفقهية**. ط1، دمشق: دار الفكر. 1986م.، محمد الدسوقي. أسنة الجابر. **مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي**. ط1، الدوحة: دار الثقافة. 1990م. ص 80، علي أحمد الندوي. **القواعد الفقهية**. ط2، دمشق: دار القلم. 1991م. ص40،45.

(2) ـــ انظر: الندوي. المرجع السابق. ص 132 ـــ 136.

9 ــ كما نشطت الحركة الفقهية في مدينة بخارى التي كان فيها لأهل العلم والفقه مكانـــة كبيرة. ويروي المقدسي أنّهم كانوا يرفعون شأن الفقهاء ويستشيرونهم في شئون الدولة.

وكان الأمراء السامانيون يعفون العلماء والفقهاء من تقبيل الأرض بين أيديهم إكراما لهم، وكان رئيس العلماء ينتخب من بين فقهاء الحنفية في بخارى[1].

وقد وصل بعض فقهائها إلى مرتبة وصف فيها بقولهم: " الأستاذ " " شيخ رأس في الفقه"[2] أو " شيخ ما وراء النهر " [3] أو " داشمند " أي عالم أو "أملى ببخارى وكان عارفا بمذهب أبي حنيفة"[4].

واستطاع فقهاء بخارى أن يمدوا جسور المناظرة والمحاورة مع فقهاء المدن المجاورة لهم في ماوراء النهر، ويخوضون معهم أشد أنواع الجدل. ليخلصوا في النهاية إلى إعلان رأيهم الخاص والصريح في بعض المسائل الفقهية[5].

ومن هذه المسائل التي خاضوا فيها. نذكر على سبيل المثال:

رأي أبي بكر محمد بن الفضل الكماري البخاري (ت 370هـــ). في الماء المسبل[6] وجواز الوضوء به، فذهب إلى أنّ: " ما وضع للشرب يجوز منه الوضوء، وما وضع للوضوء لا يجوز منه الشرب ". في حين ذهب غيره كنصير بن يحي وأبو القاسم الصفار إلى عدم جواز الوضوء بالماء المسبّل لأنه وضع للشرب فقط[7].

كما ذهب مشايخ بلخ إلى القول بوجوب قتال السلطان للذين يتركون السنن كما يقاتلهم على ترك الفرائض. كركعة الوتر، والمضمضة والاستنشاق وركعتي الفجر[8].

كما انفرد الفقيه أبو بكر محمد بن الفضل البخاري بفتوى وقوع الطلاق في رجل طلق إمرأة آخر، فبلغ ذلك الزوج فقال: نعما صنعت، أو بئسما فعلت، فحكمه: أنه لا يقع الطلاق فيهما. وهذه الفتوى خالف فيها فقهاء بلخ وسمرقند[9].

كما خالف فقهاء بخارى عامة مشايخ الحنفية الذين منعوا الأجير أن يأخذ أجرته من جنس

(1) ــ طه ندا. بخارى. مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية. ع19 ــ السنة 1965م. ص 47.
(2) ــ الذهبي. العبر. ج2/ص60، اليافعي. مرآة الجنان. ج2/ص232.
(3) ــ اليافعي. مرآة الجنان. ج2/ص331.
(4) ــ ابن قطلوبغا. تاج التراجم. ص112.
(5) ــ دنون. التاريخ الحضاري لمدينة بخارى ... مرجع سابق. ص 372.
(6) ــ المسبل: اسم مفعول من سبّل الشيء. إذا أباحه وجعله في سبيل الله.
(7) ــ انظر: المدرس. مشايخ بلخ. مرجع سابق. ج1 / ص 274 ــ 275.
(8) ــ انظر: المرجع نفسه. ج1 / ص 365 ــ 366.
(9) ــ انظر: المرجع نفسه. ج1 / ص 447.

المادة أن يصيغها كنسج النسيج بالثلث والربع، أو طحن الدقيق، وأفتوا بجواز إعطائه أجرته من الغزل وذلك تمشيا مع العرف[1].

كما خالف عبد الله بن عمر بن عيسى أبو زيد الدبوسي البخاري (ت 430هـ). جمعا من فقهاء الحنفية في مسألة رجل له على آخر دين، فأقرّ به المدين، ثم أنكر إقراره به. فهل يحلّف على أنّه ما أقرّ بهذا المال، أم على نفس الدين ؟ قال الدبوسي: يحلف بالله ما أقررت له به. وقد سار معظم الفقهاء على فتواه[2].

وفي مسألة بناء الكنائس والبيع وبيوت النار، ذهب فقهاء بخارى مع الجمهور إلى منع أهل الذمة من ذلك في أمصار المسلمين أو أفنية الأمصار، أما في القرى فذهب الفقهاء البخاريون إلى عدم منعهم من ذلك إذا كان غالب سكانها أهل ذمة[3].

وقد كان للبخاريين رأيهم الخاص في كثير من المسائل الفقهية، كالأضحية والشفاعة وحلف اليمين وأكل الميتة ... وقد أفتوا بتحريم ما يذبح أهل القرى عند استقبال السلطان تقربا إليه. لأنه مما أهلّ لغير الله به.

على أن ذلك لا يجب أن يفهم أن أهل بخارى خالفوا إجماع الأمة الإسلامية.و إنما اجتهـــدوا في مسائل الفروع التي لا تؤثر على الأصول. وأراؤهم في مجملها لا تبعد عن إجماع الفقهاء أو غالبيتهم.

وآية اجتهادهم في خدمة الفقه الإسلامي ما خلفوه من كتب ومصنفات ومؤلفات في الفقه. وشروحه وما يتصل به من اختصار أو تهذيب أو تفهيم أو توصيل للناس أو جمع أو تدوين...[4].

ويمكن استعراض بعض أسماء ذوي الشهرة من فقهاء بخارى الذين دونـــوا الكتـــب الستي أصبحت أساسا لمن جاء بعدهم. أينعت قطوفا يانعة في ميدان الفقه الإسلامي على اختـــلاف مدارسه. ومن أبرزهم:

الإمام أبو حفص الكبير، من تلاميذ الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وقد شهد له بأنه كان أقدر تلاميذه، وكان معاصرا للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ولم يكن أحد مثله في الولاية وهو من جملة متأخري بخارى وكان زاهدا وعالما أيضا وقد صارت بخارى بسببه قبة الإسلام. والسبب هو أن أهل بخارى تعلموا وفشا فيهم العلم وصاروا أئمة وعلماء محترمين وكان

(1) ــ انظر: المرجع نفسه. ج2 / ص 560 ــ 561.
(2) ــ انظر: المرجع نفسه. ج2 / ص 615 ــ 616.
(3) ــ انظر: المرجع نفسه. ج2 / ص 706.
(4) ــ ذنون. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى** ... مرجع سابق. ص 375.

هو السبب. وقد أسس في بخارى مدرسة عرفت باسمه. يذكر أنها بقيت حتى بعد الغزو المغولي[1]. توفي ببخارى سنة 227هـــ. وقبره يزار[2]. وترك ابنا له اعتبر من مشاهير الفقه في بخارى. وتمتع بمكانة سنية، ودرجة علية عند أهل بخارى. وكان له دور في تهدئة الأوضاع في بخارى لما اضطربت وعصفت فيها الفتنة. فأرسل إلى الأمير نصر بن أحمد الساماني، رسالة يطلب منه أن يبعث إليهم بوال. فأرسل لهم إسماعيل بن أحمد والحسين بن محمد الخوارجي خلفا له. فابتهج أهل بخارى، وأمر أبو عبد الله بن سيد أبو حفص بتزيين المدينة وخرج فقوى قلبه ـــ أي قلب الأمير إسماعيل ـــ وعلم إسماعيل أن أهل المدينة لا ينقضون ما يعمله أبو عبد الله، فقوى عزيمته"[3].

بل يؤثر عن البخاريين حبهم وتعلقهم بكتب الفقه، وحثهم أولادهم على قراءتها، وحفظ ما فيها من مسائل وشروح. إلى درجة أن والد الإمام أبي بكر محمد بن الفضل الكماري البخاري، وعد ولديه بألف دينار لكل منهما عند تمام حفظهما لكتاب "المبسوط" لأبي بكر السرخسي[4].

وهذا الكتاب هو شرح لكتاب (الكافي) لقاضي بخارى الفقيه الحنفي أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الله البلخي الذي صنّف كثيرا من التآليف الفقهية.

3.4. دور الفقهاء في القضاء

لم تقتصر مهمة العلماء والفقهاء على التدريس، والتأليف، والتصـــنيف، والفتـــوى. ويلوذوا بالصمت إزاء قضايا الناس، وعلاقاتهم، ومنازعاتهم، وعقودهم .... بل ســـعوا إلى ربط واقع الناس بأحكام الشرع وذلك عن طريق إقامة العدل بينهم بنصر المظلـــوم، والأخذ على يد الظالم، وإيصال الحقوق إلى أربابها، وفـــض المنازعـــات والخصـــومات

(1) ـــ طارق الديلمي. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص 246.

(2) ـــ انظر: النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 86 ـــ 89، فامبري. **تاريخ بخارى**. مرجع سابق. ص 105 ـــ 106.

(3) ـــ المصدر نفسه. ص 114 ـــ 115.

ويرى الشيخ محمد أبو زهرة: أن من العوامل الفعلية التي وجهت أفكار رجال المذاهب إلى الإفتاء بإغلاق باب الاجتهاد الأسباب التالية: 1 ـــ التعصب المذهبي: فقد تعصب التلاميذ لآثار أساتذتهم من الأئمة المجتهدين الذين أثاروا العصر السابق، وكشفوا ظلمات المسائل بنور عقولهم الساطع. ولا يخفى أن التعصب لفكرة يحمل الإنسان على الجمود عليها والتعلق بأهدابها، ودعوة الناس إليها دون سواها ...

2 ـولاية القضاء:فقد كان الخلفاء يختارون القضاة أول الأمر من المجتهدين لامن مقلديهم،ولكنهم فيما بعد آثروا اختيارهم من المقلدين ليقيدوهم بمذهب معين، ويعيّنون لهم ما يحكمون على أساسه. بحيث يكونون معزولين عن كل قضاء يخالف ذلك المذهب...

انظر: **الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية**. القاهرة، دار الفكر العربي، (دت)، ص42 ـــ 43.

(4) ـــ القرشي. **الجواهر المضية**. ج3/ص300.

والإصلاح بين الناس، ولا يتحقق ذلك إلا بتقلد منصب " القضاء ".

وقد عرّفوا القضاء[1] بقولهم هو: " منصب الفصل بين الناس في الخصومات، حسما للتداعي، وقطعا للتنازع ... "[2]. ويرى القلقشندي أن: " القاضي، هو عبارة عمن يتولى فصل الأمور بين المتداعين في الأحكام الشرعية"[3].

ولكي يطمئن الناس إلى القضاء اشترط الفقه الإسلامي شروطا في القاضي ووضع له دستورا يعمل به في قضائه بين الناس. فالقضاء حمل ثقيل ولا يستوجبه إلا من كان عدلا يأمن الجور والميل وقد عرف منه ذلك، ذا أفق واسع وذكاء لا يختلط به غفلة عارفا بمسائل القضاء ولديه القدرة على التأمل في الدلائل والقرائن ومعرفة الحق[4].

وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: " لا ينبغي للرّجل أن يكون قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال: يكون عالما قبل أن يستعمل، مستشيرا لأهل العلم، ملقيا للرّتع[5]، منصفا للخصم، مقتديا بالأئمة "[6].

ولما كان القضاء من أهم المناصب الإدارية في الدولة الإسلامية[7]. وذلك للمهام الجسيمة التي يضطلع بها القاضي. وقد ذكرت مصادرنا الإسلامية هذه المهام وهي تنطبق على جميع القضاة في أقاليم المملكة الإسلامية كلها نلخصها في النقاط التالية:

1ـــ قطع التشاجر والخصام من المتنازعين، إما بصلح أو تراض، أو بحكم شرعي يصدره القاضي.

---

(1) ـــ في اللسان (مادة قضي): القضاء: الحكم، والجمع: الأقضية، والقضية مثله، والجمع: القضايا، وقضي عليه، يقضي قضاء وقضيّة، والقاضي: القاطع للأمور المحكم لها، واستقضي فلان، أي جعل قاضيا يحكم بين الناس، وقضى الأمر قاضيا: كما تقول أمّر أميرا، وتقول قضى بينهم قضية وقضايا، والقضايا: الأحكام، ويقال: قضى يقضي قضاء، فهو قاض إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، والقضاء: انقطاع الشيء وتمامه، وكلّ ما أحكم عمله، أو أتمّ أو ختم أو أدّي أداء. أو أوجب أو أعلم أو أنفذ أو أمضي فقد قضي. انظر: لسان العرب.مادة (قضي)، ج5/ص3665.

(2) ـــ ابن خلدون. المقدمة. ص 215.

(3) ـــ القلقشندي. صبح الأعشى. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1922م، ج5/ص451.

(4) - انظر:أحمد الحصري. علم القضاء.. أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي.ط1،بيروت:دار الكتاب العربي. 1986م.ص9.

(5) ـــ الرّتع: الطمع والحرص الشديد، الدناءة والشره وميل النفس إلى دنيء المطامع. انظر: لسان العرب. مادة (رتع).

(6) ـــ ابن قتيبة. عيون الأخبار.بيروت: دار الكتاب العربي، (دت)، ج1/ص60.

(7) ـــ بل ذهب بعض الشافعية ـــ وهو المذهب الغالب في خراسان وما وراء النهر ـــ إلى أن القاضي كرئيس الدولة. فإذا أجاز أن يتولى رئيس الدولة من غير عهد من أهل الحل والعقد، فإن ولاية القاضي من غير عهد من أحد جائزة كذلك. وكأن هؤلاء الشافعية رأو أن اختصاصات القاضي، ولا سيما من حيث التصرف بالأرواح والأموال والأعراض، لا تقل عن اختصاصات الخليفة، إن لم تفقها، فضلا عن أن منصب القضاء والخلافة متساويان من حيث النظر في حقوق الله تعالى، أي الحق العام، أو النظام العام، فوجب أن يكونا متساويين من حيث قواعد التولية. انظر: ظافر القاسمي. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي. ط4، بيروت: دار النفائس. 1992م. ج2 / ص 58.

2 ـــ استيفاء الحق لمن طلبه، وتوصيله إلى مستحقيه بعد ثبوت استحقاقه من أحد وجهين: إقرار أو بيّنة.

3 ـــ إلزام الولاية على من كان ممنوع التصرف بجنون أو صغر والحجر على السفيه والمفلس حفظا للأموال.

4 ـــ النظر في الأحباس والأوقاف والتفقد لأحوالها وأحوال الناظرين فيها.

5 ـــ تنفيذ الوصايا على شروط الموصي فيما أباحه الشرع ولم يحظره.

6 ـــ تزويج الأيامى بالأكفاء إذا عدمن الأولياء وأردن التزويج.

7 ـــ إقامة الحدود على مستحقيها، فإن كان من حقوق الله تعالى تفرد باستيفائه من غير طالب. وإن كانت من حقوق الآدميين كان موقوفا على طلب مستحقه.

8 ـــ النظر في المصالح العامة، من كف التعدي في الطرقات والأفنية، وإخراج ما لا يستحق من الأجنحة والأفنية.

9 ـــ الإشراف على معاونيه الذين يساعدونه في مهام وظيفته، واختيار نوابه في حال انشغاله أو غيابه.

10 ـــ التسوية في الحكم بين القوي والضعيف والعدل في القضاء بين المشروف والشريف.ولا يتبع هواه في تقصير المحق. أو مماطلة مبطل[1].

وهذه المسؤوليات الجسام جعلت بعض الفقهاء ـــ وخاصة من الحنابلة ـــ يستعفون منها. لا لقلة بضاعتهم في العلم، وإنما ورعا وزهدا وخشية من أن لا يؤدوا حق هذا المنصب، أو لعـــدم استقلالية القضاء في بعض فترات التاريخ الإسلامي، إلا أن هذا لم يكن عاما على جميع العلماء. بل إن الأصل في القضاء أنه من الولايات العامة التي لا يجوز لمن كان أهلا لها أن يرفضها، وقد شدّد العلماء على الفار منها ممن توفرت فيه شروط هذا المنصب، بل إن القاضـــي مـــأجور إذا أخلص النية، في شرع الله، وإقامة العدل والانصاف بين عباده.

وكتب التراجم حافلة بعدد من الفقهاء الذين تولوا منصب القضاء وهم المعروفون بالزهـــد والورع. نذكر منهم في نيسابور:

أبا عبد الله محمد بن زياد النيسابوري (ت 295هـــ)، وكان فقيها على مذهب الكوفيين

(1) -انظر:الماوردي. **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1983م. ص 63 ـــ 64.

سمع محمد بن رافع وأيوب بن الحسن، وروى عنه أبو عبد الله ابن دينار ومحمد بن يزيد، واختير قاضيا لنيسابور من قبل الفقيه محمد بن إسحاق بن خزيمة بتكليف من أمير خراسان أحمد بن إسماعيل فامتنع عن قبول هذا المنصب[1].

كما تقلّد قضاء نيسابور أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الطهمـــاني النيســـابوري (ت405هـــ) وهو محدّث. طاف في آفاق العراق والحجاز وبلاد ما وراء النهر والشام طلبـــا للعلم. وسمع عن شيوخها. كما عمل سفيرا للسامانيين عند بني بويه[2].

أما محمد بن الحسين بن محمد بن مالك بن أبي سعيد البسطامي (أبو عمر) القاضي الإمام البارع الواعظ إمام أهل خراسان، ومقدم الشافعية في عصره، ومناظر وقته، فقد تقلّد قضاء نيسابور سنة 388هـــ، توفي سنة 408هـــ[3].

ونختم بأبي الفتح سهل بن أحمد بن الحسن الأرغياني فقيه شافعي نسبته إلى " أرغيان " وهي ناحية من نواحي نيسابور. وصفه ابن خلكان بقوله: " كان إماما كبير المقدار في العلم والزهد، تفقه بمرو على الشيخ أبي علي السنجي.. ودخل نيسابور وقرأ أصول الفقه على إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، وناظر في مجلسه، وارتضى كلامه، ثم رجع إلى أرغيان وتقلّد قضاءها سنين مع حسن السيرة وسلوك الطرائق المرضية ثم خرج إلى الحج، ولقي المشايخ بالعراق والحجاز والجبال، وسمع منهم وسمعوا منه، ولما رجع من مكة حرسها الله تعالى دخل على الشيخ العارف الحسن السمناني شيخ وقته زائرا، فأشار عليه بترك المناظرة فتركها ولم يناظر بعد ذلك، وعزل نفسه عن القضاء، ولزم البيت والانزواء، وبنى للصوفية " دويرة " من ماله، وأقام بها مشغولا بالتصنيف والمواظبة على العبادة إلى أن توفي على تيقظ من حاله ". توفي رحمه الله سنة (449هـــ). خلّف مصنفات منها: " كتاب الفتاوى"[4].

أما في بلخ: فتقلد منصب القضاء فيها:

ـــ ليث بن مساور. (ت 226هـــ)، ومحمد بن ابراهيم بن عمر بن ميمون الرماح(ت324هـــ).

---

(1) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص207.

(2) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج5/ص473.

(3) ـــ الصيرفيني. **المنتخب من السياق**. ص17، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج3/ص22، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص187، ابن عساكر. **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، ت(.ص236.

(4)-السمعاني.**الأنساب**. ج1/ص112، الأسنوي. **طبقات الشافعية**.ج1/ص43، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص51، وعنده أن وفاته كانت سنة 490هـــ، ياقوت. **معجم البلدان**. ج1 / 183، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج2/ص433.

كما يوجد منصب "قاضي القضاة" أيضا في بلخ وتقلده:

ـــ عبد الرحيم بن عبد الله بن أحمد أبو الفتح الصيرفي البلخي. والحسن بن علي أبو علي الوحشي[1].

وفي سمرقند لمع نجم كثير من الفقهاء القضاة نذكر منهم:

ـــ قاضي سمرقند أبو حامد أحمد بن سهل البلخي. روى عن أبي سليم الفضل البلخي، وأبي عبد الله محمد بن أسلم، وروى عنه حفيده عبد الله بن محمد الفقيه السمرقندي، كان فاضلا من أصحاب الرأي. سكن بسمرقند ومات بها سنة (340هـــ)[2].

ـــ واشتهر القاضي أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بالحكيم السمرقندي المتوفى سنة (342هـــ) ذكره أبو سعد السمعاني، فقال: " روى عن عبد الله بن سهل الزاهد، وعمرو بن عاصم المروزي، روى عنه عبد الكريم بن محمد الفقيه السمرقندي في جماعة. تولى قضاء سمرقند، وحمدت سيرته ولقب بالحكيم لكثرة حكمه ومواعظه. من مصنفاته: كتاب الرد على أصحاب الهوى، المسمى كتاب (السواد الأعظم) على مذهب الإمام أبي حنيفة، وهو أقدم مختصر في علم الكلام عند الماتريدية ورسالة في (بيان أن الإيمان جزء من العمل)[3].

ـــ وكان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ... التميمي البستي، المتوفى سنة (354هـــ)، ولي القضاء بسمرقند، ثم قضاء نسا، سافر كثيرا وسمع وصنف كتبا كثيرة، واعتبر ابن حبان من العلماء المشهورين في العلوم الدينية والعقلية في سمرقند وخارجها[4].

ـــ وأبو نصر أحمد بن عمرو بن محمد بن موسى بن عبد الله، القاضي البخاري يعرف بالعراقي، المتوفى سنة (396هـــ) حدث عن أبي نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي الإستراباذي، ومحمد بن يوسف بن عاصم البخاري وغيرهما، تولى قضاء سمرقند مدة. وانصرف منها إلى بخارى. حيث مات فيها[5].

---

(1) ـــ انظر: المدرس. **مشايخ بلخ** ... مرجع سابق. ج1 / ص 77 ـــ 78.

(2) ـــ اللكنوي. **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**. ص 23.

(3) ـــ القرشي. **الجواهر المضية**. ج1 / ص371، اللكنوي. **الفوائد**. ص44، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج2 / 1008، جهاد عزت عبد الله. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص 265.

(4) ـــ ابن ماكولا. **الإكمال**. ج2 / ص316، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2 / ص100، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص259، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3 / 16.

(5) ـــ القرشي. **الجواهر المضية**. ج1 / ص229.

كما تولى القضاء شيخ الشافعيين في بلاد ما وراء النهر أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحليمي توفي سنة (403هـــ) [1].

– أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أحمد القاضي البخاري الكلاباذي من أعيان القضاة في خراسان. تولى قضاء مرو وهراة وسمرقند والشاش وفرغانة وبلخ، ثم تقلد قضاء مدينة بخارى. وصار قاضي القضاة، وقد سمع منه الحاكم النيسابوري وقال عنه: دخلت بخارى سنة خمس وخمسين، وهو على القضاء، وكان أبوه ولي قضاء بخارى سبع سنين، ثم تولى قضاء نيسابور بعد ذلك. بعد أن قيل عنه: أنه من المعتزلة. ثم استعفى من القضاء. توفي بمدينة بخارى سنة309هـــ[2].

ـــ وكذا أبو الفضل بن محمد بن أحمد بن عبد السلمي، الفقيه الحنفي. تولى قضاء مدينة بخارى سنوات طوال فلم تؤخذ عليه ذرة عيب. وكان يعمم العدل والإنصاف، عرف بالزهد والورع. سمع الحديث من أبي رجاء محمد بن حمدويه الهورقاني، وعبد الله بن شيرويه، وإبراهيم بن يوسف الهسنجاني، والهيثم بن خلف الدوري وغيرهم، سمع منه أئمة خراسان وحفاظها قاطبة، أبرزهم الحاكم النيسابوري وغيره. صاحب كتاب " المختصر الكافي ". عيّن وزيرا للأمير الحميد، مات شهيدا سنة 334هـــ[3].

ـــ وأبو الفضل، أحمد بن محمد بن إسحاق الكلاباذي، تولى قضاء بخارى. وعرف بالحراص، روى عن أبي علي بن موسى القمي، توفي سنة 350هـــ.

ـــ وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الخازن الرازي، القاضي، وهو فقيه أهل الرأي، كان والده أحمد بن موسى قاضي الرأي أكثر من عشر سنين، وسمع أبو عبد الله في الري من أبي عبد الله محمد بن أيوب، وأبا إسحاق إبراهيم بن يوسف وغيرهما، وسمع منه الحاكم النيسابوري، وكان يكتب في ديوان علي بن عيسى في بغداد، ثم رجع إلى خراسان فقلد قضاء هراة. ثم ضم إليه البريد، ثم تولى قضاء سمرقند وفرغانة مع توليته البريد لأمانته. قال عنه الحاكم: " وانتقيت عليه بخارى نيّفا وعشرين جزءا للأمالي فقط. توفي بفرغانة وهو على القضاء بها سنة 360هـــ[4].

(1)–السبكي. طبقات الشافعية. ج3/ص19، ابن الجوزي. المنتظم.15/ص94، ابن العماد. شذرات الذهب.ج3/ص167.
(2) ـــ القرشي. الجواهر المضية. ج2 / ص501.
(3) ـــ النرشخي. تاريخ بخارى. ص 18.
(4) ـــ السمعاني. الأنساب. ج2 / ص307.

ـــ وعلي بن الحسين بن عبد الرحمن القاضي السردري، تفقه على أبي الحسن الكرخي، وأبي بكر يوسف بن عاصم وأقرانه، وكان من علماء أصحاب أبي حنيفة، زار مدينة نيسابور أكثر من مرة، وعيّن على قضاء مرو سنة 360هـــ. توفي بمدينة بخارى سنة 365هـــ[1].

ويذكر ابن حوقل أن لكل عمل من أعمال خراسان قاضيا هذا إلى غير عمل من أعمالها قضاة يتصرفون عن قاضي الناحية التي هو بها[2].

وفي خراسان كان لبعض القضاة ألقاب رنانة مثل "القاضي المختار" و"أوفر قضاة الزمان" وغيرها[3].

كما تشير المصادر إلى وجود منصب قاضي القضاة في خراسان وما وراء النهر قبل قيام الدولة السامانية. فقد تولى أبو رجاء محمد بن أحمد الجوزجاني منصب قاضي القضاة للأمير عمرو بن الليث الصفار على جميع ولاياته ثم أعقبه أبو ذر بن أبي رجاء الذي كان أحد مشايخ نيسابور[4].

ويبدو أن قاضي القضاة في بخارى عاصمة السامانيين كان يعين بقية القضاة في مدن خراسان وما وراء النهر، ثم يقوم الأمير أو الوالي بإقرار هذا التعيين فهو الذي يرسل القضاة إلى سمرقند وفرغانة وغيرها من مدن ما وراء النهر على الأرجح[5].

كما أن سلطة القاضي في خراسان لا تمتد إلى أعمال قضائية صرفة فقط وإنما أيضا إلى أمور دينية ليس لها علاقة بالقضاء ولكنها ضمت إلى نظر القاضي بسبب معرفته بالضرورة للشرع الإسلامي وأصبحت مقررة في سلطته على حسب ما عرف بالعرف والاصطلاح. فأنيطت إليه أعمال إضافية كالصلاة، والتدريس، والخطابة في جوامع خراسان[6].

والإشراف على الأماكن الدينية وأموال الغائبين والمفقودين والقيام في الذهب والفضة والمكاييل وولاية الحج ومصاحبة الجيش في الحروب وتنفيذ الوصايا وتشجيع زواج الأيامى والترتيب له. ومتابعة بقية أمور الشرع[7].

ـــ كما تولى أبو حامد أحمد بن الحسين بن علي المروزي الطبري. منصب قاضي القضاة بخراسان، وهو من الفقهاء الكبار لأهل الرأي ... تولى قضاء بخارى ونواحيها، وله معرفة

(1) ـــ القرشي. **الجواهر المضيّة**. ج2/ص552.
(2) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 361.
(3) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**.ص17 ـــ 18، المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص8.
(4) ـــ السمعاني. **الأنساب**.ج2/ص117، الحديثي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 360.
(5) ـــ طارق الدليمي. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 176.
(6) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**.ص323.
(7) ـــ انظر: الحديثي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 362 ـــ 363.

جيدة بالحديث الشريف، وكتب في الحديث وخرج وصنّف في التاريخ. توفي سنة 377هـ[1].

ـــ وأبو الفضل محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن مهران الحدادي للروزي. قال عنه السمعاني: " كان يتولى الحكومة عن القضاء بمرو وبخارى، وكان فقيها فاضلا من أصحاب الرأي ". سمع محمد بن علي الحافظ. وإسحاق بن إبراهيم التاجر وغيرهما.. روى عنه أبو غانم أحمد بن يحي الكلامي.. تولى القضاء في مدينة بخارى وفي غيرها من المدن. توفي سنة 388هـ[2].

ـــ وأبو علي الفشيذ يزجي، الحسين بن الخضر البخاري، تولى قضاء بخارى، وكان شيخ الحنفية بها في عصره. توفي ببخارى سنة 424هـ وقد قارب الثمانين[3].

ـــ كما اشتهر شيخ الإسلام القاضي أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السغدي (السمرقندي). المتوفى سنة 461هـ. بكتابه المشهور " النتف في الفتاوى " وقد بدأ السغدي بمقدمة أولها: " بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين. الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأزواجه أجمعين، ثم يذكر الكتاب الأول في العبادات... وينتهي المؤلف بكتاب المضاربة"[4].

ويظهر من كتاب " النتف " أنّه صياغة جديدة للقواعد الفقهية، بطريقة عصرية ولا عجب فمؤلفه مارس مهنة القضاء في بخارى وسمرقند، فكان هدفه من هذا الكتاب هو تقديم أبواب الفقه وأحكامه للقضاة والمفتين في طريقة عملية تمكنهم من الرجوع إليها في فتاويهم وأقضيتهم[5].

كما كان للإمام السغدي كتاب فقه آخر هو " شرح السير الكبير " أو يسمى " شرح الجامع الكبير "[6].

أما في مدينة غزنة فقد اتخذ المذهب الحنفي مذهبا رسميا للدولة الغزنوية في القضاء والفتوى.. وذلك على الرغم من انتشار المذهب الشافعي والدعوة له. ولذلك علا شأن القضاة الأحناف لدى السلاطين، ويذكر السبكي[7] أن السلطان محمود الغزنوي تحول إلى المذهب الشافعي، غير

(1) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج4/ص329، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج14/ص323.

(2) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص182، القرشي. **الجواهر المضية**. ج3/ص144.

(3) ـــ ابن الأثير. **اللباب**. ج2/ص433، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص227.

(4) ـــ السغدي. **النتف في الفتاوى**. تحقيق صلاح الدين الناهي. ج1 / ص 541. نقلا عن جهاد عزت عبد الله. **الحركة الفكرية**. مرجع سابق، ص 237.

(5) ـــ انظر: جهاد عزت عبد الله. **الحركة الفكرية**. مرجع سابق. ص 237.

(6) ـــ القرشي. **الجواهر المضية**. ج2/ص567، ابن الأثير. **اللباب**. ج2/ص120.

(7) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص265 ـــ 266.

أنه ليس هناك ما يؤيد هذا القول. فقد قرّب إليه فقهاء الحنفية، وصحب معه عددا كبيرا منهم حين ضمّ نيسابور إليه سنة 391هـــ، وكان من بينهم أبو صالح التباني وهو من كبار فقهاء المذهب الحنفي، واستدعى أسرته للإقامة في غزنة، ووكل إليه مهمة التدريس لطلاب العلم في المدارس العلمية بها. ومنهم الإمام أبو صادق الذي كان آية في العلم والكمال ومعرفة الشريعة.

كما اتخذ السلطان محمود أبا محمد عبد الله بن الحسين الناصحي المتوفى سنة 447هـــ قاضيا للقضاة ووكل إليه التدريس والفتوى في غزنة[1].

ونذكر من الفقهاء الذين تقلدوا منصب القضاء في الدولة الغزنوية أبو العلاء صاعد بن محمد الاستوائي، الذي انتهت إليه رئاسة الحنفية بخراسان في زمانه، وخدم الغزنويين خلال حكمهم طيلة حياته، وأحبه السلاطين فقربوه، وعينوه قاضيا على نيسابور، ثم عينه السلطان محمود مربيا وأستاذا لابنه مسعود، وسلم إليه إمرة الحجيج سنة 402هـــ. فلما بلغ من علو المنزلة والمكانة الرفيعة في الدولة عمل حساده على السعي به لدى السلطان محمود إذ اتهموه باعتناق مذهب الاعتزال الذي سبّب له محنة خطيرة، ثم بُرئ مما نسب إليه، بل لقد زادته تلك المحنة تقربا لدى حكام غزنة[2].

وزبدة القول أن ميدان الفقه ـــ خلال فترة الدراسة ـــ وجد من يعنى به وبمسائله فـــازدهر ازدهارا كبيرا. ولا يزال بين أيدينا تراث ضخم منه يجد الإقبال والاستحسان من علماء هـــذا العصر الحديث.

وبعد عرض المدارس الفقهية المختلفة، في خراسان وما وراء النهر وذكر أبرز أعلامها يجـــدر بنا أن نسجل الملاحظات التالية:

1 ـــ إن الدراسات الفقهية خلال الفترة الزمنية موضع الاهتمام لم تشهد الازدهار والتقدم نفسه الذي عرفته الدراسات الحديثة والذي فرضته عدة أسباب نذكر منها: كثرة الوضـــع في الحديث بإقليم المشرق. ونشوء المذاهب السياسية والكلامية التي تكونـــت في ذلـــك الإقلـــيم وانتحال أتباعها الأحاديث المكذوبة عن رسول الله ﷺ من أجل الانتصار للمذهب أو الفرقة.

أما الدراسات الفقهية فجاءت في أغلبها امتدادا للنشاط الفقهي، والمذاهب الفقهية الســـنية والشيعية في العراق وبلاد فارس.

2 ـــ بالرغم من ذلك استطاع فقهاء إقليم المشرق أن يضعوا قواعد البحث الفقهي

(1) ـــ البيهقي. **تاريخ البيهقي**. ص225 ـــ 227، العتبي. **تاريخ اليمني**. ج2/ص316.

(2)–البيهقي.**تاريخ البيهقي**.ص228، القرشي. **الجواهر المضية**. ج2/ص267.العمادي.**خراسان** ...مرجع سابق،ص101.

ويدونوها، ويحددوا مضامينها. وكان ذلك بداية للتأليف الأصولي الذي يعد مفخرة من مفاخر الفكر الإسلامي الأصيل[1].

3 ـــ وصل الفقه إلى منتهى قوته في القرون الثلاثة الأولى، ولم يبق في أواخر القرن الرابـــع والخامس وما بعدهما إلا صدى لثمراته اليانعة. وذلك لأسباب منها:

ـــ قصور الهمم عن الاجتهاد إلى الاقتصار على الترجيح في الأقوال المذهبية والاختيار منها.

ـــ وانصرفت هم الكثير إلى النقل، وشرح كتب المتقدمين واختصارها واقتصروا على التحشية والقشور. ومن اشتغل بالحواشي ما حوى شيء.. ! [2].

وجاء عشاق الفقه الإسلامي في العصور اللاحقة يحاولون أن ينالوه فلا يستطيعون إلى ذلك سبيلا إلا من رحم؛ لأن الفقه اعتصم من طالبيه في المتون، وتحصّن في الشروح، واستعصى على طلابه في اللغة المغلقة، والأسلوب العقيم.

4 ـــ إن المكانة التي تبوءها المذهبان الشافعي والحنفي في إقليم المشرق إنما جـــاءت مـــن المساندة والتأييد الذين أولتهما الدول المتعاقبة لهذين المذهبين.

5 ـــ تنافس المذهبين جعل أتباع كل مذهب يفيضون في ذكر محاسن مذهبهم ويشرح أصوله ومسائله. كما فعل أحمد بن عبد الله ابن القاسم السرماري في كتابه " النبأ " حيث أثبت أن مذهب أبي حنيفة هو الأصلح للولاة والأئمة وشرح أصول مذهبه وفروعه فجاء كتابه في ستة أبواب. كما شرح نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت373هـــ) الفقه الحنفي في كتابيه " النوازل " و" خزانة الفقه ". أما الحسن بن إسحاق النيسابوري (ت 348هـــ) فردّ على الشافعية آراءهم في كتبه " الرد على الشافعي فيما خالف فيه القرآن ".

6 ـــ أفاض الشافعية في ذكر محاسن مذهبهم وشرح مبادئه. كما فعل إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني في كتابه (الجامع في أصول الدين)، وألف أحمد بن بشر بن عامر المروروذي (ت 362هـــ). كتابه " الجامع " في المذهب، ومن الشروح المهمة للمذهب الشافعي شرح أحمد بن محمد بن سهل الطبسي (ت 358هـــ) يقال: إنه في ألف جزء[3].

---

(1) ـــ انظر: محمد الدسوقي. أمينة الجابر. **مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي**.ط1، الدوحة: دار الثقافة، 1990م. ص 174.

(2) ـــ محمد ابن الحسن الثعالبي الفارسي. **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م. ج3 / ص 189.

(3) ـــ انظر: ذنون. **الحياة العلمية** ... مرجع سابق. ص 215 ـــ 217.

7 ــ لما برزت ظاهرة التقليد في القرن الرابع الهجري. اضمحل الاجتهاد[1]. وتقاصرت الهمم في ذلك العصر، مع وجود الثروة الفقهية العظيمة الوافية التي تركها عصر التدوين مع ذكر أدلته وخلاف المذاهب وترجيح الراجح منها، وهو الذي عرف أخيرا بالموازنة أو المقارنة بين المذاهب، وبما خلفه الفقهاء من أحكام اجتهادية معلّلة. ولم يبق للذين أتوا بعدهم إلا أن يخرّجوا من فقه المذاهب أحكاما للأحداث الجديدة كما أشار إلى ذلك العلامة ابن خلدون بقوله: " ولما صار مذهب كل إمام علما مخصوصا عند أهل مذهبه، ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهاد والقياس. فاحتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق، وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذاهب إمامهم"[2].

وعن طريق هذا التخريج للمسائل على أصول المجتهدين نما الفقه، واتسع نطاقه، وتمّت مسائله.

وحينما كثرت الفروع والفتاوى بكثرة الوقائع والنوازل توسعوا في وضعها على هدي من سلفهم تدور في أبواب مختلفة من الفقه تضبط كثرة الفروع وتجمعها في قالب متسق، لصيانتها من الضياع والتشتت كما فعل العلامة الفقيه أبو زيد الدبوسي السمرقندي في كتابه " تأسيس النظر " تحت عنوان الأصول[3].

8 ــ أدى الجدل والتناظر بين المذاهب الفقهية إلى نمو روح التعصب المذهبي، وكان سبيلا إلى الجمود الفقهي بعد ذلك. فرأينا جلّ التآليف إما شروحا أو حواش أو مختصرات.

ولعلّ عناوين الكتب التالية تثبت ذلك.

ــ كتاب شرح الجامع الكبير للشيباني، وكتاب " في بعض ما خالف فيه الشافعي العراقيين " لعلي بن موسى بن يزداد القمي النيسابوري (أبو الحسن) (ت 305هـــ).

ــ " شرح رسالة الشافعي في الفقه على مذهبه " لحسان بن محمد القرشي النيسابوري (أبو الوليد) (ت 349هـــ).

ــ كتاب " فضائل أبي حنيفة " لمحمد بن أحمد الشعبي النيسابوري (أبو أحمد) (ت357هـــ).

ــ كتاب "شرح مختصر المزني"لأحمد بن عامر بن بشر بن حامد للروروذي(أبو حامد)(ت 362هـــ).

---

(1) ــ وهذا باعتبار الغالب. وإلا فإننا نجد بعض المجتهدين في القرن الرابع، كابن جرير الطبري (ت 310هـــ) والإمام الطحاوي (ت 321هـــ).

(2) ــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص 431.

(3) ــ انظر: المنذري. **القواعد الفقهية** ... مرجع سابق. ص 97 ــ 99.

ـــ كتاب " شرح فروع ابن الحداد " في الفقه لعبد الله بن أحمد المعروف بالقفال المروزي (أبو بكر) (ت 417هـــ).

9 ـــ أظهر الخراسانيون نشاطا علميا في ميدان الفقه وقدرة هائلة على التحصـــيل العلمـــي والإنتاج الفكري الواسع في عصر الدويلات الإسلامية، الذي ضم الكثير من الفقهاء والمفـــتين والقضاة البارزين، الذين أغنوا الفقه بدراساتهم الفقهية القيمة لا تقل أهمية عن التراث الفقهـــي الذي خلّفه فقهاء بغداد ودمشق والحجاز.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5. علم الكلام: التحدي والمواجهة

1.5. تحدّيات على عقيدة الإسلام

ليس هناك دين نزل من السماء، أو اختلقه الناس في الأرض حبا العقل من التقدير والإعزاز ما حباه دين الإسلام. وقد أثبتت نصوص القرآن والسنة عدم استيحاشها من العقل. كما أن علماء الإسلام لم يضيقوا بمنطقه.. ولم يكن الفضل لأي فرقة من فرق المسلمين في قيادة الحركة الفكرية الحرّة وحضها على إعمال العقل في النصوص الشرعية النقلية[1].

" لأن فريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من وظائف بجميع خصائصها ومدلولاتها، فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان "[2].

ولما كان عصر الترجمة راجت سوق المنقولات الأجنبية وأخذ العباسيون يشجعون على نقل علوم الأوائل من اليونان والسريان والفرس إلى لغة العرب،وأصبحت مواريث الأمم السابقة تزاحم وحي السماء. وكان شرا مستطيرا على الثقافة الإسلامية، فاشتبكت عناصر المقاومة في الكيان الإسلامي مع العلل الوافدة كما تشتبك الكرات البيضاء في الدم مع الجراثيم الهاجمة، ولا نزعم أن النجاة كانت كاملة.

واستقبلت نواح دينية بعض هذا الغزو الأجنبي، وتأثرت به وأصبحنا لا نفرق فيها بين الأصيل والدخيل !، لأن المزج بلغ أحيانا درجة كبيرة من المهارة. !

وقد سعت هذه العناصر الوافدة إلى تقويض مضمون الدين وسعت إلى تحريفه أو جرّه إلى مضمون آخر معيّن ؛ ليصبح مشابها له أو مطابقا، والعقيدة الإسلامية قد واجهت من هذه التحديات الفكرية ما لم تواجهه أي عقيدة أخرى، وذلك سواء من حيث حدّة الاعتراضات وشمولها، أو من حيث تنوع وتعدّد الأطراف والجهات المتحدّية. ويرجع الدكتور النجار ذلك

(1) ــ يدعي بعض المستشرقين. أن المعتزلة كان لهم فضل السبق في منح العقل الاحترام والتبجيل واستخدموه في فهم نصوص الدين، وهذا القول متهافت. لأن في القرآن الكريم وحده أكثر من ثلاثمائة آية تدعوا إلى إعمال العقل تصريحا أو تلميحا.
فقد أيقظ القرآن العقل الإنساني إلى الأبد، وحرره من الخرافة والهوى وسيطرة أساطير الأولين. وتقاليدهم الخرافية البالية. ووضع الإنسان أمام مسؤولية في استخدام العقل وإعمار الأرض وتحقيق رسالته الأولى والأساسية ألا وهي خلافة الله في الأرض.
(2) ــ انظر: عباس محمود العقاد. **التفكير فريضة إسلامية**. بيروت: منشورات المكتبة العصرية. (د. ت). ص 9.

كله إلى أسباب متعددة منها:

سبب تاريخي: فقد ظهر الإسلام بعد كل الأديان السماوية، وبعد الكثير من مذاهب الهند وفارس، وهذا جعل أصحاب هذه المذاهب والأديان يرون فيه الخصم الفتي الذي تتوفر له حظوظ الغلبة، بما يفسد من معتقداتهم ببث معتقده السهل البسيط، ومن طبيعة الناس أن كل جديد تكون منه خشية، وخاصة إذا ما تعلّق بالعقائد والعادات، ولهذا فقد هبّ الجميع إلبا واحدا يقاومون هذه العقيدة الجديدة، ويوردون عليها الشبه والاعتراضات.

سبب ذاتي: فإن من أصول العقيدة الإسلامية أن هذا الدّين يلغي كل مذهب وكل دين، وهو شامل بالخطاب لكل البشر، فهو يدّعي أنّه هو الحق وكل ما سواه ينبغي أن يزول.. وهذا المعنى زاد الخصوم حدّة في الطعن على هذه العقيدة، وشراسة في استنباط أساليب التقويض، ووفر من جهة أخرى فرصة الحوار مع كل الأديان والمذاهب باعتبارها تمثل طرفا واحدا، وفي هذا الحوار ظهرت واضحة مضامين وأساليب ذلك الطعن في مختلف مسائله.

سبب سياسي: فمن مبادئ الإسلام أنه دين ودولة؛ ولهذا فإن المسلمين قد حرصوا كأشدّ ما يكون الحرص على بسط نفوذ الدولة الإسلامية المتأسسة بالمدينة على كل الأرض التي تفتح، وهذا أدّى إلى غلبة المسلمين على الكثير من النظم القائمة ذات الحضارات العريقة، مما أبقى حقدا دفينا في صدور الكثير من أهل تلك النظم والحضارات، ولما أدركوا أن غلبة المسلمين إنما تمت بقوّة في ذات عقيدتهم، قصدوا إلى محاولة التشويه والنقض لهذه العقيدة بمختلف الأساليب.

سبب اجتماعي ثقافي: إن الذين دعوا إلى الإسلام واستجابوا له كانوا ينتمون إلى نحل وملل مختلفة. والكثير منهم مع حسن نيتهم لم يستطيعوا التخلص من معتقداتهم القديمة، فأصبحوا بذلك يفسرون الإسلام على ضوء رواسب مللهم ونحلهم، وهذا مظهر من مظاهر المعارضة للعقيدة الإسلامية وإن تكن معارضة غير مصحوبة من أصحابها[1].

نتيجة لهذه الأسباب تكاثرت الشبه والتحديات[2] من قبل تيارات وجدت في الحرية التي كفلها الإسلام لأتباع الديانات الأخرى منفذا، لشن هجومها، وتنوع أساليبها، متسلحة بالمنطق الأرسطي ضد عقائد الإسلام.

---

(1) ــ عبد المجيد النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**.. مرجع سابق، ص 81 ــ 82، وانظر: أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. مرجع سابق، ج3 / ص 1 ــ 9.

(2) ــ لقد وجهت التحديات إلى قضايا جوهرية في العقيدة الإسلامية. تلك التي لو سقطت منها واحدة لسقطت العقيدة بأكملها منها: ما هو راجع إلى الألوهية كالقول بالتعدد ــ والتشبيه والتجسيم ــ والاتحاد والحلول ــ وإنكار النبوة ــ والرجعة والمهدية والعصمة ــ وإنكار البعث ونفي الجزاء. انظر: عبد المجيد النجار. المرجع السابق. ص 83 ــ 90.

ولذلك فقد ارتبط الدفاع عن العقيدة الإسلامية والمحافظة على المفاهيم التي جاء بها الوحي، ونشرها في البلاد التي فتحت، وخاصة ما كان منها ذا تراث حضاري ومواريث عقلية ارتبطت هذه المهمة التاريخية بنشأة " علم الكلام " الذي كان استجابة لظروف التحدي التي أحـــدقت بعقيدة الإسلام، وكانت روح الدفاع هي التي تسيطر عليه وتسيّر مباحثه وتضـــبط طرائقـــه وترسم منهاجه. ويمكننا أن نفهم حقيقة هذا العلم من خلال استجلاء تعاريفه، وتحديد غاياته، وقد ذكرت أقوال كثيرة في سبب تسمية هذا العلم بالكلام.

يقول الإيجي: " إنما سمي بالكلام إما لأنه بإزاء المنطق للفلاسفة، وإما لأنّ أبوابه عنونت أولا: الكلام في كذا ... إلخ، أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه، حتى كثر فيه التشاجر والفك فغلب عليه، أو لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات مع الخصم"[1].

ويعلق الدكتور أحمد صبحي على عبارة الإيجي هذه قائلا:إنها تفيد أن المتكلمين أرادوا مقابلة علم الكلام بالمنطق، فكما أن الأخير (المنطق) يمكن الفيلسوف من الاستدلال، فكذلك علم الكلام يورث من يمارسه قدرة على الكلام، ولذلك خصّه المتكلمون بهذا الاسم، ويذكر لفظ " كلم كثيرا بمعنى جادل أو ناظر[2].

أما القول في تعليل التسمية، أن أبواب هذا العلم تبدأ معنونة بالكلام في ... فلـــيس علـــم الكلام وحده دون سائر العلوم هو الذي اختّص بهذا النحو من التبويب.

ويبدو ـــ والحديث ما زال للدكتور/صبحي ـــ أن أصّح الأقوال في ذلك هو الرأي الثالث. فمسألة " كلام الله " أو خلق القرآن هي أشهر المسائل التي ثار حولها الخلاف بين المتكلمين زمن المأمون، إذ احتدم الصراع إلى حد الاضطهاد وسفك الدماء بين المعتزلة والحنابلة حول مشكلة: هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ هل كلام الله محدث أم قديم؟ فأطلقت التسمية على العلم بأكمله[3].

---

(1) ـــ عضد الدين عبد الرحمن الإيجي. **المواقف**. القاهرة: مطبعة السعادة. 1325هـــ ج1 / ص 16.

(2) ـــ المتكلم يستند إلى ما جاء به الدين من اعتقادات المبنية على نصوص، ثم يلتمس الحجج العقلية التي تدعمها ويدفع عنها كل شبهة واعتراض ولا يلجأ إلى التأويل إلا عند تعارض النصوص.

أما الفيلسوف فيبحث بعقله ويرى حقا ما يتوصل إليه بالدليل دون نظر إلى ما جاء به الدين، إذا فالمتكلم يعتقد ثم يستدل، أما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد. الجرجاني، علي بن محمد الشريف الحسيني (ت 816هـــ). **التعريفات**. بيروت، 1969م. ص 162، جمال المرزوقي. **دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية**. ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية،2001م.ص12.

(3) ـــ راجع تفصيل ذلك عند الدكتور. أحمد محمود صبحي. **في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين**. **المعتزلة**. ط4، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية. 1982م ج1 / ص4 ـــ 5، وجمال المرزوقي. المرجع السابق. ص15، عبد الرحمن بدوي. **مذاهب الإسلاميين**. ط3، بيروت: دار العلم للملايين. 1983م. ج1 / ص 32، عمر فروخ. **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**. ط3، بيروت: دار العلم للملايين. 1981م.ص 203-204.

وعن غايات علم الكلام وإثبات مهمته يقول ابن خلدون: " هو العلم الذي يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[1]، ويقرب من ذلك تعريف التهانوي لعلم الكلام بأنّه " العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه"[2].

كما عرّفه الفارابي بقوله: " ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملّة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل"[3].

ولقد اختلف في علم الكلام ونسبه هل هو للمعتزلة [4] أم للأشاعرة [5]؟ يقول أبو حامد الغزالي في هذا: " وإنما مقصوده ـــ أي علم الكلام ـــ حفظ عقيدة أهل السنة عن تشويش أهل البدعة ... ثم ألقى الشيطان في وسأوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة. فلهجوا بها، وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها، فأنشأ الله طائفة المتكلمين، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف أهل السنة المأثورة فمنه نشأ علم الكلام "[6]

---

(1) ـــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص 440.

(2) ـــ التهانوي. **كشاف اصطلاحات الفنون**. ج1 / ص30، إلا أن هناك من يرى أن مهمة علم الكلام تقف عند الدفاع عن العقيدة، ولا تتعدى ذلك إلى إثباتها، لأن العقائد الإيمانية مثبتة بالكتاب والسنة فليس هناك مايدعو إلى إثباتها بالعقل. انظر: الغزالي. **المنقذ من الضلال**. تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار المعارف. 1981م. ص 8 ـــ9.

(3) ـــ انظر: الفارابي. **إحصاء العلوم**. تحقيق وتقديم. عثمان أمية. ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968م. ص 107 ـــ 108.

(4) ـــ المعتزلة: نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي. وأكثر العلماء يذهب إلى أن رأس المعتزلة هو واصل بن عطاء. الذي كان يحضر مجلس الحسن البصري، فثارت مسألة مرتكب الكبيرة، فقال واصل مخالفا الحسن: أنا أقول إن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا بمؤمن، بل هو في منزلة بين المنزلتين. ثم اعتزل مجلس الحسن. واتخذ له مجلسا فسمي وأتباعه بالمعتزلة. من أصول مذهبهم: " التوحيد والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ".يعتمدون في الاستدلال لإثبات العقائد على القضايا العقلية، متأثرين في ذلك بالفلسفة اليونانية في آرائهم. آخذين عنها كثيرا في استدلالهم فظهرت في أدلتهم مقدمات أقيستهم.ولما هم سيد الإلحاد والزندقة في العصر العباسي وحد خلفاؤه في المعتزلة سيفا مسلولا على الزنادقة. وشجعوهم على الاستمرار في نهجهم. وخاصة منهم المأمون الذي شايعهم وقربهم وأدناهم. وجعل منهم حجابه ووزراءه. إلى أن جاء الخليفة المتوكل فأبعدهم عن حظيرته، وأدنى خصومهم من نهجوا نهج السنة في الدفاع عن العقائد. انظر: عبد الله أمين. **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**. ط2، بيروت: دار الحقيقة، 1991م. ص 316 ـــ 326.

(5) ـــ الأشاعرة: تنسب هذه الفرقة إلى الإمام أبو الحسن الأشعري البصري (المتوفى سنة 330هـــ). تخرّج على يد المعتزلة، وتربى على موائدهم الفكرية. واختار طريقتهم في الاستدلال لعقائد القرآن. ولكنه لم يسلك طريقتهم في فهم نصوص القرآن والحديث بعيدا عن مسلك المناطقة والفلاسفة.كما تصدى الأشعري للرد على الفلاسفة والقرامطة والباطنية وغيرهم وكثير من هؤلاء لا يفحمه إلا الأقيسة المنطقية. ومنهم فلاسفة لا يقطعهم إلا دليل العقل.وقد نال الأشعري منزلة عظيمة وصار له أنصار كثيرون، ولقي من الحكام تأييدا ونصرة. انظر: عبد الله الأمين. المرجع السابق. ص 327 ـــ 335.

(6) ـــ الغزالي. **المنقذ من الضلال**. ص 14.

ويدل كلام الغزالي دلالة واضحة على أن بداية علم الكلام من حيث بدأ أبو الحسن الأشعري ومذهبه المناهض للاعتزال. وقد شمل ثلاثة من خلفاء بني العباس برعايتهم مذهب الاعتزال حتى عصر المتوكل العباسي سنة (234هـ ـــ 247هـ) الذي كان بداية لنهاية هذا المذهب. وقد بدا التحول الفعلي منذ حركة قادها اثنان من كبار فقهاء أهل السنة هما: الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) والإمام أبو الحسن الأشعري، في موقف الشموخ والتصدي، والالتزام بعقيدة أهل السلف، حتى ظهر الإمام الغزالي الذي انبرى بجدارة ليقف في وجه الدهريين[1]، والرافضة[2]، والباطنية.

وهكذا يكون علم الكلام علما دينيا خالصا سواء في موضوعه أو غايته، وإذا كـــان أحـــد معاني الأصالة أن يكون للشيء أصل ثابت يبنى عليه، فإن الأصل هنا في علم الكلام هو الدين الإسلامي وأصوله فهي موضوعه وغايته.

كما يمكن الاستدلال على هذه الأصالة الإسلامية. من تلك الأسماء التي أطلقت على علم الكلام: علم أصول الدين. وسماه أبو حنيفة: "بالفقه الأكبر". و"علم النظر والاستدلال" و"علم التوحيد والصفات" و"علم الشرائع والأحكام " و" علم الذات والصفات " و" علم العقائد الإسلامية "[3] بل إن الجاحظ (ت 255هـ) بعد أن تحدث عن نفاسة علم الكلام، وهيمنته على العلوم الأخرى يقول: " لولا مكانه لم يثبت للرب ربوبية، ولا لنبي حجة، ولم يفصل بين حجة وشبهة، وبين الدليل وما يتخيّل في صورة الدليل، وبه تعرف الجماعة من الفرقة، والسنة من البدعة، والشذوذ من الاستفاضة"[4].

وقد قوبل علم الكلام في أول أمره بموجة من الاستنكار الشديد، من قبل أهل الحديث والفقهاء والصوفية، وأطلقوا على علم الكلام وأهله أصحاب البدع،وراحوا ينشئون أقوالا في ذم علم الكلام وأهله[5].

---

(1) ـــ الدهريين: فرقة من الملحدين. كانوا يقولون بقدم العالم وأبديته، وينكرون وجود الباري تعالى، وقيل:إن أول من اهتم بالرد عليهم هو واصل بن عطاء.

(2) ـــ الرافضة: سميت هذه الفرقة بالرافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه، لما سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأثنى عليهما خيرا وقال ما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا، وقد كانا وزيري جدي، فلما انصرفوا عنه، لذلك قال لهم: رفضتموني، فأطلق عليهم من ذلك الوقت اسم الرافضة. انظر: عبد القادر شيبة الحمد. **الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**. مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. (د،ت)، ص176.

(3) ـــ انظر: محمد صالح محمد السيد. **أصالة علم الكلام**. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع،1987م. ص15ـــ16.

(4) ـــ الجاحظ. **الفصول المختارة** ـــ جمعها الإمام عبد الله بن حسان، على هامش الكامل للمبرد ـــ القاهرة: مطبعة التقدم، 1323هـ. ج2 / ص 329.

(5) ـــ نجد هذا الاستنكار الشديد لعلم الكلام وذمّه عند كثير من علماء المسلمين وأئمتهم نذكر منهم: ابن قتيبة .../...

وتشير كل هذه الأقوال والآثار إلى أن المتكلمين قد خاضوا في موضوعات دقيقة كان يجب أن يسكتوا ويمسكوا عن الخوض فيها لأن الرسول ﷺ وصحابته لم يخوضوا في شيء من هـــذا القبيل بل نهوا عنه.

والواقع أن الإسلام ـــ شأنه شأن أي دين آخر قد مرّ بمرحلتين:

مرحلة التصديق القلبي والإيمان بالعقائد والأصول حتى يرسخ الدين في القلوب. ولم تكن العقيدة في هذه المرحلة المتقدمة بحاجة إلى المواجهة؛ لأنه لم يرد فيها تحدّ فكري. ثم مرحلة البحث والنظر وصوغ مسائل الدين صياغة فلسفية. وذلك بسبب ورود تحدّيات فكرية على عقيدة الإسلام تتعلق بالإيمان ومسألة القدر، من قبل أقوام أصحاب ملل ونحل من اليهود والنصارى والوثنيين والزنادقة وخاصة في إقليم خراسان وما وراء النهر[1]. وفي ذلك يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المسلمين في صدر الإسلام كانوا يرون أن: " التنافر والتجادل في الاعتقاد يؤدي إلى الانسلاخ من الدين، ولذلك كان المسلمون عند وفاة الرسول ﷺ على عقيدة واحدة، ولم يظهر البحث والجدل في مسائل العقيدة إلا بعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام، حين ظهرت البدع، واضطر المسلمون إلى مدافعتها، ومن ثمّ تفرقت الفرق، ونشأ علم الكلام ضرورة تقدر قدرها"[2].

كما استطاع المتكلمون ـــ وجلهم مؤرخو أديان توفروا على ثقافة موسوعية راسخة ـــ بدراسة منهجية وقراءة نقدية، ومتابعة تاريخية دقيقة لأسس الأديان السماوية وغير السماوية وأركانها وتعاليمها فدرسوا عن كتب أصول عقائدها، وحددوا مواضع الخلاف الأساسية بين العقيدة الإسلامية وسائر العقائد والآراء الفلسفية التي وجدها المسلمون في البلاد المفتوحة ودخلوا في موجات فكرية ضدها. وذلك انتصارا لما أثاره القرآن الكريم من مواضع الشذوذ والانحراف عن الحق في تلك الأديان والفلسفات[3].

فصار حتما على الراسخين في العلم أن يتصدروا للهجة الشرسة بإحدى طريقتين: المناظرة أو التأليف[4]

(ت276هـ) في كتابه " تأويل مختلف الحديث " وابن عبد البر (ت 463هـــ) في كتابه " مختصر جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وعمله " والهروي (ت 401هـــ) في كتابه " ذم الكلام وأهله "، وغيرهم.

(1) ـــ النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. مرجع سابق. ص 102، محمد صالح السيد. **أصالة علم الكلام**. مرجع سابق. ص 21.

(2) ـــ ابن تيمية. **العقيدة الواسطية**. القاهرة: مطبعة المنار، 1340هـــ. ص 24 ـــ 25.

(3) ـــ عرفان عبد الحميد فتاح. **منهج المتكلمين ـــ دراسة وتقويم**. بمجلة إسلامية المعرفة ـــ المعهد العالمي للفكر الإسلامي. السنة الثانية. العدد 8، ذو الحجة 1417هـــ ـــ أبريل 1997م ـــ ص 85.

(4) ـــ النجار. المرجع السابق. ص 107.

"ومن هنا يتبين لنا أن علم الكلام كان من ابتداء نشوئه وعلى فترة تمتد إلى القرن السابع الهجري علما يؤدي وظيفته في الحفاظ على العقيدة الإسلامية والدفاع عنها بشكل جيد في أكثر الأحيان، وإنما كان كذلك لتوفر الصفات التالية فيه:

أ ــ **الواقعية**: حيث أن هذا العلم كان يواجه اعتراضات وشبها واقعة فعلا وموجهة لتحريف العقيدة، و لم ينجر إلى البحث النظري المجرّد المقصود لذاته، أو الذي يعالج قضايا وهمية.

ب ــ **الحيوية**: حيث إن القضايا التي كان يعالجها، كانت قضايا حيّة في النفوس وتمثل مشاكل حقيقية يحياها المسلمون في واقع تصوّرهم العقدي، ولذلك فإنه كان في ذلك العصر يؤدي إلى نتاج ذات بال لما يبديه من الاهتمام بالتحديات الواردة بالفعل.

ج ــ **الحركية والوعي**: حيث إننا نجد المتكلمين يغيرون من مواضيع البحث ومن محور الاهتمام ومن أسلوب المواجهة بما يتفق مع طبيعة الموقف بمراعاة ما يرد من الاعتراضات في موضوعها وأساليبها، فيكون لكل مقام مقال، ولكل طريقة في الهجوم طريقة في الرد تناسبها، ولكل شبهة مهما كانت خفية الخطر ما يكشف عن خطرها ويرد كيدها "[1].

2.5. أعلام المتكلمين في خراسان وما وراء النهر وجهودهم في الدفاع عن العقائد الإسلامية

بسبب ما كانت تموج به خراسان وما وراء النهر من أفكار وتيارات ومذاهب هدامة أغرت بثمارها المحرمة عبّاد اللذة ورواد المنكر من ضعاف العقول وصغار الأنفس، وأمعنوا في الغي والضلال، واشتركوا في النساء والأموال، وفي سبيل ذلك نشروا الإرهاب، وبددوا النظام، وزعزعوا الأمن.

كان أولئك الهدامون يقترفون هذه الكبائر تحت ستار من الدين والخلق، فبسلطان الدين يشيعون الإلحاد، وباسم الخلق كانوا ينشرون الإباحية، وباسم حرية الاعتقاد يحيون الفكر القديم، ولكن للإسلام منبعين من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يزالان يتدفقان بالصفاء والطهر والعذوبة، فإذا تلوثت مجاريه البعيدة بمثل هذا الدنس أقبل الفيض الإلهي فجرف تياره القوي كل عفن، وطهر ماؤه النقي كل رجس.

لقد انبرى علماء الكلام لهذه الحركة المضادة بنتاج علمي ثر استطاع أن يُحكم السياج حول مسائل الاعتقاد بأسوار من الأدلة والحجج والبراهين، تصدى لوضعها أئمة أعلام نذكر نماذج

(1) ــ النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. مرجع سابق. ص 116 ــ 117.

منهم، مع التنبيه إلى أن دراستنا لا شأن لها بتقصي كل صغيرة وكبيرة عن القضايا الكلامية المطروحة ؛ إذ أن كلا منها يحتاج إلى بحث دراسي مستقل، وإنما الذي يعنينا في هذا المجال هو تقرير ما انتهت إليه هذه الطروحات من تطور وتغيير وتنشيط للحياة الفكرية في إقليم المشرق،ونذكر من بينهم:

ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حفص البخاري (ت 264هـ) الذي وضع كتاب " الرد على اللفظية "، و"الأهواء والاختلاف"[1]، وأبو بكر محمد بن اليمان السمرقندي (ت 268هـ)، الفقيه المتكلم صاحب كتاب " الرد على الكرامية "[2]، و" الاعتصام في الحديث"، و" معالم الدين والأنوار "[3].

كما نذكر محمد ابن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة أبو بكر السلمي النيسابوري (ت311هـ). الذي روى عنه خلق كثير من علماء أعلام الحديث منهم أمير المؤمنين في الحديث. أبو عبد الله البخاري صاحب "الجامع الصحيح"، والإمام الحجة الثقة مسلم بن الحجاج، صاحب الصحيح. والحافظ أبو اسحاق ابن أبي طالب النيسابوري ...وغيرهم كثير.

كان رحمه الله سلفي العقيدة على طريق أهل التحديث يقول بما قاله الصحابة ومن بعدهم من التابعين، ويمرر صفات الباري تعالى ذكره على ظاهرها بدون تأويل لمتشابهها ولا تحريف لظاهرها، وينزه الخالق عن الشبيه والنظير والمثل.

وقد أثبت ذلك كله في كتابه " التوحيد " وعنوانه بالكامل ـ كما ذكره مؤلفه ـ هو " كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي أنزله على نبيه المصطفى ﷺ وعلى لسان نبيه نقل الأخبار الثابتة الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير

(1) ـ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج10 / ص159.

(2) ـ الكرامية: نسبة إلى مؤسسها أبا عبد الله محمد بن كرّام السجستاني، ورد نيسابور في زمان ولاية محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر، تبعه على مذهبه شرذمة من أكرة القرى والدّهم، من أهل سواد نيسابور، واستمر المذهب من منتصف القرن الثالث الهجري في خراسان إلى أوائل القرن الخامس الهجري على الأقل. وكان لهم مشايخ يتولون رسالة المذهب، ومن آرائهم أن أسماء الله عز وجل كلها أعراض فيه، وكذلك اسم كل مسمى عرض فيه.. وزعموا أن الله تعالى عرض حال في جسم قديم، والرحمن عرض آخر ... ".

انظر. البغدادي. **الفرق بين الفرق**. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1982م.، ص 224، عبد الرحمن بدوي. **مذاهب الإسلاميين**. مرجع سابق. ص 660.

(3) ـ حاجي. **كشف الظنون**. مج1 / ص119، البغدادي. **هدية العارفين**. مج6 / ص17، ابن قطلوبغا. **تاج التراجم**. ص282، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج3 / ص778.

قطع في إسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار الثقات"[1].

وقد عرف ابن خزيمة بسعة الرواية وغزارة العلم وسرعة الحفظ، وصفه تاج الدين السبكي فقال: " إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري المجتهد المطلق والبحر العجاج والحبر الذي في الحجى ولا يناظر في الحجاج، جمع أشتات العلوم وارتفع مقداره فتقاصرت عنه طوالع النجوم وأقام بمدينة نيسابور، إمامها حيث الضراغم مزدحمة، وفردها الذي رفع العلم بين الأفراد علمه، والوفود تفد على ربعه لا يتجنبه منهم إلا الأشقى، والفتاوى تحمل عنه برا وبحرا وتشق الأرض شقا، وعلومه تسير فتهدى في كل سواد مدلهمة، وتمضي علما تأتم الهداة به وكيف لا وهو إمام الأئمة.."[2].

كالبحر يقذف للقريب جـــواهرا كرما ويبعث للغريب ســحائبا

انتصب الإمام ابن خزيمة في كتابه " التوحيد " للرد على أهل الأهواء والبدع ومناهضة أصحاب المقالات، والمذاهب المخالفة للدين، مثبتا مذهب أهل الآثار. معالجا قضايا العقيدة، بمنهج السلف في الاستدلال والحجاج والمناظرة. وقد وضح في مقدمة كتابه مبيّنا سبب تأليفه، ومنهجه في بسط قضيته، وجهده في الدفاع عن قضايا العقيدة[3].

كما يرجع الفضل في تنشيط الحركة الكلامية والفلسفية بـــإقليم المشـــرق إلى شخصـــيتين بارزتين هما: أبو زيد البلخي، وأبو القاسم الكعبي.

أما أبو زيد فهو أحمد بن سهل البلخي. جمع بين الفلسفة والعلوم الشرعية والأدب. قال عنه أبو حيان التوحيدي فيما يذكره الحموي: " أنه لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأول، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر، ومن تصفح كلامه في كتاب أقسام العلوم، وفي كتاب أخلاق الأمم، وفي كتاب نظم القرآن، وكتاب اختيار السيرة، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يسأل عنه ويبده به علم أنه بحر البحور، وأنه عام العلماء وما رؤي في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه، وإن القول فيه لكثير"[4].

كان يلقب بـــ " جاحظ خراسان " وصفه آدم ميتز: "بأنه من دعاة الفكر الحر"[5] ألف نحو ستين كتابا في علوم مختلفة ... كان يتنزه عن الجدل في القرآن، ويتحرج عن تفضيل بعض

(1)-انظر: **كتاب التوحيد**. راجعه وعلّق عليه محمد خليل الهراس. بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. 1988م.
(2) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2 / ص84.
(3) ـــ انظر: **كتاب التوحيد**. ص 3 ـــ 4.
(4) ـــ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1 / ص354.
(5) ـــ ميتز. **الحضارة الإسلامية**. ج1 / ص376.

الصحابة على بعض، وعن المفاخرة بين العرب والعجم، من تآليفه:

كتاب "شرائع الأديان"، وكتاب "السياسة الكبير والصغير"، و"حدود الفلسفة"،وكتاب "أخلاق الأمم" الذي استحسنه أبو حيان التوحيدي وأثنى عليه بقوله: "قد رأيته وقرأته وقد أفاد، وكل من تكلم على طريقة الحكماء الذين يتوخون من الأمور لبابها ويصرفون عنها قشورها، فله السابقة والتقدم على من يخبط كفلان وفلان ..."[1].

وكتاب "ما يصح من أحكام النجوم"، وكتاب "الرد على عبدة الأثان" ...إلخ.توفي ببلخ سنة (322هـ)[2]. ويفهم من حكاية ذكرها ابن النديم أن أبا زيد البلخي كان معتزليا وفي صراع فكري مع القرامطة [3]. والثنوية[4]. وهذا ما دعا منافسيه إضافة إلى استغلالهم خوضه في المنطق إلى رميه بالإلحاد[5]. وتلويث سمعته العلمية وبالتالي الخلاص منه، فكانوا يعرضون على إحراجه في مناظرات ليس فيها مايجدي طائلا ولا يتضمن حاصلا على حد تعبيره فيسألونه عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض وعن مفاخرة العربي والعجمي فيأتي جوابه واقعيا سليما كسلامة فكره فيقول: " إن الله تعالى يقول في القرآن ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ﴾[6]، وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم فقوله: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[7].

---

(1) ــ أبو حيان التوحيدي. **الإمتاع والمؤانسة**. صحّحه وضبط غريبه، أحمد أمين، وأحمد الزين. بيروت: دار مكتبة الحياة. (د. ت). ج1 / ص 212.

(2) ــ أحمد أمين. **ظهر الإسلام**، مرجع سابق. ج1 / ص 266 ــ 267.

(3) ــ القرامطة: نسبة إلى رجل إسمه حمدان بن الأشعث، ولقبه قرمط. قدم من خوزستان إلى الكوفة، وأظهر الزهد والورع، ثم زعم أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت، اجتمع حوله طوائف من الناس، وكانت حركته خطوة من خطوات الإسماعيلية الباطنية، وقد عاث في الأرض فسادا وأنكر القيامة والجنة والنار، وأباح لاتباعه الأموال والفروج والاستغناء عن الصوم والصلاة والفرائض. وأن ذلك كله موضوع عنهم، وأن أموال المخالفين ودمائهم حلال لهم. فجرأ أتباعه على القتل والسلب والفجور. فاستحلوا استعراض الناس بالسيف وسفك دمائهم وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك، وكانوا يعلّون في ذلك بقوله تعالى: " واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ". كما اعتلّوا في سبي النساء وقتل الأطفال بقوله تعالى: " ولا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا ".كان ابتداء ثورة القرامطة من عام 287هـ. ووفاة حمدان قرمط عام 293هـ. وقاموا بثورة كبرى عام 316هـ. وتوالت حروبهم بعد ذلك.انظر:عبد المنعم الحفني. **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**. ط1، القاهرة: دار الرشاد، 1993م. ص 318 ــ 323، صابر طعيمة. **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**. ط1، بيروت: المكتبة الثقافية، 1986م.ص201- 237، سليمان بن عبد الله السلومي. **القرامطة وآراؤهم الاعتقادية**.رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، إشراف الشيخ محمد الغزالي،جامعة أم القرى.1400هـ.ج1/ص135- 157.

(4) ــ الثنوية: هم القائلون، بإلهين النور وعنه يصدر الخير، والظلمة وعنها يصدر الشر. ومن امتزاج النور بالظلمة يتكون أصل العالم. وذلك لاستحالة صدور الشر من الحكيم.

(5) ــ ابن النديم. **الفهرست**. ص170.

(6) ــ سورة يوسف. (الآية 2).

(7) ــ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1 / ص381. عن تخريج الحديث: انظر: السلسلة الضعيفة للألباني، ج1/ص58.

ومن أسف القول أن المحاورات والمناقشات والمناظرات بين الفرق الكلامية وبينـــها وبـــين المخالفين. لم تحظ باهتمام المصادر إلا قليلا، على الرغم من أن الـــدلائل تشـــير إلى كثرتهـــا، كنتيجة طبيعية لمحاولة كل فرقة التعصب لمذهبها، والانتصار لآرائها.

والثاني أبو القاسم عبد الله بن أحمد الكعبي من بلخ أيضا. كان معاصرا لأبي زيد وصديقا له، اشتهر بتبحره في علم الكلام، وهو رأس من رؤوس المعتزلة، له مذهب خاص وأتباع يقال لهم "الكعبية". من كبار المتكلمين، وله اختيارات في علم الكلام. من تصانيفه في هذا العلم: كتاب "المقالات" و"الاستدلال بالشاهد على الغائب" و"الجدل" وكتاب في "النقض على الرازي في الفلسفة الإلهية" و"المسترشد في الإمامة" و"نقض كتاب أبي علي الجبّائي في الإرادة" و"أدب الجدل" و"النقض على الجَبرة" و"تأييد مقالة أبي الهذيل في الجبر". توفي سنة 317هـــ[1].

ويمكن القول أنه بالرغم من وجود بعض المتكلمين من المعتزلة في بلخ إلا أنها ظلت قلعة أهل السنة تدافع عن عقيدتها بحرارة. حتى أنه لما ورد كتاب دار الخلافة إلى الليث بن مساور (ت 226هـــ). وكان قاضيا فيها، بوجوب القول بخلق القرآن [2]. فإنه خلع نفسه من القضاء، ورمى عمامته على الأرض ونادى: " إن كل من يقول بخلق القرآن فهو كافر ".

وقد عدّ صاحب كتاب "فضائل بلخ" ـــ الذي ألفه سنة 610هـــ ـــ من شمائل بلخ المخصوصة كون أهلها مسلمين، وكلهم على مذهب أهل السنة والجماعة.ومن دفاع بلخ عن عقيدتها السنية وتمسك بها. أنه حين أمر أحد الولاة بالمناداة بالشهادة الثالثة في الأذان، وهي: أشهد أن عليا ولي الله، فإنهم هاجموه وقتلوه سنة202هـــ[3].

كما نذكر أيضا فيلسوف نيسابور أبي الحسن محمد بن أبي ذر يوسف العامري المتوفى سنة (381هـــ). الذي درس الفلسفة والكلام على يد أبي زيد البلخـــي في خراســـان.

---

(1) ـــ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج15 / ص255، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1 / ص230، أحمد أمين. **ظهر الإسلام**، مرجع سابق. ج1 / ص 267.

(2) ـــ القول بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وأنه مخلوق لم يكن ثم كان، هو قول المعتزلة والخوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة. فضلا عن أقوال أخرى أنظرها عند أبي الحسن الأشعري. **مقالات الإسلاميين**. ط2، بيروت: دار الحداثة. 1985م. ج2 / ص 231 وما بعدها. وراجع ج1 / ص 245 وما بعدها.

أما أهل السنة فذهبوا إلى أن كلام الله قديم، لأن ما يقوم بالنفس يسمى كلاما قبل أن يلفظ. كما قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفواد وإنما ... جعل اللسان على الفواد دليلا.

فالقرآن قبل لفظه قائم في ذات الله، والله قديم فكلامه قديم.

(3) ـــ المدرس. **مشايخ بلخ**.. مرجع سابق. ج1 / ص 126. لاشك أن من يقوم بهذا العمل هم العوام المتعصبة. لأن زيادة هذه الشهادة لا يعاقب صاحبها بالقتل. وهذا ليس من الإسلام في شيء.

وعرف بعد ذلك "بالفيلسوف النيسابوري" عاش محبا للترحال وملاحقة أحوال الناس وتقلبات الأيام والدول.

رحل العامري إلى بخارى وأقام فيها فترة من الزمن في حضن الأمراء السامانيين، وألّف معظم كتبه لآل سامان مثل: كتاب "التقرير لأوجه التقدير" صنّفه لأبي الحسين العتبي وزير نوح بن منصور الساماني، وألّف كتاب "السعادة والإسعاد" لأمير من أمراء سامان كان يطمح المؤلف أن يكون وزيرا له ولا سيما وجود اقتباسات كثيرة في هذا الكتاب من المصادر الفارسية عن السياسة وإدارة شؤون الدولة. وما شجّعه على تأليف الكتب تشجيع السامانيين المعلم والعلماء ماديا وأدبياً إلى جانب وجود مكتبتهم الشهيرة مما أغرى العامري بالتردد على بخارى[1] من أهم مصنفاته:

1 ــ كتاب "الإعلام بمناقب الإسلام": تناول فيه المقارنة بين الإسلام وبين ديانات أخرى، ذكرت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]. فمجال المقارنة إذن ستة أديان: الإسلام، اليهودية ودين الصابئة، والنصرانية ودين المجوس (الزرداشتية)، والشرك (عبادة الأصنام).

وأما موضوع المقارنة. فيتناول العامري في مصنفه: أركان الدين الثلاثة وهي: العقيدة التي تشمل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والنبوات. واليوم الآخر، والعبادة التي تشمل العبادة النفسية (الصلاة) والبدنية (الصوم)، والمالية (الزكاة)، والسياسية (الجهاد). والعبادة الشاملة للعبادات السابقة (الحج)، والشريعة التي تشمل المعاملات والحدود[3].

2 ـوله كتاب "الإبانة عن علل الديانة"،3 ـ"الإرشاد لتصحيح الاعتقاد"،4 ـ"النسك العقدة والتصوف للّبي"،5ـ"إستفتاح النظر"،6 ـ"الإبصار والبصر"،7 ـ "تحصيل السلامة عن الحصر والأسر" ــ "التبصر لأوجه التعبير" 9 ــ "للسائل"،10 ــ "الرسائل الوجيزة"،11 ـ "شرح الأصول للنطقية"، 12 ــ "تفاسير للصنّفات الطبيعية"، 13ــ"منهاج الدين"، 14 ــ "التعرف لمذهب أهل التصوف"، 15 "الفصول في المعالم الإلهية"، 16 ــ "شرح كتاب النفس لأرسطوطاليس"، 17 ــ "الأمد إلى الأبد"[4].

وتظهر هذه المؤلفات مدى سعة ثقافة العامري، وغزارة علمه، حيث تناول القضايا الفلسفية

(1)ـالعامري.الإعلام بمناقب الإسلام،تحقيق ودراسة أحمد عبد الحميد غراب.القاهرة:دار الكتاب العربي.1967م.ص12-14.

(2) ــ سورة الحج. الآية 17.

(3) ــ انظر: كتاب الإعلام بمناقب الإسلام. ص 23.

(4) ــ انظر: العامري. الإعلام بمناقب الإسلام. المصدر السابق. ص 19 ــ 20.

من جوانب متعددة. وقد كان فكره يقوم على أن الفلسفة مقاودة للشريعة والشريعة مشاكلة للفلسفة وأن إحداهما أم والأخرى ظئر، ولهذا طردوه، فأصبح يعيش متخفيا شريدا. تارة عند ذي الكفايتين أبي الفتح بن العميد، ومرّة يلجأ إلى صاحب الجيش بنيسابور، ومرّة يتقرب إلى العامة، وهو على ذلك متهم بالإلحاد[1].

كما نذكر من أعلام المتكلمين في المنطقة أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي (420هـ) صاحب كتاب: 1 ـ "فضائح المعتزلة"، 2 ـ "فضائح الكرامية"، 3 ـ "نفي خلق القرآن"، 4 ـ "الكلام في الوعد والوعيد"، 5 ـ "إبطال القول بالتولد"[2].

كما كان أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك (ت 406هـ). شديدا على المعتزلة وقد قاربت مؤلفاته كما يقال ـ المائة في مختلف العلوم منها الفلسفة[3].

وممن شارك في علم الكلام أيضا نذكر الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، المعروف بالحليمي. البخاري الأصل المتوفى سنة (403هـ). الذي صنّف كتابه "المنهاج في شعب الإيمان". والذي يعدّ أول مصنّف وصلنا في بابه ـ أي في موضوع شعب الإيمان ـ وهذا يخالف ما كان مشهورا بين كثير من الباحثين بأن كتاب "الجامع لشعب الإيمان" للإمام البيهقي المتوفى سنة 458هـ. هو أول مصنف في هذا الباب. وقد صرح الإمام البيهقي في كتابه الجامع بأنه أفاد إفادة عظيمة من كتاب "المنهاج في شعب الإيمان" للإمام الحليمي[4].

ويظهر من مصنفات المتكلمين السابقين أن الصراع كان محتدما بين الأشعرية والمعتزلة في خراسان وما وراء النهر مما جعل الخلافة العباسية تتدخل لفض هذه المناظرات والخلافات ففي عام (408هـ) أصدر الخليفة القادر بالله كتابا ضد المعتزلة أمرهم فيه بترك الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام، وأنذرهم إن خالفوا أمره فسوف يتخذ ضدهم أشد العقوبات. وكان السلطان محمود الغزنوي أول من امتثل في غزنة لأمر أمير المؤمنين واستن بسنته في قتل المخالفين ونفيهم وحبسهم، كما أمر بلعنهم[5].

وقد كتب لفكر الأشعري أن ينتشر في الآفاق، وينتقض على فكر المعتزلة. ويصنف ردوده

---

(1) ـ أديل ... **الحركة العلمية في نيسابور**.. مرجع سابق. ص 187 ـ 188.

(2) ـ محمد بن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات والذيل عليها**. تحقيق. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة. (د.ت). ج2 / ص370 ـ 372.

(3) ـ ابن الملقن. **العقد المذهب**. ص 69. نقلا عن. ذنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص 255.

(4) ـ عبد الباري محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر** ... مرجع سابق. ص 282.

(5) ـ آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق. ج1 / ص381، العمادي. **خراسان** ... مرجع سابق. ص 305.

عليهم، ويحمل معه "عقلانية" ميزته عن السلفية النصوصية، متخذا في ذلك منهج الفقهاء في أصول الفقه، كما صاغه الشافعي، ومنهج المتكلمين من أهل السنة وخاصة ابن كلاّب[1] وبسلفية أحمد بن حنبل.. بكل هذه المنطلقات ومنها انطلق الأشعري صانعا تحوله الفكري التاريخي. ومبلورا منهجه الوسطي الجديد ...[2].

وقد ساعدت هذه الوسطية مذهب الأشعرية وجعلته مهيأ أكثر من غيره كي يلبي حاجة أوساط جمهور الأمة في قضايا الاعتقاد.. وكون تراث فقهاء الإسلام العظام. أغنوا المذهب، وحققوا هيمنة فكرية على أمة الإسلام، من أمثال أبو بكر القفال الشاشي النيسابوري، وأبو سهل الصعلوكي، وأبو زيد المروزي. إلى آخر أعلام الطبقة الأولى من الأشعرية ومن تبعهم وتتلمذ على يديهم.

وقد استطاع علماء خراسان أن يطوّروا المذهب الأشعري ويقعدوا له القواعد. حتى يصل إلى مرحلة النضج في القرن الخامس الهجري. الذي سمي (قرن الأشعرية)، لأن قوى سياسية في بغداد أو خراسان أو في بلاد ما وراء النهر عملت على دعمه. بل ورأت فيه الإيديولوجية السنية التي تمكنها من الإجهاز على الإيديولوجية الشيعية. كالذي فعله السلاجقة، مع البويهيين.

إلا أن المذهب الأشعري في أصول الدين اقترن في كثير من الأحيان بالمذهب الشافعي في الفقه. وكلاهما اقترنا في وجودها بخراسان. (نيسابور، مرو، بلخ، هراة). أما بلاد ما وراء النهر فقد ظهر بها مذهب سني حاول سد الثغرات التي تركها الفكر الأشعري[3]. وقام يدافع عن معتقدات أهل السنة، ويصوغ أدلة عقلية لإثبات آرائهم ويثبت عن طريق العقل بطلان أدلة مخالفيهم، إلا أنه يتحقق له الذيوع والانتشار ما تحقق لمذهب الأشعري وهو المذهب الماتريدي المنسوب إلى مؤسسه محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي [4] (ت 333هـ).

وسوف نبسط القول بقدر الحاجة في عرض هذا المذهب، من حيث جهود مؤسسه في

---

(1) ـ هو أبو محمد عبد الله سعيد بن محمد بن كلاّب (ت 240هـ). صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وإثبات الصفات للذات الإلهية، وخلق الأفعال.. حتى لقد اعتبره الأشاعرة شيخا لهم. محمد عمارة. تيارات الفكر الإسلامي. ط1، القاهرة: دار المستقبل العربي، 1983م. ص 168.

(2) ـ محمد عمارة. المرجع السابق. ص 168.

(3) ـ ليست هذه الثغرات مما يقدح في صحة الاعتقاد عند الأشاعرة. بل هي جاءت لتمسكهم الشديد بمفهوم القدرة الإلهية المطلقة، وعدم جواز الوجوب على الله، كقولهم: بجواز انتفاء الحكمة عن أفعاله تعالى، والقول بجواز تكليف ما لا يطاق، أو جواز تعذيب المطيع وإثابة العاصي ... وغيرها.

انظر: الأشعري. مقالات الإسلاميين. ص 258 وما بعدها.

(4) ـ ماتريد. نسبة إلى محلة بسمرقند.

خدمة العقيدة الإسلامية، لأنه نشأ في منطقة نائية بعيدة عن مناطق التوجيه الفكري الذي نشأ فيها الأشعري. ونصرة قضاياها في بلاد ما وراء النهر.

لقد قرر العلماء أن آراء أبي حنيفة في العقائد هي الأصل الذي تفرعت منه آراء الماتريدي، واعتبر أبو منصور الماتريدي هو المؤسس للاتجاه الكلامي في المذهب الحنفي. وقد خلع عليه أصحابه ألقابا منها إمام الهدى وقدوة أهل السنة والاهتداء، رافع أعلام السنة والجماعة، قالع أضاليل الفتنة والبدعة ... إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين[1].

وهذه الألقاب تدل على مكانته العلمية بين أصحابه من الحنفية الذين لم يعتبروا الماتريدي مجرد شارح ومفصل لطريقة أبي حنيفة. بل كان مبتكرا له منهجه ومذهبه الخاص. فإذا كان الجانب الفقهي من المذهب الحنفي يرجع إلى أبي حنيفة، فإن الجانب الكلامي في المذهب الحنفي يرجع إلى الماتريدي، ولا يقلل ذلك من أهمية الصلة بين أبي حنيفة والماتريدي. فإن الصلة بينهما مؤكدة، ولقد كان الماتريدي أعرف الناس بآراء أبي حنيفة [2]. لأنه أعرف أتباعه بمذهبه، واستعان ببعض ردود أبي حنيفة على المخالفين.

وخلاصة القول أنه إذا كان لأبي حنيفة فضل أول محاولة لإقامة مذهب كلامي على اعتقاد أهل السنة، فإن للماتريدي فضل إقامة مذهب متكامل أيده بالحجة والبرهان العقلي والأقيسة المنطقية للتعبير عن اعتقاد أهل السنة[3]. ويمكننا التعرف على ثقافة الماتريدي عن طريق أنواع العلوم التي حصلها والكتب التي ألفها، والتنوع الحاصل فيها مما يدل على عمق ثقافته وسعة إلمامه بشتى صنوف المعرفة في زمانه، وأنه قد جمع بين استيعابه لعلوم الشريعة والحكمة.

---

(1) ــ الكفوي. **أعلام الأخيار**. ص 130. نقلا عن: علي عبد الفتاح المغربي. **إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية**. ط1، القاهرة: مطبعة الدعوة الإسلامية. 1985م. ص 12.

(2) ــ كان لأبي حنيفة نظرات في مسائل كلامية كثيرة: كحقيقة الإيمان والأسماء والأحكام ومرتكب والطريق إلى معرفة الله، وفي الصفات، وفي أفعال العباد والقضاء والقدر، والقرآن وقدمه أو خلقه، والنبوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا كان في نظراته تلك كثير من الدقة والعمق. إلا أنه لم يكن يخرج بها إلى مجالات الكلام الدقيق. بل يكتفي بإزالة القلق والحيرة في الكثير من المباحث التي تشغل بال المسلمين يومئذ. متبعا في ذلك طريقة السلف. وقد سئل أبو حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟ قال: مقالات الفلاسفة. عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

انظر: يحي هاشم حسن فرغلي. **نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية**. القاهرة: مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، 1972م. ج1 / ص 249.

(3) ــ علي عبد الفتاح المغربي. المرجع السابق. ص 22، محمد أبو زهرة. **تاريخ المذاهب الإسلامية**. مرجع سابق. ص 177.

وقد صنّف الماتريدي كتبا عديدة قيمة في التفسير، وأصول الفقه، وعلم الكلام، وهي الـــتي تهمنا في هذا المقام. ويمكن تقسيم هذه المصنفات إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الكتب التي تعرض عقائد الفرق المختلفة، وتعرف بأصولها التي تخالف أهل السنة والجماعة. ومن هذا النوع كتاب "المقالات".

النوع الثاني: الكتب التي يرد فيها الماتريدي على فرق خاصة كالمعتزلة أو رجل بعينه كالكعبي في بعض المسائل والأصول التي خالفوا فيها أهل السنة. ومن هذا النوع: كتاب "بيان وهم المعتزلة"، وكتاب "الرد على القرامطة"، و"رد كتاب الإمامة لبعض الروافض"، و"رد أوائل الأدلة للكعبي"، و"رد كتاب وعيد الفساق" للكعبي، و" در تهذيب الجدل للكعبي".

والنوع الثالث: الكتب التي تشتمل على ذكر جملة من عقائد أهل السنة مع بيان أدلتها العقلية والنقلية، والردّ على المخالفين، ومن هذا النوع: كتاب "التوحيد" ويعد من أقدم الكتب التي تبحث في أصول مذهب أهل السنة والجماعة في مجال العقيدة بشيء من التفصيل، وتدافع عنها، وترد على المخالفين بدلائل العقل والنقل، ويظهر في هذا الكتاب لأول مرة حديث عن (المعرفة) وهو الموضوع الذي أولاه علماء الكلام اهتماما كبيرا فيما بعد[1] حيث يتفق الماتريدي مع أرباب النظر في ضرورة النظر واستخدام العقل في إدراك أسرار الكون ومعرفة الخالق، وفهم النصوص، والآيات المتشابهات، لكنه لا يتفق معهم في كفاية العقل واستقلاله بإدراك جميع الحكم والعلل في جميع أمور الدين[2].

وفي كتاب "التوحيد" يقرر الماتريدي أن اختلاف أصحاب العلم وأرباب العقل وادعاء كل منهم أنه على الحق، دليل على عدم كفاءة العقل في معرفة جميع الحقائق، لذلك لابد لعقل الإنسان من معين يعينه على معرفة الحق وإدراك الأمور الغامضة الدقيقة، ويرشده إلى الحق والصواب. وهذا المعين هو الرسول ﷺ، ومن أنكر ذلك وأراد الإحاطة بجميع حكمة الربوبية بعقله الناقص المحدود بدون إشارة منه، فهو يظلم العقل ويحمله ما لا يحمله[3].

وقد اهتم الماتريدي اهتماما كبيرا بالرد على الفرق التي كانت لا تقر بدين، ولا تؤمن بخالق، وتقول بقدم العالم، ومن أشهر هذه الفرق الدهرية والسمنية [4] والثنوية. ويبدو أن هذه الفرق

(1) ـــ عبد الباري. خراسان وما وراء النهر. مرجع سابق. ص 285 ـــ 286.

(2) ـــ الماتريدي. كتاب التوحيد، تحقيق فتح الله خليف. بيروت: 1970م. ص 69، تفسير الماتريدي المسمى، تأويلات أهل السنة، تحقيق إبراهيم عوضين، والسيد عوضين. القاهرة: 1971م. ص 183.

(3) ـــ المصدر نفسه. ص 93 ـــ 95.

(4) ـــ السمنية: هم فرقة من الدهريين ينسبون إلى "سومنات" وهو صنم قدسه أهل الهند وقد أحرقه السلطان محمود بن .../...

كانت منتشرة في خراسان وبلاد ما وراء النهر. يقول دي بور: "إن القول بقدم العالم كان ذائعا في جميع بلاد الشرق ذيوعا كبيرا"[1].

كما أنه كان للمنانية[2] وجود في سمرقند نحو خمسمائة رجل واشتهر أمرهم وانتقلت رئاستهم إلى سمرقند وصاروا يعقدونها بها بعد أن كانت تعقد في بابل. كما ظهر أصحاب ابن ديصان بخراسان، وظهر كثير من المرقيونية[3] الذين يتسترون بالنصرانية بخراسان، كذلك هناك أعداد كبيرة من اليهود والنصارى في بلاد ما وراء النهر. فقد ذكر آدم ميتز أنه كلما تقدمنا شرقا زاد عدد اليهود، فكان منهم بسمرقند ثلاثون ألفا[4]. ولقد عرف الماتريدي آراء هذه الفرق مما يدل على انتشارها وأن لها بعض الأتباع في عصره وبيئته، ويعتبر كتابه "التوحيد" من أقدم المراجع التي فيها ذكر آراء هذه الفرق بالتفصيل والردود عليها[5].

وقد سلك الإمام الماتريدي في رده على الفرق منهجا يتصف بسمات حددها الدكتور علي عبد الفتاح المغربي في النقاط التالية [6]:

1 ــ التوسط بين العقل والنقل: لأنه من دواعي استحسان ذلك الموقف الوسط هو قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، والوسط في ذلك كله دعامته من الدين، وهو خير تعبير عن روح الدين وتعاليمه[7].

سبكتكين بعد غزوه الهند. ونبيّهم يدعى برداسف وهم ينكرون وجود الله. كما عرفوا أنهم أسخى أهل الأرض والأديان، وذلك أن نبيّهم أعلمهم أن أعظم الأمور التي لا تحل ولا يسع الإنسان أن يعتقدها ولا يفعلها قول: لا، في الأمور كلها، فهم على ذلك قولا وفعلا، وقول لا عندهم من فعل الشيطان ومذهبهم دفع الشيطان.

ابن النديم. **الفهرست**. ص 419، محمد صالح محمد السيد. **أصالة علم الكلام**. القاهرة: دار الثقافة، 1987م. ص 164.

(1) ــ ت. ج. دي بور. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط5، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م. ص73.

(2) ــ المنانية: أي المانوية.

(3) ــ المرقيونية: أصحاب مرقيون، وهم طائفة تتستر بالنصرانية. زعمت أن الأصلين القديمين: النور والظلمة، وأن هناك كونا ثالثا مزجها وخالطها. واختلفوا فيه ما هو. الحياة أم عيسى إلا أنهم أجمعوا على أن العالم محدث ... ولهم كتاب يختصون به، ويكتبون به ديانتهم، ولمرقيون كتاب إنجيل سماه، ولأصحابه عدة كتب غير موجودة إلا حيث يعلم الله، وهم بخراسان كثير. وأمرهم بها ظاهر. انظر: ابن النديم. **الفهرست**. ص 412.

(4) ــ آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق. ج1 / ص83.

(5) ــ علي عبد الفتاح المغربي. **إمام أهل السنة والجماعة**.. مرجع سابق. ص 16 ــ 17.

(6) ــ **إمام أهل السنة والجماعة، أبو منصور الماتريدي**.... مرجع سابق. ص 31 ــ 33.

(7) ــ إلا أن الشيخ أبو زهرة يقرر أن منهاج الماتريدية للعقل سلطان كبير فيه من غير أي شطط أو إسراف. ويعتبر أن الأشاعرة في خط بين الاعتزال وأهل الفقه والحديث، والماتريدية بين المعتزلة والأشاعرة. فإذا كان الميدان الذي تسير فيه الفرق الإسلامية الأربع والتي لا خلاف بين المسلمين في أنها جميعا من أهل الإيمان، ذا أقسام أربعة، فعلى طرف منه المعتزلة، وعلى

.../...

وليس موقف الوسط كما يظن أنه مجرد التوفيق بين الآراء وأنه يخلو من الابتكـــار، لأنـــه موقف الوسط يتطلب معرفة كاملة لأحكام النقل وأحكام العقل ...وهـــو موقـــف نظـــري اعتباري، وليس موقفا حسابيا دقيقا؛ لذا فهو موقف صعب.

2 ــ **استقلال الفكر:** وهو عدم التعصب لمذهب أو رأي معين، مما يضمن للفكر حريته وموضوعيته ونزاهته.

3 ــ **النظرة الكلية للأشياء:** إمتاز فكر الماتريدي بنظرته الشاملة الكلية، وربط الجزئيات بالكليات، ورد المسائل المتفرعة إلى أصولها التي تجمعها، وهذا هو النظر الفلسفي الذي لا يقف عند الجزئي ولا يغرق في المسائل الفرعية بل يردها إلى الحقيقة التي تجمعها. ويوضح ذلك عنايته بأصول الفقه وتأليفه فيه. وهو علم يقوم على ربط المسائل الفرعية الفقهية بأصول وأحكام فقهية عامة، واشتغاله بهذا العلم دليل على نوعية فكره الفلسفي المنطقي.

4 ــ **الربط بين الفكر والعمل:** وهو المواءمة بين أفكارنا وعملنا، بحيث أن تقود أفكارنا عملنا وتهديه. ففي كثير من المسائل لا يخوض في تفصيلاتها إذا رأى أن الحاجة لا تدعو إلى ذلك.

5 ــ **الاهتمام بالمعنى والمضمون:** فلا يقف عند حد الشكل بل ينفذ إلى عمق الجوهر، ويلتمس المعنى وراء الشكل أو اللفظ، والمهم هو إبراز المعنى والكشف عن مضمون وإدراك مراميه وتحقيقه ...

6 ــ **السمة النقدية:** يمثل النقد جانبا كبيرا عند الماتريدي، ولقد قام الجانب النقدي لآراء الخصم عنده، على عرض هذه الآراء وتحليلها وردها إلى أصولها والبحث عن علة الخطأ فيها، ولقد سلك في ذلك المنهج الجدلي. وتجد لديه ما يشبه الحوار السقراطي القائم على التهكم والتوليد.

ومن الجدير بالذكر أن للماتريدي مريدين وأتباعا عملوا على نشر مذهبه وآرائه وطريقته في كثير من البلاد الإسلامية، متبعين مذهب أبي حنيفة وطريقة السلف في الفقه. ومن هؤلاء العلماء البارزين في بلاد ما وراء النهر نذكر: أبو القاسم اسحاق بن محمد بن إسماعيل، الشهير بالحكيم السمرقندي المتوفى سنة 340هـــ أو 342هـــ. صاحب التصانيف الكثيرة منها: "عقيدة الإسلام" و"شرح الفقه الأكبر" و"السواد الأعظم"[1].

ونخلص من الحديث عن علم الكلام وموقع أعلامه من التحديات الهاجمة علـــى العقيـــدة،

الطرف الآخر أهل الحديث، وفي القسم الذي يلي المعتزلة الماتريدية، وفي الرابع الذي يلي المحدثين الأشاعرة. **تاريخ المذاهب الإسلامية**. مرجع سابق. ص 179 ــ 180.

(1) ــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2 / ص 1157 ــ 1282.

وكيفية تصديهم لها. ومواجهتهم لغلواء الشبه والأفكار المنحرفة. إلى تسجيل الملاحظات التالية:

1 ــ بالرغم من التفكك السياسي الذي عانت منه الدولة العباسية منذ القرن الثالث للهجرة،وكثرة الفرق والطوائف، وتشعب الآراء والمذاهب... الشيء الذي نال من وحدة السلطة واستمرارية الحكم المركزي إلا أن الوحدة الفكرية والارتباط العقائدي ظل ميزة تميزت بها القرون الثلاثة ــ موضوع الدراسة ــ. وذلك خلاف ما ذهب إليه الجابري: "من أن كثرة المذاهب والفرق والطوائف نال من وحدة السلطة واستمرارية الدولة، وبالتالي من وحدة الفكر ودوام المجتمع"[1] إذ لو كان الأمر كذلك لما رأينا ذلك الامتداد الفكري والتواصل الثقافي بين مركز الخلافة وأقاليم الدويلات المستقلة في المشرق. ويشهد على ذلك تماثل البحث والتأليف، وتناغم الأفكار،وتوحد المرجعية الثقافية لجميع علماء الإسلام في بلاد المسلمين.

2 ــ في أحضان البيئة الهادئة سياسيا، ينمو الفكر، ويزدهر العلم والتفكير السليم في شتى مناحيه. وذلك ما نلحظه في عطاء المذاهب الإسلامية تأليفا وتصنيفا وعطاء. وخاصة في زمن الدولة السامانية.

3 ــ بالرغم مما كانت تعّج به خراسان وبلاد ما وراء النهر من أفكار وفلسفة. فقد استعصت أمة الإسلام على الاحتواء الحضاري، والسحق القومي، الذي تحدّاها به أعداء كثيرون على امتداد مسيرتها الثقافية..وظلت رغم الفلسفات الهاجمة، والأفكار الدخيلة الزاحفة إلى عقل الأمة وضميرها ووجدانها، يمثل جميع فرقها شرف الانتماء إلى الكيان العقلي الإسلامي الذي يشكل القسمات الأصيلة المميزة لأمتنا وحضارتنا. وانتصب العقل المسلم ليتعبد بالنّص المأثور ويوفق بين الحكمة والشريعة مما جعل الفلسفة في حضارتنا تتدين كما تفلسف عندنا الدين.

4 ــ لاشك أن محورية العقيدة الإسلامية في قيام المجتمع الإسلامي. وإغفال كل اعتبار للجنس والعنصر والقومية والإقليمية والتاريخية كأساس من أسس قيام المجتمع، جعلت المجتمعات على مرّ الدويلات الإسلامية في إقليم المشرق تعيش جوّا من التسامح والمساواة والحرية. إلا أن التسلل الثقافي الذي نشطت في ظله حركات هدامة، ومذاهب منحرفة مناوئة للسلطات القائمة، نشّطت ميدان علم الكلام، وحفّزت علماءه على رصد الفكر الدخيل، وصون العقيدة الإسلامية من تحديات العقائد المناوئة على اختلاف أنواعها، وفي صورها المستترة والمعلنة على السواء.

5 ــ لم ينحصر بعض الفقهاء الأعلام في خراسان وما وراء النهر في المسائل الفقهية الفرعية

(1) ــ انظر: محمد العابد الجابري. تكوين العقل العربي. ط2، بيروت: دار الطليعة، 1985م. ص 241.

ونأوا بعيدا عن اهتمامات الأمة الراهنة، وما تعانيه عقائدها من غلواء الانحراف والإلحاد، بل وجهوا أنظارهم أيضا إلى المباحث التي يدور فيها الاحتكاك بين الإسلام وبين عقائد المخالفين. وأعدّوا لمنازلتها أقوى الأدلة، وأغنى البراهين، وأصلب الحجج مما مكّنهم من الانتصار عليها، وكشف عوارها، وفضح أساليب منتحليها، والاحتفاظ للأمة بدورها العالمي القياديكما فعل الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله.

6 ـــ إن علم الكلام علم إسلامي نشأ من النقاش الذاتي حول القرآن الكريم وتلبية لحاجة عصره، بالمشاركة في حل مشكلاته، ومتصديا لدفاع عن الإسلام. وقد بدت في مباحثه ابتكارات المسلمين. ووضوح العنصر الإسلامي أكثر من غيره. ولا يعني هذا أنه كان مقطوع الصلة بالثقافات الأجنبية. بل نقصد قلة ذلك التأثر خاصة عند أوائل المتكلمين الذين جعلوا من مهامهم استبعاد الفلسفة اليونانية من دائرة الدين.. ومعارضة المنطق الأرسطي لأنه مبني على ميتافيزيقا أرسطو التي رفضوها.. ولكن هذا لا يمنع من استفادة المتكلمين في منهجهم الجدلي ببعض القواعد الفنية للجدل الأرسطي، ولكن هذا الأثر المحدود لم يدخل في صميم آرائهم وأفكارهم فعاش متكلمو الإسلام أبناء بارين للفكر الإسلامي والبيئة الثقافية الإسلامية وقيّمين أمناء للتراث الإسلامي الخالص.

7 ـــ لم يكن هدف علم الكلام هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد شبهات الخصوم فحسب، بل تضمنت مباحثه ومناظرات أعلامه شرح حقائق الإيمان بالأدلة العقلية بهدف اجتذاب هؤلاء الخصوم إلى رحاب الإيمان.

8 ـــ استبحار المعرفة الإسلامية في خراسان وما وراء النهر من فقه وتفسير وحديث وعلوم الأدب واللغة وغيرها.. مما أمّد علماء المنطقة بثقافة واسعة استطاعوا عن طريقها تأسيس مذهب كلامي سني خالص. كان مظهر عبقرية أمتنا في هذا الميدان.

9 ـــ شهدت الحياة الفكرية في الميدان الكلامي خلافات ومشادات ومناظرات بين الفرق الكلامية الإسلامية، كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية. آخذين بالدليل العقلي والنقلي. ومختلفين في مدى الأخذ بهما، جاعلين أحدهما الأصل والآخر الفرع، ويرجع ذلك إلى تقدم أحدهما على الآخر، وإلى درجة اليقين في كل منهما. ولكن جميع هذه المسالك أثرت الحياة العقلية، وجعلت الآراء تتطور داخل كل فرقة، وتنضج آراؤها من المتقدمين إلى المتأخرين. كردود الماتريدي على أقطاب مذهب الاعتزال من أمثال النظام وابن شبيب، وجعفر بن حرب والكعبي. وردوده على

محمد بن كرام السجستاني زعيم الطائفة الكرامية، والجهمية، والمتصوفة... وذلك مظهر إيجابي أضفاه علم الكلام على الفكر الإسلامي دون شك.

10 ـــ إنّ علم الكلام في الفترة ـــ موضوع الدراسة ـــ لم يكن قد اختلط بالفلسفة بعد، إذ أنه في مراحل لاحقة، وفي فترات متأخرة عن فترة بحثنا اختلط علم الكلام بالفلسفة وأصبحت له غاية تعليمية وسلبت منه وظيفته الدفاعية الحية عن عقائد الإسلام وتعاليمه. وقد عبّر عن هذا المعنى ابن خلدون في قوله: "وعلى الجملة ينبغي أن يعلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير من إيهاماته وإطلاقه"[1].

ولاشك أن عقائد الإسلام تتعرض في كل زمان ـــ وخاصة في عصرنا الراهن ـــ للخطر الذي تعرضت له في العصور الأولى إن لم يكن أشد منها عنفا. فالفلسفات الحديثة والمعاصرة من جدلية مادية، وبراجماتية، ووضعية، ووجودية، وعولمة ثقافية، ومن يقف وراء هذه الفلسفات. من دول عظمى، ومؤسسات قوية، تتسم بالضراوة والحنكة وحسن التخطيط. تناوش عقائد الإسلام وتعمل على هزيمته في أكثر من ميدان.

وعلى هذا يمكن لعلم الكلام اليوم ـــ بعد إعادة صياغة مباحثه ـــ أن يقوم بالدور نفسه لحل المشاكل الطارئة في حياة المسلمين فكريا وسلوكيا، وحراسة الإيمان،وصد حملات التشويه، والزيغ، والاحتواء.. ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

(1) ـــ المقدمة. ص448.

6. التصوف: من الزهد... إلى العرفان

1.6. التصوف، المصطلح ودلالته

وردت في المصادر التي تناولت التصوف وتاريخه وأعلامه تعاريف متعددة لمصطح "التصوف" مبرزة الخلاف بين العلماء قديما وحديثا في وجه اشتقاق كلمة "تصوف" وتعدد دلالتها عندهم. واختلاف معانيها بينهم:

ـــ فمن قائل أنها نسبة إلى "الصوفة" لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير لها.

ـــ أو نسبة إلى "أهل الصفّة" وهم طائفة من فقراء الصحابة، كانوا يأوون إلى صفّة في مسجد رسول الله ﷺ وتقع الآن خلف الحجرة النبوية الشريفة، وذلك حين لا يجدون مأوى لهم، فإذا وجدوه تركوه إلى دورهم.. وكان رسول الله ﷺ يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم، ويجلس معهم، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[2].

ـــ أو نسبة إلى قبيلة "بني صوفة" وهي قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية، وتنسب إلى رجل يقال له "صوفة" كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام. وجاء أناس لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله فسموا بالصوفية.

ـــ أو مشتق من الصفو بمعنى الصفاء وإلى هذا يشير أبو الفتح البستي بقوله:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... فيه وظنوه مشتقا من الصوف

ولست أنحل هذا الإسم غير فتى ... صافى فصوفي حتى لقب الصوفي

ـــ وقيل إنه مشتق من "الصف الأول" في الصلاة، فهم في محل القرب من الحق بين الناس. كما يتميز أصحاب الصف الأول عن غيرهم.

ـــ وقيل من كلمة "سوفيا" اليونانية التي تعني الحكمة[3].

والحقيقة أن هذه الوجوه كلها لا تقوم على أساس من دليل أو سند من حجة، ولعلّ الأرجح، والأقرب إلى العقل، مذهب القائلين بأن الصوفي نسبة إلى "الصوف" وأن المتصوف

(1) ـــ سورة الأنعام. الآية 52.

(2) ـــ سورة الكهف. الآية 28.

(3) ـــ انظر القشيري. الرسالة القشيرية. ص279.

مأخوذ منه أيضا. فيقال: تصوف إذا لبس الصوف،كما يقال: تقمّص إذا لبس القميص، وفي هذا يقول الطوسي معلّلا: "لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء وشعار الأولياء والأصفياء ... والصديقين وشعار المساكين المتنسكين". ولهذا القول وجه سائغ في الاشتقاق، وهو قول كبار العلماء ممن كتبوا في التصوف[1].

أما فيما يتعلق بتحديد معنى التصوف ومميزاته الأساسية فاختلفوا في ذلك أيضا.

فقال أبو محمد الجريري عن التصوف بأنه: "الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني" [2]. وقال أبو حمزة البغدادي: "علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة، وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء" [3]، وقال المعروف الكرخي: "التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيد الخلائق" [4] وقال الشبلي: "الصوفي منقطع عن الخلق متّصل بالحق"[5].

وسئل الجنيد عن التصوف فقال: "هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به"[6]. وقال أيضا: "التصوف هو تصفية القلوب حتى لا يعاودها ضعفها الذاتي، ومفارقة أخلاق الطبيعة.. ومجانبة نزوات النفس، ومنازلة الصفات الروحية، والتعلق بعلوم الحقيقة، وعمل ما هو خير إلى الأبد، والنصح الخالص لجميع الأمة، والإخلاص مراعاة الحقيقة واتباع النبي ﷺ في الشريعة"[7].

أما تعريف الكتاني للتصوف فقد جاء مختصرا في قوله: "صفاء ومشاهدة" وهو التعريف الذي اختاره الدكتور عبد الحليم محمود، وهو الأجمع والأدق فالصفاء يشمل الناتج عن طرق التصفية المقصودة والذي هو من الحق منحة وهبة. وهو جامع لكل الجوانب الخلقية وما يتعلق بالعبادة والزهد والمجاهدة والإخلاص وابتغاء وجه الحق والرضا والتسليم للمقادير. أما القسم الثاني فيشمل جميع الأحوال الروحية، وجميع النتائج التي يتميز بها الصوفي لتميز نوع المعرفة والإدراك عندهم عن طريق القلب[8].

---

(1) ــ ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، 1389هـ. ج11 / ص6، ابن خلدون. **المقدمة**. ص462، أبي نصر السراج الطوسي. **اللمع**. تحقيق، عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، مصر: دار الكتب الحديثة، ومكتبة المثنى ببغداد، 1960م. ص 40 ــ 41، دائرة المعارف الإسلامية. مادة "تصوف".

(2) ــ **الرسالة القشيرية**. ص280.

(3) ــ المصدر نفسه.

(4) ــ المصدر نفسه.

(5) ــ المصدر نفسه. ص282.

(6) ــ المصدر نفسه. ص280.

(7)-نيكلسون Nicklson.**في التصوف الإسلامي وتاريخه**.ترجمة أبو العلا عفيفي. القاهرة: (د. ن)، 1969م.ص28- 29.

(8) ــ محمد مصطفى. علم التصوف. القاهرة: مطبعة السعادة، 1986م. ص 37 ــ 38.

2.6. الزهد في خراسان وما وراء النهر قبل القرن الثالث الهجري

لاشك أن نشأة التصوف الإسلامي والمراحل التي مرّ بها حتى القرن الخامس الهجري يلزمنا بالحديث في بذور التصوف الأولى، حين كانت نزعة الزهد هي الغالبة على الحياة الروحية في العالم الإسلامي خلال القرن الأول للهجرة وكان قوام هذه النزعة هو الإعراض عن الدنيا، والانصراف عن ملذاتها، وتحويل الأنظار نحو الآخرة. مع مراعاة أوامر الدين، وأحكام الشريعة للظفر برضوان الله والنجاة من عقابه.

وقد انفرد القرن الأول في الإسلام بالعوامل الكثيرة التي شجعت على ظهور الزهد، ولعل تعاليم الدين الإسلامي فيها ذخيرة كبيرة ترسم صورة واضحة لحياة الزهد والنسك والتعبد. فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2]. وقوله أيضا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3]. كما أن حياة الرسول ﷺ التي كان يحياها كانت محل قدوة واتباع. وقد عبّر عن ذلك النبي ﷺ في قوله: "عرضت عليّ الدنيا فأبيتها"، ومعنى هذا أن الرسول قد عزف عن الدنيا وزخرفها وآثر الآخرة ونعيمها. وفي دعاء مأثور عنه (عليه الصلاة والسلام): "اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين"[4].

والواقع أن نصوصا كثيرة وردت في القرآن والسنة تدعو المسلمين إلى التحفف من ملذات الدنيا وشهواتها. وتحث على ملئ النفس بالرضا والقناعة وطلب المثوبة عند الله في الدار الآخرة.

ولكن الزهد في صدر الإسلام لم يكن فرارا من الحياة، وكأنه انتصار عليها. بل كان اقتحاما لها وانغماسا في أفراحها وأتراحها، وقدرة مصاحبة للسيطرة عليها وإحسان توجيهها نحو الغاية المنشودة.

بل إن الإسلام عنّف بشدة على الرهبانية التي هي بدعة ابتدعتها المسيحية. قال تعالى: ﴿...وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[5].

(1) ـــ سورة: الصف. الآية 11

(2) ـــ سورة البقرة. الآية 207.

(3) ـــ سورة الكهف. الآية 46.

(4) ـــ رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ـــ باب مجالسة الفقراء ـــ رقم 4116.

(5) ـــ سورة الحديد. الآية 27

وقال الرسول ﷺ مؤكدا ما جاء في القرآن بقوله: "لا رهبانية في الإسلام"[1].

فالزهد في الإسلام يقوم على أساس التوكل والسعي لطلب الرزق، ورفض الصـــدقة وكيـــف لا ؟ واليد العليا خير من اليد السفلى، إذ لا تناقض أن ترتبط النفس بالملأ الأعلى وتعيش سابحة في ملكـــوت الله تعالى، مشوقة إلى رحابه. وبين أن يسعى المسلم في طلب رزقه وإعمار الأرض الـــتي اســـتخلفه الله فيها. وقد عبّر عن هذا المعنى أحد الصوفية بقوله: "الجسم في الحانوت والقلب في الملكوت".

إلا أن ظروفا سياسية مضطربة وفتنة داخلية مزعجة عصفت بالمجتمع الإسلامي الناشئ بعد فصل الخليفة عثمان رضي الله عنه، ونشوب الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كانت عاملا دافعا لبعض الناس إلى أن يفروا من الفتنة بعيدا عن المدن معتصمين بالبادية والجبال وذلك اتباعا لقول الرسول ﷺ: "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، وفي رواية (النائم خير من اليقظان، واليقظان خير من القائم)، والقائم خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي من تشرّف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به"[2]. وتكونت طبقة من الصحابة اعتزلوا الحياة الاجتماعية، وعزفوا عن ملذات الدنيا وانزووا بعيدا للعبادة الدائمة.

وفي النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ظهر من بين الزهاد أفراد يحبون حياة تخالف حياة الآخرين من حيث المبالغة في الزهد، والانقطاع عن الدنيا، واستدبار متاعها، ورياضة الـــنفس على التبتّل والتنسك، فانطلقوا هائمين في الأرض لا تجمعهم رابطة ولا يأويهم مكان يرتلـــون القرآن آناء الليل وأطراف النهار يعظون الناس، ويذكرونهم بثوابه، ويخوفونهم من عقابه إلا أن المتأمل في أقوالهم لا يجد فيها شيئا من نظريات المتصوفة كالمحبّة، والفناء، والحلـــول، ووحـــدة الوجود.. وتعدّ هذه الفترة هي بحق: الفاصل بين مرحلة الزهد ومرحلة التصوف.

"وفيها نشأت المدرستان الشهيرتان: الكوفة والبصرة. فمدرسة الكوفة وهي مثالية جدا تعنى بالحبّ الأفلاطوني في الشعر وتأخذ بظاهر الحديث وبمذهب الشيعة مع نزعة مرجئة في العقائد. شيوخها في الزهد: الربيع بن خيثم (ت 67هـــ) وجابر بن حيان ومن زهاد هذه المدرسة سعيد بن جبير (ت 95هـــ)، وطاووس بن كيسان (ت 106هـــ)، وسفيان الثوري (ت 161هـــ)، ومنصور بن عامر وأبو العتاهية.

---

(1) ـــ قال الحافظ ابن حجر: لم أره بهذا اللفظ، لكن في حديث سعد ابن أبي وقاص عند الطبري " إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة ".انظر: الشوكاني.نيل الأوطار.ج3/ص508.

(2) ـــ رواه البخاري في كتاب الفتن ـــ باب تكون الفتنة القاعد فيها خير من القائم ـــ رقم 6554، ورواه مسلم في كتاب الفتن وأشرا الساعة رقم 5136ـــ باب نزول الفتن كمواقع القطر.

ومدرسة البصرة: طبعت بطابع الحقيقة والنقد، وأولعت بالمنطق في معالجة مسائل النحو وبالتحقيق في الشعر، وبالنقد وبالتمحيص في الحديث، وأخذت بمذهب أهل السنة مع نزعة معتزلية وقدرية في العقائد. وشيوخها: الحسن البصري (ت 110هـــ)، ومالك بن دينار (ت 131هـــ)، والفضل وغيرهم.

وكان هؤلاء هم النواة الأولى للصوفية فيما بعد، ورائدهم الأوحد لطريق الحق هو الحسن البصري الذي قال فيه يونس بن عبد الحسن البصري: "كان إذا أقبل كأنما أقبل من دفن حميمة،وإذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه، وكان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له"[1]، وقد وصف خالد بن صفوان الحسن البصري فقال عنه: "كان أشبه الناس علانية بسريرة، وسريرة بعلانية، وآخذ الناس لنفسه بما يأمر به غيره، يا له من رجل استغنى عما في أيدي الناس من دنياهم، واحتاجوا إلى ما في يديه من دينهم"[2].

وإلى جانب الزهد مع الخوف كان يوجد زهد مع حب الله لذاته وابتغاء مطالعـــة وجهـــه مصحوبا ببكاء لا خوفا من الحقيقة أو ما شابه، وإنما ضيق النفس لما يحول بينها من الحجب لرؤية الحق، ومشاهدة جماله الأزلي. ويمثل هذا الاتجاه رائدة الترنم بالحديث عن الحب الإلهي "رابعـــة العدوية" وهي التي نفحت من روحها أول أعراق الصوفية الخالصة ومن ذلك أبياتها الشهيرة:

أحبـــك حـــبين حـــب الهـــوى ... وحبًا لأنـــك أهـــل لـــذاكا
فأما الذي هـــو حـــب الهـــوى ... فشغلي بذكرك عمن ســـواكا
وأما الـــذي أنـــت أهـــل لـــه ... فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمـــــد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك

وقد مثلت هاتان المدرستان المصدر الأول في تنشيط الحياة الروحية في إقليم خراسان. فنجد أن الزهد الصوفي كان أسرع في الانتشار في هذا الإقليم. فلم تعان خراسان الزهد الإسلامي البسيط الأول. وقد لاحظ هذا بحق الدكتور كامل الشيبي[3].

والسبب واضح أن الإسلام لم يستقر في خراسان اللهم إلا في أواخر القرن الأول، وكان الزهد الإسلامي البسيط قد انتهى أمره، وحلّ محله الزهد الصوفي. ومع هذا نستطيع أن نجد في

---

(1) ـــ قمر كيلاني. **في التصوف الإسلامي. مفهومه وتطوره وأعلامه**. بيروت: المكتبة العصرية. 1962م. ص 40، أبو الوفا الغنيمي التفتازاني. **مدخل إلى التصوف الإسلامي**. ط3، القاهرة: دار الثقافة، 1988م. ص 74 ـــ 79.

(2) ـــ ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج2 / ص230.

(3) ـــ كامل مصطفى الشيبي. **الصلة بين التصوف والتشيع**. ط2، القاهرة: دار المعارف، (د. ت). ص 324.

ثالثا: إنه كان يتخذ دافعا له الخوف من الله، وهو خوف يبعث على العمل الديني الجاد، على أنه ظهرله دافع آخر في أواخر القرن الثاني عند رابعة العدوية، وهو الحب لله للتزّه عن الخوف من عقاب الله والطمع في ثوابه في آن معا، وهو يعبر عن إنكار الذات وعن التجرد في علاقة الإنسان بالله.

رابعا: أغلب الزهاد في هذه الفترة درسوا العلوم الشرعية وأتقنوها. وأفادوا منها في سلوكهم إلى الله عزّ وجل، ومن الأمثلة على ذلك: أن المتصوفة الأربعة الذين سبق ذكرهم قد أخذوا "الحديث النبوي" عن الإمام سفيان الثوري. بل يعد ابن المبارك من المحدثين الحفاظ وكان التفضيل متفرّغا لدراسة الحديث، وجاور مكة من أجل ذلك، وأخذ ثلاثة منهم الفقه على الإمام أبي حنيفة مباشرة، وهم: إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وشقيق البلخي.

وهذا يشير إلى أمرين:

الأول: أن منبع الفكر الفقهي والحديثي لدى متصوفة المنطقة واحد.

والثاني: أن طريق التصوف عندهم واحد، يعتمد على الشريعة وتطبيق قواعد الدين وأحكامه بشكل علمي دقيق، ولعل وصف هؤلاء المتصوفة مع التزامهم بتطبيق قواعد الشريعة هو تغليبهم للجانب الروحي في سلوكهم إلى الله تعالى.

خامسا: نشأ أغلب أعلام التصوف المنتسبين إلى إقليم المشرق في بلاد عربية كالبصرة والكوفة فإبراهيم ابن أدهم رحل إلى البصرة، ثم إلى الكوفة، والفضيل بن عاض رحل إلى الكوفة، وفي هذا إشارة إلى أن التصوف إسلامي النشأة. امتد أثره إلى خراسان وما وراء النهر.

سادسا: ارتبط التصوف بالجهاد في سبيل الله، ومن مظاهر ذلك حياة إبراهيم ابن أدهم الذي مات في إحدى الغزوات ضدّ البيزنطيين، ودفن في بلدة (جبلة) بالقرب من مدينة اللاذقية في بلاد الشام. كما أن عبد الله بن المبارك عاش متنسكا زاهدا، ومجاهدا غازيا، ويذكر أنه بنى رباطا للمجاهدين في مرو. وها هو حاتم الأصم وأستاذه شقيق البلخي وكلاهما من بلخ قد ساهما في الجهاد واستشهد شقيق في ساحة المعركة.

سابعا: إن زهد بعض المتأخرين من الزهاد خصوصا في خراسان، يمكن لما تميّز به من تعمق في التحليل أن يعتبر مرحلة تمهيدية للتصوف، وأصحابه، وإن كانوا يقتربون من التصوف لا يعدون صوفية بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما يمكن اعتبارهم روادا لمن سيجيء بعدهم من صوفية القرنين الثالث والرابع[1].

(1) ــ أبو الوفا التفتازاني. **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، مرجع سابق. ص 90 ــ 91، عبد الباري محمد الطاهر.

.../...

3.6. التصوف: مدارسه وأعلامه في القرنين الثالث والرابع الهجريين:

من السهل أن نحدد فواصل زمنية بين الفترات التاريخية من الناحية السياسية، ولكـــن مـــن الصعب تحديد ذلك في التطورات الفكرية والروحية التي لا تخضع للتحديد الزمني الصارم.

فقد طرأ تحول واضح على الزهد في أواخر القرن الثاني للهجرة، و لم يعد الزهـــاد في هـــذه الفترة يسمون بهذا الاسم وإنما عرفوا بـــ "طلائع المتصوفة".

لأن المتصوفة منذ أوائل القرن الثالث الهجري على وجه التقريب، اتجهوا إلى الكلام عن معاني لم تكن معروفة من قبل، فتكلموا عن الأخلاق والنفس والسلوك محددين طريقا إلى الله يترقى السالك له فيما يعرف بالمقامات والأحوال. كما تحدثوا عن المعرفة ومناهجها، والتوحيد، والفناء، والاتحاد والحلول، ووضعوا القواعد النظرية لهذا كله. كما حددوا رسوما عملية معينة لطريقتهم، وأصبحت لهم لغة رمزية لا يشاركهم فيها سواهم[1].

وهنا بلغ التصوف مرحلة النضج والكمال، ونشأ من ذلك كله علم للصوفية يتميز عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية له لغته الاصطلاحية الخاصة التي لا يشارك الصوفية فيها غيرهم، ويحتاج منهم مراميها إلى جهد غير قليل، وقد ظهر هذا العلم بعد ظهور التدوين كما يشير إليه ابن خلدون بقوله: "فلما كتبت العلوم ودونت، وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من هذه الطريقة (أي الصوفية) في طريقهم، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والترك، كما فعله القشيري في "الرسالة"، والسهروردي (البغدادي) في كتابه "عوارف المعارف"، فصار علم التصوف في الملة علما مدوّنا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط"[2].

وقد أطلق الصوفية منذ هذا العصر وما بعده تسميات خاصة على علمهم، فعرف بعلم

خراسان وما وراء النهر.. مرجع سابق. ص 303 ــ 305، سليمان سليم علم الدين. التصوف الإسلامي. تاريخ ــ عقائد ــ طرق ــ أعلام. ط1، بيروت: دار نوفل، 1999م. ص 287 ــ 309.

(1) ــ أبو الوفا التفتازاني. المرجع نفسه. ص 95.

(2) ــ ابن خلدون. المقدمة. ص463 ــ 464.

الباطن[1]. وعلم الحقيقة[2]. وعلم الوراثة[3]. وبعلم الدراية في مقابل علم الظاهر، وعلم الشريعة، وعلم الدراسة وعلم الرواية[4].

واعتبر الصوفية أن علمهم في يقينه أسمى من سائر العلوم التي تعتمد على العقل وبراهينه، ولذلك يعرف عندهم بحق اليقين، وهذا اليقين الذي تتميّز به علومهم عياني أو كشفي ذوقي، يتحقق به العبد متى سلك طريقهم[5]، بل ذهب بعض الصوفية ومنهم الإمام الطوسي إلى أن علوم الصوفية لا حد لها، على حين أن علوم الفقهاء محدودة ؛ لأنها علوم تهتم بالرسوم والأوضاع التي لا حياة ولا روحانية فيها. وفي ذلك يقول: "واعلم أن مستنبطات الصوفية في معاني هذه العلوم (يقصد علوم الشرع) ومعرفة دقائقها وحقائقها ينبغي أن تكون أكثر من مستنبطات الفقهاء في معاني أحكام الظاهر، لأن هذا العلم (التصوف) ليس له نهاية، لأنه إشارات وبَوادٍ وخواطر وعطايا وهبات يغرفها أهلها من بحر العطاء، وسائر العلوم لها حد محدود، وجميع العلوم يؤدي إلى علم التصوف، [وعلم التصوف لا يؤدي إلا إلى نوع من علم التصوف]، وليس له نهاية، لأن المقصود ليس له غاية، وهو علم الفتوح، يفتح الله تعالى على قلوب أوليائه في فهم كلامه ومستنبطات خطبه ما شاء كيف شاء"[6].

وعلى هذا كان من الطبيعي أن يحتدم الصراع بين الطائفتين الفقهاء والمتصـــوفة لاخـــتلاف وجهتي نظرهما. فالفقهاء ينظرون إلى المتصوفة نظرة شذوذ وانحراف عن الدين الحق، وكـــذلك نظر المتصوفة إلى الفقهاء.

وقد سجّل التاريخ أن الأمراء كانوا ينصرون عادة الفقهاء على المتصوفة لسببين:

الأول: أن التعاليم الصوفية تدعو إلى الزهد، وعدم الاهتمام بالدنيا، ولو عمت الفكرة الناس ما صلح ملك، ولا وجد من يعمل.

---

(1) ـــ المقصود هو اصطلاح باطن العبد من الناحية الأخلاقية. وليس المقصود به مذهب الباطنية عند الشيعة الإسماعيلية.

(2) ـــ لعل الصوفية. استندوا في هذه التسمية إلى حديث حارثة. حين سأله الرسول ﷺ: كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال: أصبحت مومنا حقا، فقال ﷺ: لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك ؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فاستوى عندي ذهبها ومدرها، وكأني انظر إلى أهل الجنّة في الجنّة يتنعمون، وإلى أهل النار في النار يتعذبون، وكأني أرى عرش ربي بارزا، من أجل ذلك أسهرت ليلي وأظمأت نهاري فقال له الرسول ﷺ: يا حارثة، عرفت فالزم ".

(3) ـــ لعل هذه التسمية تستند إلى حديث: "العلماء ورثة الأنبياء".

(4) ـــ أبو الوفا التفتازاني. **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، مرجع سابق. ص 97.

(5) ـــ **الرسالة القشيرية**. ص178 ـــ 182.

(6) ـــ أبو نصر الطوسي. **اللمع**. ص37.

والثاني: أن الصوفية الحقيقيين إنما يخضعون لله وحده، ويؤمنون تمام الإيمان بأن لا إله إلا الله، فلا خضوع لملك أو أمير، وهذا يغضب ذوي السلطان عادة. إلا من تسّموا بالصوفية في هذا العصر. وهم ليسو كذلك. فإنهم كانوا كبعض الفقهاء ألعوبة في أيدي الأمراء[1].

وقد لخّص أحمد أمين الخلاف الشديد بين الفقهاء والصوفية والذي ظل يتسع منذ القرن الثالث الهجري والقرون التي تلته في النقاط التالية:

1 ــ تغلغل الفقهاء في الشعائر الظاهرة، وتغلغل الصوفية في الأعمال الباطنة.

2 ــ اختيار الصوفية كل حين ضربا من القول يضايق الفقهاء، فأبو يزيد البسطامي اخترع الفنا في الله، مما لم يدركه الفقهاء وأنكروه، ورابعة العدوية اخترعت حب الله، والفقهاء لم يرضوا عنه،[2] وقالوا إن الحب إنما يكون من إنسان لإنسان لا من إنسان لله، إنما الإنسان يطيع ولا يحب، وذو النون المصري اخترع المقامات والأحوال مما كان غريبا على الفقهاء.

3 ــ بعض الصوفية لم يلتزموا تماما الشعائر الدينية بل قالوا: إن من بلغ درجة الولاية تحرّر من المظاهر قد كان الصوفية الأولون يلتزمون الشريعة ويحضّون على العمل بها، ولكن أتى بعضهم أخيرا وأراد التحرر منها، بل أشاعوا أن المعصية لا تمنع الولاية.

بل إن بعض الصوفية كانت لهم آراء غريبة، مثل العطف على إبليس، والاعتذار عنه بأنه أبى السجود لآدم، لأنه كان يعلم أن السجود لغير الله لا يجوز، وأن فرعون معذور، لأن الله لو أراد إيمانه لآمن، فهو إذا منفذ لما أراد الله.

4 ــ ادعاء الصوفية أن من اتصل بالله وبلغ الغاية في الفناء، خضع له الكون وقوانينه، وجرى على يديه خرق العادة بما يسمّى "الكرامات" مقابل ما كان للأنبياء من معجزات، والفقهاء ينكرون عليهم ذلك. ويعتقدون أن قوانين الله لا تتخلّف إلا لنبيّ.

5 ــ يعتقد الفقهاء أن الصوفية يسيرون وراء الأوهام، ويأتون بالمخاريق، ويشهد على ذلك قولهم بأن النصارى واليهود وأهل كل دين سواء أكانوا كتابيين أو وثنيين، إنما يعبدون الله مهما اتّجهوا، والمتدين منهم محب لله، وكل الأديان ليست إلا طرقا توصل إلى غاية واحدة، والخلاف بينهما خلاف في الأسماء[3]. وهذا مما يعتبره الفقهاء الكفر البواح الذي يخرج صاحبه من الملّة.

---

(1) ــ انظر: أحمد أمين. **ظهر الإسلام**، مرجع سابق. ج2 / ص 61 ــ 62.

(2) ــ لم يحدث هذا في العراق والشام ومصر فقط. بل امتدت نفس مظاهر الصراع إلى خراسان وما وراء النهر.

(3) ــ أنظر: أحمد أمين. **ظهر الإسلام**، مرجع سابق. ص 63 ــ 65.

ولعل من المتوقع أن البيئة الإسلامية وما تضمنه للأفراد من حريات، وما توفره لهم من أجواء فكرية حرّة جعلت الكثير من الدخلاء على الفكر الإسلامي عموما والتصوف على الخصوص يستغلون احترام الناس لطائفة المتصوفة فاندسوّا بينهم وتزيّوا بأزيائهم، وتشدّقوا ببعض ألفاظهم مما كان سببا في الإساءة إلى أهل هذه الطبقة من تشويه مظهرها، وتزوير أفكارها، وتزييف الحقائق التي شاهدتها.

وقد سيق كثير من المتصوفة إلى حتفهم بسبب هذه الأفكار الشاذة، والآراء الدخيلة، وشهد القضاء الإسلامي محاكمة بعض رؤوس هذه الطائفة. عرفت بمحنة الصوفية ببغداد أو محنة غلام الخليل،[1] وهي المحنة التي فرّ على إثرها أبو سعيد الخرّاز إلى مصر، واتّهم فيها نحو سبعين صوفيا بالزندقة. ومن بينهم الجنيد،[2] والنوري [3]. وحكم عليهم بالإعدام ثم أفرج عنهم[4].

لقد كانت حركة التصوف خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين في أوج ازدهارها، حتى اعتبرهما كثير من الدارسين والباحثين من أزهى عصور التصوف الإسلامي وأرقاها[5].

فانتشر أعلام التصوف في أنحاء العالم الإسلامي يحفظون أسسه وأصوله، ويمهدون قواعده وفروعه، وينظمون أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها ومريدوها. وكانت هناك مدارس كثيرة للتصوف في هذه الفترة. لكل منها طابع معين. وقد أحصى الهجويري

---

(1) ـــ هو أحمد بن محمد بن خالد بن مردلس ولد بالبصرة. وتوفي ببغداد سنة 275هـ. عُرف بالورع والتقوى ولكنه رمي بالرياء. والمكر، والشعوذة، والحقد على الصوفية، ورميهم بالزندقة. انظر: إسعاد قنديل. **كشف المحجوب للهجويري.** القاهرة:المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،1994م.ص30،ابن الملقن.**طبقات الأولياء**.ص64، ابن النديم. **الفهرست**.ص231.

(2) ـــ الجنيد: هو الجنيد بن محمد الخرّاز كنيته أبو القاسم، أصله من نهاوند ببلاد فارس. ولكنه ولد في بغداد وعاش فيها حتى توفي سنة 297هـ. كان على مذهب الشافعي، وقد وصفه السبكي بقوله: "هو سيد الطائفة ومقدم الجماعة وإمام أهل الخرقة، وشيخ طريقة التصوف. أعلم الأولياء في زمانه وهلوان العارفين".

ترك الجنيد تراثا كبيرا من مؤلفات ورسائل تشمل تفاسير وتحاليل للحياة الروحية. منها كتاب "التوحيد"، وكتاب "الفناء"، وكتاب "آداب المفتقر إلى الله" وغيرها. ولسوء الحظ فإن معظمها فقد في الاجتياح المغولي لبغداد عام 656هـ. السبكي. **طبقات الشافعية.** ج1/ص460، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**.ص126،سليمان سليم علم الدين.**التصوف الإسلامي**،مرجع سابق.ص 323 ـــ 324.

(3) ـــ وهو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادي المنشأ والمولد. خراساني الأصل، من أجل مشايخ القوم وعلمائهم. لم يكن في وقته ـــ أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاما. هاجم النوري بعض المتصوفة وقال فيهم: "كانت المراقع غطاء على الدر، فصارت اليوم مزابل على جيف" مشيرا بذلك إلى تفشي التصوف الشكلي حين لبس بعضهم الخرق والمرقعات و لم يأخذوا بجوهر التصوف وعلومه الروحية ومسالكه الأخلاقية. ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص 72، السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 135.

(4) ـــ العمادي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 283، زهير ظاظا. **الإمام الجنيد، والتصوف في القرن الثالث الهجري.** ط1، بيروت: دار الخير، 1994م. ص 41.

(5) ـــ أبو العلا عفيفي. **التصوف ـــ الثورة الروحية في الإسلام**. مصر: 1963م، ص6، 91، 271.

الفرق الصوفية (أو المدارس الصوفية) التي وجدت في هذه الفترة باثنتي عشرة فرقة [1].

ونسب كل واحدة منها إلى شيخ من شيوخ القرنين الثالث والرابع الهجريين، ولعلّ من أبرز هذه المدارس التي عبرت عن التصوف وبيّنت أسسه وقواعده وآدابه ومعاملاته. مدرسة أبي القاسم الجنيد (ت 207هـــ)، ببغداد، وقد اعتمدت هذه المدرسة على الكلمة المنطوقة واتخذت من المساجد منابر لدعوتها، ثم مدرسة أبي نصر السراج (ت 378هـــ)، في نيسابور، واعتمدت على الكلمة المكتوبة واتخذت من الكتب ميدانا لبيان دعوتها، وشرح رسالتها، ونشر علومها وأذواقها. كما حفظت لنا أيضا تراث المدرسة الأولى[2].

وقد اشتهر في خراسان وما وراء النهر جماعة من أعلام الصوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين. أسهموا بنصيب وافر في مجال الدراسات الصوفية. منهم من ارتبط بالمراكز العلمية في إقليم المشرق، ومنهم من ارتحل إلى مراكز علمية خارجه (في العراق أو الشام أو الحجاز أو مصر).وتأثّر بها أو أثّر فيها. فالتواصل الفكري بين أقاليم العالم الإسلامي من أهم سمات الحياة الثقافية في هذا العصر.

وقد أوردت لنا كتب الطبقات والتراجم عددا هائلا من المتصوفة من كل بلدة في خراســـان وما وراء النهر. وسوف نقصر الحديث عن ذكر المشاهير منهم حسب بلدانهم التي أخرجتهم.

ـــ ففي نيسابور: ظهر أبو زكريا يحي بن معاذ بن جعفر الرازي. المتوفى سنة (258هـــ). قال عنه الهجويري: "لسان المحبّة والوفاء، وزين الطريقة والولاء ...كان عالي الحال، حسن السيرة، وكان له في حقيقة الرجاء في الحق تعالى قدم ثابتة ... وحين تجمعت عليه في الري ديون كثيرة قصد خراسان. فلما بلغ بلخ احتجزه الناس فيها، فتكلّم هناك مدة، ونصحهم ووعظهم، وقدّم له الناس مائة ألف درهم فضّة، فلما رجع ليعود إلى الري قطع عليه اللصوص الطريق وأخذوا منه المال كله، فجاء إلى نيسابور مجرّدا، وكانت وفاته بها".

وقال القشيري في "الرسالة": "نسيج وحده في وقته، له لسان في الرجاء خصوصا، وكلام في

(1) ـــ وجملة المتصوفة اثنتا عشرة فرقة، منهم فرقتان مردودتان، وعشر مقبولة، وأولى الفرق المقبولة: الحاسبية، والقصارية، والطيفورية، والجنيدية، والنورية، والسهلية، والحكيمية، والخرازية، والخفيفية، والسيارية، وهؤلاء جملة من المحققين، وأهل السنة والجماعة. أما الفرقتان المردودتان، فواحدة منها الحلولية المنسوبة إلى الحلول والامتزاج، وغليهم ينتمي السالمية والمشبهة، والأخرى، الحلاجيون المردودون لتركهم الشريعة وإلحادهم، إليهم ينتمي الإباحيون الفارسيون. انظر: إسعاد عبد الهادي قنديل. **كشف المحجوب للهجويري**. ص343.

(2) ـــ المدرسة الأولى هي مدرسة بغداد وهي المهد الأول لنشوء التصوف منذ القرن الثاني وبعده، والمدرسة الثانية في نيسابور. العمادي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 285 ـــ 286، إسعاد عبد الهادي قنديل. **كشف المحجوب للهجويري**. مرجع سابق. ج1 / ص31، 152.

المعرفة، ... ".من أقواله المأثورة: "كيف يكون زاهدا من لا ورع له، تورّع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك"، "ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله في كل شيء، والغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه في كل شيء"، "وقيل له: أخبرنا عن الله. ماهو ؟ قال: إله واحد، قيل: كيف هو ؟ قال: ملك قادر، قيل: أين هو ؟ قال: بالمرصاد، قيل: ليس عن هذا نسألك. قال يحيى: فذاك صفة المخلوق، فأمّا صفة الخالق فما أخبرتكم به".ترك رحمه الله مصنّفات مهمة منها: ـــ كتاب المريدين ـــ وكتاب في المعاملات[1].

ـــ وفي بلدة بسطام على الطريق إلى نيسابور ظهر أيضا أبو يزيد طيفور بن آدم البسطامي. المتوفى سنة (261هـ). عاش زاهدا. مشهورا من قدماء مشايخ الصوفية. له كلام حسن. ويحكى عنه في الشطح[2] أشياء منها ما لايكون معقولا، وقد بالغت الروايات المتأخرة في تصوير ما كان عليه مبالغة شديدة.

وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود، وأنّه ربما كان أول قائل بمذهب الفناء (NIRUANA)، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية.

من أقواله المأثورة: "العابد بالحال، والعارف الواصل يعبده في الحال"، وسئل: مـــا علامـــة العارف؟، فقال: ألا يفتر من ذكره، ولا يملّ من حقّه، ولا يستأنس بغيره".

كان يقول: "لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة، وله مجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة".من مصنّفاته التي تنسب إليه كتاب "مسائل البرهان"[3].

ـــ كما ظهر في نيسابور أبو حفص عمرو بن سلمة الحداد النيسابوري، وهو من قرية

---

(1) ـــ أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص51، القشيري. **الرسالة**. ص414، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص138، الهجويري. **كشف المحجوب**. ص335، البغدادي. **هدية العارفين**. ج2 / ص516، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج6 / ص165، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص 89.

(2) ـــ الشطح: في لغة العرب هو الحركة. يقال شطح يشطح إذا تحرك. ويقال شطح الماء في النهر إذا فاض من حافتيه، وفي إصطلاح المتصوفة هو: أن المريد الواجد، إذا قوي وجْدُهُ، و لم يطق حمل ما يَرِدُ على قلبه من سطوة أنوار حقائقه، سطع ذلك على لسانه، فيترجم عنها بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعيها، إلا من كان من أهلها، ويكون متبحّرا في علمها، فسّمي ذلك على لسان أهل الاصطلاح: شطحا. انظر: أبي نصر السراج الطوسي. **اللمع**. ص453ـــ 454.

(3) ـــ القشيري. **الرسالة**. ص395، السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 98، أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص33، ياقوت. **معجم البلدان**. ج1 / ص500، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص143، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2 / ص173، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص35، الزركلي. **الأعلام**. ج3 / ص235، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص94.

"كورداباذ" على مقربة من نيسابور توفي سنة (265هـــ). كان من سادة أئمة زمانه، وشيخا عارفا بالله، كبير الشأن صاحب أحوال وكرامات وسمو في المقامات. عجيبا بالجود والسماحة.

من أقواله المأثورة: "من تجرّع كاس الشوق يهيم هياما لا يفيق إلا عند المشاهدة واللقاء"، وقال: "التصوف كله آداب، لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيّع الآداب فهو بعيد من حيث يظنّ القرب، ومردود من حيث يرجو القبول". وسئل أبو حفص: ما البدعة ؟ فقال: "التعدي في الأحكام، والتهاون بالسنن واتباع الآراء، وترك الاقتداء والاتباع"[1].

— ومنهم أبو صالح حمدون بن أحمد القصار النيسابوري المتوفى سنة (271هـــ)، شيخ أهل الملامتية في بلدته نيسابور، ومنه انتشر مذهب الملامتية[2]. كما كان عالما فقيها يذهب سفيان الثوري وله طريقة اختص بها، وقد اسند الحديث.

له أقوال مأثورة منها: "من ضيّع عهود الله عنده، فهو لآداب شريعته أضيع، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[3].

"وقال لأصحابه: "أوصيكم بشيئين: صحبة العلماء، والاحتمال عن الجهال"، وقال: "مـــن نظر في سير السلف عرف تقصيره، وتخلفه عن درجات الرجال".

وقد وصفه صاحب تذكرة الأولياء ما ترجمته: "شيخ أصحاب الذوق والشوق، كان من كبار المشايخ، اشتهر بالورع والتقوى، ونال الدرجة العالية في علم الفقه والحديث ... ووصل الغاية في مجاهدة النفس"[4].

ـــ وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري النيسابوري. المتوفى

---

(1) ـــ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 103، أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص244 ـــ 245، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج12 / ص510، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص150، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2 / ص179.

(2) ـــ الملامتية: سئل أبو حفص النيسابوري عن مذهبه (الملامتية) فقال: "أهل الملامة قوم قاموا مع الحق تعالى على حفظ أوقاتهم، ومراعاة أسرارهم فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من جميع القرب والعبادات، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكتموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا أنفسهم على ما يعرفونه من بواطنهم". فأكرمهم الله بكشف الأسرار، والإطلاع على أنواع الغيوب، وتصحيح الفراسة في الخلق، وإظهار الكرامات عليهم، فأخفوا ما كان من الله تعالى إليهم، بإظهار ما كان منهم في بدء الأمر من ملامة النفس ومخالفتها والإظهار للخلق ما يوحشهم ليتناقى الخلق عنهم، ويسلم لهم حالهم مع الله".
أبو عبد الرحمن السلمي. **رسالة الملامتية**، تحقيق الدكتور عبد العلا عفيفي. مصر: 1945م. ص 89.

(3) ـــ سورة الإسراء. الآية 34.

(4) ـــ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 109، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص359، **القشيري**. الرسالة. ص426، الزركلي. **الأعلام**. ج2 / ص274، أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص231.

سنة (298هـــ). من أوحد المشايخ في سيرته، اشتهر بصدق الحال وحسن الكلام، كما كان مستجاب الدعوة، جاب البلاد في طلب العلم.

من أقواله المأثورة: "الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول ﷺباتباع سنّته ولزوم ظاهر العلم، والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة، والصـــحبة مع الأهل بحسن الخلق، والصحبة مع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثما، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم".

وقال: "صلاح القلب في أربع خصال: في التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله"[1].

ـــ وأبو محمد عبد الله بن محمد بن منازل النيسابوري (توفي سنة 329هـــ). صوفي من عُظم مشيخة نيسابور. شيخ فرقة الملامتية وزعيمها، عاش عالما ديّنا، وإماما صيّنا، وافر الجلالة، سافر البسالة، متورّعا متوكلا تاركا للدنيا، عالما بعلوم الظاهر، جمع الحديث وأسنده، وله كلام رفيع في الإخلاص والمعرفة.

من حكمه المأثورة: "من رفع ظل نفسه عن نفسه عاش الناس في ظله". "من عظم قدره عند الناس يجب أن يحتقر نفسه عنده، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام لما اتّخذه الله خليلا، قال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[2]. وقال: "كل فقر لا يكون عن ضرورة لا يكون في فضيلة". وقال: "من احتجت إلى شيء من علومه، فلا تنظر إلى عيوبه، فإن نظرك يحرمك بركة الانتفاع بعلمه"[3].

ـــ وأبو بكر محمد بن داود بن سليمان بن جعفر الصوفي النيسابوري المتوفى سنة(342هـــ). كان شيخ الصوفية في نيسابور خلال القرن الرابع الهجري، حافظا راويا للحديث، أديبا، كاتبا، جال البلاد في طلب العلم، وأكثر من الحديث. خلّف مصنفات نذكر منها:

1 ـــ كتاب "الأبواب"، 2 ـــ وكتاب "الزهديات"، 3 ـــ وكتاب "الشيوخ"[4].

---

(1) ـــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص115، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص239 ـــ 243، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص230، السمعاني. **الأنساب**. ج2 / ص298، السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 140.

(2) ـــ سورة إبراهيم. الآية 35.

(3) ـــ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 277، القشيري. **الرسالة**. ص435، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص 345 ـــ 346، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص330 وفيات 331هـــ، زين الدين المناوي. **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**. تحقيق محمد أديب الجادر. ط1، بيروت: دار صادر، 1999م. ج2 / ص 156.

(4) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3 / ص 901، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص365، ابن تغري بردي. **النجوم**

.../...

وقد أوردت لنا المصادر إشارات إلى أن بعض المتصوفة الفقهاء بذلوا جهودا معتبرة في الدعوة إلى دين الإسلام. فخرجوا ضاربين في الأرض. يجوبون الآفاق. ويتزلون الديار، ويدخلون على الأمراء والملوك. ليدعوهم إلى دين الله تعالى. نذكر منهم: جهود الفقيه أبي الحسن محمد بن سفيان الكلماتي الذي غادر نيسابور سنة (340هـ)، وقضى بعض الوقت في بخارى. ثم رحل إلى ديار الأتراك الشرقيين، ودخل في خدمة كبير خاناتهم. ومات هناك سنة (350هـ). ونضيف إلى ذلك جهود الفقيه أبي الحسن سعيد بن حاتم الذي رحل إلى ديار هؤلاء الترك وتوفي هناك. وقد حفلت هذه الفترة بكثير من أمثال هؤلاء الدعاة[1].

ومن متصوفة نيسابور أيضا:

ـ أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمي النيسابوري المتوفى سنة (366هـ). من أكابر مشايخ وقته، له طريقة ينفرد بها: من تلبيس الحال، وصون الوقت، سمع الحديث ورواه وأسنده. من ثقات رجال الحديث. وله فيه تصانيف.

من أقواله: "من لم تهذبك رؤيته، فاعلم أنه غير مهذب"وسئل: ما التصوف ؟ فقال: "الصبر تحت الأمر والنهي"، "من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضُرَّهُ ولا نفعه فقد أظهر جهله"، من صحّ تفكره، صدق نطقه، وخلص عمله"[2].

ـ وأبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمويه النصراباذي النيسابوري. المتوفى سنة (367هـ). كان شيخ الصوفية والمحدّثين والوعاظ بخراسان في ذلك الأوان، كما كان عالما ثقة كثير الرواية غزير الحديث. صاحب فنون من الفقه والحديث والتاريخ وعلم سلوك الصوفية.

له كلمات بديعة وآيات رفيعة. يرد عنه أنه قال: "من عمل على رؤية الجزاء. كانت أعماله بالعدد والإحصاء، ومن عمل على المشاهدة أذهلته المشاهدة عن التعداد والعدد، ومن عمل بالعدد كان ثوابه بالعدد. قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[3]، من عمل على

الزاهرة. ج3 / ص311، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / 277 ـ 278.

(1) - Barthold. y. y. **Four Studies On The History Of Central Asia**. Lieden _ Brill. 1956. Vol, I, P,20.

(2) ـ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 339، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج11 / ص288، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج4 / ص343، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص107، القشيري. **الرسالة**. ص435، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2 / ص166، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص87 ـ 88.

(3) ـ سورة الأنعام. الآية 16.

المشاهدة كان أجره بلا عدد. قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

وقال: "أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات، وما ظل أحد في هذا الطريق إلا بفساد الابتداء. فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء"[2].

ـــ وفي مدينة طوس على مقربة من نيسابور ظهر أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السّراج الطوسي المعروف بطاووس الفقراء والمتوفى سنة (378هـــ)، كان شيخ الصوفية زاهدا رحّالة، روى الحديث عن طائفة من المحدثين الكبار في خراسان وغيرها.من أروع ما أُثر عنه قوله:"الناس في حفظ الآداب على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: "أهل الدنيا"، وأدبهم في البلاغة والفصاحة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب.

الطبقة الثانية: "أهل الدين"، وأدبهم في رياضة النفوس وتأديـــب الجـــوارح وحفـــظ الحدود وترك الشهوات.

الطبقة الثالثة: "أهل الخصوصية"، وأدبهم في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهد، وحفظ الأوقات، وقلة الالتفات بالخواطر، واستواء السّر والعلانية، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور ومقامات القرب"[3].

من أشهر مصنّفاته كتابه "اللمع في التصوف" وهو من أوثق المراجع وأكثرها وفاء بعلوم الصوفية، ومذهبهم، وأخبارهم، وأشعارهم، ومسائلهم، وأجوبتهم، ومقاماتهم، وأحوالهم وما انفردوا به من الإشارات اللطيفة، والعبارات الفصيحة، والألفاظ المشكلة، الصحيحة على أصولهم وحقائقهم ومواجيدهم[4].

وقد قسّم المؤلف كتابه هذا إلى قسمين:

القسم الأول: فيه عدد من الأبواب القصيرة تحدث فيها عن علم التصوف ومذهب الصوفية

---

(1) ـــ سورة الزمر. الآية 10.

(2) ـــ القشيري. **الرسالة**. ص437، السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 362، إسعاد قنديل. **كشف المحجوب للهجويري**. ص371، اليافعي. **مرآة الجنان**. ج2 / ص387، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج14 / ص256.

(3) ـــ بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ج4 / ص78، آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص 326.

(4) ـــ عبد المنعم حفني. **الموسوعة الصوفية**. ط1، القاهرة: دار الرشاد، 1992م. ص199.

ومنزلتهم، وطبقات أهل الحديث والفقهاء،والكشف عن اسم الصوفية وصـــفتهم، والتوحـــد والموحد والعارف، والفرق بين العارف والمؤمن.

القسم الثاني: مجموعة من الأقسام، أطلق المؤلف على كل قسم اسم "كتاب" وهذه الكتب هي:

ـــ كتاب "الأحوال والمقامات"، ـــ "كتاب أهل الصفوة"، ـــ "كتاب الأسوة والاقتداء برسول الله ﷺ"، ـــ "كتاب المستنبطات"، ـــ "كتاب الصحابة"، ـــ "كتاب آداب المتصوف"، ـــ "كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والرسائل"، ـــ "كتاب السماع"، ـــ "كتاب الوجد"، ـــ "كتـــاب إثبات الكرامات"، ـــ "كتاب البيان عن المشكلات"، ـــ "كتاب تفسيرالشطحات".

ويعتبر كتاب "اللمع" فريد فيما تُعهد إليه. فإن الطوسي بهذا الكتاب يعد رائدا في هذا المجال وترجع أهميته إلى أنه أصبح العمدة عند من جاء بعده من المتصوفة في القرن الخامس الهجري، من أمثال: القشيري (ت 465هـــ)، وابن عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات، والهجويري (465هـــ). مما يشير إلى امتداد أثر هذا الكتاب، وأهميته، وعلوّ قدر صاحبه[1].

ومنهم أيضا أبو العباس أحمد بن محمد بن زكريا النسوي. من مدينة نسا بنواحي نيسابور، المتوفى سنة (396هـــ). كان شافعي المذهب، مؤرخا، صوفيا من أعيان هذا المسلك وله فيه تصانيف معتبرة.

من أقواله المعتبرة: "من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلّب في رضا الله. أولهـــا: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة. والأشياء كلها تتم بالمعرفة".

خلّف رحمه الله للمكتبة الإسلامية مصنّفات منها: "تاريخ الصوفية"، و"كتاب سير الصالحين والزهاد"[2].

ومن المتصوفة الذين كانت وفاتهم في مطلع القرن الخامس الهجري إلا أنهم قضوا جلّ حياتهم في القرن الرابع. وكان لهم في الناس تأثير ظاهر. نذكر:

ـــ أبو علي الحسن بن علي بن محمد الدقّاق النيسابوري. المتوفى سنة (405هـــ)، كان شافعي المذهب. فقيها، أصوليا، زاهدا، عارفا. رُوي أنه كان وحيد عصره ولسان وقته، وإمام أوانه، فارها في العلم، متوسطا في الحلم، محمود السيرة والسريرة، جندي الطريقة ... برع في الأصول والفقه والعربية حتى شدت إليه الرحال في ذلك، ثم أخذ في العمل وسلك طريق

(1) ـــ عبد الباري محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر**.. مرجع سابق. ص 315.

(2) -السبكي. **طبقات الشافعية**.ج2/ص32، كحالة. **معجم المؤلفين**.ج1/ص265،آل قيس.**الإيرانيون** . ج7 / ص 350.

التصوف وأخذ عن النصراباذي، كما كان صاحب كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة.

من كلامه المأثور: "من تواضع لأحد لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه، لأنّه خضع له بلسانه وأركانه فإذا اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كلّه"، وقال: "البلاء الأكبر أن تريد ولا تراد، وتدنو فتُرَدَّ إلى الطرد والإبعاد".خلّف رحمه الله مصنّفات منها: كتاب "الضحايا"[1].

ـــ وأبو سعد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي. نسبة إلى خركوش وهي سكة بمدينة نيسابور. توفي سنة (407هـــ). كان واعظا. من فقهاء الشافعية. وصوفيا من المصنفين في هذا المسلك.

رحل في طلب العلم إلى أرجاء المعمورة ... جالس العلماء، وناظر الأعيان، جـــاور بمكـــة المكرمة عدة سنين ثم عاد إلى وطنه نيسابور.

وصفه ابن عساكر بقوله: "قد وفقه الله لعمارة المساجد والحيـــاض والقنـــاطر والـــدروب وكسوة الفقراء العراة من الغرباء والبِلْدية، حتى بنى دارا للمرضى بنيسابور ووكل جماعة مـــن أصحابه المستورين بتمريضهم ... وشراء الأدوية لهم..".

من آثاره العلمية:

1 ـــ كتاب "تهذيب الأسرار في طبقات الأخيار"، 2 ـــ وكتاب "البشارة والنذارة" وهو في تفسير الأحلام، 3 ـــ وكتاب "شرف للمصطفى" وهو في حياة النبي ﷺ في ثمانية مجلدات، 4 ـــ كتاب "شرف النبوة"، 5 ـــ كتاب "دلائل النبوة"، 6 ـــ كتاب "سير العبّاد والزهاد"، 7 ـــ كتاب "الزهد"، 8 ـــ كتاب "شعار الصالحين"، 9 ـــ كتاب "اللوامع"، 10 ـــ كتاب "التفسير الكبير"[2].

كما ظهر بنيسابور كثير من النساء المتصوفات خلال القرنين الثالث والرابـــع الهجـــريين. اللواتي ضربن أروع الأمثلة للمرأة العابدة العاملة المتنسكة. نذكر من بينهن:

فاطمة النيسابورية، من قدماء نساء خراسان ومن العارفات الكبار توفيت سنة (223هـــ). أثنى عليها أبو يزيد البسطامي. وسألها ذو النون عن مسائل. جاورت مكة المكرمة وربما دخلت إلى بيت المقدس و لم يكن في زمانها في النساء مثلها.

---

(1) ـــ ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج12 / ص13، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3 / ص180 وفيات 406هـــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2 / ص1434، قيس آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص 360.

(2) ـــ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3 / ص201، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3 / ص184 ـــ 185، ابن عساكر. **تبين كذب المفتري**.ص233، عمر رضا كحالة. **معجم المؤلفين**. ج2 / ص321، ياقوت. **معجم البلدان** ج2 / ص 412، سزكين. **تاريخ التراث العربي**. م1، ج4 / ص177، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2 / ص1045.

من أقوالها المأثورة: "من لم يكن الله منه على بالٍ فإنه يتخطى في كل ميدان ويتكلم بكل لسان، ومن كان الله منه على بالٍ أحرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء والإخلاص". وقالت: "من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو المخلص"[1].

ـــ وفخرويه بنت علي. من أهل نيسابور. كانت زوجة أبي عمرو بن نجيد. توفيت سنة (313هـــ). أثر عنها قولها: "من جعل السبب إلى الوصول إلى ربه غير ملازمة طاعة، واتباع رسوله ﷺ فقد أخطأ السبيل إليه"[2].

ـــ وفطيمة امرأة حمدون القصار. كانت كبيرة الحال، عظيمة القدر، من حكمها المأثورة:

"من أخلاق الصوفي في المعاشرة: أن من قصده قبله، ومن غاب عنه لا يفتقده، ومن عاشره تخلق معه، ومن كره عشرته لم يجبره على صحبته"، وسئلت فطيمة عن العاقل. قالت: "من يحيا قلبك بمجالسته".

وقالت: "عمارة القلب بالإعراض عن الدنيا، وخراب القلب بالاستعانة بالخلق"، "من أبصر نعم الله عليه شغله القيام بشكرها عن كل شيء"[3].

ـــ وفي مرو ظهر أبو نصر بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي الحافي المتوفى سنة (227هـــ). وكنيته الحافي لأنه كان يمشي حافيا، لأن نعله انقطع، فذهب به إلى الإسكافي يصلحه، فقال له الإسكافي: ما أكثر كلفتكم على الناس (يقصد الصوفية) فألقى بشر النعل من يده والآخر من رجله، وحلف لا يلبس نعلا بعدها.

قال الخليفة المأمون في خفه: "لم يبق في العراق من يستحى منه غير بشر بن الحـــارث". وكـــان ينادي بالابتعاد عن الزواج، ويعلل عدم زواجه بشغله بالفرض دون السنة لأن الزواج سنة ولـــيس فرضا فالفرض عنده هو مشيئة الله تعالى وعلى الإنسان أن يكتفي بعبادة الله ﷻ، وإيمانه المطلق له، وتوكله التام عليه، وكان من ورعه يأنف من لقاء الناس ويقول حب لقائهم مـــن حـــب الـــدنيا، ويتحرج أن يسيء الظن بالناس، وأن يصاحب الأشرار لأن صحبتهم تورث سوء الظن بالأخيار ولا يجد بأسا أن لا يعرفه الناس، ومن أجل ذلك كان يتحرج أن يتحدث عن رسول الله، ويتحرج أن يطيل في صلاته ركوعه وسجوده، ويسمي ذلك "سرائر الشرك" وقيل إنه كان ينهى الناس عن القول توكلنا على الله، لأنهم لو كانوا صادقين في توكلهم، لرضوا بما يفعله بهم ربهم.

(1) ـــ السلمي. طبقات الصوفية. ص 400 ـــ 401.

(2) ـــ المصدر نفسه. ص 408.

(3) ـــ المصدر نفسه. ص 414 ـــ 415.

قضى بشر الحافي معظم وقته في طلب العلم ورواية الحديث. وقد عدّه ابن حيّان من الثقات. وقال عنه الخطيب البغدادي: "كان بشر الحافي من أعقل الناس، ولو قسّم عقله على أهل بغداد صاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء".

وفي رسالته إلى أبي الحسن علي بن خشرم تأكيد واضح لزهده وتقواه وهي مشبعة بالحكمة الصوفية والحث على التقوى فيقول: "إن محور الإيمان والتضرع لله وعدم الابـــتلاء بالشـــهرة وبأغوار الدنيا التي قد تنسي النور الإلهي، وأرى الفضل اليوم ما هو إلا في العزلـــة، إن أكثـــر عمرك فيما أرى قد انقضى ومن يرضى حاله فقد مضى، وأنت أسير بين يديه، وكل الخلق في كبريائه صغير وكلهم إليه فقير".

وكان بشر الحافي يؤمن بأن العلم أساس المعرفة، والمعرفة العقلانية نعمة المولى على عباده وبذلك يقول: "العلم إذا لم يعمل به فتركه أفضل، العلم هو العمل، وإذا أطعت الله علمك، وإذا عصيته لم يعلمك، والعلم أداة الأنبياء إلى احتجاجهم، وهو إمكانات الإنسان في التقوى والاتقاء من الشرّ والباطل، ولا يجوز استخدام العلم لغرض الدنيا وإرضاء الملوك ونيل الجاه والثروة". ومن أقواله: "يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حكيم، ويأتي زمان يكون الأمر فيه للحمقى على الأكياس"[1].

كما ظهر بمرو نساء متعبدات صوفيات نذكر منهن:

ـــ عائشة، امرأة أحمد بن السري المروزية. من أقوالها: " من لم يحرص على التكبيرة الأولى والجماعة فهو على الصلاة أقلّ حرصا "، وقولها: " عقل العارف مرآة قلبه، وقلبه مرآة نفسه، وروحه مرآة عقله، وسره مرآة روحه، والتوفيق نور المرآة، ودقة البصيرة في المرآة يظهر الخطأ والصواب"[2].

ـــ أما هراة فظهر بها أبو الحسن علي بن أحمد بن سهل البوشنجي الهروي. المتوفى سنة (348هـــ). وهو من أعلم مشايخ وقته بعلوم التوحيد، وعلوم المعاملات، وأحسنهم طريقة في الفتوة والتجريد متعهدا للفقراء واليتامى والمساكين. قال عنه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: "أحد أئمة خراسان، وله معرفة بعلوم عديدة، وكان عارفا بعلوم القوم، وأكثر الخراسانيين تلامذته ...".

---

(1) ـــ أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج8 / ص336، القشيري. **الرسالة**. ص404، السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 42، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج1 / ص274، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج7 / 71 ـــ 83، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج10/ ص469، سليمان علم الدين. **التصوف الإسلامي**. مرجع سابق، ص 290 ـــ 293.

(2) ـــ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 412.

سئل عن التصوف فقال:"اسم ولا حقيقة، وقد كان قبل حقيقة ولا اسم".وقـــال: "النـــاس على ثلاثة منازل:

1 ــ الأولياء: وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم.

2 ــ العلماء: وهم الذين سرّهم وعلانيتهم سواء.

3 ــ الجهّال: وهم الذين علانيتهم تخالف أسرارهم، لا ينصفون من أنفســـهم، ويطلبـــون الإنصاف من غيرهم."

سئل عن المحبة فقال: "بذل مجهودك مع معرفة محبوبك، لأن محبوبك ــ مع بذل مجهودك ــ يفعل ما يشاء." وسئل الفتوة فقال: "حسن المراعاة، ودوام المراقبة، وألا تُري من نفسك ظاهرا يخالف باطنك".

وسئل عن المروءة فقال: "هي ترك استعمال ما هو محرم عليك مع الكرام الكاتبين"[1].

أما مدينة بلخ ففيها أكبر مدرسة للزهد في خراسان بل نكاد نجد أسس التصوف في هذه المدرسة [2] حتى لقبت بـــ "موضع السماحة"[3]. خرجت منها جماعة من مشايخ التصوف وأرباب الأحوال نذكر منهم:

ــ أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي الزاهد المتوفى سنة (240هـــ)، من كبار مشايخ الصوفية في القرن الثالث الهجري. من أصحاب حاتم الأصم الزاهد المشهور، ورحل إلى أبي يزيد البسطامي، كما كان رأس حركة الفتوة في عصره، قال عنه أبو حفص النيسابوري: "ما رأيت أحدا أكبر همة ولا أصدق حالا من أحمد بن خضرويه".له تصانيف مشهورة في كل فنّ من فنون المعاملات والأدب منها:

1 ــ كتاب "الرعاية بحقوق الله"، 2 ــ وكتاب "درجات المقبلين".

أثر عنه قوله: "القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجـــوارح، وإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح"، وقال: "لا نوم أثقل من الغفلـــة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة لما ظفرت بك الشهوة".

---

(1) ــ المصدر نفسه. ص 342، القشيري. **الرسالة**. ص399، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2 / ص249، ابن تغري بردي. **النجوم الزاهرة**. ج3/ص320، أبو نعيم.**حلية الأولياء**.ج10/ص379، آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص 286.

(2) ــ علي سامي النشار. **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**. مرجع سابق، ص 570هـــ.

(3) ــ المدرس. **مشايخ بلخ**.. مرجع سابق، ج1 / ص 45.

ويرد عنه أنه قال: "استر عزّ فقرك، أي: لا تقل لأحد أنني فقير حتى لا ينكشف سرّك، لأنه كرامة عظيمة من الله تعالى"[1].

ـ ومنهم أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الورّاق الترمذي البلخي، المتوفى بعد سنة (240هـ)، لُقّب بمؤدب الأولياء، ومبارك النفس. كان صوفيا زاهدا مشاركا في علوم أخرى كالحديث والرياضيات والمعاملات والآداب.

من أقواله المأثورة: "الناس ثلاثة: العلماء والأمراء والقرّاء، فإذا فسد الأمراء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد القرّاء فسدت الأخلاق" وقال: "للقلب ستة أشياء: حياة وموت، وصحة وسقم، ويقظة ونوم، فحياته الهدى، وموته الضلالة، وصحّته الطهارة والصفاء، وسقمه الكُدورة والعلاقة، ويقظته الذكر، ونومه الغفلة"، وقال: "أصل غلبة الهوى مفارقة الشهوات، فإذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخلق، وإذا ساء الخلق أبغضه الخَلق، وإذا أبغضه الخَلق أبغضهم، وإذا أبغضهم جفاهم، وإذا جفاهم صار شيطانا".له كتب مشهورة في أنواع الرياضيات والمعاملات والآداب والزهد منها:

1 ـ ديوان شعر، 2 ـ كتاب "العالم والمتعلم"، 3 ـ كتاب "المصاحف"[2].

ـ ومنهم محمد بن الفضل البلخي (أبو عبد الله). المتوفى سنة (319هـ). صحب أحمد بن خضرويه، وغيره من المشايخ وهو من الوعاظ، عارف عُرف تزهده، وتبيّن تورُّعه وتعبده، كان جزيل الاجتهاد في الخير، محمودا في السرّ مشكورا في السير، له من الناس قبول، ومعه بالتوفيق وصول. من أكابر القوم وساداتهم أسند الحديث عن قتيبة بن سعيد وغيره. وله أقوال صوفية منها:

"العجب ممن يقطع الأودية والقفار والمفاوز حتى يصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه، كيف لا يقطع نفسه وهواه، حتى يصل إلى قلبه، فإن فيه آثار مولاه"، وقال: "العلم حرز، والجهل غرر، والصديق مؤنة، والعدو همٌّ والصلة بقاء، والقطيعة مصيبة، والصبر قوّة، والجرأة عجز، والكذب ضعف، والصدق قوة، والمعرفة صداقة، والعقل تجربة".

ومن نفائس حكمه قوله: "ست خصال يُعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير

(1) ـ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 95، أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص42 ـ 43، الشعراني. **الطبقات الكبرى**. القاهرة: دار الفكر العربي، (د. ت). ج1 / ص70، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص37، القشيري. **الرسالة**. ص 410، كحالة. **معجم المؤلفين**. ص134، المدرس. **مشايخ بلخ**. مرجع سابق، ج1 / ص 80.

(2) ـ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 178، أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص235، القشيري. **الرسالة**. ص 440، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص374، فيس آل فيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص 76 ـ 80.

نفع، والعطية في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، وألا يعرف صديقه من عدوه"[1].

ومن المتصوفات في بلخ أوردت لنا المصادر ذكر:

ـــ أم علي امرأة أحمد بن خضرويه البلخي. كانت من بنات الرؤساء الأجـــلاء، موســـرة، أنفقت مالها كله على الفقراء، وساعدت أحمد على ما هو عليه، لقيت أبا حفص النيسابوري، وأبا يزيد البسطامي، وسألته عن مسائل.

وقال عنها أبا يزيد: "من تصوف فليتصوف كهمة أم علي زوجة أحمد بن خضرويه أو حال كحالها"، ومما قالت من الحكم المأثورة: "ما ذكرت فقري قط إلا ذكرت استغنائي بربي وغناه، فيزيل عني مواقف الفقر، وأقول: أيكون فقيرا من له سيد مثله ؟"، وقالت: "فوت الحاجة أيسر من الذل فيها"[2].

أما مدينة ترمذ ـــ التي لم تكن تبعد عن بلخ إلا باثنتي عشر فرسخا ـــ فيكفي أنها أخرجت لنا أبا عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي المتوفى سنة (320هـــ)، وهو شافعي المذهب صوفي المسلك،درس علوم الفقه والحديث، وتكوّن على المذهب الحنفي، ولكنه تحوّل إلى المذهب الشافعي لماله من مآخذ على مدرسة الرأي[3]. تنسب إليه الفرقة الحكيمية في التصوف، والتي يقوم مذهبها على اعتبار الولاية هي الأساس وهي أفضل من النبوة[4]. لذلك اعتبر الترمذي من كبار أهل التصوف الذين عنو بتحديد مفهوم الولاية بكل دقة، وهو أوّل من فرّق بين أولياء حق الله وأولياء الله، على الرغم من أن كليهما داخل في دائرة الولاية لله، إلا أن "ولي حق الله" هو القائم برعاية الحقوق وحفظ الجوارح وجهاد النّفس، أما "ولي الله" فهو

(1) ـــ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 171، للناوي. **الكواكب الدرية**. ج2 / ص 149، أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص232، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج13 / ص439، ابن الملقن. **طبقات الأولياء**. ص300 ـــ 301، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2 / ص282 ـــ 283، المدرس. **مشايخ بلخ**. مرجع سابق. ج1 / ص 81.

(2) ـــ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 406 ـــ 407.

(3) - Arnaldez.Roger.**LesGrands Siecles De Bagdad**.E.N.A.I.Alger.1985.v.1.p.223 .

(4) ـــ يذهب أبو نصر السراج الطوسي. صاحب كتاب "اللمع في التصوف" إلى أن القول "بتفضيل الولاية على النبوة من الضلال، وكل ولي من الأولياء ينال ما ينال من الكرامة بحسن اتباعه لنبيّه ﷺ، فكيف يجوز أن يفضل التابع على المتبوع، والمقتدي على المقتدى به؟ وإنما يعطى الأولياء رشاشة مما يُعطى الأنبياء عليهم السلام.

وللأنبياء عليهم السلام الرسالة، والنبوة، ووحي بنزول جبريل عليه السلام، وليس للأولياء ذلك. والولاية والصديقية منوّرة بأنوار النبوة. فلا تلحق النبوة أبدا، فكيف تفضل عليها ؟. انظر: **اللمع**. ص535 ـــ 537.

للمزيد في التفصيل عن نظريته في الولاية. انظر: عبد الفتاح عبد الله بركة. **الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية**. مصر: مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية. (د. ت). ج2 / ص65 وما بعدها.

الذي فُتح له الطريق، وأشرق النور في قلبه بحكم "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا.." [1].

ومن حكمه المأثورة قوله في الولاية: "الولي أبدا في ستر حاله والكون ناطق بولايته ومدعي الولاية ناطق بولايته والكون كله يكذبه".

وقال أيضا: "إذا سكنت الأرواح بالسر نطقت الجوارح بالبر"، "ما استصْغرت أحدا من المسلمين إلا وجدت نقصا في معرفتي وإيماني، وما منع الناس من الوصول إلا لركضهم في الطريق بغير دليل"[2].

والترمذي هو الذي وضع التقسيم الرباعي لطبقات الأولياء، طبقة الصادقين، طبقة الصديقين، طبقة المقربين، طبقة المنفردين[3].

وقيل:إنه اتبع طريقة الصوفية في الإشارات ودعوى الكشف، وفضّل الولاية على النبوة. وردّ بعض العلماء هذه التهمة عنه.

وقد وصفه أبو نعيم في الحلية بقوله: "مُستقيم الطريقة، تابعٌ للآثار، كتب الحـــديث، ولـــه التصانيف المشهورة" نذكر منها:

1 ـــ كتاب "الفروق ومنع الترادف"، وهو كتاب يفرق بين المـــداراة والمداهنـــة، والمحاجـــة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار والانتقام إلخ.. وهو فريد في بابه.

2 ـــ كتاب "النهج"، 3 ـــ كتاب "ختم الولاية أو (الأولياء)"، 4 ـــ كتاب "علل العبودية"، حاول فيه تعليل العبادات تعليلا عقليا. 5 ـــ كتاب "الأكياس والمغترين"، يحوي أمثلة للخداع في المسائل الدينيّة مرتبة بحسب المِهَنْ، ويضم أشكال النفاق المختلفة، ويدفع حِيَل رجال الافتاء. 6 ـــ كتاب "رياضة النفس في الزهد"، 7 ـــ جواب كتاب "عثمان بن سعيد" من الريّ. 8 ـــ كتاب "بيان الكسب"، 9 ـــ كتاب "المسائل"، 10 ـــ كتاب "آداب المريدين (أو بيان آداب المريدين)"، 11 ـــ كتاب "التوحيد"، 12 ـــ كتاب "عذاب القبر"،13ـــكتاب "الدر المكنون في أسئلة ما كان وما يكون"، 14 ـــ كتاب "نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول (ص)"، 15 ـــ كتاب "المشايخ (أو طبقات الصوفية)"، 16 ـــ كتاب "شرح الصلاة ومقاصدها"، 17 ـــ كتاب "الحج وأسراره"، 18 ـــ كتاب "الاختيارات"،19ـــ كتاب "الجُمل اللازم معرفتها"، 20 ـــ كتاب

(1) ـــ سورة العنكبوت. الآية 69.

(2) ـــ القشيري. **الرسالة**. ص400.

(3) ـــ سليمان علم الدين. **التصوف الإسلامي**. مرجع سابق. ص 368.

"عرش الموحدين"، 21 ــ كتاب "الأعضاء والنفس"، 22 ــ كتاب "منازل العباد والعبادة"، 23 ــ كتاب "العقل والهوى"،24ــ كتاب "المنهيات"، 25 ــ كتاب "أدب النفس"، 26 ــ كتاب "الأمثال من الكتاب والسنة"، 27ــكتاب "سلوة العارفين وبستان الموحدين"، 28 ــ كتاب "الأدعية والطلسمات والعزائم"، 29 ــ كتاب "غور الأمور في بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب"، 30ــ كتاب "الرد على المعطّلة"، 31 ــ كتاب "المسائل المكنونة"، 32 ــ كتاب "رسائل الحكيمالترمذي"، 33 ــ "قصيدة بالفارسية"، 34 ــ كتاب "شرح سؤالات في التعبيرات الإلهية"، 35 ــ كتاب "بيان العلم"، 36 ــ كتاب "مسائل في النية وغيرها"، 37 ــ كتاب "أجوبة مسائل"، 38 ــ كتاب "رسالة في الفرق بين الآيات والكرامات"، 39 ــ كتاب "الحقوق"، 40 ــ كتاب "رسالة منازل القاصدين إلى الله"، 41 ــ كتاب "طبقات الصوفية"[1].

وقد وصف لويس ماسينيون (Massignon). كتب الحكيم الترمذي بقوله: "أننا من خلال دراستنا لكتب الحكيم الترمذي نجدها مطولة ولكنها غنية بالمعلومات الوثائقية حول الصوفية والفقه وعلم الكلام"[2].

ــ أما مدينة بخارى فقد أخرجت ثلة من المتصوفة والمتعبدين، وخاصـــة في القـــرن الرابـــع الهجري. نذكر من اشتهر منهم:

ــ أبو محمد عبد الكريم بن محمد بن موسى الميغي البخاري، المتوفى سنة (373هـــ).

عاش صوفي المسلك، حنفي المذهب، زاهدا، فقيها، إماما، مصنّفا لم يكن في بلده في زمانه مثله.خلّف للمكتبة الإسلامية كتبا بقي منها: ــ كتاب "نصائح الأبرار"[3].

ــ ومنهم تاج الإسلام أبو بكر محمد بن إبراهيم الكلاباذي البخاري الحنفي المتوفى سنة (380هـــ). من كبار رجال التصوف في القرن الرابع الهجري، فقيها أصوليا، ومن حفّاظ الحديث المصنفين فيه. من مصنفاته:

1 ــ كتاب "التعرف لمذهب أهل التصوف"، 2 ــ كتاب "الأربعون في الحديث"،3ــكتاب "الأمالي في الحديث"، 4 ــ كتاب "الإشعاع والأوتار"، 5 ــ كتاب "بحر الفوائد المشهور بمعاني

(1) ــ أبو نعيم. **حلية الأولياء**. ج10 / ص233، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1 / ص448، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج13 / ص439، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص56، الزركلي. **الأعلام**. ج6 / ص272، بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ج4 / ص69، آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص217.

(2) ــ انظر: مفيد محمد نوري. **أعلام الصوفية**. مقال سابق، ص 206.

(3) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / ص282، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج2 / ص211، البغدادي. **هدية العارفين**. ج1/ ص607، آل قيس. **الإيرانيون...** ج7 / ص 318.

الأخبار"، 6 ــ كتاب "فصل الخطاب"، 7 ــ كتاب "معدل الصلاة"[1].

كما ظهر في بخارى أيضا أبو الحسن علي بن يحيى الزندويستي البخاري المتوفى سنة (382هـــ)، عاش متقشفا، زاهدا، عابدا. حكيما. حنفي المذهب، صوفي المسلك.

ترك مصنفات في التصوف مهمة منها:

1 ــ كتاب "روضة العلماء ونزهة الفضلاء"، وموضوعه تعاليم أخلاقية من القرآن والسنة، وأقوال صوفية. 2 ــ وكتاب "الأسئلة والأجوبة في الحكمة"، وفيه أسئلة مع أجوبتها لمسائل الحكمة في الخليقة. 3 ــ كتاب "روضة المذكرين"، 4 ــ كتاب "تهذيب الأسرار"،5 ــكتاب "رسالة عن الحكمة الإلهية التي تتجلى في التوراة ومحمد والطبيعة"[2].

ــ أما سمرقند فإن لها مشايخ للصوفية خلال القرن الرابع الهجري، يكفي أن نذكر منهم:

ــ إمام الهدى أبو الليث نصر بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. المتوفى سنة (373هـــ). كان علاّمة من أئمة الحنفية. ومن الزهاد المتصوفين، اشتهر بعلو كعبه في علوم دينية مختلفة كالتفسير والفقه والوعظ والعقائد.

وصنّف فيها التآليف النافعة من بينها:

1 ــ كتاب " تفسير القرآن المجيد"، ويعرف بتفسير أبي الليث. 2 ــ كتاب تفسير جزء "عمّ يتساءلون"، 3 ــ كتاب "خزانة الفقه في الفروع"، 4 ــ كتاب "النوازل"، 5 ــ كتاب "عيون المسائل"، 6 ــ كتاب "مختلف الرواية"، 7 ــ كتاب "المقدمة في الصلاة"، 8 ــ كتاب "بيان عقيدة الإيمان"، 9 ــ كتاب "في أصول الدين"، 10 ــ كتاب "بستان العارفين"، 11ــكتاب "تنبيه الغافلين"، 12 ــ كتاب "أسرار الوحي"، 13 ــ كتاب "قرّة العين"، 14ــكتاب "فضائل رمضان"، 15 ــ كتاب "عمدة العقائد"، 16 ــ كتاب "شرعة الإسلام في الفقه"، 17 ــ كتاب "دقائق الأخبار في بيان أهل الجنة والنار"، وهو كتاب مملوء بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات. 18 ــ كتاب "شرح الجامع الصغير في الفقه"، 19 ــ كتاب "تأسيس الفقه"، 20 ــ كتاب "شرح الإسلام"، 21 ــ كتاب "شرح الجامع

---

(1) ــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج1 / ص53، 105، 225، 419، 420، إسعاد قنديل. **كشف المحجوب للهجويري**. ص31، 151، 152، الزركلي. **الأعلام**. ج5 / ص294، سزكين. **تاريخ التراث العربي**. م1، ج4 / ص173، البغدادي. **هدية العارفين**. ج2 / ص54، آل قيس. **الإيرانيون**... ج7 / ص 339.

(2) ــ بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ج4 / ص83، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج1 / ص928، آل قيس. **الإيرانيون**... ج7 / ص 342.

الكبير للشيباني"، 22 ــ كتاب "شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان بن ثابت"[1].

ومن خلال حديثنا عن متصوفة القرن الثالث والرابع الهجـــريين واتجاهـــاتهم ومدارســـهم وتآليفهم يمكن أن نتبيّن ملامح عامة للتصوف في هذه الفترة نسجلها في النقاط التالية:

1 ــ إن جميع النظريات التي تجعل مصدر التصوف الإسلامي أجنبيا وافدا. هي نظريـــات بعيدة في الصدور عن حقيقة موضوعية، وتقوم على التنكر التام لماضي هذه الأمة والاستخفاف بمقوماتها الحضارية ومنجزاتها الفكرية وأصولها الروحية. وتريد أن تنتزع من التصوف الإسلامي أصالته وتقطعه عن جذوره. وهو أمر لا يستسيغه العقل السليم ولا تسمح به حقائق التاريخ.

وقد ذهب الدكتور عبد الحليم محمود إلى القول بأن:

ــ " الصوفية ليست شيئا أضيف إلى الدين الإسلامي، إنها ليست شيئا أتى من الخارج فألصق بالإسلام، وإنما هي بالعكس تكون جزءا جوهريا من الدين؛ إذ أنّ الدين بدونها يكون ناقصا، بل يكون ناقصا من جهته السامية، أعني جهة المركز الأساسي، لذلك كانت فروضا رخيصة تلك التي تذهب بالصوفية إلى أصل أجنبي: يوناني أو هندي فارسي، وهي معارضة بالمصطلحات الصوفية نفسها، تلك المصطلحات التي ترتبط باللغة العربية ارتباطا وثيقا، وإذا كان هناك من تشابه بين الصوفية وبين ما يماثلها في البيئات الأخرى فتفسير هذا طبيعي لا يحتاج إلى فرض الاستعارة، وذلك أنه ما دامت الحقيقة واحدة فإن كل العقائد السنية تتحد في جوهرها وإن اختلفت فيما تلبسه من صور"[2].

ــ أما ماسينيون (Massignon) وهو رائد المدرسة الفرنسية في دراسة التصوف الإسلامي، فقد نظر إلى مسألة أصل التصوف نظرة علمية منصفة فيقول: "إن في القرآن البذور الحقيقية للتصوف عامة، وهذه البذور كفيلة وحدها بتنميته في استقلال عن أي غذاء أجنبي" ويضيف قائلا: "كل بيئة دينية يتوافر لأبنائها الإخلاص والتكفير، تصلح لأن يظهر فيها روح التصوف. فليس التصوف إذن من خصائص عنصر أو لغة أو أمة بل هو مظهر روحي لا تحده مثل هذه الحدود المادية فمن القرآن ــ يردّد المسلم تلاوته، ويتأمل في آياته، ويقوم بفرائضه ــ

---

(1) ــ القرشي. الجواهر المضية. ج3 / ص544 ــ 545، ابن قطلوبغا. تاج التراجم.ص310، بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ج3 / ص238 ــ 250، كحالة. معجم المؤلفين. ج4 / ص24، الزركلي. الأعلام. ج8 / ص 27، آل قيس. الإيرانيون.... ج7 / ص 320.

(2)- عبد الحليم محمود. المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي.القاهرة:دار النصر للطباعة.(د.ت).ص227.

انبثق التصوف الإسلامي ونما وتطور"[1].

2 ـــ أصبح للتصوف منذ القرن الثالث مدارس وشيوخ ومريدين بعد أن كان سلوكا فرديا في القرنين الأول والثاني.

3 ـــ أنّ أغلب المتصوفة كانوا من الطلاب الذين نفروا في سبيل الله ليتفقهوا في الـــدين ثم لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. فكان منهم الفقهاء وعلماء الشريعة المبرزين، بالإضافة إلى أنهم من رواة الحديث النبوي. رواية ودراية، وهذا ما جعل اتجاههم اتجاها سنيا منضبطا بضـــوابط الشرع ملتزما بالكتاب والسنة.

4 ـــ إن الفكر الصوفي المستقيم لم يستطع أن يسيطر على عالم التصوف سيطرة كاملة.

فتسللت إلى الساحة الفكرية الإسلامية أفكار النزعات الزهدية الهرمسية[2]. القديمة، ولوثات الفلسفات الأجنبية فأخرجت لنا طائفة من الصوفية إلى شطحات في حال السكر التي تمثل عدم شرح الصدر الذي حصل للجنيد وأمثاله، كما أنها أخرجت طائفة أخرى إلى اعتناق نظريات هندية وإشراقية ويونانية منحرفة جدا انتهت إلى القول بالحلول، عند الحلاج والفلسفة الإشراقية[3] عند السهروردي،

---

(1) ـــ انظر: مادة "التصوف" في دائرة المعارف الإسلامية. يصدرها بالعربية: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، بيروت: دار المعرفة،(د، ت).

(2) ـــ الهرمسية (Hermètisme): هي مجموعة من الآراء الدينية مخلوطة بالفيثاغورية والغنوصية القديمة ممزوجة بالعلم والكيمياء والسحر، لها تصور عرفاني خيالي للإله ونشوء العالم وقضية النفس وعلاجها وقضية وحدة الكون وتبادل التأثير بين أجزائه. نتجت منها نظريات تأليه الإنسان والوحدة والحلول في ثقافات متنوعة عبرت إلى الثقافة الإسلامية فأثرت في بيئات التصوف والباطنية الإسماعيلية تأثيرا كبيرا. فدفعت الفكر العرفاني الإسلامي إلى الخروج عن الكتاب والسنة وبذلك تحركت خارج إطار الوحي المحمدي عليه الصلاة والسلام. (راجع تفاصيل الفلسفة الهرمسية عند: محمد عابد الجابري. تكوين العقل العربي. مرجع سابق، ص 174 ـــ 183 ـــ 198.

(3) ـــ الفلسفة الإشراقية: أساس هذه الفلسفة عند السهروردي هي الجمع بين آراء وأنظار مستمدة من دوائر فكرية مختلفة متباينة، كالغنوصية والأفلاطونية المحدثة، وديانات الفرس القديمة ومذاهب الصابئة في الكواكب والنجوم ... وهي محاولة تستهدف الجمع بين الحكمة الشرقية المشرقية المتمثلة في ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود: النور والظلمة، وبين الفلسفة اليونانية في صورته الأفلاطونية المحدثة ومذهبها في الفيض أو الظهور المستمر ...

ومن أخص خصائص الفلسفة الإشراقية أن أتباعها لا يقفون عند العلم المستمد من الشريعة ورسومها ولا عند أحكام العقل وحججه، بل يجاوزون ذلك كله إلى المعرفة الحقة الشريفة الباطنية، ومن هنا وصف السهروردي رحالها الساعين إلى اكتسابها بأنهم "قوم ما وقفوا عند العلم الرسمي، بل جاوزوا إلى العلم الحضوري الإتصالي الشهودي". هذه المعرفة التي لا يمكن اكتسابها بالنقل والرواية أو البحث النظري والتفكير المجرد بل لابد لاكتسابها من "سوانح نورانية" يلقيها الناقث القدسي في روع المتأله. تكون مبنى الأصول الصحيحة للفلسفة الإشراقية.

انظر: عرفان عبد الحميد فتاح. نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها. ط1، بيروت: دار الجيل. 1993م. ص 238 ـــ 241.

ووحدة الوجود [1] عند محي الدين بن عربي.

تلك النظريات التي لم تكن نتيجة طبيعية لتجربة روحية إسلامية وإنما كانت مظهرا واضحا لدراسات فلسفية عرفانية لا علاقة لها بروحانية الإسلام عند المتصوفة المستقيمين من المتمسكين بالكتاب والسنة وضوابط فهمها.

5 ـــ إن صوفية القرن الثالث عنوا بالكلام في دقائق أحوال النفس والسلوك، وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهم. فصار التصوف على أيديهم علما للأخلاق الدينية. وكانت مباحثهم الأخلاقية تدفعهم إلى التعمق في دراسة النفس الإنسانية ودقائق أحوال سلوكها، فكانت تقودهم أحيانا إلى الكلام في المعرفة الذوقية وأداتها ومنهجها. وإلى الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها، وظهر الكلام في الفناء الصوفي[2] خصوصا على يد البسطامي، ونشأ من ذلك كله علم للصوفية يتميز عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية[3].

6 ـــ ظهرت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين ما يسمى لأول مرة بالطرق الصوفية في الإسلام. فقد استطاع أعلام المتصوفة، أن يجمعوا حولهم المريدين من أجل تربيتهم وتأديبـــهم بآداب التصوف علما وعملا، فتكون مجالسهم أشبه بالرياض النضرة.

وقد وصف مجلس أحد الصوفية بخراسان بأنه: "روضة الحقائق والدقائق، وكلماته محرقة الأكباد والقلوب، ومواجيده مقطرة الدماء من الجفون مكان الدموع، ومفطرة الصدور بالتخويف والتقريع"[4].

---

(1) ـــ وحدة الوجود: نظرية تدعي أن الحقيقة واحدة في جوهرها، متكثرة بصفاتها وأسمائها لا تعدد فيها إلا باعتبارات والنسب والاضافات، وهي قديمة أزلية أبدية لا تتغيّر وإن تغيّرت الصور الوجودية التي تظهر فيها، فإذا نظرت إليها من حيث ذاتها قلت هي الحق وإذا نظرت إليها من حيث صفاتها وأسماؤها أي من حيث ظهورها في أعيان الممكنات قلت هي الخلق أو العالم فهي الحق والخلق والواحد والكثير والقديم والحادث والأول والآخر والظاهر والباطن، وهذه الفكرة تكاد تظهر في كل صفحة من صفحات فصوص الحكم لابن عربي.

راجع مقدمة **فصوص الحكم**. للدكتور. أبو العلاء عفيفي. بيروت: دار الكتاب العربي. 1946م. ص 25.

(2) ـــ الفناء: هو محو النفس الإنسانية وصفاتها فعندما يرتبط الفاني بالخالد، ويصل إلى مرتبة التحقق واليقين من أنه ما من موجود بحق سوى الله لا يبقى للفاني وجود، فلا يسمع الفاني أو يرى سوى الله، فشرط الفناء في الله هو تلاشي شخصية الإنسان، وانعدام شعوره بوجوده.

أجناس جولد تسيهر. **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة، محمد يوسف موسى. القاهرة: دار الكتاب العربي، 1959م. ص 162، رينولد نيكلسون. **في التصوف الإسلامي وتاريخه**.مرجع سابق، ص 23.

(3) ـــ أبو الوفا التفتازاني. **مدخل إلى التصوف الإسلامي**. مرجع سابق، ص 17.

(4) ـــ الصيرفيني. **المنتخب من السياق**. ص 309.

ولا تزال آثار هذه الطرق إلى يومنا هذا هي السمة الغالبة على الحياة الدينية في خراسان وما وراء النهر. أو ما يسمى بالجمهوريات الإسلامية.

مما يميز التصوف في هذه الفترة أن المتصوفة لم يكونوا منقطعين عن الحياة، منعزلين عن الناس بل شاركوا في الحياة الاجتماعية. وأدوا دورا بارزا في بناء المساجد وإنشاء المدارس. وبناء الحصون والربط والخانقاهات، مع المشاركة الفعالة في الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام.

7 ـ من المألوف أن المتصوفة في أغلب بلاد المسلمين لم يشاركوا في حركة التأليف والتصنيف بالقدر الذي شارك به الفقهاء والمحدثين. والمؤرخون ... وغيرهم، لأن التصوف أحوال ذوقية، ومقامات استشرافية. يعبّر عنها المتصوف بعبارة موجزة، وحكمة دالة، ومعنى دقيق. إلا أن متصوفة خراسان وما وراء النهر لم يكتفوا بما ينقله عنهم تلاميذهم ومريديهم من الأحوال والأقوال. بل شاركوا مشاركة جادة في حركة تأليف واسعة تذود عن أصحاب المقامات والمجاهدات، وتنافح عن أصحاب الأذواق والمواجيد، بكتب ظلت المرجع والأساس في هذا الميدان ينقلها لاحق عن سابق تضيء طريق السالكين إلى رضوان الله رب العالمين.

8 ـ أغلب تآليف الصوفية كانت في هذه الفترة باللغة العربية. وهذا يعكس مدى انتشار لغة العرب في تلك الأقاليم، وتذوق أهاليها بلاغة العربية وأساليبها، ولا غرو فهي لغة القرآن الكريم. الذي هو المرجع والمثاب لأهل تلك البلاد.

9 ـ دور المرأة المتصوفة في إذكاء الحياة الروحية تعلما وتعليما ومصاحبة. ومشاركتها في التربية الأخلاقية والنفسيّة التي اضطلع بها كبار المتصوفة من الرجال.

4.6. التصوف. اتجاهاته وأعلامه. في القرن الخامس الهجري في خراسان وما وراء النهر. خلال فترة الدراسة.

رأينا خلال المبحثين السابقين اتجاهين متميزين للتصوف عند صوفية القرنين الثالث والرابع: "أحدهما: سني، يتقيد أصحابه فيه بالكتاب والسنة، ويربطون أحواله ومقاماته بهما. والآخر شبه فلسفي يترع أصحابه فيه إلى بعض الشطحات، وينطلقون من حال الفناء إلى إعلان الاتحاد والحلول.

وقد استمر الاتجاه الأول أثناء القرن الخامس الهجري بوضوح على حين اختفى الاتجاه الثاني أثناءه. وإن كان قد عاود الظهور في صورة أخرى عند أفراد من متفلسفة الصوفية

في القرن السادس وما بعده.

واختفاء الاتجاه الثاني في القرن الخامس راجع إلى غلبة مذهب أهل السنة والجماعة الكلامي، الذي انتصر له أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة (324هـــ) على ما سواه من المذاهب ومحاربته الغلو والانحراف الذي ظهر في ميدان التصوف.

ولذلك اتخذ التصوف في القرن الخامس اتجاها إصلاحيا واضحا على أساس من إرجاعه إلى حظيرة الكتاب والسنة، ويعتبر القشيري والهروي من أبرز صوفية هذا القرن الذين نحوا بالتصوف هذا المنحى السنّي، وسينهج نهجهما في الإصلاح الإمام أبو حامد الغزالي في النصف الثاني من هذا القرن، ويكتب بذلك الانتصار للتصوف السني، فينتشر على نطاق واسع جدا في العالم الإسلامي، وتستقر دعائمه زمنا طويلا في المجتمعات الإسلامية"[1].

كما ظهرت في القرن الخامس اتجاهات تجديدية في دراسة التصوف ونشره بين الناس. وهو الاتجاه العلمي الذي يجمع فيه المتصوف بين معارف الوحي وحقائق الدين. فأقبل التلاميذ والمريدون يتأدبون ويتعلمون علوم التفسير والحديث والكلام. وممن تزعم هذا الاتجاه في بداية القرن عبد الرحمن السلمي المتوفى سنة (412هـــ). الذي اعتمد على التأليف والتصنيف واتخذ من الأحاديث والتفسير ميدانا لبيان دعوته. ومن الرواية سلكت به طريق التصوف فجعلها تفسيرا على لسان أهل الحقائق حتى اشتهر أبو عبد الرحمن بأنه "الموفق في جمع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوف، وصاحب التصانيف المشهورة في علوم القوم"[2].

وهذا الاتجاه العلمي للتصوف جعل المتصوفة يقبلون على العلوم الدينية التي أصبحت من أهـــم العلوم نجاحا في القرن الخامس الهجري، وهم بذلك واكبوا الحركات العلمية التي ضـــمت أعظـــم القوى الدينية في ذلك الوقت، وأخذت من خراسان أكبر مركز تجمع للتصوف في العالم الإسلامي.

ومن المميزات التي تميز بها التصوف في هذه الفترة ظهور اتجاه "فرسنة الشعر الصوفي" أي: خصائص ومصطلحات الشعر الفارسي نفذت إلى الشعر الصوفي الإسلامي. فبدأنا نسمع عن الإشارات والرموز والكنايات والاستعارات، فالله عندهم هو "الحبيب والمعشوق والمحبوب والوجد الحاصل من التفكير فيه هو الخمر والخمار والظاهر والباطن منه عبارة عن "طلعته المنيرة"أو "طرته السوداء القائمة" وما إلى ذلك من التعبيرات الرمزية الكثيرة[3].

(1) ـــ أبو الوفا التفتازاني. مدخل إلى التصوف الإسلامي. مرجع سابق، ص 145.

(2) ـــ الصيرفيني. المنتخب من السياق. ص 18.

(3) ـــ انظر: إدوارد براون. تاريخ الأدب في إيران. ج2 / ص334.

كما أننا نلحظ في نفس الفترة بروز اتجاه جديد يتمثل في زيادة انتشار الخانقاهات والاستقرار فيها على يد مشايخ الطرق حيث عمت أنحاء الدولة الإسلامية وقد وضعوا نظاما معيّنا في الحياة، حيث كان يقوم بإدارة كل واحدة منها شيخ من شيوخ الصوفية المعروفين. ونجد على رأس هؤلاء أبا سعيد بن أبي الخير، الذي يعتبر أول من شرع نظام الحياة في الخانقاهات، وأدار عددا منها واعتلى المنبر في نيسابور، وعقد المجالس، وتصدى لعلماء الظاهر وأئمة المذاهب وجادلهم وحاورهم، مما عرض حياته للخطر في بعض الأحيان[1]. وظل أبو سعيد يعمل قرابة نصف قرن على نشر تعاليمه الصوفية في خراسان متنقلا بين حواضرها. فتجمع حوله المريدون من كل مكان، ونال حظوة كبيرة عند العامة والخاصة[2].

ويمكن أن نشير إلى بعض أعلام التصوف في خراسان وما وراء النهر مع ذكر أهم تصانيفهم في هذا الميدان ومنهم:

ـــ أبو سعد أحمد بن محمد بن حفص الأنصاري الماليني الهروي. الملقب بطاووس الفقراء[3]. المتوفى سنة (412هـــ). كان علما من أعلام التصوف، حافظا محدثا، جمع وصنف وحدث ولا تزال مصنفاته تحتل حيّزا في مكتبات العالم، كما كان كثير الرحلات محبا للعلوم.

نذكر من مصنفاته:

1 ـــ كتاب "أربعين الصوفية" ذكر فيه رواية كل واحد منهم.

2 ـــ كتاب "المؤتلف والمختلف"[4].

ومن شيوخ الصوفية الذين عاصروه الشيخ سعيد الدين الفرغاني. والشيخ كمال خجندي، ثم الشيخ سليمان تركمان المتوفى سنة (414هـــ). وصف أبا سعيد الماليني. بأنه كان صدوقا متقنا خيّرا صالحا[5].

---

(1) ـــ إسعاد قنديل. **كشف المحجوب للهجويري**. ص37.

(2) ـــ المصدر نفسه. ابن المنور. **أسرار التوحيد**. ص 95 ـــ 282، نقلا عن. جهاد عبد الله. **الحركة الفكرية ...** مرجع سابق، ص 294.

(3) ـــ الفقراء: ليس المقصود هنا الفقر المادي، بل المقصود هو الفقر إلى الله. لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. سورة فاطر. الآية 15.

(4) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3 / 1070، الصيرفيني. **المنتخب من السياق**. ص 92، ياقوت. **معجم البلدان**. ج5 / ص52، الكتاني. **الرسالة المستطرفة**. ص102 ـــ 103، ابن الأثير. **اللباب**. ج3 / ص155، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1/ ص245، الزركلي. **الأعلام**. ج1 / 211.

(5)ـالخطيب. **تاريخ بغداد**. ج4/ص372، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2/ص381،السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص417.

وممن عاصروا الشيخ المالكي نذكر علما فذا من أعلام التصوف وهو أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي النيسابوري. المتوفى سنة (412هـ). ولد في عائلة علم وتقوى، حيث كان والده من مشايخ نيسابور. رحل في طلب العلم وأخذ العلوم عن مشايخ عصره. فاهتم بدراسة الحديث والتصوف حتى صار شيخ الصوفية. وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم.

خلّف رحمه الله مصنّفات في غاية الأهمية لا تزال تحتل مكانها المرموق في رفوف المكتبة العربية والإسلامية منها:

1 ـ كتاب "حقائق التفسير"، مختصر على طريقة أهل التصوف.

2 ـ كتاب "طبقات الصوفية"، وهو تكملة لكتابه "الزهد" عرض فيه لطبقات الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

3 ـ كتاب "مناهج العارفين"، وهو عرض مختصر للتصوف.

4 ـ كتاب "آداب الصوفية".

5 ـ كتاب "عيوب النفس ودوائها"، وقد نظم هذا الكتاب رجزا أبو العباس أحمد بن محمد البُرنسي بن زرّوق المتوفى سنة (899هـ) بعنوان: "الأنس في شرح عيوب النفس ـ أو رجز المعيوب" ـ منه نسخ خطية في المكتبة الوطنية بالجزائر برقم(4: 934).

6 ـ كتاب "رسالة الملامتية"، 7 ـ كتاب "درجات المعاملات"، وهو في شرح المصطلحات الصوفية. 8 ـ كتاب "آداب الصحبة وحسن العشرة"، 9 ـ كتاب "آداب الفقر وشرائطه"، 10 ـ كتاب "الفرق بين علم الشريعة والحقيقة"، 11 ـ كتاب "مسألة درجات الصادقين"، 12 ـ كتاب "غلطات الصوفية"، 13 ـ كتاب "زلل الفقراء ومناقب آدابهم"، 14 ـ كتاب "الفتوة"، 15 ـ كتاب "سلوك العارفين"، 16 ـ كتاب "مقدمة في التصوف"، 17 ـ كتاب "السؤالات"، 18 ـ كتاب "الأربعين في الحديث"[1].

كما ظهر في القرن الخامس شخصية هامة من شخصيات التصوف الإسلامي وهو تلميذ لعبد الرحمن السلمي، من ذوي الاتجاه السني في التصوف، هو الإمام العالم الجامع بين الشريعة والحقيقة

(1) ـ ابن كثير. البداية والنهاية. ج12 / ص12، الذهبي. تذكرة الحفاظ. ج3 / ص 1046، ابن العماد. شذرات الذهب. ج3 / ص196، ابن الملقن. طبقات الأولياء. ص313، ابن السبكي. طبقات الشافعية. ج2 / ص435، الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج17 / ص247، حاجي خليفة. كشف الظنون. مج1 / ص42، مج2 / ص955، بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ج4 / ص85، الزركلي. الأعلام. ج6 / ص 99، آل قيس. الإيرانيون. ج7 / ص 369.

أبو القاسم زين الدين عبد الكريم بن محمد القشيري النيسابوري المتوفى سنة(465هـ).

كان شيخ خراسان في عصره. علاّمة بالفقه وعلم التصوف، أصوليا، متكلّما، مفسّرا، نحويا، أديبا، شاعرا، كاتبا، سيّد وقته ومقدّم عصره.

أخذ العلم عن شيخه أبي علي الحسن بن علي النيسابوري المعروف بالدقّاق وكان إمام وقته توفي سنة (412هـ) وقد أشار عليه بتحصيل علوم الشريعة أولا. فخرج إلى درس أبي بكر الطوسي (ت 405هـ). ثم اختلف إلى مجلس أبي بكر بن فورك (ت 406هـ) فأخذ عنه الكلام وأصول الفقه، وتتلمذ أيضا على أبي إسحاق الإسفراييني (ت 448هـ)، ونظر كذلك في كتب الباقلاني [1]، ومن هنا تمكن القشيري من العلم بعقيدة أهل السنة والجماعة كما استقرت على يد الأشعري وتلاميذه. وقد كان القشيري من أكبر المدافعين عن هذا المذهب في عصره ضد عقائد المعتزلة والكرامية والمجسمة والشيعة. وقد لقي في ذلك عنتا شديدا حتى أنه سُجن أكثر من شهر بأمر من طغرلبك بتدبير من وزيره الذي كان معتزليا رافضا[2].

من آثاره العلمية كتاب "أحكام الشرع" ــ "آداب الصوفية" ــ "الأربعون في الحديث": عرض فيه الأستاذ الشيخ أربعين حديثا للرسول ﷺ. مما سمعه بسند متصل عن شيخه أبي علي الدقّاق. ــ "كتاب استفاضة المرادات"، ــ "بلغة المقاصد في التصوف" ــ "التحسير في التذكي"، ــ "ترتيب السلوك في طريق الله تعالى"، ــ "التوحيد النبوي"، ــ "الجواهر"، ــ حياة الأرواح، والدليل إلى طريق الصلاح"، ــ "سيرة المشايخ"، ــ "شرح الأسماء الحسنى"، ــ "شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة": وهي رسالة سجّل فيها الشيخ دفاعه عن مذهب الأشاعرة، وردّ فيها على المتكلمين الذين جرّحوا مذهب الأشعري في مسائل الصفات الإلهية والجزاء وأفعال الإنسان ومسألة خلق القرآن الكريم.

ــ كتاب "اللمع في الاعتقاد"، ــ وكتاب "منثور الخطاب في شهود الألباب"، ــ و"ناسخ الحديث ومنسوخه"، ــ "نحوُ القلوب الصغير"، ــ "نحوُ القلوب الكبير"، وله التفسير المسمى "التيسير في التفسير". قال عنه ابن خلكان والسبكي والسيوطي: "إنّه من أجود التفاسير وأوضحها" [3]، وتفسيره المشهور "بلطائف الإشارات".

ومن أعظم ما خلفه القشيري من تصانيف: "الرسالة القشيرية" التي وجهها إلى معاصريه من

(1) ــ ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج3 / ص205 ــ 208، آل قيس. الإيرانيون... ج7 / ص 393.

(2) ــ أبو الوفا التفتزاني. مدخل إلى التصوف الإسلامي. مرجع سابق، ص 146.

(3) ــ من مقدمة تحقيق، الرسالة القشيرية. لمعروف مصطفى زريق. ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2001م. ص15ــ17.

الصوفية بعد أن أفزعه ما آل إليه أمر التصوف على أيدي مدعيه والدخلاء عليه، وحرص على أن يذكر الصوفية بما كان عليه سلفهم الصالح من الورع والتقوى في القول والعمل، ويحذرهم مما آل إليه كثير من الخلف من فساد العقيدة، وتشويه الطريقة، وابتعاد عن منهج أهل السنة. فيقول: "واعلموا رحمكم الله أن شيوخ هذه الطائفة (الصوفية) بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم وتحققوا بما هو نعت الوجود من العدم، ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد، رحمه الله، التوحيد إفراد القدم من الحدث. واحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد"[1].

وينطوي كلام القشيري هذا على إنكار ضمني على صوفية الشطح، الذين نطقوا بعبارات توهم الخلط بين صفات الألوهية وأخصها القدم، وصفات البشرية وأخصها الحدوث، إلا أنه يصرح في موضع آخر بنقدهم قائلا: "وادعوا أنهم قد تحرروا عن رق الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم قائمون بالحق تجري عليهم أحكامه وهم محو (أي في حال الفناء)، ليس لله عليهم فيما يؤثرونه أو يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية ..."[2].

وينقد القشيري صوفية عصره أيضا لتمسكهم بلباس الفقراء والصوفية مع مخالفة لباسهم في نفس الوقت لفعالهم، وينبه إلى أن صحة الباطن مع التمسك بالكتاب والسنة أهم من ظاهر اللباس. فيقول: "يا أخي لا يغرنك ما ترى (عند صوفية عصره) من ظاهر الرسم، وموجود الاسم. فعند مطالبة الحقائق يفتضح أهل الرسوم ...وكل تصوف لا يقارنه التنظف والتعفف فهو مخرقة وتكلف، وكل باطن يخالفه ظاهر باطل لا باطن ... وكل توحيد لا يصححه الكتاب والسنة فهو تلحيد لا توحيد، وكل معرفة لا يقارنه ورع واستقامة فهو مخرفة لا معرفة".

ويعطينا القشيري صورة أخرى عن انحراف صوفية القرن الخامس في عبارات أخاذة فيقول: "إن المحققين من هذه الطائفة (الصوفية) انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم. كما قيل:

أما الخيام فإنـــها كخيامهـــم وأرى نساء الحي غير نسائـــها

وقد حصل الضعف في هذه الطريقة، لا بل اندرست،وقضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء،

(1) ــ الرسالة القشيرية. ص 41.

(2) ــ المصدر نفسه. ص37.

وقلّ الشباب الذين كان لهم بسيرتهم وسنتهم اقتداء، وزال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوى رباطه، وابتعدت عن القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، كما استخفّوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، ومضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات ..."[1].

وقد يكون في كلامه هذا شيء من المبالغة ولكنه على أي حال يدلنا على أن التصوف في عصره بدأ ينحرف عن مساره الأول من ناحية العقيدة، أو من ناحية الأخلاق والسلوك على السواء[2].

وقد حاول القشيري جاهدا أن يعود بالتصوف إلى رحاب السنة، ويعطي للتصوف دفعة جديدة بعد أن شابته الشوائب، وكثر الطعن فيه، كما حاول أن يعود به إلى بساطته الأولى، ويربط بينه وبين الشريعة ليقضي على هذا الانفصام النكد الذي أدى إلى الإفساد في الدين[3].

وثمة صوفي آخر من صوفية القرن الخامس الهجري وهو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، ويستند تصوفه بوضوح أيضا إلى عقيدة أهل السنة كما يعتبر من أصحاب الاتجاه الإصلاحي للتصوف، ومن المنكرين على أصحاب الشطحات من أمثال البسطامي والحلاج.. [4].

ويعتبر الهروي من أبرز فقهاء الحنابلة، وقد اشتدت خصومته لمذهب الأشاعرة؛ لأنه من المعولين على الحديث. ولا يتأول النصوص خلافا للأشعرية حتى أطلق البعض على تصوفه "بالتصوف السلفي"[5].

وأهم ما كتبه الهروي في التصوف كتابه "منازل السائرين إلى رب العالمين". وهو كتاب موجز شيق يصف فيه مقامات الطريق الصوفي أو منازله، ويجعل لها بدايات ونهايات، ويقول: "إن العامة من علماء هذه الطائفة اتفقوا على أن النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدايات، كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساسات، وتصحيح البدايات هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص، ومتابعة السنة"[6].

---

(1) ــ المصدر نفسه.

(2) ــ أبو الوفا التفتازاني. **مدخل إلى التصوف الإسلامي**. مرجع سابق، ص 147 ــ 148.

(3) ــ عبد المجيد أبو الفتوح بدوي. **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد**. ط1، جدة: عالم المعرفة. 1983م. ص 68.

(4) ــ الشطحات وهي عبارات مخالفة للدين في ظاهرها. كانت سببا في اتهام الكثيرين من الصوفية بالزندقة والإلحاد،بل أدت أحيانا إلى قتلهم كالحلاج صاحب الشطحة المعروفة "أنا الحق" أو قوله:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ... نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته ... وإذا أبصرته أبصرتنا

وكمثل أبي يزيد البسطامي صاحب القول الجريء: "سبحاني ما أعظم شأني".

(5) ــ انظر: أبو الوفا التفتازاني. **مدخل إلى التصوف الإسلامي**. مرجع سابق. ص 149.

(6) ــ **منازل السائرين**. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1328هـ. ص 3.

وقد مثّل كل من القشيري والهروي الاتجاه الصوفي الإصلاحي الذي مهد للاتجاه الصوفي السنّي عند مجدد القرن الخامس الإمام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ)، القائم على عقيدة أهل السنة والجماعة، وعلى الزهد والتقشف وتربية النفس وإصلاحها، وتنقية التصوف من الخطأ والاضطراب وما علق به من ألوان الشذوذ التي لصقت به، وتطهيره من صور الغلو والتطرف والنزعات الهدامة التي نفذت إليه، وإعادة التصوف إلى الالتزام بأدب العقل والشرع معا، ومزجه بالفقه حتى صارا كشقي نواة واحدة.

وقد كانت مصنّفات الغزالي فتحا جديدا في تاريخ الحياتين الفكرية والروحية في الإسلام.

ولا يمكن أن نختم هذا المبحث دون ذكر علم من أعلام المتصوفة في القرن الخامس الهجري. وهو الإمام أبو الحسن علي بن عثمان بن أبي علي الغزنوي الجلابي الهجويري المتوفى سنة (465هـ)، كان حنفي المذهب، صوفي المسلك، عابدا، زاهدا، تقيا، عالما، عارفا، أديبا، مصنّفا، من أسرة تتصف بالتقوى والزهد في غزنة، ذا دراية كاملة باللغتين (الفارسية والعربية).

تتلمذ على عدد من كبار علماء التصوف وأئمة الشيوخ الذين عاشوا في الفترة ما بين النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس. منهم: أبو العباس أحمد بن محمد الشقاني، وأبو الفضل محمد بن الحسن الختلي، وأبو القاسم القشيري وغيرهم.

كان صاحب رحلات مختلفة وخاصة إلى بلاد الهند وإلى مدينة لاهور تحديدا. وله دور بارز في الدعوة إلى الإسلام في القارة الهندية حيث أسلم على يده ما لا يحصى من الناس. كان الهجويري كثير التأليف، أتحف عالم التصوف بعدد من الكتب القيمة، نذكر منها:

1 ــ ديوان شعره، 2 ــ كتاب "الفناء والبقاء"، 3 ــ كتاب "في شرح كلام الحلاج" وقد دفعه إعجابه في شبابه بالحلاج إلى تأليف هذا الكتاب. 4 ــ كتاب "البيان لأهل العيان"، تعرض فيه لشرح بعض رموز الصوفية. 5 ــ كتاب "بحر القلوب"، 6 ــ كتاب "الإيمان"، 7ــ كتاب "أسرار الخرق والملونات"، 8 ــ كتاب "الرعاية بحقوق الله تعالى"، 9 ــ كتاب "منهاج الدين"، 10 ــ كتاب "ثواقب الأخبار"، 11 ــ كتاب "كتاب كشف الأسرار"، 12ــ كتاب "كشف المحجوب" (بالفارسية)، وهو أقدم كتاب في التصوف، وأول كتاب منظم في الأصول النظرية والعملية للتصوف، ويعد من المؤلفات القيمة في التصوف الإسلامي. واسمه الكامل "كشف المحجوب لأرباب

القلوب". وموضوعه بيان أصول الطريقة ومقامات الصوفية وأقوالهم ومعاملاتهم[1].

ومن خلال كتب الهجويري الذي دون أغلبها باللغة الفارسية يمكننا أن نحدد مظهـــرا مـــن مظاهر الالتقاء بين الثقافتين العربية والفارسية. ومدى الاهتمام المشـــترك بالناحيـــة العرفانيـــة والأفكار الصوفية. ومعالجتها معالجة واحدة في مجموعها عند كلا الشعبين، وإن اختلفـــت في بعض تفاصيلها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) ــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2 / ص1494، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج2 / ص475، آدم ميتز. **الحضارة الإسلامية**.مرجع سابق، ج2 / ص38، آل قيس. **الإيرانيون والأدب العربي**. ج7 / ص 398.

الفصل الرابع

الآداب والعلوم الإنسانية والكونية

1. الآداب

1-1- إقليم المشرق بين التعريب والتفرس

1- 2 - علوم اللغة

1-3- الأدب وفنونه

2. العلوم الإجتماعية

2. 1. علم التاريخ

2.2. علم الجغرافيا والرحلات

3. العلوم الكونية:

3. 1. العلوم الكونية و الوحي الإسلامي

3.2. الطب و الصيدلة

3.3. العلوم الرياضية

3.4. علم الفلك

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1. الآداب

1 ــ 1 ــ إقليم المشرق بين التعريب والتفرس

لاشك أن الهجرة العربية التي رافقت الفتح الإسلامي لإقليم المشرق كانت عاملا قويا في استقرار العرب في هذا الإقليم وتمازج العرب الفاتحين مع أهله وساكنيه، فالمعروف أن الفتح الإسلامي لم يكن فتحا عسكريا فحسب إنما كان فتحا بشريا أيضا.

وكانت سياسة مرسومة في العصر الأموي لتوطين العنصر العربي في تلك البلاد. وما كان القرن الأول للهجرة ينتهي حتى انتشر العنصر العربي في إقليم المشرق من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

"وقد أتيح للعرب في هذه الرقعة الواسعة أن يتصلوا بثقافات وأجناس وديانات.. اتصلوا بالأجناس الآرية حين اتصلوا بالفرس، واتصلوا بالمغول حين اتصلوا بالأتراك، وعرفوا الديانة الزرداشتية في فارس كما عرفوا البوذية في الهند وعند القبائل التركية وطالعتهم هذه الثقافات في إيران والهند.. فكان من ذلك كله أن اتسعت من أمامهم الآفاق في السلطان والعرفان والعلم...وانطلقت لغتهم لتنشر أصواتهم في أوساط هذه اللغات الآرية، ولتتلقى هي أصداء هذه اللغات، فكان من ذلك أن تصافح فصيلة لغوية جديدة لم تكن غريبة عنها في الجاهلية، ولكنها صافحتها آنذاك تابعة أو حليفة، وهي تصافحها هنا سائدة متغلبة.. وكان من ذلك كله هذا المزيج الهائل في الدماء والثقافات، وهذا التجاوب في المذاهب واللغات، ولذلك كله أثره في الحياة الأدبية وفيوضه عليها"[1].

وأول ما يلفت النظر في هذا الأمر انتشار اللغة العربية، واستخدامها لغة أدب وحديث طوال أكثر من قرنين من الزمن، فبعد الفتح واعتناق الفرس للدين الإسلامي، شعروا بأنهم في حاجة ماسة لتعلم اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم والمتعبد بها في الصلاة، بل ارتبط في أذهانهم بأنها لغة الإسلام الذي اعتنقوه وتعصبوا له، ووجدت اللغة العربية من قلوب الناس وألسنتهم مكانا ساميا أصبحت به لغة الثقافة والعلم والحضارة.

إن التعريب ليس مجرد الانتشار الذي حدث للغة العربية، عندما استبدلت باللغات القديمة في البلاد التي تعربت.. وليس التعريب عطاء فقط من الفاتحين العرب للمسلمين. وإنما التعريب يعني ما هو أكثر من ذلك، يعني التفاعل بين الفاتحين العرب للمسلمين وفكرهم الجديد وبين للواريث الحضارية الصالحة

(1) ــ شكري فيصل. المجتمعات الإسلامية في القرن الأول. ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م. ص 218.

للاستلهام لدى شعوب البلاد المفتوحة. فهذا التفاعل هو بلورة لمولود حضاري جديد هو الحضارة العربية الإسلامية التي جاءت ثمرة هذا التعريب، الذي هو الميلاد الحقيقي لهذه الحضارة الجديدة.

لقد كان دخول الإسلام يعني تعلم العربية، وفتح المجال للمشاركة في الثقافة العربية، كما فعل الكثير من الموالي، ويقابل ذلك الشعور لدى جماعات من العجم أن دخول الإسلام يعني الانتماء إلى العرب، وتكاد العربية أن تكون مرادفة للإسلام في الفترة الأولى. فلما سأل أبو جعفر المنصور أحد الموالي عن هويته قال: "إن كانت العربية لسانا فقد نطقنا بها، وإن كانت دينا فقد دخلنا فيه".

"وقد كان لسياسة التعريب التي اتخذها الأمويون قبل ذلك والتي رسمها عبد الملك بن مروان، واحتاجت قرابة نصف قرن لتمامها، أثرها البالغ في نشر العربية، شملت هذه السياسة تعريب النقد وإصلاحه، وكان لذلك أثره في استقلال الخلافة اقتصاديا، وفي ارتفاع شأن الدينار العربي ليصبح بعدئذ عملة دولية في الشرق والغرب، ويهم هنا تعريب الدواوين المالية التي كانت تستعمل الفهلوية في المشرق واليونانية في مصر والمغرب لتحل العربية محلها. ويعني تعريب الدواوين إغناء العربية. كما يعني حاجة العاملين في دواوين الدولة لإتقان العربية أو تعريبهم، لقد أكد هذا مجال العربية لتصبح لغة الثقافة والحضارة بصورة شاملة وللجميع في بلاد الخلافة، وتوسيع نطاق التعريب في المدن"[1].

كما كان للقيادات العسكرية الأموية دور في ترسيخ العربية ونشرها بين السكان المحليين في خراسان وما وراء النهر، فقد فرض قتيبة بن مسلم الباهلي درهمين لكل من يؤدي صلاة الجمعة بالمسجد الجامع في بخارى[2]. وبالفعل بدأ الناس يقيمون الصلاة، لكن العربية كانت غير مفهومة تماما للجميع، فكُلف شخصٌ بالوقوف وراء المصلين ليصيح حين الركوع (بكنيتا نكينت) وحين السجود (نكونيا نكوني) كي يفهموا ما المطلوب منهم[3].

وقد أدرك قتيبة بن مسلم أهمية تعلم العربية كي يفهم الإسلام، فأصدر عدة قرارات من شأنها التخلص من الكتب القديمة المكتوبة بالخط الخوارزمي، والتي تحوي أخبارا وقصصا متعلقة

(1) ــ عبد العزيز الدوري. **الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب**. ندوة مركز دراسات الوحدة العربية. ص 61.

(2) ــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 78.

(3) ــ المصدر نفسه.

بالأديان السابقة. وأتلف عبد الله بن طاهر كتب الفرس القديمة[1].

كما أن الضرورة العملية فرضت على الكثيرين من الفرس أن يتعلموا العربية حتى يظفروا بنصيب طيب في الحياة الجديدة، كمنصب يتولونه أو علم يتعلمونه ويعلمونه أو حاجة يريدون قضاءها عند ذي سلطان.

وانتشرت العربية بين الناس، واستخدمها العلماء. فهي حديثهم العادي. مع معرفتهم بالفارسية أو غيرها من اللغات الأعجمية، كأبي بكر محمد بن المؤمل بن الحسن الماسرجسي (ت 350هـ) الذي قال عنه الحاكم النيسابوري: "صحبته في السفر والحضر فما رأيته يتكلم بالفارسية، إلا مع من يعلم أنه أعجمي لا يحسن العربية"[2].

وكان بعضهم يحض على تعلمها ويندب لها كأبي سعيد محمد بن يوسف بن يعقوب بن هبيرة الخوارزمي الذي روى بجرجان أن عمر بن الخطاب سمع رجلين يتكلمان بالفارسية فقال لهما: "انتقلا إلى العربية، فمن تكلم بالفارسية ذهبت مروءته" [3].

ونقل دولتشاه السمرقندي (ت 900هـ) أن أمير خراسان عبد الله بن طاهر (230هـ) "أهداه شخص كتابا. فلما سأله عنه، قال: هذه قصّة وامق وعذراء، وهي حكاية جميلة كان الحكماء قد جمعوها باسم الملك أنو شيروان، فقال الأمير: إننا أناس قارئون للقرآن، ولا نريد شيئا غير القرآن وحديث الرسولﷺ، لا حاجة بنا إلى هذا النوع من الكتب، فهذا الكتاب من تأليف رجال الدين الزرادشتي وهو مردود عندنا، ثم أمر بإلقاء الكتاب في الماء، وأصدر حكمه بإحراق أي كتاب من مؤلفات العجم ورجال الدين الزرادشتي يعثر عليه في أي مكان ضمن حدود ولايته"[4].

لكن مثل هذه الممارسات الاحترازية لم تكن لتمنع ما كان حدوثه حتميا، وهو التأثر والتأثير بين العربية والفارسية.

ومضى القرنان الأول والثاني للهجرة ولا يكاد يكتب في بلدان المشرق بغير العربية، مما حدا بأحد الباحثين الطاجيك للقول: "إن فترة القرن الثاني للهجرة وما قبلها كانت فترة نشطة

---

(1) ـ دولتشاه. **تذكرة الشعراء**. ص 35. نقلا عن. دنون. **الحياة العلمية** ... مرجع سابق. ص 107.

(2) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج5 / ص170.

(3) ـ دنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق، ص 109.

(4) ـ **تذكرة الشعراء**. ص 26، وانظر: جرجي زيدان. **تاريخ التمدن الإسلامي**. مرجع سابق، ج3 / ص 45.

بالتيار اللغوي العربي"[1].

ولا شك أن اللغة العربية حظيت بهذه المنزلة في إقليم المشرق وغيرها من الأمصار الإسلامية لما اتسم به أدبها من قوة وازدهار، وما تحلّى به العرب الفاتحون من تسامح واقتدار. وفي هـذا يقول المستشرق الروسي بارتولد:

"ويمكن تفسير رواج اللغة العربية هذا الرواج بأن العرب لم يعتمدوا على قوة السلاح فقط كالجرمان والمغول والإيرانيين القدماء، ولكنهم أنشئوا منذ القرن السابع لميلادي (الأول الهجري) لغة أدبية متقدمة في ساحة الفكر تقدما واضحا، وأخذت البلاغة والشعر مكانة عظيمة عندهم واخترعت الأشكال الأدبية المعلومة اليوم، والنثر المسجع وأنواع عديدة من الأوزان، واتخذت المنظومات أساليب معروفة، فراج قرض الشعر كثيرا وتنوعت أغراضه..."[2].

ويمكن القول أن كلا الثقافتين العربية والفارسية التقتا لتفيد كل منهما الأخرى، وتؤثر فيها بشكل أو بآخر. ويلخص جلال الدين همائي أهم مظاهر تأثر الفرس ثقافيا بفتح العرب لبلادهم في النقاط الآتية:

1 ـــ التحول من الدين الزرادشتي إلى الدين الإسلامي الذي حقّق السعادة لإيران، وكانت له آثاره الإيجابية التي لا تخفى في العقائد والروحانيات.

2 ـــ تغلغل الكلمات العربية في اللغة الفارسية، وهجران اللغة البهلوية بالتدريج.

3 ـــ ترك الكتابة بالخط البهلوي تدريجيا، والتحول إلى الكتابة بالخط العربي[3].

4 ـــ تغير أسلوب الشعر الإيراني، وميل الشعراء إلى اتباع العروض والبديع العربيين،

---

(1) ـــ مردانوف. **ازدواجية اللغة**. ص 223. نقلا عن ذنون، المرجع السابق. ص 110 ـــ 111.

(2) ـــ ف. بارتولد. **تاريخ الحضارة الإسلامية**. ترجمة حمزة طاهر. ط5، القاهرة: دار المعارف، (د. ت). ص6.

(3) ـــ يذكر الباحثون المعاصرون أن اللغة الفارسية مرّت في تطورها التاريخي بمراحل ثلاث: المرحلة الأولى: الفارسية القديمة، وكانت هي السائدة في عهد الدولة الأكمينية أو الهخامنشية (550 ـــ 330ق م)، واستمرت حتى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. والمرحلة الثانية: الفارسية الوسطى (البهلوية)، وقد بدأت في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، واستمرت حتى القرنين الثامن والتسع بعد الميلاد، وسادت فيها لهجات وسيطة تصنف إلى شرقية وغربية. والمرحلة الأخيرة: الفارسية الإسلامية أو الحديثة أو الدرّية، وقد ابتدأت في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، واستمرت إلى يومنا هذا. انظر: إسعاد عبد الهادي قنديل. فنون الشعر الفارسي. ط2، بيروت: دار الأندلس، 1981م. ص 5 ـــ 12، طه ندا: **اللغة الفارسية تاريخ وقواعد ونصوص**. بيروت: مكتب كريديه إخوات، 1991م. ص 11 ـــ 24.

واقتباس مضامين الشعر الجاهلي العربي ووصف الخمر والغلمان.

5 ــ محو علوم الإيرانيين وآدابهم بأيدي الحكام والأمراء العرب إغراقا في الماء أو إحراقا بالنار بحجة الكفر والزندقة وعدم الاحتياج إليها بعد كتاب الله[1].

وعلى مطالع القرن الثالث الهجري بدأت الحركات الاستقلالية تتحقق على يد الدول الفارسية في المشرق كالدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وكان طبيعيا أن تعمل هذه الدول على قطع أسباب الاتصال بينها وبين مركز الخلافة العربية في بغداد من الناحية العملية على الأقل ... وأن تزيل في محيطها كل مظاهر الخضوع للخلافة العربية. ومن أهم مظاهر الخضوع والتبعية للدولة العربية استخدام اللغة العربية فهي بلا شك أعظم مظهر من مظاهر السيادة العربية على تلك الأقاليم الفارسية، ولهذا فإن الدول التي ظهرت في المشرق شجعت اللغة الفارسية حتى حلت محل العربية وأصبحت اللغة الرسمية للبلاد وظهر بها الأدب الفارسي الإسلامي[2].

فمع قيام الدولة الصفارية حدثت حركة بعث جديد في المجتمع الفارسي سياسيا وثقافيا، وقد قال يعقوب مؤسسها حين مدحوه بالعربية كيف تمدحونني بلغة لا أفهمها، وشجع الشعراء على الإنشاد بلغتهم، ولم يطل أمر هذه الدولة حتى جاء السامانيون وجدّوا في بعث تراث فارس ولغتها في إطار إسلامي صرف، فكانوا بناة نهضة لا يحركها التعصب وآية ذلك أنهم كانوا يشجعون الأدب الفارسي والعربي على حد سواء. وحين قامت الدولة الغزنوية واصلت مسيرتها في بعث الأدب والفكر في إطاره الإسلامي الرشيد.

وازدهر الأدب وأصبح على العلماء أن يحتذوا النماذج التي أثرت عن العصر السامانى.

ولا يمكن أن نطلق على حركة الإحياء الفارسي أو سياسة (التفريس) هذه أنها حركة مضادة للوجود العربي وعداء مستحكما للغة العرب، بل يمكن أن نطلق عليها حركة تجاذب بين اللغتين أو بين الأدبين العربي والفارسي.إذ شهدت هذه الفترة ظهور فئة من المثقفين، تمكنوا من اللغتين العربية والفارسية. وألفوا بهما ممن يعرفون بذوي اللسانين. ومن هؤلاء مثلا:

الشاعر أبو الفتح البستي (ت 400هـ)، الذي نظم ديوانين أحدهما بالعربية والآخر

---

(1) ــ جلال الدين همائي. **تاريخ أدبيات إيران**. ج2 / 271 ــ 274، نقلا عن إحسان صادق سعيد. **علوم البلاغة عند العرب والفرس**. (دراسة مقارنة). ط1، دمشق: منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق، 2000م.ص19.

(2) ــ طه ندا. **الأدب المقارن**. بيروت: دار النهضة العربية، 1975م. ص 45 ــ 46.

بالفارسية[1].

والأديب أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان المحولي (ت 309هـ)، والأمير الأديب أبو إبراهيم نصر بن أحمد الميكالي الذي جمع بين الآداب العربية والفارسية. والوزير أبو الطيب محمد ابن حاتم المصعبي وزير السامانيين والمتوفى سنة 330هـ[2].

وذكر المقدسي (ت 390هـ) أن عربية خراسان كانت على عهده أفصح العربية؛ لأن العلماء المسلمين كانوا شديدي الحرص على اللغة الفصحى[3].

كما أعجب الجاحظ بموسى بن سيار الأسواري ـ أحد القصاص ـ فقال: "كان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله، ويفسّرها للعرب بالعربية، ثم يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدرى بأي لسان هو أبْيَنُ"[4].

وغدا اللسانان (العربي والفارسي) علامة التحضر والثقافة. وأصبحت (الملّمعات) من علائم البراعة في النظم[5]. وقد كان الفارسي يفخر بمعرفته العربية، ويمدح بإجادته هذه اللغة. من ذلك قول المتنبي يمدح ابن العميد:

عربي لسانه، فلسفي رأيه، فارسية أعياده

أو قول أبي سعيد الرستمي يفخر بعروبته:

إذا نسبوني كنت من آل رستم ولكن شعري من لؤي بن غَالبِ

قد بلغت الصلات الثقافية بين العرب والفرس شأوا يتعذر استقصاء أبعاده وتجلياته، و من هذه الأبعاد والتجليات ما يمكن أن نلحمه من خلال النتاج اللغوي والأدبي خلال فترة البحث.

---

(1) ـ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1 / ص103.

(2) ـ ذنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق، ص 111.

(3) ـ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 261.

(4) ـ الجاحظ. **البيان والتبيين**. ج1 / ص 368.

(5) ـ في اصطلاح علم البديع هي أن يكتب المصراع الأول أو البيت كله بالفارسية، ويكتب المصراع الآخر أو البيت كله بلغة أخرى (ويرجّح أن تكون اللغة الأخرى عربية).

2.1. علوم اللغة

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وعلى أساليبهم في الكلام، وعلى نمط نطقهم في حقيقتهم ومجازهم، أدهشت نوابغهم، وأخرست بلغاءهم ، فقهرهم عبقريته وهم ألوف، عن أن يأتوا بمثل سطر منه أو كلمات أو حروف ...

وفي هذا المعنى يقول الرافعي ـــ رحمه الله ـــ: "نزل القرآن بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معا. فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه، إذ النور جملة واحدة وإنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء، وبدلت الأرض غير الأرض، وإنما كان ذلك لأنه صفّى اللغة من أكدارها، وأجراها في ظاهرها على بواطن أسرارها، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب، وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب ..." [1].

ولما كانت اللغة العربية، هي لسان الوحي، واللغة الرسمية للإسلام فقد أفاض القرآن الكريم على هذه اللغة من معينه الغزير، وحفظها على مرّ العصور جديدة غضّة لا تبلي مع تقادم العهد، واطراد الزمان. اتخذها شعوب ـــ لا حصر لها ـــ لسانها، وأخذت بها و لم تجد عنها مرْغباً ولا محيداً. وأصبحوا عربا يعبّرون بالعربية عن بنات أفكارهم، وخلجات أفئدتهم، وصارت لغة العرب لغة الحياة المنبسطة تصرفها الألسنة والأقلام في مناحي من العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الإسلامي. ولولا هذا الكتاب الكريم لما وُجد على الأرض من يعرف كيف كانت تنطق العرب بِأَلْسِنَتِهَا وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها.

من هذا المنطلق أساسا حظيت اللغة العربية على مرّ العصور بعناية فائقة، وخصّها أهل اللغة بالتأريخ والجمع والاستنباط ووضع القواعد. كل ذلك بغية المحافظة عليها، وصيانتها من العجمة، واللحن، والتصحيف، والتحريف. خاصة وأن أهلها تمازجوا مع الأمم الأخرى، واختلطوا بها، حتى بدأت اللغة تلتوي بعد سلاستها، وتمرض بعد سلامتها، وطار اللحن [2]. في جنباتها، وخيفت عليها عاقبة الفساد والشَوْبْ. فتقدم الأكفاء من أبنائها يذودون عن حياضها، ويدفعون أسباب العجز عن سليقتها، وتوافقت الهمة الإنسانية مع قدرة هذه اللغة على النماء وبقائها على شباب الدهر مهما حائط أهلها من رقة الطبع، ورخاوة العيش. وعلل الحضارة وأسبابها.

---

(1) ـــ مصطفى صادق الرافعي. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، بيروت: دار الكتاب العربي، (د. ت). ص 74.

(2) – لحن الرجل في كلامه: أي أخطأ.واللحن: الخطئة. واللحن بفتح الحاء: الفطنة. انظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة "لحن".

وقد بدا ذلك وتجلى على ألسنة أبناء النازلة من العرب في البلاد المفتوحة، الذين لم ينشأوا في البادية مثل آبائهم ولا تغذّوا من ينابيعها الفصيحة. إنما نشأوا في الحاضرة واختلطوا بالأعاجم احتلاطا أدخل الضيم والوهن على ألسنتهم وفصاحتهم. على نحو ما هو معروف عن الوليد بن عبد الملك وكثرة ما كان يجري على لسانه من اللحن[1]. وكان كثيرون من أبناء العرب ولدوا لأمهات أجنبيات أو أعجميات. فكانوا يتأثرون بهن في نطقهن لبعض الحروف وفي تعبيرهن ببعض الأساليب الأعجمية [2]. وكل ذلك جعل الحاجة تمسُّ في وضوح إلى وضع رسوم يُعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام خشية دخول اللحن وشيوعه في تلاوة آيات الذكر الحكيم[3].

وقد حرص الموالي — وخاصة موالي العراق — على وضع علم يسهل عليهم تعلم اللغة العربية لدينهم ودنياهم فوضعوا علم النحو. وكان طبيعيا أن ينشأ ذلك في العراق لا في الحجاز ولا في الشام، لأن الحجاز لم يكن في حاجة إلى قواعد يقيم بها لسانه، لأن موالي العراق أكثر رغبة من موالي الشام، لما علمت من أن رغبة الفرس في العربية كانت أكثر من رغبة سواهم، ولأن الآداب السريانية كانت في العراق قبل الإسلام، وكان لها قواعد نحوية. فكان من السهل أن توضع قواعد عربية على نمط القواعد السريانية، خصوصا واللغتان من أصل سامي واحد، لهذا كان السابقون إلى وضع النحو هم البصريون أولا ثم الكوفيون، وفاق البصريون لقربهم من بادية العرب وبُعد الكوفيين عن البادية الفصيحة[4].

"والحق أن المدرسة البصرية كانت أدقّ حسّاً من المدرسة الكوفية في الفقه بدقائق العربية وأسرارها، فقد تعمقت ظواهرها وقواعدها النحوية والصرفية تعمقا أتاح لها أن تضع نحوها وضعا سديدا قويما. بل لقد بلغ من تعمقها أن أخذت تصحح ما ندّ عن بعض الشعراء عن طريق التأويل والتخريج والتحليل الدقيق البصير، لا على أسس عقلية فحسب، بل أيضا على أسس سليقية، مما سال في فِطَرِ عباقرتها من أمثال الخليل واضع العروض وسيبويه مُشرِّع النحو

(1) — الجاحظ. **البيان والتبيين**. ج2 / ص 204، ابن قتيبة الدينوري. **عيون الأخبار**. بيروت: دار الكتاب العربي، (د. ت). ج2 / ص158 — 167.

(2) — المصدر نفسه. ج1 / ص 72، ج2 / ص 204.

(3) — شوقي ضيف. **المدارس النحوية**. ط5، القاهرة: دار المعارف. (د. ت). ص 12.

(4) — أحمد أمين. **فجر الإسلام**. ط10، بيروت: دار الكتاب العربي، 1969م. ص 183.

وصائغ قواعده وقوانينه"[1].

ومن الإنصاف أن نذكر أنّ كلا من مدرستي البصرة والكوفة شاركتا في بناء النحو الشاهق، وساهمتا في نشأة وتطور علوم اللغة والنحو، فألفوا فيها التآليف الكثيرة، ثم أُخذت عنهم ونُقلت ونشرت في كافة أنحاء البلاد الإسلامية[2].

ومن بين هذه البلاد إقليم المشرق الذي هجر أهله لغتهم في الفترات الأولى لإسلامهم. وراحوا يحذقون علوم العربية درسا وفهما ؛ لأن فهم الشريعة يقتضي معرفة لغة العرب. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "وعلوم اللسان العربي أركانه أربعة: وهي اللغة، والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة ؛ إذْ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغتهم، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة"[3].

كل ذلك كان حافزا للاهتمام بعلوم اللغة العربية من نحو وبلاغة وعروض ولظهور عدد من اللغويين في حواضر خراسان وما وراء النهر خلال فترة البحث:

فنجد أن نيسابور حلت منذ بداية القرن الثالث الهجري محل مرو وبلخ كحاضرة لإقليم خراسان "فعمرت وكبرت وغزرت وعظمت حتى انتابها الكتاب والأدباء بمقامهم بها، وطرأ إليها العلماء والفقهاء عند إيثارهم لها"[4].

وعلى هذا فقد برزت جمهرة كبيرة ممن شُهد لهم بالسبق والتقدم في علوم اللغة [5]. منهم:

ـــ أبو عبد الرحمن بن محمد بن هاني النيسابوري (ت 236هـ). كان من أفاضل الأدباء والنحويين[6] له كتاب كبير يوفي على ألفي ورقة في نوادر العرب وغرائب ألفاظها، وفي المعاني

---

(1) ـــ شوقي ضيف. **المدارس النحوية**. مرجع سابق، ص 163.

(2) ـــ خديجة الحديثي. **موسوعة حضارة العراق**. بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985م. ج7 / ص 215.

(3) ـــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص 565.

(4) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 363 ـــ 364.

(5) ـــ صنف مؤرخو الإنتاج العلمي والحضاري علماء اللغة مرة في اللغويين، وثانية في النحويين، وثالثة في الأدباء، ورابعة في الأصوليين، وهذا يدل على شمولية العلم لدى علماء المسلمين في تلك الفترة للوحة أن بعضهم جمع بين العلوم الشرعية والعلوم البحتة (التطبيقية) مع بروز التخصص في فرع من فروع العلوم. انظر: رشاد معتوق. **الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي**. مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة، 1997م. ص 329.

(6) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج10 / ص72، القفطي. **إنباه الرواة**. ج2 / ص127.

والأمثال، وكان هذا الكتاب من المصادر التي اعتمدها شمر بن حمدويه الهروي فيما صنفه من الكتب في هذا الاختصاص، قال الأزهري: "وكان شمر سمع منه بعض هذا الكتاب وفرقها في كتبه التي صنفها بخطه" ولم ينس الأزهري فضله في تصنيف كتابه الذائع الصيت "تهذيب اللغة" فقال: "وحمل إلينا منه أجزاء مجلدة بسواد بخط مُتْقنٍ مضبوط،مما وقع في كتابي لابن هاني فهو من هذه الجهة"[1].

ـــ وأبو محمد عبد الله بن مخلد بن خالد التميمي النيسابوري النحوي (ت 260هـ). ذكره الحافظ أبو عبد الله في تاريخ نيسابور، وسماه النحوي. سمع بخراسان علي بن الحسين بن شفيق، وعبدان، وسمع بالبصرة عفان وبشر بن محمد السكري، ومسلم وغيرهم.. وبالكوفة أبا نعيم، وأبا غسان، وبالحجاز عبد العزيز. وروى بخراسان كتب أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي[2].

ـــ وأبو الفضل نصار بن إبراهيم النيسابوري (ت 277هـ) المشهور بالأدب والنحو، من أخص الناس بأمير خراسان طاهر بن عبد الله بن طاهر، والسبب في قربه منه مدح الحسين بن الفضل إياه في مجلسه[3].

ـــ وأبو تراب محمد بن الفرج بن الوليد الشعراني اللغوي، صنّف كتاب "الاعتقاب"رحل إلى هراة وأملى بها أجزاء من كتابه. ثم عاد إلى نيسابور وأملى بها باقي الكتاب. وقد أعجب الأزهري بكتاب "الاعتقاب" هذا وأثنى عليه بقوله: "وقد قرأت كتابه فاستحسنته، ولم أره مُجازفا فيما أودعه ولا مصحّفا في الذي ألفه"[4]. ويبدو أن نسخا من هذا الكتاب. كانت موجودة في بغداد في عصر ياقوت الحموي الذي قال: "كنت رأيت نسخة بكتاب الأزهري ببغداد وقد ذكر الأزهري أبا تراب فيها وسماه محمد بن الفرج" ويُفهم من هذا أن ياقوت كان مُغرمًا ومُهتمًا بهذا الكتاب. إلى درجة أنه لما رحل إلى مرو قال: "فلما وردت إلى مرو وقفت على النسخة التي بخط الأزهري".

وله أيضا كتاب استدرك فيه على كتاب "العين" للخليل الفراهيدي الموسوم "كتاب الاستدراك على الخليل في المهمل والمستعمل"، ولكن جماعة من العلماء نقضوا ما استدركه على الخليل[5].

---

(1)-أبو منصور الأزهري. **تهذيب اللغة**.القاهرة:دار القومية العربية،1964م.ج1/ص24،وانظر:القفطي.**إنباه الرواة**.ج2/ص127.

(2) ـــ القفطي. **إنباه الرواة**. ج2 / ص149، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج6 / ص22.

(3) ـــ القفطي. **إنباه الرواة**. ج3 / ص275، السيوطي. **بغية الوعاة**. ج2 / ص288.

(4) ـــ الأزهري. **تهذيب اللغة**. ج1 / ص 26.

(5) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 66، القفطي. **إنباه الرواة**. ج4 / ص96 ـــ 97.

ـــ وأحمد بن محمد بن مروان السرخسي عالما موسوعيا في الطب والفلسفة والجغرافية والتاريخ، والفلك كما سنرى فيما بعد، ثم كان أيضا كما وصفه ابن أبي أصيبعة "أوحد في علم النحو والشعر" ومن مؤلفاته كتاب: "بعض الفرق بين نحو العرب والمنطق"[1].

ـــ وفي أيام الدولة الغزنوية في خراسان ظهر أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (ت 429هـ). حذق صناعة اللغة وأحاط بأصولها وفروعها، ووقف على شاذها ومقيسها. فكان أديبا بليغا على أسلوب أهل زمانه في السجع والاستعارة والتشبيه، واسع العلم باللغة والأدب والأدباء وتاريخهم. وألف في ذلك كله. صاحب كتاب "فقه اللغة وسرّ العربية"، أراد فيه أن يجعله معجما على نمط جديد، وهو جمع الكلمات في الموضوع الواحد في موضوع واحد. يبلغ ثلاثين بابا. ضمت من الفصول ما يناهز الستمائة.

وقد اعتمد الثعالبي في تصنيف كتابه هذا. على عدد كبير من العلماء، ونص على ذلك في مقدمته فقال: "وتركت الأدب والكتب، أنتقي منها وأنتخب، وأفصل وأبوب، وأنتفع من الأئمة، مثل: الخليل، والأصمعي، وأبي عمرو الشيباني، والكسائي، والفراء، وأبي زيد، وأبي عبيدة، وأبي عبيد، وابن الأعرابي، والنّضر بن شميل، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ومحمد، وابن يزيد المبرد، وابن دريد، ونفطويه، وابن خالويه، والخارزنجي، والأزهري، ومن سواهم من ظرفاء الأدباء"[2].

ويعد كتاب "العين" للخليل بن أحمد من أهم المعاجم اللغوية وأوائلها التي نالت حظوة العلماء واهتمامهم. فاستكملوه، واستدركوا عليه، وأسهم في ذلك بعض علماء خراسان نذكر منهم أبو حامد أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي (ت 348هـ). الذي صنف كتاب "تكملة كتاب العين" وقد نقل عن هذا الكتاب عدد من العلماء مثل: الميداني في "مجمع الأمثال"، والصاحب بن عباد في "المحيط"[3].

وفي مرو برز في علوم اللغة، أبو العباس جعفر بن أحمد المروزي (ت قبل سنة274هـ). كان أحد المؤلفين في سائر العلوم غير أن كتبه عزيزة جدّا على حد قول ابن النديم. ففي علوم العربية،

---

(1) ـــ ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء**. ج2 / ص191 ـــ 193.

(2) ـــ انظر: الثعالبي. **مقدمة كتاب فقه اللغة وسر العربية**. تحقيق فائز محمد، إميل يعقوب، ط4، بيروت: دار الكتاب العربي،1999م،ص5، زكي مبارك. **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**. بيروت: المكتبة العصرية، (د.ت). ج2 / ص230.

(3) ـــ عبد الباري. محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر**. مرجع سابق، ص 354.

صنّف: كتاب "الآداب الكبير"، وكتاب "الآداب الصغير"، وكتاب "البلاغة والخطابة"[1].

أما بلخ، فقد كان لعلمائها عناية بالعلوم اللغوية والنحوية، ولهم جهود عظيمة في خدمتها. فألفوا التصانيف وأضافوا فيها إضافات جديدة لم تكن تعرف من قبل. وعلى هذا برزت جمهرة كبيرة من العلماء في فروع اللغة وآدابها. ويكفي أن نذكر منهم:

ـــ أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي المعروف بالأخفش الأوسط توفي سنة (225هـ). كان أعلم الناس بالكلام وأحذقهم، وهو معظّم عند البصريين والكوفيين، أخذ النحو عن سيبويه، وكان غلام ابن شمّر الهروي وعى مذهبه، ولم يأخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي وتكلم على كتاب سيبويه وشرحه وبيّنه. قال الكسائي: "لم يكن في القوم أعلم من الأخفش نبههم على عوار الكتاب وتركهم (يعني كتاب سيبويه)".

ويفهم من سؤال الجاحظ لأبي الحسن البلخي أن مؤلفاته كانت من العمق والاتساع في المعنى والفكرة ليس من السهل فهمها وإدراكها، بل تحتاج إلى طول أناة وعقل يرتقي إلى أسلوبها، وفي الوقت ذاته تنم عن تبحر صاحبها في هذه العلوم، وسبر أغوارها. قال الجاحظ: "قلت لأبي الحسن الأخفش: أنت أعلم الناس بالنحو فَلِمَ لا تجعل كتبك مفهومة كلها وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم"[2].

صنّف الأخفش الأوسط كتبا كثيرة منها: "كتاب في المعاني القرآن"، وكتاب "الأوسط في النحو"، وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبب على الخليل، وكتاب "المقاييس في النحو"، وكتاب "الاشتقاق"، وكتاب "الأصوات"، وكتاب "الملوك"، وكتاب "معاني الشعر"، وكتاب "وقف التمام"، وكتاب "صفات الغنم وألوانها وعلاجها"، وكتاب "القوافي"، وكتاب "المسائل الكبير"[3]. ونذكر أيضا:

ـــ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، وهو من أهل فرياب، رحل إلى بغداد في شبابه، فتعلم على يد أبي علي الفارسي، وعن خاله أبي يعقوب الفارابي، صاحب "ديوان الأدب". وطوّف ببلاد ربيعة ومضر. فيأخذ اللغة مشافهة ثم قفل راجعا إلى بلاده، وتوفي سنة (398هـ)[4]. وكتابه "اللغة

(1) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص150.

(2) ـــ الجاحظ. **الحيوان**. ج1 / ص91 ـــ 92.

(3) ـ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج12/ ص405. القفطي. **إنباه الرواة**. ج2/ص36 ـ 43. ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج10/ص 293.

(4) ـــ الأنباري. **نزهة الألباء**. ص 236. القفطي. **إنباه الرواة**. ج1 / ص229. السيوطي. **بغية الوعاة**. ج1 / ص446،

.../...

والصحاح العربية" المعروف بالصحاح، لقي شهرة واسعة، وزادت المصنّفات التي قامت بتهذيبه أو الاستدراك عليه أو اختصاره، أو نقده، أو الانتصار له على أربعين مصنّفا، من أشهرها: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الذي لا تكاد تخلو منه مكتبة من المكتبات[1].

وبالنظر للصلات الفكرية والثقافية بين إقليم المشرق وإقليم المغرب والأندلس، فإن كتاب "الصحاح" لشهرته وغزارة مادته رحل إلى الأندلس في القرن السادس الهجري على يد أبي العباس الحضرمي ورفيقه أبي بكر الكناني، وعني به الأندلسيون عناية فائقة، وأقبلوا على دراسته ونقده وكتابة الحواشي عليه[2].

ويتميز كتاب "الصحاح" للجوهري بمراعاة الحرف الأخير من الكلمة في الترتيب العام، وهذا النظام يسعف الأدباء والشعراء ذوي القرائح المتواضعة، أو غيرهم من المتأدبين في الحصول على مجموعة من الكلمات ذات القافية الواحدة عن ممارستهم الكتابة المسجوعة أو حتى في تعلم القصائد الطوال. كما تميّز الكتاب بمراعاة الترتيب أيضا في أوائل الكلمات، بحيث تأتي هي الأخرى مرتبة ترتيبا أبجديّا، والاهتمام بضبط الحروف كان من سمات هذا الكتاب، فقد كان عدم الضبط في كثير من المعاجم السابقة يؤدي إلى كثرة التصحيف في نطق الكلمات[3].

أما هراة فقد كانت منبتا خصبا للعربية وعلومها، فشمّر بن حمدويه أبو عمرو الهروي (ت255هـ)، كان ثقة عالما فاضلا حافظا للغريب راوية للأشعار والأخبار. رحل إلى العراق في شبيبته وأخذ عن علماء عصره من الكوفيين والبصريين ممن برعوا في العربية وعلومها.

ولما رجع إلى خراسان أخذ عن أصحاب النضر بن شميل والليث ابن المظفر وألف كتابا كبيرا

ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3 / ص142، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج2 / ص205، الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4 / ص 406. حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج2 / ص1071.

(1)-فؤاد سزكين. **تاريخ التراث العربي**. م1، ج1/ص392-397،415، بروكلمان.**تاريخ الأدب العربي**. ج2 / ص259.

(2) ـ ومن هؤلاء أبو اسحاق إبراهيم بن قاسم البطليوسي (ت 642هـ)، الذي ألف كتابا جمع فيه بين الصحاح والغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام، كما وضع محمد بن علي الشاطبي (ت 648هـ) هوامش على هذا المعجم، ولأبي العباس أحمد بن محمد بن الحاج الإشبيلي (ت 651هـ) نقود على كتاب "الصحاح". وأكمل عبد الله بن محمد الأنصاري البسطي من أهل القرن السابع الهجري كتاب "التنبيه والإيضاح عما وقع من الوهم في كتاب الصحاح" الذي ابتدأه ابن القطاع الصقلي. يوسف علي بن إبراهيم العريني. **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين**. ط1، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1995م. ص 283 ـ 284.

(3) ـ انظر: **الصحاح للجوهري**. تحقيق أحمد عبد القادر عطا. القاهرة: 1956م. ج1 / ص23.

على حروف المعجم وابتدأ بحروف الجيم لم يسبقه إلى مثله أحد تقدمه ولا أدركه من بعده، وقيل إنه ضن بالكتاب في حياته فلم يسمح بنسخه. وبعد وفاته أخذه أحد أقاربه وكان عاملا للأمير أبي يعقوب بن الليث الصفار، وغرق الكتاب عندما جرى ماء النهروان على معسكر الأمير. يقول أبو منصور الأزهري: "أدركت أنا من ذلك الكتاب تفاريق أجزاء.. فتصفحت أبوابها فوجدها على غاية من الكمال، والله عزّ وجل يغفر لنا ولأبي عمرو زلته، فإن الضن بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه".

ومن مصنّفات الجوهري أيضا كتاب"غريب الحديث"،وكتاب "السلاح"،وكتاب"الجبال والأودية"[1]. وقد برع الجوهري أيضا في علم الخط. وخطه يضرب به المثل في الحسن ويذكر في الخطوط للنسوبة لخط ابن مقلة ومهلهل واليزيدي، وكان يعلم الخط الأنيق وكتابة المصاحف بنيسابور.

ـــ وكذلك أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت 370هـ)، فقد رحل إلى العراق أيضا وأخذ عن أئمة علمائه كابن دريد، وطاف في أرض العرب يجمع اللغة منهم، فوقع أسيرا في يد القرامطة. قال: "وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا نشأوا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى إعداد المياه في محاضرهم زمان القيظ، ويرعون ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في أسرهم دهرا طويلا ... واستفدت من مجاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضا ألفاظا جمة ونوادر كثيرة أودعت أكثرها في كتابي".

ويقصد بكتابه كتاب "تهذيب اللغة" في عشر مجلدات، وهو من الكتب التي فرّغها ابن منظور في كتابه لسان العرب، وقال في مقدمته: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، ولا أكمل من المحكم لابن سيّده، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيّات للطريق"[2].

وقد سار الأزهري في كتابه هذا على نهج الخليل بن أحمد في كتابه "العين" حيث اتبع في تقسيم المادة اللغوية طريقة البدء بالثنائي، فالثلاثي، فالرباعي، إلخ، ورتب الحروف حسب المخارج الصوتية، ثم إن الأزهري تميّز عن الخليل بكثرة النقل عن اللغويين قبله، فقد ذكر أنه

(1) ـــ الأنباري. **نزهة الألباء**. ص 135 ـــ 136، الأزهري. **تهذيب اللغة**. ج1 / ص 25 ـــ 26، القفطي. **إنباه الرواة**. ج2 / ص77 ـــ 78، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج3 / ص410، الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4 / ص 406.

(2) ـــ ابن منظور. **لسان العرب**. المقدمة.

استقى المادة اللغوية من كتب السابقين، وأضاف إليها ما سمعه من كلام العرب بنفسه، بل إن الأزهري اهتم بتهذيبه، وجعل هدفه فيه هو تنقية اللغة العربية من الشوائب التي تسربت إليها في مؤلفات السابقين. فكان ينبه على ذلك في تهذيبه[1].

وقد وضّح الأزهري في مقدمة كتابه قصده من تأليفه ومنهجه فيه فيقول: "وقد سميت كتابي هذا "تهذيب اللغة" لأني قصدت بما جمعت فيه: نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها،... فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات من العرب"[2].

ـــ أما في مدينة بخارى فقد اهتم أمراؤها على أيام الدولة السامانية بعلوم اللغة، وعقدوا المجالس لمدارسة المسائل اللغوية والنحوية. ويذكر أنه كان للأمير نوح بن نصر الساماني مراسلات مع العالم اللغوي النحوي أبي سعيد السيرافي يسأله فيها عن أمور تختص بعلم اللغة والنحو والأدب[3].

وقد بلغ اهتمام الأمراء السامانيين باللغة العربية إلى درجة أنّهم اشترطوا في عمّال الدواوين من ديوان الإنشاء إلى ضبط الأمور المالية وتدبير حسابات الدولة من واردات ومصروفات ومتابعة الأمور المالية والقضاء أن يكونوا ممن يتقنون لغة العرب قراءة وفهما وتذوقا. فتنافس الناس على أيامهم في تعلم اللغة العربية سعيا وراء الوظائف الإدارية وطلب الرزق. وما إن تعلموها حتى انبهروا بعظمة الآداب العربية وسحرها فأقبلوا يتعلمونها لذاتها حتى أبدعوا فيها وبرزت فيها ملكتهم اللغوية والأدبية.

وظهرت التآليف الكثيرة باللغة العربية، فوضع النرشخي كتابا في أوضاع بخارى وأحوالها وما تضمه هذه المدينة من مرافق ومنشآت[4].

"وكان تأليف هذا الكتاب باللغة العربية وبعبارات بليغة في شهور سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة"[5].

وألف البخاري كتبه باللغة العربية وأهمها كتابه "الصحيح"، وكتاب "التاريخ"، وكتاب

---

(1) ـــ انظر: في المكتبة اللغوية للدكتور حسام البهنساوي. ص 220. نقلا عن عبد الباري محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر** ... مرجع سابق. ص 348.

(2) ـــ انظر: أبو منصور الأزهري. **تهذيب اللغة**. ج1 / ص 54.

(3) ـــ أبو حيان التوحيدي. **الإمتاع والمؤانسة**. ج1 / 129 ـــ 130.

(4) ـــ سوف نأتي على ذكره في مبحث التاريخ.

(5) ـــ النرشخي. **تاريخ بخارى**. ص 15.

"الضعفاء"، وكتاب "التاريخ الصغير"، وكتاب "القراءة خلف الإمام"، وغيرها.

وفي الجغرافيا ألف الجيهاني كتابه "المسالك والممالك" باللغة العربية، يضاف إلى هذا ما كتب باللغة العربية في العلوم الأخرى من طب وهندسة ورياضيات، كل هذا يدل على عناية فائقة بالعربية وعلومها، ويرتكز كل ذلك على علم النحو.

وقد ازدهرت دراسة النحو في بخارى إلى درجة أنّ كتاب سيبويه كان يدرس للصبيان وهم في سن مبكرة[1].

وكان لعلماء بخارى مناقشات نحوية مهمة، منها الخلاف على تشكيل كلمة (محمد) رسول الله عند ذبح الأضحية. وقد قرر أحد نحاة بخارى أنه إذا قيل: (بسم الله ومحمد رسول الله). بضم الدال والتنوين، صحت الأضحية، ولو قيل: (بسم الله ومحمدًا رسول الله) بفتح الدال، أو قيل (بسم الله ومحمد رسول الله) بكسر الدال، فهي ميتة؛ لأنه إذا قيل (محمد) بالضم ابتداء وليس إضافة، فلم يحرم القائل، أما إذا قال: (محمداً) بالفتح أو (محمدٍ) بالكسر، فهي إضافة ويصير وكأنه يقول: (بسم الله واسم محمد)[2].

ومن العلماء الذين برزوا في علم النحو ببخارى نذكر:

ـ أبا نصر إسحاق بن أحمد الصفار البخاري. الذي قال عنه الحاكم: "ما رأيت ببخارى مثله في حفظ الأدب والفقه"، وقال عنه ياقوت: "كان أحد أفراد الزمان في علم العربية والمعرفة بدقائقها الخفية، فقيها.. وكان حسن الشعر ..."[3].

له تصانيف مهمة في النحو منها: كتاب "المدخل إلى سيبويه"، وكتاب "المدخل الصغير في النحو"، وكتاب "الرد على حمزة في حدوث التصحيف"[4].

ـ وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الفارسي كان "من الأعيان في علم اللغة والنحو، ورد بخارى فأُجِلّ وبُجِّلَ، ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب لها، وأخذوا عنه، وولي التصفح

(1) ـ ذنون. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى** ... مرجع سابق، ص 388.

(2) ـ المرجع نفسه.

(3) ـ السيوطي. **بغية الوعاة**. ج1 / ص438.

(4) ـ كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1 / ص340.

بديوان الرسائل"[1].

ـــ وأبو محمد إسماعيل بن محمد الدهان الذي "أنفق ماله على الأدب فتقدم فيه، وبرع في علم اللغة والنحو والعروض، ودرس على الجوهري واستكثر منه، وحصل على كتاب الصحاح في اللغة بخطه واختص بالأمير أبي الفضل الميكالي"[2].

ومن العلوم اللغوية التي عرفت في بخارى أيضا علم العروض. وهو " العلم الذي يُعرف به موزون الشعر من فاسده متناولا التفعيلات والبحور وتغييراتهما وما يتعلق بهما"[3].

ولا تشير المصادر إلا قليلا إلى المهتمين بهذا العلم: في إقليم المشرق خلال فترة البحث. ومن الإشارات القليلة، شخص يدعى أبو الحسن العروضي. كان يجاور منزل الطبيب ابن سينا، وكان ابن سينا يتردد عليه ليتعلم منه هذا العلم[4] كما كان جد العروضي المشهور محمد بن الفضل العروضي الأصبهاني يقيم في بخارى، وكان عروضيا أيضا، ويدعى أبو سهل محمد بن منصور البُرجي العروضي، بل إن محمد بن الفضل نفسه درس في بخارى[5].

ويبدو أنهم أسرة تتوارث الاشتغال بهذا العلم منذ فترة مبكرة جدا، كما كان محمد بن سليمان الصعلوكي إماما في العروض[6].

وممن ألفوا في النحو في سمرقند، محمد بن أحمد بن منصور السمرقندي (ت 320هـ) الذي كان يخلط نحو البصريين بالكوفيين. من تصانيفه كتاب: "النحو الكبير"، و "المقنع في النحو"، و "الموجز في النحو"[7].

ـــ وأبو الحسن محمد بن عبد الله السمرقندي (ت 343هـ). لغوي مشهور في سمرقند له

---

(1) ـــ الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4 / ص 432

(2) ـــ المصدر نفسه. ج4 / ص 150.

(3) ـــ إميل بديع يعقوب. **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م. ص336، وانظر: ميشال عاصي وإميل يعقوب. **المعجم المفصل في اللغة والأدب**. بيروت: دار العلم للملايين. (د. ت). ص883.

(4) ـــ ذنون. **التاريخ الحضاري** ... مرجع سابق. ص 390.

(5) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج4 / ص183، القرشي. **الجواهر المضية**. ج3 / ص304.

(6) ـــ الداودي. **طبقات المفسرين**. ج2 / ص152.

(7) ـــ المصدر نفسه. ج2 / ص87.

مؤلفات منها: "تاج المصادر في اللغة"، و "الأنوار"[1].

ولما كان علوم اللغة من علوم الآلة المطلوبة لمعرفة الدين، وفهم أسرار التشريع، فقد وجدنا الأئمة من الفقهاء يجمعون في علمهم بين العلوم العربية والعلوم الشرعية. فهذا أبو زيد عبيد الله بن عمر الدبوسي السمرقندي شيخ الحنفية في ما وراء النهر، يوصف بأنه كان إماما عالما وفقيها نحويا بارعا في فنونه. توفي سنة (430هـ).

وبعد هذا العرض يمكننا أن نتصور أن علوم اللغة العربية. قد هرت المجتمع في خراسان وبلاد ما وراء النهر. فرحلوا إلى طلبها من الأقطار وخاصة في العراق (البصرة و الكوفة وبغداد). ولما آنسوا من أنفسهم عادوا إلى بلادهم معلّمين ومبشرين بالحرف العربي، يستنفرون الناس لتعلم لغة القرآن والتفوق فيها، ويرغبونهم في تذوقها وفهم أسرارها.

وعلى هذا تزامنت النهضة العلمية في مجال علوم اللغة مع النهضة العلمية في مجال الدراسات القرآنية.

ويبدو أن ثمة علاقة بين ازدهار علوم العربية والوضع السياسي العام في إقليم المشرق في هذه الفترة. والمتمثل في بروز الحركات الشعوبية التي تهدف إلى إحياء التراث الفارسي القديم. ومزاحمة التراث الإسلامي.. الذي تنظر إليه هذه الحركات على أنه فكر دخيل، وطارئ. ينبغي مضايقته والقضاء عليه. وقد لاقت هذه الحملات الشعوبية، حركة مواجهة صامدة من كلا العنصرين العربي والفارسي الذين تجمعهما أخوة الإسلام ولغة القرآن. فالتعصب للعرق لا يعرفه الأنقياء، وسمة الإنسانية العامة الشائعة في الكتاب والسنة جعلت الفاتحين عسكريا يذوبون في البلاد المفتوحة. وصار الكل عربا مسلمين. لا فرق بين أصيل ودخيل.

والمهم أن هذه النزعات على وضاعتها لم تلق في الجو الإسلامي النظيف ما يعينها على البقاء والاستفحال ... ومضت الجماهير تخدم الإسلام بإخلاص وحماسة، شاعرة بأن الصياحين بأنسابهم استوعروا طريق الكدح والبذل.. وأرادوا ستر تخلفهم ورفع خسيستهم بإحياء النزعات العنصرية، والنعرات القبلية. التي لا يقرها دين الله كتابا وسنة. وقدمت لنا الأمة المسلمة نماذج من العلماء (عربا وفرسا وتركا).. من النحاة والبلغاء والعروضيين. الذين أسهموا بتآليف نافعة، لا تزال إلى اليوم تمثل ثروة لغوية. ظلت النُكأة والأساس لتراثنا الأدبي على مرّ التاريخ.

(1) ــ البغدادي. **إيضاح المكنون**. مج3 / ص210، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. مج1 / ص196.

1 ـ 3 ـ الأدب وفنونه

الأدب روح في الجسم، ودم في العروق يكوّن شخصية الفرد مستقلا بنفسه، ويبرز شخصية الأمة فيحيا متميّزا بأفرادها. ويتفاعل مع أحداثها، ويشخّص آمالها وآلامها، ويعطي الصورة الحقيقية للمستوى الفكري والثقافي الذي تعيشه وتنهض به.

وفي عصر الدويلات الإسلامية في إقليم المشرق، ازدهر الأدب بنوعيه الشعر والنثر. وظلت بلاطات الأمراء في مرو، ونيسابور، وبخارى، وغزنة، ينفسون على بغداد مكانتها، ويأتمون بنهجها في رعاية الأدب، ويسترشدون بمساعي خلفائها في جلب الأدباء، وتعضيد العلماء، وتشييد المدارس، وإنشاء المكاتب، وتجهيز المكتبات، وكسب رضى كل أديب لامع مهما كان أصله وعرقه وأرومته.

ويضاف إلى ذلك ظهور طبقة من الموسرين ذواقة ومتمكنة في الوقت نفسه. احتضنوا الشعراء والأدباء للاستمتاع بمجلساتهم الأدبية والشعرية في صالوناتهم الخاصة. وقد يكون ذلك بسبب من الانسجام مع بعض أغراض الشعر وبخاصة شعر المديح. ويفهم من ذلك أيضا أن العلم لا تورق أفنانه ولا تينع ثماره إلا في ظل الملوك والأمراء وأصحاب الجاه والسلطان.

إلا أنه يصعب علينا تتبع مراحل وأوجه الازدهار بالتفصيل. ولذا فإن حديثنا سيقتصر على إبراز أهم الظواهر الأدبية في الشعر والنثر، مع مراعاة الإنتاج الأدبي عند كل من العرب والفرس، محاولين الاقتضاب في الكلام. مع شرح المعالم الواضحة في عصر التألق الأدبي، مشيرين إلى أبرز شعراء المنطقة اللامعين، وأهم الأدباء المنتجين، مع الإشارة ضمنا إلى أغراض وخصائص الشعر والنثر الجارية في زمانهم.

1 ـ 3 ـ 1 ـ الشعر العربي

سبق أن أشرنا إلى أن العرب انتقلوا إلى خراسان بشكل منظم وغير منظم فاستوطنوها ونسوا بها مواطنهم الأولى أو قل تناسوها. ومن الواضح أن العرب لم ينكفئوا على أنفسهم في البلاد الجديدة. بل اختلطوا بسكانها الأصليين، فساكنوهم، واتصلوا بهم، وتزوجوا منهم بما تفرضه طبيعة العرب الاجتماعية وما تميله طبائع الاجتماع الإنساني.

وهناك إشارات تفيد أن العرب تطبعوا إلى حدّ ما بطباع أهل خراسان وقلدوهم في أكثر من جانب من جوانب حياتهم. فانطبعت نفوسهم بمظاهر الحياة في البيئة الجديدة، وراحوا ينظمون الشعر الرائق، البديع الذي يمتاز بجمال الصياغة وروعة النسيج. على نحو ما كان في شبه الجزيرة والعراق. وظهرت كوكبة من الشعراء الفحول في إقليم خراسان خلال القرن الأول الهجري.

"كزياد بن الأعجم، والمغيرة بن حبناء، وثابت قطنة، وكعب الأشقري، وأبي الهندي، والشمردل بن شريك"[1].

أما مع مطالع القرن الثالث الهجري ـــ أي: في عصر الدويلات المستقلة ـــ فقد كانت خراسان وما وراء النهر مركزا من مراكز الإشعاع الفكري والأدبي ومنتجعا من منتجعات الشعر والشعراء. قدموا إليها من أغلب البلاد المجاورة ومُنحوا الأموال الطائلة وحظوا بالمعاملة الكريمة التي عومل بها الشعراء في باقي الدويلات الإسلامية الأخرى، وحقّا فقد استطاع أمراء الدويلات المستقلة أن يجعلوا من حواضرهم ساحة نضال أدبي، وحلبة مبارزة شعرية. شاركت في إخراجها العديد من الألسن الشعرية البارزة واللامعة في هذا العصر. ولعل كتب السلف وبوجه خاص كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي. دليلنا الملموس إلى بلوغ الشعر في خراسان وما وراء النهر شأوا مديدا، ومراماً بعيداً.

فالدولة الطاهرية برع أمراؤها في الشعر والنثر والبلاغة، واهتموا بالأدب والثقافة العربية. فكان طاهر بن الحسين أديبا شاعرا لا ينفق على شيء من مُتع الدنيا كما ينفق على الأدب. مترسلا بليغا. فمن شعره قوله بعد انتصاره على الأمين مفتخرا:

ملكت الناس قسرا واقتدراً ... وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو ... إلى المأمون تبتدر ابتدارا [2].

وقوله في الإباء:

عليكم بداري فاهدموها فإنّها ... تراث كريم لا يخاف العواقبا
إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ... وأعرض عن ذكر العواقب جانبا[3].

أما عبد الله بن طاهر المتوفى سنة (230هـ) فكان من سروات الناس أدبا، أديبا ظريفا بصيرا بالشعر وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يدفع[4].

---

(1)-انظر:الهادي حمودة الغزي.**الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية**. تونس:الدار التونسية للنشر،1976م.ص127-196.

(2) ـــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص 105، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج10 / ص 243، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج1/ص354، ابن النديم. **الفهرست**. ص 148.

(3) ـــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج9 / ص353.

(4) ـــ أبو الفرج الأصفهاني. **الأغاني**. بيروت: دار الفكر،)د، ت)، ج11 / ص11، الشابشتي. **الديارات**. ص 132، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3 / ص83 ـــ 89.

وله في الرثاء قوله:

أيـا سَـرْوَتَيْ بسـتان زكّـى سَـلِمْتُمَا ومن لكمـا أن تسـلما بضـمان
ويَا سَرْوَتَيْ بُستان زكّى سَلِمْتُـمَا وغال ابن أُمّي نائب الحـدثَانِ[1].

وله شعر في الإباء يقول فيه:

أميل مع الذّمام علـى ابـن عمّـي وأحمل للصديق علي الشقيق
وإن ألفيـني ملكا مُطاعـا فإنّك واجدي عبد الصديق[2].

وله أيضا:

دعوت مُجيبا يا أبا الفضل سـامعًا ويا رب مدعو ولـيس بسـامع
فأوقعت شكواي الزمان وصـرفه إليـه بحـق في أحـق المواقـع
فصبرًا قليلاً كل هـذا سـينجلي ويدفع عنه السوء أقـدر دافـع
فما ضاق أمر قط إلا وجـدته يزول إلى أمر من الخـير واسعِ[3].

وله قصائد يظهر فيها تفننه في نظم الشعر وبراعته في صناعة الكلام[4].

كما برّز في الأدب والشعر أيضا محمد بن عبد الله بن طاهر. ووصف بأنّه أديب شاعر جيّد الشعر. يحب الأدب والأدباء ويكرمهم ويُجلهم. ومن شعره في الوصف قوله:

قالـت بناظرهـا أَقْبِـل فقُلـت لهـا بالدمع لبيك يا سمعي ويا بصري
حتى إذا علمت أن قـد كلفـت بهـا أومت إليّ بـدمع غـير مسـتترِ
يـا كـاتمي خيفـة الواشـي محبّتـه إني وعيشك أقراه مـن النّظـرِ
قولي بطرفك ما تهوين أعـرفه واستنطقي ناظري يخبرك بالخبرِ[5].

(1) ــ البكري. **معجم ما استعجم**. ج2 / ص583.

(2) – ابن قتيبة. **الشعر والشعراء**. بيروت: دار صادر، (د. ت).ص23 –24 ، ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج2/ص 314.

(3) ــ أبو علي محسن التنوخي. **الفرج بعد الشدة**. ط1، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1955م. ج1 / ص 464.

(4)– ابن قتيبة. **عيون الأخبار**.ج3/ص266،ابن الأثير.**الكامل**. ج5/ص271، ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج10/ص302ــ 303، قحطان عبد الستار الحديثي. **عبد الله بن طاهر. الأمير الشاعر**. مجلة الخليج العربي، العدد السادس، البصرة. 1976م.

(5) ــ الشابشتي. **الديارات**. ص 126.

وله في عتاب أخيه عبيد الله قوله:

إنّـــي وجـــدت علـــى جفـــا ... ئـــك مـــن فعالـــك شـــاهدَا
إنّـــي اعتللـــت فمـــا فقـــد ... تُ ســـوى رســـولك عائـــدَا
ولـــو اعتللـــت فلـــم أجـــد ... ســـببا إليـــك مُســـاعدَا
لاستشعرت عيـــني الكـــرى ... حتى أعـــودك راقـــدَا

(1).

أما عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ) فكان آخر من انتهت إليه رئاسة البيت الطاهري، كريم النفس حسن الأخلاق، وهو أبرز شاعر في بني طاهر. وقد أشار صاحب "الأغاني" إلى أنه "كان له محل من الأدب والتصرف في فنونه ورواية الشعر والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل، من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة، وله صنعة في الغناء متقنة عجيبة" (2)، وذكر ابن النديم أنه كان "شاعرا مترسلا" (3)، وقال الشابشتي عنه: "وعبيد الله من أحسن الناس أدبا وشعرا، مع كرم نفس وحسن خلق" (4)، أما ابن الجوزي فذكره بقوله: "أديبا فاضلا شاعرا فصيحا"(5).

ويبدو أن عبيد الله بن طاهر قد دوّن شعره وكتبه في مدونة خاصة كبقية مؤلفاته ليعزز به تراثه الأدبي ومكانته الثقافية، وقد ذكر ابن النديم ديوانه فقال: "شعره نحو مائة ورقة"، ويتضح أن ابن خلكان قد اطلع على هذا الديوان وأخذ عنه بعض النقول(6).

وقد وصف المؤرخون أشعار عبيد الله في ديوانه بأنها جيدة السبك شديدة الالتئام وتتصف بالطلاوة وحسن المقاصد ورقة الحاشية(7).

تطرق عبيد الله بن عبد الله في ديوانه إلى مختلف أبواب الشعر، فنظم في المدح والهجاء، وألف في العتاب والرثاء والفخر، وأجاد في الوصف والغزل، وبرع في الخمريات وتلطف في الشكوى، ونبغ في الحكمة، وهذا دليل على تمكنه من الأغراض الشعرية، وقوة ملكته الأدبية، وتأثره بالمواقف والظروف

(1) ــ ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج2 / 451.
(2) ــ أبو الفرج الأصفهاني. **الأغاني**. ج8/ص42.
(3) ــ **الفهرست**. ص 149.
(4) ــ **الديارات**. ص 110.
(5) ــ **المنتظم**. ج13/ص135.
(6) ــ **وفيات الأعيان**. ج2/ص306.
(7) ــ الأصفهاني. **الأغاني**. ج8/ص42، أبو الهلال العسكري. **كتاب الصناعتين**. ص141، ابن النديم. **الفهرست**. ص 149، الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج10/ص339، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص120.

التي كان يعيشها ويأتلف معها، كما توضح لنا قيمة هذه المؤثرات وتحسسه لها وتفاعله معها[1].

من شعره في معنى التزاور والتكاتب قوله:

حقُّ التنائي بين أهل الهوى ... تكاتب يُسْخِنُ عين النّوى

وفي التداني لا انقضى عمره ... تزاوُر يشفي غليل الجَوَى [2].

وله في الكرم والبخل قوله:

فأنفق إذا أيسرت غيرُ مقتّرٍ ... وأنفق على ما خبّلت حين تُعْسِرُ

فلا الجود يُفني المال والمالُ مُقْبِلٌ ... ولا البُخل يُبقي المال والجدّ مُدبرُ[3].

وقد أبدع عبيد الله في الرثاء. ومن شعره عند وفاة أخيه سليمان بن عبد الله. قوله:

النفس ترقى بحزن في تراقيها ... ودمعة العين تجري في مآقيها

لبقعة ما رأت عيني كقبلّتها ... ولا ككثرة أحباب ثوَوْا فيها [4].

وبرز في الشعر أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر. أديب شاعر، كان أعْرجًا. قدم من خراسان فقلده المتوكل أعمال إسحاق بن إبراهيم المصعبي بعد موته في الشرطتين ببغداد وسامراء. وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة (253هـ).

ومن شعره:

وأعجب ما في الدمع عصيان وقته ... فطاعته إن مات من تتفقّدُ

إذا قلت اسعد لم يغثني وإن أقل ... له كف عيني نم والنوم ساهد

وكتب إلى جارية له:

ماذا تقولين فيمن شقه سقم ... من جهد حبك حتى صار حيرانا

فأجابته:

إذا رأينا محبا قد أضرَّ به ... جهد الصبابة أولياه إحسانا

---

(1) ــ قحطان الحديثي. **عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ــ حياته وتحقيق ما تبقى من شعره** ــ مجلة كلية الآداب، العدد العشرون. بغداد، 1982م. ص 35 ــ 36.

(2) ــ ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص135.

(3) ــ أبو الفرج. **الأغاني**. ج8/ص43.

(4) ــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص123.

كما كان سليمان بن عبد الله بن طاهر شاعرا فحلا وصفه الشابشتي بقوله: "وكان لسليمان شعر مليح وأدب وفهم ومعرفة"[1].

والشعر في بيئة خراسان كغيرها من البيئات الشعرية لاقى رواجا وشهرة وازدهارا، وذلك بفضل رعاية الأمراء والحكام والوزراء والقائمين على شؤون الدولة لجمهرة الشعراء الذين كانوا يختلفون إلى القصور والبلاطات، يمدحون وينشدون القريض طلبا للشهرة وطمعا في المال.

ومن شعراء الطاهريين الذين اختصوا بهم:

ـ عوف بن محلم الشيباني، (ت 220هـ)، وهو أحد الأدباء الرواة، والشعراء الظرفاء، صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيّام الناس، اختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ومسامرته، فلا يسافر إلا وهو معه فكان زميله وعديله[2]. وقد بلغت ملازمته لطاهر إلى درجة أنه لم يكن يسمح له بالخروج إلى أهله، أو يأذن له بالسفر إلى وطنه، في حرّان، ببلاد الشام[3].

ولما مات طاهر بن الحسين اعتقد عوف أنه قد تخلّص من قيد الملازمة لبني طاهر ولكن ابنه عبد الله أنزله منزلته من أبيه، واجتهد عوف للتخلص منه فلم يتمكن من ذلك.

وعندما خرج عبد الله بن طاهر متوجها إلى خراسان صيّر عوفًا عديله، وقد استعبر له ورقّ لحاله الطريق حينما أنشده عوف قصيدته:

أفي كل عام غُربة ونُزوحُ ... أما للنّوى من ونيسة فتُريحُ
لقد طلّع البينُ المُشتُّ ركائبي ... فهل أُرِيَنَّ البَيْنَ وهو طَليحُ

إلى أن يقول فيها:

عسى جود عبد الله أن يعكس النوى ... فيلقي عصا التسيار وهي طريحُ

ويبدو أنها قد أثارت شجو عبد الله وحنينه، فسمح له بالعودة إلى وطنه بعد أن أجازه بالهدايا والنفقة[4].

---

(1) ـ الشابشتي. **الديارات**. ص 130.

(2) – ياقوت. **معجم الأدباء**. ج4/ص514، الكتبي. **فوات الوفيات**. ج3/ص162، الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق. ص24.

(3) ـ الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق. ص 24.

(4) ـ المرجع نفسه. ص 25.

ومن شعراء الطاهريين أيضا نذكر:

ـــ أبو العميثل عبد الله بن خليد، (ت 240هـ) ،أصله من الري، كان أعرابيا فصيحا مُكثرا من نقل اللغة، عارفا بها وشاعرا مجيدا[1]. وذكر الصولي بأنه كان شاعر آل طاهر وأخص الناس بهم. خدم طاهر بن الحسين ثم ابنه عبد الله وله في عبد الله شعر يعاتبه قائلا:

سأترك هذا الباب ما دام إذنُـهُ ... على ما أرى حتى يخـفَّ قليلا
إذا لم أجد يوما إلى الإذن سُلَّمًا ... وجدت إلى ترك اللّقاء سبيلا[2].

وله في مدحه ما أنشده:

يا من يحـاول أن تكـون صـفاته ... كصفات عبد الله انصـت واسمـع
أُصْدُق وعفّ وبرَّ واصبر واحتمـل ... واصفح وكافئ ودارِ واحلم واسْتمعْ
والطف ولِنْ وتأنَّ وارفُقْ واتئـدْ ... واحزم وجدَّ وأم واحمـل وادْفَعْ[3].

أما عمرو كلثوم بن عمرو بن أيوّب الثعلبي العتابي. المتوفى سنة (220هـ). الذي يتصل نسبه بعمرو بن كلثوم أحد أصحاب المعلقات السبع. فقد كان شاعرا. كاتبا حسن الترسل. وصفه المسعودي بقوله: "كان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، والمكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الحفظ، وصحة القريحة علم ما لم يكن لكثير من الناس في عصره مثله".

انقطع إلى البرامكة حتى إذا فتك بهم الرشيد ظل يمدحه واصلا أسبابه بطاهر بن الحسين وابنه عبد الله وعلي بن هشام أحد القواد الأجواد في العصر. ومن مثل قوله في الرشيد:

رعى أمّة الإسـلام فهـو إمامهـا ... وأدَّى إليها الحقَّ فهـو أمينـها
ويستنتج العقمـاء حـتى كأنّمـا ... تغلغل في حيث استقرَّ جنينـها
وما كلُّ موصوف له الحق يهتـدي ... ولا كل من أُمّ الصُوى يستبينها

(1) ـــ انظر ترجمته في. ابن النديم. **الفهرست**. ص 71، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص89،
(2) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 71. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص90.
(3) ـــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص89.

مُقيم بمستنّ العُلا حيث تلتقي طوارف أبكارِ الخُطوب وعُونها

وقد أعجب الرشيد بقوله فأجازه جائزة سنية[1].

كما كان عبد الله بن طاهر شديد الإعجاب بشعره فأغدق عليه العطاء. ومن شعره فيه:

حُسن ظنّي وحسن ما عود اللـ ـه سوَايَ منك الغداة أتى بي

أيُّ شيء يكون أحسن من حسـ ـنٍ يقينٍ حدا إليك ركابي

وهو القائل في مدحه:

ودك يكفينيك في حاجتي ورؤيتي كافية عن سُؤال

وكيف أخشى الفقر ما عشت لي وإنّما كفّاك لي بيت مَالْ[2].

ويطالعنا أيضا من الشعراء الرسميين في الدولة الطاهرية، أبو عيينة عبد الله بن محمد بن أبي عيينة: من أطبع الناس وأقرهم مأخذا في الشعر حسن المعرفة بالإسناد والأخبار والأيام. كان معضدا لطاهر بن الحسين في حروبه ضد الأمين، ومن رؤساء من أخذ البصرة للمأمون فولاه طاهر عليها. ولكنه عزل عنها لسوء سيرته.

وكانت بينهما علاقة حسنة، فاختص بطاهر، ولما عزل عن البصرة قدم إليه فلم يجد عنده الذي كان يأمله فكتب إليه عتابا يقول فيه:

من آنسته البلاد لم يرم عنها ومن أوحشته لم يقم

ومن يبيت والهموم قادحة في صدره بالزّناد لم يَنَمِ[3].

وهو القائل:

يا ذا اليمينين إن العتاب يشفي صُدُورًا ويغري صُدُورَا

وكنت أرى أن ترك العتا ب خيرٌ وأجدَرُ ألا يضيرا

وقد أكثر الشاعر في عتاب طاهر بن الحسين. إلا أن طاهرا لم يرض بصحبته. كما أن أبا عيينة لم يجد عنده ما كان يبغيه مما حدا بالشاعر إلى هجائه فقال:

وما طاهر إلا شفاه تحرّكت برائحة الفضل بن سهل فمرّت

فأغنت بريح الفضل كل عنائها وبالفضل ساءت حين ساءت وسرّت

---

(1) ــ شوقي ضيف. **العصر العباسي الأول**. ط8، القاهرة: دار المعارف (د. ت). ص 422.

(2) ــ الكتبي. **فوات الوفيات**. ج3/ص219 ــ 221، الحديثي. **الطاهريون**.. مرجع سابق. ص 27.

(3) ــ ابن قتيبة. **الشعر والشعراء**. ص555، الحديثي. **الطاهريون**. مرجع سابق. ص 27.

ولما مات طاهر صحب الشاعر ابنه عبد الله إلى خراسان، وكان يقدمه ويحسن إليه؛ لأنه كان مؤدبه إلى أن توفي بنيسابور[1].

ومن الشعراء الذين مدحوا الطاهريين: أحمد بن حمزة بن عمران بن بويان المزي، أحد الأعراب الذين نفذوا إلى خراسان وحُبِسُوا بها في أيام طاهر بن عبد الله بن طاهر، وله فيه أماديح كثيرة منها قوله:

إلى طاهر أشكو هُمُوما كأنّها ... لدى الصدر نار بين حضني تلهبُ
إلى مالك فاق الملوك بفضله ... فما إن يساميه من الناس مُخصِّبُ
همام كسيد الغاب رحب فِناؤه ... له في العلا بيتٌ رفيع ومنصبُ
فذاك الذي نرجو لفك أسيرنا ... كما يرتجى عفوا من الله مُذْنِبُ[2].

ولما انتقل الحكم إلى الدولة السامانية فإن الشعر سار في شريان الحياة، ودبت فيه روح التطور والتقدم. وشاعت في جوانبه وبين مضامينه وأشكاله أضواء من النشاط والحركة. وكان لوزراء هذه الدولة بوجه خاص يدٌ لا تُجحد، وجهد لا يُغمط، وفضل غير منكور..

فمكانة الوزراء السامانيين في الشعر كانت تفوق مكانة الأمراء. وهي ظاهرة أدبية تجذب النظر إليها. ويبدو أن ذلك راجع إلى حسن اختيار السامانيين لوزرائهم من بين الكتاب الأدباء. المتقنين للغة العربية. العارفين بآدابها وبلاغتها. وكان لإدراك هؤلاء الوزراء أهمية الشعر في تثبيت حكمهم، وذكر مآثرهم، وتعداد فضائلهم. أثره في جذب الشعراء إليهم، وتقريبهم منهم، ليرفعوا قدرهم عند الأمراء والرعية على حد سواء.

"وقد جرى الشعراء في هذا العصر على أساليب من سبقهم من شعراء العراق وفارس في إكثارهم من المقطوعات في المناسبات، والتفنن في التخيل والإغراق في المبالغة والإمعان في التشبيه"[3].

وظهر في عهد السامانيين عدد من شعراء العربية زخر بهم البلاط. وازدانت بهم مجالس الأمراء. وقد أفرد لهم الثعالبي جزءا في كتابه "يتيمة الدهر"[4].

ولا شك أن شعراء العربية حظوا بتشجيع السامانيين ورعايتهم كما حظي بها شعراء الفارسية على حدٍّ سواء ... وكانت بيئة المدن السامانية وما تجاذبها من تيارات فكرية

---

(1) ــ الحديثي. المرجع السابق، ص 28.

(2) ــ الكتبي. **فوات الوفيات**. ج6/ص361ــ 362.

(3) ــ محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية في المشرق**، مرجع سابق. ص 194.

(4) ــ انظر الجزء الرابع.

وعلمية ومذهبية متعددة قد جعلت الشعراء يتجهون اتجاهات مختلفة كل حسب نشأته واعتقاده وميوله[1].

ونكتفي بذكرٍ مُوجزٍ عن بعض هؤلاء الشعراء ونبدأ بـــ:

ـــ أبي الحسن علي بن الحسن اللحام، وصفه الثعالبي وصفا عجيبا فقـــال: "مـــن شـــياطين الإنس، ورياحين الأُنس، وقع إلى بخارى في أيام الحميد، وبقي بها إلى آخر أيام السديد، يطـــير ويقع، ويتصرف ويتعطل، ويهجو وقلما يمدح، وكان غزير الحفظ، حســـن المحاضـــرة، حـــاد البوادر، سائر الذكر، ساحر الشعر، خبيث اللسان، كثير الملح والغرر، راميا من فيه بالنكت، لا يسلم أحد من الكبراء والوزراء والرؤساء من هجائه إياه، وكان لا يهجو إلا الصدور"[2].

عاصر الشاعر أربعة من أمراء السامانيين هم: نصر بن أحمد، نوح بن نصر، عبد الملك الأول بن نوح، ثم منصور الأول بن نوح، ويؤيد هذا هجاؤه لأبي جعفر العتبي ومحمد بن عزيز اللذين وزرا لعبد الملك بن نوح، وأبي علي البلعمي الذي وزِرَ لعبد الملك والمنصور من بعده، وتبلـــغ المدة التي عاصر فيها الشاعر أمراء السامانيين هؤلاء قرابة خمسين سنة.

وقد تقلّد الشاعر بعض الأعمال العامة مثل بريد ترمذ مكافأة له على مدائحه للمســـئولين، ولكن الشاعر لم يكتف بالمدح وحده ليحقق أهدافه فاستخدم الهجاء كذلك، ويبدو من تاريخه وأشعاره أن الهجاء هو الفن الذي يعبر عن طبيعة الشاعر، وأن مدحه كان وسيلة للنوال. وقـــد غلب على الشاعر الفن الذي يتفق مع طبيعته، ولهذا يعتبر هذا الشاعر من الهجائين رغم ما ورد له من المدائح القليلة، ويدل على هذا أنه كان يمدح الشخص ثم يهجوه كما فعل مع أبي جعفر العتبي الذي مدحه ثم هجاه ،ولم يكن له مبدأ ثابت ولا خلق.

ولم يكن الهجاء عند اللحام أسلوبا رفيعا في هذا الفن، فقد غلبت عليه الشتائم والإســـفاف وبسبب أهاجيه عاش فقيرا، ولو اكتفى بالمدح وحده لعاش في نعمة سابغة، ولكن الهجاء كان طبعه الذي لا يستطيع الفكاك منه[3].

ومما يستملح من أهاجيه في أبي جعفر العتبي قوله:

---

(1) ـــ ذنون. **الحياة العلمية**. مرجع سابق، ص 135.

(2) ـــ **يتيمة الدهر**. ج4 / ص 102.

(3) ـــ طه ندا. **بخارى**. مرجع سابق، ص 75 ـــ 76.

تغيرت أخلاق هذا العتبي وصار لا يعـرف غـير العتـب
وغير ضرب دائم وسـب وقد حشا فصار مثـل الدُبّ
عليه ألف لعنة من ربـي[1].

وكان قد حصل على عمل البريد في خوارزم فأطال لسانه في أهلها ومن ذلك قوله:

ما أهل خوارزم من سـلالة آدم ما هم وحق الله غير بهائم
أترى شبيه رءوسـهم ولغـاتهم وصفاتهم وثيابهم في العالم
إن كان يقبلهم أبونـا آدم فأنا بريء من أبينـا آدم.

له فيهم أيضا:

لا نـال مـن ربـه منـاه ولا شـفاه ولا رعـاه
مـن سـامي الكـون في بـلاد رءوس سـكانها جبـاه
أغـدوا بـلا مـؤنس وأمسـي إمسـاء مـن ليلـه ضـحاه
لدى خسيس يظن تيـها أن ليس في ذا الورى سـواه[2].

ومن شعراء العربية في بخارى نطالع أبو محمد المطراني.. وهو شاعر مُجيد اجتذبته بخـارى إليها فيمن اجتذبت من الأدباء والشعراء، وكان المطراني قبيح الشكل، زري الهيئة إلا أنه كان فصيحا في حديثه، مؤنسا في مجلسه، محسنا في نثره وشعره. وكان إذا تكلم حـاكى فصـحاء العرب إلا أن لكنة في لسانه كانت تنم عن أصله الأعجمي.

كان هو واللحام من شعراء زمن واحد ومن المتنافسين في بلاط واحد، ومن ثم كان الهجـاء بينهما متصل لا ينقطع.

وبلغ من جودة شعر ابن مطران وذيوعه أن حُمل ديوانه إلى الصاحب ابن عباد فأعجب به وقال: "ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله"[3].

وقد أورد الثعالبي قصيدته في مدح أبي علي البلعمي الوزير وبدأها بذكر المشيب والتحسـر على الشباب. نذكر منها:

---

(1) ـ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / 105.

(2) ـ المصدر نفسه. ج4 / ص 111.

(3) ـ المصدر نفسه. ج4 / ص 116، طه ندا. بخارى. مرجع سابق، ص 78.

ألم المشـــيب برأســـي نـــذيرا ... وولى الشـــباب بعيشـــي نضـــيرا
وأصـــبح ضـــوء صـــباح المشـــيب ... لغربـــان ليـــل شـــبابي مطـــيرا
كـــذاك إذا لاح نـــور البُكـــور ... لسود الطيـــور هجـــرن الوكـــورا
هـــو الشـــيب مخـــبره مظلـــم ... وإن كـــان منظـــره مســـتنيرا
فاعجـــب بلـــون ســـواد أنـــار ... ولـــون بيـــاض أبى أن يُـــنيرا
فلـــم تـــك إلا اختيـــارا نفوعـــا ... ولم تـــك إلا اضـــطرارا ضـــرورا
ولم تـــرد الشـــر إلا جـــزاء ... أراد بـــك الله خـــيرا كـــثيرا
ولو لم تخف سوء ظن الشكـــور ... لما كنت بالسوء تجزى الكفـــورا

وله من تشبيب قصيدة:

أخو الهوى يستطيل الليـــل في ســـهره ... والليل في طوله جَار على قـــدره
ليل الهوى سنة في الهـــوى مدته ... لكنه سنة في الوصل من قصره [1].

وله في الغزل قصيدة يقول فيها:

طال افتناني بظـــبي ورد وجنتـــه ... يجني فؤادي وكفي لـــيس تجنيـــه
نص ينم علـــى أســـرار نعمتـــه ... لباسه فكمـــا يكســـوه يُعرّيـــه
فكيف ألثمه واللحظ يـــولمـــه ... والشمُ يكلمه والضمُّ يدميـــه [2].

وقد سار بعض الشعراء في تيار المجون، ووصف الخمر، مسايرة لموجة المجـــون الـــتي عصـــفت بالعراق وإقليم المشرق جميعا، إذ ظل كثير من الناس يُمعنون في شرب الخمر، واحتساء كؤوســـها، مدمنين عليها لا يرعوون ولا يزدجرون. ومعروف أن القرآن الكريم حرّم الخمر، وما كان محرّمـــا بنصه لا يحل منه قليل ولا كثير، أما النبيذ فمسكره محرم أيضا بالقياس، غير أن اجتهاد بعض فقهاء العراق من الحنفية أداهم إلى تحليل بعض الأنبذة غير المسكرة كنبيذ التمر والعسل والـــتين والبُـــرّ وكالزبيب للطبوخ فشرب الناس هذه الأنبذة وشربها الخلفاء، كما تغنى بشربها الشعراء.

ومن ذلك قول أبي الفتح البستي:

عليـــك بمطبـــوخ النبيـــذ فإنّـــه ... حلال إذا لم يخطف العقـــل والفهـــم

(1) ــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 117.
(2) ــ المصدر نفسه. ج4 / ص 121.

ودَعْ قول من قد قال إن قليـــــــله معين على الإسكار فاستويا الحكمـا

(1)

وقول رجاء بن الوليد:

هذي المـدام وهـذه التُحـف والكأس بين الشرب تختلـف

فكأنهم وكأن ساقيـــــــهم سين ترى قدامها ألـــف [2].

وكان من الشائع بين شعراء العربية في إقليم المشرق نقل المعاني من الفارسية إلى العربية واقتباس المعاني من الشعر العربي، ومن أمثلة هذا قول أبي القاسم بن أحمد الشجري:

إن شـئت تعلـم في الآداب منزلـتي وأنـني قـد عـداني العـزّ والـنعم

فالطرف والسيف والأوهاق تشـهد لي والعود والنرد والشطرنج والقـــلم

ويقول الثعالبي أن هذين البيتين منقولان عن بيتين بالفارسية للأعاجم[3].

ولعله يقصد هذين البيتين للشاعر الفارسي آغاجي بخارى وفيهما يقول:

أي آنكه نداری خـبری ازهنـر مـن خواهی كه بدانی كه نيم نعمت يرورد

آسب آر وكمند آر وكتاب وكمان آر شعر وقلم وبربط وشطرنج ومی ونـرد

ومعناهما الحرفي: إن كنت لا تدري حقيقة فضلي فاعلم أني رجل لم تفسده النعمة، فهـيء الفرس، وأحضر الكتاب والكمان والقلم والعود والشطرنج والخمر والنرد.

أي أنه رجل يجد حين الجد ويلهو في غير ذلك.

والحقيقة أن هذه الأبيات الفارسية هي بدورها مأخوذة من قول المتنبي:

فالخيل والليل والبيداء تعرفـــني والحرب والضرب والقرطاس والقلم [4].

ولأبي الحسن أحمد بن المؤمل بيتين من الشعر:

---

(1) ــ المصدر نفسه. ج4 / ص 311.

(2) ــ المصدر نفسه. ج4 / ص 136.

(3) ــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 155.

(4) ــ طه ندا. الأدب المقارن.مرجع سابق، ص 112.

تصـــور الـــدنيا بعـــين الحجـــى لا بالتي أنت بهـــا تبصـــر
الدهر بحر فاتخذ زورقـــــــا من عمل الخير به تعـــبر [1].

أخذ أولهما من قول الرودكي:

بچشم دلت ديد بايد جـــــهان كه جشم سر تونبينذ هـــــان

ومعناه: يجب أن ترى الدنيا ببصيرتك ؛ لأن عينك لا ترى الخفي[2].

وظهر تيار معاكس لهذا الاتجاه وهو التيار الإسلامي المتمثل بالتبتُّل إلى الله والزهد والمدائح النبوية. وقد أتى أصحاب هذا التيار في شعرهم بغرر المعاني، وروائع الخيال، وبدائع الصـــور، وجميل التشبيهات، ولطيف المجازات.

كقول أبي العباس المأموني:

إلـــــه الخلـــــق معبـــــودي وفي الحاجـــات مقصـــودي
ودين الكفر مـــــــــــردودي وعصمة خالـــــقي وزري
[3].

وقول أبي الفضل أحمد الميكالي في الزهد:

دع الحرص واقنع بالكفاف من الغنى فرزق الفتى ما عاش عنـــد معيشـــه
وقد يهلك الإنسان كثرة مـــــاله كما يذبح الطاووس من أجل ريشه

وقوله:

أتـــــركض في ميـــــادين التصـــابي وقد ركض المشيب على الشـــباب
وتـــأمن نوبـــة الحـــدثان نفســـي ومـــا نـــاب لهـــا عـــني بنـــابي
وكيف تلذ طعم العيش نـــــــفس غدت أترابها تحت التـــراب [4].

وقول أبي محمد إسماعيل بن محمد بن عبدوس الدهان النيسابوري في مدح الرسول ﷺ:

(1) ـــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 149.
(2) ـــ طه ندا. الأدب المقارن . مرجع سابق. ص 113.
(3) ـــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 448.
(4) ـــ المصدر نفسه . ج4 / ص 381.

أيـا خـير مبعـوث إلى خـير أمـة ... نصحت وبلغت الرسـالة والوحيـا
فلو كان في الإمكان سعي بمقـلتي ... إليك رسول الله أفنيتها سعـيا [1].

ومن الشعراء الذين كانوا من ذوي الحظوة والمكانة عند السامانيين. أبو الطيب طاهر بن محمد بن عبد الله بن طاهر (الطاهري). من أشعر أهل خراسان وأظرفهم وأجمعهم بين كرم النسب، ومزية الأدب، إلا أن لسانه كان مقراض الأعراض، فلا تزال تخرج من فيه الكلمة يقطر منها دمه، وتتبرأ منها نفسه[2].

كان يخدم آل سامان جهرا، ويهجوهم سرّا، ويطوي الضلوع على كرههم، ويتمنى زوال ملكهم. وقد عرف أمراء السامانيين عنه هذا الاتجاه فكانوا يتجاوزون إكراما له وتقديرا لحسبه وفضله. حتى إنه لما دخل على الأمير السعيد نصر بن أحمد هشّ له وبسطه وحادثه ثم قال له في عرض الحديث: "يا أبا الطيب حتى متى تأكل خبزك بلحوم الناس ؟" [3].

ومن شعره في مدح السعيد نصر بن أحمد قوله:

قديما جرت للناس في الكتب عادة ... إذا كتبوهـا أن يعادلهـا الصـدر
وأول هذا الأمر كان افتـتاحه ... بنصر وإن ولى فآخره نصْـرُ [4].

و لم يسلم أحد من هجاء الطاهري، الأمير، والوزير، وكبار رجال الدولة، بل إن عاصمة الدولة نفسها بخارى نالها الكثير من هجوه المقذع[5].

وقال يهجو الوزير الجيهاني الذي عُرف بوسواسه في الوضوء:

تقلدت بالوسواس صرفا وزرتنـا ... فـزدت بهـا تيهـا علـي عريضـا
ولست بزاو عنـك ودّا عهدتـه ... ولا قائل مـا صـح عنـه مريضـا
فما كان بهلول مع الشتم والخـنا ... وقذف النساء المحصنات بغيـضا [6].

وقد عمّر الطاهري وعاش إلى نهاية الدولة السامانية فكان شاهدا على زوالها وفي هذا يقول شامتًا:

---

(1) ـــ ياقوت. معجم الأدباء. ج2/ص310 ـــ 311.
(2) ـــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 69.
(3) ـــ المصدر نفسه. ص 70.
(4) ـــ المصدر نفسه. ص 72.
(5) ـــ المصدر نفسه. ص 70 ـــ 71.
(6) ـــ المصدر نفسه. ج4/ ص 73.

أودى ملوك بني سامان وانقرضوا ... وأصبح الملك ما ينفك ينتقض
أضحت إمارتهم فيهم وجوهرهم ... عبيدهم وهم في عرضها عرضُ
دعهم إلى سقر واشرب على طرب ... فالفجر في الأفق الغربي معترض
غدا الربيع علينا والنهار به ... يمتد منبسطا والليل منقبض
والنور يضحك في خضر البنان ضحى ... والبرق مبتسم والرعد مؤتمض
وقوضت دولة قد كنت أكرهها ... وزال ما كان منه الهم والمرض
إن أنت لم تصطبح أو تغتبق فمتى ... الآن بادر فإن اللهو مقترض

ويرجع الدكتور طه ندا سرّ هذه العداوة للدولة السامانية إلى أن أبا الطيب الطاهري عاصر الدولة الطاهرية، وكان من صنائع الطاهريين، وكان له في أيامهم أملاك وضياع ضاعت منه بضياع دولتهم، وكان كل خير يقدمه إليه آل سامان يعد في نظره قليلا بالنسبة لما ضاع منه، وهذا سرُّ نكرانه الفضل وهجائه هذه الدولة[1].

ولا يمكن أن نختم الحديث عن شعراء العربية في خراسان وما وراء النهر دون أن نتحدث عن أبي الفتح علي بن محمد الكاتب البستي المتوفى سنة (400هـ). كان أحد الفضلاء الأدباء في بلده. يقول الثعالبي بحقه: "رأيته يغرف في الأدب من البحر، وكأنما يوحى إليه في النظم والنثر، مع ضربه في سائر العلوم بالسهم الفائز، وأخذه منها بالحظ الوافر ..."[2].

زار أبو الفتح نيسابور مرارا بعد تسلم محمود بن سبكتكين الغزنوي أمر نيسابور، وجمعت المودة بينه وبين نظرائه من العلماء والأدباء فيها، وأحاطه الخاصة بالمحبة والرعاية. حتى أن فقيه نيسابور أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي وابنه إمام أهل الحديث فيها كانا شديدي الإعجاب بأبي الفتح، فإمام أهل الحديث يحفظ شعر أبي الفتح ويردده في مجالسه، وهو القائل: "ما كنت أعرف لرقص الصوفية سببا حتى سمعت قول أبي الفتح:

يقولون ذكر المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن له نَسْلُ
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فإن لم يكن نسل فإنا بذا نَسْلُوا"[3].

(1) ــ طه ندا. بخارى. مرجع سابق. ص 82.

(2) ــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 302.

(3) ــ المصدر نفسه. ج4 / ص 285، أديل. الحركة العلمية.. مرجع سابق. ص 163.

وقد برع أبو الفتح بنظم الشعر وكتابة النثر. وقد قال لصديقه أبي منصور الثعالبي ما أحوج الأمير محمود بن سبكتكين إلى كاتب، ويقصد نفسه ،فقال:

كتب الأمير كتائبا في المعركة ... والرأي منه طبيب داء المملكة
إذا رمى بالظن أمرا مشكلا ... أضحت ستور الغيب عني مهتكة

ويفهم من هذا أن أبا الفتح قد اختّص بالرسائل السياسية البارعة وتأثير هذا يُغني عن تسيير الجيوش، وفيها أجود ما يمكن أن تصل إليه براعة الكتب، ويصف نثره وشعره قائلا:

وقد تعددت أغراض أبي الفتح الشعرية فكتب في الفخر والغزل والخمر والإخوانيات والشكوى والعتاب والهجاء والحكم والمواعظ[1].

وله شعر رقيق اللفظ رائق المعنى مقبول الصنعة في الإخوانيات ومنه قوله:

أخ زكي النفس والأصل والفرع ... يحل محلّ العين منّي والسمع
تمسكت منه إذْ بلوت إخاءه ... على حالتي وضع النوائب والرفع
بأوعظ من عقل وآنس من هوى ... وأرفق من طبع وأنفع من شرع [2].

وله قصيدة معروفة يخبرنا "المتنبي" بأنها كانت عالية الشأن في زمانه يحفظها الناس عن ظهر قلب. ولا يزال "المنشدون" ينشدونها إلى الآن في مقاهي "القاهرة"، ومطلعها:

زيادة المرء في دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران [3].

ومن نادر حكمه قوله:

لا تحسبني إذا أوليتني نعما ... أني أخو وهنٍ في الشكر أو كسل
فإنني نحل شكر إن جنى ثمرا ... أجناك من قوله أحلى من العسلِ [4].

وكان شعره ينطق بالنصح والموعظة ومن ذلك قوله:

---

(1) ــ انظر: الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 307 ــ 334.

(2) ــ المصدر نفسه. ج4 / ص 320.

(3) ــ إدوارد براون. تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي. ترجمة إبراهيم أمين الشواربي. مصر: مطبعة السعادة، 1954م. ص 114.

(4) ــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / 330.

لا تحقـــر المـــرء إن رأيـــت بـــه دمامـــة أو رثاثـــة الحُلَـــلِ
فالنّحل شـيء عـلى ضؤولـته يشتاق منه الفتى جـنى العسـلِ [1].

وذكر فضل القلم في شعره فقال:

إذا أقســم الأبطــال يومــا بســيفهم وعــدُّوه ممــا يكــسب المجــد والكــرم
كفى قلم الكتاب مجـــدا ورفـــعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلـــم [2].

ومن خلال تعداد الظواهر الأدبية وأهم أعلام الشعر العربي في إقليم المشرق، يمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

1 ــ أن أغلب الشعر العربي الذي ظهر في إقليم المشرق تعددت أغراضه على غرار أغراض الشعر العربي القديمة ؛من مديح، وهجاء، وغزل، ووصف، وغيرها ....

2 ــ حظي الشعر العربي برعاية كبيرة من قبل الأمراء والوزراء. بالرغم من الأصل الفارسي لهم لأنهم اعتبروا نصرة العربية من نصرة الدين الذي اعتنقوه وتمسكوا به. بالإضـافة إلى أنهـم اعتبروا أن تقريب الشعراء والأدباء وإجزال العطايا والمنح لهم، يشيد بذكرهم، ويرفـع مـن قدرهم، ويسجل مآثرهم.

3 ــ أجواء الحرية الفكرية التي عاشها الشعراء في ظل حكام كل من الـدولتين الطاهريـة والسامانية، فرغم تطاول الشعراء على الأمير نفسه، وأهل بيته، ورجال دولته فإن أحدا لم يمسهم بسوء، وقد رأينا فيما مرّ كيف أن الأمير السعيد نصر بن أحمد لم يزد على أن عاتب الشاعر أبي الطيب الطاهري عتابا رقيقا وهو الذي ولغ في أعراضهم، وسلقهم بلسان حادٍ قاطع لا يرحم.

4 ــ لم يترك شعراء خراسان وما وراء النهر بابا إلا طرقوه. وخاصة غرض المديح، وذلـك لما كان من المنافسة بين الشعراء، لإرضاء الأمراء والوزراء والتقرب منهم، والنيل من أعطياتهم.

5 ــ رأينا أن الشعراء يحاكون الأسلوب العربي القديم في نظـم القصـيدة، إذْ يسـتهلونها بموضوع كالنسيب أو الشكوى أو الوصف قبل الانتقال إلى الموضوع الأساسي للقصيدة. ومن أمثلة ذلك قصيدة المطراني التي أوردناها فيما سبق، فإنه بدأها بذكر المشيب وما اعتـراه مـن ضعف الصحة والتحسر على الشباب قبل المدح الذي هو موضوع القصيدة. ولا شـك في أن

(1) ــ الثعالبي. يتيمة الدهر. ج4 / ص 331.

(2) ــ الثعالبي. التمثل والمحاضرة. تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1961م. ص 157.

هذه المقدمة كانت تهدف إلى غرض في نفس الشاعر[1].

6 ـــ تميز الشعر في هذه الفترة بالعفوية حيث يخرج عند الشعراء في سهولة وانتظام لا استكراه في قوافيه ولا تكلف في معانيه. ولا شك أن عفوية الشاعر وقوة طبعه هما العنصران الأساسيان اللذان يبلغان بالشعر مستوى فنيا بديعا.

7 ـــ كما تميز بكثرة للمقطوعات الصغيرة، وربما كان الدافع إلى ذلك هو أن الحياة الصاخبة في خراسان وما وراء النهر، وحالة الطوارئ التي تعيشها المنطقة من غزو وفتح وجهاد.. جعل الشعراء يقصرون نظمهم على المقطوعات دون القصائد المطولة. التي كان ينظمها شعراء العرب في بيئتهم الأولى.

8 ـــ من الموضوعات الشائعة في هذا الشعر الإباحية والمجانة والفسوق ،ولم يكن في أغلبه مهذبا رقيقا ؛ إذ انتشر فيه ذكر العورات والتعبير عن الأغراض الشعرية الجنسية بتعبير حسي داعر، وقلما رأينا شاعرا سلم شعره من ذلك. وإلى جانب الغزل الطبيعي بالمرأة انتشر الغزل بالذكور أيضا وهو أمر مألوف في تلك الأشعار. وفي "يتيمة الدهر" للثعالبي أنماط فاحشة من هذا الغزل يعف عن تسطيرها القلم.

ولعل شيوع هذا الانحلال الخلقي أمر طبيعي في بيئة كبيئة بخارى (عاصمة السامانيين)، فهي أولا بيئة نهرية تحف بها المياه والأنهار من كل جانب، ومن طبيعة البلاد التي تقع على الشواطئ أن تكون أكثر تعرضا لدواعي الانحلال، وفي هذا المعنى يقول المقدسي: "وكل بلد على بحر أو نهر فالزنا واللواطة فيه كثير مثل سيراف وبخارى وعدن"[2]. بالإضافة إلى أن مظاهر الترف والخلاعة واختلاط الأجناس وكثرة الوافدين على المدينة من أهل النحل والأديان والأفكار الأخرى يجعل عرضة للفساد والمفسدين.

1.2.3.الشعر الفارسي:

حين أشرق نور الإسلام على بلاد فارس، واتصل العرب بالفرس اتصالا أعقب آثارا شتى في النُظم والعادات والتقاليد، والعقائد واللغة والثقافة، استبان أن العرب أخذوا من الفرس كثيرا، وأعطوهم كثيرا، وليس يعيب العرب أنهم نقلوا، ولا ينتقص من الفرس أنهم أخذوا، فإن الأمم كانت ولا تزال تتبادل النظم والثقافات كما تتبادل السلع والخبرات، بل إن المعرفة تنتقل

(1) ـــ طه ندا. بخارى.. مرجع سابق. ص 88.

(2) ـــ أحسن التقاسيم. ص 36.

بسلطانها الذاتي من صُقع إلى صُقع، ومن أمة إلى أخرى، كما تنتقل السحائب والرياح لا تصدها عوائق ولا تردها حواجز.

وقد تبيّن لنا ـــ فيما سبق ـــ كيف أن اللغة العربية حظيت باهتمام الفرس طيلة القرنين الأولين للهجرة، وصارت لغة الدين والأدب والديوان، وتوارت اللغة الفارسية إلى حين.

ومع منتصف القرن الثالث الهجري جدّ الفرس في بعث لغتهم، وإحياء أدبهم، وذلك مع ظهور الدولة الصفارية، فإن يعقوب الصفار لما تسلط على خراسان ومن قبل على سجستان نفر من الشعراء الذين وفدوا عليه يمدحونه باللغة العربية "بل إنه لم يكن يفهم ما يمدح به باللغة العربية على منابر المساجد أيام الجمعة، فكان يترجمها له بالفارسية شعرا كاتبه محمد ابن وصيف"[1].

ورغم أن سوق الأدب لم تكن نافقة على أيام الصفاريين؛ لأن الطابع الحربي غلب على تاريخهم. مما جعل دورهم في النهضة الأدبية ضئيلا إن لم يكن معدوما، إلاّ أن الروايات تشير إلى بعض الشعراء الذين لمع نجمهم ممن شجعهم البلاط الصفاري على الإنشاد باللغة الفارسية. ومنهم:

ـــ فيروز مشرقي وهو شاعر معاصر لعمرو بن الليث (265هـ ـــ 287هـ)، قيل عنه: أنه كان بعيدا عن الخطأ في اللغة الفارسية، توفي سنة 282هـ.

ـــ ومن الشعراء أيضا: أبو سليك الجرجاني، وقد عاصر كذلك عمرو بن الليث، وتنسب له هذه الأبيات، وهي تشير إلى مقدرته كما أنها دليل على عظم شأنه:

خون خودرا كربربزى برزمين ... به كه آبروى ريزى دركنار

بت برستيدن به أزمردم برست ... يندكير وكاربند وكوشدار

ومعناها:

"لو على الأرض سفكت دمك،
لكان خيرا من بذل ماء وجهك،
وإن عبادة الأصنام خير من عبادة الأنام.
فاقبل النصح، واعمل به، وافتح له أذنك"

وشاعر آخر من شعراء الصفاريين هو محمد بن وصيف السيستاني، وقد ظل اسمه مجهولا حتى ظهر كتاب "تاريخ سيستان"، وكان على رواية هذا الكتاب، يشغل عمل كاتب الرسائل

(1) ـــ رضا زاده شفق. **تاريخ الأدب الفارسي**. ترجمة محمد موسى هنداوي. القاهرة: دار الفكر العربي. (د.ت). ص 24.

عند يعقوب بن الليث، وقد نظم الشعر في مدحه بالفارسية.

ووردت له قصيدة في مدح يعقوب مطلعها:

أي أميري كه أميران جهان خاص وعام بده وجاكر ومولاى وسك بند وغلام.

ومعناه:

"يا سيد أمراء العالم من خاص وعام،
هم عبيد لك وموال وخدّام" [1].

وكان رجال يعقوب شأنهم شأنه يتذوقون الشعر الفارسي الجيد ويتأثرون به، وقد أشار نظامي عروضي سمرقندي في كتابه "جهار مقاله" إلى أحمد الخجستاني أحد أعوان الصفاريين الذي سمع شعرا فارسيا أوقد في نفسه الحمية، ودفعه إلى الثورة على الصفاريين.

وقد ترجم إدوارد براون هذه الأبيات على هذا النحو:

"إذا كانت العظمة في أشداق أسد كاسر،

فالتمسها من أشداقه وتقدم إليه وخاطر،

فإما أدركت العظمة والعزّ والنعمة والجاه،

وإما لقيت حتفك في رجولة وعدمت الحياة"[2].

وفي ظل الدولة السامانية انتعشت اللغة الفارسية، ونضج أدبها، وعاود الفرس العناية بمفاخرهم القومية وبعث سير ملوكهم وأبطالهم وانطلقت من قصور أمرائها أعذب القصائد، وحج إليهم كبار الشعراء. وتم ذلك كله في إطار إسلامي صرف، وبعيدا عن التعصب وآية ذلك أن النهضة الثقافية العربية تمضي جنبا لجنب مع تلك النهضة الأدبية الفارسية، فاللغة الجديدة كتبت بالحرف العربي، واستخدمت في البلاط ودواوين الحكومة، بل وجدنا أن بعض أهل الفتيا في البلاط أفتى بجواز الصلاة باللغة الفارسية، وادعى علماء الدين عندهم أن الأنبياء المتقدمين كانوا يتكلمون الفارسية حتى زمن إسماعيل عليه السلام جد العرب[3].

---

(1) ـــ رضا زاده شفق. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق، ص 24.

(2) ـــ **تاريخ الأدب في إيران**. مرجع سابق. ص 23.

(3) ـــ بارتولد. **تاريخ الحضارة الإسلامية**. ط5، القاهرة: دار المعارف. (د. ت). ص 103.

وقد نبغ الشعراء في ظل السامانيين وظهر الكتاب والمفكرون. وانحصر الشعر في تيارين قويين هما:

التيار الغنائي: الذي مثّله أغلب شعراء هذا العصر كالرودكي، وأبي العباس الربنجني، وأبي المثل البخاري، وأبي إسحاق الجوبياري، وأبي الحسن الآغجي، والطحاوي، والخبازي النيسابوري، وأبي الحسن الكسائي وغيرهم. إلا أن أحدهم لم يبلغ ما بلغه الرودكي من السمو بأشكاله وموضوعاته.

والتيار الملحمي: الذي مثّله الدقيقي بنظمه ألف بيت من الشاهنامة التي تعتبر الأساس الأكبر لظهور شاهنامة الفردوسي في عصر الغزنويين[1].

ويكفي أن نقف مع هذين الشاعرين الكبيرين: الرودكي، والدقيقي، لتستبين لنا ملامح النهضة الأدبية والارتقاء بالشعر الفارسي في عصر السامانيين:

ففي عصر نصر الثاني (301هـ ـ 331هـ) لمع "الرودكي" أول شاعر غنائي فارسي. وإن كان شعره لا يخلو من كلمات عربية، وإن كانت أوزانه التي اصطنعها كأوزان جميع شعراء الفرس من بعده مفرغة في القوالب العربية[2].

وقد ولد "الرودكي" في قرية صغيرة بالقرب من سمرقند. ولم يكن جميل المنظر فحسب، بل كان عذب الصوت بارعا في الموسيقى، وقد انخلعت صفة المجون على كثير من شعره.

وقد دعا "الرودكي" في شعره إلى فلسفة في الحياة، بعيدة عن الهم، ناضحة بالسعادة، مستوحاة من حب النساء والغناء والخمر، على الرغم من أن الإسلام يحرم كل ذلك. وكان إلى جانب هذا مؤسسا للملحمة التعليمية، وهي أخصب فروع الأدب الفارسي على الإطلاق[3].

كما استطاع "الرودكي" أن ينظم كتاب "كليلة ودمنة" الهندي القديم الذي سبق للإمبراطور الساساني كسرى أنوشراون (531 ـ 579م) أن أمر بَرْزَويه ـ طبيبه الخاص ـ بترجمته إلى اللغة الفهلوية، والذي نقله إلى العربية في صدر الدولة العباسية عبد الله بن المقفع وكأنه ردّها

(1) ـ علي الشابي. **الأدب الفارسي في العصر الغزنوي**. ص 43.

(2) ـ كارل بروكلمان. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. مرجع سابق. ص 264.

(3)- المرجع نفسه.وانظر: بديع محمد جمعة.**دراسات في الأدب المقارن**.ط2،بيروت:دار النهضة العربية،1980م.ص193-194.

إلى أصلها الفارسي[1]. ومن حسن الحظ أن هذا العمل الكبير لم يضع كله فقد بقي منه ستة عشر بيتا من الشعر تضمنها كتاب "أسدي" المعروف "بلغة فرس" وهو المعجم الذي ألفه أسدى سنة452هـ[2].

وبهذا العمل الضخم عدّ مؤرخو الأدب الفارسي "الرودكي" رائد الشعر القصصي الفارسي[3]. بل إن شهرة الرودكي بزت من سبقه من الشعراء حتى لقب بأنه أبو الشعر الفارسي[4].

ويبالغ النقاد في تقدير شعره، فيقول العوفي صاحب "لباب الألباب" إن أشعاره بلغت المائة دفتر ويورد رشيد[5]. السمرقندي شعرا في هذا:

شعر أورا برشمردم سيزده ره صد هزار هم فزون آيد كرجونانكه بايد بشمرى

ومعناه:

"إني عددت شعره مائة ألف ثلاث عشرة مرة ،وإنه ليزيد عن ذلك إذا لازمتك المقدره"[6].

بلغ " الرودكي" قمة مجده في حادثة تاريخية ملخصها: أن الأمير نصر بن أحمد الساماني أطال المقام بهراة لأن طبعه ناسب هواء تلك المدينة لجمال منظرها، وحسن جوها، واعتدال هوائها، وكان الأمير يطوف بأنحاء تلك المدينة وبضواحيها ليستمتع بخريف المدينة المليء بالخيرات، وبربيع سرخس وصيف جبال باذغيس، وكان من نتائج ذلك أن نسي الأمير بخارى التي هي العاصمة الأولى للدولة السامانية.

ومل أمراء الدولة طول الإقامة بهراة وسئموا بعدهم عن بخارى التي بها أوطانهم ومساكنهم، وضياعهم وعقارهم، وأعيتهم الحيل في حمل الأمير على السفر إلى بخارى فاستعانوا في آخر الأمر بالرودكي، وطلبوا إليه أن ينتهز فرصة اجتماعه بالأمير في مجلس من مجالس الأنس فيحثه على السفر إلى بخارى.

---

(1) ــ كارل بروكلمان. **تاريخ الشعوب الإسلامية**. مرجع سابق. ص 264، وانظر: براون. **تاريخ الأدب في إيران**. مرجع سابق. ص 28.

(2) ــ حسن أحمد محمود. **الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى**. ص 101.

(3) ــ عبد المجيد أمين بدوي. **القصة في الأدب الفارسي**. بيروت: دار النهضة العربية، 1981م. ص 397.

(4) ــ محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية**.. مرجع سابق. ص 198.

(5) ــ من شعراء الدولة السلجوقية كان معاصرا للسلطان ملكشاه.

(6) ــ رضا زاده شفق. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 31.

وقام الرودكي بما طلب إليه، فنظم قصيدة يشيد فيها بذكر بخارى وطيب هوائها، وعلو شأنها، وأنشدها مغناة بين يدي الأمير، وما أن انتهى منها حتى فتح الطريق إلى قلب الأمير، وملك زمام شعوره، وبعث في روحه الحنين، فلم يتمالك نفسه وأسرع في التوجه إلى بخارى دون أن يتم ترتيب نفسه.

ومما جاء في هذه القصيدة ما معناه:

نسيم (جوى موليان) يسري ... وعطر الحبيب العطوف ينفح

ورمال نهر جيحون مع خشونتها ... تغدو حريرا تحت قدمي

ويفيض ماء جيحون طربا بوجه الحبيب ... فيبلغ وسط الجواد [1].

أبشري يا بخارى وعيشي طويلا ... فإن الملك مقبل ضيفا عليك

فما الأمير إلا بدر وبخارى السماء ... والبدر يسري نحو السماء

وما الأمير إلا شجر السرو وبخارى بستان ... والسرو يسير نحو البستان [2].

وقد أفل نجم "الرودكي" في أواخر حياته، وذلك حين غضب عليه الأمير الساماني لأسباب دينية، فتبدلت سعادته شقاء ونعيمه بؤسا، وفي ذلك يقول:

"وألماه: واحسرتاه: على أن قطع دور الزمان

على الطريق دون أن يكون معي آلة ولا سلاح

كلما بدت لي مجد بدت لي بعده محنة

ولا غرو فلم تكن الأيام لتمر دون أن تصنع العجائب" [3].

ويفسر بارتولد سرّ ما أصاب الرودكي من بلاء بقوله: "إن الرودكي أذاع أراء لا تتفق مع الإسلام فقد قال: "لا معنى لتحويل الوجه إلى القبلة والقلب منجذب إلى القدسية المجوسية ويجب الإيمان بحب الإله العام لجميع الأديان، فإن إلهك يقبل حبك ولكن لا يقبل صلاتك"، وعبر عن السماء والأرض بأنهما أبو الإنسان وأمه، وقال عند موت أحد معاصريه: "إنه رفع

(1) ــ يقصد. من السهل عبور النهر على ظهور الخيل.

(2) ــ الرشخي. **تاريخ بخارى**. ص148 ــ 149، محمد علي حيدر. **الدويلات الإسلامية**.. مرجع سابق. ص 198 ــ 199، دنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص 166، حامد عبد القادر. **قصة الأدب الفارسي**. القاهرة: لجنة البيان، 1951م. ج1 / ص 135 ــ 137، رضا زاده شفق. المرجع السابق. ص 30.

(3) ــ حامد عبد القادر. المرجع السابق. ج1 / ص 134، حيدر. المرجع السابق. ص 199 ــ 200.

روحه السامية إلى السماء ووارى جسده الأسود التراب".

كما أظهر الرودكي بصراحة تامة محبته وإخلاصه للخلفاء الفاطميين الشيعيين[1].

وقد تابعت المحنة الرودكي إلى آخر حياته حتى توفي سنة 329هـ.

أما الشاعر الفارسي الثاني الذي تألق زمن السامانيين فهو أبو منصور محمد بن أحمد الدقيقي الطوسي، الذي اقترن عصر شهرته بعهد السلطانين منصور بن نوح، ونوح بن منصور.

ترجع شهرة الدقيقي إلى أنه أول من نظم الملحمة الفارسية، ونظم الأساطير الإيرانية الأولى، وكان قد أتمّ نظم نحو ألف بيت منها، عرض فيها لظهور زردشت وتوطد دينه حين اغتاله غلامه التركي، ولعل الدقيقي هو الذي وجه الفردوسي إلى هذا العمل فيما بعد، فضمّ الفردوسي أعمال الدقيقي إلى ملحمته الكبرى، (الشاهنامة).

وتختلف الروايات في مقدار أبيات شاهنامة الدقيقي، ولكن عرف بعد وفاته أنها تبلغ ألف بيت[2].

وقد ثارت حول الدقيقي نفس التُّهم التي ثارت حول الرودكي فيتهمه بارتولد [3]. بالمجوسية؛ لأنه صرح بعلاقته بالعقيدة الزردشتية قائلا:

دقيقي جار خصلت بركز يده است — بكيتي ازهمه خوبي وزشي

لب ياقوت رنك وناله جنك — من خون رنك ودين زردهشتي

ومعناها:

"الدقيقي اختار أربعة أشياء من كل الخير والشر في الدنيا: الشفة في لون الياقوت، وزمزمة العود والخمر القانية ودين زردشت".

ويعقب إدوارد براون على ذلك بقوله: "إن إعجابه بالمجوسية كان قاصرا على ناحية واحدة هي ما تبيحه من شرب الخمر "[4].

---

(1) ــ بارتولد. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق. ص 104.

(2) ــ رضا زاده شفق. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 32 ــ 33.

(3) ــ **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق. ص 104 ــ 105.

(4) - Brown. **A Literary History Of Persia.** Vol. I. P 475.

نقلا عن. حسن محمود. **الإسلام والحضارة العربية**. مرجع سابق. ص 103.

وحين قامت الدولة الغزنوية وورثت السامانية في بعث الأدب والفكر، تطورت الحياة وازدهر الأدب وأصبح على العلماء أن يحتذوا النماذج التي أثرت عن العصر السامانى، وقدّر للشعر الفارسي أن ينطلق انطلاقته الرائعة، وهذه الانطلاقة ليست لأنهم أكثر تذوقا للشعر ممن سبقهم من الأمراء الفرس أو أكثر إجازه للشعراء وجذبا لهم نحو بلاطهم، إنما نعتقد أن السبب كامن في أن النهضة الفارسية كانت قد رسخت أقدامها وشق الشعر الفارسي طريقه بنجاح، ووضحت أصوله، وتمكنت جذوره. وكان من حسن حظ الغزنويين أن الشعر في عصرهم كانت قطوفه دانيات، غزر إنتاجه، وحسن سبكه، وصفا نبعه، وترقرقت قوافيه فنسب إليهم. وثمة أمر آخر يُفسر هذه النهضة التي اقترنت بالعصر الغزنوي، وهو الأحداث التاريخية البارزة التي وقعت في إيران في السنوات العشرين في (387هـ) إلى(408هـ)، فقد توفي الصاحب بن عباد سنة (387هـ)، كما زالت الدولة السامانية من الوجود سنة (390هـ)، ثم قتل بعد ذلك شمس المعالي "قابوس" (سنة 403هـ) [1]، على يد جماعة من الأشراف الثائرين. كما قتل أيضا "مأمون الثاني" ملك خوارزم عقب ثورة أعقبها ضم ممتلكاته إلى السلطان محمود سنة (408هـ). واستطاع السلطان محمود بواسطة ذلك وبواسطة الفتح والغزو أن يضم إليه رجال الأدب والعلم الذين كانوا يحيطون بخصومه من الأمراء السابقين[2].

ومما يؤكد النزعة الأدبية الفارسية لدى محمود الغزنوي ما يذكره العتبي حول اهتمامه بالشعراء من الفرس في بلاطه. "فوجدهم قد عولوا معانيها على إسار في أكناف الحضرة من الأشعار الفارسية لازدحام شعرائها على بابه الرفيع بقصائدهم التي عبروا فيها ديباجة الرودكي وصنيعة الخسروي والدقيقي، ولعمري إنها كافية شافية"[3].

والنهضة الأدبية في العصر الغزنوي لم تجانب غالبا موضوعات الأدب في العصر السامانى، وانحصر الشعر كشأنه في العصر السامانى في تيارين: ملحمي وغنائي:

أما الملحمي: فمثله الفردوسي بشاهنامته التي أقامها على تجربة الدقيقي والتي تبلغ ستين ألف بيت تغنى فيها بتاريخ قومه وأساطيرهم إلى الفتح الإسلامي. فكان بذلك أعظم شاعر ملحمي عرفه المسلمون[4].

---

(1) ــ شمس المعالي قابوس، حاكم طبرستان. يرجع نسبه إلى "آل قارن" وهم إحدى الأسر السبع الرفيعة على أيام الساسانيين. انظر: البيروني. **الآثار الباقية عن القرون الخالية**.ص39.

(2)-إدوارد براون.**تاريخ الأدب في إيران**.مرجع سابق.ص118،حسن محمود.**الإسلام والحضارة العربية**.مرجع سابق.ص104.

(3) ــ العتبي. **تاريخ**. ج1 / ص 52.

(4) ــ علي الشابي. **الأدب الفارسي في العصر الغزنوي**. مرجع سابق. ص 43 ــ 44.

أما الغنائي: فقد مثله أغلب شعراء هذا العصر كمنوجهري والعنصري والفرخـــي ورابعـــة القصدارية وغيرهم، وهاموا بذواتهم في لوعتها وانطلاقها، في ثورتهـــا وهـــدوئها، في نزقهـــا وخفوتها، في السماء أو في الأرض هياما فارسيا لا يحدُّ. إلا أن منوجهري بما أوتي مـــن حـــس مرهف، وخيال بارع، وثقافة واسعة، فاقهم جميعا.

ـــ وبالرغم من أن العصر الغزنوي قد نبغ فيه كثير من مشاهير العلماء والأدباء، ممن كـــانوا أساتذة في العلوم والآداب، إلا أنه ينبغي أن نلاحظ أن الفردوسي كان محور هـــذا العصـــر في الآداب القومية، التي أخذت تغذيها الأفكار الشعوبية التي هالها ما رأت عليه من انتصار الإسلام واللغة العربية في إقليم المشرق. فالفردوسي نشأ في طوس بخراسان وأحاط بالأخبار والقصـــص والحكايات التي تخص تاريخ إيران القديم، وكانت القصص الإيرانية من أيام الحروب، والأعياد العامة، تقرأ بين يدي الملوك. وقد كانت للفرس كتب كثيرة تحكي تاريخهم القديم تبلغ العشرين أو أكثر من بينها كتاب"خداى نامه" في تاريخ ملوك إيران وقصصهم ترجمه ابن المقفـــع مـــن البهلوية إلى العربية، وكتاب"كرنامك أردشير بابكان" وكتاب "يادكار زريران" الذي يطلقون عليه شاهنامة كشتاسب، وهما لا يزال باقيان إلى اليوم، وكتاب "حكومة طوس" لأبي منصـــور محمد بن عبد الرزاق الطوسي، الذي كتبه في عهد آل سامان[1].

فأراد الفردوسي أن يؤلف كتابا يثير فيه الروح العنصرية للشعوب الإيرانية، ويشيد بالأساطير الفارسية القديمة التي فقدوها، فكتب ملحمته الوطنية المشهورة "بالشاهنامة". وهي عبارة عـــن منظومة يبلغ تعداد أبياتها ستون ألف بيت وفقا لقول الفردوسي. وإن كان الـــبعض يـــرى أن الشاعر لم يكن دقيقا في ذكر هذا العدد، وأن أبيات "الشاهنامة" لا تتجاوز الخمسين ألف بيت.

وتتناول "الشاهنامة" تاريخ الإيرانيين منذ أقدم عصورهم إلى ســـقوط الساســـانيين وزوال ملكهم على يد العرب، وهو تاريخ طويل يشتمل على ثلاثة عهود:

ـــ عهد أسطوري ويبدأ بكيومرث ويستمر حتى فريدون.

ـــ عهد بطولي ويبدأ من قيام كاوه حتى مقتل رستم.

ـــ عهد تاريخي يبدأ من أواخر عهد الكيانيين ويستمر حتى نهاية حكم الساسانيين.

وقد بلغ الفردوسي في تصوير ذلك كله قمة الأسلوب الملحمي، وحُقّ له أن يتبـــوأ مقـــام

(1) ـــ رضا زاده شفق. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 49 ـــ 50، علي الشابي. المرجع السابق. ص111.

الصدارة في هذا المضمار، وأصبحت شاهنامته المثل الأعلى الذي احتذاه الشعراء الإيرانيون في نظم الملاحم في جميع صورها: البطولية والتاريخية والمذهبية، وكانت سببا في ظهور نهضة خاصة في نظم الملاحم بدأت في القرن الخامس الهجري ولا تزال مستمرة حتى اليوم[1].

وبعد هذا الجهد المتواصل الذي بذله الفردوسي في إتمام الشاهنامة وتقديمها للسلطان محمود الغزنوي. كان يأمل أن يجازيه جزاء حسنا بعد أن أضاع كل أمواله وعقاراته في سبيلها جزاء يرفع عنه الفقر الذي حلّ به، ويخفف من شيخوخته الواهنة. ولكن السلطان عزف عنه غاضبا ولم يمكنه إلا من عطية يسيرة لا تتناسب مع جهده الكبير وآماله الواسعة[2].

ولئن كان بعض المؤرخين[3]. يرجعون سبب عزوف السلطان محمود عن الفردوسي لأسباب تتعلق بوشاية الحساد، والوقيعة بينه وبين الشاعر الموهوب، بالإضافة إلى أن الفردوسي أغرق في ذكر مفاخر الفرس وتحقير الطورانيين (والترك منهم) مما أثار حفيظه السلطان، أو إلى تشيع الفردوسي الشديد.

فإن هذه الأسباب في نظري تابعة وليست أساسية إذا ما علمنا أن الفردوسي كان داعية للعنصرية والشعوبية، وإغفاله لعظمة العرب ودورهم في نشر الإسلام بل أخذ في الطعن عليهم والتحقير من شأنهم، ووصفهم بأنهم الحفاة العراة الذين يشربون الألبان ولا يلبسون إلا كل بالٍ ورقيع، وفي المقابل نجد السلطان محمود رجُلاً متعصبا للدين الإسلامي، شديد التمسك بالسنة، وكانت له اليد الطولى في ضرب الطوائف الدينية التي بدأت تدعو للإسماعيلية والاعتزال وغيرها.

ويجمع النقاد الشرقيون والغربيون على الإعجاب الشديد بهذه الملحمة الهائلة ما عدا المستشرق الكبير إدوارد براون فهو لا يشاركهم حماستهم ولم ير في الشاهنامة ذوقا أدبيا رفيعا، ولا جرسا موسيقيا جميلا. إلا أنه لا يغفل مكانتها في اللغة والأدب والتاريخ. فيقول: "فالشاهنامة ـــ في رأيي ـــ لا يمكن أن ترقى إلى مستوى المعلقات العربية ..... وهي مملّة من حيث الوزن الذي صيغت فيه.. وليت الأمر يقتصر على ذلك بل إن التشبيهات الكثيرة التي تتردد فيها تبدو لي مملة مضجرة للغاية، فكل بطل فيها هو الأسد الرابض أو الفيل الهائج

(1) ـــ عبد الكريم حتامله. **البنية الإدارية للدولة الغزنوية**. ط. عمان. 1991م. ص 105.

(2) ـــ المرجع نفسه.ص 113، ول ديورانت. **قصة الحضارة**، عصر الإيمان. ترجمة محمد بدران، ط2، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1965م، مج4، ج2/ص235 ـــ 236.

(3) ـــ المرجع نفسه.

أو التمساح المائح، وإذا تحرك فهو الدخان المتطاير أو الغُبار المتناثر أو الريح الصاقر ...!! "[1].

ولا يخفي بعض الدارسين ملاحظاتهم حول "الشاهنامة" وكيف أنها صبغت في كثير من مقاطعها بالصبغة الإسلامية العربية في كثير من مظاهرها، والدليل على ذلك أن أكثر ملوكها وأبطالها من الموحدين المؤمنين بالله واليوم الآخر، وبقضاء الله وقدره. ولأن الصورة التي بها لجمشيد ـــ في تسخير الجن في نحت الأحجار وتخمير الطين وتشييد البناء، وفي ركوبه متن الهواء على تخت، وفي ثرائه العريض وملكه الواسع ـــ قوية الشبه بالصورة القرآنية لسليمان عليه السلام، وهذه الصورة الفارسية ليست منقولة من التوراة، لأن السفرين اللذين يتحدثان عن سليمان في العهد القديم ليس بهما شيء من تسخيره الجن والريح، كذلك ليس بهما شيء عن قصة الهدهد مع ملكة سبأ، وإنما نجد في الإصحاح العاشر من سفر الملوك الأول والإصحاح التاسع من أخبار الأيام الثاني أن ملكة سبأ تسمع بسليمان فتذهب إلى أورشليم في موكب عظيم ومعها هدايا كثيرة لتمتحنه، ثم تعود إلى بلادها[2].

وقد نظم الفردوسي ـــ فضلا عن الشاهنامة ـــ قصة "يوسف وزليخا" وهي منظومة روائية عبّر في مقدمتها عن ندمه على ما كرسه من جهد لملوك المجوس وأساطيرهم في شاهنامته، ويتحسر على ما ضاع من عمره في سبيلها، وكان الأولى أن يثور على السلطان مرّة أخرى، ويُعبّر عن خيبة أمله فيه، إلا أن الفردوسي لم يهجه هذه المرة كما لم يهجه من قبل ... وكل ما في "يوسف وزليخا" تعريض خفيف بالسلطان لا يقترب من الهجاء بأية حال [3]، والقصة لا تزال باقية ،وتتضمن جميع أشعارها مع اختلاف النسخ من ستة آلاف إلى تسعة آلاف بيت.

وللشاعر علاوة على هاتين المنظومتين الكبيرتين أشعار أخرى، ولا يوجد شاعر في العالم عرف شعبوية مماثلة للفردوسي، فنصوص أشعاره ترن في آذان الفارسيين على مرّ الأزمان. كما وردت في بعض الكتب باسمه أبيات معدودة، من المقطوعات والغزليات والرباعيات[4].

توفي الفردوسي ما بين 411هـ و 416هـ. وقد نيف عن الثمانين، ودفن في

---

(1) ـــ **تاريخ الأدب في إيران**.. مرجع سابق. ص 168 ـــ 169.

(2) -أحمد محمد الحوفي. **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**. ط3، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.(د.ت).ص296-297.

(3) ـــ انظر: براون. **تاريخ الأدب في إيران**.. مرجع سابق. ص 175، حتاملة. **البنية الإدارية**. مرجع سابق. ص 123.

(4) ـــ رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 60. Bamate.Haidair. **Visage De Lislam**. E.n.a.l.3Ed.Alger.1991.p.221.

(حديقةالفردوسي) بجانب المقبرة العباسية بطوس ،[1]. وقبره يزار.

ــ أما الشعر الغنائي فإن عمدته في هذا العصر هو "منوجهري" الذي ألهب الشعر الفارسي بالموضوعات الغنائية التي تشمل الإشادة بالعظماء والتغنّي بالرياض والطيور ومجالس الأنس، ولا تكاد تجد له بيتا تسرّب إليه اليأس أو تحلّله السأم، بل إن الطابع المميّز له هي الفرحة الغـــامرة والانطلاق واللاانهائية[2].

لم يكن الشاعر "منوجهري" بدعا حين وقف جزءا كبيرا من شعره على المـــدح، ذلـــك أن زحمة الحياة، وتفرد البلاطات باحتضان الأدباء ورعاية الشعراء، وكفالة العيش الرغيد لهم، جعل التنافس يستعر في قصور السلاطين، فالفائز من استطاع أن يستميل السلطان، ويستولي علـــى قلبه، ويقتنص ما تجود به يداه.

اتصلت أسباب الشاعر في بداياته الأولى بمنوجهر بن قابوس بن وشمكير صاحب طبرســـتان، وبعد وفاة هذا الأخير يمّم "منوجهري" شطر مدينة غزنة حيث سبقته شهرته إلى هناك فلقي من حسن الاستقبال والاستقدام ما جعله يدبج القصائد الغُرِّ في مدح السلطان مسعود الغزنـــوي. ومما قاله فيه قصيدته التي مطلعها:

"يا عظيم خراسان وشاهنشاه العراق، يا من يدين له الملوك بالطاعة"[3]. ومن قوله فيه أيضا:

"أيها الملك الشهير كالنجمة العالية إلى متى وأنت في القصر ؟ أحضر إلى الحديقة فإن عيـــد النوروز قد حضر.

البستان يحرق عوده فأحرق أنت الألم، واليمامة توقّع على الناي فوقّع أنت على الطنبور".

وتعتبر مدائح "منوجهري" للسلطان مسعود وثائق تاريخية هامة، عنيت بتسجيل حياة مســـعود ووقائعه مع السلاجقة بدقّة، كما شملت أشعاره أيضا وزراء مسعود ورجال دولته مثل: أبي ســـهل الزوزني، وأبي القاسم كثير، والطاهر دبير، وعلي دايه، والعنصري، وعلي بن عمران، وفضل بـــن محمد الحسيني، وأبي حرب بختيار. وكلهم نالوا حظّا من مبالغاته التي تصل أحيانا إلى حدّ التعسف[4].

---

(1) ــ مقدمة عبد الوهاب عزام. **الشاهنامة**. للفردوسي. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية 1932م. ص 67.

(2) ــ علي الشابي. **الأدب الفارسي في العصر الغزنوي**. مرجع سابق. ص 187 ــ 188.

(3) ــ منوجهري. **الديوان**. ص 129 ــ 132 ــ نقلا عن. الشابي. **الأدب الفارسي**.. مرجع سابق. ص 186.

(4) ــ الشابي. المرجع السابق. ص 189.

وقد تبحر هذا الشاعر في اللغة العربية، و لم يسلك سبيل بعض المعاصرين له، من الاقتصار على اقتباس المعنى أو الأسلوب فقط، بل كان يستعمل أحيانا الألفاظ العربية الغريبة والتراكيب النادرة.

ولكنه مع ذلك لم يخرج شعره عن المنهج المألوف، فقد كان له وقع مخصوص، وتُحس في أسلوبه خفة الكلمات، مع الانسجام التام ونضوج الفكرة.

وتبدأ أغلب قصائد منوجهري بوصف الطبيعة والغزل، وكثيرا ما يعمد إلى الدقة في الوصف، واختيار الكلمة المناسبة للمعاني الجميلة، ويمكن أن تعتبر قصيدته المسماة "شمعية" التي قالها في لغز الشمع مثالا من هذا.

ويعلم من الرجوع إلى ديوان هذا الشاعر أنه قد ألف الطبيعة والرياض والورود والأشجار ونغمات الطيور، فإن له شعرا جذابا في وصفها، وقلّ أن تجد ديوانا فارسيا يرد فيه هذا القدر من أسماء الثمار والورود والطيور.

وتثير أشعار منوجهرى الفرح والسرور، وتبعث قراءتها النشاط والطرب، وخصوصا نوع الشعر المسمى المسمط [1]. ويعتبر الشاعر من الذين ابتكروا هذا الفن فتتجلى فيه روح المرح والسرور[2].

وعلى غرار الفردوسي في اقتناص اللّذة المحرمة، وتمثُّل الصور التي يأباها الإسلام نجد "منوجهري" أيضا يمدح الوزير المسلم أحمد بن عبد الصمد وزير مسعود الذي يرعى مصالح المسلمين في الرقعة القصيّة للشرق بشرب الخمر، فيقول له:

".. مثل يد وزير ملك المشرق (أحمد بن عبد الصمد) الذي لم تخل يده قطّ من الخمر المعصّدة لوافر جوده".

ومرّة أخرى فإن شراهته اللّذية كفارسي، وتحلّله من المثل الإسلامية قد فرض عليه أن يلتمس إلى ممدوحه (أحمد بن حسن الميمندي) وزير مسعود أن يتربّع في إشراقة الشمس ويحتسي الخمر كجمشيد

---

(1) ــ التسميط: هو اعتماد الشاعر تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف و التمثيل، وسُمي تسميطا تشبيها بالسمط في نظمه، كقول امرئ القيس: مِكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معا.
فأتى باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد، وجاء بالثانيتين شبيهتين بهما في التعديل و التمثيل، و المراد من هذا أن تكون الأجزاء متوالية أو أن تكون مسجوعة. انظر: الخطيب التبريزي. **الوافي في العروض و القوافي**. تحقيق فخر الدين قباوة، ط4، دمشق: دار الفكر، 1986م، ص258.

(2) ــ رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 48.

"تربّع كالشمس واحتس الخمر كجمشيد، فرحا مليئا بالأمل كابن كيقباذ"[1].

هكذا كانت نفس الشاعر تعج بمحبة الحياة، وتتهالك على مفاتنها في شراهة عارمة، فلا ترى نغمة حزينة في شعره، أو آهة مبرحة تعتصر كيانه، كل ما فيه مرح عاصف، وهُيام آسر بالخمر والطبية والحسان وهي جماع ما أوقف نفسه عليه ... ولم يخطئ النقاد الفرس حين سموه شاعر المرح واللذة[2].

وللمنوجهري ـــ بعد مهارته في الشعر ـــ دراية بالعلوم، فيذكر في إحدى قصائده أن له معرفة بعلوم الدين والطب والنحو.ويشتمل ديوان أشعاره الموجود حوالي ثلاثة آلاف بيت، وتوفي منوجهري سنة (432هـ) [3].

ومن أعلام الشعر الغنائي الفارسي أيضا يطالعنا أبو القاسم حسن بن أحمد العنصري، أستاذ فن القصيدة الأول في الشعر الفارسي، وشاعر السلطان محمود الغزنوي والذي وقف شعره على مدحه ووصف حملاته وغزواته وبخاصة في بلاد الهند لنشر الدين الإسلامي وتحطيم الأصنام، فخلد بذلك ذكر هذا السلطان وعدد مآثره[4]. ولأنه بزّ جميع الشعراء في البلاط فقد لقبه محمود بـ (ملك الشعراء)، وأمر كل شاعر في المملكة أن يعرض شعره عليه، حتى يميّز بين غثّه وسمينه ليكون صالحا للعرض، فأصبح مجلسه لذلك مقصد الشعراء.

وقد اجتمع للعنصري بسبب ذلك جاه ومال عظيمان، وكان كما يقول دولتشاه يترأس أربعمائة شاعر يسيرون في ركاب محمود [5]، وقد اجتمع له أن يجمع في مجلس السلطان بين منصب النديم ومنصب الشاعر.

وقد وصف الخاقاني ثراء العنصري في قوله:

"شنيدم كه أز نقره زد ديدكـــدان زززساخت آلات خوان عنصـــري

(1) ـــ الشابي. **الأدب الفارسي**.. مرجع سابق. ص 199 ـــ 200.

(2) ـــ رضا زاده. المرجع السابق، ص 48.

(3) ـــ المرجع نفسه.

(4) ـــ حتاملة. **البنية الإدارية** ... مرجع سابق. ص 128.

(5) ـــ الشابي. المرجع السابق. ص 241.

أي: "سمعت أن العنصري قد اتخذ موقدا من الفضة، واقتنى من الذهب أدوات خوانه" [1].

ويشكك براون في أسباب ثراء العنصري ويرى أنّها ترجع إلى أسباب خفية لا تتصل بجودة أسلوبه وبراعة فنه الشعري.. ! [2].

ومحور أشعار العنصري، يدور حول قصائده التي كانت أغلبها في مدح السلطان محمود، وأخيه الأمير نصر، وابنه السلطان مسعود، وقد سجّل فيها إنجازاتهم وفتوحاتهم. والحقيقة أن أغلب تلك القصائد، من عيون قصائده، وقد ضمنها أدقّ المعاني وأجودها، كما اختار كلماتها أبدع اختيار[3].

ويمكن أن نجمل مميزات شعره فيما يلي:

1 ــ أنه نظم حملة من المثنويات القصصية الكثيرة أهداها إلى خزانة يمين الدولة. منها: "شاد بهر" و"عين الحياة" و"وامق وعذراء" و"خنك بت" (الصنم الأبيض)، و"سرخ بت" (الصنم الأحمر). وقد ضاعت كلها ولم يبق إلا ديوانه الذي يؤكد النزعة الغنائية في الشعر الغزنوي لكنه يخلو من التصنيع في أساليبه البلاغية.

يقول في مدح محمود:"هو سيد خراسان وشمس الكمال فذو الجلال جعل العز والجلال وقفا عليه.هو يمين الدولة وبه الدولة حازت الشرف وهو أمين الملة وبه الملة اكتسبت الجمال".

"يقولون إن العالم كله كان مطيعا لجمشيد: الشياطين والملائكة والوحش والمستأنس على الدوام. فإذا كان هذا صحيحا فإما أن يكون جمشيد قد اكتسب جاهه منك وإما أن اسمك كان منقوشا على خاتم جمشيد".

2 ــ وامتاز العنصري أيضا بأن ابتكر طريقة جديدة أدار عليها نسيبه تسمى بالمناظرة على طريقة السؤال والجواب وقد باشر هذه الطريقة قبل أن يشتهر الشاعر "أسدي" بها[4].

وكان العنصري يجيد الغزل، ولو أن فضل السبق في هذا الفن كان للرودكي،وللعنصري ديوان قصائد يُقال بأن مجموعه كان في الأصل عبارة عن ثلاثة

(1) ــ رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 41.

(2) ــ **تاريخ الأدب في إيران**. مرجع سابق. ص 140.

(3) ــ رضا زاده. المرجع السابق. ص 41 ــ 42.

(4)- الشابي.**الأدب الفارسي**.مرجع سابق.ص242،حتاملة.**البنية الإدارية** ... مرجع سابق.ص 130 ــ 131.

آلاف بيت. توفي العنصري سنة (431هـ)[1].

كما اشتهر أيضا في بلاط السلطان محمود الشاعر أبو الحسن علي بن جلوغ السجزي من سجستان. وهو تلميذ العنصري، وقد لقبه رشيد الدين الوطواط "بمتنبي العجم" لأنه اختصّ كأبي الطيب المتنبي بالسهل الممتنع، وله كتاب في فنون الشعر اسمه "ترجمان البلاغة"، يعتبر من النماذج الأولى لفن البلاغة باللغة الفارسية، واعتمده رشيد الدين الوطواط في تأليف كتابه "حدائق السحر في دقائق الشعر"،[2]. ويرى دولتشاه أن ديوانه على شهرته بما وراء النهر كان مجهولا بخراسان وطُبع حديثا بإيران عدة طبعات[3].

كان الفُرّخي شاعرا غنائيا لأنه وقف شعره على المدح والغزل والطبيعة وأجاد العزف على الرباب، وكان يعمل بالزراعة عند أحد الدهاقين في سيجستان نظير أجر معين، وكان هذا المرتب يكفيه في أول الأمر غير أنه تزوج بإحدى النساء اللائي كن في قصر "خلف" فزادت نفقاته ولم يكفه مرتبه، وعلم بذلك الدهقان فزاد له في راتبه.ولكن الفرخي لم يقنع بهذه الزيادة، وأخذ يتنسم الأخبار عله يسمع عن سيد في أي جهة من الجهات يلجأ إليه، ويصيب خيرا على يديه، وأخيرا استدل على الأمير أبي المظفر الجاغاني، فأسرع يُنظّم قصيدة في مدح هذا الأمير مطلعها:

باكراون حله برفتم ازسيستان باحله تنيده زدل بافته زجان

ومعناه: "خرجت من سجستان مع قافلة الحلة، ومعي حلة مطرزة بدماء قلبي منسوجة من أشجان روحي.

فلما توجه إلى الأمير ووصل إلى دار ملكه وجده قد خرج من بلدته إلى بعض المراعي يشاهد فيها رجاله وهم يسمون جياده بالكي في ميدان الوسم (داغگاه). وكان عميد حشمه المسمى "أسعد" يعد الطعام الفاخر ليرسل إليه، فتقدم إليه الفرخي وأنشده القصيدة وأعجب بها لما فيها من حلاوة وعذوبة ورقة فن، ولكنه لم يصدق أن يكون هذا الرجل السجزي المهلهل الثياب، الرث الهيئة من قمة رأسه إلى أخمص قدميه يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر. فقال له: إن الأمير بموسم الدواب وأنا ذاهب إليه وسآخذك معي، ووصف له مكان الوسم وطلب منه أن ينظم قصيدة فيه. فلبى الفرخي هذا الأمر، ونظم قصيدته المعروفة "بالدغگاه" فجاءت غاية في الجودة

(1) ــ رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**.مرجع سابق، ص 42.

(2) ــ براون. **تاريخ الأدب في إيران**. مرجع سابق، ص 144.

(3) ــ الشابي. المرجع السابق، ص 245.

والعذوبة. جاء في أبياتها الأولى:

"منذ كست الخضرة وجه مراعيها،

تعددت الألوان فوق روابيها"

والأرض تلوي من المسك والعبير ما لا شبيه له ولا حصر له من نوافج الغزلان، وأشجار الصفصاف تخرج ما لا حد له من الأوراق الشبيهة بأجنحة الببغاوات.

وليلة الأمس، فاح الهواء بروائح الربيع في منتصف الليل..

فيا حبذا نسيم الشمال، وما أجمل روائع الربيع.

وأنشدها أمام الأمير، وكان يتذوق الشعر، فأعجب بها، ودعا الشاعر وأجزل له العطاء، وعلا أمر الفرخي في خدمة الأمير علوا كبيرا. وبلغ شأوا بعيدا من العظمة والجاه، ثم التحق بخدمة السلطان محمود الغزنوي فلما رآه على هذه الحال من العظمة والرفعة والجاه، تولاه بما هو جدير به، فما زال شأنه في علو وارتقاء حتى بلغ عدد من يتبعه من الخدم إذا ركب عشرين غلاما يتمنطقون بمناطق من الفضة الخالصة، وبقي الفرخي في بلاط الغزنويين إلى أن توفي سنة (429هـ). في عهد السلطان مودود بن مسعود بن محمود الغزنوي[1].

وكانت أعظم قصائد الفُرّخي تلك التي أنشدها في عهد الغزنويين يمدح فيها السلطان محمود وأبناءه. وفي قصيدة يمدح فيها السلطان محمود وجيوشه، يقول:

ـــ "كل جيش له أمير مثل محمود

يكون اليمن من يمينه واليسر من يساره

ـــ سيوفهم مثل النار تحرق العدو ليلا ونهارا

وجيادهم مثل السفينة تقطع البحر طوال الشهور والأعوام

ـــ خيامهم من العجائب مثل البحر وقت الموج

وديارهم من الغنائم كالسفينة الموثقة بالأحمال

(1) ـــ براون. تاريخ الأدب في إيران. مرجع سابق. ص 144 ـــ 152، رضا زاده. تاريخ الأدب الفارسي. مرجع سابق. ص 45، حتاملة. البنية الإدارية ... مرجع سابق. ص 134 ـــ 135.

ـــ قرون وحيد القرن أوتاد مرابط دوابهم في السفر

ومخالب الأسود تعاويذ خيولهم في الصيد

ـــ يعبرون الأنهار العميقة كما عبر موسى النيل

ويعتلون من الخنادق جدران الحصون كالصقور "[1].

وكان الفرخي كالعنصري، يستهل أغلب قصائده ومدائحه بوصف بدائع الطبيعة، وله أيضا مقدرة ممتازة في الغزل، كذلك كانت له مهارة فائقة في اختيار اللفظ والمعنى، والتشبيهات اللطيفة. وكان يتجنب التكلف والتعقيد، وتغلب على أشعاره البساطة وغزارة المعاني.

ويمكن أن تعد قصيدته، في وصف السحاب، نموذجا يظهر في تشبيهاتها وعباراتها قدرة الشاعر، ومطلعها:

"تصاعد الغمام من سطح المحيط الأزرق

مضطربا، كأنه طبع ولْهى، أو كأنه رأي عشّاق.

ويتضمن ديوانه أكثر من تسعة آلاف بيت، وفضلا عما يحتويه من القصائد فإنه ينتظم كذلك الغزليات والقطع، والترجيعات بند[2]. والرباعيات وقد مدحه له كثير ممن عاصروه أو جاءوا بعده كالعنصري، ورشيد الدين الوطواط وغيرهم[3].

ويمكن أن نخلص من حديثنا عن الشعر الفارسي إلى القول بأن الوشائج التي استوثقت بين الشعرين العربي والفارسي في هذه الفترة لكافية أن تستوقف الباحث عند مقاطعها، فشعراء الفرس أنشأوا عروضهم محاكيا للعروض العربي في دوائره وبحوره ومصطلحاته، وإن آثروا بعض الأوزان العربية، لأنها أكثر طواعية من لغتهم، وأقرب إلى طباعهم، وزادوا على بعضها الآخر، ونقصوا منه، ولكن بعض التغيير في بعض الأوزان لا ينفي أن الشعر الفارسي قائم على أوزان عربية.

---

(1) ـــ حتاملة. **البنية الإدارية**.... مرجع سابق. ص 136.

(2) ـــ أقرب الأساليب إلى الموشح العربي نوع يسمى البند، وهو قسمان ـــ ترجيع بند وتركيب بند ـــ وذلك أن تقسم المنظومة إلى أقسام "خانات" في كل قسم أبيات مقفاة الأضرب فقط على النسق المألوف في القصائد، لا على نسق الموشحات، وبعد كل قسم بيت يكرر بعينه ـــ في المنظومة كلها ـــ فيسمى ذلك ترجيع بند فإن كُرّر رويه فقط سمي تركيب بند.انظر: عبد الوهاب عزام. **أوزان الشعر وقوافيه في العربية والفارسية والتركية**. مجلة كلية الآداب. ديسمبر. 1933م.

(3) ـــ رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 46.

ونستطيع أن نلخص التعديل الذي أدخله الفرس على الأوزان العربية وعلى القافية في عدة أمور:

1 ــ أضافوا إلى البحور الستة عشر المعروفة في الشعر العربي ثلاثة أبحر سموها الغريب والقريب والمشاكل.

2 ــ أطالوا بعض الأوزان، فأجازوا في بحر الرمل ــ وهو في العروض العربي ستة أجزاء أو أقل ــ أن يكون من ثمانية أجزاء.

3 ــ تصرفوا في بعض الزحافات والعلل تصرفا أدى إلى توليد أضرب مستقلة عن الأوزان العربية. كما نجد في الرباعي.

4 ــ لم ينظموا إلا قليلا في بعض البحور العربية التي أكثر منها العرب كالطويل والكامل والمديد والوافر والبسيط. وأكثروا من النظم على البحور التي قلّل منها العرب، كالمجتث والمضارع والمقتضب.

وهناك بحور أكثر منها الفرس والعرب على السواء كالهزج والرمل والخفيف والمتقارب.

5 ــ أما القافية فقد حاكوا العرب فيها، ونقلوا عنهم مصطلحاتها، إلا أنهم أكثروا من القافية المزدوجة وسموها المثنوي [1]، وأكثروا من الدوبيت [2]. أي الرباعي، وخالفوا نظام الموشحات العربية وسموها بند.

6 ــ التزموا القافية في القصيدة كلها أوفي مقاطع منها[3].

1 ــ 3 ــ 3 ــ النثر العربي:

الإنشاء مظهر العقل، ومرآة الخاطر، يتأثر بما ينال المدارك والمشاعر من عوامل الحضارة، ونتائج العلم، وظواهر العمران.

وفي أيام الدولة العباسية حدث الأثر العظيم في العقول والميول وظهر ذلك على أقلام الكاتبين وألسنتهم، فقد استنبطوا عيون المعاني، وتخيّروا شريف الألفاظ، مما لم يكن حوشيا ولا

(1) ــ المثنوي: نسبة إلى مثنى، أي يتفق كل شطرين في الروي، كما نجد في الشاهنامة.

(2) ــ دوبيت: من أربعة أشطر تتفق في الروي في الأول والثاني والرابع، وينفرد الثالث غالبا وهو الذي انتقل إلى العربية باسم دوبيت.

(3) ــ أحمد محمد الحوفي. **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**. مرجع سابق. ص 299 ــ 300.

سوقيا وفتحوا أبواب البديع، وعنُوا بالتنميق والتنسيق.

ومع انتشار العمران، واتساع نطاق الدولة لم تعد الكتابة مقصورة على الدواوين وإنشاء الرسائل كما كانت في الدولة الأموية. بل تعدتها إلى أغراض شتى، وحلت الكتابة محل الخطابة في قمع الأهواء، وردع الأعداء، وإطفاء الفتن، وتأليف القلوب. وتنوّع الكُتاب بتنوع الدواوين: فكان منهم كتاب الخراج والنفقات، وكتاب المظالم والقضاء، وكتاب الجيش والشرطة، وكتاب الضياع والإقطاع، وكتاب الرسائل، وهؤلاء هم أساطين البلاغة وأستاذو البيان[1].

ومع عصر الدويلات المستقلة في إقليم المشرق شهد النثر تطورا ملحوظا على غرار تطوره في البلاد العربية. ويمكن أن نعرف النثر بأنه: الأسلوب المتبع في التعبير، ويكون النثر لغة مكتوبة أو منطوقة، منطويا على معنى، وخاضعا لأصول اللغة، كما يرتفع النثر إلى ما فوق مستوى التأليف العادي، باستخدامه السجع والجناس والطباق.

ويصنف النثر إلى صنفين: النثر الفني، والنثر الأدبي والتأليفي.

ويقصد بالنثر الفني: ما يرتفع به أصحابه من لغة الحديث العادية، ولغة العلم الجافة، إلى لغة فيها فن ومهارة وروية، ويوفرون له ضروبا من التنسيق والزخرف، فيختارون ألفاظه وينسقون جمله[2].

وهو يشمل الخطابة، والرسائل الديوانية، والتوقيعات، والإخوانيات، والقصص والمقامات. أما النثر التأليفي فهو "أسلوب من نثر الكتابة، يصور المعاني الذهنية، متأثرة بعواطف الكاتب، ومن أهم خصائصه الفكرة الجيدة المتأثرة بالتجربة الذاتية، والممتزجة بالعاطفة، وغايته نقل الحقائق في أسلوب جميل رائع قصد الإفادة والتأثير معا، وأظهر مميزاته الجمال، ومنشأ جماله ما فيه من خيال بديع، وتصوير دقيق، وكلمات توحي وتؤثر"[3].

ونحن نعني بالنثر التأليفي هنا هو تأليف كتب أدب بمفهوم القرن الثالث والرابع الهجريين لكلمة أدب. فقد كان الأدب آنذاك يقصد به الثقافة العربية الخالصة التي يستهدف بها التأديب ككتاب "الكامل" للمبرد، و"الأمالي" لأبي عالي القالي، و"الأغاني" للأصفهاني، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي.

(1) ــ أحمد حسن الزيات. **تاريخ الأدب العربي**. ط28، بيروت: دار الثقافة، 1978م. ص 239 ــ 240.

(2) ــ حنا الفاخوري. **تاريخ الأدب العربي**. بيروت: المطبعة البوليسية، (د. ت). ص 316.

(3) ــ أشرف محمد موسى. **الكتابة العربية الأدبية والعلمية**. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1978. ص 104.

وسوف نمزج في حديثنا عن الأدباء الناثرين بين النوعين من النثر؛ لأن مقام التمثيل والتدليل يقتضي ذلك. والجدير بالذكر أن الأدباء في الدويلات الإسلامية في خراسان وما وراء النهر ـــ خلال فترة الدراسة ـــ بلغوا درجة رفيعة في النثر الفني والتأليف الأدبي، وأبدعوا فيها وكان لهم في ذلك إنتاج رائع، وإجادة لصناعة الأدب منقطعة النظير.

ففي عصر الطاهريين وجدنا أن الأدب علا شأنه، وراجت سوقه في قصور الأمراء، بل شكل آل طاهر، وحدهم مدرسة أدبية متفردة ،ويدل على ذلك مشاركتهم في النشاط الأدبي، في تلك الفترة.

فهذا طاهر بن الحسين تتحفنا مصادر الأدب والتاريخ بكثير من رسائله وتوقيعاته، وخطبه... نجد ذلك في "تاريخ" الطبري، و"الكامل" لابن الأثير، و"تاريخ" ابن خلدون، و"العقد الفريد" لابن عبد ربه.

وقد استطاع الدكتور صفوت زكي أن يجمع شتات هذه الرسائل والتوقيعات بنسبة كبيرة وحفظها بصورة مجموعة في كتابه النفيس "جمهرة رسائل العرب" فأورد لطاهر بن الحسين ست قطع جزلة قوية، كما أورد لعبد الله بن طاهر ومحمد بن عبد الله وطاهر بن عبد الله وعبيد الله ابن عبد الله[1].

أما ما أورده ابن عبد ربه في كتاب "التوقيعات والفصول" فهي جملة كبيرة رائعة من التوقيعات وفصول العتاب والشكر وحسن التواصل والبلاغة وغيرها[2]. وما ذكره الجهشياري الذي عني عناية فائقة بالوزراء وكيف وصلوا إلى مناصب الوزارة والإنجازات العظيمة التي قاموا بها، وما أثر عنهم من أدب رائع يستحق التبجيل والتسجيل[3]. فأورد تحفا غالية من الأدب الرفيع، قوية البنيان، رصينة الأسلوب، حلوة العبارة، وكأنها من الجمان الرائع الفذ الفريد.

ويمكن أن نورد في هذا المقام وصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله حين ولاّه المأمون أمر محاربة نصر بن شبث بالشام. وهي أشبه بدستور للحكم القويم والحاكم الرشيد، وقد وزعها بين ما يجب على الحاكم في دينه وخُلقه وما يجب عليه في سيرته مع حاشيته وخاصته ومع الجند والرعية.

فلما رأى الناس هذا الكتاب تناقلوه وكتبوه، وشاع أمره إلى أن بلغ المأمون خبره فدعا به فقرأ عليه. فقال: "ما أبقى أبو الطيب ـــ يعني طاهر بن الحسين ـــ شيئا من أمر الدنيا والدين

(1)-انظر: أحمد زكي صفوت. **جمهرة رسائل العرب**. ج3/ص307 ـــ 312، 403، 406، 416، ج4/ص390 ـــ 393.

(2) ـــ انظر: ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج4 / ص 221.

(3) ـــ انظر: الجهشياري. **الوزراء والكتاب**. تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط1، القاهرة: مطبعة الحلبي، 1938م.

والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة إلا وقد أوصى به" وأمر المأمون فكتب به إلى جميع العمال في النواحي[1].

وقد جاءت الوصية في تاريخ الطبري في خمس صفحات من الحجم الكبير نختار منها مقاطع.. ومنها قوله:

"بسم الله الرحمن الرحيم ... عليك بتقوى الله وحده لا شريك له، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك، والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك، وما أنت صائر إليه، وموقوف عليه، ومسؤول عنه، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله، وينجيك يوم القيامة من عذاب أليم عقابه، فإن الله قد أحسن إليك وأوجب عليك الرّأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده، وألزمك العدل عليهم، والقيام بحقه وحدوده فيهم، والذبّ عنهم، والدفع عن حريمهم وبيضتهم، والحقن لدمائهم، والأمن لسبيلهم، وإدخال الراحة عليهم في معايشهم، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك، وموقفك عليه، ومسائلك عنه، ومثيبك عليه بما قدّمت وأخّرت، ففرّغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورؤيتك، ولا يذهلك عنه ذاهل، ولا يشغلك عنه شاغل، فإنه رأس أمرك، وملاك شأنك، وأول ما يوفقك الله به لرشدك .....

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العزّ، ويُحصّن من الذنوب، وإنك لن تحوط نفسك ومن يليك، ولا تستصلح أمورك بأفضل منه، فأته واهتد به، تتم أمورك، وتزدد مقدرتك، وتصلح خاصتك وعامتك .....

واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخّرت في الخزائن لا تثمر، وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكفّ المؤنة عنهم نمت وربتْ، وصلحت به العامة، وتزينت الولاة، وطاب به الزمان، واعتُقد في العزّ والمنعة، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله، ووفّر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم، وأوف رعيتك من ذلك حِصَصَهم، وتعهّد ما يصلح أمورهم ومعايشهم، فإنّك إذا فعلت ذلك قرّت النعمة عليك، واستوجبت المزيد من الله، وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر، وكان الجمع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك، وأطيب أنفسا لكل ما أردت .....

وأنظر أحرار الناس وذوي الشرف منهم، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودّتهم لك،

(1) ــ انظر: الطبري. تاريخ. ج5 / ص 161.

ومظاهرتهم بالنُّصح والمخالصة على أمرك، فاستخلصهم وأحسن إليهم، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة، فاحتمل مؤنتهم، وأصلح حالهم، حتى لا يجدوا لخلتهم مسّا، وافرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك، والمحتقر الذي لا علم له بطلب حقه، فاسأل عنه أخفى مسألة، ووكّل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك، ومُرهُم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك، لتنظر فيها بما يُصلح الله أمرهم ... وأكثر الإذن للناس عليك، وأبرز لهم وجهك، وسكّن لهم أحراسك، واخفض لهم جناحك، وأظهر لهم بشرك، ولِنْ لهم في المسألة والمنطق، واعطف عليهم بجودك وفضلك، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس، والتمس الصنيعة والأجر غير مُكدّر ولا منّان، فإن العطية على ذلك تجارة مربحة إن شاء الله"[1].

وهذه الرسالة وغيرها من رسائل طاهر وتوقيعاته في غاية البلاغة وروعة البيان، وعذوبة الأداء، وطلاوة الصياغة، مع سهولة العبارة، لا يسأم قارئها ولا يمل من إطنابها؛ لأن الإطناب في موضعه حسن، والإيجاز في مقامه مستحسن.

ومن خلال رسالة طاهر هذه يتبين لنا مقدار ثقافة الرجل ومعرفته وقدرته على الكتابة وأسلوبه النثري وعلو كعبه في الأدب، ورجاحة عقله "فإن المرء مخبوء تحت لسانه".

وله غيرها رسائل عدة منها: ما كتبه لإبراهيم بن المهدي عندما فتح بغداد [2]، وكتب إليه بعض عماله كتابا وفيه: "قد وجهت إلى الأمير ثوب ديباج أحمر، أحمر، أحمر" فكتب إليه طاهر: "قد قرأت كتابك فعلمت أنك أحمق أحمق أحمق فأقدم أقدم أقدم والسلام"[3].

وكتابه بعد خروجه إلى خراسان إلى ابنه عبد الله، وكان ببغداد، حين غلب عليه النبيذ في مجلس المأمون[4]. وكتابه إلى المأمون حينما حمل إلى مرو رأس الأمين [5]، وتعبئته لأصحابه عند تحصينهم بالري [6]، وكتاب آخر له في حربه مع ابن ماهان[7].

---

(1) ــ انظر: الطبري. **تاريخ**. ج5 / 156 ــ 160.

(2) ــ ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج4 / ص 241، صفوت. **جمهرة رسائل العرب**. ج3/ص313.

(3) ــ صفوت. المرجع السابق. ج3/ص416.

(4) ــ الشابشتي. **الديارات**. ص 132 ــ 133.

(5) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / 100 ــ 103.

(6) ــ الدنيوري. **الأخبار الطوال**. ص 363.

(7) ــ الشابشتي. **الديارات**. ص 143.

والملاحظ من خلال رسائل طاهر بن الحسين أنه تأثر بأسلوب الجاحظ من ناحية استعمال الجمل المقتضبة الوجيزة المتوازنة بعضها مع بعض، والتي لم يلتفت فيها كثيرا إلى السجع، ويظهر أن طاهرا يمتاز برقة العبارة وسلاستها، وكان يرغب في اللفظ السهل ويرغب عن التكلف. فأسلوبه الكتابي مشحون باللفظ الرشيق، والتعبير الموحي الجميل، مع خلوه من الألفاظ الحوشية الثقيلة، ويصوغ ذلك كله بأسلوب عذب، شجيّ الإيقاع، قوامه اللفظ الكريم، والتركيب الناصع الحسن السبك، والصور الشاخصة المعبّرة. تزيد في ميراث اللغة، وترفع من قدر الأدب.

كما أوردت لنا كتب المصادر التاريخية والأدبية جملة من توقيعات [1]. طاهر بن الحسين نورد بعضا منها على سبيل التمثيل[2].

وقع في رقعة متنصح:" سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين"، وفي رقعة إلى العباس من موسى الهادي واستبطأه في خراج ناحيته:

وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يبيت على رَحلْ

ورفع إليه مستمنح كذب في عدد عياله وكان طاهر يعرفهم فوقّع:

لا جواب لكذاب، ثم عاد وصدق في عددهم، فوقع طاهر: الآن جئت بالحق، وأمر له بصلة. وفي قصة رجل طلب قبالة (أي كفالة) بعض أعماله فوقع له: القبالة مفتاح الفساد، ولو كانت صلاحا ما كنت لها موضعا.

ووقع لرجل متظلّم من أحمد بن هشام: اكفني أمر هذا الرجل وإلاّ كفيته أمرك

---

(1) ــ للتوقيعات معان كثيرة: فمعناها في اللغة مأخوذ من وقعت الإبل أي اطمأنت بالأرض بعد الشبع بالري، لأن الكاتب الموقع يطمئن إلى تصريفه للأمر وقضائه فيه. أو من وقع ظنه على الشيء أي قدره، لأن الموقع يكتب رأيه بعد تدبر.

أو من التوقيع وهو الرمي القريب، والإصابة لأن الموقع يفصل في الأمر من أقرب طريق. أو من التوقيع وهو إصابة المطر بعض الأرض وتخلفه عن بعضها فتختلف ألوانها، لأن التوقيع إلحاق شيء بالكتاب بعد الفراغ منه.

أما في الاصطلاح: فهي عبارة موجزة بليغة، تعوّد ملوك الفرس ووزراؤهم أن يوقّعوا بها على ما يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاواهم، وحاكاهم خلفاء بني العباس ووزراؤهم في هذا الصنيع. وكانت تشيع في الناس ويكتبها الكتاب و يحفظونها. وميزتها الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة. أحمد حسن الزيات. **تاريخ الأدب العربي**. مرجع سابق. ص 245، وانظر: ابن منظور. **لسان العرب**. مادة "وقع"،شوقي ضيف.**تاريخ الأدب العربي**- العصر العباسي الأول-ط8،القاهرة:دار المعارف.(د. ت).ص489.

(2) ــ انظر: ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج4 / 221، الثعالبي. **خاص الخاص**. ص 89، صفوت زكي. **جمهرة رسائل العرب**. ج4/ص390 ــ 392، البيهقي. **المحاسن والمساوئ**. ص 501.

ووقّع في رقعة رجل من العامّة تظلّم من علي بن هشام: يا أبا الحسن الشريف من يظلم من فوقه ويظلمه من دونه فاعلمني أي الرجلين أنت.

ووقّع في رقعة رجل تظلّم من الرستمي: ليس البرّ أن تكون آنيتك ذهبا وقدورك فضّة وجارك يطوي وغريمك يعوي.

وفي قصته محبوس وقع: يُطلق. ويعتق، ووقع في قصة رجل ذكر أن منزله أحرق بالنار:أخطأك من قصدك.

وإلى خزيمة بن خازم وقع: الأعمال بخواتيمها، والصنيعة باستدامتها، وإلى الغاية ما جرى الجواد. فحُمد السابق، وذُمّ الساقط.

أما عبد الله بن طاهر فكان نثره امتدادا لأسلوب عصره، محافظا على طرائق الأوائل في التعبير والتحبير ينشئ الكلام خاليا من الصنعة والتكلف. فيه عذوبة وظرف، جملة قصيرة، ومعانيها كبيرة. وقد أعجب المأمون من حسن تعبيره وبديع لفظه وشمول معناه. حين وجهه إلى خراسان لقتال المارقة به، فكتب إليه عبد الله من نيسابور يقول: "إن أمير المؤمنين أفضى إلى هذا الثغر بسبب ما قد غلب عليه من أمر الحمراء، وما أحدثه المارقة بها، وإني وافيت نيسابور فوجدت ما حولها عُشّ المارقة، ووجدها أهم الكُوَر.."، فأعجب المأمون من الكتاب بهذه اللفظة، ولم يزل الكتاب يذاكرونها بينهم[1].

ومن ظريف نثره وكلامه في الحب قوله عندما سأله المأمون عنه فقال: "يا أمير المؤمنين إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة انبعثت منها لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتحرّك لإشراقها طبائع الحياة، فيتصوّر من ذلك خلق حاضر للنفس، متّصل بخواطرها يسمى الحب"[2].

ولعبد الله رسائل ومكاتبات تنم عن شرف نفسه، وعلو همته، وحسن أدبه، أصابت المحزّ في الأسلوب والغرض، وسارت على نهج المترسلين والمصنفين من أرباب القول، وأساطين الإنشاء.

فصاغها صياغة أنيقة مثقلة بأوجه البلاغة من موازنة وسجع واستعارة وتورية، مع التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، وكلام العرب. مما يدل على مقدرة لغوية وبراعة أدبية وإحاطة بعدد من وجوه المعرفة. من ذلك ما كتب به إلى المعتصم حين عرّض به في

(1) ــ الشابشتي. **الديارات**. ص 138.

(2) ــ ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج2 / ص 317.

كتاب له بأن استأثر بخراسان وملك أمر نفسه بها دون الخليفة. فكتب إليه: "أما بعد يا أمير المؤمنين فإن حزب الله وإن قلّو وإن ضعفوا فهم الغالبون، وما أنا بشيء في ملاقاة عدوّ أوثق مني بعزّ دولة أمير المؤمنين، فأمّا الأيدي فقليلة والأموال فترة وفي الله وفي أمير المؤمنين أعظم الغنى، فقَبل المعتصم عذره وحسن موقع كتابه منه[1].

وكتب إلى أحد عماله وهو الحسن بن عمر التغلبي كتابا جاء فيه: "أما بعد، فقد بلغني [ما كان] من قطع الفسقة الطريق ما بلغ، فلا الطريق تحمي، ولا اللصوص تكفي. ولا الرعيّة تُرضي، وتطمع بعد هذا في الزيادة ! إنك لمنفسح الأمل ! وأيُم الله لتكفينّي من قبلك أو لأوجهن إليك رجالا لا تعرف مرّة من جَهْم، ولا عدي من رُهمْ، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[2].

وله كتب أخرى بليغة العبارة، جيدة السبك، بعث بها إلى بعض الشخصيات: مثال ذلك كتابه إلى نصر بن شبث العقيلي[3]. وإلى عبيد الله بن السري الثائر في مصر سنة (211هـ)[4]. ومن أبلغ رسائله تلك التي بعث بها إلى إسحاق بن إبراهيم ــ وكان ببغداد ــ ليسأله أن يوجه إليه بأقلام قصبية. يتبيّن فيها حذقه في صناعة الخط ومعرفته بالأقلام وأصنافها وأجودها. فقدم وصفا في القلم وصفا دقيقا بارعا لم يسبق إليه فيقول:

"أما بعد فإنّا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم، ولزمت لزوم الوسم. فحلّت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام الصُّحرية أسرع في الكواغد، وأمرَّ في الجلود، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس وألين في المعاطف، وأشدّ لتصريف الخط فيها، ونحن في بلد قليل القصب رديئه، وقد أحببت أن تتقدم في اختيار أقلام بحرية، وتتأنّق في انتقائها قبلك، وتطلبها في مظانّها ومنابتها من شطوط الأنهار، وأرجاء الكروم، وأن تتيمّم باختيارك منها الشديد المحص، الصلبة المعض، النّقية الخدود، القليلة الشحوم، المكتنزة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرّزينة المَحْمَل، فإنها أبقى على الكتابة، وأبعد من الحفاء، وأن تقصد بانتقائك الرّقاق القضبان، المقوّمات المعون، المُلس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما

(1) ــ البيهقي. **المحاسن والمساوئ**. ص 447.

(2) ــ ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج1 / ص 50.

(3) ــ ابن طيفور. **بغداد**. تحقيق محمد زاهد الكوثري. مصر: مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، 1949م. ص 75، الطبري. **تاريخ**. ج5 / 165 ــ 166.

(4) ــ الطبري. **تاريخ**. ج5 / ص 175.

بين الكعوب، الكريمة الجواهر، والمعتدلة القوام، المستحكمة يُسا، وهي قائمة على أصولها، لم تُعجل عن إبان ينعها، ولم تؤخّر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء، وغفن الأندداء، فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا، قطعا رقيقا، ثم عبّأت منها حُزما فيما يصونها من الأوعية، ووجّهتها مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها، وكتبت معه رقعة بعدّها وأصنافها، بغير تأخير ولا توان. إن شاء الله تعالى"[1].

أضف إلى ذلك أمثاله وتوقيعاته التي تطورت فأصبحت فنّا أدبيا. وصنعة يلتزم بها، وهي جزء من تقاليد الإنشاء في هذا العصر. وتوقيعات عبد الله بن طاهر تدل على رسوخه في الأدب نظرا لقوة بلاغتها، وسداد رميها، وبلوغ غايتها[2].

ومنها توقيعه إلى عمال شكاهم الرعية: "قد قدمت إليكم الأعذار، واحتجبت إليكم الأنذار وليت العتاب بالغا ما أردت، ولقد هممت بأن أجعل معاقدتي لكم معاقبة، فانتبهوا من سنتكم، وانظروا لأنفسكم وأحسنوا بالأكرة فإن الله تعالى جعل أيديهم لنا طعاما وألسنتكم سلاما، وظلما حراما، وما عند الله خير وأبقى أفلا تذكّرون".

وكتب إليه بعض قواده يسأله حط خراجه والزيادة في أرزاقه، فوقع في كتابه: "أفي النوم أبصرت ذا كله فخيرا رأيت وخيرا يكون"[3].

أما في العصر السامانى والغزنوي فقد ارتقى النثر العربي كما ارتقى الشعر، واضطلع العلماء بالتأليف. وإن كان بعض المؤلفات قد فقد بمرور الزمان، على أن جزءا منها حفظ من الضياع.

وقد وجدت في هذا العصر مؤلفات لها شأنها في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية. وفي معظم فروع العلم، ومن أمثلة ذلك:

"رسائل الأمير قابوس في الفلسفة"، وكتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للجرجاني (ت392هـ) في النقد، ورسائل الأدباء والبلغاء المجموعة ككتاب "آداب المسافرين" لأبي عمر السجستاني النوقاني (ت 382هـ)، وكتب السيرة والسنة ككتب أبي العباس الحسن بن سفيان

(1) ــ ابن عبد ربه. **العقد الفريد**. ج4 / 199 ــ 200.

(2) ــ المصدر نفسه. ج4 / ص 199، الراغب الأصفهاني. **محاضرات الأدباء**. ج2/ص401، ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص85، صفوت. **جهرة رسائل العرب**. مرجع سابق. ج 4/ص393.

(3) ــ الثعالبي. **خاص الخاص**. ص 89 ــ 90، صفوت. **جهرة رسائل العرب**.. مرجع سابق، ج4/ص393.

النسائي (ت303هـ)، والكتب الخاصة بتقاليد أهل المهن ككتاب "أدب القضاة" لأبي العباس الطبري (ت325هـ).

كما أن الأديب أبو غسان التميمة ألف كتاب "أدب النفس" في الأخلاق للأمير نصر بن أحمد.

ويذكر في هذا المجال: النثر الصوفي الفلسفي بشطريه الشرعي والبدعي. مثل كتابات سهل ابن عبد الله التستري، وأبي يزيد البسطامي، وهي من النثر العلمي المتأدب[1].

وأبرز ما يمثل النثر في هذا العهد، القصص والحكايات الأدبية، وخير مثال لها: المقامات، "والراجح أن هذه الكلمة اسم مكان من (أقام)، والمعنى أنها موضع للإقامة، ثم النقل من هذا المعنى إلى الكلام الذي يملأ به المجلس فتكون من إطلاق المحل على الحال، وقد صارت المقامة تطلق ويراد بها تلك الجملة من القول المروية على لسان امرئ خيالي، يحكي قصة لإنسان آخر أو أكثر تخيلهم الكاتب، ويضع على ألسنتهم عبارات يتصفح فيها ما شاء"[2].

وتصاغ المقامة في قصة أنيقة الأسلوب تشتمل على عظة أو ملحة ويكون فيها من الأناقة اللفظية و الروعة البيانية، و المفردات اللغوية، والتأليف الذي يدل على احتفال الكاتب واهتمامه، وكدّه وعنائه، وقصده إلى تخيّر اللفظ واحتشاد الخيال، وطنين العبارات، وسبك الأسلوب، وصياغة الكلام[3].

ومن مستلزمات المقامة أن يضع فيها الكاتب غرائب اللغة، وشواردها، ويذكر فيها حظا وافرا من الكلمات، فيكثر عدد الألفاظ، ويبذل همته في تزيينها وتحسينها، ويأتي بنوادر التركيب. ويبالغ في الصناعة اللفظية والمعنوية، ويزينها بما استطاع من الحكم والأمثال

ويرى البعض أن الكتابة القصصية أو المقامات كانت مظهرا من مظاهر تدارك الخطر المحدق بالكتابة، والضعف الذي كان موشكا أن يأتي عليها، أراد بها أصحابها أن يشتغل الناس من جديد بالأدب وأن يلتفتوا إليه التفاتا جادا. وأن يسلكوا سبيله سلوكا صحيحا"[4].

---

(1) ــ ذنون. **الحياة العلمية** ... مرجع سابق. ص 172 ــ 173.

(2) ــ إبراهيم أبو الخشب. **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني**. القاهرة: دار الفكر، 1975م. ص 375، شوقي ضيف. **المقامة**. ط4، القاهرة: دار المعارف (د. ت). ص 66.

(3) ــ إبراهيم أبو خشب. المرجع السابق. ص 390.

(4) ــ المرجع نفسه. ص 375، الزيات. **تاريخ الأدب العربي**. مرجع سابق. ص 458.

وقد نشأ هذا النوع من القصص في أواسط الدولة العباسية وهو عهد الترف الأدبي والإنشاء الصناعي الأنيق. وقد أجاده بديع الزمان الهمذاني إجادة أحلّته منه محلّ الزعيم[1]. وهو أول من وضع القصص والروايات الأدبية في النثر العربي المسجوع وابتكر فن المقامة في تاريخ الأدب الإسلامي ونسج الحريري مقاماته على منوالها[2]. مما جعل الثعالبي يصفه أحسن وصف فيقول: "هو أحمد بن الحسين بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرة العصر، ومن لم يُلْقَ نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء الذهن وقوة النفس، ومن لم يدرك قرينه في ظرف النثر وملحه، وغُرر النظم ونكته، ولم يُر ولم يُرو أن أحدا بلغ مبلغه من لُب الأدب وسره، وجاء بمثل إعجازه وسحره، فإنه كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب فمنها أنه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفا ولا يخل بمعنى ... وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب، فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها ... وربما ابتدأ بآخر سطر من الرسالة وانتهى بها إلى أولها فيخرجها بلفظ مرتبط ومعنى متسق. وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإسراع والإبداع[3].

قصد بديع الزمان نيسابور سنة (382هـ)، وبها أملى أربعمائة مقامة، والبطل فيها يتمثل في شخصية "أبي الفتح السكندري" أما دور الراوية فيقوم بأدائه "عيسى بن هشام" وهاتان الشخصيتان من خلق بديع الزمان وإبداعه، فلم يسمع بهما من قبل، ولم يرد ذكرهما في أي كتاب سابق على مقامات بديع الزمان، وقد صور البديع بطله في صورة أديب بارع ومحتال ذكي يجيد تصْوير حالة العجز والمغبة التي يعيش فيها، مما يجعله يستدر عطف مخدوعيه فيظفر منهم بالعطاء والنوال. ولا يرد خائبا مطلقا، وكان من أهم ما تميزت به مقامات بديع الزمان ذلك الحوار الممتع الذي أداره البديع بين شخصية البطل وشخصية الراوية،.. ولكي يُنجح بطله في خداع الناس ،كان ينمق أسلوبه ويقويه بالأشعار وعلى هذا جاءت معظم المقامات خليطا من نثر مسجع وشعر مصنع، كما كان

(1) ــ الزيات. **تاريخ الأدب العربي**. مرجع سابق. ص 458.

(2) ــ يوسف نور عوض. **فن المقامات**. ط1، بيروت: دار القلم، 1979م. ص 9 ــ 10.

(3) ــ **يتيمة الدهر**. ج4 / ص 256 ــ 257.

البديع يدعمها بالحكم والأمثال وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، رغبة منه في إظهار تفوقه في مجال الإنشاء والنظم حتى ولو تضمنت بعض المقامات قلة من غريب اللفظ أملا في توفر صناعة السجع ولو على حساب استقامة المعنى ووضوحه[1].

وفي أيام إقامته بنيسابور قامت الخصومة بينه وبين أبي بكر الخوارزمي، وقد قصّ البديع هذه الخصومة في رسائله، ولابد أن يكون قد بالغ فيها تحيّزا لنفسه، ومع هذا فهي تدل على ما عُرف عن البديع من جودة الحفظ، وحضور بديهة، وقوة بيان مما يجعل مقاماته ورسائله مصدرا كبيرا لدراسة الحياة الاجتماعية في زمنه[2].

ويبدو أن العدد "أربعمائة مقامة" ورد فيها تصحيف، فلم يرد إلينا إلا حوالي خمسين مقامة أو يزيد على ذلك بقليل[3]. شرحها الأستاذ الإمام محمد عبده.

وللبديع غير المقامات ديوان رسائل ومجموعة شعر وكلاهما مطبوع[4].

وقد طوّف البديع الزمان في بلاد المشرق إلى أن استقرّ به الحال في غزنة ؛ وهي إذ ذاك عاصمة الغزنويين والسلطان محمود كان مجلسه منتجع الأدباء والعلماء.. فأكرم مثواه، وعاش معه عيشة هنيّة ومدحه بقصيدة مطلعها:

تعالى الله ماشاء وزاد الله إمعاني
أأفريدون في التاج أم الإسكندر الثاني[5].

وكان للسلطان محمود وزير أديب هو أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني وكانت بينه

---

(1) ــ الثعالبي. **يتيمة الدهر**. ج4 / ص 257، بديع محمد جمعة. **دراسات في الأدب المقارن**. ط2، بيروت: دار النهضة العربية، 1980م. ص 239.

(2) ــ أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. مرجع سابق. ج1 / ص 272.

(3) ــ يرجح الدكتور زكي مبارك أن مقامات الهمذاني كانت خمسين. بدليلين:

الأول: أنه عارض بها أربعين حديثا أنشأها ابن دريد، والمعارضات كانت تتقارب دائما في الكمية.

الثاني: أن مقاماته لم يحفظ منها غير خمسين، فليس بمعقول أن يضيع من آثاره خمسون وثلاثمائة مقامة، مع أن آثاره لم يضع منها إلا القليل.

يضاف إلى ذلك أن الحريري حين عارض بديع الزمان لم ينشئ في معارضته غير خمسين مقامة، ثم صار عدد الخمسين هو الرقم المتبع فيما كتب في هذا النوع من الأقاصيص. **النثر الفني في القرن الرابع الهجري**. مرجع سابق. ج1 / ص 252.

(4) ــ الزيات. **تاريخ الأدب العربي**. مرجع سابق. ص 272، بديع محمد جمعة. المرجع السابق. ص 241.

(5) ــ العتبي. **تاريخ اليميني**. ج1 / ص 384 ــ 386.

وبين بديع الزمان صلات ومكاتبات، وقد أكرمه الوزير أثناء وجوده في العاصمة غزنة إلى أن توفي سنة398 هـ[1].

كما تطور النثر تطورا جديدا عماده الإطناب وبسط الأسلوب والموسوعية عند أبي منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري الثعالبي المتوفى سنة 429هـ. وهو من أظهر الشخصيات في عصره، حتى وصفه ابن بسام بقوله: "كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، ورأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النجم في الغياهب"[2].

وقد شُغل الثعالبي بتدوين الفنون الأدبية واللغوية، فقدم لأهل عصره ولقراء اللغة العربية في مختلف الممالك وعلى اختلاف الأجيال غذاء قويا للعقول والمشاعر والأذواق، ووضع أمام قرائه صُورا مختلفة للقرائح والعبقريات والتي عرفها بنفسه أو سمع بأخبارها أو قرأ آثارها، حتى ليمكن الحكم بأن القرن الرابع كان يُمحى أو يكاد لو لم يظفر بذلك الحافظ الأمين[3].

وأشهر مؤلفات الثعالبي كتاب "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر". جمع فيه غُرر شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس الهجري: ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم، ذوي الجد منهم وذوي المجون. في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك، من بلاد الشام والعراق وجرجان ومصر والمغرب والأندلس وغيرها، وهذه الحقبة من الزمن ـــ على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي ـــ أنضر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون"[4]. ولولا اليتيمة لامحى ذكر شعراء كثيرين وخاصة شعراء وأدباء خراسان وما وراء النهر من أمثال البستي، والهمذاني، والميكالي، والخوارزمي، والعتبي، والجوهري. الذين كانوا أعلام الأدب في عصر الدولة الغزنوية.

ولكنه يذكر أن من أَقْتَلِ عُيوب كُتب الثعالبي نقله مواضع كاملة من كتب أسلافه دون أن

---

(1) ـــ العمادي. خراسان ... مرجع سابق. ص 322.

(2) ـــ ابن بسام. **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**. تحقيق إحسان عباس، ط2، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1981م، ـــ القسم الرابع ـــ مج2، ص560.

(3) ـــ زكي مبارك. **النثر الفني في القرن الرابع**. ج2 / ص 219.

(4) ـــ محمد محي الدين عبد الحميد. مقدمة تحقيق يتيمة الدهر. ص 3 ـــ 4، أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. مرجع سابق. ج1 / ص 272، زكي مبارك. المرجع السابق، ج2 / ص 227.

يشير إليهم، أو يُلمح إلى جهودهم وهذا يظهر لنا اهتمام أدباء العصر بالجمع وافتتانهم بالشكل السهل الطريف، والرضا بالاتباع دون الإبداع.

إلا أن نثره جيد يغلب عليه السجع ولكنه برئ من التكلف والغموض. وانظر قوله في وصف عبيد الله الميكالي: "ومن أراد أن يسمع سرَّ النظم، وسحر النثر، ورقية الدهر، ويرى صوب العقل، وذوب الظرف، ونتيجة الفضل، فليستنشد ما أسفر عنه طبع مجده، وأقره عالي فكره، من مُلحٍ تمتزج بأجزاء النفوس لنفاستها، وتشرب القلوب لسلاستها ... وأيّم الله ما من يوم أسعفني فيه الزمان، بمواجهة وجهه، وأسعدني بالاقتباس من نوره، والاغتراف من بحره، فشاهدت ثمار المجد والسؤدد تنتثر من شمائله، ورأيت فضائل أفراد الدهر عيالا على فضائله، وقرأت نسخة الكرم والفضل من ألحاظه، وانتهبت فرائد الفوائد من ألفاظه إلا تذكرت ما أنشدنيه أدام الله تأييده لابن الرومي:

لولا عجائب صنع الله ما نتجت ... تلك الفضائل في لحم ولا عصب [1].

ولأبي منصور الثعالبي مؤلفات في اللغة والقصص والأمثال والحكم، منها ما ألفه هدية إلى أمير أو حاكم. فنجده مثلا أهدى كتابه "لطائف المعارف" إلى الصاحب إسماعيل بن عباد، وزير فخر الدولة البويهي، وأهدى كتاب "المبهج" و "التمثل والمحاضرة" إلى شمس المعالي قابوس بن وشمكيز حاكم طبرستان، وأهدى "سحر البلاغة" و "فقه اللغة" إلى الأمير أبي الفضل الميكالي، وأهدى "النهاية في الكناية" و "نثر النظم" و "اللطائف والظرائف" إلى مأمون بن مأمون أمير خوارزم[2].

وله كتب أخرى وصلت إلينا كـ: "الإعجاز والإيجاز"، و"خاص والخاص"، و "ثمار القلوب في المضاف والمنسوب" و "من غاب عنه المطرب" و "حل العقد"، وكلها كتب قيمة ومفيدة[3].

1 ــ 3 ــ 4 ــ النثر الفارسي:

بدأ النثر الفارسي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وتصدر للإنشاء الفارسي كُتّاب وأدباء حذقوا اللغتين ــ العربية والفارسية ــ فمنهم من ألف باللغة

(1) ــ انظر: الثعالبي. **مقدمة فقه اللغة**. ص8.

(2) ــ إدوارد براون. **تاريخ الأدب في إيران**. مرجع سابق. ص 116.

(3) ــ أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. مرجع سابق. ج1 / ص 272 ــ 273.

الفارسية أصلا، ومنهم من نقل بعض كتب العربية إلى الفارسية أو ترجم من الفارسية إلى اللغة العربية وهذا مظهر من مظاهر التسامح والتعايش الإسلامي الذي كانت تحياه كل العرقيات والإثنيات داخل المجتمع الإسلامي الموحد.

ومن أدباء العصر ومنشئيهم نجد: "أبو علي محمد البلعمي وزير عبد الملك بن نوح(343هـ ـ 350هـ) ومنصور ابن نوح (350هـ ـ 366هـ) قد نقل تاريخ الطبري إلى الفارسية بأمر من الأمير منصور. ويُعد هذا الكتاب من أمثلة النثر المطلق الخالي من الصنعة والتكلف وهو نموذج لطريقة الكتابة في عصره"[1]. ويلاحظ على ترجمة البلعمي لكتاب الطبري مايلي:

1 ـ عدم ترجمة الكتاب كاملا.

2 ـ إغفال أسماء الرواة والأسانيد.

3 ـ عدم ترجمة كل الروايات التي يوردها الطبري حول الحدث الواحد، والاكتفاء برواية واحدة.

4 ـ وضع قصص تتعلق بالتاريخ الفارسي القديم، ربما محاباة للسامانيين ذوي الأصول الفارسية[2].

كما ألّف الأمير أبو الحسن محمد بن إبراهيم السيمجوري (أحد قادة السامانيين (ت387هـ) و "كان من الحكماء ذوي الألباب، لفطنته وممارسته الأمر بيده ولسانه وقلمه وسيفه"[3]. كتابا بالفارسية في آداب الملوك وسياسة الرعية، ذكر منه الثعالبي: "ينبغي للملك أن يبني أمره مع عدوه على أربعة أوجه: اللين، والبذل، والمكاشفة، والكيد"[4].

ومن الكتب النثرية المشهورة في ذلك العصر كتاب "ترجمة تفسير الطبري"وقد قام بترجمته نخبة من علماء بلاد ما وراء النهر، بأمر الأمير منصور بن نوح. ثم كتاب آخر يعرف بكتاب "الأبنية عن حقائق الأدوية" تصنيف أبي منصور الموفق الهروي الذي ألفه خلال عام (362هـ)، وهو في أسماء الأدوية المختلفة، وخواصها، والعلاج بها[5].

---

(1) ـ رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 35.

(2) ـ ذنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص 186 ـ 187.

(3) ـ السمعاني. **الأنساب**.ج3/ص363.

(4) ـ الثعالبي. **آداب الملوك**. تحقيق جليل العطية. ط1، بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1990م. ص 172 ـ173.

(5) ـ رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق. ص 35 ـ 36، أحمد محمد الحوفي. **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**. مرجع سابق. ص 279.

ومن ألوان الكتابات النثرية "الشاهنامات"التي شاعت في هذا العصر. منها شاهنامة أبي المؤيد البلخي الذي ترجم تاريخ الطبري للفارسية، ووضع كتاب "عجائب البلدان" بين عامي 366هـ و387هـ. كما وضع في أواخر القرن الرابع الهجري ـ فيما يبدو ـ كتاب "مرزبان نامه"باللغة الطبرية (لغة أهل طبرستان) وضعه مؤلف مجهول مرزبان ابن رستم بن شهريار في الأمثال والحكم، على نمط كليلة ودمنة، وبأسلوبه الحواري على ألسنة الحيوانات والطيور والجان[1].

وقد ظهرت في عهد السامانيين كتب يفترض أنها مترجمة من الفارسية القديمة (الفهلوية) إلى الفارسية الحديثة (الدرية) مثل كتاب "ظفر نامه" الذي ترجمه ابن سينا بأمر من الأمير نوح بن منصور وهو عبارة عن أسئلة وجهها أنو شروان للحكيم بزر جمهر، ورد الحكيم عليها[2]. وهناك كتاب آخر ترجم من الفهلوية للدرية هو "بندنامه أنو شروان" أي وصايا ومواعظ أنو شروان، وعلى الرغم من عدم معرفة مترجم هذا الكتاب، إلا أنه كان منتشرا أيام الشاعر أبي عبد الله الرودكي الذي استوحى منه إحدى قصائده[3].

ويتضح أن النثر العربي أثّر في نشوء النثر الفارسي في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

1 ـ إحياء أمجاد الفرس القديمة، ويتمثل بالشاهنامات.

2 ـ نقل الكتب العربية إلى الفارسية.

3 ـ البدء بالتأليف[4].

وقد صنف الأستاذ إحسان ذنون اتجاهات الكتابة النثرية الفنية زمن السامانيين إلى ما يلي[5]:

1 ـ اتجاه موضوعي غلب عليه الاهتمام بالمعنى الذي يقصده، وتمثله الكتابات التاريخية والجغرافية والعلمية.

2 ـ اتجاه فكري يترع إلى مخاطبة العقل، وتمثله كتابات المتكلمين.

---

(1) ـ ذنون. **الحياة العلمية** ... مرجع سابق. ص 184.

(2) ـ المرجع نفسه.

(3) ـ المرجع نفسه. ص 185.

(4) ـ المرجع نفسه.

(5) ـ **الحياة العلمية زمن السامانيين**. مرجع سابق. ص 187.

3 ــ اتجاه لغوي يعتني بالألفاظ ويوليها اهتمامه، وتمثله الكتابات اللغوية وخاصة المقامات.

4 ــ اتجاه أدبي يترسل بإحكام. كي لا تفهم منه كلمة على غير مقصدها، وتمثله الرسائل السلطانية.

5 ــ اتجاه وجداني يفيض بالعاطفة والإحساس، وتمثله الرسائل الإخوانية.

6 ــ اتجاه حكمي (من الحكمة) يراد منه إيصال معلومة قصيرة سريعة تختزل فكرة كبيرة وتمثله الأمثال والحكايات.

أما العصر الغزنوي فكان عصر النهضة الكبيرة للنثر الفارسي وذلك نظرا لكون الغزنويين أرادوا أن يكون عهدهم عهد الانبعاث الفكري الفارسي. وأصبحت الفارسية لغة الدولة الرسمية. ومع استبحار العلوم والفنون فإن النثر تطور في العصر الغزنوي على يد طائفة من العلماء الذين طوّعوا النثر لأعقد مشاكل العلم، ليستوعب أدقّ فروعه من فلك ورياضة وجغرافيا وغيرها. وظهر ما يسمى بالنثر العلمي الذي يمتزج فيه الأسلوب بالمنهج.

وأهم ناثر علمي في هذا العصر هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة 440هـ. الذي قضى الشطر الأول من حياته في رعاية أمراء خوارزم أو خيوة في دولة آل عراق التي يكشف في شعره عن إكرامها له ومحبته لها.

فآل عراق قد غذوني بدرهم ومنصور منهم قد تولى غراسيا

وقد أنفق عليه بلاط هذه الأسرة لمواصلة بحوثه العلمية وتجاربه في الرصد إنفاقا مكنه من الابتكار. إلى أن فاجأته الحرب التي شنها مأمون بن محمد صاحب كركانج [1]. على آل عراق في رمضان سنة 358هـ، وهو يقوم على تجاربه العلمية بقرية من قرى (كاث). فساد الاضطراب وعمت الفتن وسقطت أسرة آل عراق، وبذلك فقد البيروني سندا كان يعتمد عليه في تفرغه لبحوثه فتوقف نشاطه و لم يعرف الاستقرار بعدها بضع سنين، مما اضطره أخيرا أن يخرج منْفيًا عن وطنه قاصدا جرجان[2]. وهناك اتصل بقابوس بن وشمكير (شمس المعالي)

(1) ــ كركانج: سماها العرب الجرجانية، وفي سنة 616هـ. وقبل الغزو المغولي لكركانج زارها ياقوت فقال عنها: " لا أعلم أني رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالا وأحسن أحوالا" فاستحال ذلك كله بتخريب التتر إياها في سنة 617هـ. وهي مدينة عظيمة على شاطئ نهر جيحون.انظر: كي ليسترنج. **بلدان الخلافة الشرقية**. مرجع سابق. ص 491.

(2) ــ البيروني. **تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن**. القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1962م. ص 110.

صاحب (جرجان وطبرستان) وفي بلاط قابوس وجد البيروني ضالته. من الرعاية والفضل مما مكنّه في تلك الأجواء العلمية التي وفرها قابوس للعلماء في مملكته أن يؤلف كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" والذي يعتبر من أروع ما ألف بالعربية في العلوم الإنسانية وقدمه لمولاه شمس المعالي وشمكير مُعْرباً عن محبته له وتعلقه به وبفضائله[1]. وقد اعتاد المسلمون تسمية البيروني بالشيخ الأستاذ[2].

"والكتاب دائرة معارف، جليلة الشأن بالغة القدر، حوت تراث سائر الأمم، منذ فجر الخليقة حتى أيام البيروني، عرض فيها أبو الريحان لحساب الأيام و الشهور و السنين، كما عرض لتواريخ الملوك ومُدد حكمهم، وأسماء أعياد الأمم ومواقيتها، إضافة إلى حساب منازل القمر وبعض الكواكب.

وقد تضمن الكتاب مايلي:

أ ــ مقدمة وديباجة، حد فيها البيروني الغرض من وضعه الكتاب، وهو استجابة لرغبة أحد الأدباء، الذي سأله عن تواريخ الأمم، وما يتصل بها من تقاويم وأعياد وأوقات... إلخ، كما عرض أبو الريحان في تلك المقدمة منهجه العلمي، وما اتسم به من خصائص.

ب ــ بحث في اليوم والشهر و السنة عند مختلف الأمم، قائلا بوجوب اعتماد اليوم أساسا للبحث، باعتباره وحدة زمنية ثابتة، تلتقي عندها سائر الأمم، بخلاف الشهر و السنة حيث يختلف مقدارها باختلاف الأمم.

ج ــ التقاويم (Calendriers)، وما طرأ عليها من تعديل وتغيير عند سائر الأمم، وفي هذا البحث عرض البيروني جداول قارن فيها بين أشهر الفرس، والعبرانيين، والروم، والهنود، والأتراك، ليسهل بتلك المقارنة، إيجاد علاقة بين التواريخ.

د ــ جداول تاريخية، عرض فيها للملوك الذين حكموا آشور، وبابل، وملوك الكلدان، و القبط، في مرحلتي ما قبل الميلاد وبعده.

هـ ــ جداول لملوك الفرس، منذ قيام مملكتهم حتى الفتح الإسلامي.

و ــ عرض لأعياد سائر الطوائف، وأسمائها وتواريخها.

---

(1) ــ البيروني. **الآثار الباقية**. ص3.

(2) ــ Carra de Vaus. **Les Penseurs De L Islam.** Paris. T 11.P.76.

ز ــ عرض للوثنيين وأصحاب البدع في سائر الأمم.

ح ــ جداول مختلفة، حدد فيها الفصول الأربعة، محددا بداية كل فصل عند الروم، والسريان، واليونان، و الكلدان، والأقباط، والعرب، كذلك عند المنجمين وغيرهم.

ط ــ جداول عيّن فيها رأس السنة عند الصابئة في شهر أيلول، وشهور الصوم عندهم، وأيام أعيادهم.

ي ــ جداول لأوائل الشهور بالسريان والرومي، والسنين الكبيسة.

كما وردت في الكتاب مباحث متفرقة في تعليل لقب الإسكندر بذي القرنين، وتحديد نسب النبي ﷺ، وبعض ألقاب الخلفاء.

وإضافة إلى مضمون الكتاب فقد زاد في أهميته تنسيق مواده وترتيبها، فكانت قيمته من خلال عدة خصائص أبرزها:

أ ــ شموله قدرا مذهلا من المعارف الإنسانية.

ب- تصنيف تلك المعارف إلى مواضيع، واستعراض مختلف الآراء والاتجاهات في للموضوع الواحد.

ج ــ المقارنة والنقد، وفق قواعد المنهج العلمي، ومبادئ المنطق العقلي السليم.

د ــ الاستنباط والاستنتاج، مما يغني الباحث عن العودة إلى مراجع أخرى "[1].

ولكن علاقة البيروني الطيبة بالأمير قابوس لم تستمر، فبعد سنة 390هـ. عاد البيروني إلى خوارزم والتحق ببلاط خوارزمشاه وكان له من السماحة ومحبة العلم ما وفّر له الهدوء الذي يحتاج إليه الباحث، وعاش في ظله سبع سنوات انتهت بانتهاء حياة هذا الملك سنة407هـ.وفي عام 408هـ هاجم محمود الغزنوي خوارزم بعد أن قتل من أهلها كثيرا وأسر نحو خمسة آلاف من بينهم أبا الريحان البيروني أرسلهم مغلولين إلى غزنة [2]. ثم حررهم وأدخلهم بين القائمين على خدمته بالهند[3]. حيث صاحبه البيروني بها وشاركه في غزواته الهندية واهتم خلال ذلك باللغة السنسيكريتية، وبحضارة الهند، وسافر إلى إقليم البنجاب وكشمير وقام بحساب خطوط العرض لعدد من البلدان.

(1) ــ حسن عاصي. **المنهج في تاريخ العلوم عند العرب**. ط1، بيروت: دار المدائن، 1991م، ص213ــ 214.

(2) ــ البيهقي. **تاريخ البيهقي**. ص745، العتبي. **تاريخ اليميني**. ج1 / ص 255.

(3) ــ حتاملة. **العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية**. مرجع سابق. ص 196.

واغتنم البيروني فرص تنقلاته إلى الهند صحبة جيوش السلطان محمود ليصنف كتابا يُعد بحق أول مؤلف علمي درست فيه تقاليد الهنود وثقافتهم ومناهجهم في البحث والتفكير وظروف حياتهم الاجتماعية، وقد سبق له أن اتّصل بغزنة ببعض العلماء الهنود وتحادث معهم أحاديث بما قوى اهتمامه بالهند ومعالمها وميزاتها العقلية و آثارها العلمية.. وأصبح كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" أعظم مصدر لدراسة الهند في القرنين الرابع والخامس الهجريين، إستعرض فيه كاتبه النظام الطائفي والفلسفة والعلوم الصحيحة والدين والقانون والعادات والأساطير ونظام المكاييل والمقاييس والموازين، واعتمد في عمله طريق الباحث العلمي الحق، فشرح ما شاهده مشاهدة عيان وما سمع ولمس بنفسه أكثر مما استند إلى النقل والمطالعة فيقول:

"إنما صدق قول القائل: ليس الخبر كالعيان؛ لأن العيان إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله، ولولا لواحق آفات بالخبر لكانت فضيلته تبين على العيان والنظر، لقصورهما على الوجود الذي لا تتعداه آفات الزمان".

ويقول واصفا كتابه: "وليس الكتاب حجاجا وجدلا، حتى أستعمل فيه إبراز حجج الخصوم ومناقشة الزائغ منهم عن الحق، وإنما هو كتاب حكاية، فأورد كلام الهند على وجهه وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم ..."[1]. ويقول بروكلمان: "نظرا لما فيه من تصور شامل ومعرفة مستقصية للأشياء يجب أن يُعتبر أهم ما أنتجه علماء الإسلام في ميدان معرفة الأمم"[2]. وإذا كانت الهند لم تُعرف لقراء العربية المعرفة الحقيقية إلا بعد أن فتح محمود أبوابها وغزاها نيفًا وثلاثين سنة، فالبيروني هو الذي صوّر حياة الهند في عصره تصويرا علميا دقيقا باقيا على الزمان، للعرب وغير العرب، مصدرا لمعرفة الهند حتى اليوم[3].

وخلال إقامة البيروني الطويلة في الهند، اخترع جهازا خاصا للجامع يُبيّن أوقات الصلاة بدقة، وقدمه للإمام فلم يقبله، لأنه كان مؤسسا على النظام الشمسي والشهور الرومية، فتألم البيروني وكسر آلته قائلا: "لمن الحمق أن نحرم أنفسنا من الانتفاع بالمخترعات العلمية لمجرد أنها أتت إلينا من الأجانب. إن الروم رجال مثلنا يمشون ويأكلون، فهل يجب علينا أن نترك المشي

(1) ــ البيروني. **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**. مطبعة حيدر آباد، 1957م، ص17

(2) ــ **تاريخ الأدب العربي**. ج1/ص475.

(3) ــ دي بور. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**. مرجع سابق. ص 296.

والأكل؛ لأن الروم يمشون ويأكلون؟"[1].

وبعد وفاة السلطان محمود اتصل البيروني بابنه مسعود، فعاش في بلاطه مُكرّمًا، يزاول نشاطه العلمي الذي لم ينقطع عنه حتى آخر لحظة في حياته سنة 440هـ.

ولم يتعرض المؤرخون لظروف علاقته بالسلطان مسعود والذي يبدو أن لها أساسين:

1 ـ تعرّف السلطان مسعود عليه في بلاط أبيه.

2 ـ محبة السلطان مسعود للعلوم عامة وعلم الهيئة خاصة[2].

فقد كان كما يقول ياقوت: "مقبلا على علم النجوم. مُحبا لحقائق العلوم"[3].

وقد اختلف معه مرّة في مقادير الليل والنهار في الأرض، مما جعل البيروني يؤلف له كتابا باسمه سنة 421هـ سماه "القانون المسعودي" وصفه البيهقي بقوله: "غرّة في جبين تصانيفه"، وفيه تناول الفلك وتاريخه فجاء مستوفيا للمباحث الهندية واليونانية وما وصل إليه عصره، وهو لاستيعابه وتعدد موضوعاته يشبه كتاب "المجسطي" لبطليموس[4]. وهو من أبسط الكتب في هذا الفن، ومؤلفه يعالج فيه كل نواحي الفلك على نحو لم يسبق إليه، وهو يضم إلى ذلك بيان حسابات الأمم وسنيها ويشمل الكثير من علم الجغرافية العامة والفلكية[5].

أما أسلوبه في عرض مادته فهو وإن كان من النثر العلمي الجاف فإنه يمتاز بالجزالة، وقصر الجمل، ممتلئ رصين مصيب لُبّ الموضوع وهو لا يخلو أحيانا من سجع بليغ مستساغ ... وهو يحاول كبعض أدباء العرب أن يُروّح أحيانا عن قارئ المادة العلمية الجافة التي يعرضها بأن يذكر له طرائف من حدائق الحكمة. لكي لا يملّ خاطره.. مركزا على المعنى دون مراعاة التزاع في الألفاظ[6].

وقد عقد البيروني مقارنة بين اللغة الفارسية واللغة العربية واتخذ موقفا غريبا في كون أن اللغة الفارسية لا تصلح إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية، وأنها لا تتسع لأن تكون لغة علمية

(1) ـ الشابي. **الأدب الفارسي**.. مرجع سابق. ص 287 ـ 288.

(2) ـ المرجع نفسه.

(3) ـ **معجم الأدباء**. ج5/ص125.

(4) ـ دي بور. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**. مرجع سابق. ص 296.

(5) ـ المرجع نفسه. ص 296 ـ 297.

(6) ـ المرجع نفسه. ص 299 ـ 300.

على أية حال. وهو في نفس الوقت ألف كتابه "التفهيم لأوائل صناعة التنجيم" بالفارسية، بل إن اللغة الفارسية في عصره وقبل عصره أصبحت لغة علمية في المجال الإنساني والطبيعي والرياضي. والبيروني في هذا الرأي لم يستند كعادته في تدعيم آرائه إلى المنطق العلمي، وإلا كيف يذهب إلى أن الكتاب العلمي حين يُنقل إلى الفارسية يذهب رونقه، ويكسف بالـه، ويسود وجهه، ويزول الانتفاع به، إن هذا أمر يبدو غريبا لدارس اللغتين، فأبسط مقارنة بين تاريخ الطبري بالعربية وترجمته بالفارسية بالرغم من اختصارها تدحض رأيه من الناحية العلمية؛ لاستيعاب كليهما للأفكار وقدرتهما على التصوير وتأديتهما للمعاني ودقائقها. وكأننا نرى البيروني يرد على نفسه حين يقوم بترجمة كتابه "التفهيم" إلى الفارسية، ولعل هذا كان محاولة منه لم يقم لها وزنا ـــ فيأتي الكتاب بعد المقارنة واضحا في اللغتين، دقيق الأفكار في كليهما، لم تفقده الترجمة رونقه، أو تذهب بنفعه[1].

وللبيروني مؤلفات تصل إلى ثمانين ومائة، وهي بين موجود و مفقود تعطي فكرة عن الجهد الكبير الذي بذله في التأليف، وتكشف عن الأبعاد الفكرية التي امتاز بها. [2] نذكر منها:

ـــ رسالة في الإسطرلاب.

ـــ استيعاب الوجوه الممكنة في صنعة الإسطرلاب.

ـــ استزاج الأوتار في الدائرة بخواص الخط المنحى منها، هي مسائل هندسية وله فيها طرق خصوصية.

ـــ رسالة في راشيكات الهند.

ـــ مبعث في مبادئ العلوم ألفه بالفارسية.

ـــ كتاب" الجماهر في معرفة الجواهر". ألفه للملك المعظم أبي الفتح مودود بن مسعود الغزنوي، بدأه بترويحات عن النفس تكلم فيها على مسائل من العلم تروق المطالع وتروضه، ثم تكلم على ما عرف من الجواهر في عهده، وعرض لمعادنها وخواصها و الغريب منها، ولما ورد في أشعار العرب من ذكرها.

---

(1) ـــ الشابي. **الأدب الفارسي**.. مرجع سابق. ص 340.

(2)- Boilat.L œuvre D Alberuni. **Essai Bibliographique De L institut Dominicain D'etudes Orientales**.Le caire.1955.

وهذا الكتاب يفوق سائر الكتب في أوصاف الجواهر و الفلزات، لأن المؤلف كان أول من أثبت الثقل النوعي لأكثر الجواهر و الفلزات، وعلم أن هذا الثقل النوعي يمنع من الغش إذ الكثير من الجواهر الثمينة مشابهات في اللون والمائية لا تميز إلا بالصلابة والثقل.

كما أن البيروني يورد أخبارا عن فرائد الجواهر وأثمانها في وقته ويتوسع في المسائل اللغوية، وعجب من جودة معرفته لدواوين الشعراء ولوجود هذه الدواوين، في مدينة غزنة في عصره، استدل على انتشار العلوم العربية يومئذ في شرقي خراسان، ومن مزايا هذا الكتاب أن يذكر المؤلف أثناء تعريب الجواهر أسماء لغوية كثيرة لا وجود لها في المعاجم وأسماء أجنبية من لغات كثيرة تدل على تعمق البيروني في هذه اللغات[1].

ـ وكتاب "الصيدنة في الطب": بحث فيه عن مفردات الأدوية، ويعتبر معجما للمواد الطبية لأن المؤلف يقوم فيه بتفسير وتوضيح الكلمات الأصيلة، والمرادفات وكذلك الكلمات الدخيلة، وطريقة نطقها، كما يبحث عن العقاقير والأعشاب فيرسم لنا تاريخها ويرشدنا إلأى مواطنها ويكشف القناع عن مفعولها وخواصها وميزاتها، فبهذا الوصف يقوم كتاب الصيدنة بدور موسوعة بل أكبر الموسوعات في ميدان الطب و الصيدلة وعلم النبات[2].

والبيروني يعتز بكتبه على اختلافها سواء منها التي وضعها في صغره أو التي وضعها في كبره[3].

يقول: "ويجب عليك أن تعلم فيما عهدته من كتبي مما عملته في حداثتي، وازدادت المعرفة بفنه بعد ذلك، فلم أطرحه، و لم أسترذله، فإنها جميعا أبنائي والأكثر بانيه وبشعره مفتون"[4].

(1) ـ انظر: البيروني. **كتاب الجماهر في معرفة الجواهر**. ط1، الهند: حيدر آباد 1355هـ، محمد كرد علي. **جواهر البيروني**. منشورات المجلس الأعلى للعلوم، سوريا (الذكرة الألفية لمولد البيروني)، مطبعة جامعة دمشق،1974م،ص54- 55.

(2) ـ انظر: حكيم محمد سعيد. **كتاب الصيدنة لأبي الريحان البيروني**، (الذكرى الألفية لمولد البيروني)، المرجع السابق، ص177ـ 178.

(3) ـ حتاملة. **البنية الإدارية**.. مرجع سابق. ص 100 ـ 101.

(4) ـ **الآثار الباقية عن القرون الخالية**.. ص 48.

2 ـ العلوم الاجتماعية

2 ـ 1 ـ علم التاريخ

لاشك أن الحضارة الإسلامية تنطلق من ثوابت محددة، قد يقترب منها المسلمون عبر تاريخهم فيبلغون الأوج، وقد يبتعدون عنها فينحدرون إلى القاع.

والفكر التاريخي أحد ركائز هذه الحضارة وثوابتها الراسخة، تضبطه قوانين وسنن، أشار إليها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، مبيّنا للمسلمين أن التاريخ ليس مجرد ماضٍ وانتهى. بل هو لكل الأمم الحية جزء من النهر الكبير الذي تتدافع شطئانه، فيكاد الماضي ينسكب في الحاضر، ويكاد الحاضر يذوب بين معبري الماضي والمستقبل.

إن التاريخ هو ذاكرة الأمة، ومستودع تجاربها ومعارفها، وهو عقلها الظاهر والباطن، وخزانة قيمها ومآثرها، وأساس شخصيتها في القدم والممتدة مع الزمان ...

وقد أبان القرآن الكريم أن هناك عقلا يتكون من التجربة، ومن السير في الأرض ومن الرحلة إلى الماضي ! ويبيّن أن الإنسان الذي تقوم معرفته على قراءات سريعة وأحكام نظرية، أضعف حسّا من إنسان له معاناة في الدنيا وتجارب مع الناس.

هذا العقل المتولد من المدارسة والمعاناة، هو الذي يشير إليه القرآن الكريم عندما يقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

وقد فقه المسلمون الأوائل هذا المسلك الرشيد فهرعوا إلى أحداث تاريخهم ،يحفظونها في السطور بعدما حفظوها في الصدور. وقد دعتهم إلى ذلك دوافع كثيرة جعلت من تاريخهم التطبيق العملي للإسلام على مرّ العصور. ووعي المسلمين بهذا التاريخ ورجوعهم إلى تدوين وقائعه وأحداثه، واستلهام العبر منه لا يقل أهمية عن رجوعهم إلى أصول الدين قرآنا وسنة.

وانطلاقا من هذا المبدأ توثقت الصلة بين التأليف التاريخي والعلوم الشرعية. فنشأ تدوين التاريخ الإسلامي في أحضان علم الحديث النبوي، حيث دونت بعض الأحداث من سيرة الرسول ﷺ ضمن كتب الحديث. ثم استقلت بعد ذلك بمدونات خاصة، تضمنت أخبار

(1) ـ سورة الحج. الآية 46.

الغزوات ومن أسهم فيها. وكان مركز النشاط في هذه الحركة التاريخية يتمثل في مكة والمدينة، وكان المؤرخون الأول من المسلمين يعتمدون فيه على الروايات الشفهية شأنهم في ذلك شأن رواة الحديث. فكل جيل منهم يستمد أخباره من الجيل السابق، والخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالأسانيد، وهي وسيلة للإجماع على صحة الخبر، وهي نفس الوسيلة التي اتبعها المحدثون في روايتهم للحديث[1].

وأقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ هي كتب المغازي والسيرة، فقد دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله للاهتداء بها والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي، وفي النظم الإدارية، إلى الكتابة في سيرة الرسول ﷺ وفي مغازيه ومغازي الصحابة ،[2]. إذ أن سيرهم هي التي ترسم منهج الدعوة إلى الله، وطريقة بناء المجتمع الإسلامي، وتأسيس الدولة الإسلامية في القرون الهجرية الأولى.

كما عمد المسلمون إلى تدوين الأنساب والعناية بها، وقد كان وراء هذا العمل دوافع شرعية مثل أحكام المواريث والتركات، ومعرفة الأرحام والأقارب لغرض بِرهم وصلتهم، وحاجات عملية عندما دونت الدواوين خاصة ديوان الجند والعطاء.

أما أخبار فتوح البلدان فقد احتيج لمعرفتها وتدوينها لأغراض ومطالب شرعية مختلفة لعل من أبرزها معرفة البلدان التي فتحت عُنوة وتميزها عما فُتح صُلحاً. وكذلك معرفة أي سكان البلاد أهل عهد وأيهم أهل ذمة ؟، لما يترتب على هذه المعرفة من أحكام شرعية في التعامل مع أهل البلاد وجباية الأموال لبيت مال المسلمين من الخراج والجزية وغيرها.

أما العناية بتراجم الرجال وتدوين ذلك مرتبا على نظام الطبقات أو حسب البلدان والمدن أو حسب تاريخ الوفيات أو على حروف المعجم. فقد كان أول دوافعه التدقيق في رواة الأخبار النبوية لتمييز الصحيح من السقيم.

كما أنه كان لظهور الفرق مثل الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية وغيرهم أثر واضح في التدوين التاريخي؛ لأن كل فرقة اهتمت بأخبار فرقتها والأحداث التي صارت لها وببيان مذهبها والرد على خصومها.

---

(1) ــ السيد عبد العزيز سالم. **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية**. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة. (د. ت). ص 53.

(2) ــ أحمد أمين. **ضحى الإسلام**. مرجع سابق. ج2 / ص 319.

كما كان للقصاص والوعاظ أثر في إيجاد التحسس التاريخي عند العامة والتنبه إلى أهمية الأخبار والقصص مما أوجد الرغبة في حفظها وتدوينها[1].

ومع قيام الدولة العباسية اتسع تطور علم التاريخ واتسعت مصادره، وأخذ المسلمون يتعرفون على مسيرة الأحداث في العالم من حولهم، وبخاصة في تلك المناطق ذات الصلة بهم من الناحية السياسية وغيرها. فكتبوا على سبيل المثال: تاريخ ملوك الفرس، وامتد البحث التاريخي ليشمل العرب قبل الإسلام، بل ليشمل تاريخ السيرة، والتواريخ المحلية والتواريخ العامة. وتواريخ المدن.

وفيما يلي نلقي الضوء على جهود علماء خراسان وما وراء النهر في كثير من هذه الاتجاهات.

2.1.1. السيرة النبوية وفضائل الصحابة

أسهم علماء خراسان وما وراء النهر ـ خلال فترة الدراسة ـ في كتابة السيرة النبوية، وسير الصحابة رضوان الله عليهم وتعداد فضائلهم وإنجازاتهم،وكان لعلماء الحديث أثر في هذا المجال. حيث دونوا في مصنفاتهم الحديثية أجزاء تخص السيرة النبوية وشمائل الرسول ﷺ. ومغازيه[2].

وقد وصلت إلينا أسماء كتب أفردت للسيرة النبوية امتدت يد الضياع إليها مثل كتاب "المبتدأ" لأبي حذيفة البخاري (ت 206هـ) الذي لم يصلنا منه إلا جزءان الرابع والخامس وهما مخطوطتان بالمكتبة الظاهرية بدمشق. هما بعض أجزاء من سيرة الرسول[3].

وأما ما وصل إلينا من كتب السيرة كاملا لعلماء المنطقة، فمن أهمها: كتاب "الشمائل" للإمام محمد بن عيسى الترمذي (279هـ). ولهذا الكتاب أكثر من عنوان، منها: "الشمائل النبوية والخصائل المصطفوية" و"شمائل النبي " و"شمائل الترمذي"[4].

---

(1) ـ انظر: محمد بن صامل السلمي. **منهج كتابة التاريخ الإسلامي**. ط1، الرياض: دار طيبة، 1986م. ص 277ـ 279.

ولمزيد من التفصيل حول دوافع التدوين التاريخي. انظر: نجيب بن خيرة. **التدوين التاريخي عند المسلمين دوافعه وتطوراته خلال القرون الثلاثة للهجرة**. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. العدد 10، سنة 2001م. ص146.

(2) ـ من ذلك ما ورد في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وغيرها من كتب السنة.

(3) ـ سزكين. **تاريخ التراث العربي**. م1، ج2/ص99.

(4) ـ عبد الباري محمد الطاهر. **خراسان وما وراء النهر**.. مرجع سابق. ص 334 ـ 335.

كما ألّف علي الماسرجسي (ت 265هـ) "المغازي والقبائل" [1]. ووضع قابوس ابن وشمكير (ت 403هـ)، رسالة في سيرة النبي ﷺوصحابته[2]. وورد أن أبا ذر الهروي (ت 434هـ) صنف كتاب "السنة والصفات" و"دلائل النبوة" وكتاب "بيعة العقبة"[3]. وقد ألّف الإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ)، كتاب "مناقب أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والنساء".

ويعد من أهم المصادر في تاريخ الصحابة وفضائلهم، لعدة أسباب منها: أن الذي ألفه أحد علماء الحديث المشهورين، وأنه من المصادر المتقدمة التي أفردت لمثل هذا الموضوع، وأن أخبار الصحابة التي وردت في هذا الكتاب جاءت بطريق الإسناد والرواية، وأنه جمع مناقب المهاجرين والأنصار والنساء.

ويرجع سبب تأليف هذا الكتاب إلى أن الإمام النسائي كان قد صنّف كتاب "خصائص علي بن أبي طالب" رضي الله عنه، فاتُّهم بالتشيع. فألف كتابه "فضائل الصحابة" ليؤكد أن حبه لعلي بن أبي طالب ﷺ جاء وفق منهج أهل السنة والجماعة، حيث يضع هذا الصحابي في المكان اللائق به[4].

كما ألّف أبو بكر محمد بن أحمد بن خنب الدهقان (ت 350هـ) "فضائل أبي بكر" و"فضائل عمر" و"فضائل عثمان" و"فضائل علي" [5]، وألّف أبو عبد الله الغنجار البخاري (ت 412هـ)، كتاب "فضائل الصحابة الأربعة"[6].

2 ــ 1 ــ 2 ــ التاريخ العام

قدم علماء إقليم المشرق مساهمات معتبرة في مجال التاريخ الإسلامي العام. ما يعود إلى أحداث عامة في التاريخ. وقد سجل الأستاذ عمر رضا كحالة عشرات الأسماء لكتب ألفها علماء ينتسبون إلى هذه المنطقة لكن أغلبها مجرد أسماء لا نكاد نحصل على ذكر لها في فهارس

(1) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص171.

(2) ــ اليزدادي. **كمال البلاغة**. ص 106. نقلا عن ذنون. **الحياة العلمية** ... مرجع سابق. ص 232.

(3) ــ الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1/ص366 ــ 368.

(4) ــ عبد الباري **خراسان وما وراء النهر**.. مرجع سابق ، ص 336.

(5) ــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. (حوادث 341 ــ 350) ص 449 ــ 450.

(6) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص311.

المخطوطات المتاحة. ونذكر بعضا من نماذج هذه التآليف.

منها كتاب "التاريخ الكبير" للحسن بن إدريس بن مبارك بن الهيثم الأنصاري الهـروي (ت 301هـ) [1]. وكتاب "التاريخ المذيل على تاريخ محمد بن جرير الطبري" لعبد الله بن أحمـد التركي الفرغاني (ت 362هـ) [2]. كما ألف أبو بكر بن أبي خيثمة (ت قبل 383هـ) كتاب "التاريخ"[3]. وكتب أيضا أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي الغمري الذي عاش في نيسـابور وتوفي بالدينور سنة (392هـ). كتاب "التاريخ"[4]. وكتاب "أخبار بلاد الترك" لعيسى بن محمد بن عيسى (ت 398هـ) كاتب الأمير إسماعيل بن أحمد الساماني، جمع فيه أخبار ووقائع نوح بن أسد مع الترك[5]. ويمكن أن نلحق بالتاريخ العام، قصص الأنبياء التي ألف فيها أبو إسـحاق أحمد بن محمد النيسابوري الثعلبي (ت 427هـ). كتاب "العرائس في قصص الأنبياء"[6].

وقد استقر علم التاريخ واتضحت معالمه، وابتعد عن كونه مجرد إسناد للحـديث النبـوي الشريف، كما أن السامانيين اهتموا بهذا العلم اهتماما كبيرا جعل أحد وزرائهم وهو أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني يضع مؤلفا في "العهود والخلفاء والأمراء"[7].

2 ـ 1 ـ 3 ـ التاريخ المحلي والطبقات والتراجم

هذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه، واعتـزازه بوطنه، وإن كان عدد كبير من كتب التاريخ الإسلامي المحلي صنفت من أجل اعتبارات دينية.

وقد عبّر أبو علي الحسين السلامي (ت 374هـ) في كتابه "أخبار ولاة خراسـان" عـن ضرورة اهتمام المؤرخ بالكتابة عن إقليمه وأرضه قبل أي اعتبار آخر فيقول: "أن الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جملة أبنائها، ويحفظ أيام أمرائها، لا شيء أزرى عليه من أن

(1) ـ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص238، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص235.
(2) ـ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج16/ص132، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج6 / ص 22.
(3) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج3/ص484.
(4) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص309.
(5) ـ دنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص 235.
(6) ـ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج2/ص19، السيوطي. **طبقات المفسرين**. ص17.
(7) ـ ابن النديم. **الفهرست**.ص170، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص596 ـ 597، دنون. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى**. مرجع سابق. ص 393.

يجهل أخبار أرضه، ولعله يتطلب أخبار غيرها، ويكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل"[1].

وقد نشأت منافسة جدية بين المدن والأمصار الإسلامية المختلفة مما دفع بعض المؤرخين لكتابة تاريخ مدينته وتدوين أحداثها وتسجيل أخبارها مما أدّى إلى ظهور عدد غير قليل من هذه التواريخ المحلية التي كانت لها قيمتها التاريخية والجغرافية والبشرية.

ومن الجدير بالذكر أن التواريخ المحلية لا يكتبها إلا عالم من أهلها ؛ لأنه يكون أدرى بماضيها وحاضرها وعارفا بتاريخها ورجالاتها ومُلمّا بما فيها من الخطط والمؤسسات العامة.

ولعل المحدثين هم أول من بدأ التأليف في تواريخ البلدان لحاجة علمهم إليها، وذلك بتثبيت مواطن المحدثين وتقرير أحاديثهم والتأكيد على سلامة رواياتهم وصحتها والتعرف على شيوخهم وتلامذتهم بل ومن المعقول جدا أن تصبح التواريخ المحلية جزءا هاما وفرعا من فروع المعرفة الجدية بعلم الحديث ودراسته ومن فروعه المختلفة كالطبقات والأنساب والكنى والألقاب والوفيات وما إلى ذلك من كتب الرجال والتراجم المتعددة الطرائق[2].

وكتب التواريخ المحلية عادة ما تبدأ ببيان اشتقاق اسم المدينة اللغوي وسبب تسميتها بهذا الاسم أو ذاك مع ذكر بانيها ومشيدها وما كان عليها في القدم وأهميتها التاريخية مثل فتوحها وبعدها مما يفسح المجال بهذا الصدد لدخول الكثير من الروايات التي تحمل المبالغة والتهويل واختلاق الأحاديث لإظهار مكانتها وبروز شأنها بين المدن الأخرى بصورة لا تخلو من طابع العصبية والإقليمية بينها. ثم تشير تواريخ المدن بعد ذلك إلى فتوح المدينة وأشهر قُوادها وأمرائها من العرب الذين دخلوها وكتبوا تاريخها ومن هُمْ وُلاتها والأعمال التي قاموا بها وقضاتها، كما نجد في بعض هذه المدونات ذكراً للعوائل الحاكمة التي خضعت لها المدينة من الطاهريين والصفاريين والسامانيين والغزنويين وغيرهم.

والتواريخ المحلية لمدن خراسان وما وراء النهر تهتم كذلك بخطط المدينة وما بها من آثار للمؤسسات الإدارية والاقتصادية بشكل مقتضب فهي تذكر مثلا أسوار المدينة وقهندزها (القلعة) ودار الإمارة والمسجد الجامع، وبعض أسواقها ومحالها ودروبها وما في أرباضها من

(1) ـــ شمس الدين السخاوي. **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**. القاهرة: مكتبة القدسي، 1349هـ، ص40، فرانز روزنتال. **علم التاريخ عند المسلمين**. ترجمة صالح أحمد العلي، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م، ص443، السيد عبد العزيز سالم.**مناهج البحث**.. مرجع سابق. ص 104 ـــ 105.

(2) ـــ قحطان عبد الستار الحديثي. **التواريخ المحلية** ... مرجع سابق. ص 23 ـــ 24.

الأبنية والقصور وبناء المدينة إن كان من الحجر أو الطين، وحماماتها ومدارسها ومارستاناتها، وما تشتهر به من الصناعات المحلية وما يتبع المدينة من بعض قُراها ورساتيقها الشهيرة، وما كانت عليه من التقسيمات الإدارية التي وضعها العرب أيام حكمهم بخراسان[1].

وقد حظيت خراسان وبلاد ما وراء النهر باهتمام علمي وفكري واسع النطاق منذ القرن الثالث للهجرة ونشطت فيها حركة التأليف والتصنيف. وبرز جلّة من العلماء والأدباء والمؤرخين ممن برعوا في تدوين التواريخ المحلية التي كان لها النصيب الأوفر في إنتاجها العلمي النّرْ.فكتبوا حول تاريخ نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وبخارى، وسمرقند. وقد وصل إلينا أسماء العديد من الكتب المصنفة في تاريخ هذه المدن، نذكر منها:

كتاب "تاريخ نيسابور" الذي صنفه الإمام محمد بن حمدويه بن الحكم الحاكم الضبي المعروف بابن البَيِّع المتوفى سنة (405هـ). الذي يقول في سبب تأليفه: "إن خراسان وما ورءا النهر لكل بلد تاريخ صنّفه عالم منها، ووجد نيسابور مع كثرة العلماء بها لم يصنّفوا فيه شيئا فدعا لي ذلك إلى أن صنّفت تاريخ النيسابوريين فتأملته ولم يسبقه إلى ذلك أحد"[2]. وهو كتاب كبير الحجم، عظيم الفائدة، رتبه صاحبه على أبواب المعجم، وذكر فيه من ورد خراسان من الصحابة والتابعين، ومن استوطنها، واستقصى ذكر نسبهم وأخبارهم، ثم أتباع التابعين، ثم علماء القرنين الثالث والرابع، وجعل كل طبقة منهم ست طبقات، ورتب كل قرن على حده على الحروف، إلى أن انتهت إلى قوم حدثوا بعده من سنة 320هـ ـــ 380هـ، فجعلهم الطبقة السادسة ثم أضاف إليه تكملة عن الشيوخ والأصدقاء الذين ماتوا بعد سنة 388هـ[3].

ويعد الكتاب واحدا من أشهر كتب التراجم لرجال الحديث، وغدا أنموذجا يُحتذى في التأليف، لا في الكتب التي أُرّخت فيما بعد نيسابور فحسب. بل سار على نهجه المؤلفون في كتاباتهم تواريخ كثيرة، صُنّفت في القرون اللاحقة، ولا نغالي إذا اعتبرناه رائدا للمدرسة التي تنهج الترجمة لأعيان مدينة بعينها، بل يمكن عده في هذا المقام رأس أساتذة هذه المدرسة جميعا....

---

(1) ـــ الحديثي. **التواريخ المحلية** ... مرجع سابق. ص 126 ـــ 127.

(2) ـــ الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج3/ص1041.

(3) ـــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج1 / ص 308، رضا كحالة. **معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات**. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م ص 523.

وقد أصبح هذا الكتاب المادة الأساسية التي اعتمدها من جاء بعده من المؤرخين لتاريخ المدينة ودراسة طبوغرافيتها، أضف إلى ذلك أن هناك معلومات كثيرة يذكرها المؤلف في ثنايا تراجمه الكثيرة، عن جوانب متعددة من تاريخ المدينة، مثل: المواقع والمدارس والمساجد والخوانق ودور الحديث، وأماكن اجتماعاتهم وغير ذلك. ولما كان تاريخ نيسابور كتابا اختصّ بتراجم رجال الحديث، فقد اهتم به علماء الحديث بعده، وألفوا كتبا على منواله، وجعلوها ذيولا عليه مثل: عبد الغافر إسماعيل الفارسي النيسابوري المتوفى سنة المتوفى سنة (529هـ). الذي جمع تاريخا لنيسابور، وذيّل به على تاريخ الحاكم النيسابوري وكان يُعرف كتابه "بالسياق" لتاريخ نيسابور[1].

وقد وصف السبكي في طبقات الشافعية هذا الكتاب بقوله: "وهو عندي أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة، ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها"[2].

ويبلغ عدد التراجم التي يحتويها "تاريخ نيسابور" ألفين وستمائة وثمان وتسعون ترجمة. وإذا وزعوا على القرون الأربعة التي عاشوا فيها، فإن عدد العلماء الذين عاشوا في نيسابور أو زاروها في القرن الأول يبلغ مائة عالم، أما عددهم في القرن الثاني فيبلغ ثمانية وثمانين عالما، وفي القرن الثالث فعددهم ألف ومائة وخمسة وثلاثين عالما، وأما في القرن الرابع فيبلغ عددهم ألفا وثلاثمائة وسبعة وخمسين عالما[3]. وهذا يعكس مدى تطور الحركة العلمية في نيسابور خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وهناك تكملة لكتاب "تاريخ نيسابور" لعبد الغافر بن إسماعيل الفارسي المتوفى سنة (529هـ)، [4]. وهناك "المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور" للحافظ تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الصيرفيني المتوفى سنة (641هـ)، وهو مختصر لكتاب السياق. ضبط نصها وأخرجها خالد حيدر.

---

(1) ـ أديل. **الحركة العلمية**.. مرجع سابق. ص 175 ـ 176.

(2) ـ السبكي. **طبقات الشافعية**. ج2 / ص 343.

(3) ـ انظر: الحاكم النيسابوري. **تاريخ نيسابور** (مخطوط). نقلا عن. أديل. المرجع السابق. ص 176 ـ 177.
ولابد من الإشارة إلى أن مخطوط (تاريخ نيسابور) مفقود. وما عبر عليه الأخ أديل في رسالته (الحركة العلمية في نيسابور) ليس هو "تاريخ نيسابور" للحاكم بل هو مختصرله بالعربية مترجم عن صياغة بالفارسية لرجل يُدعى الخليفة النيسابوري عاش في القرن السابع الهجري.

(4) ـ انظر ترجمته عند السبكي. **طبقات الشافعية**. ج4 / ص 111.

ومن أبرز المعنيين والمصنفين في التاريخ المحلي من علماء مرو. أبو علي محمد بن علي بن حمزة الفراهيناني الحافظ، كان إماما حافظا ثقة صدوقا كتب الكثير ورحل إلى العراق والحجاز وعاد إلى خراسان. من تصانيفه: "التاريخ في رجال المحدثين بمرو"، توفي سنة (247هـ) [1].

كما تذكر المصادر أبو داود سليمان بن معد المروزي (ت 257هـ)، وهو لا يقل أهمية عن أحمد بن سيار في هذا الميدان، طاف البلاد وجاب الآفاق من العراق والحجاز ومصر واليمن طلبا للعلم ولقاء بالعلماء المهتمين بالتواريخ والأخبار، فكانت له مع يحي بن معين صاحب التاريخ مذاكرات كثيرة. وهكذا صار من العلماء المعتمدين والثقات المشهورين، وقد أخرج له مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحه أحاديث كثيرة، من تآليفه: "كتاب التاريخ"[2].

ومن مؤرخي مرو نذكر أيضا أحمد بن سيار المروزي (ت 268هـ). المحدث الكبير، والمنقر الخبير، رحل وجاب الأقطار وسمع العلماء الأخيار حتى نال ثقة علماء عصره، واعتمد مؤلفاته من جاء بعده من المشتغلين بهذا الشأن، فقد صنف كتاب "تاريخ مرو" أو كتاب "أخبار مرو"[3]. وهو من أهم المصادر التي اعتمدها ابن حجر في مؤلفه تهذيب التهذيب، خاصة ما أفاد منه بمعلومات تخص تراجم العديد من علماء مرو، وصنّف أيضا كتاب "فتوح خراسان" الذي اقتبس منه السمعاني في مؤلفه "الأنساب" مقتبسات تدل على قيمة الكتاب العلمية والتاريخية[4].

ومن أبرز من ترجم لعلماء مرو أبو رجاء محمد بن حمدويه السنجي الهورقاني (ت306هـ)، ألف كتاب "تاريخ المراوزه"، وله كتاب "تاريخ مدينة مرو". اهتم به العلماء من بعده، وأفادوا منه، ونسجوا على منواله[5].

ومن مؤرخي التراجم في مرو. نذكر أيضا أبا القاسم عبد الله بن محمد عبد العزيز البغوي،

---

(1) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص357.

(2) ـ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج9/ص52، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج4/ص192.

(3) ـ المصدر نفسه. ج4/ص409، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص560، الذهبي. **العبر**. ج1/ص385، السبكي. **طبقات الشافعية**. ج1 / 398، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**. ج1/ص31، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص154، حاجي خليفة. ج1/ص303، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1/ص150.

(4) ـ إبراهيم محيسن. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 203.

(5) ـ انظر. السخاوي. **الإعلان بالتوبيخ**. ص130، السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص656، روزنتال. **علم التاريخ عند المسلمين**. مرجع سابق، ص578، سزكين. **تاريخ التراث العربي**. م1، ج2/ص223.

(ت 317هـ)، المعروف بابن بنت منيع. صنّف كتبا في التاريخ معتبرة ومشتهرة كانت التُكأة والأساس لطلاب تراجم الصحابة رضوان الله عليهم. ولعل أشهر تصانيفه: كتاب "المعجم الكبير" وكتاب "المعجم الصغير" وكتاب "معجم الصحابة"[1].

وكتب أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبّان البستي (ت 354هـ)، كتاب "مشاهير علماء الأمصار" الذي ذكر فيه مشاهير الصحابة بالمدينة ومكة والبصرة والكوفة والشام ومصر واليمن وخراسان، ثم مشاهير التابعين وتابعي التابعين في نفس المدن[2].

كما أنّ العباس أحمد بن سعيد بن محمد بن معدان الفقيه المعداني الأزدي المتوفى سنة (374هـ). كان فقيها فاضلا حافظا مكثرا من الحديث رحل إلى العراق والحجاز، وأدرك الأسانيد العالية وانصرف إلى وطنه واشتغل بالجمع والتصنيف. له كتاب "تاريخ مرو" أو "تاريخ المراوزة"[3].

أما في بلخ فقد اشتهر بالتصنيف في تواريخ المدن والتراجم، أبو علي عبد الله بن محمد بن علي البلخي (ت 295هـ) صاحب كتاب "التاريخ" [4]، كما صنّف محمد بن عقيل بن الأزهر البلخي (ت 316هـ) كتاب "تاريخ بلخ"[5].

كذلك صنّف أبو القاسم الكعبي البلخي (ت 317هـ أو 319هـ). كتاب "مفاخر خراسان"، وقد اقتبس منه السمعاني في كتابه "الأنساب" بعض المقتبسات مما يعكس أهمية الكتاب وعُلّو شأنه في هذا الباب[6]. كما وضع أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت 322هـ) كتاب "فضائل بلخ". بالإضافة إلى تأليف كتاب "فضائل مكة" وكتاب "الأسماء والكنى" وكتاب "فضيلة علم الأخبار"[7]. وقد أثنى عليه أبو حيان التوحيدي واستحسنه بقوله: "ولفوائد

(1) ــ ابن النديم. **الفهرست**. 284، إبراهيم محيسن. المرجع السابق. ص 204.

(2) ــ انظر: أبو الفتح البستي. **مشاهير علماء الأمصار**. تحقيق مرزوق علي إبراهيم.

(3) ــ ابن الأثير. **اللباب**. ج3/ص232، الزركلي. **الأعلام**. ج1/ص130، كحالة. **معجم المؤلفين**. ج1/ص146، سزكين. **تاريخ التراث**. م1، ج2/ص225.

(4) ــ الخطيب. **تاريخ بغداد**. ج10/ص93، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**. ج2/ص690، ابن الجوزي. **المنتظم**. ج13/ص76، السيوطي. **طبقات الحفاظ**. ص299.

(5) ــ المدرس. **مشايخ بلخ من الحنفية**.. مرجع سابق. ج1 / ص 107.

(6) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص80.

(7) ــ ابن النديم. **الفهرست**. ص170 ــ 171، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص375، أبو حيان التوحيدي. **الإمتاع والمؤانسة**. ج1/ص26.، الهامش.

الحديث ما صنف أبو زيد رسالة لطيفة الحجم في المنظر، شريفة الفوائد في المخبر، تجمع أصناف ما يقتبس من العلم والحكمة والتجربة في الأخبار والأحاديث. وقد أحصاها واستقصاها وأفاد بها، وهي حاضرة"[1]. كما وصف أبا زيد بقوله: "لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأول، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر، ومن تصفح كلامه في كتاب "أقسام العلوم"، وفي كتاب "أخلاق الأمم" ... وفي كتاب اختيار السيرة، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يُسأل عنه ويُبده به عَلِمَ أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء، وما رؤى في الناس من جمع بين الحكمة والشريعة سواه، وإن القول فيه لكثير"[2].

وقد اهتم مؤرخو بلخ بأحداث صدر الإسلام، فكتب إسحاق بن بشر بن محمد أبو حذيفة البلخي عن "الفتوح، والردة، وأهل الجمل وصفين"[3]. كما صنف أبو يعلي محمد بن الحسين بن محمد الجرجاني كتاب "الطبقات لعلماء بلخ"[4].

أما في هراة فقد ألف الرحالة المؤرخ الحسن بن إدريس بن مبارك بن الهيثم الأنصاري الهروي (ت 301هـ) كتاب "تاريخ كبير"[5].

وعلى غرار من ألفوا في تواريخ مدنهم كتب أحمد بن محمد بن ياسين الهروي (ت 334هـ)، وهو محدث حافظ ومؤرخ، كتاب "تاريخ هراة"[6].

كما ألف أبو عبيد أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الباشاني (القاشاني) الهروي (ت 401هـ). كتاب "ولاة هراة"[7]. ووضع أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن سعيد بن إسماعيل السعدي الهروي (ت 285هـ) كتاب "الصناع من الفقهاء والمحدثين". قال عنه السمعاني: "أظنه لم يسبق إليه"[8].

---

(1) ـ التوحيدي. **الإمتاع والمؤانسة**. ج1/ص26.

(2) ـ ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص374 ـ 384.

(3) ـ المدرس. **مشايخ بلخ**.. مرجع سابق. ج1 / ص 106 ـ 107.

(4) ـ السهمي. **تاريخ جرجان**. ص 454.

(5) ـ ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص235.

(6) ـ ابن حجر. **لسان الميزان**. ج1/ص396، الذهبي. **ميزان الاعتدال**. ج1/ص149، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج2/ص335، وعن الكتب التي ألفت عن تاريخ هراة من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر الهجري. انظر: خليل الله خليلي. **هرات. تاريخها. آثارها. رجالها**.. بغداد: مطبعة المعارف، ج1/ص41-44.

(7) ـ السيوطي. **بغية الوعاة**.ج1/ص371، الداودي. **طبقات المفسرين**. ج1/ص79 ـ 80.

(8)- السمعاني.**الأنساب**.ج3/ص255،البغدادي.**هدية العارفين**.ج2/ص21،دنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص242.

وفي إقليم ما وراء النهر ظهرت جمهرة من المؤرخين الذين دونوا تاريخ المدن والحواضر، بعد أن كان ذكرها يرد عرضا في كتب التاريخ العام مثل بخارى، وسمرقند، وخوارزم. وقد قدّم لنا المؤرخ السخاوي (ت 902هـ) في كتابه "الإعلان" مرتبة حسب حروف المعجم مع بعض الإشارات القيمة عن أهميتها[1]. وكذلك جاءت قائمة حاجي خليفة (ت 1067هـ) عن تواريخ مدن خراسان الشهيرة واسعة ومرتبة وفق حروف المعجم مع ترجمة مختصرة عن الكتاب ومؤلفه في بعض الأحيان[2]. ولم تصل إلينا إلا أسماء أغلب هذه الكتب. ففي بخارى كانت البداية الحقيقية للكتابة التاريخية في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. وذلك حينما وضع أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي المتوفى سنة (348هـ)، كتابه المسمى "تاريخ بخارى" أو "أخبار بخارى". وقد كتب النرشخي كتابه باللغة العربية، واهتم اهتماما واضحا بكل ما يتصل بالمدينة سياسيا وحضاريا، فتحدث عن أحوالها وفضائلها ومحاسنها، وما بها من مدن وقرى وخطط، وما حوت من أسواق وسكك وشوارع وأبنية، وخاصة المساجد. كما تحدث عن قضاة بخارى، وحكم السامانيين لها، وتطرق للفتح الإسلامي، كما عرّج بالحديث عن العملات المستخدمة، وبعض الصناعات كالأنسجة وغيرها.

وفي الكتاب مادة جيدة لمن يتقص فيه الحقائق، ويكاد القارئ لا يجد في غيره بعض المعلومات كقضاة بخارى، ودار الطراز، ومصلى العيد، وذكر آل كتكتة البخاريين[3].

كما يسوق المؤلف أيضا مجموعة من الأحاديث وأقوال الصحابة في فضل بخارى على غيرها من المدن، وقد سجّل النرشخي الحياة السياسية بشيء من الاختصار أيام حكم السامانيين لبخارى وما وراء النهر إضافة إلى تمتعهم بالسلطة فوق الأراضي الإيرانية كافة.

ولما كان كتاب النرشخي قد ألف من أجل حاكم زمني وفي وقت لم يكن قد غلبت فيه روح التدين الشديد كما حدث بعد ذلك فإن أصل الكتاب يشتمل على مادة تاريخية صرفة أكثر مما هو الحال مع المصنفات من هذا الضرب. وأحيانا يعالج النرشخي أخبار الفتوحات بصورة أوفى مما فعل الطبري، ومن الواضح أن المؤلف قد اعتمد على مؤلفات لمؤرخين عرب

(1) ــ أنظر: **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**.ص121، وما بعدها.

(2) ــ **كشف الظنون**. ج1/ص281.

(3) ــ ذنون. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى**.. مرجع سابق. ص 295.

لم تصل إلينا، بل إنه ليبدو وفي موضع من كتابه أنه ربما نقل عن المدائني نفسه[1].

أهدى النرشخي كتابه هذا إلى الأمير نوح بن نصر الساماني سنة (332هـ).

وقد تُرجم الكتاب من النص العربي إلى اللغة الفارسية مختصرا. ولما فُقد النص الأصلي. تُرجم إلى العربية أخيرا في دار المعارف بالقاهرة[2].

وبالرغم من أن المترجم الفارسي قد حذف من الكتاب كل ما عده مُملا لا طائل من وراءه إلا أنه قد زاد عليه في الوقت ذاته مواد استقاها من مصادر أخرى وأهم ما زاده في هذا بعض القصص في تاريخ بخارى القديم، استقاها من كتاب خزائن العلوم لأبي الحسن عبد الرحمن بن محمد النيسابوري وكذلك قصة المقنّع التي أخذها من مصنّف لمؤلف يدعى إبراهيم، وأغلب الظن أن المقصود به إنما هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس الصولي الشاعر المشهور (ت243هـ) الذي خلف لنا مصنّفات في التاريخ، إضافة إلى روايات الطبري بهذا الصدد[3].

ـ وهناك كتاب آخر في التاريخ عرف "بتاريخ بخارى" لأبي عبد الله محمد بن أحمد البخاري المعروف بالغنجار المتوفى عام (412هـ). وكان يعمل ورّاقا قال عنه السمعاني: "وصنف تاريخ بخارى ... وأحسن في ذلك". وقال عنه ياقوت: "لم يكن من أهل الأدب فيجب ذكره، إنما ذكرته لأنه ألف تاريخ بخارى "[4].

ويقدم غنجار تراجم للعلماء والوافدين على بخارى والخارجين منها، وقد أكثر مشاهير المؤرخين من النقول عن هذا الكتاب كابن ماكولا والسمعاني والخطيب وياقوت. مما يدل على أهميته وعلو قدره والثقة فيه. وتفرده بذكر معلومات مهمة عن هؤلاء الأشخاص كما يدل على سعة انتشار الكتاب وذُيوع صيته.

وقد قام بتذييل كتاب "تاريخ بخارى" أبو حامد أحمد بن محمد بن أحمد بن ماما الأصبهاني الذي "كان حافظا بصيرا بالآثار، وله ذيل على تاريخ بخارى لغنجار"[5].

---

(1) ـ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 77 ـ 78، الحديثي. **التواريخ المحلية**. مرجع سابق. ص 110ـ111.

(2) ـ انظر: **تاريخ بخارى**. عربه عن الفارسية. أمين عبد المجيد بدوي، ونصر الله مبشر المطرزي. طبعة دار المعارف.ص5.

(3)-النرشخي.**تاريخ بخارى**.ص18،98، بارتولد.**تركستان**.مرجع سابق.ص78،الحديثي.**التواريخ المحلية**.مرجع سابق.ص111.

(4) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص311، ياقوت. **معجم الأدباء**. ج1/ص104، بارتولد. المرجع السابق. ص78.

(5) ـ الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. ج17/ص304.

ومن المؤسف أننا لا نملك معلومات عن أصل الكتاب أو الذيل أو المختصر عنه"[1].

ـــ كما ذكر المؤرخون أسماء علماء قاموا بتأليف كتب أخرى عن مدينة بخارى منهم: أبو بكر منصور البرسخي صاحب كتاب "تاريخ بخارى" [2]، كما يرد ذكر مؤلف آخر اسمه سعيد ابن جناح الذي ألف تاريخا لبخارى وسمرقند"[3].

وينفرد حاجي خليفة بذكر كتاب آخر بعنوان "تاريخ بخارى" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان البخاري (ت 312هـ) [4].

أما سمرقند فكان من الطبيعي أن تنشط بها حركة التأليف التاريخي تبعا لنشاطها في ميدان العلوم الدينية. لا سيما في كتب الطبقات والتراجم من المحدثين والحفاظ والمفسرين والقراء والأدباء والحكماء والأطباء وغيرهم.. وقد وضعت على أساليب متنوعة منها ما كان على أساس الوفيات ومنها ما كان على أساس الطبقات أو بشكل معاجم وغير ذلك.

ومن أوليات الكتب في تاريخ سمرقند خلال العصر الغزنوي نذكر كتاب "تاريخ سمرقند" لأبي سعد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي الإستراباذي السمرقندي المتوفى سنة (405هـ). وهو صاحب "تاريخ إستراباذ"[5]. وهو أحد المحدثين العلماء والحفاظ المشهورين رحالة في طلب العلم والحديث.

ويتضح أنّ الإدريسي الإستراباذي قد دون تاريخ علماء إستراباذ مسقط رأسه وعلماء سمرقند ومحدثيها، تلك المدينة التي عاش فيها وترعرع في أحضانها"[6].

وقد اقتبس من تاريخ سمرقند كثير من العلماء منهم الخطيب البغدادي، والسمعاني، والسخاوي، وابن حجر، وخاصة فيما يخص علماء الحديث من أهل سمرقند والواردين عليها وذكر نسبهم وشيوخهم وتلاميذهم، ومكانتهم وتواريخ وفياتهم[7].

---

(1) ـــ الحديثي. المرجع السابق. ص 112، طارق الدليمي. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص 367 ـــ 368.

(2) ـــ السمعاني. **الأنساب**. ج1/ص321 ـــ 322.

(3) ـــ روزنتال. **علم التاريخ عند المسلمين**. مرجع سابق. ص621. الهامش.

(4) ـــ حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج1/ص286.

(5) ـــ ابن الأثير. **اللباب**. ج1/ص51، الذهبي. **سير أعلام النبلاء**.ج17/ص226.

(6) ـــ الحديثي. **التواريخ المحلية**. مرجع سابق. ص 118.

(7) ـــ المرجع نفسه. ص 148، جهاد عزت. **الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 336.

وقد أكمل "تاريخ سمرقند" ووصل به إلى القرن الثاني عشر الفقيه المشهور أبو حفص عمر بن محمد النسفي المتوفى عام (537هـ). وهذا المصنف الأخير عُرف باسم القند أو القندية [1].

وقد اختصره تلميذ النسفي محمد بن عبد الجليل السمرقندي[2].

كما وضع أبو العباس عبد الله جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري النسفي (ت432هـ) كتاب "تاريخ نسف" و"تاريخ كش" وقد علق عليه السمعاني بقوله أنه كان "كتابا مشبعا يشتمل على ثمانين طبقة أو أكثر"[3].

وثمة مصنف آخر بعنوان "مفاخرة أهل كش ونسف" من وضع أبي الحارث أسد بن حمدويه الورثيني المتوفى سنة (315هـ). وهو ينتسب إلى ورثين من قُرى نسف[4].

ومن أشهر مؤرخي العصر الغزنوي لابد أن نذكر أبا نصر محمد بن عبد الجبار العتبي المتوفى سنة (427هـ). صاحب كتاب "تاريخ اليميني" [5]. نسبة إلى لقب محمود بن سبكتكين، فقد لقبه الخليفة القادر بالله "يمين الدولة وأمين الملة" وقد ألف العتبي كتابه هذا في تاريخ الدولة الغزنوية ترجم فيه لسبكتكين، وكيف أسس مملكته. ثم تاريخ ابنه محمود، والوقائع التي حدثت في أيامه.

ولا يزال الكتاب يُعد أكبر مصدر لتاريخ هذه الدولة، وقد صاغه في أسلوب أدبي مسجوع على نحو ما فعله معاصره أبو منصور الثعالبي، ولذلك حاز شهرة كبيرة بين الكتب الأدبية والتاريخية. وعُني بشرحه الكثير من الأدباء منهم الشيخ أحمد المنيني الذي سمى كتابه شرح اليميني المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي[6].

وكذلك كان أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي [7]. من مؤرخي العصر

---

(1) ــ ترجمه عن الفارسية إلى اللغة العربية وحققه الدكتور يوسف الهادي، وصدر عن مركز نشر التراث المخطوط في طهران عام 1999م.

(2) ــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق، ص78ــ 79، حاجي خليفة. **كشف الظنون**. ج2/ص133.

(3) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج5/ص487، الذهبي. **تذكرة الحفاظ**.ج3/ص1102.

(4) ــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 79.

(5) لم أقف في المكتبات التي زُرتها على النسخة المصرية المطبوعة من هذا الكتاب بل وجدت مخطوطة الكتاب عند الدكتور يوسف الهادي في مكتبته الخاصة بدمشق. وهو يعمل على تحقيقها.

(6) ــ أحمد أمين. **ظهر الإسلام**. مرجع سابق. ج1 / ص 286.

(7) ــ نسبة إلى كرديز وهي ولاية بين غزنة و الهند، و هي اليوم تقع جنوب شرقي كابل بأفغانستان، وجنوب جلال آباد، وشرق غزنة.

الغزنوي عاش في غزنة وتلقى العلم على علماء عصره. كتب باللغة الفارسية كتابا سماه "زين الأخبار" تيّمنًا بالسلطان عبد الرشيد بن محمود الملقب بـ (زين الملّة). وقد تناول في كتابه تاريخ الخلافة الإسلامية إلى عام (423هـ). وتاريخ خراسان إلى واقعة دينور التي حدثت عام (432هـ). بين مودود ومحمد، وقد أبرز الكرديزي الحديث عن السلاطين الغزنويين الأوائل والأحداث السياسية التي وقعت في عصرهم. كما أشار إلى بعض النواحي الإدارية والحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر من قبيل الاحتفالات بالأعياد كالنوروز والمهرجان والسدق، ويذكر الكرديزي في حديثه عن هذه الوقائع التي وقعت في العهد الغزنوي أنه رآها رأي العين. كما أنه اتصل ببلاط الغزنويين وتقرب منهم. وقد أنهى تاريخ هذه الدولة بمقتل الأمير مودود. ثم أخذ يدعو للسلطان عبد الرشيد بن محمد الغزنوي مرة بدوام ملكه وأخرى بدوام دولته مما يدل على أن الكرديزي لم يدرك فتنة طغرل بك ومقتل السلطان عبد الرشيد الذي وافته المنية بين عامي (442هـ ـ 443هـ) [1]. ويرى بارتولد أنه: "يجب اعتبار تاريخ كرديزي مصدرا أساسيا في تاريخ خراسان عامة، بما في ذلك عهد السامانيين"[2].

وممن شارك في علم التاريخ من علماء هذا العصر أبو الفضل أحمد بن حسين البيهقي (385هـ ـ 470هـ). كان محدثا حافظا روى عن الكبير و النظير والصغير عارفا بالتواريخ والأنساب، أكثر من رواية العلم وتلقيه عن علماء عصره وخاصة في نيسابور. اشتغل البيهقي نائب رئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود الغزنوي. وكتب تاريخا مُفصّلا عن الدولة الغزنوية أيام السلطان مسعود. أطلق عليه بعض المؤرخين "تاريخ المسعودي" أو "تاريخ البيهقي". وهذا الكتاب يُعدّ أهم مرجع في تاريخ الدولة الغزنوية وخاصة فترة حكم السلطان مسعود الذي كان يناضل من أجل الإبقاء على أملاكه في خراسان بعد الأحداث السياسية التي توالت على الدولة نتيجة الصراع الذي وقع بينها وبين السلاجقة. أما الذي يقرأ هذا الكتاب فإنه يشعر بسعة اطلاع مؤلفه، وعمق ثقافته وإحاطته الكاملة باللغتين العربية والفارسية[3].

وقد جمع البيهقي مادته العلمية من أصولها المعتمدة، وتاريخه يكتسب أهمية من هذه الناحية، ذلك أن منصبه مكّنه من أن يعتمد أساسا وثائق الدولة. يقول: "ولم يكن أحد من الكتاب

(1) ـ انظر: الكرديزي. **زين الأخبار**. ص 3 ـ 4 من المقدمة، العمادي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 307 ـ 308.

(2) ـ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 85.

(3)- أبو الفضل البيهقي. **تاريخ البيهقي**. ص5، من المقدمة، رضا زاده. **تاريخ الأدب الفارسي**. مرجع سابق، ص64-65.

واقفا على هذه الأحوال سوى أستاذي أبي نصر الذي كان يُعدّ المسودة وأقوم بنسخها، وكانت هذه القاعدة طوال حياة أبي نصر فيما يختص بكتب ملوك الأطراف والخليفة وخانات تركستان وبكل ما هو هامٌّ من أعمال الديوان ... والشاهد العدل على ما قلت هو ما لديّ من التقاويم، فكلها ناطق بهذه الأخبار، ولكل من لا يعتقد في صحة قولي، أن يحضر أمام قاضٍ عدل لتُعرض عليه الحوليات فتكون شاهد صدق على قولي"[1].

أما عن منهج البيهقي في الكتابة فيختلف تماما عن منهج المؤرخين المعاصرين له، فلم تقتصر كتابته على سرد الأحداث السياسية، وإنما وجه اهتمامه إلى عرض دقيق للنظم السياسية والإدارية والمالية ورسوم قصر السلطان، كما أطلق بصره في النواحي الاجتماعية، بل تناول في كتابه بيانا عن العادات والنظم والتقاليد والمجالس الاجتماعية وغيرها من النظم التي كانت شائعة في العصر الغزنوي[2].

وترجع أهمية كتاب "تاريخ البيهقي" إلى أن صاحبه عاصر معظم الأحداث التي كتب عنها، والبيئة التي جرت فيها، فكتب حتى عن الدسائس التي كان يحكيها المسؤولون والتنافس بين الشخصيات المختلفة التي كانت تحاول التأثير على السلطان بطريق أو بآخر.

وزيادة على هذا فإن المؤلف يقدم لنا مادة مفصلة في محيط العلاقات الخارجية، وهو أمر ليس بالغريب لأن البيهقي كان المسؤول عن تحرير الرسائل الموجّهة إلى الملوك والحكام. ومن المؤسف أنه لم يستطع تقديم أصول تلك الوثائق ؛ لأن أوراقه انتزعت عنوة، وذلك بعد اعتزاله الخدمة الإدارية بعد خروجه من السجن أيام فرخ زاده. وهو يقول بصدد هذا: "والأسف كل الأسف على أن ضاعت منّي تلك الرياض الرضوانية ـــ أعني الرسائل ـــ فقد كانت تجعل من هذا التاريخ سجلا فريدا. على أني لست يائسا من العثور عليها يوما ما بفضل الله عز وجل لتدرج جميعا ويطّلع الناس على حال هذا الصدر العظيم وما ذلك على الله بعزيز"[3]. بيد أن فقدان هذه الوثائق الأصلية لم يحل بين المؤلف وبين أن يقدم لنا أثرا قيّما بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى[4].

---

(1) ـــ المصدر نفسه. ص 605.

(2) ـــ العمادي. **خراسان**.. مرجع سابق. ص 306.

(3) ـــ البيهقي. **تاريخ البيهقي**. ص362.

(4) ـــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 89.

ومن خلال ما تقدم نخلص إلى القول أن الفكر التاريخي تطور عند المسلمين بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وقد أسهم العلماء في التأليف التاريخي بمناهج وأساليب متقاربة بين أقاليم الدولة الإسلامية وحواضرها. وفي الأخير يمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

1 ــ كان للأوضاع السياسية التي مرّت بها الخلافة الإسلامية بعد القرن الثالث الهجري وما شهدته من اضمحلال سياسي دورا بارزا في تلميع حواضر الدويلات المستقلة في إقليم المشرق على أساس أنها وحدات حضارية في تلك الفترة. ظهرت كبديل لذهاب البريق الحضاري عن عاصمة الخلافة بغداد.

2 ــ لم يهتم المؤرخون الأوائل بإقليم المشرق الإسلامي ،كابن سعد، وابن خياط، وغيرهما خلال القرنين الأول والثاني للهجرة. بل ازدهرت الكتابة التاريخية حول هذا الإقليم خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين.

3 ــ أغلب كتب التواريخ المحلية كانت أقرب إلى المؤلفات الدينية منها إلى المؤلفات التاريخية، فإن المؤلف ينساق وراء الأحاديث وأقوال الصحابة في ذكر فضل المدينة ويتبع ذلك بذكر الشيوخ والأولياء الذين ينتمون إليها حتى لا يبقى في آخر الأمر سوى حيّز ضئيل يتناول الأحداث الهامة في تاريخها.

4 ــ في القرون الثلاثة الأولى للتدوين التاريخي استخدم المؤرخون الإسناد كما في الحديث، فكل واقعة يذكرونها يسندوها إلى رُواتها حتى يُوصلوها إلى راويها الأول الذي هو شاهد عيان، وهذا يدل على الأمانة العلمية في رواية الأخبار بل إنهم كانوا يقدمون الروايات المتعددة والمختلفة حول الحادثة الواحدة، ويلاحظ هذا كثيرا عند الطبري.

لكن في القرن الرابع بدأ الإسناد يفقد وظيفته واتجه إلى الزوال، واتسعت الهُوّة بين علم الحديث والتاريخ، وأخذ التاريخ بهذا الشكل يعلن استقلاله بمنهجه الخاص.

5 ــ للأسف لم تصلنا أصول بعض كتب التواريخ حتى نتعرف على مواردها وطرائقها ومناهج كتابتها في البحث والتدوين، فنحن لا نملك إلا نقولا نزرة في مصادر متأخرة لا تعطي فكرة واضحة عن هذه التواريخ.

6 ــ لما كان التاريخ جزءا من النهضة الحضارية التي شهدها القرن الرابع الهجري فإننا وجدنا كثيرا من الأمراء يعقدون المجالس لقراءة التاريخ ومذاكرة تراجم رجاله وسير أحداثه ووقائعه مع العلماء والمؤرخين.

7 ــ اهتم بعض الأمراء والشعراء بتدوين تواريخ بلاد الفرس القديمة مخلدين مآثرها وأمجادها وبطولاتها ومناقبها، ونبغ في هذا الميدان شعراء كثيرون.

8 ــ لم يحفظ لنا التاريخ إلا ما دونه المؤرخون عن تواريخ المدن الكبرى والقصبات العظام في إقليم خراسان وما وراء النهر، أما ما عداها من المدن كبوشنج، وأشروسنة، وفرغانة ومروالروذ.. فلم يكتب حولها. والسبب قد يعود إلى كون حركة التأليف التاريخي لم تنشط بها لنشاط فروع أخرى من العلم كالأدب والشعر والطب والفلك وغيرها ....

2 ـ 2 ـ علم الجغرافيا والرحلات

إن الإنسان مرتبط بالأرض الذي يحيا فيها، ويرتفق قوانينها، ويستثمر خيراتها، وهو مدعوّ دوما إلى تسخيرها لما فيه نفعه، ومدعو إلى التأمل في آلائها، والسير في جنباتها، والسياحة في أرجائها، فقد خُلق منها، كما يدفن فيها ثم يبعث منها. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[1].

إن التجوال في الأرض، والرحلة في أقطارها، وترجيع البصر في آلاء الله تعالى وآياته فيها يوثق الصلة بالله، ويجعل المسلم يتعظ ويعتبر من طول النظر في سير الأولين وتواريخ السابقين، كم من الأمم درجت على هذه الأرض؟، وكم من الحضارات قامت وتجبرت وطغت، ثم بادت وتلاشت وطواها الفناء ؟ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2].

من هذا المنطلق راح المسلمون الأول يجوبون الآفاق، ويقطعون القفار، ويرحلون إلى البلدان والأصقاع، يعرفون طرقها، ويحددون مسالكها، ويصفون جغرافيتها ومناخها، وحدود أقاليمها. ورافق ذلك حروب التحرير الإسلامية زمن الفتح. فقد انساحت الجيوش الفاتحة في شتى أصقاع العالم القديم تمد رواق الإسلام إليها، وتنشر عقيدة التوحيد بين أهاليها. وقد تبين للمسلمين أن لابد من زيادة المعرفة بجغرافية الأقاليم. وظهر مصطلح أرض العنوة وأرض الخراج في الأقاليم المفتوحة، وتأثير ذلك في إيرادات بيت المال. فضلا عما اقتضته ضرورة الإدارة الإسلامية لهذه الأقاليم وسياسة الدولة في تأمين الطرق، وتعبيدها للتجار والحجاج والبريد.

---

(1) ــ سورة طه. الآية 55.

(2) ــ سورة الحج. الآية 46.

وإلى جانب ذلك قدمت الرحلات العلمية معلومات قيمة مبنية على المشاهدة والاطلاع عن كثير من الأماكن والمدن والسكك والمحال والدروب. أضف إلى ذلك اجتماع المسلمين في الحج من مختلف الأقطار وما ينجم عنه من اختلاط واحتكاك وتلاقح في الأفكار. كل ذلك أسهم بداية في وضع ثروة علمية كبيرة في ميدان العلوم والمعارف الجغرافية. وهو ما يمكن تسميته بالجغرافيا الوصفية. وقد اتبع الجغرافيون المسلمون الأوائل طريقة ممتعة في وصف عالمهم والأقاليم الملتاحمة لهم.

إلى أن جاء القرن الرابع الهجري، الذي يعتبر نقطة انطلاق لمرحلة جديدة. فقد أتيح للمسلمين أن يحوزوا قصب السبق في ميدان الرحلات والاستكشافات والدراسات الجغرافية، وأضاف الرحالة المسلمون الشيء الكثير إلى المعلومات التي كانت معروفة من خلال جغرافية بطليموس في العالم، كما تناولوا مؤلفات الإغريق الجغرافية بالنقد والتحليل، ووصلت صناعة الخرائط والنماذج الكروية للأرض درجة عظيمة من التقدم.وأفادت أوربا مما كان عندهم من علم بأجزاء العالم المعروفة في تلك الفترة.

ومع مطالع عصر النهضة الأوربية الحديثة صُرف اهتمام متزايد إلى دراسة تاريخ الفكر الجغرافي الإسلامي وتطوره، واعتاد كثير من كُتاب الغرب أن يصفوا جهود المسلمين بأنها متألقة في مجالات عديدة من التخصصات الجغرافية سواء منها الجغرافية الإقليمية، وجغرافية البلدان ومسالكها. والجغرافية الفلكية، والجغرافية الجيولوجية أو في مجال الخرائط أو التقاويم الجغرافية[1].

ونلاحظ من القرن الثالث إلى القرن الخامس ـــ خلال فترة الدراسة ـــ أن التأليف الجغرافي الإسلامي تطور إلى ثلاثة اتجاهات:

الأول: العناية الشديدة بأقطار العالم الإسلامي، فلم تُعق الفرقة السياسية، والحركات الاستقلالية عن مركز الخلافة في بغداد الرحالة المسلمين من التنقل بين أقاليم الدولة الإسلامية الكبرى دون عوائق أو حواجز، بل ظلت الصلات الثقافية والدينية رابطا قويا يجمع بين الشعوب الإسلامية في المشارق والمغارب، ويتجلى ذلك في كتابات البلخي والإصطخري وابن حوقل والمقدسي.

أما **الاتجاه الثاني:** فهو التخصص في قطر واحد وذكر كل ما يتعلق بوصفه من مدن ومسالك وديار وقرى وآثار، كما فعل الهمذاني في "صفة جزيرة العرب" والبيروني في كتابه عن

(1) ـــ عبد الرحمن حميدة. **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**. ط2، دمشق: دار الفكر، 1980م. ص66، صبري فارس الهيتي. **الفكر الجغرافي**. موسوعة حضارة العراق. بغداد، 1985م. ج8 / ص 192.

الهند وابن فضلان في رسالته ووصفه لرحلته في بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة. **والاتجاه الثالث**: هو وضع المعاجم الجغرافية. وهذا أظهر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). فالبكري وصف معجمه بقوله: " هذا معجم ما استعجم ذكرت فيه جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار من المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات منسوبة محددة ومبوبة على حروف المعجم مقيدة" [1]، وكتاب ياقوت الحموي "معجم البلدان" وهو خزانة أدب وعلم وأخبار وتاريخ وجغرافية [2]، قدم فيه وصفا دقيقا لدار الإسلام من الأندلس إلى بلاد ما وراء النهر والهند.

وقد نشطت الحركة العلمية في بلدان الجغرافيا خلال عصور الدويلات المستقلة في خراسان وما وراء النهر، لحاجة هذه الدول الناشئة إلى معرفة الأقاليم والبلدان والشعوب المجاورة وما يحتاج إلى ذلك في التنظيم المالي والإداري للدولة، وقد أسهم علماء المنطقة بسهم وافر في الدراسات الجغرافية، وبخاصة ما له صلة بالرحلات الجغرافية، بالإضافة إلى الدراسات الفلكية.

ويطالعنا خلال فترة البحث عدد من علماء الجغرافيا ممن برّزوا في هذا المجال، ووصفوا فيه التآليف النافعة، والتصانيف المفيدة، والأطالس المتخصصة، نذكر منهم:

ـ في بلاط إسماعيل الساماني (279هـ ـ 295هـ) ألف الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني كتابا لم يصلنا، استطرد فيه من بحث الضرائب إلى وصف البلدان، وقد ساعده مركزه السياسي كوزير بجمع المادة حول البلاد وأقاليم الدولة ومعلومات عن البلاد المجاورة، وذلك كله عن طريق المراسلات الكثيرة مع أعلام عصره وجمع المعلومات التي شاهدها وسأل عنها التجار والمسافرين والغرباء، وأخذها عن علماء عصره في كتاب سماه "المسالك في معرفة الممالك" أو "المسالك والممالك"[3].

وفيه "أخبار العالم وما فيه من العجائب والمدن والأمصار، والبحار، والأنهار، والأمم، ومساكنهم، وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الظريفة ..."[4].

---

(1) ـ البكري. **معجم ما استعجم**. ج1/ص1.

(2) ـ جرجي زيدان. **تاريخ آداب اللغة العربية**. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1983م، ج3/ص92.

(3) ـ ابن النديم. **الفهرست**. ص 170، ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق، ج2/ص18، عبد الرحمن حميدة. **أعلام الجغرافيين العرب**.مرجع سابق. ص 192.

(4) ـ المسعودي. **التنبيه والإشراف**. ص 65.

ومن خلال استقراء المصادر يتبين لنا أن كتاب الجيهاني كان مصدرا أساسيا لكثير من المؤرخين والجغرافيين بعد ذلك، فمثلا: أخذ عنه المسعودي [1]، كما استفاد من ابن الوردي في كتابه "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" وأشار إليه في كثير من موضع، كما أن ابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" يذكر أنه وجد هذا الكتاب في خزانة نيسابور، كما استفاد منه اليعقوبي ونقل عنه.بل إن الإدريسي يكثر من الإشارة إليه في نزهة المشتاق[2].

إلا أن المقدسي عاب على الجيهاني عدم سفره ومشاهداته للبلدان، ورماه بالجهل التام وعدم الدراية بهذا العلم، واصفا إياه بصاحب نجوم وفلسفة وهيئة، وقال: "إنه جمع الغرباء وسألهم عن الممالك وكيفية الدخول إليها، وعن أحوال النجوم، ودوران الفلك"[3].

والحقيقة أن رأي المقدسي فيه كثير من القسوة على الجيهاني، لأن كتاب "المسالك والممالك" أوصلنا بالرغم من طريقة جمع المعلومات إلا أننا سوف نُفيد منه في وصف بلاد الهند وأصنامها، وعجائب السند، والخراج، وبعض المواضع المهجورة، وتفصيلات عن الطرق والتضاريس الجغرافية[4].

"ومما يثبت أن حكم المقدسي لا يخلو من الإجحاف شهادة لمؤلف له مكانته مثل البيروني الذي لم يأنف من الرجوع إلى الجيهاني أو الاستشهاد به، وفي أمثال هذه الحالات يتضح ميل الجيهاني إلى ذكر العجائب والغرائب، بالإضافة إلى معرفته الواسعة بالديانة المسيحية، فالبيروني في كتابه الآثار الباقية ينقل عنه معجزة حدثت في إحدى الكنائس القبطية في مصر ــ النار المباركة ــ وفي كتابه "الجماهر" يروي قصة تتعلق بكنيسة إسطفانوس. واستفاد من كتاب الجيهاني أحد الجغرافيين وهو الخرقي المتوفى سنة 533هـ في وصف البحار"[5].

---

(1)- Ahmed Sayyid Maqbul.**A History of Arab. Islamic Geography.** Al, al-Bayt University. Amman , 1995, p, 102.

(2) ــ كراتشكو فسكي. أغناطيوس يوليا نوفتش. **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**. ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963م. ج1 / ص 220، دنون. **التاريخ الحضاري**.. مرجع سابق. ص 399، أديل. **الحركة العلمية**.. مرجع سابق. ص 178.

(3) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 3 ــ 4.

(4) ــ المصدر نفسه. ص 4.

(5)-البيروني.**كتاب الجماهر في معرفة الجواهر**.بيروت:عالم الكتب،(د.ت) ص 166،كراتشكوفسكي.**تاريخ الأدب الجغرافي العربي**.مرجع سابق. ج1/ص222،طارق الدليمي.**الحركة الفكرية** ... مرجع سابق. ص 380.

وهناك رأي يذكره ابن النديم أن ابن الفقيه الهمذاني له من الكتب "كتاب البلدان" نحو ألف ورقة، أخذه من كتب الناس، وسلخ كتاب الجيهاني[1].

إلا أن كراتشكو فسكي ينفي هذا، ويؤكد على أن طابع الكتاب النقلي ـــ البلدان ـــ مما لا يستطيع أحد إنكاره. ولكن كتابه يرجح أن تأليفه يرجع إلى ما قبل عام 290هـ. أي قبل أن يظهر كتاب الجيهاني للوجود[2].

أما ابن حوقل فيذكر أن الكتب التي ألفت في المسالك والممالك قبله لم تكن تعجبه فقال: "فلم أقرأ في المسالك كتابا مقنعا، وما رأيت فيها رسْما مُتّبعا"[3].

وتكلم عن منهجه بأنه يخالف منهج الجيهاني فقال: "ولا يقارب هذا التأليف عنده كتاب الجيهاني، ولا يوافق رسم ابن خرداذبة"[4].

ويذكر ياقوت الجيهاني و يضعه بين كبار الجغرافيين الذين حذقوا علم جغرافية البلاد وطبائع العمران ومسالك الممالك، ووصف الطرق، فقال: "فأما من قصد ذكر العمران فجماعة وافرة منهم من القدماء الفلاسفة والحكماء أفلاطون وفيثاغورس وغيرهم كثير... وطبقة أخرى إسلاميون سلكوا قريبا من طريق أولئك في ذكر البلاد والممالك، وعينوا مسافات الطرق والمسالك، وهم ابن خرداذبة، وأحمد بن واضح الجيهاني ..."[5].

وأخيرا يمكن أن يصنف كتاب "المسالك والممالك" للجيهاني بأنه من نماذج تلك الكتب التي كانت تهتم بجمع معلومات واسعة ومتنوعة تستطيع أن تجتذب أنظار الطبقات المثقفة لمجتمع ذلك الوقت[6].

وممن عاصر الجيهاني من الجغرافيين نذكر أبا زيد أحمد بن سهل البلخي (ت322هـ).وكان في خدمة إسماعيل الساماني أيضا، وقد عُدّ البلخي أحد أركان النهضة الجغرافية في عصره. فقد وضع مصورا جغرافيا إلا أنه جاء مقتضبا، يفتقر إلى التفصيل والترتيب، ويهمل ذكر المدن

(1) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 188.

(2) ـــ كراتشكو فسكي. **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**. مرجع سابق. ج1 / ص 221.

(3) ـــ ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص 10.

(4) ـــ المصدر نفسه. ص 15.

(5) ـــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج 1 / المقدمة.

(6) ـــ كراتشكوفسكي. المرجع السابق. ج1 / ص 220.

المهمة[1]. ونستشهد هنا بما ذكره المقدسي في نقده لهذا الكتاب فيقول: "وأما أبو زيد البلخي فإنه قصد بكتابه الأمثلة، وصورة الأرض، بعدما قسمها على عشرين جزءا، ثم شرح كل مثال واختصر، ولم يذكر الأسباب المفيدة، ولا أوضح الأمور النافعة في التفصيل والترتيب وترك كثيرا من أمهات المدن فلم يذكرها وما دوّخ البلدان ولا وطئ الأعمال ألا ترى أن صاحب خراسان استدعاه إلى حضرته ليستعين به فلمّا بلغ جيحون كتب إليه إن كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فإن رأيي يمنعني من عبور هذا النهر، فلما قرأ كتابه أمره بالخروج إلى بلخ"[2]. وقد ثمّن بروكلمان كتاب أبي زيد البلخي وعدّه أساس المدرسة القديمة للجغرافيا العربية[3].

ويشتمل كتاب "الأشكال وصور الأقاليم" على مجموعة من الخرائط تمثل شكل الأرض والأقاليم التي تنقسم إليها مع العناية بالدول الإسلامية واستخدم الألوان في رسمها، وعقّب عليها بالشرح والوصف، وربما أقيم على أساس أطلس إسلامي الأقدم تأليفا. واقتبس منه جغرافيو العرب ممن جاءوا بعده لا سيما الاصطخري على حد قول أحمد عطية[4].

وقد وصل مصنّف البلخي إلينا في مسوّدة مُصلّحة من عمل أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري حوالي عام 330هـ. وزاد على هذا المصنّف وأكمله أبو القاسم بن حوقل، وكل من الاصطخري وابن حوقل ينتميان إلى القسم الغربي من العالم الإسلامي، ولكنهما زارا بلاد ما وراء النهر وتركا وصفا مفصلا لها[5].

وكذلك المقدسي فإنه زار بلاد ما وراء النهر، ووضع كتابه النفيس "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، وأهداه إلى السامانيين، تقديرا لرعايتهم له، وشموله بعطفهم[6].

ومن المصنّفات الجغرافية البارزة خلال العصر السامانى كتاب "حدود العالم من المشرق إلى المغرب". لمؤلف مجهول أتمه سنة 372هـ. والمؤلف فيما يبدو عالما نقليا لم يعرف التجوال

(1) ــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 73.

(2) ــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 4.

(3) ــ بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ج4/ص247.

(4) ــ أحمد عطية. **القاموس الإسلامي**. القاهرة: (د. م)، 1963م. ج1 / ص 353. إبراهيم محيسن. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص 222.

(5) ــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 73.

(6) ــ ذنون. **التاريخ الحضاري**.. مرجع سابق. ص 400.

أو الترحال. وهو لا يميل إلى ذكر مصادره، ولكنه يشير مرّة أو مرتين إلى كتاب أرسطو طاليس "الآثار العلوية" ويذكر أيضا بطليموس الذي استعمله بالطبع في ترجمة عربية، ولكنه يهمل الأطوال والعروض، ولو أن هذا لم يمنعه أحيانا من الاحتفاظ ببعض الأصالة كوصفه البحار السبعة، ولم يقف إغفاله على ذكر المراجع حائلا دون التعرف على مصادره مع البحث العميق والتقصي[1].

ويرى بارتولد أن مصدره الأساسي هو الجيهاني، وأنه أفاد بنفس القدر من مصنّفات جغرافيي المدرسة الكلاسيكية خاصة من المسودات المختلفة لكتاب الإصطخري[2].

وقد أهدي هذا الكتاب إلى الأمير أبو الحارث محمد بن أحمد الفريغوني حاكم الجوزجان الذي كان يدين بالتبعية للسمانيين[3]. ويبدو أن مؤلف الكتاب قد لقي الرعاية والتشجيع من قبل حكام الجوزجان. الذين عرفوا بحبهم للعلم، ورعايتهم للعلماء وإلى ذلك يشير ابن الأثير بقوله: "وفيها ـ أي سنة (401هـ) ـ توفي الأمير أبو نصر أحمد بن أبي الحارث محمد بن فريغون صاحب الجوزجان، وكان صهر يمين الدولة على أخته وكان هو وأبوه قبله ـ الذي أهدي إليه كتاب حدود العالم ـ يُحبان العلماء ويحسنان إليهم"[4].

وكتاب "حدود العالم" ينقسم إلى واحد وستين فصلا تعالج مسائل عامة كشكل الأرض، وأحوال سكانها والبحار والجزر والجبال والأنهار والصحاري، ثم يتكلم بعد ذلك عن مناطق العالم مثل إقليم الصين والهند والتبت والتغزغز، ثم بقية المناطق الأخرى. وعن جغرافية بلاد ما وراء النهر نرى المؤلف يُعين حدود العالم فيقول: "يحدها شرقا التبت، ومن الغرب غوزست، وشمالا حدود بلخ، ومن الجنوب خراسان"[5].

ثم يتكلم عن أهم مدنها مثل: بخارى، وسمرقند، وبيكند، وصغد، وطواويس، وكرمينية، واشتيخن ... وغيرها[6].

---

(1) ـ كراتشكوفسكي. **تاريخ الأدب الجغرافي والعربي**. مرجع سابق. ص 358.

(2) ـ بارتولد. المرجع السابق. ص 384 وما بعدها.

(3) ـ المرجع نفسه. ص 75.

(4) ـ ابن الأثير. **الكامل**. ج7 / ص255 ـ 256.

(5) ـ مجهول. **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**. تاريخ التأليف 372هـ. تحقيق. منوجهر ستوده. طهران، 1962م. ص 106 ـ 108. نقلا عن جهاد عزت. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص 358 ـ 359.

(6) ـ مجهول. **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**. ص 112.

أما عن الكتاب فأسلوبه موجز أحيانا، وتارة يُفصّل عندما يذكر المدن، وإذا توفرت لديه المعلومات فإنه يذكرها بصورة مختصرة، لكنها تفي بالغرض المطلوب مثل مكة المكرمة[1].والبصرة وبنائها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كما يذكر في بعض الأحيان أشهر علماء البصرة مثل ابن سيرين والحسن البصري، وأنس بن مالك[2]. ويذكر عرضا أهم المعادن والسلع التي ترتفع من البلاد التي يتكلم عنها، ولم يقتصر على ذكر المدن الموجودة في أيامه بل تطرق إلى ذكر المدن القديمة والأثرية مثل مدينة بابل التي قال عنها: إنها مدينة قديمة في العراق، ومقر حكم الكنعانيين[3].

ولو قارنا معلوماته عن المشرق لوجدناها أوسع وأدق مقارنة مع معلوماته عن المغرب الإسلامي، فعند حديثه عن إقليم الأندلس ككل يخصص لها صفحتين فقط مكتفيا بتعداد أهم مدنها ومحددا مواقعها[4]. ويؤيد هذا الرأي بارتولد الذي أشار إلى أن كتاب حدود العالم يحتوي على مادة وفيرة عن بلاد الترك وعن مناطق آسيا الوسطى التي لم تخضع لسلطان المسلمين، ومادته في هذا الصدد تفوق من حيث الوفرة والتفصيل مادة جميع المصنفات الجغرافية العربية الأخرى الموجودة بين أيدينا[5].

ومن أشهر الجغرافيين في القرن الرابع الهجري ممن اهتموا بإقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر ووصفوا مدنها بنوع من التفصيل نذكر شمس الدين محمد المعروف بالبشاري المقدسي المتوفى سنة (387هـ). وكتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ذو قيمة عظيمة من الناحيتين التاريخية والجغرافية. ويتحدث المقدسي عن تجاربه وأسفاره واطلاعه على الكتب قبل تأليف كتابه فيقول: "وما تمّ لي جمعه إلا بعد جولاني في البلدان، ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك، ومجالستي القضاة، ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقرّاء، وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوّفين، وحضور مجالس القُصّاص والمذكّرين، مع لزوم

(1) ــ مجهول. **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**. ص 195 ــ 196.

(2) ــ المصدر نفسه. ص 152.

(3) ــ المصدر نفسه. ص 153.

(4) ــ المصدر نفسه. ص 181 ــ 183.

(5) ــ بارتولد. **تركستان**. مرجع سابق. ص 76.

التجارة في كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد، ..."[1].

وعن تجاربه يقول: "إنه لم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيبا .... فقد تفقّهت، وتأدبت، وتزهدت وتعبّدت، وفقّهت وأدّبت، وخطبت على المنابر، وأذّنت على المنائر، وأممت في المساجد، وذكّرت في الجوامع واختلفت إلى المدارس، ودعوت في المحافل، وتكلمت في المجالس، وأكلت مع الصوفية الهرائس، ومع الخانقائيين الثرائد ... وطُردت في الليالي من المساجد، وسحت في البراري، ونمت في الصحاري، وصدقت في الورع زمانا ... وحملت على رأسي بالزنبيل، وأشرفت مرارًا على الغرق، وقُطع على قوافلنا الطُرق ..."[2].

وعن اطلاعه على الكتب، في هذا الفن فد صرح المقدسي بذلك في وضوح وإيجاز فيقول: "... ونحن فلم يبق إقليم إلا وقد دخلناه، وأقلّ سبب إلا وقد عرفناه، وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب، فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام ... وما بقيت خزانة ملك إلا وقد لزمتها، ولا تصانيف فرقة إلا وقد تصفّحتها، ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها"[3].

وقد وصف المقدسي إقليم خراسان من عدة نواحٍ منها الحياة الاجتماعية والدينية، فتحدث عن الأسواق والسلع والبضائع التي كانت ترد إليها، كما تحدث عن المذاهب والفرق الدينية ودورها في المجتمع الخراساني، وقد أورد ذلك في عدة مواضع منها:

"هو أكثر الأقاليم ـــ يعني إقليم خراسان ـــ علمًا وفقها، وبه يهود كثيرة ونصارى قليلة، وأصناف المجوس.. وأولاد علي فيه على غاية الرفعة، ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة وكرخ واستريبان كثيرة، وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة، وللشيعة والكرامية بها جلبة، والغلبة في الإقليم لأصحاب أبي حنيفة إلا في كورة الشاش وإيلاق والطوس ونسا وأبيورد وطراز وصنغاج، وسواد بخارى وسنج والداندانقان وإسفرايين وجُويان، فإنهم شفعوية كلهم ...."[4].

ومن ثمّ يعتبر "كتاب "أحسن التقاسيم" نموذجا للكتاب العلمي المرتب المنتظم المبوب والمقسم"[5].

---

(1) ـــ المقدسي. **أحسن التقاسيم**. ص 2.

(2) ـــ المصدر نفسه. ص 44.

(3) ـــ المصدر نفسه. ص 43.

(4) ـــ المصدر نفسه ص 322 ـــ 323.

(5) ـــ نقولا زيادة. **الجغرافية والرحلات عند العرب**. بيروت: دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، (د. ت).ص50.

وفضلا على أنه فريد في الجغرافيا، فهو أيضا من كتب الأدب الجميلة، لما احتوى من رصين الأسلوب ورقيق العبارة، ودقيق التعبير[1].

ولم ينقض القرن الرابع الهجري حتى شهدنا مولد جغرافي مسلم كبير عاش وخدم في بلاط السامانيين ببخارى. وقدم الكثير من المعلومات الجغرافية الهامة كانت مصدرا للجغرافيين من بعده. وهو أبو دُلَف مُسعِر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي (ت 390هـ)، وهو شاعر له أرجوزة جميلة ذكرها الثعالبي في" يتيمته"[2]، كما اشتغل بالترجمة وعمل سفيرا ومُهتمًا بالجغرافيا. وقد أودع مشاهداته وخبرته في السفر والارتحال في رسالتين: الأولى عن رحلته إلى الصين، والثانية عن بلاد ما وراء النهر[3].

وقد نقل لنا ياقوت نص رحلة أبي دلف مسعر بن مهلهل في ذكر ما شاهده في بلاد الترك والصين والهند فقال: "لما نباني وطني ووصل بي السير إلى خراسان، ضاربًا في الأرض، أبصرت ملكها والموسوم بإمارتها نصر بن أحمد الساماني عظيم الشأن كبير السلطان .... ووجدت عنده رسل قالين بن الشخير ملك الصين راغبين في مصاهرته طامعين في مخالطته يخطبون إليه ابنته، فأبى ذلك واستنكره لحظر الشريعة له، فلما أبى ذلك راضوه على أن يزوج بعض ولده ابنة ملك الصين، فأجاب إلى ذلك، فاغتنمت قصد الصين معهم، فسلكنا بلد الأتراك"[4].

ثم يصف الطرق التي مرّوا بها، وحياة السكان وكيفية معاشهم وأديانهم وكيفية وصولهم إلى ملك الصين، وكيف أن الوفد الساماني نزل بضيافة ملك الصين. وكيف خاطبه الرسل في تزويج ابنته من نوح بن نصر فأجابهم إلى ذلك، ثم حُملت المرأة إلى خراسان فتزوّج بها نوح بن نصر[5].

وتدل هذه الإشارة إلى وجود نوع من العلاقات الاجتماعية والسياسية بين الأمراء السامانيين وإمبراطورية الصين بحيث انتهت إلى المصاهرة بين السُلالتين.

وقد استفاد من أبي دلف عدد من الجغرافيين المسلمين منهم القزويني في كتابه "آثار البلاد

(1) ــ نقولا زيادة. المرجع نفسه. ص 51.

(2) ــ **يتيمة الدهر**. ج3 / ص 223 ــ 224.

(3) ــ دنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص 246.

(4) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج3/ص501 ــ 508.

(5) ــ المصدر نفسه.

وأخبار العباد"، فقد اعتمد عليه كثيرا وخاصة في وصفه لبلاد الصين وعاصمتها (سندابل)[1]. والسند[2]، وصيمور[3]، وكشمير[4]، وغيرها[5].

وأخذ عنه ياقوت الحموي، كما تبين في مواد، تفلـيس[6]، والجبـال[7]، وجرجـان[8]، والدامغان[9]، ودورق[10]. ولا يستبعد آدم ميتز أن يكون الإدريسي قد أخذ عنه وصفه للطريق الذي يسير من فرغانة إلى حوض التاريم. مارًا بهضبة البامير[11].

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن مادة أبي دلف كانت من مصادر الصـينيين للكتابـة عـن بلادهم أيضا[12].

وفي العصر الغزنوي يكفي أن نذكر أحد أعلام الجغرافيا و الرحلات وهو ناصري خسـرو (ت 481هـ)[13]، الذي تأدب وشارك في علوم عصره ونال حظا وافرا من معارفه، وزار الهند وعمل في بلاط الغزنويين، ثم عاد إلى فارس وشغل منصبا كبيرا عند السلاجقة، ولكن كـان كثير الترحال في أقاليم العالم الإسلامي. فارتحل من مرو ونيسابور إلى بلاد الشام ثم إلى مصر. وكان ناصري خسرو إسماعيليا شديد التعصب لمذهبه، وفي أثناء إقامته في القـاهرة تـدرّج في مناصب الدعاة الإسماعيلية وقابل الخليفة الفاطمي نفسه، وكان يرى أن القاهرة المركز الـديني لمذهبه وأن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله هو الإمام الحق، ولما عاد إلى بلاده قضـى سـنوات

(1) ــ القزويني. **آثار البلاد**. ص 45 ــ 46.

(2) ــ المصدر نفسه. ص 94.

(3) ــ المصدر نفسه. ص 97.

(4) ــ المصدر نفسه. ص 104.

(5) ــ المصدر نفسه. ص 105، 122، 281.

(6) ــ ياقوت. **معجم البلدان**. ج2/ص42.

(7) ــ المصدر نفسه. ج2/ص115.

(8) ــ المصدر نفسه. ج2/ص139.

(9) ــ المصدر نفسه. ج2/ص493.

(10) ــ المصدر نفسه. ج2/ص549.

(11) ــ ميتز. **الحضارة الإسلامية**. مرجع سابق، ج2/ص416.

(12) ــ بدر الدين الصيني. **العلاقات بين العرب والصين**. ط1، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1950م. ص 125 ــ 126، ذنون. **التاريخ الحضاري**.. مرجع سابق. ص 401.

13)) ــ بالرغم من أنه خارج الإطار الزمني للأطروحة إلا أنه ثبت أنه اشتغل في بلاط الغزنويين في خراسان.

طويلة متخفيا في جبال خراسان، لما اشتد السلاجقة في طلبه.

وقد كان ناصري خسرو دقيق الملاحظة، شديد العناية بتقصي الأخبار وروايتها، فجاءت رحلته المعروفة باسم "سفرنامة" غنية بالصور مليئة بالمعلومات عن البلاد التي زارها، وتُلقي رحلته الضوء على الكثير من النواحي الاجتماعية والاقتصادية لبلاد الشام قبيل الحروب الصليبية[1].

وفي الأخير نستطيع أن نقول: إن الأدب الجغرافي قد حظي بعناية جيدة في خراسان وبلاد ما وراء النهر. واستطاع أعلام هذا الفن أن يؤسسوا لأدب الرحلات في تراثنا العلمي. ويقدموا نماذج متفردة في جغرافية الأقاليم، وجغرافية المدينة الإسلامية، ويمزجوا بين الجغرافيا والتاريخ في تناسق حيوي هام، مع شمولية الرؤية الجغرافية لديار الإسلام في ذلك العصر، إذْ أنّهم قدموا لنا أوصافا متعددة لإقليم خراسان وما وراء النهر من خلال تناولهم لكافة المدن والقرى والمحال.. التي جابُوها وتنقلوا بينها. مما كشف تلك الأقاليم البعيدة عن عاصمة الخلافة وما حولها. وما حدث فيها من نمو حضاري وعمراني وخاصة في أكبر الحواضر. كنيسابور، ومرو، وبلخ، وبخارى، وسمرقند .... وما رافق ذلك من كثافة سكانية، وعلاقات تجارية، وأحوال اجتماعية متجددة، وتطورات علمية مشهودة. متمثلة في الرحلات العلمية التي تجاوزت العوائق الجغرافية في ذلك العصر من أجل أن تنصهر في عالمية إسلامية كبرى.

ومجمل القول أن مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين في إقليم المشرق احتوت على حصيلة جليلة ومعارف هامة من تاريخه على نحو لا يتم اليوم في عصر التكنولوجيا والاتصال والمواصلات. إلا بجهود الجماعات العلمية التي ترصد لذلك المال الطائل، وقد شهد لهم بذلك رجال ذوو قدر عظيم في موازين العلم الجغرافي من أمثال نالينو وجورج سارتون واغناطيوس كراتشكوفسكي.

ويكفي أن نذكر هنا أن عالما إيطاليا جليلا هو ليفي ولافيدا في آخر دراسة له عن الإدريسي تأسف على أن جغرافيته دخلت في تراث المسلمين و لم تدخل في تراث الإيطاليين لأن الإدريسي وحده شرف لأي حضارة من حضارات الأرض، فما بالك وهو عندنا في ميدان الجغرافيا، واحد من عشرات الجغرافيين والبلدانيين والمسالكيين المسلمين الذين سعدت بهم دار الإسلام من بلاد ما وراء النهر شرقا إلى بلاد الأندلس غربا.

(1) ــ نقولا زيادة. **الجغرافية والرحلات**. مرجع سابق. ص 159 ــ 160.

3 ــ العلوم الكونية

1.3 .العلوم الكونية والوحي الإسلامي

بالنظر المتفحص للوحي الأعلى قرآنا و سنة يمكننا معرفة الخصائص المميزة للإسلام التي تظهر الفروق بينه وبين غيره من الأديان و المذاهب و الفلسفات.

وتتجلى من خلال هذه الخصائص النظرة العامة و الشاملة إلى الوجود و الحياة ،و إلى الكون وإلى الإنسان ثم تنتهي أخيرا بنظرته إلى الله جلّ جلاله.

والبيئة الكونية تحتل حيّزا مُهمًا من التوجيهات القرآنية التي تستهدف إعداد الإنسان لإنجاز مهمة الخلافة التي هي غاية وجوده، فقد اعتبر القرآن الكريم عنصر الكون عنصرا أساسيا من عناصر البيئة الوجودية الموسعة التي تحتضن الوجود الإنساني إلى جانب العنصرين الآخرين المهمين: العنصر الغيبي، و العنصر الاجتماعي.

وكما جاء الخطاب القرآني هادفا إلى تربية الإنسان تربية تؤدي به إلى حسن التعامل مع الوجود الغيبي، ومع البيئة الاجتماعية، فإنه جاء أيضا هادفا إلى تربية ليحسن التعامل مع البيئة الكونية، تحقيقا للعناية الإلهية الشاملة في إرشاد الإنسان إلى ما يضمن تحقيق الغاية من وجوده[1].

إن تصور القرآن للكون يقوم على أساس أن الوجود كله من خلق الله تعالى أودعه سبحانه قوانينه التي تتحرك بها، والتي تتناسق مع حركة أجزائه فيما بينها، كما تتناسق بها حركته الكلية، لأن وراء هذا الكون مشيئة وقدرة وناموس، هذا الناموس يتسق بين مفردات هذا الوجود وينظم حركته جميعا، فلا تصادم ولا اختلال ولا تعارض[2].

لقد انطلق القرآن الكريم في خطابه للإنسان من الإنسان نفسه وما يحيط به من الكون أو أجزائه وحوادثه ومشاهده، وقد قرّر القرآن نفسه هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(20)وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[3].. وكذلك في آية أخرى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[4].

---

(1) ــ عبد المجيد النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص9.

(2)-توفيق يوسف الواعي. **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**.المنصورة:دار الوفاء للطباعة والنشر، 1988م،ص180.

(3) ــ سورة الذاريات، الآية 20-21.

(4) ــ سورة فصلت، الآية 53.

وقد باشرت الإرشادات القرآنية الإنسان بالإعداد المستمر و التهيئة الدائمة الشاملة ليتمكن من تحقيق توافقه مع الكون في اتجاه الله تعالى حتى ليمكن القول إن كل البيانات القرآنية المتعلقة بالكون تنتظم في سياق يعد الإنسان للتعامل معه بما يحقق الاستخلاف، و لم يرد ذكر لموجودات كونية مجردا عن هذا المعنى، وهو ما يتناسب مع الحقيقة العقدية التي تجعل من الكون وسيلة لخدمة الإنسان.

لأن الإنسان على مرّ أزمان متطاولة من التاريخ نشأت بينه وبين الكون مشكلة نفسية وهي الشعور بعظمة الكون وجبروته إزاء ظآلة الإنسان وضعفه، مما أدى بالإنسان إلى أن يقف من الكون موقفا انهزاميا تردد فيه بين الخوف من صولة الكون وبطشه، وبين الرجاء في منّته وعطائه، فاتخذ لذلك آلهة من موجوداته العظمى يطلب عندها الأمن كما يطلب عندها الخير، وأدى به أحيانا إلى موقف عدائي انتهى به إلى التحدي و الصراع لقهر الموجودات الكونية وتسخيرها عنوة في سياق الثأر للانهزام السابق.

وقد عمد القرآن الكريم إلى معالجة هذه المشكلة النفسية وذلك بإزالة الحاجز النفسي بين الإنسان والكون، وتوفير مناخ يشعر فيه الإنسان بضرب من التواصل بينه وبين الكون ينفي كل معنى للانهزام و العداء.

وتمثل هذا العلاج للمشكلة النفسية فيما رسمه القرآن الكريم من خطوط للعلاقة بين الإنسان والكون، يؤدي تمثلها والإيمان بها إلى شعور بوشائج من القربى و التواصل من جهة، وشعور بالرفعة والاستعلاء من جهة أخرى[1].

ومنهج القرآن في هذا الإعداد النفسي لربط العلائق الواشجة بين الإنسان والكون هو عرض حوادث الكون بعيدا عن الخرافات والأساطير، وجعل الارتباط بين الحوادث ارتباطا موضوعيا بين المقدمات و النتائج، بين الأسباب و المسببات، وبذلك فسح المجال الواسع للفكر العلمي المبني على البحث بين ترابط الحوادث.

ففي حين خلا القرآن من الخرافات والأساطير في تعليل حوادث الطبيعة واقتصر على ربط الحوادث الكونية بعضها ببعض كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[2]. تولى النبي ﷺ ــ وهو المكلف بتبليغ القرآن وتبيينه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

(1) ــ عبد المجيد النجار. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. مرجع سابق، ص16 ــ 18.

(2) ــ سورة الحج، الآية 63.

إِلَيْهِمْ﴾[1]... تولى محاربة الخرافات و التعليلات السحرية والأسطورية والتنبؤات التي هي من هذا النوع واستعمالها وتعاطيها بدلا من الأسباب الكونية التي أرشد الله إليها.

ومن هذه الأحاديث النبوية قوله عليه الصلاة والسلام: "من أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما "[2]. وقوله أيضا:" من سحر فقد أشرك" [3]. بل إن الرسول الكريم كان يغضب إذا رأى الناس يتجهون لهذه التعليلات الخرافية، ومن ذلك أن الشمس كسفت يوما في حياته وكان ذلك اليوم نفسه يوم وفاة ولده إبراهيم فظن الناس أن كسوف الشمس كان بسبب وفاة ولده فبلغه ذلك فخرج مغضبا وجمع الناس في المسجد وقال: " إن الشمس و القمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله يريهما الله عباده"[4].

ومن خصائص العرض القرآني للكون و الطبيعة أنه قرنه دائما في آياته الكريمة بالألفاظ الدالة على التفكير مثل " يتفكرون ويعقلون ويعلمون ويفقهون ويسمعون ..." وبذلك وجه القرآن الكريم إلى اتخاذ الحواس و العقل أو التفكير وسيلة لمعرفة ما في الكون من حقائق وسنن.

بل إن القرآن يوجه الإنسان لاستثمار ما في الكون وتسخيره لمنفعته بتخير وإعداد من الله مع الإشارة إلى أن العقل هو الوسيلة لمعرفة طرق هذا التسخير والاستثمار وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5].

كما نلاحظ أن القرآن في سوره وآياته التي ورد فيها ذكر الطبيعة ومشاهدها والكون وحوادثه لم يتعرض لذكر ما هو من قبيل عالم الغيب أو عالم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) كالملائكة و الجن، بل فصل بينهما وجعل لكل منهما مكانا ولكل منهما نظاما وجعل صلة الإنسان بعالم الشهادة طريقها الحواس و التفكير أي أدوات الشهادة وصلته بعالم الغيب طريقها الإيمان﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ عن طريق الوحي والنبوة.

وكان من عناية القرآن في إبراز عالم الشهادة أو عالم الطبيعة أن جعله المنطلق للوصول إلى الإيمان بالله وإلى سائر حقائق عالم الغيب ليكون الانتقال من الحسي القريب إلى المجرد البعيد.

---

(1) ـــ سورة النحل، الآية 44.

(2) ـــ رواه مسلم في كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة ، وإتيان الكهان. ج4/ص1751، رقم 2230.

(3) ـــ رواه النسائي في كتاب تحريم الدم ، باب الحكم في السحرة ، رقم 7/ص112، رقم 4079.

(4) ـــ رواه البخاري في كتاب الجمعة ـــ باب الصلاة في كسوف الشمس ـــ رقم 982. ومسلم في كتاب الكسوف.

(5) ـــ سورة الجاثية. الآية 12.

إن هذا التصور الإسلامي للكون أو الطبيعة كما تجلى لنا في القرآن و السنة و الذي يتميز بالشمول و الحركية و السير على سنن مطردة منتظمة تربط بين الحوادث سابقها ولاحقها ارتباطا منتظما ـــ أو ما يسمى في الفلسفة الحديثة بالنظام السببي للكون (LeSystèmecausal) ـــ والخلو من الخرافات والأساطير والظهور للإنسان بمعالم موضوعية يدركها بحواسه أو بعقله أوبهما معا منفصلة عن الحوادث و المخلوقات الغيبية، فيما عدا كونها مخلوقة أصلا لله على ما هي عليه من التقدير و التنظيم، إن هذا التصور العام للكون يظهر لأول مرة في تاريخ الأديان وتاريخ الفكر بهذه الصورة الكاملة الخالية من الخرافات و المنفصلة من تداخل الغيبيات قد أحدث نقلة هائلة في الفكر العلمي وقفز بهذا التوجيه قفزات كبيرة جدا كان من نتائجها تقدم العلوم الطبيعية في الحضارة الإسلامية من كيمياء وفيزياء وفلك وطب ونبات بالإضافة إلى التوسع والإبداع في الرياضيات، وكذلك جعل الطريقة التجريبية طريقا إلى معرفة الكون بدلا من طريقة التأمل المعروفة عند اليونان وكان فضل الإسلام في ذلك عظيما[1].

لقد استطاع الإسلام أن يغيّر الصلة بين الكون والإنسان من كون مقدس معبود يعلو على الإنسان، إلى كون مسخّر ومذلل وخاضع للإنسان الحاكم عليه و المستثمر له، وفي هذا تغيير لمجرى الحضارة كلها وخروج من مرحلة تعطيل الإنسان وانحطاطه إلى تنشيطه ورفع مستواه، من أجل هذا كان الإسلام متشددا في كل مظهر من مظاهر الوثنية، لئلا تُطل برأسها من جديد في أي شكل من الأشكال، وهنا تبدو قيمة (التوحيد) وأهميته الحضارية[2].

ومن هذا المنطلق وجدنا أن علماء المسلمين في إقليم المشرق (خراسان وماوراء النهر) ـــ خلال فترة الدراسة ـــ استطاعوا أن يفكوا الارتباط بين عدد من العلوم كالفلك والطب والصيدلة وجنوحها الخاطئ باتجاه الخرافة والأساطير و الوثنية واللامعقول وتحويلها بالتالي إلى منهج علمي يستهدف الإفادة الفعلية الممكنة من فتوحها العلمية الباهرة لتحقيق مقاصد الشريعة وتيسيرات الحياة.

ومرجع ذلك يقينا إلى الباعث الإسلامي للبحث العلمي في الكونيات والحث على النظر في آيات الله الكونية في الأرض وفي السماء وفي الأنفس لمعرفة خصائص الأشياء وقوانينها وطرق الاستفادة منها.

وقد نقل هذا الباعث الإنسان المسلم إلى مرحلة يرتبط فيها الإيمان الموحد بالكشف والإبداع، ويلتحم التلقي عن الوحي الأعلى بالغوص في مسالك الكون وفهم أسراره وارتفاق

(1) ـــ انظر: محمد المبارك. **الإسلام والفكر العلمي**. ط1، بيروت: دار الفكر، 1978م، ص22ـــ 40.

(2) ـــ انظر: المرجع نفسه. ص44.

خيراته، إن هذا الفقه هو ما فهمه العلماء في مختلف المجالات العلمية التطبيقية مما جعلهم يحققون مبدأ الاستخلاف الذي كلفوا به.

وسوف نلحظ هذا التفوق في ما سوف نعرضه من نماذج لعلماء خراسان وما وراء النهر ومـــا أضافوه من معارف وذخائر في ميدان العلوم الكونية لا يزال يشيد بها أرباب الحضارة المادية الحديثة.

2.3.الطب والصيدلة:

1.2.3.لمحة موجزة عن تاريخ الطب قبل القرن الثالث الهجري

مما لاشك فيه أن حاجة الإنسان إلى الطب كحاجته إلى الطعام والشراب يعـــالج مرضـــه، ويخفف آلامه، ويدفع عنه الضعف والهزال، ويُمكنّه من إعمار الأرض بقوة، والقيام على تحقيق سنة الاستخلاف كما أرادها الله سبحانه وتعالى.

وقد فصّل علماء المسلمين القول في تعريف "الطب" وبيّنوا فضل صناعته، ومنهم ابن خلدون في قوله: "الطب هو فرع من فروع الطبيعيات وهو صناعة تنظر في بدن الإنسان، من حيـــث يَمْرُض ويَصِحّ، يحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبيّن المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن والأسباب التي ينشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية، مستدلين بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه"[1].

وقد تجمعت لدى الإنسان جملة من الملاحظات الدقيقة في مجال الطب عبر التاريخ، مع ما اختلط عنده بالخرافة والشعوذة والسحر، فتكون من كل ذلك تراث طبي توارثته الأجيال لاحقا عن سابق.

فالمصريون برعوا في الجراحة والتحنيط والتشريح، واهتم البابليون بدراسة الكبد في جهازي الإنسان والحيوان، كما اعتنوا بدراسة التشويهات الخلقية في كل منهما. كما كان الطب عند الصينيين راقيا، ولكنه مختلط بالدين، فهو مزيج من الحكمة التجريبية والخرافات الشعبية، وقـــد لاحظ الصينيون العلاقة بين النّبض وكل من أمراض الحمى والصدر والجلد، كمـــا حـــاولوا الحصول على دواء يطيل العمر. كما وصفوا من الحميات مثلا ألف نوع، واستخدموا اللقاح في معالجة الجدري ووصفوا الزئبق علاجا للزهري، كما عرفوا العلاج بوخز الإبر منذ زمن طويل.

كما اعتنى أطباء الهند بالطب الروحاني، فالعلاج عندهم يكون بالأعشاب والتمائم السحرية

(1) ــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص490.

والماء حسب الطب الهندي هو خير علاج لمعظم الأمراض.. أما أطباء اليونان فقد اعتنقوا نظريات أبقراط وجالينوس في الطب، ومنها نظرية الطبائع الأربع في الجسم (البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة) وتمثلها السوائل (البلغم والدّم والسوداء والصفراء). وامتزج الطب بالفلسفة عند اليونان وسيطرت المفاهيم الفلسفية على المعالجات الطبية مما أعاق قيام منهج علمي تجريبي صحيح في بلاد اليونان. واشتهر أطباء الرومان بالعملية القيصرية في الولادة وكذلك باستئصال الثدي عند إصابته بالسرطان.

ثم كان العرب في الجاهلية يشتهرون بطريقتين في العلاج، إحداهما: طريقة الكي بالنار، والأخرى شرب العسل أو منقوع الأعشاب[1].

وقد ظل الطب في صدر الإسلام يتصدر العلوم التي ينبغي معرفتها، لحاجة الناس إليها، قال القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي: "إن العرب في صدر الإسلام لم تُعن بشيء من العلوم إلا بلغتها، ومعرفة أحكام شريعتها، حاشا صناعة الطب، فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طُرّا إليها"[2].

وقد كان في عهد الرسول ﷺ أناس يعلمون الطب، ويعملون به، ذكر ابن الجوزي عن هشام بن عروة قال: "كان عروة بن الزبير يقول لعائشة رضي الله عنها: يا أماه لا أعجب من فقهك، أقول زوجة رسول الله ﷺوابنة أبي بكر، ولا أعجب من علمك بالشعر، وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر، وكان من أعلم الناس. ولكني أعجب من علمك بالطب، فضربت على منكبه وقالت: أي عروة ! إن رسول الله ﷺ كان في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات فكنت أعالجها فمن ثمّ"[3].

وروى أبو داود عن سعيد قال: "مرضت مرضا فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده على ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: إنّك مفؤود، إئت الحارث بن كلدة أخا

(1) ــ علي عبد الله الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م. ص 20، محمد عبد الرحمن مرحبا. **الجامع في تاريخ العلوم عند العرب**. ط3، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م. ص 91 ــ 107

(2) ــ ابن صاعد. **طبقات الأمم**. مصر: المكتبة التجارية، (د. ت). ص63.

(3) ــ ابن الجوزي. **صفة الصفوة**. ط4، بيروت: دار المعرفة، 1986م. ج2 / ص 32.

ثقيف فإنه يتطبب"[1]. وفي "الموطأ" عن زيد بن أسلم "أن رجلا في زمان الرسول ﷺ أصابه جرح فاحتقن الجرح بالدم وأن الرجل دعا رجلين من بني أنمار فنظر إليه، فزعما أن رسول الله ﷺ قال لهما: أيكما أطب، فقال: أو في الطب خير يا رسول الله ؟ فزعم زيد أن رسول الله قال: أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء"[2].

انطلاقا من هذه النصوص وغيرها راح المسلمون يُعنون بميدان الطب ويحذقون صناعته، ويتفننون في تطويره، ويؤسسون له المشافي التي كانت تسمى "البيمارستانات". ولعل أول نواة لهذه المؤسسات كانت زمن الرسول ﷺ. فقد روى ابن إسحاق في "السير" قوله: "كان رسول الله قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يُقال لها "رُفيدة الأسلمية"في مسجده كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وقد كان رسول الله ﷺ قد قال لقوم حين أصابه السهم بالخندق: اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعود من قريب"[3].

ثم بنيت البيمارستانات في الإسلام وأصبح لها دورٌ خاصة، ويذكر صاحب "الخطط" أن أول من بنى البيمارستانات في الإسلام وادارا للمرضى "الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة (88هـ)، وجعل في البيمارستانات الأطباء، وأجرى لهم الأرزاق ..."[4].

وتطورت بعد ذلك وأصبحت مراكز للتمريض ولتعليم الطب وتخريج الأطباء.. في تخصصات كثيرة مثل الصيدلة والجراحة والحجامة والبيطرة والعطارة[5].

وقد وصف غوستاف لوبون مشافي المسلمين في ذلك الوقت بقوله: "كانت مشافي العرب كمشافي أوربا في الوقت الحاضر، ملاجئ للمرضى، وأماكن لدراسة الطب، وكان الطلاب يتلقون دروسهم في فرش المرضى أكثر مما يتلقونها في الكتب، ولم تقلدهم جامعات أوربا في القرون الوسطى إلا قليلا"[6].

---

(1) ــ الخزاعي. **تخريج الدلالات السمعية**، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م. ص 667.

(2)–مالك بن أنس. **الموطأ**. رواية يحي بن يحي الليثي. إعداد أحمد راتب عرموش.ط11،بيروت:دار النفائس،1990م.ص673.

(3) ــ الخزاعي. **تخريج الدلالات السمعية**. ص 663.

(4) ــ المقريزي. **الخطط**. ج2 / ص 405.

(5) - sleim Ammar: **Medecins et Medecine De L'aube De L'islam à L'age D'or**. paris: Edition Tougui. 1984. P. 124

(6)- Gustave Lebon. **La Civilisation Des Arabes**. Italie: Syracuse – Edition 69 – 161. 390.

ففي العصر الأموي بعد أن استقرت الفتوح الإسلامية، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب، واطمأن المسلمون إلى مدائن الأرض التي فتحوها. اتجهوا إلى العلوم والمعارف، وعُنُو بالطب عناية فائقة. وبالتحديد على يد خالد بن يزيد بن معاوية الذي ترك الملك والقيادة وتفرّغ للعلم وطلابه، وعُني بترجمة كتب الطب والكيمياء على يد مترجمين يونانيين دعاهم لهذا الغرض، وتمّ على أيديهم نقل عدد كبير من الكتب الإغريقية والقبطية إلى العربية ثم عمد المسلمون إلى تعديلها وتصحيحها وإضافة أبوا ب جديدة إليها. فتقدم الطب تقدما ظاهرا.

ثم جاء العصر الذهبي للترجمة ممثلا في العصر العباسي الأول حين فُتح باب الترجمة على مصراعيه لنقل التراث العلمي الذي تضمنته كتب الإغريق والرومان والفرس والهنود إلى اللغة العربية، وكانت مدينة بغداد مركزا مهما لها في ظل الخلفاء العباسيين.

و لم يعد العلم في العصر العباسي أداة للمعرفة فحسب. بل غدا بفضل هبات الخلفاء سبيلا إلى الغنى والثراء مما جعل الناس يرتادون مناهل العلم بواسطة الترجمة.

وفضلا عن الخلفاء كان الوزراء الأعاجم من البرامكة وآل الربيع وسواهم ممن شجعوا حركة النقل بفضل ما كانوا يغدقونه من هبات سخية للمترجمين.

وأسس المأمون بيت الحكمة. وأوفد البعثات إلى الهند والقسطنطينية وغيرهما بحثا وراء كتاب سمع عنه أو وصلته أخباره. بل و لم يتردد في الكتابة إلى إمبراطور الدولة البيزنطية طالبا منه أن يبعث إليه ببعض الكتب القديمة التي أهملها الروم وألقوها في أديرتهم وقصورهم. فلما تردد الإمبراطور وتلكأ في إجابة طلب المأمون هدده هذا بالحرب إذا لم يوافق فأذعن الإمبراطور، وسمح بدخول بعثة عربية إلى بلاد الروم انتقت بعض الكتب الهامة وحملتها إلى بغداد[1].

والحقيقة أن خبرات المسلمين الطبية انتفعت في كثير من الأحيان بما في مدرسة "جنديسابور"[2] الواقعة في جنوب غرب فارس من عباقرة الطب من جماعة السريان النسطوريين. الذين طوروا تلك المدرسة وأثروا مكتبتها بما نقلوه معهم من علوم اليونان. حتى أصبحت مركزا لتعليم الطب في زمانها.

ومن أشهر ناقلي كتب الطب: يوحنا ابن ماسويه، وحنين بن إسحاق، وثابت بن قرة الحراني، وقسطا بن لوقا البعلبكي. ولكن المسلمين لم يقفوا على النقل وحده. وإنما استطاعوا أن

(1) ــ انظر: الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. مرجع سابق. ص 27 ــ 28.

(2) - Mehdi Nakosteen. **History Of Islamic Origins Of Western Education**, University Of Colorado , Press , 1964.,P.123.

يمدوا رواق المعارف الطبية أشواطا بعيدة المدى ساهمت في تطور الطب الحديث.

ويشهد على ذلك قول "خوسيه لويس بارسلو في بحثه الذي ألقاه في المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي المنعقد في دولة الكويت تحت عنوان: "أثر العلوم الإسلامية في تطور الطب": "إن الأهمية الحقيقية والحاسمة للعلوم الإسلامية في الماضي تكمن في أثرها في تطور الطب في المستقبل، فبفضل الإسلام وُجدت القواعد الحالية لعلوم الطب. ولقد حان الوقت لنعرف مثل هذه الحقائق، وأن يحتل العالم الإسلامي مكانته الصحيحة في حقل العلم إحقاقا للحق"[1].

3 ـ 2 ـ 2 ـ أعلام الطب والصيدلة في خراسان وما وراء النهر - خلال فترة الدراسة -

برز في ميدان الطب أعلام مشاهير ساهموا في هذا العلم وأفادوا، وقدّموا تصانيف وأجادوا وبلغوا من المقصد قاصيته، وملكوا من شرف هذا العلم ناصيته.. نذكر من بينهم:

سهل النيلي النيسابوري الأصل الطبيب العالم، صاحب التصانيف الحسان، وكان بارعا في علم الطب ومن أهم مصنفاته: "شرح مسائل حنين"[2].

كما برز الإمام أبو الحسن الإبريسمي إمام الجامع القديم (في نيسابور) وكان على دراية ومعرفة في علم القراءات وتحصيل الحكمة. ولعله استفاد في معالجة المرض من العلوم الشرعية؛ لأن المصادر لم تذكر لنا كيف كانت طبيعة عمل الأطباء: وما هي التخصصات الموجودة في نيسابور ؟ وهل كانوا يدرسون في نفس البلدة أم يخرجون إلى المدن المجاورة، وكيف كانت تصاميم وأشكال البيمارستات؟[3].

وإذا كانت الصيدلة من الصناعات المتممة لعمل الطبيب ولا يمكن أن يستغني أحدهما عن الآخر. فالصيدلة هي أولى مراتب صناعة الطب، وقد عمل البعض بهذه المهنة وأطلق لقب (الصيدلاني) على من يختص أو يبيع الأدوية والعقاقير[4].

فقد حفظت لنا المصادر أسماء بعض هؤلاء في نيسابور منهم:

---

(1) ـ الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. مرجع سابق. ص 32 ـ 35.

(2) ـ شمس الدين الشهرزوري. **تاريخ الحكماء نزهة الأرواح وروضة الأفراح**. تحقيق. عبد الكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (د. م)، 1988م. ص 320.

(3) ـ أديل. **الحركة العلمية**.. مرجع سابق. ص 180.

(4) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص573، الصيرفيني. **المنتخب من السياق**. ص 111.

أبو الحسين محمد بن محمد بن مهد النيسابوري الصيدلاني المتوفى سنة (327هـ) [1].

وأبو بكر أحمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيدلاني النيسابوري الطبيب المتوفى سنة(327هـ)[2].

ومن مشاهير الصيادلة أيضا أبومحمد القاسم بن غانم بن حمويه الطبيب الصيدلاني النيسابوري (ت 366هـ). شيخ نيسابور[3]، وأبي سعد عبد الرحمن بن حمدان بن محمد الصيدلاني الرمجاري النيسابوري وهو من بيت علم وورع[4].

كما برز أبو سلمة مهدي بن محمد القشيري الصيدلاني النيسابوري (ت 390هـ)[5]، وأما أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز بن محمد بن المهلبي الصيدلاني (ت 406هـ) فقد تقدّم في معرفة الطب، وتنقّل بين البلدان الإسلامية لسماع الحديث[6].

كما نذكر من صيادلة نيسابور عبد العطار محمد بن أحمد بن شاذان أبو صادق الصيدلاني الشافعي الأديب النيسابوري المتوفى سنة (415هـ) [7].

وفي مرو أسهم الأطباء بجهود موفقة وإنجازات علمية قيمة دفعت بالطب خطوات إلى الأمام، وممن نبغ في هذا الميدان:

أبو الحسن علي بن سهل بن الطبري المروزي، كان حكيما مشهورا وأبوه من أبناء مرو ذو همة وبراعة ونفاذ في كتب الطب والفلسفة إلا أنه يقدم الطب على غيره من العلوم، ويُفهم من كلام أبي الحسن أنه تلقى العلم في الطب عن أبيه في صغره بمدينة مرو، ثم استزاد فيه بما قسم الله له وأعانه الزمان عليه ومكّنه الطبع منه[8]. رحل إلى طبرستان ثم إلى سامراء. عالج بالطب المعتصم والواثق والمتوكل. وكان في بداية حياته يدين بالدين اليهودي ثم اعتنق الإسلام في عهد

---

(1) ــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (321 هـ ــ 330هـ) ص217.

(2) ــ المصدر نفسه. حوادث (331هـ ــ 340هـ) ص144.

(3) ــ المصدر نفسه. حوادث (351هـ ــ 380هـ) ص363.

(4) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص90.

(5) ــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (381هـ ــ 400هـ) ص221.

(6) السمعاني. **الأنساب**. ج3/ص573هـ ابن الأثير.**اللباب**. ج2/ص254،معروف.**عروبة العلماء**.مرجع سابق. ج1/ص224.

(7) ــ الصوفيني. **المنتخب من السياق**. ص 24، أديل. **الحركة العلمية**. مرجع سابق. ص 182.

(8) ــ أبو الحسن الطبري. **فردوس الحكمة**. ص1، نقلا عن إبراهيم محيسن. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص 209.

المتوكل سنة 235هـ وعلى ضوء إسلامه كتب كتابا مفيدا في الأديان صار مرجعا لمعاصريه ولمن أتى بعده، بيّن فيه محاسن الإسلام. وهو كتاب "الدين والدولة"[1].

أما في ميدان الطب فقد كتب أبو الحسن كتابه الشهير "فردوس الحكمة" وهو سفر مختصر لكنه على هيئة الموسوعات لما حواه من بحوث في الطب، والفلك، والظواهر الجوية، وعلم النفس وغير ذلك. وهو أول من ألف على طريقة المؤلفات اليونانية.

والكتاب مقسّم إلى سبعة أنواع، والأنواع السبعة تحتوي على ثلاثين مقالة، والمقالات تحتوي على ثلاثمائة وستين بابا. وفي الكتاب يذكر أبو الحسن المصادر التي أخذ عنها وهي: كتب أبقراط، وأرسطوطاليس، وجالينوس ويوحنا بن ما سويه، وحنين بن إسحاق[2].

كما بيّن في مقدمته أسباب تأليفه، فقال: "ووجدت فيما قرأت من كتب الحكماء كناشات ـــ أي ـــ مختصرات كثيرة لأهل سوريا وغيرهم قد اقتصر أصحابها فيها على فن واحد من فنون الطب المتفرقة (المتفرعة) الكثيرة، فدعاني ذلك إلى أن ألفت منها كتابا جامعا لمحاسن كتب الأولين والآخرين ليكون زماما لها وإماما مُحيطا لجوامع الكناشات وحذفت منه المعاني المكررة والخطب المشكلة المبرمة، وقصدت إلى الفوائد والعيون، فتهيأ لي منها بعون الله سر من أسرار الحكمة وكنز من كنوز الصناعة وكناش يحيط بأكثر مما يتمناه المتمني ويبلغه الواصف فن علم الطب ومعرفة أصول هذا العلم وفروعه وكيفية جواهره وأعراضه وكون أنفسه وأجسامه؟ وتراكيب حيواناته ونباته وعلل ألوانه ومذاقاته ...."[3].

وقد أعجب القفطي بهذا الكتاب فقال فيه: "كتاب مختصر جميل التصنيف لطيف التأليف"[4] وعدّه مارتن بلنر أقدم موسوعة عربية في الطب ظلت في نواحي معينة تفوق كل ما عداها مستندا في ذلك على ثلاث حقائق لا مجال لذكرها[5].

---

(1) ـــ الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. مرجع سابق. ص 22.

(2) ـــ عبد الباري. **خراسان وما وراء النهر**.. مرجع سابق. ص 377.

(3) ـــ أبو الحسن الطبري. **فردوس الحكمة**. ص 1 ـــ 2، نقلا عن حكمت نجيب عبد الرحمن. **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**. جامعة الموصل، 1977م. ص 44.

(4) ـــ القفطي. **تاريخ الحكماء**. بغداد: مكتبة المثنى، (دت)، ص231.

(5) ـــ مارتن بلنر. **العلوم الطبيعية والطب. تراث الإسلام**. شاخت بوزورث. ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقي العمد، سلسلة عالم المعرفة. القسم الثالث. الكويت: مطابع اليقظة، 1978م. ص 122.

ويعتبر أبو الحسن هو أول من أعلن أن السل هو مرض ينتقل بالعدوى، وأنه لا يصيب الرئتين فحسب بل الأعضاء الأخرى كذلك[1].

ومن مؤلفات أبي الحسن أيضا: كتاب "تحفة الملوك" وكتاب "منافع الأطعمة والأشربة، والعقاقير" وكتاب "حفظ الصحة" وكتاب "الحجامة"[2].

وفي مرو نبغ أيضا عيسى بن ماسه وهو طبيب من الأطباء المتقدمين وهو مليح الطريقة في العلاج. وكتابه في "الأغذية" يُستدل منه على حسن طريقته في صناعته، وكان طبيبا بمارستان مرو في القرن الثالث الهجري.

من آثاره في الطب كتاب "من لا يحضره طبيبه" وكتاب "قوى الأغذية" وكتاب "الجماع"[3].

ومن تلاميذ أبي الحسن الطبري في مرو نذكر الطبيب النطاسي المشهور أبا بكر محمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة (320هـ). الذي يعدّ من العلماء المتفوقين، الذين وصفوا نظريات هامة، وأضافوا الجديد في ميدان الطب ومارس مهنة الطب بكل ذكاء وإتقان واقتدار وبلغ من النجاح أوجه وصار إمام وقته في علم الطب[4]. قال عنه ابن النديم كان "أوحد دهره وفريد عصره قد جمع المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب"[5]. ووصفه ابن صاعد الأندلسي بأنه "طبيب المسلمين غير مدافع فيه"[6]. أما ابن أبي أصيبعة فقد أطلق عليه لقب "جالينوس العرب"[7].

وأضاف أحمد شوكت الشطي في كتابه: "تاريخ الطب وآدابه وأعلامه" قائلا: "لقد نعته أهل زمانه بجالينوس العرب، اعترافا بفضله وقالوا عنه: كان الطب متفرقا فجمعه الرازي، كان ينصح طلابه قائلا: "على الطبيب أن يطمع في شفاء مريضه، أكثر من رغبته في نيل أجوره، وعليه أن يفضل معالجة الفقراء على معالجة الأغنياء، ويجب أن يكون دقيقا في تعليماته جادا في

(1) ـــ الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**.مرجع سابق. ص 22.

(2) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 296 ، ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء**. ج2/ص342.

(3) ـــ القفطي. **تاريخ الحكماء**. ص 246، إبراهيم محيسن. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص210.

(4) ـــ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج5/ص157 ـــ 161.

(5) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص360.

(6) ـــ ابن صاعد الأندلسي. **طبقات الأمم**. مصر: المكتبة التجارية، (دت)، ص 25.

(7) ـــ ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء**. ج2/ص343.

نفع السواد الأعظم من الناس"[1].

كما أحاط الرازي بمعظم فروع المعرفة في عصره ويظهر ذلك من قول ف. شروود تيلر في كتابه "الخيمياء أساس لعلم الكيمياء": "إن الرازي برز كموسوعة في جميع فروع المعرفة بدون استثناء، كتب الرازي في الطب والفلسفة والكيمياء والرياضيات. وعلم الأخلاق والميتافيزيقا والدين وقواعد اللغة العربية والموسيقى والتيارات الهوائية، فهو في الحقيقة علامة عصره، فكانت مؤلفاته الكثيرة مرجعا للعلماء أجمع، وبقيت كتبه خاصة في الطب، مرجعا لأطباء أوربا خلال العصور"[2].

اشتهر الرازي بوفرة إنتاجه الذي يكاد يكون كل منه موسوعة طبية ثمينة. وقد بلغت كتبه في الطب حوالي ستة وخمسين كتابا. منها ما وضعه على شكل رسائل. وقد وقع بعضها في مجلدات كثيرة. من مؤلفاته:

ـــ كتاب "الحاوي في علم التداوي"، وهو من أهم كتبه وأعظمها في مجال الطب، وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقا في ذكر الأمراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية لمن سبقه من الأطباء والمؤلفين في الطب إلى زمانه، ونسب كل شيء نقله إلى قائله[3]. ويقع الكتاب في ثلاثين مجلدا قسمه مؤلفه إلى اثني عشر قسْما هي: علاج المرضى، والأمراض، حفظ الصحة، الرقبة والجبر، الجراحات، الأدوية، الأغذية، الأدوية المركبة، صناعة الطب، الصيدلة، الأبدان والتشريح ومقافع الأعضاء، وقد ترجم هذا الكتاب واعتمدت عليه الجامعات الأوربية وظلت تعتبره مرجعها الأول في الطب حتى منتصف القرن السابع الميلادي.

ويذكر أن لويس الحادي عشر عندما أراد استنساخه اضطر إلى دفع مبلغ كبير من الذهب والفضة مقابل استعارته له[4].

وقد ذكرنا الرازي هنا مع أنه من "الري" بفارس لأن كتابه "المنصوري في التشريح" ألفه للأمير منصور بن إسماعيل الساماني، وسماه باسمه، كما أن الرازي جاء إلى بخارى لمعالجة الأمير

(1) ـــ انظر: الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. مرجع سابق. ص 84.

(2) ـــ المرجع نفسه. ص 84 ـــ 85.

(3) ـــ ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء**. ج2/ص352.

(4) ـــ حكمت نجيب عبد الرحمن. **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**. مرجع سابق. ص 50، الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. مرجع سابق. ص 88.

منصور، وقام بتجارب طبية كثيرة في بخارى[1]. وكتاب "المنصوري" يقع في عشر مقالات، يتحدث فيها عن شكل الأعضاء وخلقها، ومزاج الأبدان وهيئتها، والأخلاط الغالبة عليها، وقوى الأغذية والأدوية، وحفظ الصحة، والزينة، وتدبير المسافرين، وصناعة الجبر والجراحات والقروح والسموم، والحميات وما يتبع ذلك مما يحتاج إلى معرفته في تحديد علاجها"[2].

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب أقلّ حجما من كتاب الحاوي، إلا أنه اكتسب شهرة واسعة، وترجم إلى اللغة اللاتينية واستعانت به الجامعات الأوربية في دراستها للطب[3].

كما صنف الرازي رسالته المشهورة في "الجدري والحصبة" وكتاب "الحصى في الكلى والمثانة" وكتاب "دفع مضار الأغذية" وكتاب "من لا يحضره طبيب"، وكتاب "برء ساعة"، وكتاب "المرشد"، وكتاب "الفاخر في الطب"، وكتاب "الطب الملوكي"[4].

من أقواله المأثورة والمشهورة مثلا: قوله:

ـــ "متى اجتمع جالينوس وأرسطوطاليس على معنى، فذلك هو الصواب، ومتى اختلفا صعُب على العقول إدراك صوابه جدا".

ـــ "ينبغي للمريض أن يقتصر على طبيب واحد ممن يوثق به من الأطباء".

ـــ "المريض الذي يتطبب عند كثيرين من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم".

ـــ "ينبغي أن تكون حالة الطبيب معتدلة، لا مقبلا على الدنيا كلية ولا معرضا عن الآخرة كلية، فيكون بين الرغبة والرهبة".

ـــ "ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس".

ـــ "مهما قدرت أن تعالج بدواء مفرد، فلا تعالج بدواء مركب".

---

(1) ـــ عز الدين فراج. **الطب الإسلامي**. القاهرة: دار الفكر العربي، (د. ت). ص23 ـــ 25.

(2) ـــ ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء**. ج2/ص355.

(3)–للدفاع. **أعلام العرب والمسلمين**. مرجع سابق.ص89، حكمت نجيب عبد الرحمان. **دراسات** ... مرجع سابق.ص50 –51.

(4) ـــ انظر: حكمت نجيب عبد الرحمن. المرجع السابق. ص 50 ـــ 55.

ـــ "إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية، فقد وافق السعادة"[1].

وفي أواخر القرن الرابع الهجري يكفي أن نذكر الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، وهو من أبناء بلخ ونزيل بخارى. يقول عن نفسه: ".. رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه، والطب ليس من العلوم الصعبة لمن يهواه، فلا غرو أن برزت فيه في أقل مدة، حتى بدأ الأطباء يقرأون عليّ، وتعهدت المرضى، فانفتح عليّ باب من أبواب المعالجات المقتبسة، من التجربة ما لا يوصف وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه وأناظر فيه، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة"[2].

وذاع صيت ابن سينا وطبقت شهرته الآفاق ودُعي إلى أمير خراسان نوح بن منصور الساماني فعالجه في مرض ألم به، فكتب الله الشفاء للأمير على يديه، فغمره "نوح" بالعطايا والصلات، وقربه إليه وأعلى منزلته، وسمح له بالاطلاع على صناديق الكتب في قصره، فطلب من الأمير ما احتاج إليه منها، فقرأها وظفر بما فيها من الفوائد[3].

وقد تميّز ابن سينا بنشاط علمي واسع، وله إنتاج فكري وفير في كل من الطب والفلسفة والرياضيات والفلك والموسيقى والمنطق، إلا أن عبقريته تجلت في فرعين من فروع المعرفة: الفلسفة والطب. يقول جان ماكس ستيلمان في كتابه "قصة علم الكيمياء في الأزل": "أهمية ابن سينا في حقل الطب فوق التساؤلات، فهو العالم في الطب الذي جدد النظريات والتطبيقات الطبية في القرون الوسطى دون منازع"[4].

وأشاد به أيضا كارل بوير في كتابه (تاريخ الرياضيات) قائلا:"إن الحضارة الإسلامية أنتجت عمالقة في العلوم كلها، ولكن ابن سينا يعتبر حالة خاصة، فهو العالم الذي اكتسب علوم اليونان واستوعبها، وشرع بعد ذلك في الابتكارات العلمية الجليلة"[5].

درس ابن سينا الإنتاج الإسلامي وغير الإسلامي في الطب. ثم قدم اكتشافات كثيرة في هذا المجال. ضمنها كتابه ذائع الصيت (القانون في الطب). وهو أكبر موسوعة طبية وصلت إلينا من

---

(1) ـــ ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء**. ج2/ص351.

(2) ـــ المصدر نفسه. ج3/ص4.

(3) ـــ المصدر نفسه. ج3/ص5 ـــ 6.

(4) ـــ الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. مرجع سابق. ص 139.

(5) ـــ المرجع نفسه.

القرون الوسطى فضلا عن كونها موسوعة علمية شاملة، وهو خلاصة الفكر اليوناني والعربي الإسلامي في الطب ويحتل أرقى المستويات العلمية التي وصلت إليها الحضارة الإسلامية في الطب تجربة ونقلا. ونظرا لأهميته العلمية كان الكتاب المدرسي في الطب في جامعتي مونبلييه ولوفان في أواسط القرن السابع عشر، تُرجم إلى اللاتينية وطبع أكثر من ثلاثين طبعة"[1].

وقسم ابن سينا كتاب (القانون) إلى خمسة كتب:

الكتاب الأول: في الأمور الكلية في علم الطب.

الكتاب الثاني: في الأدوية المفردة.

الكتاب الثالث: في الأمراض الواقعة بأعضاء الإنسان عضوا عضوا من الفرق إلى القدم ظاهرها وباطنها.

الكتاب الرابع: في الأمراض الجزئية التي إذا وقعت تختص بعضو وفي الزينة.

الكتاب الخامس: في تركيب الأدوية.

وكل كتاب من هذه الخمسة مقسم إلى أبواب سماها ابن سينا فنونا، وكل فنّ منها مقسم إلى مقالات يطلق عليها التعاليم. والتعاليم مقسمة إلى فصول وفي بعض المواضيع تشتمل التعاليم على جمل لكل جملة منها عدد من الفصول[2].

وقد استطاع ابن سينا أن ينتزع الاعتراف بالعبقرية الإسلامية في ميدان الطب من قبل علماء أوربا في العصور الوسطى، حتى قال أوسلر عن كتاب القانون أنه " كان الإنجيل الطبي لأطول فترة من الزمان ".

ولم يقتصر ابن سينا على كتاب القانون وإنما كانت له كتب ورسائل أخرى مثل " رسالة الأدوية القلبية " وغيرها.

وفيما يلي بعض إبداعات ابن سينا وتشخيصاته لبعض الأمراض التي كانت منتشرة في ذلك الوقت:

---

(1) ـــ حكمت نجيب عبد الرحمن. **دراسات**. مرجع سابق. ص60، أنور الرفاعي. **الإسلام في حضارته ونظمه**. ط3، بيروت: دار الفكر. 1977م. ص 601، زيغريد هونكه. **شمس العرب تسطع على الغرب**. ترجمة. فؤاد حسنين علي، قسنطينة: دار البعث. 1986م. ص 231، يوحنا قمير. **فلاسفة العرب ـــ ابن سينا** ـــ ط2، بيروت: دار المشرق. 1982م، أحمد غسان سبانو. **ابن سينا في دوائر المعارف العربية والعالمية**. دمشق: دار قتيبة، 1984م، ص11.

(2) ـــ المرجع نفسه. ص 60 ـــ 61.

ـــ ابن سينا أول طبيب وصف التهاب السحايا الأولي وصفا صحيحا.

ـــ فرّق بين شلل الوجه الناتج عن سبب داخلي في الدماغ أو عن سبب خارجي.

ـــ فرّق بين داء الجنب وألم الأعصاب ما بين الأضلاع.

ـــ تعمّق في أمراض قرحة المعدة، وأمراض المعدة، وبخاصة القولون.

ـــ فرّق بين حصاة المثانة وحصاة الكلية في الطريقة والمقدار.

ـــ أوّل من أجاد وصف الجهاز التنفسي والأمراض العصبية.

ـــ فرّق بين اليرقان الناشئ عن انحلال الكريات الدموية، واليرقان الناشئ عن انسداد القنوات الصفراوية.

ـــ وصف السكتة الدماغية الناتجة من كثرة الدم.

ـــ وصف مرض السل الرئوي، وأشار إلى عدوى هذا المرض وإلى انتقاله عن طريق الماء و التراب.

ـــ شخّص كثيرا من الأمراض الجلدية.

وصف بالتفصيل الأمراض التناسلية، ولاسيما الأمراض النسائية، كالعقم وانسداد المهبل، والإسقاط، وممارسة التوليد، والبواسير، وحمّى القاس و التعليل السليم للذكورة والأنوثة في الجنين، ونسبتها إلى الرجل دون المرأة.

ـــ انتبه إلى أثر المعالجة النفسية في الشفاء، وهذا ما لم يعرفه الطب الحديث إلا أخيرا[1].

وقد استطاع ابن سينا أن يكون بحقّ مبتكر نظريات الطب الحديث. وموسّع آفاق العلم القديم. مما جعله ظاهرة فكرية عظيمة. لا يوجد لها مثيلا عبر التاريخ.

وخير ما نختم به الكلام عن علامة العصور ابن سينا ما قاله عنه قدري حافظ طوقان: "وجماع القول أن ابن سينا قد أدى رسالة الحياة على أفضل وأنتج ما يكون الأداء وحرك عقله الفعّال، ومواهبه، وقابليته، في ميادين الثقافة الإنسانية فأخرج من المؤلفات والرسائل ما جعله من مفاخر العالم، ومن أشهر علمائه، وأعظم فلاسفته، فلقد أبدع في الإنتاج، وأفاض على هذا الإنتاج

(1) ـــ انظر: أنور الرفاعي. **الإسلام في حضارته ونظمه**. مرجع سابق. ص 601، الدفاع. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**. مرجع سابق. ص 152 ـــ 154.

الحكمة والفلسفة، مما أدّى إلى حركة فكرية واسعة، دفعت بالعلم والفكر إلى النمو والتقدم"[1].

3 ـ 3 ـ العلوم الرياضية

ما من شك في أن التطور الحضاري الذي بلغه المسلمون خلال القرن الثالث والرابع الهجريين يرتكز على موروث علمي ضخم في شتى العلوم والمعارف. شاركت فيه الإنسانية على اختلاف أعصارها وأمصارها. فالحضارة جهد بشري غير منتم لكل أمة فيها حظ مهما قَلْ ولكل أمة فيها نصيب مهما ضؤل.

وعلوم الرياضيات من (حساب [2]. وجبر [3]. وهندسة [4] ...). تراث إنساني هائل كبير شاركت فيه شتى الأمم والحضارات وعملت على إغنائه جُلُّ الشعوب إن لم نقُلْ جميعها، فالابتكار لا ينحصر في أمة دون أخرى والابداع ليس وقفا على شعب بعينه، فالأمم تتساوى في الأخذ والعطاء.ولعله من الثابت تاريخيا أن أقدم الآثار الرياضية وصلت إلينا من البابليين والمصريين والإغريق والهنود والعرب وغيرهم. وقد ساهموا جميعا في تنميتها وتطويرها إلى أن وصلت إلى المسلمين فأجادوا فيها وأضافوا إليها إضافات هامة أثارت الإعجاب والدهشة لدى علماء الغرب. فاعترفوا بفضلهم في تقدم العلم والعمران تقدما ارتقائيا.

والذي أدّى إلى هذا الاستبحار في هذا النوع من العلوم هو إيمان الإنسان في هذه الحضارة بأن التطور في العلوم الرياضية مؤشر لتطور الحضارة، وأن أية حضارة تهتم بها تدل على تميّزها وتقدمها التكنولوجي في العلوم البحتة والتطبيقية.

وقد أبدى علماء المسلمين اهتماما بالغا بالعلم الرياضي بفروعه المختلفة وركّزوا في

---

(1) ـ قدري. حافظ طوقان. **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**. بيروت: دار الشروق، (د. ت). ص 334.

(2) ـ الحساب عرفه ابن خلدون بقوله: "صناعة عملية في حساب الأعداد بالضمّ والتفريق، فالضم يكون في الأعداد بالإفراد وهو الجمع، وبالتضعيف، أي يضاعف عدد بآحاد عدد آخر، وهذا هو الضرب، والتفريق أيضا يكون في الأعداد، إمّا بالإفراد، مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح أو تفصيل عدد بأجزاء متساوية تكون عددا محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد أو الكسر". **المقدمة**. ص 480.

(3) ـ الجبر: "هو صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المفروض إذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك، فاصطلحوا فيها على أن جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التضعيف بالضرب". ابن خلدون. **المقدمة**. ص 48.

(4) ـ علم الهندسة: "هو النظر في المقادير. إمّا المتصلة كالخط والسطح والجسم، وإما المنفصلة كالأعداد فيما يعرض لها من العوارض الذاتية". ابن خلدون. **المقدمة**. ص 482.

دراستهم على اتجاهين:

الاتجاه الأول: هو استيعاب الموضوع نفسه، والقيام بالعديد من الابتكارات الجديدة التي لم يسبقهم أحدٌ إليها.

الاتجاه الثاني: الناحية التطبيقية في المجالات المختلفة مثل: الفلك والهندسة الميكانيكية والضوء والهندسة المعمارية وحساب المواريث والأعمال التجارية وغيرها مما يستدعي معرفة رياضية[1].

وقد استطاع المسلمون أن يضعوا علم الجبر ويأتوا فيه بالعجب العجاب، حتى أن كاجوري قال: "إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر"[2].

وفي علم المثلثات حصل تطور نوعي كبير ؛ إذْ لولا جهود العلماء المسلمين لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن، فإليهم يرجع الفضل الأكبر في وضعه بشكل علمي منظم مستقل عن علم الفلك"[3].

والواقع أن فترة البحث (205هـ ـ 432هـ) في خراسان وبلاد ما وراء النهر شهدت نبوغ العديد من العلماء الرياضيين الذين أثروا هذه العلوم بإنتاج أفكارهم نذكر منهم:

أبا محمد عبد الله بن محمد الشعراني الرازي، ولد ونشأ في نيسابور، وتوفي بها سنة (353هـ) وهو من أجل مشايخ نيسابور في وقته، له من الرياضيات ما يعجز عنها إلا أهلها، وبرع في هذا العلم، وصنّف التصانيف الكثيرة، [4]. لكن لم يصل إلينا أي كتاب منها.

وبرز أيضا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن محمد الحساب القهستاني (ت 357هـ) [5]، ومحمد بن إبراهيم بن حمدويه الفرائضي الحساب (ت 339هـ)[6].

وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الحائمي (ت 385هـ)[7].

---

(1) – علي عبد الله الدفاع. **روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم**. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م.ص 52.

(2) ـ قدري حافظ طوقان. **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**. مرجع سابق. ص 61.

(3) ـ المرجع نفسه. ص 101.

(4) ـ السلمي. **طبقات الصوفية**. ص 337.

(5) ـ السمعاني. **الأنساب**. ج4/ص564.

(6) ـ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (331هـ ـ 340هـ) ص178.

(7) ـ ابن الأثير. **اللباب**. ج1/ص325.

أما محمد بن محمد بن يحيى بن الوفاء البوزجاني [1] النيسابوري (ت 386هـ)، صاحب التصانيف في الحساب، ومن البارعين في معرفة الهندسة [2]. فإنّه تنقّل بين البلدان الإسلامية وخاصة العراق للاستفادة من علمائها. ومن أهم مصنفاته القيمة ورسائله النفيسة: كتاب "مجسطي"، وكتاب "العمل بالجدول الستيني"، وكتاب "استخراج الأوتار"، وكتاب "الزيج الشامل"[3].

وفسّر كتاب "ديوفنطوس" في الجبر والمقابلة [4]، وصنّف في العلوم الحسابية (المنازل السبع) الأولى: في النسبة، والثانية: في الضرب والقسمة، والثالثة: في أعمال المساحات، والرابعة: في أعمال الخراج، والخامسة: في أعمال المقاسات، والسادسة: في الصروف، والمنزلة السابعة: في معاملات التجار[5]. وأراد فيه أن يصلح الأخطاء التي يقع فيها الحُسّاب من موظفي الدولة في طرقهم التقليدية، وجعله أشبه بجداول تُعين الحاسب في عملياته، وتوفر عليه كثيرا من الجهد.

كما وضع أبو جعفر محمد بن أيوب الطبري كتاب "مفتاح المعاملات في الحساب".

وممن برع في الهندسة أبو سهل الكوهي الطبري (ت بعد 378هـ)، الذي برز في علم الحِيل والأثقال والأكر المتحركة .... وصار مشارا إليه. وله شروح وتعليقات على أعمال إقليدس وأرخميدس، وكان يلعب في الأسواق بالقوارير.

وهذه العلوم التي عمل بها أبو سهل الكوهي هي فروع من الهندسة فعلم الحيل هو علم الميكانيكا التطبيقية، وعلم الأثقال هو علم تُعرف منه كيفية استخراج مركز ثقل الجسم المحمول، وعليه تقوم صناعة الموازين، أما علم الأكر المتحركة فهو علم يبحث في أحوال المقادير المتعلقة بالأكر من حيث إنها متحركة، ويعتمد عليه علم الفلك كثيرا، أما اللعب بالقوارير فهي إشارة إلى حذق علم حركات الماء وصنعة الأواني العجيبة التي أطلق عليها المسلمون إسم

---

(1) ـــ بوزجان: قرية من قرى نيسابور.

(2) ـــ الذهبي. **تاريخ الإسلام**. حوادث (381هـ ـــ 400هـ) ص158.

(3) ـــ طوقان. **تراث العرب**.. مرجع سابق. ص 235.

(4) ـــ الجبر والمقابلة: هو من فروع علم الحساب، لأنه علم يعرف فيه كيفية استخراج مجهولات عددية بمعادلتها المعلومات مخصوصة على وجه مخصوص. ومعنى الجبر: زيادة قدر ما نقص من الجملة المعادلة بالاستثناء في الجملة الأخرى لتتعادلا، ومعنى المقابلة: إسقاط الزائد من إحدى الجملتين للتعادل. انظر: صديق بن حسن القنوجي. **أبجد العلوم. الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**. بيروت: دار الكتب العلمية، (دت)، ج2/ص205.

(5) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 343.

(الآلات الروحانية) وهو علم يدخل في نطاق الهندسة الميكانيكية من حيث بحثه في ترتيب الآلات والتجهيزات الهيدروليكية[1].

وممن جمع بين الفقه والحساب القاضي محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه، وكان يُدرّس في مدرسة أبي حفص الكبير[2].

وفي سمرقند برز جلّة من العلماء في الرياضيات منهم:

أحمد بن عمر الكرابيسي السمرقندي المتوفى سنة (328هـ)، كان عالما في علوم الرياضيات، وله مصنّفات في هذا الميدان منها: كتاب "شرح إقليدس" وكتاب "حساب الدور والوصايا" وكتاب "الحساب الهندي"[3].

كما اشتهر في عهد الأمير نصر بن أحمد الساماني. صاحب الحساب في الديوان. أبي علي الحسن بن محمد الفرائضي. المتوفى سنة (339هـ) وقد لقب بالحاسب[4]. أبو بكر محمد بن أحمد بن العباس العياضي المتوفى سنة (361هـ). برع في علم الحساب وعلم الزيج، والفلك، وعمل الأشكال الهندسية من كتاب إقليدس[5].

واشتهر أبو سعيد الخليل بن أحمد بن محمد.. السجزي. المتوفى في سمرقند سنة (378هـ). بمؤلفاته منها: "شرح إقليدس" و"الرسالة في المصادر المشهورة لإقليدس". وله رسالة في أجزاء الخطوط في الدوائر الموضوعة من النقط المعطاة[6].

وممن حذق علوم الرياضيات أحمد بن عبد الله حبش الحاسب المروزي، جاوز سن المائة. قضى معظم أوقاته في المطالعة والبحث في كتب الأقدمين في مختلف الفروع. وهو أول من حدد الزمن بالارتفاع (ومعنى هذا عنده ارتفاع الشمس)، وأول من عمل جدول للظلال. ومن تآليفه: كتاب "الدوائر الثلاث الماسة وكيفية الاتصال"، وكتاب "عمل السطوح" المبسوطة

---

(1) ــ الخوارزمي. **مفاتيح العلوم**.تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1984م، ص271، ذنون. المرجع السابق. ص 281.

(2) ــ القرشي.. **الجواهر المضية**. ج3/ص49، الشيرازي. **طبقات الفقهاء**. ص144.

(3) ــ القفطي. **تاريخ الحكماء**. ص79.

(4) ــ السمعاني. **الأنساب**. ج2/ص153.

(5) ــ ناجي معروف. **عروبة العلماء المسلمين**.. مرجع سابق. ج1 / ص 385.

(6) ــ جهاد عبد الله. **الحركة الفكرية**.. مرجع سابق. ص 377.

القائمة والمائلة والمنحرفة. وكتاب "عمل الاسطرلاب" وكتاب "الرخائم والمقاييس"[1].

ولا يمكن أن نختم الحديث عن أعلام المسلمين في العلوم الرياضية دون أن نخص بالذكر علامة إقليم خوارزم، في بلاد ما وراء النهر محمد بن موسى الخوارزمي المتوفى سنة (235هـ). الذي لمع نجمه في سماء بغداد على أيام المأمون، فعيّنه رئيسا لبيت الحكمة. وفيها طوّر الخوارزمي الفكر الرياضي وذلك بإيجاد نظم لتحليل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذات المجهول الواحد بطرق جبرية وهندسية، لذا يعتبر كتاب "الجبر والمقابلة" للخوارزمي هو أول محاولة منظمة لتطوير علم الجبر على أسس علمية منطقية[2].

وقد نال كتاب "الجبر والمقابلة" شهرة عظيمة في الشرق والغرب، وبقي إلى القرن السادس عشر الميلادي الكتاب المعتمد في هذا العلم، له منزلة أصول إقليدس عند المهندسين وكتب بطليموس عند علماء الفلك، ويدل على قيمته عند المسلمين كثرة شروحه ومكانة شارحه العلمية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية، واشتق اسم علم الجبر من عنوان كتاب الخوارزمي، وانتقل الاسم العربي إلى سائر اللغات الأوربية[3].

ومن أشهر أعمال الخوارزمي في مجال الرياضيات نذكر:

كتاب وضح فيه طريقة الجمع والطرح، ورسالة عن النسبة التقريبية وقيمتها الرياضية، ورسالة وضّح فيها معنى الوحدة المستعملة في المساحات والحجوم، ورسالة ذكر فيها برهانا آخر لنظرية فيثاغورس مستخدما مثلثا قائم الزاوية ومتساوي الساقين، ورسالة مفصلة وضّح فيها قوانين لجمع المقادير الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها، ورسالة شرح فيها طريقة إجراء العمليات الحسابية. هذا غير كتاب الجبر والمقابلة الذي يُعد من أهم كتبه في هذا المجال[4].

لقد حلّق الخوارزمي في سماء الرياضيات وكان فيها نجما متألقا، اهتدى بنوره علماء المسلمين وعلماء أوربا، وكلهم مدين له بالفضل، لما أضافه من كنوز جديدة إلى كنوز المعرفة الثمينة.

---

(1) ــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 336، القفطي. **تاريخ الحكماء**.ص170، البغدادي. هدية العارفين. مج5/ص47، أ.ج. أربري. **تراث فارس**. ترجمة محمد كفافي وآخرون. القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي وشركاه. 1959م. ص 378، طوقان. **تراث العرب**. مرجع سابق. ص 185 ــ 186.

(2) ــ الدفاع. **روائع الحضارة العربية الإسلامية**.. مرجع سابق. ص 76، أربري. المرجع السابق. ص 377.

(3) ــ المرجع نفسه. ص 77.

(4) ــ الدفاع. **إسهام علماء العرب والمسلمين في الرياضيات**. ص 83 ــ 85.

3 ــ 4 ــ علم الفلك

لم يعرف العرب قبل الإسلام شيئا عن علم الفلك، اللهم إلا فيما يتعلق برصد بعض الكواكب والنجوم الزاهرة وحركاتها، بالنظر إلى الخسوف والكسوف، وعلاقاتها بحوادث العالم من الحظ والمستقبل، والحرب والسلم، والمطر والظواهر الطبيعية، بالإضافة إلى أنها كانت دليلهم في أسفارهم وأكثر أحوالهم، فكانوا إذا سألهم سائل عن الطريق المؤدي إلى البلد الفلاني قالوا: "عليك بنجم كذا" فيسير في جهته حتى يجد المكان. وربما استعانوا على ذلك أيضا بذكر مهاب الرياح يعبرون بها عن الجهات.. وكان عندهم لمطلع كل نجم وصف يدل على تأثير ذلك في الطقس على اعتقادهم[1]. وقد أطلق العرب على القضايا التي تبحث في هذه الأمور "علم التنجيم".

ولما جاء الإسلام بين فساد الاعتقاد بالتنجيم؛ لأنه يُحبط العمل الصالح، ويُوهي الصلة بين العبد وربه، ويزعزع الإيمان المطلق بالقضاء والقدر، ولفت القرآن الكريم أنظار المؤمنين إلى آيات الله في الكون، وحركات الكواكب السيارة، والنجوم الطوالع.. لمعرفة عظمة الله تعالى، وبيان قدرته، وجاء في كثير من مواضع القرآن الكريم ذكر ظواهر فلكية منها قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2]، وقوله أيضا: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[3]، وقوله:﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4].

انطلاقا من هذه النصوص وغيرها، اهتم المسلمون "بعلم الفلك" ووضعوا له قواعد وأسسا، منها ما هو قديم فاقتبسوه، ومنها ما هو جديد اخترعوه، وأصبح "علم الفلك" علما قائما بذاته ضمن العلوم العقلية التي ازدانت بها الحياة العلمية في الدولة الإسلامية.

ويعرف ابن خلدون علم الفلك بقوله: "هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة، والمتحركة.. ويستدل من تلك الحركات على أشكال وأوضاع الأفلاك التي لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية. وهذه الهيئة صناعة شريفة، وليست على ما يفهم في

---

(1) ــ انظر: جرجي زيدان. **تاريخ التمدن الإسلامي**. مرجع سابق. ج2 / ص 12.

(2) ــ سورة: يس. (الآية: 39).

(3) ــ سورة: الواقعة. (الآية: 78ــ 79).

(4) ــ سورة: الأنعام. (الآية: 98).

المشهور أنها تعطي صورة السموات، وترتيب الأفلاك، والكواكب بالحقيقة، بل إنما تعطي أن هذه الصورة والهيئات للأفلاك لزمت عن هذه الحركات، وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين، وإن قلنا: إن الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم، ولا يغطي الحقيقة بوجه على أنه علم جليل، وهو أحد أركان التعاليم، ومن فروعه علم الأزياج [1]. وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء، واستقامة ورجوع.. وغير ذلك. يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي وقت فرض من قبل حسبان حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة، ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام، والتواريخ الماضية، وأصول متقررة في جداول مرتبة تسهيلا على المتعلمين، وتسمى الأزياج"[2].

ومما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدما كبيرا في العصور الإسلامية وخاصة زمن الدولة العباسية [3]. كغيره من فروع المعرفة ــ فد كانت مواقيت الصلاة مثلا من بعض مسائله التي يجب معرفتها فهي تختلف من موقع إلى موقع ومن يوم إلى يوم.. ولا يخفى أن حسابها يقتضي معرفة عرض الموقع الجغرافي، وحركة الشمس في البروج، وأحوال الشفق الأساسية، وهناك صلاة الكسوف أو الخسوف التي تقتضي معرفتها معرفة استعمال الأزياج الدقيقة، وهناك أيضا هلال رمضان [4].، وفي هذا يقول كارولو نللينو في كتابه (علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى): "لا يخفى على من اعتبر أمور الدين الإسلامي، ولو قليلا، ما وقع بين بعض أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات، وبين بعض الظواهر الفلكية من الارتباط الواضح الجلي، إن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد إلى بلد، ومن يوم إلى يوم، فيقتضي حسابها معرفة عرض

(1) ــ الأزياج: جمع ــ زيج: وهو عبارة عن جداول مسجلة فيها حركات الشمس والقمر والأرض والنجوم، ومساراتها، وأقدم الأبحاث المدونة فيه "زيج بطليموس". انظر: علي عبد الله الدفاع. **أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك**. ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985. ص 17.

(2) ــ ابن خلدون. **المقدمة**. ص 907.

(3) ــ إلا أن الدكتور أنور الرفاعي يرى أن اهتمام العرب المسلمين بعلم الفلك. كان في أواخر العصر الأموي زمن خالد بن يزيد حيث ترجم أول كتاب للفلك، وهو كتاب "عرض مفتاح النجوم" المنسوب لهرمس الحكيم، وقد تمت ترجمته قبل سقوط الدولة الأموية بسبع سنين. **الإسلام في حضارته ونظمه**. مرجع سابق، ص 661، انظر: عبد الرحيم بدر. **علم الفلك عند العرب**. عمان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1985م. ص 18.

(4) ــ قدري حافظ طوقان. **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**. ط2، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1954م. ص 87 ــ 88.

البلد الجغرافي وحركة الشمس في فلك البروج، وأحوال الشفق الأساسية، ومن شروط الصلاة الإتجاه إلى الكعبة، فيستلزم ذلك معرفة سمة القبلة أي حل مسألة من مسائل علم الهيئة الكروية، مبنية على حسابات المثلثات ومن أحب صلاة الكسوف يحسن التأهب لها قبيل انكساف الشمس أو القمر، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة حساب حركات النيرين، واستعمال الأزياج المتقنة"[1].

وزاد اهتمام الناس بعلم الفلك وعظمت رغبتهم في معرفته زمن الخليفة المنصور الذي أولع بعلم الفلك وشجع العلماء وأغدق عليهم العطايا، وحثهم على ترجمة ما ألفه إقليدس، وأرشميدس، وبطليموس، وترجمة جميع كتب اليونان في هذا الميدان. وفي عصر الرشيد وابنه المأمون، صاغ المسلمون كل أسماء النجوم والكواكب لدى ترجمتهم لأعمال الفلكي الكبير إبرخس (Hipparch)، ودليله الموقع بقلم بطليموس (Ptolemous) مع عدم إغفال أسمائها القديمة التقليدية.. الأمر الذي جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة فيما بعد أسماء ذات مصدر عربي أخذه الغرب فيما بعد[2]. وقد أدت مدرسة بغداد الفلكية في زمن الرشيد والمأمون أعمالا مهمة في هذا الميدان يقول غوستاف لوبون: "كانت بغداد مركزا مهما لمباحث علم الفلك، ولكنها لم تكن المركز الوحيد لهذه المباحث، فالمراصد التي كانت قائمة في البلاد الممتدة من آسيا الوسطى إلى المحيط الأطلنطي كثيرة، فمنها ما كان في دمشق، وسمرقند، والقاهرة، وفارس، وقرطبة.." [3].

ومن الذين برزوا في هذا العلم، وقدموا خدمات جليلة، ودراسات قيمة أسرة خراسانية تُدعى "أبناء موسى بن شاكر الثلاثة" محمد وأحمد والحسن، فقد أظهروا عجائب الحكمة في هذا الميدان"[4].

وقد أفسح المأمون لهؤلاء الفلكيين دارا في أعلى ضاحية من بغداد، لرصد النجوم رصدا دقيقا علميا، وإجراء قياسات مثيرة للإعجاب.. وقد كان هؤلاء الفلكيون الخراسانيون يعملون مجتمعين على وضع جداول الفلك "المجربة" أو "المأمونة" كما يسمونها، وهي مراجعة دقيقة

---

(1) ــ نقلا عن: علي عبد الله الدفاع. **أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك**. مرجع سابق.ص31وانظر: **Encyclopedie Genrale De L Islam.** Chapiter 2 , Les sciences, V,2,P,78.

(2) ــ زيغريد هونكه. **شمس العرب تسطع على الغرب**. ص 118.

(3) ــ غوستاف لوبون. **حضارة العرب**.ط4، ترجمة عادل زعيتر. القاهرة: (د. ن)، 1964م. ص 456.

(4) ــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 378.

لجداول بطليموس القديمة[1].

وقد برز علماء من خراسان وما وراء النهر في هذا الميدان قدموا خدمات جليلة، ودراسات قيمة في علم الفلك وما يتعلق به من حساب ومجاري النجوم والشمس والقمر، ومعرفة الطوالع وتيسيرها، ثم عمل التقاويم والاهتمام بالرصد وما يتعلق بذلك من البحث في أحوال الأجرام السماوية البسيطة العلوية والسفلية، وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها.

ويمكن أن نعرف اتجاهات علم الفلك ـــ خلال فترة الدراسة ـــ بما أوضحه أبو معشر جعفر ابن محمد البلخي (ت 272هـ) في عصره. فقسّم هذا العلم إلى:

ـــ حركات النجوم ومسيرها في الطول والعرض.

ـــ معاريضها التي تعرض لها باختلاف حركاتها في البروج ومقامها ورجوعها مع كسوف الشمس والقمر وما يعرض لهما في ذلك.

ـــ علم أجرام النجوم.

ـــ أبعادها من نقطة الأرض وبُعد بعضها عن بعض[2].

وممن برع في علم الفلك نذكر:

منصور بن طلحة بن طاهر بن الحسين. كان فيلسوفا مصنّفا مذكورا يسميه عبد الله بن طاهر حكيم آل طاهر ويعجب به كل الإعجاب، تولى مرو وآمل وخوارزم. له في الفلك كتاب "الإبانة عن أفعال الفلك"، وكتاب "الوجود"، ورسالة في "العدد والمعدودات"، وكتاب "الدليل والاستدلال"[3].

وأبو عثمان سهل بن بشر بن هاني، كان في خدمة طاهر بن الحسين، والحسن بن سهل، كان له اهتمام بعلم الفلك والنجوم والرياضيات، وله فيها مصنفات شهيرة منها: كتاب "تحويل سني العالم"، وكتاب "المدخل الصغير"، وكتاب "المدخل الكبير"، وكتاب "الهيئة وعلم الحساب"، وكتاب "المسائل الكبير"، وكتاب "الإختيارات"، وكتاب "المواليد الصغير"، وكتاب "الأوقات"، وكتاب "الأمطار والرياح"، وكتاب "الكسوفات"، وكتاب "التركيب"، وكتاب "الجبر والمقابلة"،

(1) ـــ زيغريد هونكه. **شمس العرب تسطع على الغرب**. مرجع سابق. ص 119.

(2) ـــ ابن رستة. **الأعلاق النفيسة**. ص 17.

(3) ـــ ابن النديم. **الفهرست**. ص 148 ـــ 149.

قال صاحب الفهرست فيه: "قيل لي أن الروم تعظم كتاب الجبر والمقابلة له وتصنفه". وقد أودع عيون كتبه في كتاب سماه "كتاب العاشر" صنفه بخراسان ويحتوي على ثلاثة عشر كتابا[1].

ونذكر أيضا أبا الحسين عبد الرحمن بن عمر بن محمد من أهل نسا (ت 291هـ) وهو فلكي مشهور له تصانيف جليلة منها: كتاب "الكواكب الثابتة"، وكتاب "الأرجوزة في الكواكب الثابتة"، وكتاب "التذكرة ومطارح الشعاع"[2].

أما مرو فلم تكن بعيدة عن الاهتمام بالعلوم الكونية رغم عنايتها وانشغالها الزائد بالعلوم الشرعية. وقد برز فيها عدد من المهتمين والباحثين بعلم الفلك والنجوم والرياضيات، ولهم جهود معروفة مشهورة وموضع احترام وتقدير المشتغلين بهذا النوع من العلوم. نذكر منهم:

محمد بن عبد الله بن عمر. وهو فاضل وقته في صناعة النجوم، وما يتعلق بجوانبها، ومصنفا بارعا فيها، من تآليفه: كتاب "الأهوية" في سبع مقالات، وكتاب "الزيج"، وكتاب "القرانات وتحويل سني العالم"، وكتاب "المواليد وتحويل سنيها"[3].

وكان الفقيه أبو حاتم البستي (ت 354هـ) عالما في النجوم [4]. وكذلك القاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي.

أما في بلخ فنبغ في الفلك الشاعر أحمد بن جعفر بن موسى البلخي (ت 324هـ أو326هـ)[5]. ومن بلخ أيضا برز غلام أبي معشر البلخي. وهو محمد بن عبد الله بن سمعان. وله من الكتب في الفلك: كتاب "المدخل إلى علم صناعة النجوم"[6].

وفي إقليم ما وراء النهر، ظهر فلكي عرفه الغرب باسم الفرغاني (Alfraganus) أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير من سمرقند. الذي كان لكتبه تأثير كبير في التفكير الأوربي، وقد قاس قطر الأرض، وحدد المسافات الفاصلة بين الكواكب وأقطار هذه الكواكب، وكتب كتابا

(1) ـ ابن النديم. **الفهرست**. ص 335، القفطي. **تاريخ الحكماء**. ص196.

(2) ـ القفطي. **تاريخ الحكماء**. ص226.

(3) ـ المصدر نفسه. ص 286.

(4) ـ انظر: ياقوت. **معجم البلدان**.ج1/ص493، ابن العماد. **شذرات الذهب**. ج3/ص16.

(5) ـ المدرس. **مشايخ بلخ**. مرجع سابق. ج1 / ص 99.

(6) ـ ابن النديم. **الفهرست**. ص 339.

عن الساعات الشمسية أو المزاول[1].

له مؤلفات عديدة في علم الفلك والنجوم منها: كتاب "جوامع علوم النجوم وأصول الحركات السماوية"، و "الكامل في الاسطرلاب"، و"علم الهيئة"، و"جداول الفرغاني"، وفي "صنعة الاسطرلاب". توفي سنة (339 هـ)[2].

وأبو زيد عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي السمرقندي (ت 430هـ). له كتاب "الاسرار والتقويم للأدلة" في علم الفلك ... وغيره من التصانيف[3].

ويبدو أنه كان للفلكيين والمنجمين شأن كبير زمن السامانيين، فقد ورد أن أحمد بن محمد بن عراق خوارزم شاه اعتمد عليهم في كبس شهور أهل خوارزم. وكان في بلاط الخوارزميين منجمون يُسألون عن الأحوال الفلكية وكذلك كان الأمراء السامانيون يحيطون أنفسهم بمنجمين، وقد استطاع الخجندي الفلكي (ت 390هـ) أن يقيم مرصدا في مدينة الري درس فيه أحوال الشمس[4].

ومما تقدم يمكن أن نسجل الملاحظات التالية:

1 ـ إذا كانت علوم الوحي انبثقت من صميم الإسلام قرآنا وسنة فإن العلوم الكونية تطورت وفق الأصول و القواعد الإيمانية و العلمية التي بنى عليها المسلمون حضارتهم مع التقاط هذه العلوم من مظانها بعد تمحيصها وصبغها بالروح الإسلامية الخالصة.

2 ـ لقد سجّل علماء خراسان وماوراء النهر حضورا علميا في الدراسات الكونية وإن كان ذلك الحضور لا يتساوى مع الحضور العلمي في حقلي الدراسات الشرعية والأدبية والإنسانية، ومع ذلك فإنه يحق لنا أن نشيد بالنماذج المتفردة التي برّزت ونبغت في هذا الحقل من العلوم.

3 ـ لاحظنا أن كثيرا من العلماء استطاع أن يجمع بين تضلعه في علوم الوحي والعلوم الكونية فنجد مثلا في كثير من التراجم:" فلان طبيب محدث، فلان صيدلاني وفقيه ....إلخ".

4 ـ استطاع علماء المنطقة أن يشاركوا في أغلب العلوم الكونية مثبتين القدرة على الإبداع

(1) ـ ابن النديم. **الفهرست**. ص 339. أربري. **تراث فارس**. مرجع سابق. ص 387.

(2) ـ بروكلمان. **تاريخ الأدب العربي**. ج4/ص201.

(3) ـ ابن خلكان. **وفيات الأعيان**. ج3/ص48.

(4) ـ ذنون. **الحياة العلمية**.. مرجع سابق. ص 288، طه ندا. **بخارى**.. مرجع سابق. ص 71.

والابتكار والإضافة النوعية، و البحث عن الجديد في السياقات المعرفية كافة، بعيدا عن مواقع الانعزال والاتكالية و السكون.

ونخلص إلى القول أن الازدهار الذي نالته العلوم الكونية على أيدي الخراسانيين وعلماء ما وراء النهر يتمثل في ما أضافوه إلى ذلك الميدان من ضروب التآليف، وألوان التصانيف، وبارع الاختراع، مما يشهد بعلو كعبهم في شتى المعارف العلمية والتطبيقية.

والحق أن هذا التطور العلمي البناء لم يكن ليتم إلا في ظل حضارة إسلامية تذوب فيها الفوارق بين الأجناس والأروماث والأعراق. فالكل ضرب بسهم وافر في إغناء العلوم وإنمائها، وتقديمها للعالم ناضجة مستوية، لها طابعها الخاص، وخصائصها الممتازة. فساهمت باعتراف المنصفين في خدمة الإنسانية بما خلّفته من آثار جليلة عادت على الحضارة بالتقدم والارتقاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتـــــمة

1. نتائج البحث

2. توصيات البحث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتـــــــمة

1 ـ نتائج البحث:

نحمدك اللهم على توفيقك وإحسانك، وكرمك وآلائك، ونسألك اللهم أن تتم بالصالحات أعمالنا، وأن تنير لنا سبل الخير وطرق العلم، وأن تعلمنا ما ينفعنا، وتنفعنا بما علمتنا، إنك على كل شيء قدير. وبعد:

فلعلّ من آكد الأمور وأوجبها ونحن نشرع في الانتهاء من الحديث عن الحيـاة العلميـة في عصر الدويلات الإسلامية بخراسان وماوراء النهر خلال الفترة التي اخترناها إطارا زمنيا للرسالة أن نشير في عجالة مركّزة إلى أهم النتائج المستخلصة، وهي ليست على سوية أو منحى واحد، ذلك أن منها ما هو إيجابي، وهذا هو السمة الغالبة، وبعضها ما هو سلبي لا مندوحة لنـا مـن تبيانه، وهذه النتائج ما هي إلا انعكاس للواقع العلمي و الفكري الذي كانت تعيشه الأمة بعامة وخراسان وماوراء النهر بخاصة، وأبرزها:

1 ـــ من خلال استعراضنا للجغرافيا الطبيعية والاقتصادية لإقليم المشرق تبين لنا أن ازدهار الأوضاع الاقتصادية وكثرة الصناعات المشتهرة في أرباع خراسان وأقاليم ما وراء النهر ـــ خلال فترة الدراسة ـــ أنعش الحياة العلمية وجعل المنطقة منتجعا لطلاب العلم والرزق على حد سواء.

2 ـــ أثمرت الهجرة العربية إلى إقليم المشرق والاستيطان فيه إلى نشر اللغة العربية، والـدين الإسلامي، وأصبحت خراسان وما وراء النهر بفضل الإسلام منطقة واحدة، ضُـمت إلى دار الإسلام بعد أن كانت مقسمة إلى جزأين يفصل بينهما نهر جيحون، واسـتطاع الإسـلام أن يوحد بين الأجناس المختلفة في هذه المنطقة من عرب وفرس وأتراك.

3 ـــ إن ما قيل عن اضطهاد العرب المستوطنين في إقليم المشـرق للمـوالي ـــ السـكان الأصليين ـــ ما هو إلا مجرد وهم وافتراء جاء إما نتيجة للانسياق وراء الفكر الشعوبي أو للتأثر بالدراسات الإستشراقية البعيدة عن النَصَفة والاعتدال. فالعرب لم يحرموا الموالي من المناصـب، ولا منعوهم من العطاء، ولا أوجدوا بينهم تمايزا طبقيا، وليس مما يرد في بعض الحوادث الفردية و المنفصلة حُكما عاما تبنى عليه الأسس العلمية للبحوث.

4 ـــ لما لم يستطع بعض الخلفاء العباسيين أن يحفظوا للخلافة سلطانها إزاء ما كان يبدو من نزعة إلى الاستقلال، فإنهم سارعوا إلى تشجيع وإسناد ومباركة القيادات الإقليمية على الاستقلال وتحويل هذه الظاهرة إلى أداة تاريخية إيجابية تعمل للتحقق بالانتشار الإسلامي في ما وراء الحدود.

5 ــ كانت للعوامل الطبيعية و التيارات السياسية و الظروف الاقتصـادية دورا حاسمـا في استقلال الدويلات في إقليم المشرق، وقد تم هذا في البداية تحت رقابة وإشراف الخلافة العباسية في بغداد، وفي هذا دليل على مرونة العقلية التشريعية للحكام المسلمين الذين وجدوا أن اتساع حدود الدولة وابتعادها عن القلب أعجز هذا القلب عن ضخ الطاقة الحيوية لكافة أطراف الدولة، وزاد من أعباء الحكومة المركزية بأمور الأقاليم مع الأخذ في الاعتبار عامل التنوع الجغـرافي و العرقي، مما جعلهم يفوضون حكام الأقاليم في بعض الصلاحيات التي تسهل الممارسة الإدارية.

6 ــ لما كانت شخصيات الخلفاء العباسيين بعد عصر العباسيين الأوائل ضعيفة وهزيلة فقد سمحوا لحكام الأقاليم بالاجتراء عليهم، والتهوين من سلطانهم، و التمرد علـى أوامـرهم، و لم يقف الحد عند هذا، بل نشب النزاع و التصارع والتلاحي بين حكام هذه الدويلات، وفي هذا مظهر سلبي للتنوع والاختلاف داخل المرجعية الإسلامية الواحدة.

7 ــ تباينت العلاقة بين الخلافة العباسية في بغداد وبين الدويلات المستقلة في المشرق وفـق شخصية الخليفة وشخصية الأمير، فقد أخلص الطاهريون للخلافة العباسـية، بينمـا أظهـر الصفاريون التمرد، أما السامانيون والغزنويون فكانوا امتدادا للطاهريين في ولائهم وإخلاصهم.

8 ــ سجّلت الدويلات في خراسان وما وراء النهر دورا رائدا في الحفاظ علـى الخلافـة الإسلامية وخاصة في منطقة الثغور الشرقية، فالطاهريون تتبعوا كل الحركات المناوئة للخلافـة والخارجين عليها. كما قام السامانيون بمحاولات جادة لجعل بيئة ما وراء النهر بيئـة إشـعاع ثقافي إسلامي، وذلك بنشر الإسلام على المذهب السني في أقاليم تركستان إلى منتصف القـرن الرابع الهجري /منتصف العاشر الميلادي، وخاصة في صفوف القبائل التي كانت تعـيش عنـد مناطق الحدود مع بلاد الدولة الإسلامية وذلك بسبب احتكاكها العسكري المستمر مع المعسكر الإسلامي، مما أدى سنة (349هـ /960م) إلى إسلام مائتي أسرة تركية في أواسط آسيا دفعة واحدة لم يلبثوا أن زحفوا إلى منطقة ما وراء النهر.

ولا يزال المسلمون إلى اليوم في الجمهوريات الإسلامية التي كانت تـرزح تحـت سـلطان الشيوعية الحمراء يفتخرون بأنهم من سلالة أولئك الفاتحين المسلمين الأوائل الـذين حـرروا بلادهم ونشروا بينهم أنباء الوحي الأعلى وهدي الصراط المستقيم.

9 ــ إن كل صيحة نشاز ودعوة للفرقة، وشعار للعصبية لم تلق استجابة من قبل أهل تلك الأرباع والأقاليم، وفي هذا دليل على الانتماء الإسلامي الذي وحّد الجميع تحت راية واحـدة،

ولعلّ مثال الدولة الصفارية خير ما يثبت فشل تلك المحاولات.

10 ــ يشكل القرنان الرابع و الخامس الهجريان فترة تكوين الفنون والعلوم و التصـــوف و الفلسفة الإسلامية، وهي فترة تمّ فيها إرساء حجر أساس هذه العلوم بطريقة حددت إطارهـــا العام وأساليب دراستها في العالم الإسلامي منذ ذلك الحين.

11 ــ إن نمو الحياة العلمية وازدهاراها لا شك أنه كان ثمرة من ثمار التـــزام المســـلمين ــ عامة ــ بتوجيهات القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة جاءت نصوصها حاثة علـــى طلـــب العلم، ودالة على فضله، ورفعة شأن أهله.

12 ــ سعت بلاطات الدويلات المستقلة إلى منافسة البلاط الخلافي في بغداد مـــن جهـــة، ومنافسة بلاطات الأمصار من جهة أخرى، وذلك بتقريب العلماء، وجلب النبغاء، ورعايتهم، وإغداق العطايا عليهم ، وملء أيديهم بالنِعَم، وتحفيز النشاط المعرفي والإعانة عليـــه بوســـائل وإمكانات السلطة نفسها، مما جعل العلماء يُبحرون في خضم الثقافات بشقيها: الذاتية والأجنبية دون ضغوط السلطة أو توجيه الثقافة، إنما كان المعيار الوحيد الذي ينضبط به العلم والإبداع و النقل عن الآخرين هو العقيدة التي ينتمي إليها الجميع. وقد أبدع العلماء في ظل حكام يعشقون الثقافة، ويقدسون الفكر، ويسعون إلى توفير مناخ صحي للحياة الفكرية المثمرة.

حتى قال عبد الله بن طاهر معلقا على كتاب " غريب الحديث " الذي أهداه مؤلفه أبو عبيد القاسم بن سلام إليه: " إن عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق أن لا يخـــرج من هذا إلى طلب المعاش " وأجرى له عشرة آلاف درهم كل شهر.

13 ــ كشفت الدراسة الدقيقة لهوية العلماء في الحياة العلمية أن هؤلاء العلمـــاء تنوعـــت أجناسهم وأعراقهم، وفي هذا دلالة واضحة على عظمة الإسلام الذي وحّد الجميـــع، وصـــهر الجميع في بوتقة واحدة.

14ــ ومن الملاحظات الجديرة بالانتباه التي قادنا إليها جهد التقصي أن الحياة العلمية تميّزت ــ خلال فترة الدراسة ــ بنبوغ عدد من العلماء الموسوعيين الذين برّزوا في علوم شتى ممـــا جعل بعضهم يذكر في أكثر من موضع.

15 ــ وصلت القراءات العشر إلى إقليم خراسان وما وراء النهر بأســـانيدها المتصـــلة إلى رسول الله ﷺ، وكانت القراءة الأشهر والأكثر انتشارا في المنطقة هي قراءة نافع.

16 ــ أما علم التفسير فقد برّز فيه علماء أجلاّء على اختلاف مناهجهم سواء في التفســـير

بالمأثور، أو التفسير الإشاري (الصوفي) أو التفسير اللغوي، أو التفسير العقدي.

17 ــ إن التقصي الدقيق في المظان المختلفة يدل دلالة واضحة على وجود تراث حـديثي خصب ــ رواية ودراية ــ مما جعل هذا العلم يشهد نُقلة واسعة ومتطورة، حيـث اسـتطاع علماء المنطقة أن يضعوا منهجا علميا دقيقا صنفوا على أساسه أحاديث الرسول ﷺ، وأشهر من أفاد بجهوده في هذا الجانب الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام الترمذي.

18-ارتبطت المنطقة بالمذهب الحنفي لارتباط أبنائها بالتلمذ المباشر على يد الإمام أبي حنيفة ﷺ.

19 ــ كثرة المناظرات العلمية و الردود الفكرية بين العلماء، مما نشّط ميـدان الدراسـات الفقهية، لأن كل فريق من المتناظرين يسعى إلى تأييد وجهة نظره وحشد الأدلـة و الحجـج لنصرة مذهبه. الأمر الذي أدّى إلى كسر الجمود الفكري، وإثراء الفكر الفقهي بأرقى ما وصل إليه العقل الإسلامي من نمو وعطاء.

20 ــ في الأصول الاعتقادية شهد مذهب أبي منصور الماتريدي انتشارا واسعا بين أبناء المنطقة وكوّن على مرّ الزمن مع فكر الأشاعرة مذهب أهل السنة والجماعة، وعرف أتباع المذهبين بأهـل السنة، وبالرغم من أن أغلب السكان كانوا من غير العرب، فلم يكن من السهل أن يجهر الحكـام بغير انتمائهم لأهل السنة، بدليل أن نصر بن أحمد الساماني (301 ــ 331هـ/913 ــ 942م) عندما اعتنق المذهب الإسماعيلي أجبره جنده على التخلي عن العرش.

21 ــ كثير من العلماء و الفقهاء لم ينأوا بعيدا عن الحياة السياسية والاجتماعية للأمة، بل شاركوا وساهموا مساهمة جادة في الإصلاح والإفتاء والقضاء، وهو ما أكسب الفقهاء مكانـة اجتماعية بارزة، وجعل حياة المجتمع تسير في الأغلب وفق أحكام الدين ومقاصد الشرع.

22 ــ اتسم التصوف في إقليم المشرق بأنه تصوف سُني موافق للشريعة قولا وعملا، وبأنه حركي استطاع أقطابه أن يندمجوا مع جماهير الأمة، ويشاركوها هموم العيش الرتيب، وينخرطوا في صفوف المجاهدين لنشر الإسلام فيما وراء الثغور، وخاصة بين قبائل الترك الشرقيين.

23 ــ جمع التصوف في المنطقة بين التربية و السلوك، وبين التأليف و التصـنيف في آثـار القوم وآرائهم وأحوالهم، والجدير بالذكر أن مدرسة نيسابور خير من يمثل هذا الاتجاه.

24 ــ ظلت اللغة العربية لغة العلم و الدين في خراسان وماوراء النهر فهي لغة مجالس الأدب والمناظرة والإملاء والتحديث، كما كانت لغة التأليف والتصنيف خلال فترة الدراسة.

25 ــ برز خلال فترة البحث فئة من الأدباء استطاعوا أن يؤلفوا باللغتين العربية والفارسية وسمو بـــ (ذوو اللسانين) كان لهم فضل يذكر ويشكر في ازدهار الأدب وتطور علومه.

26 ــ شهد عصر الدويلات المستقلة نبوغ طائفة من الشعراء كان لهم السهم الـــربيح في نهضة الأدب..وشعرهم وإن سار في أغراضه على منهاج العرب من أهل نجد و الشام والعـــراق إلا أنه استطاع أن يضاهي شعراء العرب ممن نشأوا في روض الشعر وباحة القريض.

27 ــ توسّع مؤرخو المنطقة في التواريخ البلدانية (تاريخ نيسابور، مرو، هراة، بلخ، هراة، سمرقند، خوارزم..) إلا أن ما يؤسف له أن أغلب هذا التراث ضاع، ولو بقي لأمكن أن يعطينا صورة واضحة منسجمة الأضواء والظلال حول الحياة الاجتماعية والسياســـية والاقتصـــادية والثقافية لهذه الحواضر.

كما رسم علماء المنطقة صورا للكرة الأرضية لا تختلف عن المكتشفات الحديثة مما يشير إلى الذكاء والقدرة والإبداع.

28 ــ أما في العلوم الكونية فكان لعلماء إقليم المشرق نشاط ملحوظ وعناية كبيرة ولهـــم فيها مؤلفات وملاحظات دقيقة، فهم الذين رصدوا كسوف الشمس، وخسوف القمر، وعرفوا الشفق و الغسق، وحسبوا محيط الأرض بدقة فائقة، مما فصلناه في تضاعيف الرسالة. مع العلـــم أن هذه الفتوح العلمية الباهرة اعتمدت على بعض الخبرات العلمية المتوفرة، مما كان يعرف بـــ (علوم الأوائل).

29 ــ ومن الأمور التي حرصت هذه الدراسة على إبرازها التأكيد على أن علماء خراسان وما وراء النهر لم يكونوا مجرد نقلة لعلوم العراق و الشام والحجاز وغيرها، بل أضافوا وشاركوا بسهم وافر في ازدهار العلوم والمعارف وتطورها.

وأخيرا فإن من أوضح الدلائل وأصدق الشواهد على تألق الحياة العلمية في عصر الدويلات المستقلة في إقليم المشرق، مدى ما كان لها من فيوض اليقضة الإسلامية وتأثيرها في الحضـــارة الأوربية وتقدم العلم في أوربا، وما بعثته من حياة فكرية نضّرت العقل الإنساني، ومهّدت أمامه سُبل المعارف ليصنع النهضة، وبسطت أشعتها الساطعة فأنارت للشعوب طريقهـــا، وغيّـــرت حياتها، وبددت سُباتها. وصبّت جميع إنجازاتهم وإبداعاتهم في تيار الحضارة الإنسانية، وأصبحت حصادا إنسانيا عاما، وتبوء علماء المسلمين بذلك مكان الصدارة من تاريخ الإنسانية كلها لمـــا أحرزوا من تقدم في مجال العلوم تقدما رائعا، وحققوا أعظم انتصاراتهم، وبذلوا جهودا مضـــنية

أثمرت نماءا، وتجديدا، وعطاءا، مما يبين حاجة الإنسانية للإسلام، وخسارة البشـــرية بانحطـــاط المسلمين، وحاجة الحضارة الحديثة لعودة الإسلام بمنظومته العقدية والقيمية، ومشروعه الإنساني اللاعنصري، وإمكانات البعث الحضاري الموجود لدى المسلمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2. توصيات البحث

1 ـــ إعادة صياغة كتب التاريخ الإسلامي الوسيط مع التركيز حول تاريخ وحضارة أقاليم خراسان وماوراء النهر، أو ما يعرف اليوم بالجمهوريات الإسلامية.

2 ـــ تزويد المكتبات الجامعية بالكتب و الموسوعات التي تُعنى بتاريخ المنطقـــة وجغرافيتـــها وحضارتها، في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

3 ـــ تزويد المكتبة السمعية البصرية بأشرطة الفيديو و الكاسيت والأقراص الضاغطة حول تاريخ وحضارة المنطقة وعرضها دوريا على الطلاب.

4 ـــ عقد ندوات متخصصة للبحث في سبل التعاون الثقافي بين الجامعـــات الإســـلامية في العالم العربي و الجامعات في الجمهوريات الإسلامية.

5 ـــ استقدام مجموعة من الطلاب من تلك المناطق ورصد منح خاصة لهم للدراسة بجامعاتنا الإسلامية.

6 ـــ تخصيص مقياس بقسم التاريخ الإسلامي حول دراسة تـــاريخ وحضـــارة وحاضـــر الجمهوريات الإسلامية في أواسط آسيا.

7 ـــ إعادة صياغة دوائر المعارف الإسلامية، وكتب الحضارة الإسلامية، وترجمة أعلامهـــا على ضوء منهج التقريب بين السنة والشيعة.

8 ـــ البحث عن المخطوطات الضائعة، والإنتاج العلمي المفقود لعلماء خراسان ومـــاوراء النهر، والعمل على صيانته وتحقيقه وبعثه من جديد، ويضطلع بهذه المهمة فريق من الخـــبراء و الباحثين المتخصصين.

9 ـــ وضع برامج محكمة لترجمة روائع الآداب الإسلامية من وإلى اللغات التي تنطـــق بهـــا الشعوب الإسلامية.

10 ـــ التشجيع على تدريس لغات الشعوب الإســـلامية الرئيســـية وآدابهـــا في كـــل الجامعات الإسلامية.

11 ـــ دعوة القائمين على صياغة الكتاب المدرسي و الجامعي إلى تصحيح تـــاريخ العلـــم وعدم تجاهل جهود علماء المنطقة أثناء عرض مساهمة العلماء المسلمين في العلوم و المنهج، رغم أنهم في بعض الأحيان يذكرون إسهام علماء اليونان.

12 ـــ إعادة توصيف وتصنيف العلوم وفق المنهج الإسلامي و التصور الإسلامي للكـــون والإنسان والحياة.

13 ـــ بيان أثر النهضة الإسلامية على الفكر الأوربي ومقدار هذا الأثر، وإثبات أن الحضارة الإسلامية لم تقم بمجرد تحريك الفكر الأوربي ليعمل بل إنها كانت الجزء الأساسي في النهضـــة العالمية التي تسمى بالنهضة الحديثة، والتي ينعم العالم بثمارها التقنية في العصر الحاضر.

14 ـــ إعادة النظر في الترجمات القديمة وخاصة ما نقل منها إلى العالم الإسلامي حتى نتمكن من إبراز الدور الحقيقي لعلماء المسلمين في المناهج العلمية.

15 ـــ إعادة الثقة إلى أبناء الحضارة الإسلامية في لحظات صراعهم الراهن مـــع الحضـــارة الغربية الغالبة، وذلك بالبحث عن الذات في طوايا العصور الزاهرة حتى يعلموا أنهم أبناء أمـــة قادرة على التجدد و العمل والإبداع، والعودة إلى صدر الوجود من جديد.

16 ـــ فتح موقع على الأنترنيت يهتم بقضايا المسلمين وهمومهم و التحديات التي يواجهونها في أواسط آسيا وخاصة في إقليم ـــ (سيكيانج) ـــ تركستان الشرقية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملاحـــــق

الملحق الأول: خراسان وماوراء النهر (الكور والمدن)

الملحق الثاني: مشاهير الصحابة بخراسان

الملحق الثالث: مشاهير التابعين بخراسان

الملحق الرابع: مشاهير أتباع التابعين بخراسان

الملحق الخامس: الخلفاء العباسيون خلال حكم الدويلات المستقلة في المشرق

الملحق السادس: ولاة خراسان من الطاهريين (205 ـ 259هـ)

الملحق السابع: ولاة خراسان من السامانيين (261 ـ 389هـ)

الملحق الثامن: سلاطين الدولة الغزنوية في خراسان

الملحق التاسع: التواريخ الهجرية وما يوافقها بالتاريخ الميلادي خلال فترة الدراسة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق الأول

خراسان وماوراء النهر (الكور والمدن)[1]

الكـــورة	القصـــبة	المـــــــدن	الرساتيق والنـــواحي
1 ـــ أبيورد	مهنة	بلخان، كوفن رباط	
2 ـــ اسفراز	اسفراز	ادرسكر، كوران، كواشان، كوشك	
3 ـــ أشروسنة	بوجكث	ارسبانيك، ارسمندة، حصنك، خرقانـــة، خشت، دنه ديزك، زامين، ساباط، غزق، قطوان، مليك، نوجكت، وغكث.	اسبسكت، البتم، برعز، يسكن، بشاغر، فرتانغام.
4 ـــ آمل	آمل		
5 ـــ باذغيس	بون (بامئين)	جاذوى، جبل الفضة،دهستان، كابرون، كالدون، كوغاناباذ، كوفا،	
6 ـــ الباميان	باميان	بسغورفند، سكاوند، غزنة، فروان، كابل، لجرا، وذكر الجغرافيون لغزنة وكابل مدن.	متصلة العمل ببلخ
7 ـــ بخارا	بمجكث	اريامين، افشنة، امديزة، اوشر، بخسون، بيكند، جرغر، خجســـادة، خـــدرنكن، جرغانكث، زرميثن، زندنة، سيشكث، طواويس، عـــروان، فربـــر، فغرســـين، كرمينية. كشفغن، كمجكث، مذيابجكث، مجكث مغكان، نويدك، ورخشي،وردانة، وركي.	
8 ـــ بلخ	بلخ	اشفورقان، سليم، كركو، جامذر، برواز.	يتصل بها طخارســتان، الختل بنجهير، بذخشان وعمل الباميان، حرماية.
9 ـــ بوشنج	بوشنج	خركود، فركرد، كره، كوسوى.	

(1) ـــ انظر : الحديثي. أوباع خراسان. ص33 ـــ 37.

الكـــورة	القصـــبة	المـــــدن	الرساتيق والنـــواحي
10 ــ الترمذ	الترمذ	صرمنجن، هاشم جرد	متصلة العمل بالصغانيان
11 ــ الجوزجان	اليهودية	اسان، اشترج، انبـار(انـبير)بـرزور، شبورقان، صمعاكن، قرزمان. كـلان، كندرم، نريان.	اتخذ مدينته اشترح
12 ــ الختل	هلبك	اسكندره، اندبجاراغ، تمليـات فـارغر، كازنيك،لاوكند،مرنـــدمنك،هلاورد، الوخش.	
13 ــ خوارزم	الشرقية كات، الغربية الجرجانية (كركانج)	اردخشـــميثن، ارذخيـــوة، ايخـــان، براتكين،جاز، جثيرة جكربند. جيـث، خشميثن، خيوة، درغان، دسـكاخان، روزوند، زارمنـد، زردرخ، زمخشـر، سافردز، سدور، غردمـان، كـسردران خداش، كـسردر، مـدامثن، مذمينيـة، مرداجقان. مساسان، نوزوار كوكفاح، هزاراسب.	
14 ــ زم	زم	اخسيسك مدينة مجموعة العمل معها.	
15 ــ سرخس	سرخس		رستاق طيران
16 ــ سمرقند	سمرقند	المدن والرساتيق الجنوبية:ابغر، بنجكيث، الدرغم الساودار، سنجر فغن، مـايمرغ، ورغسر. المدن والرساتيق الشـمالية: بوزمـاجر، بوزمذ، كيوذبجكـث المرزبـان، وذار، باركث ومن المدن الكبيرة التابعـة لهـا اربنجن. اشتيخن، الدبوسية الكشانية.	ناحية خـابران، قصـبة الصغد ومن الملاحظ أن هذه الرساتيق لها مـدن (منابر) باسمائها وبعضها ليس لها مدن.
17ــ الشاش	بنكث	اجنح، ادلاكث، اشبيغو، اشـتوركث، اغناق، اوش، انوذكـت، بارسـكت، بركوش، شكت، نعنكـث، بناكـست،	فاراب، اسبيجاب الطراز، ايلاق مضمومة للشاش.

الكـــورة	القصـبة	المـــــدن	الرساتيق والنـــواحي
		بيكـت وبيـــكند، تـل، جبـوزن، جيوغكت، جنينا نجكت، خاتونكـث، خدنيكت، كروان زرانكت، غـدرانك، غرجند غزك، غزكرد، غناج فردكـث، فرنكث، كباشكت، كمرنـة، كـداك، كلشجك.	
18 ــ الصغانيان	الصغانيان	باسند، باسباب، لهاران هـام بـوراب، حردن، دارزنجي، ريكدشت، زيتـور، دستجرد، سنكرده، شومان، كاسـك، نودز، هنبان، الواشجرد.	وجمعت ما بين واشجرد و الصغانيان إلأى عمل الصغانيان.
19- طخارستان	لمخارستان	آرهن، اندرابه، يغلان خسبت، خلـم، روان، رؤب سراي عاصم سـكلكند، سكيمشث، سمنجان، الطايقان، غرينك، قارض، هوظة، واج، وزواليز يقتل.	
20 ــ طوس	الطابران	استورقان، برنوخكان، يزدغور. مضمونة العمل إلى نيسابور النوقان.	
21 ــ غرج الشارنشين	بلكيان، سورمين		
22 ــ فرغانة	اخسكيث	اردلانكث، اسيره، استياكند، اسـتيقان، اشـت، اشـححان، انـدكان، اوال، اورشت، اوزكند، اوش، باب، برنـك، بسغر، بشيشان، بوكند بيضحر، بيكان، توبكار جـارك، جـدغل، خجنـده، خشكت، خواكند، خيلام رشتان، رنجد، زاركان زندرامش، سوج، شاوان شلات، قيا، كاسان، كـروان، كنـد، مـدوا، مرغينان، مسكان، مستاره، ميان روذان،	لفرغانة كور لكل كورة عدة مدن ولكل مدينة لها رستاق فيه عدة قرى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكـــورة	القصـبة	المـــــدن	الرساتيق والنـــواحي
		نسبا، نصر آباذ، نقاد هلي، وانكنت.	
23 ـــ قوهستان	فاين	تون، حلوان، خور خوست، الرقة، سرور طـبس التمـــر، طـــبس العنـــاب (مسينان)مزدقان، مشكان، ينابذ.	ولعل طبس هـــي الـــتي كانت تســمى طـــبس (كوى) أو الطبسين.
24 ـــ القواديان	القواديان	اوزج، بورم، بيز، سكارا	
25 ـــ كش	كش	نوقد قريش، سونج، اسيكفغن.	الرساتيق : هي كشـــك خروذه، خزارروذ خزار، ســـور روذه، منكـــورة الداخليـــة و الخارجيـــة مايمرغ.
26-كنج رستاق	ببنه	بغشور، كيف.	
27- مرو الشاهجان	مرو	ارم كليق، باشان، جراره جيرنج، خرق، الدانـــدانقان زرق، ســـنج، ســـنجان، سوسقان، صهبة،القرينين، كشـــميهين، هرمز فره،	مقسمة إلى أربعة أرباع : هرمزفـــره، الماجـــان، الرزيق، اسعدي.
28 ـــ مرو الروذ	مرو الروذ	حسه، دزه، قصراحنف لوكرا.	
29 ـــ نسا	نسا	اسفينان، جرمقان، رباط افراوه رســـتاق حمراندز، رباط شارستانه.	
30 ـــ نسف	نسف	بزده، كسبه.	لها رستاق.
31 ـــ تيسابور	ابرشهر	ارغيان، استوا، اسفراين اشيند، ارباعها هي : بشت باخرز، بشـــت، همنابـــاذ، بيهق، تكاب ريوند، مازل جارم، حايمند، جوين، خان روان خواف، ديواره، رخ، رزيلة، زام، زاوه، زوزن، سنكان، كندر، مزينان.	
32 ـــ هراة	هراة	استربيان، اوفة باشان خشت، خيســـار،	لهـــا رســـاتيق هـــي :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكـــورة	القصـــبة	المـــــــدن	الرساتيق والنـــــواحي
		كروخ، ماراباذ، مالن.	سنداسنك، كواشـــان، سياوشان، مالن، تيزان، روافر، سوسان، ســـله، كوكان، كرك، غوبان، كريكرد، يغاوردان، فيرد، افيذاسنج. نواحيهـــا : بوشـــنج، باذغيس، كنج رستاق، اسفزار.

1ـــ رتبت هذه القائمة حسب حروف المعجم.

2 ـــ وردت هذه الكور لدى الجغرافيين العرب، وخاصة أولئك الذين عاصروا الدولة السامانية مثل البلخي والإصطخري والمقدسي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق الثاني

مشاهير الصحابة بخراسان[1]

1 ــ **بريدة بن الحصيب بن عبد الله الأسلمي** : من المهاجرين الأولين ممن هاجر إلى النبي ﷺ قبل قدومه المدينة ولحق به، فلما أراد النبي ﷺ دخول المدينة قال بريدة : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء، ثم حمل عمامته وشدّها في رمح ومشى بين يدي النبيﷺ يوم قدومه المدينة، ثم خرج إلى سجستان فبقي بها مدة، ثم خرج منها إلى مرو فاستوطنها في إمارة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان إلى أن مات، وبها عَقِبُه، وقبره بمرو مشهور يعرف.

2 ــ **الحكم بن عمرو بن مجدّع الغفاري**: له صحبة، خرج إلى خراسان غازيا، وله قصة طويلة ليس غرض الكتاب يحتملها حتى أمر معاوية بقيده فقُيّد بمرو فبقي في قيده حتى مات سنة خمسين في ولاية معاوية، وأوصى أن يدفن بقيده ليخاصم أبا عبد الرحمن في القيامة فدفن بقيده بمرو وقبره بجنب بريدة الأسلمي.

3 ــ **قريط بن أبي رمثة** : كان ممن هاجر مع أبيه إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ لأبي رمثة : ابنك هذا ؟ قال : نعم، قال : أما أنه لا يجني عليك ولا تجني عليه، ثم خرج أبو رمثة بابنه قريط إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي في حياة رسول الله ﷺ فأقام بها إلى أن خرج غازيا في أيام عمر، وقريط هو الذي فتح الأبلة، ثم غزا خراسان مع الأحنف بن قيس ونزل مرو واستوطنها إلى أن مات وبها عقبه.

4 ــ **قثم بن العباس بن عبد المطلب** : ابن عم رسول الله ﷺ، له صحبة، خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان في ولاية معاوية بن أبي سفيان غازيا إلى خراسان.

5 ــ **قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي أبو القاسم** : خدم النبي ﷺ عشر سنين من وقت قدومه المدينة إلى أن قبضه الله إلى جنته، وكان على مقدمة علي بن أبي طالب يوم صفين، فلما ولي معاوية أغضى عنه سنين ثم طلبه سنة ثمان وخمسين فهرب منه وسكن تفليس إلى أن مات بها سنة خمس وثمانين في ولاية عبد الملك بن مروان.

---

(1) ــ انظر : محمد بن حبان البستي. **مشاهير علماء الأمصار**. بيروت : دار الكتب العلمية. (دت)، ص59 ــ 61.

الملحق الثالث

مشاهير التابعين بخراسان[1]

1 ــ عبد الله بن بريدة بن الحُصيب الأسلمي : كان مولده لثلاث سنين مضين من خلافة عمر بن الخطاب، ولي يزيد بن المهلب عبد الله القضاء بمرو، ومات بها سنة خمس عشرة ومائة وقبره بقرية من قرى مرو.

2 ــ الربيع بن زياد : كان عامل معاوية بن أبي سفيان على خراسان، سمع أبي بن كعب وغيره من الصحابة.

3 ــ علباء بن أحمد اليشكري : ممن صحب أبا زيد الأنصاري واسمه عمرو ابن أخطب وهو جده، سكن مرو ومات بها.

4 ــ سليمان بن بريدة الأسلمي : مات بمرو سنة خمس ومائة وقبره بقرية من قرى مرو.

5 ــ الربيع بن أنس بن زياد البكري : سكن مرو، سمع أنس بن مالك وكان راويةلأبي العالية، وكل ما في أخباره من المناكير إنما هي من جهة أبي جعفر الرازي.

6 ــ همام بن ختاس العبدي :وقد قيل العدوي، من أهل البصرة، سكن مرو، كان ممن صحب عبد الله بن عمر بن الخطاب وسمع منه.

7 ــ عطاء بن السائب الكناني الليثي : من أهل المدينة، مسح علي بن أبي طالب رأسه، وقال : بارك الله عليك وعلى ذريتك من بعدك، سكن مرو وولد له بها ابن فسماه محمدا، ولمحمد ابن يقال له السائب وللسائب ابن يقال له عطاء كلهم في أهل مرو.

8 ــ يحي بن يعمر : من بني عوف بن بكر، كنيته أبو سليمان وقد قيل أبو سعيد، من أهل البصرة، سكن مرو، ولاه قتيبة بن مسلم القضاء بها، وكان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علماء باللغة مع الفضل و الورع.

9 ــ يحي بن عقيل الخفّاء : من أهل البصرة، سكن مرو، سمع ابن أبي أوفى يقول : كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقلّ اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي معه المسكين والأرملة فيقضي له حاجته، وأكثر رواية يحي بن عقيل عن يحي بن يعمر وأقرانه.

10 ــ الزبير بن عدي الهمداني أبو عدي: مولده بالكوفة،سكن الري سمع أنس بن مالك وكان من العبّاد والمتقنين من الزهاد، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة، وكل ما في أخباره من المناكير فهي من جهة بشر بن الحسين الأصبهاني.

---

(1) ــ انظر : البستي. مشاهير علماء الأمصار. ص125 ــ 126.

الملحق الرابع

مشاهير أتباع التابعين بخراسان[1]

1. **الضحاك بن مزاحم الهلالي(أبو القاسم)**: مولده ببلخ، وكان يقيم بمرو وببلخ زمانا وربما أقام ببخارا وبسمرقند حينا، وكان ممن عني بعلم القرآن عناية شديدة مع لزوم الورع، وكان معلم كتاب يعلم الصبيان فلا يأخذ منهم شيئا إنما يحتسب في تعليمهم، مات سنة وخمس ومائة.

2. **أصبغ بن علقمة بن علي بن علقمة بن شريك الحنظلي اليربوعي أبو المقدام**: من أهل مرو، ومن خيار مشايخهم، ممن جالس سعيد بن المسيب وعكرمة.

3. **عبد المبارك**: مولى بني حنظلة، من أهل مرو، **أو عبد الرحمن**، كان مولده سنة ثماني عشرة ومائة، وكان أحد الأئمة فقها وورعا وعلما وفضلا وشجاعة ونجدة، ممن رحل وجمع وصنف وحدث وحفظ وذاكر ولزم الورع الخفي و الصلابة في الدين و العبادة الدائمة مع حسن العشرة واستعمال الأدب إلى أن مات منصرفا من طرسوس في شهر رمضان سنة إحدى وثمانين ومائة وقبره بحيت مدينة على الفرات مشهور يزار.

4. **إبراهيم بن ميمون الصائغ أبو إسحاق**: من أهل مرو، من الآمرين بالمعروف والمواظبين على الورع الموصوف مع الفقه في الدين و العبادة الدائمة، قتله أبو مسلم سنة إحدى وثلاثين ومائة.

5. **مقاتل بن حيّان النبطي أبو بسطام**: مولى لبكر بن وائل، كان يسكن مرو مدة وبلخ زمانا وله بمرو خطة، وكان ممن عني بعلم القرآن وواظب على الورع في السر و الإعلان،ومات مقاتل بكابل.

6. **يعقوب بن القعقاع بن الأعلم الأزدي أبو الحسن**: من أهل البصرة، قدم مرو فولاه أبو مسلم القضاء بها فاستوطنها.

7. **عبد الله بن كيسان أبو مجاهد**: من أهل مرو، من أصحاب عكرمة، وبها مات.

8. **بشير الكوسج أبو نصر**: من أهل مرو،، رأى عكرمة و الحسن وجماعة من التابعين.

9. **جَبَلة بن أبي رواد العتكي**: مولى عتيك، أخو عبد العزيز بن أبي رواد، كنيته أبو مروان، من أهل مرو قتله أبو مسلم بنيسابور سنة إحدى وثلاثين ومائة.

10. **حسين بن واقد**: مولى عبد الله بن عامر بن كريز القرشي، كنيته أبو علي، كان على قضاء مرو، ومات بها سنة تسع وخمسين ومائة.

---

(1) ــ انظر: البستي. **مشاهير علماء الأمصار**. ص194 ــ 199.

11.سليمان بن عامر بن عمير الكندي البرزي: من أهل مرو، وهو الذي قال: سمعت الربيع بن أنس يقول من استطاع منكم أن يكون له في مدينة مرو دار فيها بئر طحانة ليفعل.

12.عبد المؤمن بن خالد الحنفي أبو خالد: من أهل مرو، ومن أصحاب عبد الله بن بريدة، كان متقنا ثبتا.

13.أبو المنازل عثمان بن عبيد الله: كان على قضاء خراسان، سكن ملرو، وروى عنه جلة أهل الكوفة مثل الشيباني و الحجاج بن أرطأة وذويهما.

14.عثمان بن جبلة بن أبي رواد: من خيار أهل مرو.

15.أبو عثمان الأنصاري عمر بن سالم: أصله من المدينة، انتقل إلى خراسان وسكن مرو وكـــان على القضاء بها، روى عنه المراوزة وأهل العرق.

16.محمد بن زيد العبدي: من أهل البصرة، سكن مرو وكان على القضاء بها، من أحاب ســعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير، وروى عن المصريون و المراوزة.

17.محمد بن سيار: الذي يقال له الخراساني، أصله من البصرة، وسكن مرو، كانت كنيته أبو العيّوف.

18. الفضل بن عطية المروزي: مولى بني عبس، ممن صحب عطاء وسالم بن عبد الله وذويهما، وهو والد محمد ابن الفضل.

19.أبو حمزة السكري محمد بن ميمون: من أهل مرو، من جلّة المحدثين بها، مات سنة سبع أو ثمـــان وستين ومائة.

20.أبو غانم يونس بن نافع: من أهل مرو، مات سنة تسع وخمسين ومائـــة، وكـــان يهـــم في الأحايين.

21.عبد الكبير بن دينار الصائغ:من أهل مرو، أبو عبد الرحيم، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

22.النضر بن محمد المروزي: من جلة أهل مرو، ممن كان يتفقه على مذهب الكـــوفيين، مـــات بمرو يوم النحر سنة ثلاث وثمانين ومائة.

23.الفضل بن موسى السيناني: مولى بني قطيعة، من جلة أهل مرو ومتقني المحدثين بها، مات سنة إحدى أو اثنين وتسعيم ومائة.

24.خُليد بن حسان الهجري العصري: من أهل البصرة، ومن أصحاب الحســن، كنيتـــه أبـــو حسان، سكن بخارا وحدّث بها.

25.كثير بن زياد السلمي البرساني الأزدي: من أهل البصرة،، دخل خراسان فكان يقيم بـــبلخ مدة وبسمرقند زمانا، وربما حدث ببخارا، ومات بما وراء النهر.

26.منصور بن النعمان اليشكري: من أهل البصرة، سكن مرو مدة ثم تحول إلى بخارا وسكنها، ممن صحب أبا مجلز وعكرمة وذويهما من التابعين.

27.خالد بن زياد بن جزء: سكن ترمذ وكان على القضاء بها، يروي عن نافع وقتادة أحاديث مستقيمة، ومات بترمذ وهو ابن مائة سنة وسنة، ثم ولي ابنه عبد العزيز بن خالد قضاء ترمذ بعده.

28.النضر بن زرارة الذهلي: من أهل الكوفة، سكن بلخ، هو ابن أخت سماك بن الوليد الحنفي، ممن صحب إسماعيل بن أبي خالد وذويه، مستقيم الأمر في الحديث.

29.الوسيم بن جميل بن طريف الثقفي: مولى الحجاج بن يوسف، من ساكني بلخ، مات سنة ست وثمانين ومائة، وكان متعبدا فاضلا، وكان ابن المبارك يتمنى لقياه لما يذكر من فضله.

30.خالد بن أبي نوف: من أهل سجستان، دخل خراسان وأقام بها مدة.

31.عيسى بن يزيد الأزرق: من أهل مرو، ولي القضاء بسرخس، وكان من العباد، وبها مات، وكان ابن المبارك يزو قبره إذا دخل سرخس.

32.إبراهيم بن طهمان أبو عمرو: من أهل نيسابور ...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق الخامس

الخلفاء العباسيون خلال حكم الدويلات المستقلة في المشرق

الاســـــــــــــم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
المـــأمون أبـــو جعفـــر عبـــد الله	198 ــ 218 هـ	813 ــ 833 م
المعتصم بالله أبـــو إســـحاق محمـــد	218 ــ 227 هـ	833 ــ 842 م
الواثق بـــالله أبـــو جعفـــر هـــارون	227 ــ 232 هـ	842 ــ 847 م
المتوكل على الله أبو الفضل جعفـــر	232 ــ 247 هـ	847 ــ 861 م
المنتصر بـــالله أبـــو جعفـــر محمـــد	247 ــ 248 هـ	861 ــ 862 م
المستعين بالله أبـــو عبـــد الله محمـــد	248 ــ 251 هـ	862 ــ 866 م
المعتز بـــالله أبـــو عبـــد الله محمـــد	251 ــ 255 هـ	866 ــ 869 م
المهتدي بالله أبـــو إســـحاق محمـــد	255 ــ 256 هـ	869 ــ 870 م
المعتمد على الله أبو العبـــاس محمـــد	256 ــ 279 هـ	870 ــ 892 م
المعتضد بالله أبـــو العبـــاس أحمـــد	279 ــ 289 هـ	892 ــ 902 م
المكتفي بـــالله أبـــو محمـــد علـــي	289 ــ 295 هـ	902 ــ 908 م
المقتدر بالله أبـــو الفضـــل جعفـــر	295 ــ 320 هـ	908 ــ 932 م
القاهر بـــالله أبـــو منصـــور محمـــد	320 ــ 322 هـ	932 ــ 934 م
الراضي بالله أبـــو العبـــاس أحمـــد	322 ــ 329 هـ	934 ــ 940 م
المتقـــي بـــالله إســـحاق إبـــراهيم	329 ــ 333 هـ	940 ــ 944 م
المستكفي بالله أبو القاسم عبـــد الله	333 ــ 334 هـ	944 ــ 946 م
المطيـــع لله أبـــو القاســـم الفضـــل	334 ــ 363 هـ	946 ــ 974 م
الطائع لله أبو بكـــر عبـــد الكـــريم	363 ــ 381 هـ	974 ــ 991 م
القادر بـــالله أبـــو العبـــاس أحمـــد	381 ــ 422 هـ	991 ــ 1031 م
القائم بأمـــر الله أبو جعـــفر عبـــد الله	422 ــ 467 هـ	1031 ــ 1075م

الملحق السادس

ولاة خراسان من الطاهريين

الاسم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
طاهر بن الحسين	205 ـ 207 هـ	82 ـ 823 م
طلحة بن طاهر	207 ـ 213 هـ	823 ـ 828 م
عبد الله بن طاهر	213 ـ 230 هـ	828 ـ 844 م
طاهر بن عبد الله	230 ـ 248 هـ	844 ـ 862 م
محمد بن طاهر	248 ـ 259 هـ	862 ـ 872 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق السابع

ولاة خراسان من السامانيين

الاسم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
نصر الأول بن أحمد	261 ـ 279 هـ	874 ـ 892م
إسماعيل بن أحمد	279 ـ 295 هـ	892 ـ 907م
أحمد بن إسماعيل	295 ـ 301 هـ	907 ـ 913م
نصر الثاني بن أحمد الثاني	301 ـ 331 هـ	913 ـ 943م
نوح الأول بن نصر	331 ـ 343 هـ	943 ـ 954م
عبد الملك الأول بن نوح	343 ـ 350 هـ	954 ـ 961م
منصور الأول بن نوح	350 ـ 366 هـ	961 ـ 977م
نوح الثاني بن منصور	366 ـ 387 هـ	977 ـ 997م
منصور الثاني بن نوح الثاني	387 ـ 389 هـ	997 ـ 999م
عبد الملك الثاني بن نوح الثاني	389 ـ 389 هـ	999 ـ 999م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق الثامن

سلاطين الدولة الغزنوية في خراسان

الاسم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
ألبتكين	351 ـ 352 هـ	962 ـ 963 م
أبو إسحاق	352 ـ 355 هـ	963 ـ 966 م
بلكاتكين	355 ـ 362 هـ	966 ـ 972 م
بري	362 ـ 366 هـ	972 ـ 976 م
سبكتكين	366 ـ 387 هـ	976 ـ 997 م
إسماعيل	387 ـ 388 هـ	997 ـ 998 م
محمود : يمين الدولة	388 ـ 421 هـ	998 ـ 1030 م
محمد : جلال الدين	421 ـ 422 هـ	1030 ـ 1030 م
مسعود الأول ناصر دين الله	422 ـ 432 هـ	1030 ـ 1040 م
مودود : شهاب الدين	432 ـ 441 هـ	1040 ـ 1048 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملحق التاسع

التواريخ الهجرية وما يوافقها بالتاريخ الميلادي خلال فترة الدراسة[1]

أول محرم من السنة الهجرية	يوافقه بالميلادي	أول محرم من السنة الهجرية	يوافقه بالميلادي
205هـ	الأحد 820/6/17م	228هـ	الثلاثاء 842/10/10م
206هـ	الخميس 821/6/6م	229هـ	الأحد 843/9/30م
207هـ	الثلاثاء 822/5/27م	230هـ	الخميس 844/9/18م
208هـ	السبت 823/5/16م	231هـ	الإثنين 845/9/7م
209هـ	الأربعاء 824/5/4م	232هـ	السبت 846/8/28م
210هـ	الإثنين 825/4/24م	233هـ	الأربعاء 847/8/17م
211هـ	الجمعة 826/4/13م	234هـ	الأحد 848/8/5م
212هـ	الثلاثاء 827/4/2م	235هـ	الجمعة 849/7/26م
213هـ	الأحد 828/3/22م	236هـ	الثلاثاء 850/7/15م
214هـ	الخميس 829/3/11م	237هـ	الأحد 851/7/5م
215هـ	الإثنين 830/2/28م	238هـ	الخميس 852/6/23م
216هـ	السبت 831/2/18م	239هـ	الإثنين 853/6/12م
217هـ	الأربعاء 832/2/7م	240هـ	السبت 854/6/2م
218هـ	الإثنين 833/1/27م	241هـ	الأربعاء 855/5/22م
219هـ	الجمعة 834/1/16م	242هـ	الأحد 856/5/10م
220هـ	الثلاثاء 835/1/5م	243هـ	الجمعة 857/4/30م
221هـ	الأحد 835/12/26م	244هـ	الثلاثاء 858/4/19م
222هـ	الخميس 836/12/14م	245هـ	السبت 859/4/8م
223هـ	الإثنين 837/12/3م	246هـ	الخميس 860/3/28م
224هـ	السبت 838/11/23م	247هـ	الإثنين 861/3/7م
225هـ	الأربعاء 839/11/12م	248هـ	السبت 862/3/7م
226هـ	الأحد 840/10/31م	249هـ	الأربعاء 863/2/24م
227هـ	الجمعة 841/10/21م	250هـ	الأحد 864/2/13م

(1) ــ انظر : أكرم حسن العلي. التقويم ــ دراسة للتقويم والتوقيت والتأريخ مع جداول مفصّلة لمقابلة التاريخ الهجري بالميلادي ــ ط1، بيروت :دار صادر، 1991م، ص109ــ 155.

251هـ	الجمعة 865/2/2	284هـ	الثلاثاء 897/2/8
252هـ	الثلاثاء 866/1/22	285هـ	السبت 898/1/28
253هـ	السبت 867/1/11	286هـ	الأربعاء 899/1/17
254هـ	الخميس 868/1/1	287هـ	الإثنين 900/1/7
255هـ	الإثنين 868/12/20	288هـ	الجمعة 900/12/26
256هـ	الجمعة 869/12/9	289هـ	الأربعاء 901/12/16
257هـ	الأربعاء 870/11/29	290هـ	الأحد 902/12/5
258هـ	الأحد 871/11/18	291هـ	الخميس 903/11/24
259هـ	الجمعة 872/11/7	292هـ	الثلاثاء 904/11/13
260هـ	الثلاثاء 873/10/27	293هـ	السبت 905/11/3
261هـ	السبت 874/10/16	294هـ	الأربعاء 906/10/22
262هـ	الخميس 875/10/6	295هـ	الإثنين 907/10/12
263هـ	الإثنين 876/9/24	296هـ	الجمعة 908/9/30
264هـ	الجمعة 877/9/13	297هـ	الأربعاء 909/9/20
265هـ	الأربعاء 878/9/3	298هـ	الأحد 910/9/9
266هـ	الأحد 879/8/23	299هـ	الخميس 911/8/29
267هـ	الجمعة 880/8/12	300هـ	الثلاثاء 912/8/18
268هـ	الثلاثاء 881/8/1	301هـ	السبت 913/8/7
269هـ	السبت 882/7/21	302هـ	الأربعاء 914/7/27
270هـ	الخميس 883/7/11	303هـ	الإثنين 915/7/17
271هـ	الإثنين 884/6/29	304هـ	الجمعة 916/7/5
272هـ	الجمعة 885/6/18	305هـ	الثلاثاء 917/6/24
273هـ	الأربعاء 886/6/8	306هـ	الأحد 918/6/14
274هـ	الأحد 887/5/28	307هـ	الخميس 919/6/3
275هـ	الخميس 888/5/16	308هـ	الثلاثاء 920/5/23
276هـ	الثلاثاء 889/5/6	309هـ	السبت 921/5/12
277هـ	السبت 890/4/25	310هـ	الأربعاء 922/5/1
278هـ	الخميس 891/4/15	311هـ	الإثنين 923/4/21
279هـ	الإثنين 892/3/4	312هـ	الجمعة 924/4/9
280هـ	الجمعة 893/3/23	313هـ	الثلاثاء 925/3/29
281هـ	الأربعاء 894/3/13	314هـ	الأحد 926/3/19
282هـ	الأحد 895/3/2	315هـ	الخميس 927/3/8
283هـ	الخميس 896/2/19	316هـ	الإثنين 928/2/25

317هـ	السبت 929/2/14م	351هـ	الأحد 962/2/9م
318هـ	الأربعاء 930/2/3م	352هـ	الجمعة 963/1/30م
319هـ	الإثنين 931/1/24م	353هـ	الثلاثاء 964/1/19م
320هـ	الجمعة 932/1/13م	354هـ	السبت 965/1/7م
321هـ	الثلاثاء 933/1/1م	355هـ	الخميس 965/12/28م
322هـ	الأحد 933/12/22م	356هـ	الإثنين 966/12/17م
323هـ	الخميس 934/12/11م	357هـ	السبت 967/12/7م
324هـ	الإثنين 935/11/30م	358هـ	الأربعاء 968/11/25م
325هـ	السبت 936/11/19م	359هـ	الأحد 969/11/14م
326هـ	الأربعاء 937/11/8م	360هـ	الجمعة 970/11/4م
327هـ	الإثنين 938/10/29م	361هـ	الثلاثاء 971/10/24م
328هـ	الجمعة 939/10/18م	362هـ	السبت 972/10/12م
329هـ	الثلاثاء 940/10/6م	363هـ	الخميس 973/10/2م
330هـ	الأحد 941/9/26م	364هـ	الإثنين 974/9/21م
331هـ	الخميس 942/9/15م	365هـ	الجمعة 975/9/10م
332هـ	الإثنين 943/9/4م	366هـ	الأربعاء 976/8/30م
333هـ	السبت 944/8/24م	367هـ	الأحد 977/8/19م
334هـ	الأربعاء 945/8/13م	368هـ	الجمعة 978/8/9م
335هـ	الأحد 946/8/2م	369هـ	الثلاثاء 979/7/29م
336هـ	الجمعة 947/7/23م	370هـ	السبت 980/7/17م
337هـ	الثلاثاء 948/7/11م	371هـ	الخميس 981/7/7م
338هـ	الأحد 949/7/1م	372هـ	الإثنين 982/6/26م
339هـ	الخميس 950/6/20م	373هـ	الجمعة 983/6/15م
340هـ	الإثنين 951/6/9م	374هـ	الأربعاء 984/6/4م
341هـ	السبت 952/5/29م	375هـ	الأحد 985/5/24م
342هـ	الأربعاء 953/5/18م	376هـ	الخميس 986/5/13م
343هـ	الأحد 954/5/7م	377هـ	الثلاثاء 987/5/3م
344هـ	الجمعة 955/4/27م	378هـ	السبت 988/4/21م
345هـ	الثلاثاء 956/4/15م	379هـ	الخميس 989/4/11م
346هـ	السبت 957/4/4م	380هـ	الإثنين 990/3/31م
347هـ	الخميس 958/3/25م	381هـ	الجمعة 991/3/20م
348هـ	الإثنين 959/3/14م	382هـ	الأربعاء 992/3/9م
349هـ	السبت 960/3/3م	383هـ	الأحد 993/2/26م
350هـ	الأربعاء 961/2/20م	384هـ	الخميس 994/2/15م

جامعة الإمام للعلوم الإسلامية

385هـ	الثلاثـــاء 995/2/5م	409هـ	الثلاثـــاء 1018/5/20م
386هـ	الســـبت 996/1/25م	410هـ	الســـبت 1019/5/9م
387هـ	الخميـــس 997/1/14م	411هـ	الأربعـــاء 1020/4/27م
388هـ	الإثـــنين 998/1/3م	412هـ	الإثـــنين 1021/4/17م
389هـ	الجمعـــة 998/12/23م	413هـ	الجمعـــة 1022/4/6م
390هـ	الأربعـاء 999/12/13م	414هـ	الثلاثـــاء 1023/3/26م
391هـ	الأحـــد 1000/12/1م	415هـ	الأحـــد 1024/3/15م
392هـ	الخمـــيس 1001/11/20م	416هـ	الخمـــيس 1025/3/4م
393هـ	الثلاثـــاء 1002/11/10م	417هـ	الثلاثـــاء 1026/2/22م
394هـ	الســـبت 1003/10/30م	418هـ	الســـبت 1027/2/11م
395هـ	الأربعـــاء 1004/10/18م	419هـ	الأربعـــاء 1028/1/31م
396هـ	الإثـــنين 1005/10/8م	420هـ	الإثـــنين 1029/1/20م
397هـ	الجمعـــة 1006/9/27م	421هـ	الجمعـــة 1030/1/9م
398هـ	الأربعـــاء 1007/9/17م	422هـ	الثلاثـــاء 1030/12/29م
399هـ	الأحـــد 1008/9/5م	423هـ	الأحـــد 1031/12/19م
400هـ	الخمـــيس 1009/8/25م	424هـ	الخمـــيس 1032/12/7م
401هـ	الثلاثـــاء 1010/8/15م	425هـ	الإثـــنين 1033/11/26م
402هـ	الســـبت 1011/8/4م	426هـ	الســـبت 1034/11/16م
403هـ	الأربعـــاء 1012/7/23م	427هـ	الأربعـــاء 1035/11/5م
404هـ	الإثـــنين 1013/7/13م	428هـ	الإثـــنين 1036/10/25م
405هـ	الجمعـــة 1014/7/2م	429هـ	الجمعـــة 1037/10/14م
406هـ	الثلاثـــاء 1015/6/21م	430هـ	الثلاثـــاء 1038/10/3م
407هـ	الأحـــد 1016/6/10م	431هـ	الأحـــد 1039/9/23م
408هـ	الخمـــيس 1017/5/30م	432هـ	الخمـــيس 1040/9/11م

جامعة الأمير سطام للعلوم الإسلامية

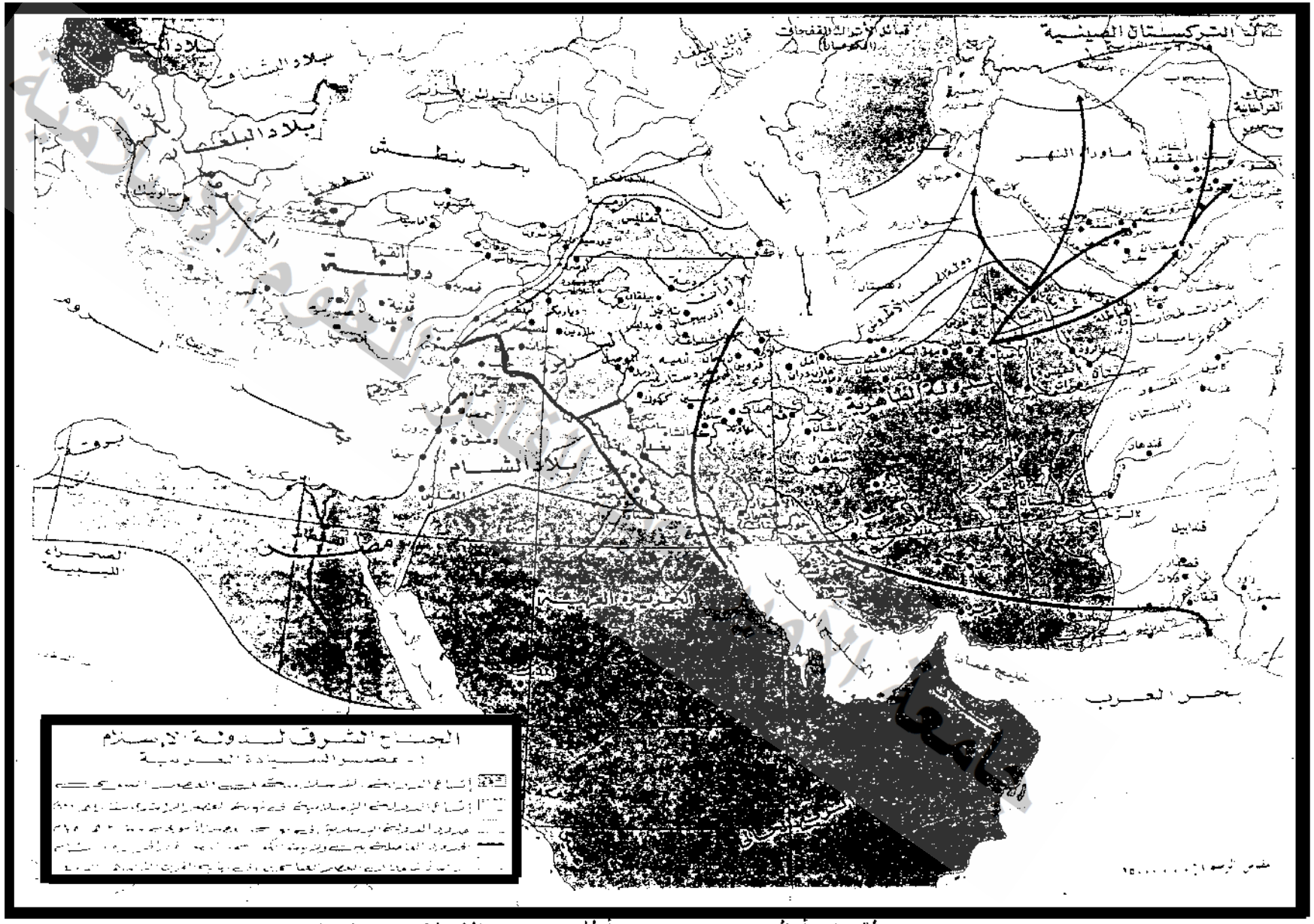

خريطة (1) أنظر حسين مؤنس. أطلس تاريخ الإسلام. ص 216 .

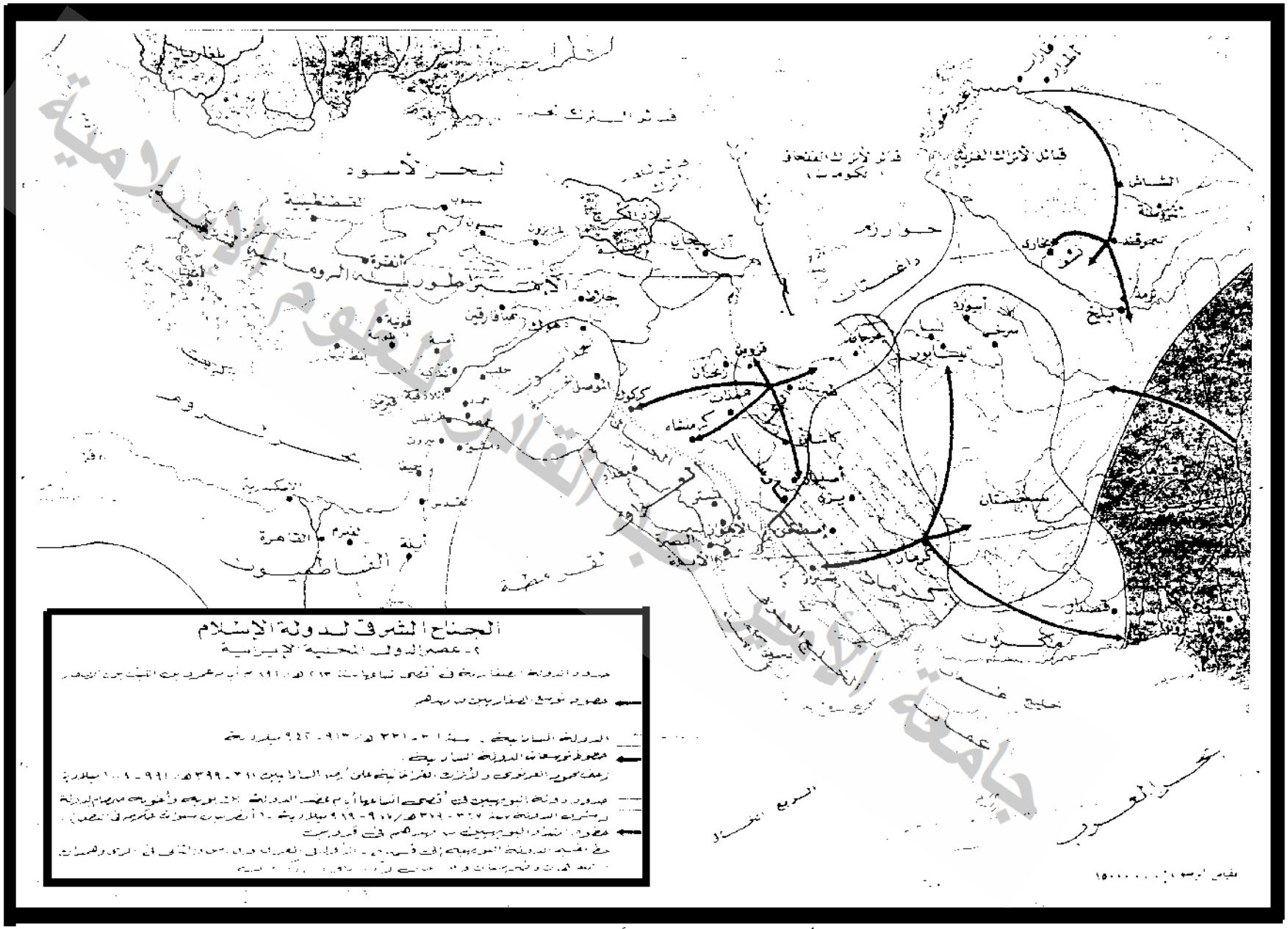

خريطة (2) أنظر حسين مؤنس. أطلس تاريخ الإسلام. ص 217 .

ثبت

المصادر والمراجع

1. ثبت المصادر
2. ثبت المراجع
3. ثبت المراجع الأجنبية
4. المجلات والدوريات
5. الرسائل الجامعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1. ثبت المصادر

ـــ القرآن الكريم.

ـــ كتب السنة المطهرة.

ابن أبي أصيبعة،موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي (ت668هـ).

1. **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**.ط3، بيروت: دار الثقافة، 1981م.

ابن أبي يعلى،أبو الحسين محمد بن محمد (ت526هـ).

2. **طبقات الحنابلة**. بيروت، دار المعرفة، (دت).

ابن أعثم،أبو محمد أحمد الكوفي (ت314هـ).

3. **الفتوح**.بيروت: دار الندوة الجديدة، (د، ت).

ابن الأثير،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت630هـ).

4. **جامع الأصول من أحاديث الرسول**. مطبعة السنة المحمدية، 1949م.**الكامل**.ط4، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م.

5. **اللباب في تهذيب الأنساب**.بيروت: دار صادر، 1980م.

ابن الأنباري،أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن أبي عبد الله (ت577هـ).

6. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**.تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد: مطبعة المعارف، 1959م.

ابن الجزري،أبو الخير محمد بن محمد (ت833هـ).

7. **تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

8. **غاية النهاية في طبقات القراء**. ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1982م.

9. **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**. تحقيق عبد الحي الفرماوي. ط1، دار الفكر للطباعة، 1977م.

10. **النشر في القراءات العشر**. بيروت: دار الفكر، (د، ت).

ابن الجوزي،جمال الدين أبو الفرج بن عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ).

11. **تلبيس إبليس**.بيروت: دار الرائد العربي،(د، ت).

12. **صفة الصفوة**.ط4، بيروت: دار المعرفة، 1986م.

13. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**.دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ـــ مصطفى عبد القادر عطا.بيروت: دار الكتب العلمية.(د.ت).

ابن الصلاح، أبو عمر عثمان بن عبد الرحمن (ت643هـ).

14. **طبقات الفقهاء الشافعية**.تحقيق محي الدين علي نجيب، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1992م.

15. **طبقات الفقهاء**. تحقيق محي الدين علي نجيب، ط1، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1992م.

16. **علوم الحديث**.تحقيق نور الدين عتر، بيروت: المكتبة العلمية، 1981م.

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ)

17. **الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية**.بيروت: دار بيروت للطباعة و النشر، 1980م.

ابن العربي المالكي.

18. **عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي**، ط1، القاهرة: المطبعة المصرية، 1931م.

ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت1089هـ).

19. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**.بيروت: دار الآفاق الجديدة، (د، ت).

ابن الفقيه،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت365هـ).

20. **مختصر كتاب البلدان**.تحقيق دي غويه، بريل: ليدن، 1985م.

ابن المرتضى، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني.

21. **طبقات المعتزلة**، تحقيق شوسنه فلزر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: 1961م.

ابن الملقن،سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري (ت804هـ).

22. **طبقات الأولياء**.تحقيق نور الدين شريبة، ط2، القاهرة: مطبعة الخانجي، 1994م.

ابن النديم،أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق الوراق (ت380هـ).

23. **الفهرست**.ط2، بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، 1997م.

ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد (ت749هـ).

24. **تتمة المختصر في أخبار البشر(تاريخ ابن الوردي)**،تحقيق رفعت البدراوي، بيروت:دارالمعرفة،(د،ت).

ابن بسام،أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ).

25. **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**.تحقيق إحسان عباس، ط2، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب، 1981م.

ابن بطوطة،أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي (ت779هـ).

26. **الرحلة.المسماة " تحفة النظار في غرائب الأمصار"** تحقيق علي المنتصر الكناني، بيروت: 1975م.

ابن تيمية،تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم (ت728هـ).

27. **العقيدة الواسطية**. القاهرة: مطبعة المنار، 1340هـ.

28. **مجموع الفتاوى**. مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، 1389هـ.

ابن حجر،أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ).

29. **تهذيب التهذيب**.ط1، بيروت: دار الفكر، 1984م.

30. **لسان الميزان**.تحقيق. عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض.ط1،بيروت:دار الكتب العلمية، 1996م.

ابن حزم،أبو محمد علي بن أحمد الطاهري (ت456هـ).

31. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**.بيروت: دار المعرفة، 1983م.

ابن حوقل،أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت267هـ).

32. **صورة الأرض**.بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت).

ابن خرداذبة،أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت حوالي 300هـ).

33. **المسالك الممالك**.ليدن: مطبعة بريل، 1899م.

ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ).

34. **التاريخ**.بيروت: دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، 1986م.

35. **المقدمة**.بيروت: دار الفكر، 2002م.

ابن خلكان،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ).

36. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**.(د.ط)، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دارصادر.

ابن رستة،أبو علي أحمد بن عمر (ت300هـ).

37. **الأعلاق النفيسة**، ليدن: مطبعة بريل، 1892م.

ابن سعد،محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري(ت230هـ).

38. **الطبقات الكبرى**. تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.

ابن صاعد،أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت462هـ).

39. **طبقات الأمم**.مصر: المكتبة التجارية، (دت).

ابن طيفور، أبو الفضل أ حمد بن طاهر الكاتب (ت280هـ).

40. **بغداد**.بيروت: 1968م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ).

41. **جامع بيان العلم وفضله**.بيروت: دار الكتب العلمية، (د، ت).

ابن عبد ربه،أ بو عمر أ حمد بن محمد (ت328هـ).

42. **العقد الفريد**.بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م.

ابن عساكر،أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت571هـ).

43. **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، بيروت: دار الكتاب العربي،(د، ت).

44. **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**.ط2، بيروت: دار المسيرة، 1979م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن فرحون،برهان الدين إبراهيم بن علي بن أبي القاسم بن محمد (ت799هـ).

45. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**.تحقيق محمد الأحمدي أبو نور،القاهرة:مطبعة دار النصر،(د. ت).

ابن قاضي شهبة،أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد الدمشقي (ت851هـ).

46. **طبقات الشافعية**. تحقيق عبد العليم خان، بيروت: عالم الكتب، 1987م.

ابن قتيبة،أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت276هـ).

47. **تأويل مختلف الحديث**. مصر: مطبعة كردستان العلمية، 1326هـ.

48. **الشعر والشعراء**.بيروت: دار صادر، (د.ت).

49. **عيون الأخبار**.بيروت: دار الكتاب العربي، (دت).

50. **المعارف**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.

ابن قطلوبغا،أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا بن عبد الله السودوني الجمالي(ت879ه).

51. **تاج التراجم**. تحقيق محمد خير رمضان يوسف، ط1، دمشق: دار القلم، 1992م.

ابن قيم،شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية (ت751هـ).

52. **إعلام الموقعين عن الله رب العالمين**. تعليق طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل،(د،ت).

ابن كثير،أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ).

53. **البداية و النهاية**، بيروت: مكتبة المعارف، (د، ت).

ابن ماكولا،أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر (ت475هـ).

54. **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.

ابن مجاهد، أبو بكر (ت 324هـ).

55. **كتاب السبعة في القراءات**.تحقيق.شوقي ضيف. ط2، القاهرة: دار المعارف،(د.ت).

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الإفريقي المصري (ت711هـ).

56. **لسان العرب**.مصر: دار المعارف، (دت).

ابن مهران،أبو بكر أحمد بن الحسين (ت381هـ).

57. **الغاية في القراءات العشر**. تحقيق. محمد غياث الجنباز، ط1، الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر (د، ت).

أبو الفدا،الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نورد الدين علي بن محمود بن محمد بن عمـــر ابن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه (ت732هـــ).

58. **المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفدا** ء.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.

أبو الهلال العسكري.

59. **الصناعتين**.تحقيق علي محمد البجاوي.محمد أبو الفضل إبـــراهيم.بـــيروت: منشـــورات المكتبـــة العصرية، 1986م.

أبو بكر البيهقي.

60. **الأربعون الصغرى**.الدوحة: دار إحياء التراث الإسلامي، 1983م.

أبو تمام،حبيب بن أوس الطائي (ت232هـــ).

61. **الديوان**، القاهرة: مطبعة حجازي، 1942م.

أبو عبد الرحمن السلمي.

62. **رسالة الملامتية**، تحقيق الدكتور عبد العلا عفيفي. مصر: 1945م.

الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت560هـــ).

63. **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**.ط1، بيروت: عالم الكتب، 1989م.

الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت692هـــ).

64. **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**.وقف على طبعه وتصحيحه السيد جاسم، بغداد: مكتبة المثنى، (د، ت).

الأزهري،أبو منصور محمد بن أحمد (ت370هـــ).

65. **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار القومية العربية، 1964م.

الإسنوي،جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي (ت772هـــ).

66. **طبقات الشافعية**.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.

الأشعري،أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت324هـــ).

67. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**. ط2، بيروت: دار الحداثة. 1985م.

الأصبهاني، أبو القاسم حسين بن محمد الراغب (ت502هـــ).

68. **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر و البلغاء**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة،(د،ت).

الإصطخري (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي للاصطخري المعروف (بالكرخي) (متوفى في النصـــف الأول من القرن الرابع الهجري).

69. **مسالك الممالك**.بيروت: صادر مصور عن نسخة ليدن: مطبعة بريل 1927 م.

الأصفهاني،أبو عبد الله حمزة بن الحسن (ت360هـ).

70. **تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء**، ط3، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د، ت).

الأصفهاني،أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ).

71. **حلية الأولياءوطبقات الأصفياء**.ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1980م.

الأصفهاني،علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ).

72. **مقاتل الطالبيين**. شرح وتحقيق، السيد أحمد صقر، ط2، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1987م.

البحتري أبو عبادة.

73. **الديوان**.بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1980م.

البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت256هـ).

74. **التاريخ الكبير**. بيروت: دار الكتب العلمية. 1407هـ.

البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي (ت354هـ).

75. **مشاهير علماء الأمصار**. تحقيق مرزوق علي إبراهيم، ط1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1987م.

البغدادي،عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ).

76. **الفرق بين الفرق**. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1982م.

البكري.أبو عبيد الله عبد الله بن عبد الله الأندلسي(ت487هـ).

77. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**.ط3، تحقيق مصطفى السقا.بيروت: عالم الكتب، 1403هـ.

البنداري،الفتح بن علي بن محمد (ت643هـ).

78. **تاريخ دولة آل سلجوق**.ط3، بيروت: دار الآفاق الجديدة 1980م.

البيروني.أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت440هـ).

79. **تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن**.القاهرة: معهد المخطوطات العربية، 1962م.

80. **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**.مطبعة حيدر آباد، 1957م.

81. **كتاب الجماهر في معرفة الجواهر**.ط1، الهند: حيدر آباد 1355هـ.

البيهقي،إبراهيم بن محمد (ت320).

82. **المحاسن و المساوئ**.بيروت: دار صادر، (د، ت).

البيهقي،أبو الفضل محمد بن حسين (ت470هـ).

83. **تاريخ البيهقي**.ترجمة يحي الخشاب، صادق نشأت، بيروت: دار النهضة العربية، 1982م.

التبريزي،الخطيب.

84. **الوافي في العروض و القوافي**.تحقيق فخر الدين قباوة، ط4، دمشق: دار الفكر، 1986م.

التنوخي،أبو علي المحسن بن علي (ت384هـــ).

85. **الفرج بعد الشدة**.ط1، القاهرة: دار الطباعة المحمدية، 1955م.

التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد (ت400هـــ).

86. **الإمتاع والمؤانسة**. صحّحه وضبط غريبه، أحمد أمين، وأحمد الزين. بيروت: دار مكتبة الحياة. (د. ت).

الثعالبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (429هـــ).

87. **آداب الملوك**.تحقيق جليل العطية.ط1، بيروت: دار المغرب الإسلامي،1990م.

88. **ديوان الثعالبي**. تحقيق محمود عبد الله الجادر، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1990م.

89. **فقه اللغة وسر العربية**.تحقيق فائز محمد، إميل يعقوب، ط4، بيروت: دار الكتاب العربي، 1999م.

90. **لطائف المعارف**.تحقيق إبراهيم الأبياري،وحسن كامل الصيرفي، مصر: دار إحياء الكتب العربية، 1960م.

91. **التمثيل والمحاضرة**.تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو.القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1961م.

92. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**.تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف (د.ت).

93. **خاص الخاص**. قدم له حسن الأمين،بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة،(د، ت).

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت255هـــ).

94. **البيان والتبيين**.تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، (د، ت).

95. **التبصر بالتجارة في ما يستطرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة، والأعلاق النفيسة والجـــواهر الثمينة**.دمشق: 1932م.

96. **الحيوان**. تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل، 1992م.

97. **الفصول المختارة** ـــ جمعها الإمام عبد الله بن حسان، على هامش الكامل للمـــبرد ـــ القـــاهرة: مطبعة التقدم، 1323هـــ. ج2 / ص 329.

98. **المحاسن والأضداد**.مصر: المكتبة التجارية، 1932م.

الجرجاني، علي بن محمد الشريف الحسيني (ت 816هـــ).

99. **التعريفات**. بيروت، 1969م.

الجهشياري،أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت331هـــ).

100. **الوزراء والكتاب**.تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط1، القاهرة: مطبعة الحلبي، 1938م.

الجوهري،إسماعيل بن حماد (ت393هـــ).

101. **الصحاح أو (تاج اللغة وصحاح العربية)**. تحقيق أحمد عبد القادر عطا.القاهرة: 1956م.

حاجي خليفة،مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت1067هـ).

102. **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**.بيروت: دار الفكر، 1982م.

الحميري،أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (عاش في القرن الثامن الهجري).

103. **الروض المعطار في خبر الأقطار**.تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980م.

الخزاعي أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني (ت 789هـ).

104. **تخريج الدلالات السمعية**، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.

الخطيب البغدادي،الحافظ أ بي بكر أ حمود بن علي (ت463هـ).

105. **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**.تحقيق.مصطفى عبد القادر عطا.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997

106. **تقييد العلم**.تحقيق يوسف العش.دمشق: 1949م.

107. **الرحلة في طلب الحديث**.تحقيق نور الدين عتر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1975م.

108. **الكفاية في علم الرواية**.بيروت: دار الكتب العلمية، 1988م.

الخوارزمي،محمد بن أحمد بن يوسف(ت387هـ).

109. **مفاتيح العلوم**.تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1984م.

الداني،أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت444هـ).

110. **التيسير في القراءات السبع**. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1985م.

الداودي،شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت945هـ).

111. **طبقات المفسرين**.تحقيق علي محمد عمر، ط1، القاهرة: مكتبة وهبة، 1972م.

الدميري، الشيخ كمال الدين.أبو البقاء (ت808هـ).

112. **حياة الحيوان الكبرى**.بيروت: دار الفكر، (د.ت).

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ).

113. **الأخبار الطوال**، تحقيق عمر فاروق الطبّاع.(د.ط): بيروت، شركة دار الأرقم.(د.ت).

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ).

114. **الأمصار ذوات الآثار**. تحقيق قاسم علي سعد، ط1. بيروت: دار البشائر الإسلامية. 1986م.

115. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1993م.

116. **تذكرة الحفاظ**.بيروت: دار الكتب العلمية.(د، ت).

117. **سير أعلام النبلاء**.ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981م.

118. **العبر في خبر من غبر**.تحقيق أبو هاجر، السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م.

119. **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**. تحقيق بشار عواد معروف وآخـــرون. بـــيروت: مؤسسة الرسالة، (د، ت).

الرقيق النديم.

120. **قطب السرور في أوصاف الخمور**.دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، (د، ت).

الزرنوجي،برهان الإسلام (ت620هـــ).

121. **تعليم المتعلم طريق التعلم**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1986م.

السبكي،تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـــ).

122. **طبقات الشافعية الكبرى**.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـــ).

123. **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**.القاهرة: مكتبة القدسي، 1349هـــ.

السلمي، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي (ت412هـــ).

124. **طبقات الصوفية**.تحقيق أحمد عبد القادر عطا،بيروت: دار الكتب العلمية،(د،ت).

السلمي،أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة النيسابوري (ت311هـــ).

125. **كتاب التوحيد**. راجعه وعلّق عليه محمد خليل الهراس. بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية. 1988م.

السمرقندي،أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي (ت552هـــ).

126. **بستان العارفين**.بيروت: دار الجيل، (د، ت).

127. **جهار مقاله**.(المقالات الأربع)، ط1، ترجمة عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، 1949م.

السمعاني،أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمـــي(ت562هـــ).

128. **أدب الإملاء والاستملاء**.نشر باعتناء مكس ويسويلر، ليدن، 1952م.

129. **الأنساب**.ط1، بيروت: دار الجنان، 1988م.ج4/ص367.

السهمي،أبوالقاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم بن موسى القرشي (ت427هـــ).

130. **تاريخ جرجان**. ط4، بيروت: عالم الكتب، 1987م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـــ).

131. **الإتقان في علوم القرآن**. بيروت: المكتبة الثقافية، (د. ت).

132. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، بيروت: دار الفكر، 1979م.

133. **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي**، تحقيق عبـــد الوهـــاب عبـــد اللطيـــف، ط2، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1966م.

134. **طبقات الحفاظ**.تحقيق علي محمد عمر، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة، 1994م.

الشابشتي،أبو الحسن علي بن محمد (ت388هـ).

135. **الديارات**.تحقيق كوركيس عواد، ط2، بغداد، مكتبة المثنى، 1966م.

الشهرزوري،شمس الدين.

136. **تاريخ الحكماء نزهة الأرواح وروضة الأفراح**.تحقيق.عبد الكريم أبو شويرب، جمعيـــة الـــدعوة الإسلامية العالمية (د.م)، 1988م.

الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت476هـ).

137. **طبقات الفقهاء**. تحقيق إحسان عباس، ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1981م.

الشيزري، عبد الرحمن بن نصر (ت589هـ).

138. **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**.القاهرة، (دم)، 1946م.

الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ).

139. **الوافي بالوفيات**. بتحقيق جماعة من الفضلاء،طبعت في فيسبادن،واستانبول، ودمشق. 1981م.

الصيرفيني،إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت641هـ).

140. **المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور**.ضبط نصه، خالد حيدر، بيروت: دار الفكر، 1993م.

طاش كبري زاده، أحمد بن مصطفى(ت968هـ).

141. **مصطلحات مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**. تحقيق علي دحروج، ط1، بيروت: مكتبة لبنان، 1998م.

142. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ).

143. **تاريخ الأمم والملوك**.ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م.

الطوسي، أبو نصر السراج.

144. **اللمع**. تحقيق، عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، مصر: دار الكتب الحديثة، ومكتبة المثنى ببغداد، 1960م.

ظفر أحمد العثماني.

145. **قواعد في علوم الحديث**. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط3، بيروت: دار القلم، 1972م.

عضد الدين عبد الرحمن الإيجي.

146. **المواقف**. القاهرة: مطبعة السعادة. 1325هـ.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت505هـ).

147. **إحياء علوم الدين**.بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت).

148. **فضائح الباطنية**. تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة: الدار القومية للطباعة و النشر، 1964م.

149. **المستصفى في علم الأصول**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1996م.

150. **المنقذ من الضلال**. تحقيق عبد الحليم محمود. القاهرة: دار المعارف. 1981م.

الفارابي، أبو نصر محمد (ت339هـ).

151. **إحصاء العلوم**. تحقيق وتقديم. عثمان أمية. ط3، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1968م.

الفردوسي أبو القاسم الطوسي (ت 411هـ).

152. **الشاهنامة**..ترجمة عبد الوهاب عزام،القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1932م.

القاضي عياض.

153. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**. تحقيق أحمد بكير محمود، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة (د. ت). ج1 / ص 79 ــ 80.

قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت328 أو 337هـ).

154. **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد: دار الرشيد، 1981م.

القرشي، محيي الدين أبي محمد عبد القادر (ت775هـ).

155. **الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**.تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، القاهرة: فجر للطباعة والنشر، 1993م.

القرماني،أحمد بن يوسف (ت1019هـ).

156. **كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**.بيروت: منشورات عالم الكتب، 1978م.

القزويني،زكريا بن محمد بن محمود (ت622هـ).

157. **آثار البلاد وأخبار العباد**.بيروت: دار صادر، (د، ت).

القشيري،أبو القاسم عبد الكريم القشيري(ت465هـ).

158. **الرسالة القشيرية**.تحقيق مصطفى الزريق، ط1، بيروت: المكتبة العصرية، 2001م.

القفطي،أبو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ).

159. **تاريخ الحكماء**.بغداد: مكتبة المثنى، (دت).

القلقشندي، الشيخ أبي العباس أحمد بن علي (ت821هـ).

160. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**.القاهرة: مطبعة كوستا توماس وشركاه، (دت).

الكتاني،محمد بن جعفر.

161. **الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرفة**. ط5، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1993م.

الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ).

162. **فوات الوفيات و الذيل عليها**.تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، (د، ت).

الكرديزي، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود (ت 442 أو 443هـ).

163. **زين الأخبار**.ترجمة محمد بن تاويت، فاس: مطبعة محمد الخامس الجامعية الثقافية، 1972م.

الماتريدي،أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت333هـ).

164. **تأويلات أهل السنة**، تحقيق إبراهيم عوضين، والسيد عوضين. القاهرة: 1971م.

165. **كتاب التوحيد**، تحقيق فتح الله خليف. بيروت: 1970م.

مالك بن أنس.(ت 169هـ).

166. **الموطأ**.رواية يحي بن يحي الليثي.إعداد أحمد راتب عرموش.ط11، بيروت: دار النفائس، 1990م.

الماوردي،أبو الحسن علي بن محمد (ت450هـ).

167. **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية. 1983م.

168. **نصيحة الملوك**.تحقيق الشيخ خضر محمد خضر، ط1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1983م.

المروزي،نعيم بن حماد (ت229هـ).

169. **كتاب الفتن**، تحقيق مجدي بن منصور وبن سيد الشورى،ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.

المسعودي،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله (ت346هـ).

170. **التنبيه والإشراف**.بغداد: مكتبة المثنى (د.ت).

171. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**.تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت:دارالمعرفة،(د،ت).

مكي بن أبي طالب القيسي.

172. **الإبانة عن معاني القراءات**. تحقيق محي الدين رمضان. ط1، دمشق: دار المأمون للتراث، 1399هـ.

المناوي، زين الدين.

173. **الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية**. تحقيق محمد أديب الجادر، ط1، بيروت: دار صادر، 1999م.

المنجم،إسحاق بن حسين (عاش في القرن الخامس الهجري).

174. **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**.(د، ط)، (د، م).(د، ت).

175. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، بيروت: دار المعرفة، (د، ت).

النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت348هـ).

176. **تاريخ بخارى**.تعريب عبد المجيد بدوي، نصر الله مبشر الطرازي، ط3، القاهرة: دار المعارف، (د، ت).

النسفي، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد (ت537هـ).

177. **القند في ذكر علماء سمرقند**.تحقيق يوسف الهادي، مركز نشر التراث المخطوط، طهران: 1999م.

النيسابوري،أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت318هـ).

178. **الإشراف على مذاهب أهل العلم**. تحقيق. محمد نجيب سراج الدين. ط1، الدوحة: دار الثقافة، 1986م.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت405هـ).

179. **معرفة علوم الحديث**.تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط4، بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، 1980م.

الهروي،أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري.

180. **منازل السائرين**. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1328هـ.

اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي المكي (ت768هـ).

181. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، ط2، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،1993م.

ياقوت أبو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت626هـ).

182. **معجم الأدباء**.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م.

183. **معجم البلدان**.ط1، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي.بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.

يحيى ابن معين.

184. **تاريخ ابن معين**.تحقيق أحمد نور سيف، ط1، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، 1979م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت284هـ).

185. **تاريخ اليعقوبي**.بيروت: دار صادر، (د، ت).

2. ثبت المراجع

أ.ج. أربري.

186. **تراث فارس**.ترجمة محمد كفافي وآخرون.القاهرة: مطبعة عيسى الحلبي وشركاه.1959م.

أبو الخشب، إبراهيم.

187. **تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني**.القاهرة: دار الفكر، 1975م.

أبو العلا، محمود.

188. **جغرافية العالم الإسلامي**.ط3، الكويت: مكتبة الفلاح،

أبو زهرة، محمد.

189. **ابن تيمية**.حياته وعصره ـــ آراؤه وفقهه.القاهرة: دار الفكر العربي، 1991م.

190. **تاريخ المذاهب الإسلامية**. القاهرة: دار الفكر العربي (د. ت).

191. **أحمد بن حنبل**. حياته ـــ عصره ـــ آراؤه وفقهه، القاهرة: دار الفكر، (دت).

192. **الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية**. القاهرة، دار الفكر العربي، (دت).

أبو زيد، علا عبد العزيز.

193. **الدولة العباسية من التخلي عن سياسة الفتح إلى السقوط**، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة: 1996م.

أبو شهبة،محمد.

194. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. بيروت: دار الفكر، 1988م.

أحمد، منير الدين.

195. **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ـــ مستقاة من تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي ـــ ترجمة د.سامي الصقار ـــ دار المريخ ـــ الرياض. 1981م.

أرنولد، توماس.

196. **الدعوة إلى الإسلام**.ط3،ترجمة حسن إبراهيم حسن.وعبد المجيد عابدين،القاهرة: لجنة التأليف والنشر، 1970م.

الأشقر، عمر سليمان.

197. **الواضح في أصول الفقه**.ط4، عمّان: دار النفائس، 1992م.

آل سلمان، مشهور حسن.

198. **الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في الصحيح وأثره في علم الحديث**. ط1، الرياض: دار الصميعي، 1996م.

ألبتكين.عيسى يوسف.

199. **قضية تركستان الشرقية**.ترجمة إسماعيل حقي.القاهرة: 1978م.

ألكسندر بينيغسن.شانتال لومبريه كيلكجاي.

200. **المسلمون المنسيون في الإتحاد السوفياتي**، ترجمة.عبد القادر ضللي، ط1، بيروت: دار الفكر

المعاصر، 1989م.

أمين، عبد الله.

201. **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة**. ط2، بيروت: دار الحقيقة، 1991م.

أمين أبولاوي.

202. **علم أصول الجرح والتعديل**. ط1، الخبر: دار ابن عفّان للنشر و التوزيع، 1997م.

أمين، أحمد.

203. **ضحى الإسلام**.ط10، بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت).

204. **ظهر الإسلام**.ط5، بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت).

205. **فجر الإسلام**.ط10، بيروت: دار الكتاب العربي، 1969م.

الأمين، حسن.

206. **دائرة المعارف الإسلامية الشيعية**.دار التعارف للمطبوعات.(د.م).1998م.

الأهدل، حسن محمد مقبول.

207. **مصطلح الحديث ورجاله**. ط2. صنعاء: مكتبة الجيل الجديد. 1990م.

ابراهيم عبد الرحمن ابراهيم.

208. **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي**. ط1، عمان: مكتبة دار الثقافة، 1999م.

البار، محمد.

209. **أفغانستان، من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي**.ط1.جدة، 1405هـ.

بارتولد، فاسيلي، قلاديميروفتش.

210. **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**.ترجمة أحمد السعيد سليمان.القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م.

211. **تاريخ الحضارة الإسلامية**.ترجمة حمزة طاهر.ط5، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

212. **تركستان ـ من الفتح العربي إلى الغزو المغولي** ـ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط1، الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، 1981م.

بازمول، محمد بن عمر بن سالم.

213. **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام**. ط1، الرياض: دار الهجرة، 1996م.

بحاز، إبراهيم.

214. **الدولة الرستمية**.الجزائر:مطبعة لافوميك، 1985م.

بدر، عبد الرحيم.

215. **علم الفلك عند العرب**.عمان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، 1985م.

بدوي، عبد الرحمن.

216. **مذاهب الإسلاميين**. ط3، بيروت: دار العلم للملايين. 1983م.

بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح.

217. **التاريخ السياسي والفكري للمذهب السنّي في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجـــري حتى سقوط بغداد.** ط1، جدة: عالم المعرفة. 1983م.

218. **القصة في الأدب الفارسي.** بيروت: دار النهضة العربية، 1981م.

براون، إدوارد.

219. **تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي،** ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، مصر: مطبعـــة السعادة، 1954م.

بركة، عبد الفتاح عبد الله.

220. **الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية.** مصر: مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية. (د. ت).

بروكلمان، كارل.

221. **تاريخ الأدب العربي.** ترجمة عبد الحليم النجار، ط5، القاهرة: دار المعارف، (د، ت).

222. **تاريخ الشعوب الإسلامية.** ترجمة نبيه أمين فارس، مـــنير البعلبكـــي، ط1، بـــيروت: دار العلـــم للملايين، 1984م.

التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي.

223. **مدخل إلى التصوف الإسلامي.** ط3، القاهرة: دار الثقافة، 1988م.

التهانوي، محمد علي الفاروقي.

224. **كشاف اصطلاحات الفنون.** تحقيق لطفي عبد البديع، مصر: المؤسسة المصرية العامة للتـــأليف و الترجمة و الطباعة والنشر، 1963م.

التونجي، محمد.

225. **حول الأدب السلجوقي،** ط1، بنغازي: مكتبة قورينا، 1974م.

226. **المعجم الذهبي.** بيروت: دار العلم للملايين، 1969م. ص 232.

الثامري، إحسان ذنون عبد اللطيف.

227. **الجغرافيا التاريخية لمدينة بخارى في القرون الهجرية الأولى.** ط1، إربد: مركز ناصـــر للخـــدمات الجامعية، 1999م.

الجابري، محمد العابد.

228. **تكوين العقل العربي.** ط2، بيروت: دار الطليعة، 1985م.

جرجي زيدان.

229. **تاريخ آداب اللغة العربية.** بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1983م.

230. **تاريخ التمدن الإسلامي.** بيروت: منشورات مكتبة الحياة، (د، ت).

جمعة، بديع محمد.

231. **دراسات في الأدب المقارن.** ط2، بيروت: دار النهضة العربية، 1980م.

جولد تسيهر، أجناس.

232. **العقيدة والشريعة في الإسلام،** ترجمة، محمد يوسف موسى. القاهرة: دار الكتاب العربي، 1959م.

الجوهري، يسري عبد الرزاق.

233. **جغرافية الشعوب الإسلامية**.الإسكندرية: منشأة المعارف، 1981م.

حجازي، محمد عبد القادر.

234. **التعريف بالتفسير ومنهج رجاله**. مصور بمكتبة أحمد عروة، جامعة الأمير عبـد القـادر رقـم 6/1/212.

الحديثي، خديجة.

235. **موسوعة حضارة العراق**.بغداد: دار الحرية للطباعة، 1985م.

الحديثي، قحطان عبد الستار.

236. **أرباع خراسان**.جامعة البصرة، الجمهورية العراقية، 1990م.

237. **التواريخ المحلية لإقليم خراسان**. مطبوعات جامعة البصرة، 1990م.

حسن، إبراهيم حسن.

238. **تاريخ الإسلام**.ط14، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1996م.

حسنين، عبد النعيم محمد.

239. **إيران والعراق في العصر السلجوقي**.ط1، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982م.

حسين، كريم عجيل.

240. **الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية**.ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1976م.

حسين مؤنس .

241. **أطلس تاريخ الإسلام** . ط1، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي ، 1987م .

الحصري، أحمد.

242. **علم القضاء. أدلة الإثبات في الفقه الإسلامي**. ط1، بيروت: دار الكتاب العربي. 1986م.

حفني، عبد المنعم.

243. **الموسوعة الصوفية**. ط1، القاهرة: دار الرشاد، 1992م.

244. **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**. ط1، القاهرة: دار الرشاد، 1993م.

حمزة، محمود.

245. **الفرائد البهية في القواعد والفوائد الفقهية**. ط1، دمشق: دار الفكر. 1986م.

الحوفي، أحمد محمد

246. **تيارات ثقافية بين العرب والفرس**.ط3، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.(د.ت).

حيدر، محمد علي.

247. **الدويلات الإسلامية في المشرق**.القاهرة: عالم الكتب (دت).

الخضري بك، محمد.

248. **الدولة العباسية**.تحقيق الشيخ محمد العثماني.ط1، بيروت: دار القلم، 1986م.

الخطيب،محمد عجاج.
249. **السنة قبل التدوين**. ط2، بيروت: دار الفكر. 1971م.
الخطيب، عبد الله مهدي.
250. **الحكم الأموي في خراسان**.ط1، بيروت: مؤسسة الأعلمي، بغداد: دار التربية، 1975م.
خلوصي، إحسان بنت سعيد.
251. **الطريق إلى سمرقند**.ط1، دمشق: مطبعة هاشم الحديثة، 1990م.
خليفة،شعبان عبد العزيز.
252. **الكتب و المكتبات في العصور الوسطى**.ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،1997م.
خليلي، خليل الله.
253. **هرات.تاريخها.آثارها.رجالها**.. بغداد: مطبعة المعارف_ د، ت).
حميدة، عبد الرحمن.
254. **أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم**.ط2، دمشق: دار الفكر، 1980م.
الدرعان، عبد الله.
255. **المدخل للفقه الإسلامي، تاريخه، قواعده، مبادؤه العامة**. ط1، الرياض: مكتبة التوبة، 1993م.
الدسوقي، محمد.
256. **مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي**. ط1، الدوحة: دار الثقافة. 1990م.
الدفاع، علي عبد الله.
257. **أعلام العرب والمسلمين في الطب**.ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م.
258. **أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك**. ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.
259. **روائع الحضارة العربية الإسلامية في العلوم**.ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1998م.
الدوري، عبد العزيز.
260. **الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب**.ندوة مركز دراسات الوحدة العربية.
261. **دراسات في العصور العباسية المتأخرة**.بغداد: مطبعة السريان، 1945م.
262. **العصر العباسي الأول**.بغداد: مطبعة التفيض الأهلية، 1945م.
دي بور، ت. ج.
263. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**. ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة. ط5، بيروت: دار النهضة العربية، 1981م.
ديورانت، ول.
264. **قصة الحضارة**، عصر الإيمان.ترجمة محمد بدران، ط2، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة.
الذهبي، محمد حسين.
265. **التفسير والمفسرون**. ط2، مصر، 1976م.
رؤوف، عماد عبد السلام.
266. **مدارس بغداد في العصر العباسي**.ط1، بغداد: مطبعة دار البصرى، 1966م.

الرافعي، مصطفى صادق.
267. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، بيروت: دار الكتاب العربي، (د.ت).
الرفاعي، طلال جميل.
268. **المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، دراسة وتحقيق، ط1، مكة المكرمـــة: مكتبـــة الطالب الجامعي، 1987م.
الرفاعي، أنور.
269. **الإسلام في حضارته ونظمه**.ط3، بيروت: دار الفكر.1977م.
الرفاعي، محمد عبد الحميد.
270. **الخلافة العباسية والحركات الإستقلالية في المشرق**.ط1، القاهرة: دار الثقافة العربية، 1997م.
روزنتال، فرانز.
271. **علم التاريخ عند المسلمين**.ترجمة صالح أحمد العلي، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983م.
الريس، محمد ضياء الدين.
272. **النظريات السياسية الإسلامية**.ط7، القاهرة: مكتبة دار التراث، (د.ت).
ريسلر، جاك.
273. **الحضارة العربية**، تعريب.د.خليل أحمد خليل.ط1، بيروت ـــ باريس: منشـــورات عويـــدات، 1993م.
الزرقا، مصطفى أحمد.
274. **المدخل الفقهي العام**. ط1، دمشق: دار القلم، 1998م.
الزركشي.بدر الدين محمد بن عبد الله.
275. **البرهان في علوم القرآن**. ط3. بيروت: دار الفكر، 1980م.
الزركلي، خير الدين.
276. **الأعلام**.ط7، بيروت: دار العلم للملايين، 1986م.
زكار، سهيل.
277. **تاريخ العرب والإسلام**.ط4، بيروت: دار الفكر، 1982 م.
الزهراني، علي بن محمد بن سعيد.
278. **الحياة العلمية في صقلية الإسلامية**.جامعة أم القرى.مكة المكرمة، 1996م.
الزهراني، محمد بن مطر.
279. **تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره**. ط1. الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع. 1996م.
الزيات، أحمد حسن.
280. **تاريخ الأدب العربي**.ط28، بيروت: دار الثقافة، 1978م.
زيادة، نقولا.
281. **الجغرافية والرحلات عند العرب**.بيروت: دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، (د.ت).

زيغريد هونكه.

282. **شمس العرب تسطع على الغرب**.ترجمة.فؤاد حسنين علي، قسنطينة: دار البعث.1986م.

السادات، أحمد محمود.

283. **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم**.ط3، القاهرة: مكتبة نهضـــة الشـــرق (د.ت).

سالم، السيد عبد العزيز.

284. **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية**.الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.(د. ت).

السامرائي، حسام الدين.

285. **المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية**.ط2، القاهرة: دار الفكر العربي.1403هـــ.

286. **المدرسة مع التركيز على النظاميات**.بحث من أبحاث الفكر التربوي في الإسلام ـــ المجمع الملكـــي لبحوث الحضارة الإسلامية.الأردن.

287. **مسودات كتاب تاريخ الأمة**.مشروع مؤسسة الإيمان، جدة: المملكة العربية السعودية.

الساهي، شوقي عبده.

288. **المدخل لدراسة الفقه الإسلامي**. ط1، الكويت: مؤسسة علي الصباح للنشر والتوزيع. 1989م.

سبانو، أحمد غسان.

289. **ابن سينا في دوائر المعارف العربية والعالمية**.دمشق: دار قتيبة، 1984م.

ستروييف.

290. **جغرافية الإتحاد السوفياتي**.موسكو: دار التقدم.(د.ت).

سرور، جمال الدين.

291. **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق**.القاهرة: دار الفكر العربي، (د، ت).

سزكين، فؤاد.

292. **تاريخ التراث العربي**. ترجمة محمود فهمي حجازي، الرياض: إدارة الثقافة و النشر بالجامعة، 1983م.

سعداوي، نظير.

293. **نظام البريد في الدولة الإسلامية**.مطابع مصر للطباعة، مكتبة مصر، 1953م.

سعيد،إحسان صادق.

294. **علوم البلاغة عند العرب والفرس**.(دراسة مقارنة).ط1، دمشق: منشورات المستشارية الثقافيـــة الإيرانية بدمشق، 2000م.

سلطان، طارق فتحي

295. **مقدمة في الحركة العلمية العربية في المشرق الإسلامي**، ط1، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامـــة بالعراق، 1989م.

السلمي، محمد بن صامل.

296. **منهج كتابة التاريخ الإسلامي**.ط1، الرياض: دار طيبة، 1986م.

السيد، محمد صالح محمد.
297. **أصالة علم الكلام**. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع،1987م.
سيديو.ل.أ.
298. **تاريخ العرب العام**.ترجمة عادل زعيتر، ط2، القاهرة: مطبعة عيسى بابي الحلبي، 1969م.
الشابي، علي.
299. **الأدب الفارسي في العصر الغزنوي**.تونس: دار النشر، 1965م.
شاكر، محمود.
300. **التاريخ الإسلامي**.ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م.
301. **تركستانالشرقية**.ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1987م.
302. **تركستان الغربية**.ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1987م.
303. **خراسان**.ط 4، بيروت: المكتب الإسلامي، 1986م.
الشريف، أحمد إبراهيم.
304. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**.ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، (د، ت).
شعبان، محمد عبد الحي.
305. **الثورة العباسية**.ترجمة: عبد المجيد حسيب القيسي.دار الدراسات الخليجية، (د،ت).
شفق، رضا زاده.
306. **تاريخ الأدب الفارسي**.ترجمة محمد موسى هنداوي.القاهرة: دار الفكر العربي.(د.ت).
الشكعة، مصطفى.
307. **بديع الزمان الهمذاني، رائد القصة العربية والمقالة الصحفية**.القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، 1959م.
شلبي أحمد.
308. **تاريخ التربية الإسلامية**.ط6، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.1978م.
309. **موسوعة التاريخ الإسلامي**.ط5، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1990م.
الشتاوي، أحمد، وآخرون.
310. **دائرة المعارف الإسلامية** يصدرها باللغة العربية، د، م)، (د، ت).
شوقي ضيف.
311. **تاريخ الأدب العربي ــ العصر العباسي الثاني ــ** ط2، القاهرة: دار المعارف،(د،ت).
312. **العصر العباسي الأول**.ط8، القاهرة: دار المعارف (د.ت).ص 422.
313. **المدارس النحوية**.ط5، القاهرة: دار المعارف.(د.ت).
314. **المقامة**.ط4، القاهرة: دار المعارف (د.ت).
شبية الحمد، عبد القادر.
315. **الأديان و الفرق و المذاهب المعاصرة**. مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (د،ت).

الشيبي، كامل مصطفى.
316. **الصلة بين التصوف والتشيع**. ط2، القاهرة: دار المعارف، (د. ت).
الصباغ،محمد لطفي.
317. **الحديث النبوي. مصطلحه ــ بلاغته ــ كتبه**. ط5، بيروت، دمشق: المكتب الإسلامي، 1986م.
صبحي، أحمد محمود.
318. **في علم الكلام، دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين. المعتزلـة**. ط4، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 1982م.
صبحي الصالح.
319. **علوم الحديث ومصطلحه**.ط12، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م.
صفوت، أحمد زكي.
320. **جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة**، بيروت: المكتبة العلمية، (د، ت).
الصيني، بدر الدين.
321. **العلاقات بين العرب والصين**.ط1، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1950م.
الطاهر، عبد الباري محمد.
322. **خراسان وما وراء النهر بلاد أضاءت العالم بالإسلام**.ط1، (د، م)، 1994م.
طعيمة، صابر.
323. **العقائد الباطنية وحكم الإسلام فيها**. ط1، بيروت: المكتبة الثقافية، 1986م.
طلس، أسعد.
324. **التربية والتعليم في الإسلام**.ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1957م.
طوقان، قدري حافظ.
325. **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**.بيروت: دار الشروق، (د.ت).
طه هند حسين.
326. **الأدب العربي في إقليم خوارزم**. (د. ط) بغداد: دار الحرية للطباعة 1976م.
ظاظا، زهير.
327. **الإمام الجنيد، والتصوف في القرن الثالث الهجري**. ط1، بيروت: دار الخير،1994م.
عاصي، ميشال.
328. **المعجم المفصل في اللغة والأدب**.بيروت: دار العلم للملايين.(د.ت).
عاصي، حسن.
329. **المنهج في تاريخ العلوم عند العرب**.ط1، بيروت: دار المدائن، 1991م.
العامري.
330. **الإعلام بمناقب الإسلام**، تحقيق ودراسة أحمد عبد الحميد غراب. القاهرة: دار الكتاب العربي. 1967م.

عبد الرحمن، حكمت نجيب.

331. **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**.جامعة الموصل، 1977م.

عتر، نور الدين.

332. **الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين**. ط2، بيروت: دار الرسالة. 1988م.

العريني، يوسف علي بن إبراهيم.

333. **الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين**.ط1، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيـــز العامة، 1995م.

عسيري، مريزن.

334. **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي**.ط1، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، 1987م.

عطوان، حسين.

335. **الدراسات الدينية بخراسان في العصر الأموي**. ط1، بيروت: دار الجيل، 1993م.

عطية، أحمد.

336. **القاموس الإسلامي**.القاهرة: (د.م)، 1963م.

عفيفي، أبو العلا.

337. **التصوف ـــ الثورة الروحية في الإسلام**. مصر: 1963م.

العقاد، عباس محمود.

338. **التفكير فريضة إسلامية**. بيروت: منشورات المكتبة العصرية. (د. ت).

العك،خالد عبد الرحمن.

339. **أصول التفسير وقواعده**. ط2، بيروت: دار النفائس، 1986م.

علي، أحمد.

340. **ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد**.بيروت: 1961م.

العلي ، أكرم حسن .

341. **التقويم ـــ دراسة للتقويم و التوقيت والتأريخ مع جداول مفصلة لمقابلـــة التـــاريخ الهجـــري بالميلادي** . ط1، بيروت : دار صادر ، 1991م .

علم الدين، سليمان سليم.

342. **التصوف الإسلامي. تاريخ ـــ عقائد ـــ طرق ـــ أعلام**. ط1، بيروت: دار نوفل، 1999م.

العلي، صالح أحمد.

343. **امتداد العرب في صدر الإسلام**.ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة،1403هـ / 1983م.

عليان، ربحي مصطفى.

344. **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**.ط1، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 1999م.

العمادي محمد.

345. **خراسان في العصر الغزنوي**. عمان: مؤسسة حمادة للخدمات، 1977.

عمارة، محمد.
346. **تيارات الفكر الإسلامي**. ط1، القاهرة: دار المستقبل العربي، 1983م.
عماش، صالح مهدي
347. .**قتيبة بن مسلم الباهلي**.سلسلة الأعلام والمشهورين.(د، م)، 1978 م.
عيسى بك، أحمد.
348. **تاريخ البمارستانات في الإسلام**.ط2، بيروت: دار الرائد العربي، 1981م.
عيسى، محمد عبد الحميد.
349. **تاريخ التعليم في الأندلس**..ط1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1982م.
الغزي، الهادي حمودة.
350. **الشعر الأموي في خراسان والبلاد الإيرانية**.تونس: الدار التونسية للنشر، 1976م.
غوانمة، يوسف.
351. **تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي**.عمان: دار الحياة للنشر والتوزيع.1982م.
الفاخوري، حنا.
352. **تاريخ الأدب العربي**.بيروت: المطبعة البوليسية، (د.ت).
الفارسي، محمد ابن الحسن الثعالبي.
353. **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
فامبري، أرمينوس.
354. **تاريخ بخارى.منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر**.ترجمة أحمد محمود الساداتي.القاهرة، (د.ت).
فتاح، عرفان عبد الحميد.
355. **نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها**. ط1، بيروت: دار الجيل. 1993م.
فرج، محمد.
356. **الفتح العربي للعراق وفارس**.(د.ط)، القاهرة: دار الفكر العربي، 1966.
فرغلي، يحي هاشم حسن.
357. **نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية**. القاهرة: مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، 1972م.
الفرفور، محمد عبد اللطيف صالح.
358. **تاريخ الفقه الإسلامي**. ط1، بيروت: دار ابن كثير. 1995م.
فروخ، عمر.
359. **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون**. ط3، بيروت: دار العلم للملايين. 1981م.
الفضيلي، عبد الهادي.
360. **المذاهب الإسلامية الخمسة، تأريخ وتوثيق**. ط1، بيروت: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
الفقي، عصام عبد الرؤوف.
361. **الدول الإسلامية المستقلة في الشرق**.القاهرة: دار الفكر العربي، (د.ت).

فلهاوزن.يوليوس.
362. **تاريخ الدولة العربية**.ط2، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة: نشرته لجنة التـــأليف والنشـــر، 1968م.
فوزي، فاروق عمر.
363. **تاريخ إيران**.بغداد: منشورات بيت الحكمة، 1989م.
364. **الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية**، ط2، بغداد: مكتبة المثنى، 1977م.
فياض، عبد الله.
365. **الإجازات العلمية عند المسلمين**.بغداد: 1967م.
فيصل، شكري.
366. **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول**.ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.
367. **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**.ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م.
قاري، لطف الله.
368. **الوراقة و الوراقون في التاريخ الإسلامي**.ط2، الرياض: منشورات دار الرفاعي للنشر و الطباعة و التوزيع، 1983م.
القاسمي، جمال الدين.
369. **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**.ط1، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957م.
القاسمي، ظافر.
370. **نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي**. ط4، بيروت: دار النفائس. 1992م.
القرني، عائض عبد الله.
371. **إقرأ باسم ربك**. ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2000م.
القطان، مناع خليل.
372. **مباحث في علوم الحديث**. مكتبة وهبة، عابدين، 1987م.
قمير، محمد.
373. **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**.ط1، الدوحة: دار الثقافة، 1992م.
قمير، يوحنا.
374. **فلاسفة العرب ـــ ابن سينا ـــ** ط2، بيروت: دار المشرق.1982م.
قنديل، إسعاد.
375. **فنون الشعر الفارسي**.ط2، بيروت: دار الأندلس، 1981م.
376. **كشف المحجوب للهجويري**. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1994م.
القنوجي، صديق بن حسن.
377. **أبجد العلوم.الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم**.بيروت:دار الكتب العلمية،(د،ت).
قيس، آل قيس.
378. **الإيرانيون والأدب العربي.رجال فقه الحنفية**.ط1.تمران: شركة النشر العلمي والثقافي.1370هـ.

كافي، أبو بكر.

379. **منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح.** ط1. بيروت: دار ابن حزم. 2000م.

كحالة، عمر رضا.

380. **معجم المؤلفين.**ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م.

381. **معجم مصنفي الكتب العربية في التاريخ والتراجم والجغرافيا والرحلات.**ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م.

كراتشكو فسكي.أغناطيوس يوليا نوقتش.

382. **تاريخ الأدب الجغرافي العربي.**ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم.القاهرة: مطبعة لجنـــة التـــأليف والترجمة والنشر، 1963م.

كرد علي، محمد.

383. **جواهر البيروني.**منشورات المجلس الأعلى للعلوم، سوريا (الذكرة الألفية لمولد البيروني)، مطبعـــة جامعة دمشق، 1974م.

كيلاني، قمر.

384. **في التصوف الإسلامي. مفهومه وتطوره وأعلامه.** بيروت: المكتبة العصرية. 1962م.

لوبون، غوستاف.

385. **حضارة العرب.**ترجمة.عادل زعيتر.ط4، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964م.

لوثروب استوارد.

386. **حاضر العالم الإسلامي.**تحقيق وتعليق شكيب أرسلان: ترجمة عجاج نويهض.ط3، 1971م.

ليسترنج، كي.

387. **بلدان الخلافة الشرقية.**بغداد: مطبعة الرابطة، 1954م.

ماجد، عبد المنعم.

388. **تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى.**ط4، القاهرة: مطبعة النهضة الجديدة، 1984م.

مارتن بلنر.

389. **العلوم الطبيعية والطب.تراث الإسلام.**شاخت بوزورث.ترجمة حسين مؤنس وإحسان صـــدقي العمد، سلسلة عالم المعرفة.القسم الثالث.الكويت: مطابع اليقظة، 1978م.

المبارك، محمد.

390. **الإسلام والفكر العلمي.**ط1، بيروت: دار الفكر، 1978م.

مبارك، زكي.

391. **النثر الفني في القرن الرابع الهجري.**بيروت: المكتبة العصرية، (د.ت).

متز، آدم.

392. **الحضارة الإسلا مية في القرن الرابع الهجري،** تعريب محمد الهادي أبو ريدة، القـــاهرة: مكتبـــة الخانجي، بيروت: دار الكتاب العربي، (د، ت).

مجهول.
393. **ود العالم من المشرق إلى المغرب.**تاريخ التأليف 372هـ.تحقيق.منوجهر ستوده.طهران، 1962م.
محمد رمضان، مصطفى.
394. **العالم الإسلامي في العصر العباسي.**ط3، القاهرة، 1997م.
محمد محمد أبوزهو.
395. **الحديث والمحدثون. أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة النبوية.** بيروت: دار الكتاب العربي، 1984م.
محمود، حسن أحمد.
396. **الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي و التركي،** القاهرة:دار الفكـــر العربي (دت).
محمود، عبد الحليم.
397. **المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي.** القاهرة: دار النصر للطباعة. (د.ت).
المدرس، محمد مخروس.
398. **مشايخ بلخ من الحنفية، وما انفردوا به من المسائل الفقهية.**بغداد، منشورات وزارة الأوقاف.
المراغي، أحمد مصطفى.
399. **تفسير المراغي.** ط3، بيروت: دار الفكر، 1974م.
مرحبا، محمد عبد الرحمن.
400. **الجامع في تاريخ العلوم عند العرب.**ط3، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988م.
المرزوقي، جمال.
401. **دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية.** ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية، 2001م.
مصطفى، محمد.
402. **علم التصوف.** القاهرة: مطبعة السعادة، 1986م.
المعاضيدي، خاشع.
403. **تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في المشرق و المغرب،** ط1، بغداد: جامعة بغداد، 1979م.
معتوق، رشاد.
404. **الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي.**مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التـــراث الإسلامي.مكة المكرمة، 1997م.
معروف، ناجي.
405. **عروبة العلماء المنسوبين إلى البلاد الأعجمية،** بغداد: مطبعة وزارة الإعلام، 1976م.
406. **علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي.**بغداد: مطبعة الإرشاد.1973م.
معروف، بشار عواد.
407. **حضارة العراق.**بغداد: دار الحرية للطباعة.1985م.

المغربي، علي عبد الفتاح.
408. **إمام أهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية**. ط1، القاهرة: مطبعة الـدعوة الإسلامية. 1985م.
المناوي، عبد الرؤوف.
409. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**.ط2، بيروت: دار المعرفة، 1972م.
منتصر، عبد الحليم.
410. **تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه**.ط1، مصر: 1975م.
منيمنة، حسن.
411. **تاريخ الدولة البويهية**.(د، ط)، (د، م)، الدار الجامعية، 1987م.
موسى، أشرف محمد.
412. **الكتابة العربية الأدبية والعلمية**.القاهرة: مكتبة الخانجي، 1978 م.
الميداني، عبد الرحمن حسن حبنك.
413. **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال و المناظرة**.ط3، دمشق: دار القلم.
النجار،عبد المجيد.
414. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**. ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992م.
نجيب بن خيرة.
415. **التاريخ الإسلامي، عصر الخلافة الراشدة**.ط1، قسنطينة: دار البعث، 1999 م.
ندا، طه.
416. **الأدب المقارن**.بيروت: دار النهضة العربية، 1975م.
417. **دراسات في الشاهنامة**.الإسكندرية: دار الطالب، 1954م.
418. **اللغة الفارسية تاريخ وقواعد ونصوص**. بيروت: مكتب كريديه إخوات، 1991م.
الندوي، علي أحمد.
419. **القواعد الفقهية**. ط2، دمشق: دار القلم. 1991م.
النشار، علي سامي.
420. **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**. ط1، القاهرة: دار المعارف، 1969م.
النمر، عبد المنعم.
421. **تاريخ الإسلام في الهند**.ط1، مطبعة دار العهد الجديد.
422. **علم التفسير. كيف نشأ وتطور. حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر**، ط1. القـاهرة: دار الكتـاب المصري، 1985م.
نيكلسون.
423. **في التصوف الإسلامي وتاريخه**. ترجمة أبو العلا عفيفي. القاهرة: (د. ن)، 1969م.
الهاشمي، أحمد السيد.
424. **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب**.بيروت: مؤسسة المعارف، (د.ت).

الهيتي، صبري فارس.
425. **الفكر الجغرافي**.موسوعة حضارة العراق.بغداد، 1985م.
الواعي، توفيق يوسف.
426. **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**.المنصورة: دار الوفاء للطباعة و النشر، **1988**م.
يعقوب، إميل بديع.
427. **المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر**.ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، **1991**م.
يوسف نور عوض.
428. **فن المقامات**.ط1، بيروت: دار القلم، 1979م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3.ثبت المراجع الأجنبية

429. **Ahmed Sayyid Maqbul, A History of Arab. Islamic Geography:** al-Bayt University- , Al.Amman , 1995,.

430. **A.S.Tritton , ..Materials On Muslim Education In The Middle Ages** .Luzac.LTD ,London ,1954,

431. **Arnaldez.Roger.**.**LesGrands Siecles De Bagdad**.E.N.A.l.Alger.1985..

432. **Bamate.Haidar,. Visage De Lislam**. E.n.a.l.3Ed.Alger.1991

433. **Barthold. y. y. Four Studies On The History Of Central Asia**. Lieden _ Brill. 1956 ..

434. **Bayard Dodge . Muslim Education In Medival Times** The Middele East Instiiitute ,Washington,Dc,1962

435. **Boilat.L œuvre D Alberuni. Essai Bibliographique De L institut Dominicain D` etudees Orientales** .Le caire.1955.

436. **Bosworth.C.E- .The politicol And Dynastic History Of The Iranian World** -In Combridge University History Of Iran .1968

437. **Bousani .A -Religion In the Saljuq Period** . In Combridge University Of Iran .1968..

438. **Carra De Vaux,. Les Penseurs De L Islam,T2,.** Paris.

439. **Claude Cahen. LIslam Des Origines Au Debut DE L Empire Ottoman** , Hachette Livre,france,1995

440. **Encyclopedie Generale De L Islam .Chapiter .2- Les sciences ,V2.**

441. **Jaqueline Chabbi : Remarques sur le dévelopement Historique Des Mouvements ascétiques et mystiques du Khurasan.**. (Stvdia Islamica) ,Paris

442. **M .M .Sharif .L origine De La Medrasah De La Mosqueé Et Du-Caravansérail A quatre Iwans** .(In Ars Islamica) .vo,l,.1951.

443. **Mehdi Nakosteen . History Of Islamic Origins Of Western Education** university Of Colorado,Press,1964.

444. **Muhammed Ativa Alibrassshi , .Education In Islam .Supreme colonil For Islamic affairs Studies In Islam** Series .No.(6).—1964.

445. **NOURI . M . the SHOLARS Of Nishapur .** thesis for the degree of doctor . 1967 . vol . I

446. **Siddiqi dr.Amir Hasan .--Caliphate And Sultanate In Medieval Persia (The Caliphate And Tahirids)**, TheVoice Of Islam Februry ,Karatchi-Pakistan-1963.

447. **sleim Ammar. Medecins et Medecine De L'aube De L'islam à L'age D'or**,Paris: Edition, 1984.. Tougui

448. **Y. Armagani .the Saffarids.A stduy In I ranian Nationalisme.I.c.o.**

4. المجلات والدوريات

أحمد جمال العمري

449. **حوانيت الوراقين وقيمتها العلمية**.مجلة "المجلة العربية".السنة الثانية، العدد السادس، 1978م.

أحمد عبد الرحيم السايح

450. **الإسلام والحضارة**.مجلة الأزهر.س 52، ج5، 1980م.

أكرم ضياء العمري

451.**العلامة الأنصاري الهروي**. مقال بمجلة المورد. العراق. العدد الأول. السنة 1397هـ / 1977م.

حسين أمين

452. **الدولة السامانية**.مجلة المؤرخ العربي،العراق، العدد الخامس عشر، 1980م، ص15ـ16.

خالد محمد عزب

453. **المدارس في الحضارة الإسلامية**.مجلة الوعي الإسلامي.العدد 344.السنة 31.سبتمبر 1994م.

454. **رسالة في الحسبة**.تحقيق ليفي بروفينسال ـ نشر بالمجلة الأسيوية.عام 1934م.

صالح العلي

455.**إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى**.مجلة كلية الآداب/جامعة بغداد/العدد15.س 1972.

456. **إدارة خراسان**.مجلة الآداب، العراق: جامعة بغداد، 1972م، العدد 15.

457.**تقسيمات خراسان الإدارية**.مجلة كلية الآداب.جامعة بغداد.مج 2، ع14، السنة 1970-1971م.

طه ندا

458. **بخارى**. مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية. ع19 ـ السنة 1965م. ص47.

459. **الرودكي**. مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية، العدد 21، السنة1967م.

عارف النكدي

460. مقالة عن نقد كتاب **ظهر الإسلام**.مجلة المجمع العلمي العراقي.1928م، مج23، ج3.

عبد الوهاب عزام

461. **أوزان الشعر وقوافيه في العربية والفارسية والتركية**.مجلة كلية الآداب.ديسمبر.1933م.

عرفان عبد الحميد فتاح

462. **منهج المتكلمين ـ دراسة وتقويم**. بمجلة إسلامية المعرفة ـ المعهد العالمي للفكر الإسلامي. السنة الثانية. العدد 8، ذو الحجة 1417هـ ـ أبريل 1997م.

علي جمعة الشكبل

463. **صناعة الورق في الحضارة الإسلامية**.مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث، ع11، س8، أكتوبر 2000م.

قحطان عبد الستار الحديثي

464. **أسواق المدن الخراسانية**.مجلة المؤرخ العربي.س12، ع30. بغداد: 1986م.

465. **دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان في القرن الرابع للهجرة ــ الصناعة** ــ مجلة الخليج العربي: المجلد 19، 1987م.

466. **دراسات في التنظيمات الإقتصادية لخراسان في القرن الرابع للهجرة.**مجلة الخليج العربي، البصرة: الجمهورية العراقية، 1988م.مج 20، العدد4.

467. **عبد الله بن طاهر.الأمير الشاعر.**مجلة الخليج العربي، العدد السادس، البصرة.1976م.

468. **عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ــ حياته وتحقيق ما تبقى من شعره** ــ مجلة كلية الآداب، العدد العشرون.بغداد، 1982م.ص 35 ــ 36.

م.حداد

469. **نيسابور مدينة الأدب والحكمة في التاريخ.**مجلة الراصد.الجمهورية الإسلامية الإيرانية، 23 تموز 1993م.

محمد عبد الهادي شعيرة

470. **الممالك الخليفة أو ممالك ما وراء النهر و الدولة الإسلامية إلى أيام المعتصم.**مجلة كلية الآداب، جامعة فاروق الأول، المجلد الرابع، السنة 1948م.

محمد فريد وجدي

471. **قيمة العلم في الإسلام.**مجلة الأزهر.ج4.المجلد الخامس.1934م.

مصطفى جواد

472. **أول مدرسة في العراق.**مقال في مجلة المعلم الجديد.العراق،العدد1، السنة 1940م.

مفيد محمد نوري

473. **أعلام الصوفية في خراسان في القرنين الثاني والثالث الهجري.** مجلة آداب الرافدين ــ كلية الآداب ــ جامعة الموصل، العدد الثاني، تشرين الثاني 1971م

ناجي معروف

474. **مدارس قبل النظامية،** مجلة المجمع العلمي العراقي.المجلد الثاني والعشرون، بغداد: 1973م.

نجيب بن خيرة

475. **التدوين التاريخي عند المسلمين دوافعه وتطوراته خلال القرون الثلاثة للهجرة.**مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.العدد 10، ستة 2001م.

نور الدين صغيري

476. **الحوار والمناظرة في منظور الشارع.**مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث.دبي، السنة 9، العدد 36، يناير 2002م.

هـــ.أ.جب

477. **قتيبة بن مسلم الباهلي (البطل الفاتح).**مجلة الرسالة.العدد 246.السنة 1938م.

يوسف القرضاوي

478. **من محاذير التفسير. سوء التأويل.** مجلة إسلامية المعرفة.ماليزيا، العدد الثامن، السنة الثانية، ذو الحجة 1417هـ /أبريل 1997م.

4. الرسائل الجامعية

الثامري،إحسان ذنون.

479. **الحياة العلمية زمن السامانيين**،كلية الدراسات العليا،الجامعة الأردنية،2000م،طبعت.

480. **التاريخ الحضاري لمدينة بخارى منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجـري**، كليـة الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 1997م، (رسالة ماجستير).

حتاملة، عبد الكريم عبده الطالب.

481. **العلاقات الخارجية للدولة الغزنوية**.كليـة الآداب، جامعـة القـديس يوسـف، بـيروت، 1988م،(رسالة دكتوراه).

الحديثي، قحطان عبد الستار.

482. **خراسان في العهد الساماني**.كلية الآداب، جامعة بغداد، 1980م، (رسالة دكتوراه).

483. **الطاهريون**. كلية الآداب، جامعة بغداد، 1966م،(رسالة ماجستير).

خطاب، ادهام فاضل.

484. **علاقات الدولة الغزنوية بالبويهيين والخلافة العباسية**.جامعة الموصل، 1975م،(رسالة ماجستير).

الديلمي، طارق فتحي سلطان.

485. **الحركة الفكرية العربية في بخارى في القرنين الثالث والرابع الهجري**.كلية الآداب، جامعـة بغداد، 1985م.(رسالة ماجستير).

سالم، منيرة ناجي.

486. **الحركة الفكرية في خراسان في القرن السادس الهجري**، كليـة الآداب، جامعـة بغـداد، 1977م، (رسالة دكتوراه).

السلومي، سليمان بن عبد الله.

487. **القرامطة وآراؤهم الاعتقادية**.،كلية أصول الدين،،جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1400هـ، (رسالة ماجستير).

الضمور، طالب حامد حسن.

488. **التربية والتعليم في العراق في العصر العباسي الأول**.كلية الآداب، جامعـة مؤتـه، الأردن، 1996م، (رسالة ماجستير).

عبد الله، جهاد عزت.

489. **الحركة الفكرية العربية في سمرقند في القرنين الرابع و الخامس الهجريين**.كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م، (رسالة دكتوراه).

محيسن، إبراهيم إسماعيل.

490. **الحركة الفكرية العربية في خراسان في القرن الثالث الهجري**.كلية الآداب، جامعة بغـداد، 1982م، (رسالة ماجستير).

مخيلف أحمد، أيوب عبد الحميد.

491. **خراسان من 99هـــ إلى 132هـــ.دراســة في الإدارة والأوضــاع العامــة**.الجامعــة الأردنية.1998م.،(رسالة دكتوراه).

وهبي، أديل.

492. **الحركة العلمية في نيسابور من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري** ـــ جامعة اليرمـوك ـــ قسم التاريخ ـــ 1998م،(رسالة ماجستير).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

1. فهرس الأعلام

2. فهرس الأماكن والبلدان

3. فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم الحربي، 329.

إبراهيم بن أحمد المروزي، 142، 330.

إبراهيم بن علي الفارسي، 430.

إبراهيم بن محمد الصيرفيني، 499.

إبراهيم بن محمد النصراباذي، 390.

إبراهيم بن مهران، 181.

إبراهيم بن نوح، 288.

إبراهيم بن يوسف الباهلي، 226.

الإبريسمي، 530.

ابن أبي الطيب، 184.

ابن الخباز، 254.

ابن الخمّار، 154،

ابن الشرقي، 140، 291.

ابن العميد، 152.

ابن حداد، 336.

ابن راهويه، 268، 284.

ابن رجاء الهروي، 216.

ابن زنجويه، 325.

ابن سختويه المزكي، 191.

ابن سيمجور، 109، 110، 111.

ابن سينا، 154، 170، 202، 431، 536.

ابن شفيق العبدي، 204.

ابن طيفور، 147.

ابن فنجويه، 180.

ابن مجتاج، 109.

أبو الحسن الأشعري، 358، 406.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو الحسن الدينوري، 184.
أبو العامر الفارسي، 163.
أبو الفضل السلمي، 347.
أبو الفوتل المكالي، 431.
أبو القاسم الورّاق، 211.
أبو القاسم بن حبيب، 263.
أبو الليث السمرقندي، 212، 272، 373.
أبو المثل البخاري، 454.
أبو المعالي الجويني، 163.
أبو بكر بن أبي خيثمة، 496.
أبو حذيفة البخاري، 494.
أبو حزّابة الوليد، 81.
أبو سعيد السيرافي، 429.
أبو طالب البغدادي، 230.
أبو طاهر الخزيمي، 163.
أبو عبد الرحمن السلمي، 264.
أبو محمد المطراني، 443.
أبو مسلم الخراساني، 78، 99.
أبو نشيط، 250.
أحمد بن أبي خالد، 92.
أحمد بن إسحاق الصيدلاني، 531.
أحمد بن الحسين البيهقي، 507.
أحمد بن المؤمل، 445.
أحمد بن بشر المروروذي، 331.
أحمد بن جعفر البلخي، 548.
أحمد بن حام، 334.
أحمد بن حمدان الحيري، 290.
أحمد بن حنبل، 358.
أحمد بن خضرويه، 396، 397.
أحمد بن رستم الكلاباذي، 304.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحمد بن سعيد المعدّاني، 501.
أحمد بن سلمة، 287.
أحمد بن سهل البلخي، 153، 362، 501، 514.
أحمد بن سيار، 204.
أحمد بن سيار المروزي، 500.
أحمد بن شارك، 298.
أحمد بن عبد الصمد، 463.
أحمد بن عبد الله حبش، 542.
أحمد بن عبدوس الحائي، 540.
أحمد بن علي البيكندي، 304.
أحمد بن علي القاضي، 295.
أحمد بن علي النسائي، 288.
أحمد بن عمر الكرابيسي، 542.
أحمد بن محمد الإسفراييني، 142، 228.
أحمد بن محمد الأصبهاني، 182.
أحمد بن محمد البستي، 228.
أحمد بن محمد البغدادي، 193.
أحمد بن محمد التغلبي، 496.
أحمد بن محمد الحيري، 191.
أحمد بن محمد الرشيدي، 159.
أحمد بن محمد الماليني، 407.
أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني، 548.
الأحنف بن قيس، 61، 62، 63، 65.
آدم بن أبي إياس، 267.
إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، 295.
إسحاق بن إبراهيم المصعبي، 437.
إسحاق بن أحمد الصفار، 430.
إسحاق بن راهويه، 146.
إسحاق بن محمد (الحكيم)، 346.
أسد بن عبد الله القسري، 77، 99.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إسماعيل بن إبراهيم السرخسي، 252.
إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، 297.
إسماعيل بن أحمد الساماني، 98، 99، 102، 103، 105، 106، 176.
إسماعيل بن عبدوس الدهان، 446.
إسماعيل بن محمد الدهان 431.
إسماعيل بن نجيد، 390.
الأسود بن كلثوم العدوي، 64.
الآغجي، 454.
الأفشين، 197.
ألبتكين، 109. 110، 116، 119.
أم علي (إمرأة أحمد بن خضرويه)، 398.
أمير بن أحمد البشكري، 64.
أندبال، 122.
الأنماطي، 261.
أنوشروان، 57، 454.
أوس بن ثعلبة، 64.
أيلك خان، 113، 123.

(ب)

بابك الخرّمي، 283.
الباشاني، 298، 502.
البجحزني، 254.
البردعي، 193.
بريدة بن الحصيب، 81.
البزاز، 303.
البستي، 178، 183، 213.
البشاري، 517.
البشتي الخارزنجي، 425.
بشر بن الحارث (الحافي)، 394.
بشر بن محمد الباهلي، 192.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بشر بن محمد الباهلي، 192.
بغراجق، 119.
بغراخان، 103، 110، 111، 120.
البغلاني، 296.
بكتوزون، 109، 112.
البلعمي، 152، 483.
بن حيويه، 183.
بن دلويه، 220.
بن هاني النيسابوري، 423.
البوشنجي، 182.
البوغي، 305.
البيروني، 154، 485، 486.
البيهقي، 156.

(ت)

تاج الدين خسرو، 128.
التباني، 185.

(ث)

ثابت قطنة، 434.
الثعالبي، 149، 481.
ثعلب، 147.
الثعلبي، 250.

(ج)

جزرة، 302.
جعفر بن أحمد المروزي، 425.
جعفر بن محمد البلخي، 547.
جعفر بن محمد الفريابي، 140، 253.
الجلاباذي 219.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جنكيز خان، 38
الجنيد بن عبد الله المرّي، 77، 81، 82.
الجنيد، 386.
الجوبقي، 335.
الجوزقي، 292.
الجولكي، 192.
الجوهري، 426.
الجويباري، 302، 454.
جيبال، 117، 121، 448، 460، 487.

(ح)

حاتم بن النعمان الباهلي، 62.
حارثة بن النعمان، 61.
حامد بن حرب، 247.
الحجاج بن مسلم، 70، 75.
الحدادي، 349.
الحرشي الحيري، 229.
حسان بن محمد القرشي، 312.
الحسن البصري، 258، 379.
الحسن بن إدريس الهروي، 496، 502.
الحسن بن زيد، 97.
الحسن بن علي الدقاق، 179، 392، 409.
الحسن بن علي الوحشي، 346.
الحسن بن محمد الفراتضي، 542.
الحسين السلامي، 496.
الحسين بن الحسن الحليمي، 338، 347، 366.
الحسين بن الخضر، 349.
الحسين بن الفضل البحلي، 261.
الحسين بن داود، 178.
الحسين بن طاهر، 97.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحسين بن ماسرجس النيسابوري، 141، 291.
الحصين بن المنذر، 46.
الحكم بن عمرو، 61.
حمدون القصار، 388.
حمزو بن عبد العزيز، 531.
الحمشادي، 178.
حنضلة بن عرادة، 81.

(خ)

الختلي، 221.
الختن الفارسي، 230.
الخجندي، 549.
الخرجردي، 183.
الخركوشي، 180، 393.
الخطيب البغدادي، 194.
الخفاف، 288.
الخليل بن أحمد السجزي، 542.
الخوارزمي، 141، 225، 543.
الخياط النحوي، 229.

(د)

الدارمي، 297.
الدبوسي (أبو زيد)، 338.
الدغولي، 192.
الديلمي، 219.

(ذ)

الذهلي، 220.

(ر)

الرازي (أبو بكر)، 533.
رافع بن الليث، 100.
رافع بن هرثمة، 102.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرباطي، 217.
الربنجني، 454.
الربيع بن زياد الحارثي، 80، 83.
رشيد السمرقندي، 455.
رفيع بن مهران، 258.
الرودكي، 454، 455، 456، 457.

(ز)

الزغنداني، 199.
زكريا بن الطيفوري، 197.
زكريا بن صالح، 333.
الزهري، 279.
زياد بن الأعجم، 434.
زيد بن أسلم، 258.

(س)

سارية بن زنيم، 61.
سامان خداة 99.
السبذموني، 321.
سبكتكين، 111، 116، 117، 118، 125.
السراج، 386، 391.
سريج بن يونس، 267.
سعيد الدين القرغاني، 407.
سعيد بن إسماعيل الحيري، 388.
سعيد بن حاتم، 266.
سعيد بن شعبة، 267.
سعيد بن عبد العزيز، 76.
سعيد بن عثمان بن عفان، 66.
سعيد بن عمرو الحرشي، 77.
سعيد بن منصور، 294.
سلم بن زياد، 68، 81.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سليمان بن أبي السري، 84.
سليمان بن عبد الله بن طاهر، 438.
سليمان بن عبد الملك، 75.
سليمان بن معد المروزي، 500.
سليمان تركمان، 407.
السنجي، 229.
سهل النيلي، 530.
سهل بن أحمد الأرغياني، 345.
سهل بن بشر بن هانئ، 547.
سهيل بن عدي، 61.
السيمجوري، 483.

(ش)

الشارغي، 230.
الشاركي، 312.
شريك بن الشيخ المهدي، 78.
الشعبي، 258.
الشقاق، 221.
الشماخي، 298، 312.
الشمردل بن شريك، 434.
شمس المعالي قابوس، 458، 482، 485، 495.
شمّر بن حمدويه، 427.
الشهيد بن الحسن الوراق، 211.

(ص)

الصائغ الحليمي، 163.
الصابوني، 181.
الصاحب بن عباد 152، 202، 458.
صاعد بن محمد الإستوائي، 350.
الصبغي، 327.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الصعلوكي، 163، 180، 448.
صلاح الدين الأيوبي، 171.
الصولي، 147.

(ض)

ضرار بن حصين الضبي، 81.

(ط)

طاهر بن الحسين، 92، 93، 95، 102، 207، 438، 439، 440، 471.
طاهر بن عبد الله، 146.
الطحاوي، 454.
طغان، 117، 123.
طلحة بن طاهر، 93.
طهمورث، 29.
طيفور بن آدم، 387.

(ع)

عاصم بن عمرو، 61.
العبادي، 335.
عبد الرحمن السلمي، 406.
عبد الرحمن بن الحسن، 163.
عبد الرحمن بن حمدان، 531.
عبد الرحمن بن شقيق، 294.
عبد الرحمن بن عمر، 548.
عبد الرحمن بن محمد الإستراباذي، 305.
عبد الرحيم الصيرفي، 346.
عبد السلام بن الهيصم، 163.
عبد العزيز بن الوليد، 75.
عبد العزيز بن نوح، 110.
عبد العطار بن شاذان، 531.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الغافر الفارسي، 499.
عبد القاهر بن طاهر، 163، 193، 328، 366.
عبد الكريم الميغي، 400.
عبد الله بن أبي عقيل، 80.
عبد الله بن أحمد الفرغاني، 496.
عبد الله بن حوذان، 81.
عبد الله بن خازم، 64.
عبد الله بن خليد، 439.
عبد الله بن طاهر، 24، 93، 94، 95، 96، 145، 146، 261، 417، 434،438، 440، 475.
عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، 304.
عبد الله بن عروة الهروي، 335.
عبد الله بن عمر الدبوسي، 549.
عبد الله بن غفير، 298.
عبد الله بن محمد البغوي، 500.
عبد الله بن محمد البلخي، 501.
عبد الله بن محمد الشعراني، 540.
عبد الله بن محمد الكلاباذي، 302، 347.
عبد الله بن محمد بن أبي عيينة، 440.
عبد الله بن مخلد السمرقندي، 254، 424.
عبد الله بن منازل، 389.
عبد الله بن ميمون، 191، 296.
عبد الله بن نضلة، 81.
عبد الله بن يوسف الجويني، 266.
عبد الله محمد بن طاهر الخزاعي، 102.
عبد المجيد أفلح، 159.
عبد الملك بن نوح، 113، 483.
عبدان، 329.
عبيد الله بن زياد، 66، 81.
عبيد الله بن عبد الله، 436.
عبيد الله بن علي، 81.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبيد الله بن عمر الدبوسي، 431.
العتبي، 156، 506.
عثمان بن أبي وقاص، 61.
عثمان بن عفان، 61، 64، 65، 80.
العجلي، 250.
العراقي، 346.
العطار، 326.
علقمة، 258.
علي الماسرجسي، 495.
علي بن أبي طالب، 65، 78.
علي بن أحمد البوشنجي، 395.
علي بن الحسن اللحام، 442.
علي بن الحسين البيهقي، 182.
علي بن الحسين السردري، 348.
علي بن الحسين السغدي، 349.
علي بن الحسين بن ميسرة، 162.
علي بن جلوغ السجزي، 466.
علي بن حجر، 268.
علي بن سهل المروزي، 531.
علي بن عيسى بن ماهان، 99.
علي بن محمد البستي، 448.
علي بن محمد الخبازي، 249.
علي بن محمد الدقاق، 162.
عمر بن الخطاب، 61، 62، 63، 80.
عمر بن سهلان الساوي، 548.
عمر بن عبد العزيز، 76، 84، 85.
عمر بن محمد الهمذاني، 305.
عمران بن الفضيل البرجمي، 81.
عمرو بن الليث الصفار، 98، 101، 103، 104.
عمرو بن سلمة الحداد، 387.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عمرو كلثوم التغلبي،439.
العنصري، 156، 464.
عوف بن محلم الشيباني، 438.
عيسى بن محمد بن عيسى، 496.

(غ)

الغزالي (أبو حامد)، 412.
غسان بن عباد، 100.
الغنجار، 193،504.
غوزك، 74.

(ف)

فائق الخاصة، 109، 111، 112، 119.
الفارابي، 141.
فاطمة النيسابورية، 393.
الفردوسي، 156، 457، 458، 459، 460.
الفرّخي، 156، 466.
الفشيذيزجي، 349.
الفضل بن خالد، 250.
الفضل بن شاذان، 247.
فيروز مشرقي، 452.

(ق)

القائم بأمر الله، 125.
القاسم بن سلام، 217، 246، 250، 334.
القاسم بن غانم، 531.
القاضي عبد الجبار، 266.
قتيبة بن مسلم الباهلي، 69، 70، 71، 73، 74، 75، 76، 83، 84، 161، 417.
القرظي، 258.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القشيري، 409.
القفال الشاشي، 154.
القفال المروزي (أبو بكر)، 331.
القمي، 325.

(ك)

كامل بن مكرم، 302.
الكرابيسي، 335.
الكرديزي، 506.
الكسائي، 454.
كعب الأشقري، 434.
الكعبي، 216، 253.
كمال خجندي، 407.

(ل)

ليث بن مساور، 345.

(م)

المؤذن، 183.
الماتريدي، 212، 270، 367.
الماسرجسي، 192.
مأمون بن مأمون، 154.
المأمون، 92، 93، 96.
المبرّد، 147.
المتوكل، 89،
مجاشع بن مسعود، 61.
المجاشعي (الأخفش)، 426.
المحشّر بن مزاحم السلمي، 70.
محمد بن إبراهيم البرغشي، 112.
محمد بن إبراهيم الرماح، 345.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد بن إبراهيم الكلاباذي، 400.
محمد بن أبي ذر العامري، 364.
محمد بن أحمد الأزهري، 428.
محمد بن أحمد الترمذي، 141.
محمد بن أحمد الجيهاني، 107، 152، 430، 512.
محمد بن أحمد الخازن، 347.
محمد بن أحمد الدقيقي، 457.
محمد بن إسحاق الثقفي، 205.
محمد بن إسحاق السعدي، 502.
محمد بن إسماعيل البخاري، 139، 199، 308.
محمد بن الأخرم، 291.
محمد بن الحسين البسطامي، 345.
محمد بن الحسين النحوي، 158.
محمد بن العباس العياضي، 542.
محمد بن الفرج الشعراني، 424.
محمد بن الفضل البلخي، 193.
محمد بن الفضل العروضي، 431.
محمد بن الفضل النحوي، 333.
محمد بن القاسم 94.
محمد بن المؤمل الماسرجسي، 417.
محمد بن أيوب الطبري، 541.
محمد بن حاشد، 269.
محمد بن حرب النسائي، 326.
محمد بن حمدويه الإستراباذي، 303.
محمد بن حمدويه الضبي (ابن البيع)، 292، 498.
محمد بن حمدويه الطهماني، 345.
محمد بن حمدويه المورقاني، 500.
محمد بن خزيمة السلمي، 139.
محمد بن خلف المحولي، 420.
محمد بن خنب الدهقان، 495.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد بن داود الصوفي، 389.
محمد بن رافع، 145.
محمد بن زيد العلوي، 104.
محمد بن سفيان الكلماتي، 390.
محمد بن سليمان الصعلوكي، 431.
محمد بن شاهويه، 542.
محمد بن طاهر، 96، 97، 98، 102.
محمد بن عبد الجليل السمرقندي، 506.
محمد بن عبد الله الزرهاجي، 162.
محمد بن عبد الله السمرقندي 431.
محمد بن عبد الله بن طاهر، 437.
محمد بن عبد الله بن عمر، 548.
محمد بن عبد الوهاب، 327.
محمد بن عقيل، 297.
محمد بن علي الخبازي، 249.
محمد بن علي الشاشي، 266.
محمد بن عمار، 298.
محمد بن عمر الورّاق، 333.
محمد بن عمرو الشاعر، 328.
محمد بن عياش، 270.
محمد بن عيسى الترمذي، 494.
محمد بن عيسى الكرجي، 159.
محمد بن مأمون الأبيوردي، 183.
محمد بن محمد البوزجاني، 541.
محمد بن محمد القهستاني، 540.
محمد بن مطران، 149.
محمد بن منصور البرجي، 431.
محمد بن منصور السمرقندي، 431.
محمد بن مهد الصيدلاني، 531.
محمد بن ميمون، 267.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد بن نصر المروزي، 330.
محمد بن نصر المروزي، 150.
محمد بن هارون، 104
محمد بن واقد، 268.
محمد بن يحيى، 162.
محمد بن يزيد السلمي، 325.
محمود بن سبكتكين، 118، 119، 120، 121، 122، 123، 125، 322.
المحمودي، 303.
المستعين بالله 96.
المستغفري، 506.
المستملي، 297.
مسروق، 258.
مسعر بن مهلهل الينبوعي، 519.
مسعود الغزنوي، 126، 127، 128.
المسكي، 212.
مسلم بن الحجاج، 139.
المسندي، 299.
المصعبي، 420.
المطوعي، 184.
المطيع لأمر الله، 108.
مظفر الدين كوكبري، 171.
معاوية بن أبي سفيان، 65.
المعتصم، 78، 85، 95، 96.
المعتضد، 104.
المعتمد على الله، 100.
المعروفي، 303.
المغيرة بن حبناء 434.
المقتدر بالله، 106.
المكتفي، 105.
مكي بن إبراهيم التميمي، 296.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منصور بن إسحاق السامانى، 107.
منصور بن نوح السامانى، 109، 112.
منوجهر بن قابوس، 192.
منوجهري، 156، 462.
مهدي بن محمد القشيري، 531.
المهلب بن أبي صفرة، 67، 81.
مودود بن مسعود، 128، 467.
موسى بن سليمان الجوزجاني، 333.
موسى بن شاكر، 546.
الموفق بالله طلحة، 101.
الميكالي، 420.

(ن)

الناصحي، 350.
ناصري خسرو، 521.
النخعي، 192.
النرشخي، 429. 503.
نصار بن إبراهيم، 424.
نصر بن أحمد السامانى، 100، 102، 106، 455.
نصر بن سيار، 78، 100.
نظام الملك، 171.
نعيم بن حماد، 294.
نوح بن أسد السامانى، 100.
نوح بن منصور، 110، 118.
نوح بن نصر السامانى، 108، 202، 429، 504، 519.
النوقاني، 230.

(هـ)

هارون بن أحمد الإستراباذي، 164.
هارون بن الرشيد 99، 207.
الهجويري، 412.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هشام بن عبد الملك، 81، 85، 99.
الهمذاني (بديع الزمان)، 225، 479.
الهنداوني، 334.

(و)

الورسنيني، 229.
ورقاء بن نصر الباهلي، 70.
الوكيعي، 253.
الوليد بن بكر الغمري، 496.
الوليد بن عبد الملك،، 75، 121.
الوليد بن عبيد الطائي، 147.

(ي)

يحيى بن جعفر البيكندي، 269.
يحيى بن يحيى النيسابوري، 146، 284.
يحيى بن يعمر العدواني، 81.
يحيىبن معاذ، 386.
يزدجرد، 61، 62.
يزيد بن المهلب، 75.
يزيد بن معاوية، 67.
يعقوب بن إسحاق (أبو عوّانة)، 290.
يعقوب بن سنان، 212.
يعقوب بن الليث الصفار 96، 97، 101، 453.
يونس بن طاهر النصيري، 334.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

أباركت، 47.
أبيورد، 28،64، 142.
أدرسكن، 33.
أربنجن، 47.
أردخشميثين، 55.
أردلانكت، 59.
أرذخيوه، 55.
أرغيان ، 345.
آرهن، 36.
آسان، 37.
أسيره، 58.
أسبيحاب، 59.
استوا ، 142.
إسفرايين، 28، 142.
إسكندرة، 56.
أش، 56.
أشبينغو، 59.
أشروسنة ، 78، 100، 102.
أشروسنة، 46.
أصبهان ، 230.
أفغانستان، 21، 35، 39.
آمل، 29، 110، 142، 171.
أنبار، 37.
أنبير، 37.
أندراب، 37.
إنديجاراغ، 56.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أنديجان، 57.
أورشت، 57.
أوزبكستان، 39، 40، 46، 57، 59.
أوزكند ،58، 123.
أوش، 58.
إيخان، 55.
إيران، 22.
إيريانا، 35.
إيلاق، 59.

(ب)

باخرز، 27.
باذغيس، 34، 64، 142.
باسفزار، 33.
باسند، 56.
باشان ، 298.
باف، 56.
الباميان، 37.
البتم، 59.
بحرا، 37.
بخارى، ذكرت في معظم الرسالة.
براتكين، 55.
برقان، 56.
بسطام ، 142.
بسغور فند، 37.
بشت، 34.
البصرة، 41، 80، 81، 82.
بغداد، ذكرت في معظم الرسالة.
بغلان، 36.
بلخ، ذكرت في معظم الرسالة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بناكت، 59.
بنجهير، 37.
بنكث، 59.
البوزجان، 27.
بوشنج، 32، 33، 96.
بيغنخر، 57.
بيكند، 39، 41، 43 ، 70. 218، 516.
بيهق، ذكرت في معظم الرسالة.

(ت)

تركمانستان، 21، 39، 40، 46.
ترمذ، 56، 67، 212، 398.
تمرتاش، 56.

(ج)

جاذوى، 34.
جاز، 55.
الجبال ، 105.
جبل الفضة، 34.
جدغل، 58.
جرجان، 20، 24، 27، 82، 97، 111 ، 481، 486، 520.
الجرجانية 50، 51.
جشيرة، 55.
جكربند، 55.
جوبق ، 335.
الجوزجان، 37، 64 ، 516.
جوين، 27.
جيرنج، 30.
جيغوكث، 59.
جينابجكث، 59.

(ج)

الحجاز ، 139، 140.
حرّان ، 141.

(خ)

خبقان، 56.
الختّل، 56.
ختن ، 123.
خجستان، 34.
خجندة، 57، 74، 142.
خدمكن، 43.
خدينكت، 59.
خراسان، ذكرت في معظم الرسالة.
خرشكت، 59.
خرغانكت، 47.
خرغانكث، 43.
خرق، 30.
خركرد، 34.
خرور، 56.
خست، 37.
خشكت، 57.
خلم كابل، 36.
خوارزم، ذكرت في معظم الرسالة.
خواف، 28.
خوقند، 57.
خيلام، 58.

(د)

دارزنج، 56.
الداندانقان، 30، 128.
دبوسية، 41، 47.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

درغان، 55.
دستجرد، 56.
الدكن ، 121.
دمشق، 41.
دنفغانكث، 59.
دهستان ، 34 ، 217.
دينور ،140.

(ر)

رؤب، 37.
راشتيخن ، 516.
الرملة ، 263.
روالين، 36.
روان، 37.
روخجادة، 43.
الري، 21، 48، 105، 108، 139، 140، 157 ، 473، 549.

(ز)

زاوة، 28.
زردوخ، 55.
زم، 56.
زندنة، 43، 44.
زوزن، 28.

(س)

سافردر، 55.
سامراء ، 437، 531.
سامراء ، 94.
سجستان، 20، 21، 32، 94، 96، 98، 108، 126، 466، 518.
سدور، 55.
سراي عاصم، 37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سرخس، 21، 30، 32، 64، 192.
سكاوند، 37.
سكلكند، 36.
سكيمشت، 37.
سمرقند، ذكرت في معظم الرسالة.
سنج، 30.
السنج، 64.
السند، 27 ، 520.
سوسقان، 30.
السيب نوباغ، 56.
سيبريا، 40.

(ش)

الشاش ، 40، 59 ، 60، 74، 78، 100، 154.
الشام ، 139.
شامنجان، 36.
شبورقان، 37.
شومان، 56.
شيراز، 23.

(ص)

الصغانيان، 56.
الصغد ، 40، 41، 62 72، 74، 76، 77، 516.

(ط)

طاجيكستان، 40، 46.
الطالقان، 36.82.
طبرستان ، 21، 97، 104، 105، 531.
طخارستان، 21، 35، 37.
طراث، 59.
طراز ، 103.
طشقند، 59، 103.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الطواويس، 43.
طوس، 22، 24، 28، 64، 122، 156، 391.

(ع)

العراق، ذكرت في معظم الرسالة.

(غ)

غرجندغناج، 59.
غردمان، 55.
غزنة، ذكرت في معظم الرسالة.

(ف)

فارس، 20، 24، 27، 61، 62، 109.
فارغر، 56.
الفاريات، 37، 65.
فربر، 43.
فرغانة، 40، 46، 58، 74، 77، 78، 84.
فركرد، 34.
فرنكت، 47.
فرنكث، 59.
فروان، 37.

(ق)

قازاخستان، 40.
قاليقلا، 53.
قبا، 58.
قوجان، 26.
قومس، 20، 105.
قوهستان 24، 28، 64.
قيرغيزيا، 40.

(ك)

كابرون، 34.
كابل، 37.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كاث درخاش، 50.
كاث، 50، 51.
كاسان، 57 ، 74.
كاشجك، 59.
كاشغر ، 75. 123.
كالوون، 34.
كاه، 37.
كبوذبخت، 47.
كداك، 59.
كردر، 55.
كردران خواش، 55.
كركانج ، 50، 485.
كرمان ، 21، 27 ، 96، 105، 105، 108، 126.
كرمينية، 41، 43.
كره، 34.
كروخ، 33.
كس، 41، 47، 142.
الكشانية، 47.
كشمير ، 123، 520.
كشميهن،30.
كنكراك، 59.
كوارات، 33.
كواسان33.
كوره كاسان، 58.
كوسوى، 34.
كوشك،33.
كوغناباذ، 34.
كوفا، 34.
الكوفة، 62، 80، 81.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ل)

لاهور ، 128.
لخراب، 37.

(م)

ما وراء النهر، ذكرت في معظم الرسالة.
مالين، 27.
المدينة المنورة، 68.
مذر، 37.
مذيابحكث، 43.
مراباذ، 33.
مرداجقان، 55.
مرغينان، 57.
مرند، 56.
مرو الروذ، ذكرت في معظم الرسالة.
مرو الشاهجان، ذكرت في معظم الرسالة.
مزار الشريف، 35.
مصر ، 139.
مغكان، 43.
مكة، 88، 140.
مكران ، 126.
الموصل ، 263.
مياه روذان، 58.

(ن)

ناردين ، 123.
نجاكث، 59.
نسا، 28، 217، 290.
نسف، 41، 47، 216.
نكالك، 59.
نمجكث، 43.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نوز كاث، 55.
نيسابور، ذكرت في معظم الرسالة.

(هـ)

هراة، ذكرت في معظم الرسالة.
هرمزفرة، 30.
هزارسب، 55.
هلبك، 56.
همذان، 49، 53.
الهند، 20، 126.

(و)

واستوا، 27.
واشتيخن، 47.
الواشجرد، 56.
وويذار، 47.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة: (نطاق البحث وتحليل لأهم مصادره) 06

فصل تمهيدي 19

1 ــ الطبيعة الجغرافية والاقتصادية لإقليم المشرق (خراسان وبلاد ماوراء النهر) 20

1 ــ 1 ــ خراسان وأرباعها : (نيسابور، مرو، بلخ، هراة) 20

1 ــ 2 ــ بلاد ما وراء النهر وأقاليمها : (إقليم الصغد، إقليم خوارزم، إقليم الصغانيان، إقليم فرغانة، إقليم الشاش) 38

2 ــ الفتح الإسلامي لخراسان وبلاد ماوراء النهر 61

3 ــ الوجود العربي في إقليم المشرق 80

الفصل الاول: الأوضاع السياسية في إقليم المشرق واثرها على الحياة العلمية 86

1 ــ ظاهرة الدويلات المستقلة في العالم الإسلامي: (قوة الأطراف وتضاؤل المركز) 87

2 ــ الدولة الطاهرية 92

3 ــ الدولة السامانية 99

4 ــ الدولة الغزنوية 116

الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في الحياة العلمية وأهم مؤسسات التعليم 129

1 ــ طلب العلم فريضة إسلامية 130

2 ــ الرحلة في طلب العلم 134

3 ــ عناية الأمراء و الحكام بالعلم والعلماء 143

4 ــ المساجد والجوامع(رسالة تعليمية) 160

5 ــ الكتاتيب 165

6 ــ المدارس (توطين الثقافة الإسلامية في إقليم المشرق) 171

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

7 ــ المكتبات الخاصة و العامة..... 198
8 ــ حوانيت الوراقين 207
9 ــ الربط والخانقاهات بين الجهاد و العلم 214
10 ــ مجالس المناظرة..... 220

الفصل الثالث: علوم الوحي 232
1 ــ تمهيد حول تصنيف العلوم في التأصيل الإسلامي 233
2 ــ علوم القرآن 236
2 ــ 1 ــ علم القراءات..... 238
2 ــ 2 ــ علم التفسير 255
3 ــ السنة النبوية وعلومها 276
3 ــ 1 ــ تدوين السنة وتصنيفها قبل القرن الثالث الهجري 277
3 ــ 2 ــ أشهر علماء الحديث في خراسان وماوراء النهر وجهودهم في خدمة السنة النبوية 281
3 ــ 3 ــ جهود الإمام البخاري في علم الحديث من خلال كتابه "الجامع الصحيح" 307
3 ــ 4 ــ جهود الإمام مسلم في علم الحديث من خلال كتابه " الصحيح" 309
3 ــ 5 ــ جهود الإمام الترمذي في علم الحديث من خلال كتابه " الجامع " 312
4 ــ الفقه والقضاء والإفتاء 317
5 ــ علم الكلام (التحدي والمواجهة) 354
6 ــ التصوف (من الزهد إلى العرفان) 375

الفصل الرابع : الآداب والعلوم الاجتماعية والكونية 414
1ــ الآداب 415
1ــ 1 ــ إقليم المشرق بين التعريب والتفريس..... 415
1 ــ 2 – علوم اللغة..... 421

1 ــ 3 ــ الأدب وفنونه 433
1 ــ 3 ــ 1 ــ الشعر العربي 433
1 ــ 3 ــ 2 ــ الشعر الفارسي 451
1 ــ 3 ــ 3 ــ النثر العربي 469
1 ــ 3 ــ 4 ــ النثر الفارسي 482
2 ــ العلوم الإجتماعية 492
2 ــ 1 ــ علم التاريخ 492
2 ــ 2 ــ علم الجغرافيا والرحلات 510
3 ــ العلوم الكونية: 522
3 ــ 1 ــ العلوم الكونية و الوحي الإسلامي 522
3 ــ 2 ــ الطب و الصيدلة 526
3 ــ 3 ــ العلوم الرياضية 539
3 ــ 4 ــ علم الفلك 544

الخاتمة 551
نتائج البحث 551
توصيات البحث 558
الملاحق 560
ثبت المصادر والمراجع 581
الفهارس 616
فهرس الأعلام 617
فهرس الأماكن والبلدان 636
فهرس الموضوعات 646

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

the major educational institutions , as exemple The importence and interest that have been given by leaders to education and sciences and the students , then I have reviwed the role of the mosques.grand mosques ,and coranic schools , librerys, and books hops of papers and zaouias and their role in the development of scientific life in the region.

The third chapter :has dealt with a comprehensive stduy of the science of wahi . it is the biggest chapter of the thesis , because it have been dealing with the science of religion which had a great importance in khurasan and transoxania.

Ihese Islamic sciences are : the sciences of kuran , the science of Hedith , the Fikh, Islamic philosophy, and Tassaouf.

Work in The fourth chapter was focused on the literature , the social sciences and Natural sciences .during the period of the study .wehen I studied the Literature with arts such as poesy and rethoric in both arabic and persian .I have dealt in special paragraph with the social sciences such as History , Geograhy and expeditions .

The last essay in the thesis is concerning the universel sciences such as medical sciences , pharmacolgy , mathematics , and astronomy science. I have tried to highlight the importance of these studies In Islamic civilisation and knowledge.

All of the abovementioned work is followed by a conclusion in which the important findings of the study are shown. And the recommandation of this thesis .and I made supplements assists the researchers who refer to it . FinallyI have concluded the reseach with a list of the defferent references and sources.

Abstract

Cultural Life Under The Eastern Islamic States
Khurasan And Transoxania
During 3erd - 5th centuries A.h.
205 -432 A.H./820-1040 A.d.

A .doctorat Dessertation

Prepared By
Nadjib Benkheira
Under supervision Of
D.R. Ghazi Mehdi Diessem

Today Khurasan is a region divided between three islamic republic whitch are: Iran , Afghanistan and turkmanistan .The transoxania concerning the region starting from the river of Amudary and englobing same islamic republic which are : Turmanistan , Tajakistan , Ousbakistan, kirghzia and kazakhistan.

The region of khurasan and Transoxania has been related to a lot of historicol events , and great civilized achivements .

This study is starting with an Introductory chapter which concern the geography and the history , for instance the geography of khurasan and the region of transoxinia and its recognised border ,and also the towns and villages in the region and all the economical activities that have been taken place in the region .

The First chapter : it is dealing with the politicol situation in the region of East and impact on the cultural life . I have also expressed a bref politicol history of the small independent states such as :Tahirid ,Samanid , and ghaznavid .I have taken the rize of these states and the autmost development of their culture , and their decline with its reasons .

The second chapter : this chapter concern ten essay which dealt with the defferent factors that have been inffuencing the cultural life and